# الفتاة العربية المراهقة :
# الـواقـــع والآفـــاق

# فريـــــق العمـــــل

مديرة المشروع : سكينة بوراوي
منسق التقرير : أديب نعمه

## الفريـــق الإقليـــمي

أديب نعمه
درة محفوظ
عماد المليتي
منى فياض
محمد حسين باقر : مسؤول القسم الإحصائي
أميمة جدع : باحثة مساعدة

## الفريـــق الاستشاري

بيار نوال دونيول
هادية غويل
مراد غشام
نور الدين هرامي
زينب بن جلون
كمال بن عبد الله
حافظ شقير

## فريق المتابعة كوثـر

إعتدال المجبري
سليمى مجلدي
كوثر قرايدية
لبنى النجار
هيام قعلول
سلوى الغزواني

بمساهمات من : المنصف الحاجي وصلاح الدين بن فرج وفوزي بلكناني

## الفـــرق الوطنيـــة

### باحثون رئيسيون

**البحريـــن**
محمود علي حافظ
فوزية محمد السندي
عبد الحميد عبد الغفار
نادية الملا

**تونـــس**
درة محفوظ
عماد مليتي

**الجـزائـر**
الطّاهر حسين
سليمان مظهر

**لبنـــان**
منى فياض
شفيق شعيب

**مصـــر**
عائدة سيف الدولة

**المغـرب**
عزيز أجبيلو
علي اليوبي
هند فيلالي

**اليمـــن**
نورية علي حمد الحوري
نجاة صايم صغير
هيفاء الأصبحي

### مســـاعدون

حنان حسن فلامرزي، حنان عباس العلوي، محمود العريبي من البحرين
سعاد شيحة، حنان عبيد، هاجر جندوبي من تونس
لينا معصراني من لبنان
مصطفى بروأين، المصطفى طوشي،عزيز مرسي،سناء الشعلي،فاديا بركيك من المغرب
سلوى محمد، هناء محمد خليل من اليمن
وداد عدس، مساعدة باحث للقسم الإحصائي.

تقرير تنمية المرأة العربية الثاني

العنـــوان
الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق
صـــادر عن
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"

النسخة الصادرة سنة 2003

(ISBN)
9973-837-15-0



جميع الحقوق محفوظة
مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"



رسم الغلاف
ياسين الكناني من المغرب، صاحب الرسم الفائز في مسابقة الرسم الموجهة للمراهقين العرب
لاختيار غلاف تقرير تنمية المرأة العربيّة الثّاني حول الفتاة العربيّة المراهقة : الواقع والآفاق

رسوم الإصدار
المشاركون في مسابقة الرسم الموجهة للمراهقين العرب
لاختيار غلاف تقرير تنمية المرأة العربيّة الثّاني حول الفتاة العربيّة المراهقة : الواقع والآفاق

مصمم الإصدار
رضوان العرقي
بإشراف
وحدة الإعلام والاتصال

طباعة
مطبعة تونس قرطاج
الهاتف : 774 787 71 الفاكس : 891 794 71



مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"
44، نهج بولونيا، 1005 العمران، تونس، الجمهورية التونسية
الهاتف : 867 571 71 216 / 945 571 71 216
الفاكس : 627 574 71 216
البريد الإلكتروني :
cawtar@planet.tn
موقع الواب :
www.cawtar.org.tn



تقرير تنمية المرأة العربية الثاني حول الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق حظي لإنجازه بدعم خاص من
صندوق الأمم المتحدة للسكان والاتحاد الأوروبي.

# محتويات التقرير


توطئة وشكر ..... 09

ملخص التقرير ..... 13

## القسم الأول : الإطار العام

مقدمة ..... 38

الأهداف والمنهجية ..... 41

مدخل نظري ..... 49

## القسم الثاني : الدراسة الميدانية

الفصل الأول : الهوية وصورة الذات ..... 74

الفصل الثاني : البلوغ والصحة الإنجابية والحب ..... 98

الفصل الثالث : العلاقات الأسرية ..... 138

الفصل الرابع : المدرسة والعمل ..... 178

الفصل الخامس : ثقافة المراهقة والسلوكيات ..... 214

الفصل السادس : المواقف والقيم ..... 250

## القسم الثالث : المؤشرات الكمية لواقع الفتاة العربية المراهقة ..... 300

## القسم الرابع : استنتاجات وتوصيات ..... 344

## الملاحق

الملحق 1 : المراهقات والمراهقون : آراء... مواقف... وأنماط ..... 360

الملحق 2 : دليل فني ومنهجي لدراسة المراهقات العربيات ..... 372

الملحق 3 : المراجع البيبليوغرافية ..... 384

الملحق 4 : الجداول الإحصائية ..... 398

النص الكامل لمحتويات التقرير ..... 436

## قائمة الأطر والجداول والرسوم البيانية في النص ..... 06

الشباب والشابات
الهوية الشخصية وتصور
الذات

18.3 استهلاك السجائر لكل شخص بالغ (المتوسط السنوي) ..... 327
19.3 نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية(بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000 ..... 329
20.3 معدل النمو السنوي لنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي 1990-2000 (٪) ..... 330
21.3 الإنفاق العام المخصص للتعليم والصحة والإنفاق العسكري وخدمة الديون ..... 333
22.3 معدل النشاط الاقتصادي للإناث (العمر 15 سنة فاكثر) ..... 334
23.3 الدخل المكتسب التقديري (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000 ..... 335
24.3 وسائل الاتصال (عدد الأجهزة لكل1000 فرد) ..... 338
25.3 عدد نقاط الإنترنت ضمن مجموعات الدول العربية مقارنة بمناطق العالم (لكل 1000 فرد) ..... 339
26.3 نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء (كيلو واط/ساعة) ..... 340
27.3 نصيب الفرد من انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون في الدول العربية (طن متري) ..... 100

# قائمة الأطر في النص

1.1 المراهقة في اللغة ..... 59
2.1 بين التقليد والحداثة ..... 62
3.1 يوجد مراهقة، لا يوجد مراهقة ..... 64
4.1 من المراهقة إلى المراشدة ..... 65
1.2 بناء الفرد بين الاستقلال والاستقلالية ..... 85
2.2 المراهق والجماعة ..... 93
3.2 شهادة عن مراهقة ..... 128
4.2 مصر : مواصفات الشريك/ الحاج متولي وتعدد الزوجات ..... 135
5.2 مواصفات الأم والأب الصالحين ..... 158
6.2 عائلات بلا أسماء ..... 160
7.2 رسومات ودلالات ..... 172
8.2 التربية الحديثة عند ابن خلدون ..... 188
9.2 المدرسة، السجن، الثكنة ..... 189
10.2 أحصل على معدل 14 وأهلي يريدون 18 : فما العمل ؟ ..... 192
11.2 مدرسون... ومدراس في السينما المعاصرة ..... 193
12.2 قانون جماعة الأصدقاء أقوى من قانون المدرسة ..... 197
13.2 المدرسة الإعدادية في مصر ..... 201
14.2 ثورة نساء أم حقائق مخيفة ..... 207
15.2 المراهقات العراقيات بين الامتثال والامتناع ..... 217
16.2 العادات الغذائية للمراهقات في مدارس بغداد ..... 225
17.2 المراهقون والتلفزيون : الأفلام والمسلسلات أولا ..... 234
18.2 الترفيه ضد الجنوح والانحراف ..... 237
19.2 وسائل الاتصال الحديثة في الخليج ..... 238
20.2 استخدام الوقت في المغرب الرياضة أكثر الهوايات طبقية وذكورية ..... 240
21.2 نهلة : هل قيس وليلي أوروبيان؟ ..... 263
22.2 المراهقات والمراهقون في فلسطين ..... 282

# قائمة الجداول في النص


1.1 خصائص العينة ..... 45
1.2 ملامح عائلات المراهقات والمراهقين ..... 173
1.3 أدلة التنمية البشرية للدول العربية ..... 302
2.3 الأرقام القياسية لجوانب التنمية البشرية (الدول العربية = 100) ..... 311
3.3 أعداد الإناث والذكور (15-24 سنة) المصابين بمرض نقص المناعة المكتسبة ..... 326


# قائمة الرسوم البيانية في النص


1.2 مجالات الخلافات مع الوالدين - المغرب ..... 142
2.2 مجالات الخلاف مع الأهل حسب الجنس - لبنان ..... 143
3.2 العلاقة مع الأسرة والأصدقاء ..... 151
4.2 العلاقة مع الأب والأم - لبنان والبحرين ..... 154
5.2 نسب الشباب الذين يطلبون مساعدة لحل مشكلة شخصية - سوريا ..... 155
6.2 نماذج الأسر والاحتمالات المرجحة للتفاعل والتبادل فيما بينها ..... 174
7.2 أنماط الأسر العربية ..... 175
8.2 صيغة محتملة للعلاقات بين المدرسة والعائلة والمؤسسة الدينية والمراهق في مرحلة من الركود الاجتماعي ..... 180
9.2 عناصر التصادم بين المراهق والمدرسة والعائلة والمؤسسة الدينية، باعتبارها مؤسسات ممثلة للسلطة الاجتماعية والثقافية. ..... 180
10.2 ماذا تأكل المراهقات والمراهقون في البحرين ؟ ..... 224
11.2 خصائص الهجرة في لبنان-**1975-2001** ..... 296
1.3 دليل التنمية البشرية ودليل التنمية المرتبط بنوع الجنس ..... 304
2.3 اتجاهات دليل التنمية البشرية (1975 - 2000) ..... 305
3.3 دليل الفقر البشري ..... 308
4.3 المعدل السنوي لنمو السكان (٪) (1975 - 2015) ..... 312
5.3 تطور عدد المراهقين (عمر 15-19 سنة) (مليون) ..... 313
6.3 توزيع المراهقات والمراهقين (15-19 سنة) عام 2000 ..... 314
7.3 نسبة المتزوجين أو من سبق لهم الزواج ضمن الفئة العمرية 15- 19 سنة 1998/1991 (٪) ..... 315
8.3 نسبة السيدات الحوامل بين المتزوجات حسب العمر الحالي (٪) ..... 316
9.3 معدل معرفة القراءة والكتابة بين الشابات(٪ ممن يبلغن 15-24 عاما) 2000 ضمن الدول العربية ..... 317
10.3 معدل معرفة القراءة والكتابة بين الشابات(٪ ممن يبلغن 15-24 عاما) 2000 في المنطقة العربية مقارنة بالمناطق الأخرى في العالم ..... 318
11.3 معرفة القراءة والكتابة بين الشباب (معدل الشابات كنسبة مئوية من معدل الشبان) ..... 319
12.3 صافي القيد في التعليم الابتدائي والثانوي (الفتيات كنسبة مئوية من الفتيان) ..... 320
13.3 الإنفاق العام على التعليم كنسبة مئوية من مجموع الإنفاق الحكومي ..... 321
14.3 معدل وفيات الأطفال الرضع (لكل 1000 مولود حي) ..... 323
15.3 نسبة حالات نقص الحديد عند النساء ..... 324
16.3 الصحة الإنجابية ..... 325
17.3 نسبة النساء اللاتي يستخدمن حاليا وسيلة لتنظيم الأسرة حسب العمر الحالي (٪) ..... 325

# توطئة وشكر

يعد مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"، الذي أنشئ سنة 1993 ومقره تونس، مؤسسة إقليمية فريدة من نوعها في المنطقة العربية. فهو هيكل علمي يركز اهتمامه على قضايا النوع الاجتماعي ويعمل على تفعيل مشاركة المرأة العربية في التنمية وعلى تقديم الخدمات لمختلف المهتمين بقضاياها في كافة المجالات. وتشمل هذه الخدمات التدريب والبحوث والتشبيك والدعوى. كما تمثل تركيبة مجلس أمنائه الفريدة من نوعها إحدى ميزات المركز الأخرى، والتي تمكنه من إرساء علاقات شراكة مع الحكومات والمنظمات غير الحكومية في الآن نفسه. ويضم المجلس ممثلين عن جامعة الدول العربية والحكومة التونسية وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وصندوق الأمم المتحدة للسكان واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا والاتحاد الأوروبي والاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة. ويترأس مجلس الأمناء سمو الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود، رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية.

يعمل مركز "كوثر" في مجالات البحوث والتدريب والتشبيك حول قضايا النوع الاجتماعي والتنمية في المنطقة العربية قصد ضمان فهم أفضل لأوضاع المرأة فيها ورصد أكثر دقة لأدوارها، فجعل من المعرفة بأوضاع المرأة العربية آلية من آليات تطوير مشاركتها الفاعلة في تحقيق تنمية شاملة ومستدامة. كما يهدف "كوثر" إلى تعزيز المساواة بين الجنسين كجزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان في المنطقة العربية.

وتحقيقا لأهدافه، بادر المركز بإرساء تقليد التقارير الدورية لتنمية المرأة العربية، الذي يعتمد منهج تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، على أن يركز كل تقرير من هذه التقارير على موضوع معين. ويستند "كوثر" في اختياره لهذه المواضيع على توصيات المؤتمرات الإقليمية والدولية وذلك بتشريك أعضاء شبكاته المختصة[1] قبل أن يقدمها إلى مجلس أمنائه. ويستند كل تقرير إلى بحث جدي بالإضافة إلى تقديم مؤشرات كمية ونوعية حديثة بما يساعد صانعي القرار في المنطقة العربية على صياغة السياسات والإستراتيجيات والبرامج التي تأخذ في الاعتبار مسألة النوع الاجتماعي.

وتندرج مواضيع التقارير في صلب الأهداف الإنمائية للألفية على الصعيدين القطري والإقليمي لتشكل مساهمة، وإن متواضعة، في تحقيقها. فمن مجموع الأهداف التنموية الثماني للألفية، ارتبطت خمسة منها بالمرأة ارتباطا مباشرا وهي تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة وتحقيق تعميم التعليم الابتدائي وتخفيض معدل وفيات الأطفال وتحسين الصحة النفاسية والقضاء على الفقر المدقع والجوع. وتتفق سلسلة تقارير تنمية المرأة العربية وما أكدت عليه مؤتمرات قمة المرأة العربية الثلاثة والمنتديات الخمسة المنظمة في إطارها من أهمية دعم البحوث والدراسات وجمع المعطيات الإحصائية حول النوع الاجتماعي، ومع ما جاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية بأن "التنمية التي لا تشارك فيها المرأة تنمية معرضة للخطر" وبأن "المعرفة عماد التنمية". وبذلك يمكن اعتبار سلسلة تقارير تنمية المرأة العربية آلية من آليات تحقيق الأهداف التنموية وتفعيل توصيات مختلف القمم والمنتديات الإقليمية وتوفير رصيد معرفي اتفقت التقارير والدراسات الإقليمية والعالمية على أهميته في تفعيل مسار التنمية الشاملة والمستدامة. صدر العدد الأول من تقرير تنمية المرأة العربية حول موضوع "العولمة

**(1)** قام مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث بإرساء شبكات متخصصة يضمن من خلالها التفاف أكبر عدد ممكن من المؤسسات والمنظمات والأفراد حول أنشطته وبرامجه... وتوج هذا التوجه بإرساء الشبكة العربية للنوع الاجتماعي والتنمية - أنجد- سنة 2002، بدعم من البنك الدولي، لتحقيق حضور أوسع له في المنطقة وتفاعل أنجع بينه وبين الفاعلين في مجال التنمية والنوع الاجتماعي.

"... وعلينا، العمل معا، لمساندة المراهقين على تحقيق الحياة الأفضل التي يحلمون بها. وبمقدورهم، إذا تسلحوا بالمعرفة وبالخيارات والفرص، أن يعيشوا حياة صحية ومنتجة وأن يسهموا في وجود عالم أكثر استقرارا. أما إذا كانت احتياجاتهم وشواغلهم موضع تجاهل، أو كانت الأولوية المعطاة لها منخفضة، فإن الضرر الذي سيحدث لذلك سيلحق بنا جميعا"

**رسالة السيدة ثريا أحمد عبيد**
**المديرة التنفيذية لصندوق الأمم المتحدة للسكان**
بمناسبة اليوم العالمي للسكان - 2003

ومراهقة من كل بلد من البلدان السبعة التي شملتها الدارسة النوعية. كما تضمن هذا الإصدار ملخصات لحوالي مائتي مقابلة.

ونشير إلى أن "كوثـــر" سينظر في إمكانية نشر التقارير الوطنية التي أعدتها الفرق الوطنية. كما أنه سيسعى إلى تفعيل توصياتها وإجراء بحوث معمقة في خصوص محاورها وإرساء برامج مشتركة مع المؤسسات الفاعلة وطنيا وإقليميا وفي إطار بعض المشاريع الإقليمية على غرار المشروع العربي لصحة الأسرة، إلى جانب مشاريع في بناء القدرات والتدريب بالشراكة مع المؤسسات المهتمّة على غرار المعهد العربي لحقوق الإنسان.

وتأكيدا لاستراتيجية المركز الرامية إلى مزيد دعم التشبيك باعتباره أداة دفاع حاسمة في إحداث التغيير في أوضاع المرأة العربية وأدوارها التنموية، وإيمانا بمبدأ الشراكة في صياغة المشاريع وتنفيذها، عقدت سلسلة من الورش في تونس وخارجها، دعي إليها خبراء عاملون و/ أو مهتمون بمجال الشباب والمراهقين وممثلي الهياكل الشريكة المهتمة بالموضوع من المنطقة العربية وخارجها للنظر في جدوى البحث وأهميته من جهة، ولتحقيق نوع من الإجماع في ما يتعلق بإشكالية الموضوع وهيكلة التقرير ومحتواه من جهة أخرى. وحرص "كوثر" على تشريك الإعلاميين في هذه الديناميكية. ولعل عدد المقالات التي نشرت حول التقرير قبل صدوره كانت خير مؤشر على اهتمام وسائل الإعلام العربية بموضوعه.

ولأن المجال لا يسمح بذكر أسماء جميع الخبراء الذين شاركوا في سلسة الورش التي نظمها "كوثر" إعدادا للتقرير، يطيب لنا اغتنام هذه الفرصة لشكرهم جميعا والتعبير عن بالغ تقديرنا لمساهمتهم القيمة في إثراء محتوى التقرير من خلال ما قدموه من اقتراحات.

كما يغتنم "كوثر" الفرصة ليشكر جميع ممثلي الهياكل الأممية والدولية والإقليمية الذين شاركوا في ورش العمل وخاصة ممثلي صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة والبنك الدولي وصندوق الأمم المتحدة للسكان والاتحاد الأوروبي ومنظمة اليونيسيف ومجلس السكان بمصر، ويعبر لهم عن بالغ تقديره لمساهمتهم القيمة في إثراء التقرير.

تم اختيار الباحثين الرئيسيين في الفرق الوطنية التي تمثل البلدان التي شملها البحث وكلف أعضاؤها بإجراء البحوث والمقابلات وكتابة التقارير والببليوغرافيات الوطنية. ونوقشت وثائق التقرير المنجزة في إطار أربع ورش عمل، خصصت اثنتان منها لمناقشة التقارير الوطنية واثنتان لمناقشة هيكلة التقرير الإقليمي ومحتواه. وضم فريق عمل التقرير الإقليمي أعضاء من فرق العمل الوطنية الذين تم ذكر أسمائهم في الصفحة المخصصة لهم في التقرير. وقدم الدكتور محمد باقر (خبير إحصائي واقتصادي) مساهمات قيمة تتمثل في إنجاز القسم الخاص بالمؤشرات الكمية الذي يحتوي وصفا تحليليا عاما لأوضاع المراهقات والمراهقين وفي عرض الجداول والرسوم البيانية الواردة في التقرير.

لقد تولى السيد أديب نعمه، منسق التقرير، مهمة وضع كل هذه المواد في وثيقة مترابطة ومنسجمة. كما قام الأساتذة Pierre Noël Denueil ونـــور الديـــن هرامـــي والمنصـف الحاجي وصلاح الدين بن فرج وسهام النجار وهادية بلحاج غويل ومراد غشام وحافظ شقير وكمال بن عبد الله وخالد الوحيشي بتقديم اقتراحات وتوجيهات بناءة أسهمت في تعزيز مضمون التقرير. وقد كونوا بصفة عفوية لجنة استشارية اضطلعت بمهامها على أحسن وجه.

والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية" في أواخر سنة 2001 بدعم خاص من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والأجفند. وعدّ التطرق لهذا الموضوع في حد ذاته تحديا. فإذا كان الجدل في موضوع تأثيرات العولمة المعقدة في المنطقة العربية عرف زخما، فإن المؤشرات المتوفرة تشير إلى أن مسألة النوع الاجتماعي لا تزال مهملة إلى حد بعيد. وجاء تقرير "كوثر" الأول ليساهم في سد الثغرات القائمة في مجال المعطيات والبيانات الكمية والمؤشرات النوعية المتعلقة بأوجه المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية في إطار العولمة.

رفع المركز باختياره موضوعا استشرافيا لتقريره الثاني حول "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق" تحديا آخر. وتكمن أهمية هذا الطرح في تبني مقاربة تعد جديدة وهي مقاربة مركبة تنهل من أهم المقاربات المتوخاة في العلوم الاجتماعية من جهة، وفي الابتعاد عن المفهوم الكلاسيكي للمراهقة المقتصر على الجانب النفسي والفيزيولوجي من جهة أخرى.

لقد انطلق "كوثر" من كون وضع المرأة العربية "ليس محكوما بمسار خطي بسيط صاعد أو هابط، بل هو مسار متعدد المستويات، معقد ومركب. فراعى تداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وتكاملها في تحديد وضع المرأة في المجتمع وترابط المؤثرات العالمية والإقليمية والوطنية، مع المؤثرات المحلية أو تلك المتولدة داخل الأسرة، بل داخل الفرد نفسه. وفي الاهتمام بمراهقات ومراهقي اليوم اهتمام بنساء ورجال المستقبل. إن الأدوار الاجتماعية المستقبلية للرجل والمرأة تصنع اليوم في ما يغرس في عقول المراهقات والمراهقين في الزمن الراهن. ففي فترة المراهقة، تتطابق لحظة البلوغ والتحول الفيزيولوجي مع لحظة التحول السلوكي والاجتماعي. وهنا بالذات تبدأ الأدوار الاجتماعية"[2].

وبناء عليه، يسعى "كوثر" إلى البحث في خصائص المراهقة كمرحلة اجتماعية، يمكن من خلالها فهم ديناميكية التغيير الاجتماعي في المجتمعات العربية وإلى رصد أوجه التمييز الراهنة بين المراهقات والمراهقين مما من شأنه استشراف أوضاعهم وأدوارهم في المستقبل.

ومن المؤمل أن يقدم هذا المشروع ولاسيما في بعده البحثي هذا، توصيات واقتراحات لصانعي القرار والمؤسسات المعنية ولوسائل الإعلام ولهيئات المجتمع المدني التي تتدخل في مجال المراهقة والشباب وللمراهقين أنفسهم، من شأنها أن تساعد في تحسين أوضاع المراهقات والمراهقين ومشاركتهم الفعالة في المجتمع ومؤسساته.

ويتضمن تقرير تنمية المرأة العربية الثاني أربعة أقسام هي :

- قسم أول خصص للإطار العام ويتضمن إطارا نظريا وأهداف التقرير والمنهجية المعتمدة.
- قسم ثان عني بالدراسة الميدانية التي اعتمدت تحليلا لمقابلات أجريت في سبعة بلدان عربية وهي : البحرين وتونس والجزائر ولبنان ومصر والمغرب واليمن وفقا لفصول ستة.
- قسم ثالث شمل وصفا تحليليا عاما لأوضاع المراهقات والمراهقين من خلال البيانات الإحصائية والمؤشرات التي تشمل 22 بلدا عربيا.
- قسم رابع خصص للاستنتاجات والتوصيات.

وأضفنا إلى التقرير إصدارا يتضمن سيرا حياتية لمراهقات ومراهقين واخترنا له عنوان "قوس قزح : شهادات لمراهقات ومراهقين". فقد ارتأى "كوثر" في إطار مشروعه المتكامل إفراد السير الحياتية للمراهقات والمراهقين بإصدار خاص يتكون من شهادات مختارة لمراهق

(2) أديب نعمه قوس قزح : شهادات لمراهقات ومراهقين، كوثر 2003.

# ملخص التقرير

## مقدمة

يعتبر "كوثر" تقرير تنمية المرأة العربية الثاني حول الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق عملا استطلاعيا وتمهيديا للقيام بدراسات لاحقة في مجال لا يزال غير مدروس بالشكل الكافي في المنطقة العربية. والغاية الرئيسية من هذا التقرير وخاصة الدراسة الميدانية التي أجريت في إطاره هي استشراف مستقبل المرأة العربية ولفت نظر صانعي السياسات والعاملين على تطوير مشاركتها في عملية التنمية، إلى إمكانية التأثير الإيجابي في هذا المستقبل ولا سيما رفع مستوى مشاركتها في اتخاذ القرار. ويتم ذلك من خلال التعرف إلى مصدر المعوقات ومعالجتها وفق سياسات وتدخلات فعالة في مراحل تشكلها المبكرة.

وبناء عليه، فقد قام مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، بالتعاون مع فريق العمل، بتصميم المشروع والتقرير بحيث يستجيب بشكل واقعي للاحتياجات البحثية والعملية في مجال المراهقة في المجتمعات العربية. وفي هذا السياق تم إيلاء الأبعاد النوعية في دراسة أوضاع المراهقين والمراهقات أهمية كبرى، من خلال إيصال صوتهم بأكبر قدر ممكن من الوضوح دون إغفال الأبعاد الأخرى التي يعبر عنها بالمؤشرات التي يمكن قياسها رقميا.

تضمن التقرير في قسمه الأول مدخلا عاماً وفي القسم الثاني دراسة ميدانية شملت سبعة بلدان عربية هي البحرين وتونس والجزائر ولبنان، ومصر والمغرب واليمن. واعتمدت الدارسة النوعية إجراء مقابلات مع عدد من المراهقات والمراهقين تناولت مختلف جوانب حياتهم بالعرض والتحليل. وقد تم تحليل المقابلات وفق الستة محاور التالية :

- الهوية وصورة الذات،
- البلوغ والصحة الإنجابية والحب،
- العلاقات الأسرية،
- المدرسة والعمل،
- ثقافة المراهقة والسلوكيات،
- المواقف والقيم.

وتضمن القسم الثالث الاستنتاجات والتوصيات. وجاء القسم الأخير من التقرير متضمنا تحليلا للإحصاءات ومؤشرات التنمية البشرية في البلدان العربية مع محاولة استخراج ما توفر منها عن موضوع المراهقة، بالإضافة إلى جداول إحصائية.

كما حظي المشروع بدفع إضافي من طرف مؤسسات وهياكل وأفراد آمنوا بأهمية موضوعه وانخرطوا في ديناميكية تعزيز توسع نشاطاته والبلدان المشمولة بالبحث، فإليهم أيضا نتوجه بالشكر ونخص بالذكر منهم مركز الدراسات الإنمائية - مدا - بلبنان وبيتينا ماس من صندوق الأمم المتحدة للسكان باليمن وزينب بن جلون من اليونيفيم- المغرب، وبربارا إبراهيم من مجلس السكان بمصر، والشيخة هند بنت سلمان آل خليفة من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وبهية الجيشي من المجلس الأعلى للمرأة بمملكة البحرين، وغولدا الخوري من المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا لليونسيف - الأردن، وإكرم برار دنش من مكتب اليونيسيف بلبنان ونادرة زكي من مكتب اليونيسيف بمصر.

ولا يمكن أن ننسى دعم كل من اليونيسيف والاتحاد الأوروبي وصندوق الأمم المتحدة للسكان واليونيفيم وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية والحكومة التونسية وجامعة الدول العربية. ونخص بالذكر البنك الدولي الذي مول الإصدار المصاحب للتقرير "قوس قزح : شهادات لمراهقات ومراهقين". نتوجه إليهم كمنظمات وكأشخاص بخالص عبارات الشكر لما شكله دعمهم من دفع للتقرير والأنشطة المبرمجة في إطاره.

ويفرد المركز **الاتحاد الأوروبي وصندوق الأمم المتحدة للسكان** بشكر خاص لأن دعمهما يعدّ من الأهمية بمكان ولا نبالغ إن قلنا إن هذا التقرير لم يكن ليرى النور لولا الدعم المقدم من هاتين المؤسستين.

ولا بد من الإعراب عن الشكر والتقدير أيضا إلى العاملين في المركز وفي مكتب الأمم المتحدة للخدمات والمشاريع لما بذلوه من جهود مضنية طوال فترة إعداد التقرير ولما قدموه إلى فريق الباحثين ومديرة المركز من دعم فني.

ولا يفوت المركز أن يخص المراهقات والمراهقين بالشكر لتعاونهم مع الباحثين وللثقة التي خصوهم بها. وتجلت هذه الثقة من خلال أجوبتهم الصريحة والعفوية والتي تخلف في نفس كل من يطلع على نص المقابلات كاملا إحساسا بمشاعر الحب والصداقة والتسامح والثراء العاطفي، رغم روح التمرد التي عبرت عنها كلماتهم. فمراهقات ومراهقو تقرير تنمية المرأة العربية الثاني متمسكون بالمؤسسة العائلية رغم ما يشوب العلاقات داخلها من خلافات، وبالمؤسسات التربوية رغم انتقاداتهم لطريقة عملها والتسيير داخلها، وبالحب كقيمة ثابتة رغم تعدد التجارب الفاشلة من حولهم وما يلاحظونه من طغيان للمادة على العلاقات الإنسانية عموما.

إن المركز على ثقة بأن هذا التقرير سيكون بمثابة خطوة تأسيسية في تناول موضوع المراهقة في المنطقة العربية بما سيوفره من نتائج واستخلاصات حول معيش المراهقات والمراهقين. ونأمل من جهتنا أن تعزز هذه الدراسة المساواة بين الجنسين في المنطقة العربية وأن تفسح المجال لدراسات أخرى معمقة وتجميع البيانات الخاصة بفئة المراهقات والمراهقين. كما نأمل أن يكون تقريرنا حول المراهقة حافزا للنقاشات التي تتناول مسألة النوع الاجتماعي وقضايا حاسمة تهم المنطقة العربية حاضرا ومستقبلا.

د. سكينة بوراوي
مديرة كوثر

## 2. المراهقات والمراهقون : معطيات أساسية

لقد وجدت فرق العمل صعوبات كبيرة في الحصول على بيانات إحصائية خاصة بالمراهقين، وما توفر من بيانات فهو مستخلص من البيانات الإحصائية المنشورة حسب تقسيم عمري خمسي عموما أو حسب مراحل التعليم. وقد تم اختيار الفئة العمرية 15-19 ومرحلة التعليم الثانوي في القسم الإحصائي من هذا التقرير باعتبارهما التقسيمين الأكثر اقترابا من الفئة العمرية المشمولة بالدراسة الميدانية في البلدان السبعة (15-18). ونعرض في ما يلي بعض البيانات الخاصة بالمراهقات والمراهقين والتي يمكن مراجعتها بالتفصيل في الملحق الإحصائي.

ارتفع عدد المراهقين من الفئة العمرية (15 -19 سنة) في الدول العربية من 23 مليونا سنة 1990 إلى 31 مليونا سنة 2000. ويتوقع أن يرتفع إلى حوالي 35 مليونا سنة 2010 و41 مليونا سنة 2020. أما نسبة ما يشكله المراهقون من مجموع السكان في هذه الدول، فقد ارتفعت من 10.3٪ سنة 1990 إلى 11.0٪ سنة 2000 إلا أن هذه النسبة ستنخفض إلى 9.9٪ سنة 2010 ثم إلى 9.7٪ سنة 2020. وتتوزع المراهقات والمراهقون على الدول العربية بشكل غير متكافئ ارتباطا بعدد السكان في كل بلد. ويشكل المراهقون في مصر ربع مجموع عدد المراهقين في الدول العربية مجتمعة، في حين تبلغ نسبتهم 11٪ في كل من الجزائر والسودان و10٪ في المغرب و8٪ في العراق. بعبارة أخرى يقيم حوالي ثلثي المراهقين في خمس دول عربية جميعها تعاني من ظروف اقتصادية صعبة، وثلاث منها تعاني من حروب أو نزاعات داخلية.

وقد رسمت المعطيات التي وردت في هذا القسم الملامح العامة لصورة المراهقات والمراهقين في البلدان العربية وفقا للمؤشرات المتوفرة من البيانات الإحصائية. وهي صورة جزئية دون شك تشير إلى النقص الواضح في توفر قاعدة معلومات متسقة ومتسلسلة زمنيا، والتي يعدّ العمل على توفيرها إحدى التوصيات المهمة التي اقترحها هذا التقرير :[2]

أما أبرز **توصيات هذا الفصل** فهي التالية :

**بناء قاعدة معلومات ومؤشرات خاصة بالمراهقة في البلدان العربية وذلك من خلال :**

- تقييم ورصد استخدام البيانات عن المراهقات والمراهقين بشكل دوري.
- العمل على توحيد البيانات المتعلقة بالمراهقات والمراهقين من مصادرها المختلفة عن طريق وضع وتعميم أدلة إحصائية للتعاريف والمؤشرات والمقاييس وإقامة برامج تدريبية وتبادل الخبرات، بغية تعميم الاستخدام الموحد لهذه الأدلة.
- تشجيع إنتاج وتطوير البيانات عن المراهقات والمراهقين من قبل جهات خارج الأجهزة الإحصائية المتخصصة وتوفير الإسناد الإحصائي الفني لهم.
- تطوير مؤشرات وتطبيق منهجيات ذات قدرة أعلى في التعبير عن واقع المراهقات والمراهقين في المنطقة العربية.

**(2)** تفاصيل هذه البيانات وغيرها ونسبها حسب كل دولة والمتوسطات حسب الأقاليم الفرعية، يمكن مراجعتها في الجداول الإحصائية في الملحق في نهاية التقرير.

كما تم إعداد إصدار خاص بعنوان **قوس قزح : شهادات لمراهقات ومراهقين** يتضمن عرضا لسير ذاتية مختارة من البلدان السبعة وملخصا لجميع المقابلات التي نفذت في إطار الدراسات الميدانية الوطنية.

ونعرض فيما يلي أبرز النتائج التي توصل إليها التقرير، مع البدء بعرض نتائج تحليل القسم الأخير من التقرير.

## الفتاة العربية المراهقة : مؤشرات كمية

### 1. مؤشرات التنمية البشرية في البلدان العربية

تضمن هذا القسم متابعة لمؤشرات التنمية البشرية والمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية. واستمرارا للنهج الذي اعتمد في تقرير تنمية المرأة العربية الأول "العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية" الصادر عن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر" في أواخر سنة 2001، تم عرض المؤشرات الخاصة بكل بلد على حدة، ثم في متوسطات حسب أربعة أقاليم فرعية هي مجموعات بلدان مجلس التعاون الخليجي وبلدان المشرق وبلدان المغرب والبلدان الأقل نموا، بالإضافة إلى المتوسط العام للبلدان العربية مع بعض المقارنات مع مناطق العالم الأخرى.

وغطى هذا القسم مؤشرات التنمية البشرية المختلفة المعتمدة عالميا (دليل التنمية البشرية، دليل الفقر البشري، دليل التنمية البشرية المرتبط بنوع الجنس). كما شمل المؤشرات الخاصة بالسكان والتعليم والصحة والاقتصاد وأوضاع المعيشة وقضايا البيئة والحقوق الأساسية والاتصال.

وتبين من خلال هذه المؤشرات أن المنطقة العربية لا تزال تحتل المواقع نفسها بالنسبة إلى سلم التنمية العالمي، في وضعية أفضل من دول إفريقيا جنوب الصحراء والدول الأقل نموا، ولكن في مرتبة أدنى من إقليم أميركا اللاتينية وشرق آسيا والبلدان ذات الاقتصاد الانتقالي. وتوزعت الدول العربية على مستويات التنمية المرتفعة (مجلس التعاون الخليجي) والمتوسطة (المشرق والمغرب ما عدا العراق) والمنخفضة (الدول الأقل نموا والعراق). وتبين وجود تفاوتات اقتصادية واجتماعية وإنسانية هامة بين الأقاليم الفرعية، وأحيانا بين الدول، تتطلب بذل جهد أكبر لا سيما من أجل دراسة الخصائص المميزة لكل مجموعة والتي تؤدي إلى أولويات تنموية مختلفة.

كما عرض هذا القسم محاولات حديثة لتطوير قياس التنمية البشرية، فتوقف عند المحاولة التي تضمنها تقرير التنمية الإنسانية العربي الأول. وتعرض كذلك لمحاولة أخرى صدرت في عمل مشترك بين الاسكوا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي[1] لإنتاج مقياس عربي للتنمية البشرية يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية ويدعم فكرة تجميع البلدان العربية في أقاليم فرعية ومستويات من التنمية متقاربة حسب الأبعاد المختلفة.

**(1)** باقر، محمد حسين، قياس التنمية البشرية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 1997.

## 2. بـــــروز الفـــــرد

لقد شكل بروز الفرد أحد النتاجات الأكثر أهمية للحداثة. وكذلك المراهقة كظاهرة حديثة، فهي مرتبطة بالتحولات الاجتماعية والثقافية نفسها التي أدت إلى تشكل الفرد الحديث. ولكن المبالغة في استخدام مفهوم الفرد جعلت منه مفهوما أسطوريا أكثر منه تعبيرا عن حالة واقعية. وينطبق هذا الأمر على المجتمعات الأوروبية الحديثة نفسها التي قامت بنقد هذا المفهوم - الأسطورة (أو الخرافة). وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار عند دراسة مرحلة المراهقة وعلاقتها ببروز الفرد في المجتمعات العربية، حيث التحول إلى الحداثة يعرف مسارات معقدة وغير مكتملة.

فالمراهقة أو المراهق في المجتمعات العربية يعدّ أكثر تأثرا بمفهوم "الفرد المستهلك" الذي أنتجته العولمة من مفهوم "الفرد المواطن" الذي أنتجته الحداثة. وغالبا ما لا يتم التمييز بين الاثنين فتكون ردود الفعل مشدودة إلى قطبين نقيضين. في الطرف الأول التماهي السلوكي بنمط العولمة الاستهلاكي، وفي الطرف الثاني رفض مطلق لقيم العولمة ولقيم الحداثة على حد سواء لعدم القدرة على التمييز بينها والانغلاق على الذات ضمن مفهوم متشدد للخصوصية الثقافية[3].

إن الاعتقاد بوجود انتقال خطي بسيط من "مجتمع ليس فيه فرد إلى مجتمع يحتل فيه الفرد مكانا محوريا، هو اعتقاد خاطئ... لقد حصل نوع من التهجين hybridation في القيم والمفاهيم. لذلك يصعب ربط الفرد بالحداثة ووصف القيم الأخرى بأنها تقليدية. ولكن بإمكاننا القول إن تمازج عناصر من الثقافة الفردية مع عناصر من الثقافة الجمعية هو تركيب حديث كلما تساهم القيم الفردية في تحويل القيم الجمعية. ولا يمكن وصف العناصر الجمعية في هذا التركيب بالتقليدية، لأنها تنتمي هي أيضا إلى الحداثة، وتمت إعادة صياغتها وتحويلها بحيث أصبحت تشكل جزءا من تركيب له مميزاته الخاصة ...suigeneris وبدل أن نفترض أن الفردية تتحقق على أنقاض العلاقة بين الفرد والمؤسسة والقطع كليا معها، فإن الأصح القول إن الفردية تتطلب إعادة تشكيل معنى هذه العلاقة"[4].

وبالتالي فإن مقاربة مسألة المراهقة في المجتمعات العربية من منظور بروز الفرد بمعناه المجتزأ ودون لحظ البعد الاجتماعي والتاريخي لهذا المفهوم، يمكن أن يؤدي إلى فهم جزئي وإسقاطات تخرج البحث والاستخلاصات عن موضوعيتها وعن اتساقها مع الواقع. وهو ما سعى المدخل النظري المضمّن في القسم الأول إلى تلافيه من خلال التوسع في العرض والتحليل والمقارنات. وقد توصل هذا القسم إلى تبيان الخصوصيات الاجتماعية والتاريخية التي تميز المراهقة في المجتمعات العربية من جهة، وبين من جهة ثانية مستوى تفاعلها وتأثرها بالسياق العالمي في مرحلتي التحول إلى الحداثة والعولمة، بما يؤكد اندراج هذه الظاهرة، كما هو الحال في المجتمعات الغربية في إطار التاريخ العالمي المعاصر وليس خارجه.

**(3)** "... حسب Castoriadis Cornelius هناك نموذج الفرد في المجتمع الديمقراطي، حيث يضع المجتمع مجموعة القواعد الحياتية التي تسمح من جهة أولى ببروز الفرد، ومن جهة ثانية بالتمتع بمجموعة من الحقوق والمساحات الجديدة للحرية. لقد حل محل هذا النموذج نموذج آخر، إنه نموذج الفرد المخصخص Privatisé أي الفرد الذي ينغلق على نفسه في محيطه الشخصي الضيق، والذي أعاد تمحور ذاته على الاستهلاك، ويتخذ موقفا سلبيا متشائما من السياسة بمعناها الإغريقي، أي باعتبارها الشأن العام".

Robert Bidart, Aurorité parentale etr cityonnnete. La question des compétences parentales; in Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan , 2001.

**(4)** Recomposer le sens du lien de filiation. De l'individualisme éthique au processus d'individualisation- Vincenzo Cicchelli; In: Etre soi d'un âge à l'autre : Famille et individualisation tome II; Sous la direction de Francois de Singly; L'Harmattan, 2001.

# القسم الأول : الإطار العام

تناول هذا التقرير المراهقة وعرّفها باعتبارها ظاهرة اجتماعية حديثة وحالة متولدة عن التفاعل العلائقي بين المراهقة أو المراهق والتحولات الفيزيولوجية والمعرفية والنفسية التي تبدأ مع عملية البلوغ من ناحية، وبين العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بمختلف مؤسساتها، والأيديولوجيات ومنظومات القيم من ناحية أخرى. وبالتالي تكون المراهقة وخصائصها وإشكالياتها حالة متحركة، ذلك أن أي تغير في العوامل الفاعلة في أحد طرفي المعادلة، الفرد والمجتمع، ينتج عنه توصيف مختلف للإشكاليات والخصائص المحددة للمراهقة في مجتمع وزمان تاريخي معينين.

## 1. نشوء المراهقة

تضمن المدخل النظري عرضا تاريخيا لنشوء المراهقة وارتباطها بالحداثة وبروز الفرد في المجتمعات الأوروبية. كما تضمن عرضا للمقاربات المختلفة للمراهقة وتحديدا المقاربات الفيزيولوجية والسيكولوجية والتربوية والانتروبولوجية والسوسيولجية. ذلك أن فهم المراهقة والإحاطة بأبعادها ومستوياتها المختلفة، يتطلب اعتماد مقاربة متعددة الأبعاد تتناسب مع الطابع المركب لحياة المراهقة أو المراهق وسلوكه، وهو ما يشكل شخصيته كفرد وكعضو في الجماعة من جهة، وتتماشى من جهة أخرى مع اعتبار المراهقة ظاهرة اجتماعية تقع في مجال اهتمام مشترك لعلوم النفس والتربية والاجتماع وعلوم اجتماعية أخرى. وعلى هذا الأساس اعتمد التقرير مقاربة مركبة باعتبارها توليفا ممنهجا وعلميا للعناصر الضرورية التي تضمن تغطية كافة أبعاد الظاهرة ومستوياتها.

تضمن هذا المدخل أيضا تحليلا للإشكاليات الخاصة بتحول المجتمعات العربية من مجتمعات تقليدية إلى الحداثة، وبين التحولات البنيوية التي جعلتها تتأرجح بين التقليد والحداثة، فلا هي تقليدية بالمعنى التقليدي للكلمة ولا هي حديثة بالمعنى الحداثوي. كما ميز المدخل بين الحداثة والعولمة بشكل واضح، معتبرا هذه الأخيرة عامل تفكيك اجتماعي وتكريسا لثنائية عمودية في المجتمع تؤثر بشدة في المراهقات والمراهقين.

وشكل رصد بروز الفرد صاحب الهوية المتفردة أحد المحاور الأساسية للتحليل في هذا التقرير باعتباره إحدى السمات الجوهرية في تعريف المراهقة. وتم التساؤل حول مدى إمكانية طرح هذه الإشكالية في المجتمعات العربية، وهل برز ما يؤكدها أو ينفيها في الدراسة الميدانية التي تم إجراؤها في إطار هذا التقرير. وقد سعى التقرير إلى تجنب أي إسقاط في الإشكاليات وتفادي الأفكار المسبقة والتعميم والإطلاق غير العلميين.

أما المسار الثاني، فيتمثل في الخروج عن المسالك الجاهزة و"التمرد" على جيل الكبار برفض أفكارهم وتصوراتهم وانتقاد مواقفهم والحرص على نحت شخصية متفردة. وقد لا يقود هذا التمرد بالضرورة وبشكل تلقائي إلى بناء شخصية مستقلة ولا إلى المساهمة في التغيير الاجتماعي إلا إذا توفرت شروط أخرى مساعدة. إن المراهقات والمراهقين يسعون أحيانا إلى "التفرد والتميز من خلال المبالغة في التشابه والاندماج بما هو ثقافة شابة مفترضة، فهم يتحفظون على أن يوصفوا بأنهم مخالفون. وما هو أعلى قيمة لديهم هو أن يبدو أحدهم وكأنه يجسد قيمة جمعية معينة"[6]، وإن كانت هذه القيمة مختلفة عن قيم الكبار. ولكن "الاندماج الشديد في جماعة الأصدقاء يعوق تبلور المشروع الفردي لأن هذا الأخير يعني التمايز عن الجماعة التي ينتمي إليها"[7].

و المسار الثالث توفيقي. وهو يقوم على مراعاة التغيرات الداخلية والتغيرات الخارجية بحيث تعمد المراهقة أو المراهق إلى احترام ضوابط الأسرة والمجتمع مع إسهام ذاتي في تكوين هوية متميزة، وتجنب الصدام.

إن كلاّ من هذه المسارات يتميز باحتلال عملية التفكير الداخلي في الذات مكانة مختلفة بالنسبة إلى المراهق أو المراهقة. فهو تفكير محدود في المسار الأول حيث يتماهى الفرد كليا أو يكاد مع مجموعة الأسرة. ويتنامى هذا التفكير في المسار الثالث حين تبحث المراهقة أو المراهق عن التوافق بين الأنا والآخر، ليبلغ أوجه في المسار الثاني إذا اقترن بتجنب ذوبان الشخصية الفردية في الجماعة. وفي كل الحالات تؤدي المقارنة الاجتماعية دورا محوريا. فتبنى صورة الأنا باعتماد الآخر " الدال" أو الآخر "المعمم" كمرجعية إما بالتشبه والامتثال أو باتخاذ مسافة نسبية مع أحكام الآخرين، أو بالقطع كليا مع هذه الأحكام ومحاولة بناء الهوية وبلورة الشخصية خارج إطار المواقف المنمطة والأفكار الجاهزة.

أما أهم **توصيات هذا الفصل** فهي :

**1.** اعتبار بناء شخصية متفردة ومبادرة تتمتع بهامش من الوعي المتسق والاستقلالية الذاتية، هدفا تربويا أساسيا في تعامل المجتمع مع المراهقات والمراهقين وتطوير نسق العلاقات داخل الأسرة والمدرسة وهياكلها والتكامل فيما بينها على أساس تحقيق هذا الهدف، وإنتاج نوع من التوازن بين الفرد والمجتمع والمؤسسات الوسيطة على أساس المشاركة والتفاعل.

**2.** إعادة النظر في التراتبية العمرية والذكورية الصارمة في المجتمع ومؤسساته وثقافته بما في ذلك تحقيق إصلاح مؤسسي وتشريعي وثقافي يأخذ بعين الاعتبار التطورات المعاصرة ومنها النضج العقلي والمعرفي المبكر للأطفال بما يؤهلهم لأدوار ومشاركة أكبر من تلك التي لا تزال تنسب إليهم تقليديا.

## الفصل الثاني : البلوغ والصحة الانجابية والحب

غطى هذا الفصل موضوعات كثيرة ومتنوعة. من جهة أولى تناول عملية البلوغ وذكرياتها وكيفية تعامل المراهقات والمراهقين مع تجلياتها الأولى. وتناول من جهة ثانية نظرتهم إلى الجنس والحب والصداقة. كما تطرق إلى الزواج واختيار الشريك ومواصفاته

**(6)** Scolarité et adolescence : Les motifs de l'insécurité ; Alain Clémence, Francois Rochat, Caroline Cortolezzis, Patricia Dumont, Michele Egloff, Claude Kaiser; : Haupt - Bern 2001.

**(7)** Aurorité parentale et citoyenneté. La question des compétences parentales. Robert Bidart; in: Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

## القسم الثاني : الدراسة الميدانية وتحليل مضمون المقابلات

تضمن هذا القسم تحليلا لمضمون المقابلات في سبعة بلدان عربية حسب ستة محاور شكلت فصول هذا القسم. وفيما يلي أبرز النتائج.

### الفصل الأول : الهوية وصورة الذات

تناول هذا الفصل الطرق والوسائل التي تتبعها المراهقة أو المراهق لبناء هويته الذاتية ونظرته إلى نفسه. تواتر بكثرة استعمال المراهقات والمراهقين للفظ "عادي normal" في وصفهم لأنفسهم. ولم يولوا أهمية كبيرة لعنصر الشكل والجمال ظاهريا على الأقل وركزوا أكثر على الجانب الأخلاقي والسلوكي والعلائقي. كما منحوا أنفسهم غالبا صفات إيجابية ولم يبد أنهم ينظرون نظرة نقدية إلى ذواتهم. ولجأت المراهقات والمراهقون إلى المقارنة مع أفراد العائلة والأقرباء والأصدقاء في تحديد هويتهم الذاتية. وكان هناك تداخل بين النظرة إلى الذات ونظرة الآخرين إليها.

بعد آخر بينه هذا الفصل وتمثل في ضعف القدرة على التعبير المتسق عن الذات والتواصل الزمني. وغالبا ما بدا أن الحاضر هو الزمن الوحيد الموجود. أما الماضي فهو مجرد ذكريات غير سارة في معظمها.

أما بناء المشروع الفردي، فيرتبط بتوفر الموارد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمراهقة أو المراهق ولأسرته. وهو ما يعيد طرح إشكالية الاستقلالية في المجتمعات المعاصرة. فالإشكالية التي تميز المجتمع المعاصر تتمثل في "أن الاستقلال الذاتي autonomie الاجتماعي يتأخر بسبب كون المجتمع قد وفر الإمكانيات للمراهقين لكي يتطوروا وينموا بشكل أفضل. إنها مفارقة paradoxe ، فالأطفال يصبحون أكثر نضجا من الناحية الجسدية بشكل مبكر مقارنة بالسابق، وكذلك ينضجون عاطفيا وفكريا بشكل مبكر مقارنة بالسابق، ولكنهم أكثر تبعية لأهلهم ويستقلون في أعمار أكثر تأخرا من ذي قبل"[5].

بينت الدراسة الميدانية أن السيرورات التي تنتهجها عادة المراهقات والمراهقون، في تكوين الهوية وبلورة صورة الذات، تختلف باختلاف الظروف الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية وباختلاف المسارات الحياتية التي طبعتها، وكذلك بالوسائل التي يملكونها لتوجيه خياراتهم وللتعامل مع ما يعترضهم من مشاكل وصعوبات.

ويمكن تصنيف مسارات المراهقات والمراهقين في بناء الهوية إلى ثلاثة أصناف : مسار يعتبر "امتثاليا"، وهو الذي يجعل صاحبه ينخرط كليا في المجموعة الأسرية التقليدية فيستبطن معاييرها وقيمها ويتبنى رؤاها وأحكامها ويؤمن بضرورة التوافق معها لتحقيق الطمأنينة وتجنب كل أسباب التوتر والتأزم. ويؤدي الاندماج الشديد في المجموعة الأسرية إلى تهميش تأثير مجموعة الأقران في بناء شخصية المراهق الذي يصبح في هذه الحال أكثر شبها بالكبار من حيث سلوكياته والقيم التي يحملها.

**(5)** Boris Cyrulnik :Résilience et capacité d'évolution ; in Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

وبينت بعض الشهادات أن النظام التقليدي الذي كان سائدا في العقود السابقة، ربما احتوى على وسائل تواصل تقليدية كانت أكثر فعالية في إطارها الاجتماعي والتاريخي وأن طابع الحرج والخجل وتجنب التحدث في المسائل الجنسية داخل الأسرة، يعد حديثا نوعا ما، في حين أن البلوغ كان يحتفى به تقليديا في شعائر احتفالية. وهي مسألة تمت الإشارة إليها في سياق هذا الفصل.

أظهرت الدراسة الميدانية وجود اختلاف واضح بين المراهقات والمراهقين في كل ما يتصل بالسلوكيات الجنسية والصحة الإنجابية. وأكدت أيضا أن التمييز على أساس الجنس يكتسب أبعادا جديدة وأكثر أهمية مع البلوغ، مما يدعم الاستخلاص القائل بأن الأدوار الاجتماعية للنساء والرجال ترتسم بمعالم أكثر وضوحا مع تكوّن الهوية الجنسية. وتزداد القيود على المراهقات بشكل كبير خصوصا في الأوساط المحافظة، ويصل الأمر إلى الإخراج من المدرسة وفرض الزواج المبكر. وبشكل عام، فإن المراهقات عبّرن عن اهتمام أكبر بالجوانب العاطفية والخلقية والسلوكية في الشخص الذي يحببنه أو يرغبن في الزواج منه، في حين بدا أن المراهقين أكثر اهتماما بالجنس والجمال في شريكة حياتهم. وترى الغالبية من المراهقات والمراهقين أن اختيار الشريك لا بد أن يكون من شأنهم بالرجوع إلى الأهل، ولكن مع احترام الاختيار الشخصي لصاحب العلاقة المباشر، وإن بدا أن هذا الأمر غير مضمون بالنسبة إلى المراهقات خصوصا في كل الحالات.

وأهم **التوصيات بالنسبة إلى هذا الفصل** تمثلت في :

- إدماج التوعية الصحية والوقاية من الحوادث والصحة الإنجابية والنفسية والتربية الجنسية في البرامج التعليمية لكي تشكل المدرسة قناة آمنة لتوفير معلومات علمية وسليمة في هذه المسائل.
- تنظيم دورات تأهيل للأهل وللمدرسين والمرشدين الاجتماعيين في المؤسسات التعليمية والتربوية والجمعيات الناشطة في مجال المراهقة في خصوص هذه الموضوعات.
- تخصيص برامج مبتكرة موجهة للأوساط التي لا يزال الزواج المبكر منتشرا فيها من أجل الحد من هذه الظاهرة والعمل على إلغائها وبناء شراكات مع الهيئات الناشطة ومع الجهات الحكومية والقضائية من أجل فرض حد أدنى لسن الزواج.
- البحث المعمق في ظاهرة تأخر سن الزواج بما هو تأخير قسري نابع عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية وعن بعض العادات الاجتماعية، وانعكاساته على الصحة الجسدية والنفسية للمراهقات والمراهقين وعلى الأوضاع الاجتماعية والسلوكيات.

## الفصل الثالث : العلاقات الأسرية

بينت المقابلات الأهمية الكبرى التي تمثلها الأسرة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين على حد سواء. وتبين أن المراهقات عموما أشد ارتباطا بأسرهن من المراهقين الذين تعددت مجالات التفاعل بالنسبة إليهم خارج الأسرة، في حين أنها تكاد تكون المؤسسة الوحيدة في حياة المراهقات، خصوصا في الأوساط التي تقيد خروج الفتيات إلى المجال العام. ويمكن وصف علاقة المراهقات والمراهقين بالأسرة والأهل بأنها علاقة صراعية نسبيا ولكن يحدها موقف "متفهم" من المراهقين للأهل، مع حالات قليلة من الامتثال المطلق أو النزاع المفتوح.

والمتدخلين في اختياره. وركز هذا الفصل بشكل خاص على الاختلافات في عيش مرحلة البلوغ وتفاعلاتها بين المراهقات والمراهقين وعلى التواصل بين الأهل والأبناء ودورهم في تحضيرهم للتحولات الجسدية والنفسية التي يواجهونها.

لم يتعامل الفصل مع عملية البلوغ باعتبارها عاملا وحيدا ومستقلا في تحديد المراهقة، بل تم تناولها كأحد العوامل المترابطة والمتداخلة التي تشكل المراهقة. فالأدوار والسلوكيات التي ترافق المراهقة لا يمكن نسبتها إلى عامل دون غيره، بل إنها ناجمة بطبيعتها عن عوامل مركبة ومتعددة المستويات. فالبلوغ والمراهقة هما نوع من "الكيمياء البيولوجية- الاجتماعية" التي تولد حالات نوعية لا يمكن اعتبارها وليدة عوامل منفردة، بل إن المراهقة نفسها لا وجود لها إلا بفضل هذه "الكيمياء" وباعتبارها نتاجا لها.

وفي المجتمعات العربية، لا بد من وضع عملية البلوغ وتفاعلاتها في إطار التحولات الاجتماعية والقيمية العامة التي طرأت في العقود الأخيرة، وخصوصا ما يتصل منها بالزواج والعلاقات بين الجنسين. ولعل أبرز هذه التطورات ذات الصلة المباشرة بموضوع هذا الفصل، هو التأخر المتزايد في سن الزواج الذي أصبح ظاهرة بارزة في معظم البلدان العربية. إن متوسط السن عند الزواج بالنسبة إلى الأجيال الشابة يتراوح بين 25 و30 سنة للإناث والذكور في معظم البلدان العربية، وهو ما يجعل متوسط الفاصل الزمني بين البلوغ والزواج يزيد عن عقد كامل ويصل إلى عقدين أحيانا. وهي فترة لا تسمح فيها القيم والعادات السائدة ولا القوانين السارية، بإقامة علاقات جنسية علنية ومستقرة بين الجنسين. وهذه إشكالية لم تكن مطروحة بحدة بالنسبة إلى الأجيال السابقة، حيث لم يكن يفصل بين سن البلوغ وسن الزواج غير سنوات قليلة، (بالإضافة إلى كون الحياة الاجتماعية كانت أقل تعقيدا مما هي عليه الآن). تضغط هذه المعطيات الجديدة على وضع المراهقات والمراهقين وعلى تصوراتهم للعلاقات بين الجنسين وعلى أشكالها المتاحة والمقبولة أو المحرمة والممنوعة وعلى تصوراتهم للزواج.

في شهادات المراهقات والمراهقين، برز اختلاف في نظرة كل منهما إلى عملية البلوغ وإلى مسائل الجنس عموما. فبينما أدى الحديث عن البلوغ عند المراهقين إلى التطرق إلى الجنس بشكل بديهي، كان الأمر مختلفا عند المراهقات، فيما عدا حالات قليلة. و يمكن الإشارة بشكل عام إلى أن الحديث عند الاثنين اتسم بالاقتضاب في الإجابة، مما يظهر الشعور بالحرج الذي يعتريهم عند تناول هذه الموضوعات ويشير إلى مزيج من الصعوبة وعدم المعرفة بالمسائل الجنسية والصحة الإنجابية. كما تبين ضيق المساحة المخصصة للتحدث في القضايا الجنسية والصحة الإنجابية داخل الأسرة لجهة عدم استعداد الأهل للقيام بدورهم كناقل للمعارف وفي تهيئة الأبناء لولوج مرحلة جديدة من حياتهم. وينطبق هذا بشكل خاص على الآباء، في حين بدت الأمهات أكثر قدرة للاضطلاع بهذا الدور مع البنات خصوصا لإطلاعهن، في سن معينة، على بدء الطمث وكيفية التعاطي معه. والمرجح من خلال ما أشارت إليه بعض الشهادات عن ردود فعل المدرسين، أن هناك نقصا هاما لدى المربين أيضا في هذا المجال. وهو سبب إضافي يشجع المراهقات والمراهقين على الاستعانة بالأصدقاء والاخوة والأخوات الكبار ووسائل الإعلام والكتب والمجلات (الجيد منها والرديء) والأفلام... للحصول على معلومات عن الجنس والصحة الإنجابية، وقد لا تكون ذات طابع علمي في أحيان كثيرة.

**(18)** راجع على سبيل المثال :
- المنجي الزيدي، مقدمات لسوسيولوجيا الشباب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلة 3، العدد 3، يناير/مارس 2002.و

Traité de psychologie de l'enfant, de Helène Gratiot-Alphandrey et René Zazzo 5-Paris, PUF, 1973.

**(19)** جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1977.

بناء على ذلك، يمكن التمييز بين أربعة نماذج مثالية للأسرة داخل الأقطاب السابق ذكرها. ففي القطب التقليدي، يمكن التمييز بين الأسر الثرية التقليدية والأسر الفقيرة التقليدية. وتقوم العلاقة بين هذين النموذجين من الأسر على الولاء التقليدي، وقد تكون علاقة عمل (بمعنى عمل الثانية عند الأولى خصوصا في المناطق الريفية). وهي عموما علاقة عمودية وذات اتجاه واحد. من ناحية ثانية، نجد نموذج الأسرة المعولمة "الاستهلاكية" التي تتمتع عموما بالثروة وبتبنيها سلوكيات استهلاكية مقلدة للنموذج "المعولم" وقيمه. وتقوم بين هذه الأسر والأسر الثرية التقليدية احتمالات علاقة أساسها تبادل منافع السلطة والثروة. كما نلاحظ علاقات تبادل بين النمط الثالث من الأسر وهي الأسر الوسطى التي تميل إلى الحداثة. ويتمثل أساس التبادل هنا في التقاطع في مجالات النشاط المهني والمستوى الثقافي المتقدم والثروة خصوصا بالنسبة إلى الفئات الوسطى "العليا". كما يتحدد التبادل أيضا على أساس الخيارات الفردية حيث أن كلا من قيم الحداثة والعولمة تتقاطع في تقييمها الإيجابي لدور الفرد وخياراته الشخصية. نشير أخيرا إلى علاقات التبادل بين الأسر الوسطى التي تميل إلى الحداثة وبين الأسر الفقيرة، وخصوصا الفئات الوسطى "الدنيا" والفئات الفقيرة "العليا". أما آلية هذا التبادل وقنواته فتتحقق من خلال التعليم والثقافة والاشتراك في النشاط السياسي أو الاجتماعي الذي من شأنه أن يردم الهوة بين الأسر الفقيرة والأسر الوسطى.

هذه النماذج من الأسر والتبادلات المرجحة فيما بينها ترسم نوعا من الإطار العام الذي يحدد علاقات التبادل الاجتماعي بين هذه الأسر، والذي يفترض مبدئيا انتظام علاقات المراهقات والمراهقين وصداقاتهم وتبادلاتهم وسلوكاتهم ضمنه وبالاتفاق معه. والمراهقات والمراهقون يتعرضون للمؤثرات نفسها (العولمة والتقليد والحداثة) ولكن بدرجات ونسب متفاوتة عما هو الأمر بالنسبة إلى جيل الكبار عموما وإلى أسرهم خصوصا. كذلك فإن ردود فعلهم مختلفة وهو ما يشكل أحد الأسس الأكثر أهمية لما يمكن أن يسمى صراع الأجيال. إن الأمر الذي بدا واضحا من خلال المقابلات يتمثل في أن المراهقات والمراهقين هم أكثر انجذابا إلى الحالات القطبية من أسرهم وأهلهم بشكل عام وهي المواقف الأكثر شيوعا وانتشارا في صفوفهم. فالمراهقات والمراهقون كانوا من الناحية السلوكية أكثر تأثرا بالنسق الاستهلاكي "المعولم". أما من الناحية القيمية، فقد كانوا أكثر تأثرا بصيغة خاصة من الانتماء إلى الهوية التراثية الأقرب إلى ما يعرف بالفهم الأصولي منه إلى الفهم التقليدي، بما في ذلك النظرة إلى الدين. في حين بدا أن التأثر بالحداثة وقيمها محدود ومقتصر بالدرجة الأولى على اجتماع عناصر الانتماء الاجتماعي الاقتصادي إلى الفئات الوسطى والانتماء المديني والانفتاح الثقافي والمستوى التعليمي والنشاط السياسي أو الاجتماعي. وهي شروط يصعب نسبيا توفرها مجتمعة. وأخيرا، فإن غالبية المراهقات والمراهقين تجنح إلى تحقيق وضعية وسطية تمكنها من إيجاد حلول وسط والتعايش مع أسرها ومع المجتمع.

وهذه النماذج موجودة كلها، تتعايش وتتفاعل ضمن البلد الواحد، وهي نماذج تقريبية ومثالية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حيث تتموضع الأسر الحقيقية على مسافات متفاوتة منها.

تناول هذا الفصل علاقة المراهقات والمراهقين بالوالدين مجتمعين وبالأب والأم كل على حدة، والعلاقة مع الاخوة والأخوات والأقارب. كما تعرض إلى أثر التفكك العائلي على الأبناء، ومواصفات الأم الصالحة والأب الصالح. وتطرق أيضا إلى الرقابة على سلوك المراهقات والمراهقين ونقاط الخلاف مع الأهل، والتمييز بين الفتيات والفتيان داخل الأسرة. وانتهى إلى استخلاص "أنماط" للأسر المختلفة وتحديد بعض خصائصها المشتركة ومدى إسهامها في بناء شخصية المراهقة أو المراهق.

فقد تبين من خلال تحليل شهادات المراهقات والمراهقين أن العائلات لا تسهم جميعها وبالدرجة نفسها في سيرورة بناء الهوية الذاتية وأن المراهقات والمراهقين لا ينجحون في بناء شخصياتهم الفردية المتميزة واستقلاليتهم إلا إذا توفرت مجموعة من الظروف والشروط والموارد. ويبدو أن صنفين من الموارد يؤديان دورا أساسيا في تكوين ملامح الأسر العربية وتتمثل في الموارد الاقتصادية والموارد الثقافية.

وبشكل عام بدا أن غالبية المراهقات والمراهقين يعيشون في كنف أسر أكثر ميلا إلى اتباع النمط التقليدي للأسرة حيث الأدوار موزعة بشكل واضح على أساس العمر والجنس. ولكن كانت هناك أنماط أخرى من العائلات التي تراوحت بين نمط أكثر تقليدية مع دور أكبر للعائلة الموسعة والبنية القبلية (في اليمن بشكل خاص) وبين ما هو أكثر تأثرا بالحداثة وبالنمط العصري. وبرزت أيضا سلوكيات أكثر تأثرا بالعولمة "الاستهلاكية" خصوصا عند جيل الأبناء.

أما في ما يتعلق بالعائلة نفسها فقد بدت خصائصها أكثر تأثرا بظروف البلد التاريخية والاجتماعية من تأثرها بالمسائل الأخرى التي تناولها التقرير. وإذا كان بالإمكان رسم ملامح نماذج مثالية لأنماط من الأسرة العربية والتعرف على التحولات والمسارات التي تعرضت إليها والتبادلات المحتملة فيما بينها، فهي كما بدت من شهادات المراهقات والمراهقين ومصادر البحث الأخرى، مشدودة نحو ثلاثة أقطاب يمكن أن تكون أكثر تقاطعا مع خصائص كل بلد. فتطور الأسرة العربية بدا مشدودا من ناحية أولى نحو قطب الأسرة التقليدية الأبوية وهي الأكثر شيوعا في اليمن حيث البنية القبلية قوية وحيث لا يزال للعائلة الموسعة دور هام وحضور قوي داخل الأسرة النواتية وبما يترك تأثيرا هاما على المراهقات والمراهقين. والقطب الثاني هو قطب العائلة التي تميل إلى الحداثة، وهي الأكثر تقاطعا مع خصائص المجتمعين اللبناني والتونسي. وتجدر الإشارة هنا إلى الفرق بين البلدين حيث تتميز لبنان بخصائص ثقافية وعلاقات اجتماعية تجعلها أكثر تقدما في مستوى الممارسات الاجتماعية والثقافية مما هي عليه بالنسبة إلى التشريع والقوانين. أما بالنسبة إلى تونس فإن الإطار التشريعي والقانوني يعتبر أكثر تقدما ممّا هو عليه في لبنان ومما هو سائد في الثقافة الاجتماعية في تونس.

أما القطب الثالث فتمثله الأسرة المتأثرة بنسق العولمة "الاستهلاكية"، وهي الأكثر تطابقا مع نماذج رائجة في البحرين حيث يترك هذا النسق أثرا قويا على سلوكيات أفراد الأسرة وعلاقات أفرادها بما يمكن أن يؤدي إلى إضعاف الروابط الأسرية ووضعها على حافة التفكك.

وتناول الفصل إلى جانب ذلك الوظيفة التاريخية والاجتماعية الكبرى للمدرسة باعتبارها قناة وآلية للتغيير الاجتماعي نحو الحداثة وآلية اختراق للوعي التقليدي السائد، وباعتبارها مساهما أساسيا في نشوء المراهقة كفئة اجتماعية في البلدان العربية إذ تعدّ المراهقة نتاجا للتمدرس بمعنى ما... ولكن الدراسة رصدت أيضا أن المدرسة تتعرض لاختراق مضاد بحيث باتت أكثر تأثرا بالتحولات التي تشهدها المجتمعات المحلية والعالم. ويطرح ذلك مسألة أزمة المدرسة باعتبارها أزمة شاملة تطال دور المدرسة في المجتمع، كما تطال وظيفتها المعرفية والاقتصادية والعلاقات الداخلية بين أجهزتها الإدارية والأكاديمية والتلاميذ والعلاقة مع الأهل.

تجد المدرسة نفسها وسط تجاذب بين نمطين علائقيين. في النمط الأول التقليدي تعطى الأولوية للقانون والنظام والانضباط، وعندما يخالف التلميذ يعاقب. ويعطي النمط الثاني الأولوية للعلاقة ويكون أكثر قبولا للحوار والتفاوض. ففي الوقت الراهن لا يمكن قبول النظام المدرسي بصفة تلقائية وبديهية بل يتطلب الأمر المزيد من التفاوض والاقتناع من قبل التلاميذ. ولكن مستوى عدم التجانس بين المدارس في البلد الواحد وما بين البلدان العربية مرتفع جدا، بحيث أن المجتمعات العربية تواجه نوعين مختلفين من المشكلات المتصلة بالمدرسة والتعليم. فمن جهة، هناك المدرسة التقليدية بكل معنى الكلمة والفصل بين الفتيان والفتيات وانتشار الأمية خصوصا في صفوف الفتيات والعقاب الجسدي والتلقين وتخلف المناهج، علاوة على مشكلات عدم كفاية التجهيزات وتوفر الشروط الصحية والسلامة ... ومن جهة أخرى، هناك المشكلات المرتبطة بضرورة الانتقال إلى نموذج المدرسة العصرية في أساليب التدريس والمناهج والعلاقات... وما تجدر الإشارة إليه هو أن مؤثرات العولمة والإصلاح الاقتصادي في البلدان العربية تدفع باتجاه تعميق هذه الهوة والثنائية في النظام التعليمي.

اعتبرت المراهقات والمراهقون المدرسة بمثابة معبر إلزامي إلى الرشد والعمل والاستقلالية. ولم تبد بالنسبة إلى غالبيتهم مؤسسة جذابة وممتعة. كما أنهم انتقدوا بصفة كبيرة نظام العلاقات العمودية داخل المدرسة والمبالغة في الاعتماد على نظام الانضباط وفي استعمال السلطة في علاقة الإدارة والمدرسين بهم، حتى أن بعضهم شبه الناظر أو الناظرة بالسجان. وتبين من خلال المقابلات تراجع الأهمية الرمزية للمدرسين الذين فقدوا حسب المراهقات والمراهقين كفاءاتهم العلمية وقدراتهم على نسج علاقات تفاعلية مع التلاميذ كما أن أساليبهم البيداغوجية شهدت هي الأخرى تراجعا. فكثيرون لم يجدوا من بين مدرسيهم ومدرساتهم مثالا أعلى. كما بينت المقابلات وجود مظاهر من العنف والسلوكيات غير الحضارية في المدارس تذمرت منها المراهقات على وجه الخصوص.

ويفضل معظم المراهقات والمراهقين المدارس المختلطة باعتبارها فضاء يحفز على التنافس ويساهم في تكوين الشخصية مع الإشارة إلى بعض التحفظات ذات العلاقة بالعادات والقيم الدينية خصوصا عند المراهقين، وذات الطابع العلائقي عند المراهقات اللاتي يشعرن بالحرج والانزعاج من سلوك الفتيان.

وبرزت مسألة مشتركة بين جميع البلدان المشمولة بالدراسة تتمثل في التفاوت بين المدارس الحكومية والمدارس الخاصة. وقد تبين في هذه الأخيرة وجود سلوكيات متشابهة للمراهقين في كل البلدان خاصة فيما يتعلق بالانتشار الواسع للتدخين وشرب الكحول وأحيانا

أما أبرز المشكلات المتصلة بعلاقة المراهقة أو المراهق بأسرته، فقد تمثلت في ضيق مساحات الحوار داخل الأسرة، والتمييز شبه العام بين الفتيان والفتيات، وإن بشكل متفاوت. كما برز أيضا مستويان لما يمكن اعتباره "صراع الأجيال"، الأول بدائي أو جنيني، ويتمثل في الخلافات بين الأهل والأبناء في بعض المجالات التي تخضع للرقابة المشددة، وخصوصا الخروج واختيار الأصدقاء واللباس بالنسبة إلى الفتيات تحديدا. والثاني يمثل شكلا أكثر تبلورا ويبرز لدى المراهقات والمراهقين الذين يتمتعون بموارد ثقافية معقولة ويشعرون بالتفاوت بين تصوراتهم وتصورات الأهل. ويجب أن لا نغفل حالات أخرى، كتلك التي عبرت عنها سناء (15س، مصر) بقولها "ليس لدي وقت لصراع الأجيال، فأنا ووالدي وأخي مشغولون بالصراع ضد الفقر".

أما أبرز **التوصيات المتعلقة بالأسرة** فهي :

- تطوير العلاقات داخل الأسرة بما يجعلها فضاء أكثر ملاءمة لمرافقة المراهقة والمراهق في بناء شخصيته المتفردة والاندماج الفعال في المجتمع وذلك بالتركيز على معالجة ثلاث فجوات أساسية في الأسرة عن طريق :

  - زيادة مساحات الحوار بين الأهل والأبناء،
  - إلغاء التمييز بين الفتيات والفتيان داخل الأسرة،
  - تطوير علاقات التفاعل والتكامل بين الأسرة وكل من المدرسة وأصدقاء المراهقات والمراهقين.

- تطوير برامج موجهة للأهل باستخدام وسائل الإعلام أو من خلال الاتصال المباشر بهم، وأخرى تستهدف الأبناء وتساهم في إبراز النماذج المتعددة لبناء الأسرة وللعلاقات الأسرية التي يشكل الحوار والمشاركة أساسا لها.
- القيام بدراسة ميدانية وتحليلية لظاهرة التفكك الأسري.

## الفصل الرّابع : المدرسة والعمل

شمل هذا الفصل علاقة المراهقات والمراهقين بالمدرسة، وتصورهم لمستقبلهم المهني، كما شمل أيضا تجربة من انخرط منهم في سوق العمل.

### 1. المدرسة

عرض الفصل أربع وظائف أساسية للمدرسة هي التالية : الوظيفة المعرفية، وظيفة الإعداد لسوق العمل والنشاط الاقتصادي، وظيفة الإعداد للأدوار الاجتماعية والمواطنة ووظيفة أخرى نابعة عن اجتماع التلاميذ في أعداد كبيرة في إطار المؤسسة المدرسية بما يسمح بتطور العلاقات الأفقية فيما بينهم وتوسيع نطاق مرجعياتهم. وتناول الفصل علاقة التلاميذ بمدرسيهم ونظم الانضباط والمناهج وأساليب التدريس والاختلاط والتمييز ضد الفتيات في فرص التعليم، وسلوكيات التلاميذ في المدرسة، ومواصفات التلميذ الشعبي. وبينت بشكل واضح تطلبا كبيرا لإصلاح المدرسة ونظامها وعصرنة أساليب التدريس.

على اعتراف اجتماعي، أو باعتباره أمرا بديهيا ومسارا طبيعيا يقود الإنسان من المنزل إلى المدرسة فالعمل. وبدا عند المراهقات بشكل خاص أن انخراطهن في العمل ليس أمرا حتميا بالنسبة إليهن، لا لاعتبارات المنع الاجتماعي وحسب، بل باعتباره خيارا شخصيا في حال كان الزوج قادرا على تأمين متطلبات الحياة. وترتبط صورة العمل هنا بالجهد والتعب وغالبا بالقيام بأعمال لا تتناسب مع الطموحات أو الرغبات الشخصية.

ومن جهة أخرى، فإن المنطق الاقتصادي البحت، ومنطق النجاح المبني على المشروع الفردي لا يزال محدود الانتشار. وهو ما يجعل الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تمتزج في تقييم العمل وتحديد الاختيارات. أما أبرز الاستخلاصات المتعلقة بالاختيارات المهنية فقد تميزت بالخصائص التالية :

- هناك تداخل في اختيارات المراهقات والمراهقين، وخصوصا بالنسبة إلى المهن المرتبطة بالتكنولوجيا واللغات والسلك الديبلوماسي. ومع ذلك لا يزال هناك أثر واضح لاختيارات تعبر عن التقسيم التقليدي للعمل بين المرأة والرجل، مثل تفضيل المهن الاجتماعية كالطب والتعليم لدى المراهقات، وتفضيل المراهقين لمهن الهندسة والمقاولات والتجارة.

- هناك حالة من الارتباك وعدم الحسم في الخيارات لدى قسم من المراهقات والمراهقين، وهذا أمر طبيعي يعود إلى العمر أحيانا وإلى الرغبة والقدرة على متابعة الدراسة، وعوامل أخرى.

- بعض الاختيارات تعبر عن أمنيات، وتعكس القيمة العالية التي تعطى لبعض المهن. وكذلك ما يوفره اللقب المرتبط بالتعليم العالي من أهمية اجتماعية مهما كان الاختصاص.

- خيارات المراهقات والمراهقين بدت واقعية في بعض الحالات أو البلدان ومرتبطة بالمسارات المدرسية أو بتطوير العمل الحالي. ودلت في حالات أخرى على التوجه نحو مهن ذات مردود مالي مرتفع ومرتبطة بالسوق والتكنولوجيات الحديثة (كمبيوتر وتجارة).

- بشكل عام، فإن المراهقات والمراهقين لم يستخدموا بصفة مباشرة تعابير تشير إلى تفضيل لمهنة على أساس مادي. وبدا في بعض الحالات وكأن القناعة قيمة سائدة تعبر عن الواقعية والاكتفاء بعمل يضمن الاستقرار والنجاح في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المراهق أو المراهقة، والذي يقتصر على تكوين أسرة وامتلاك منزل وسيارة وسمعة جيدة وعلاقات اجتماعية مقبولة.

- على الرغم من وجود خيارات مهنية تعبر عن خصوصيات كل مجتمع، برزت خيارات مشتركة عابرة للحدود الوطنية، وبالتحديد في اختصاصات الكمبيوتر والمعلوماتية والتجارة والتسويق، مع استمرار حضور واضح للمجالات التي تساعد على العمل في الخارج أو في السلك الديبلوماسي (لغات، علوم سياسية، حقوق).

إن هذه الاستخلاصات تحفز على تعميق البحث والتفكير في البرامج والسياسات الموجهة لتشجيع عمل الشباب، فلا تأتي في صيغة تصورات جاهزة ومعدة مسبقا في حين لا تتوفر لها فرص

تعاطي المخدرات وبعض السلوكيات المتصلة بالعلاقات بين الجنسين. وبدا جليا هنا أن العامل الاجتماعي هو أكثر تأثيرا من الاختلاف في الانتماءات الوطنية في حين أن المراهقات والمراهقين في المدارس الحكومية يعدون أكثر تأثرا بالخصائص الوطنية وبالتالي تكون سلوكياتهم مختلفة من بلد إلى آخر.

أما فيما يخص الإصلاح الداخلي للنظام المدرسي، فلم يقع إلى الآن إيلاء الأهمية الكافية للجانب العلائقي خصوصا بين التلاميذ والمدرسين والإدارة، ولم يهتم المعنيون كفاية بوضع نظام عمل يحتوي على "صمامات أمان" لحل الصراعات عن طريق الحوار، ولا بإيجاد آليات مشاركة فاعلة للتلاميذ في التعامل مع شؤون مدرستهم وشؤونهم الخاصة فيها. في حين أن هذه المسائل تحتل أولوية بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين.

أما أبرز **التوصيات في هذا المجال** فهي :

- تجديد المدرسة مؤسسة وأدوارا وعلاقات وإيلاء الأهمية الكافية للجوانب العلائقية التي تهمل عادة في برامج الإصلاح التربوي، ولا سيما :

  - تعزيز الشعور بالانتماء لدى التلميذ إلى مؤسسته المدرسية وإعادة الاعتبار إلى المدرسة كمؤسسة تربوية تقوم على المشاركة عوضا عن مؤسسة تعليم تلقينية فحسب، تقتصر العلاقات فيها على الأبعاد الإدارية والتراتبية العمودية فقط.
  - إحداث تغيير نوعي في أساليب التدريس بحيث يقع الاعتماد أكثر على الأساليب الناشطة، وإعداد برنامج تأهيل للمدرسين للقيام بهذا التحول.
  - إيجاد الصيغ الملائمة للمزاوجة الخلاقة بين عملية التدريس داخل جدران المدرسة وبين وسائط المعرفة الكثيرة والغزيرة خارجها.
  - تشجيع التلاميذ على تشكيل اللجان والأندية وانتخاب ممثلين عنهم للمشاركة في إدارة الحياة المدرسية. فالمدرسة مؤهلة لأن تكون الفضاء الأول الذي يتدرب فيه التلميذ على إمكانيات المشاركة في إدارة الشأن العام على المستوى المحلي أو الوطني. ويجب تضمين ذلك في النصوص المنظمة للحياة المدرسية وضمان الالتزام بها في الممارسة العملية.
  - إيلاء الأهمية الكافية لحصص الرياضة والفنون والأنشطة التطبيقية والابتعاد عن تصنيف المواد والحصص إلى أساسية وثانوية.
  - تطوير الأنظمة الداخلية في المدارس بحيث تستحدث آليات للتنبه المبكر إلى النزاعات وحلها قبل تفاقمها وتحولها إلى صراع بين التلميذ والأهل والإدارة والمدرسين.

## 2. المستقبل المهني والعمل

يشكل العمل بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين على حد سواء خيارا أساسيا في تصور مستقبلهم الشخصي. ولكن مع ذلك لم يبد من شهاداتهم أنهم يعطون الأولوية إلى العمل باعتباره تحقيقا للذات بقدر ما ارتبط لديهم إما بتوفير سبل العيش، وهو الاعتبار الأكثر أهمية، أو بالحصول

وقد توزعت مادة هذا الفصل وفق ثلاثة محاور على النحو التالي :

1- النظرة إلى الجسد والمظهر،
2- العزلة والصداقة،
3- الاهتمامات والهوايات.

في المحور الأول، تبين أن المراهقات والمراهقين يتقبلون عموما شكلهم، ومعظمهم تحفظ على إطلاق صفة الجمال على نفسه، خصوصا المراهقين وكأن ذلك أمر غير مستحب. ولكن الغالبية من الجنسين عبروا عن اهتمام بمظهرهم، فكانت النحافة مطلبا عاما خصوصا للمراهقات مع اختلاف البلدان والانتماءات الاجتماعية. أما المراهقون، فقد كان ميلهم يتجه إلى الابتعاد عن السمنة والرغبة في قامة أطول وجسم رياضي. وفي سبيل ذلك اتبعت بعض المراهقات والمراهقين الحمية وممارسة الرياضة، واستخدام مساحيق التجميل، ووصل الأمر بالنسبة إلى البعض منهم إلى الرغبة في القيام بعمليات تجميل.

أما بالنسبة إلى العادات الغذائية، فقد كانت مختلفة، مع أنه برزت فئة من المراهقات والمراهقين المدينيين الذين كانوا أكثر استهلاكا للوجبات السريعة. ولا يزال الطعام التقليدي يحظى بشعبية واسعة ويكون أحيانا الخيار الوحيد، مع الابتعاد عن الطعام الدسم تجنبا للسمنة. ولوحظ أيضا عدم توازن النظام الغذائي في بعض الحالات، خصوصا النقص في تناول الخضر والفواكه، واللحوم في الأوساط الفقيرة.

وفيما يتعلق باللباس، فقد كان مجال الرقابة الأكثر تشددا على المراهقات. ونسجل هنا تنوعا شديدا في الأذواق والممارسات. فالمراهقات والمراهقون من الفئات الوسطى والثرية المتأثرة بالسلوك الاستهلاكي تشابهوا في تفضيلهم اللباس العصري "المعولم" والأنواع العالمية. في حين التزم آخرون باللباس العادي أو التقليدي الشائع فيما اعتبرته قلة مسألة غير مهمة. وبشكل عام، فضل المراهقون اللباس غير الرسمي والمريح وفضلت المراهقات اللباس الذي يتماشى مع الموضة "المعقولة والمحتشمة" وابتعدن عن "الصرعات".

وفي المحور الثاني، برز البحث عن الصداقة كمحور أساسي في حياة المراهقات والمراهقين. وبالنسبة إلى المراهقات خصوصا اجتمعت الصداقة مع علاقات الاخوة (الأخت صديقة في الوقت نفسه) والقرابة (بنات العم أو الخال)، وكانت الصداقة بين الجنسين محدودة في الأوساط الفقيرة والريفية المحافظة. أما بالنسبة إلى المراهقين، فقد كانت دائرة الصداقة أوسع، في المدرسة أو الحي، ومع الأقرباء أيضا. والأصدقاء هم المجموعة المفضلة للقيام بنشاطات متعددة، لا سيما خارج المنزل. ولكن بدا أن هناك إشكالية في تقاسم الأسرار مع الأصدقاء، حيث كانت المراهقات والمراهقون أكثر ميلا إلى التحفظ، ما عدا الصديق الخاص الذي سبق التأكد من تكتمه وعدم إفشاء السر للآخرين.

وفي المحور الثالث، تبين تقييد المراهقات حيث يرجح قيامهن بنشاطات داخل المنزل ومع الأسرة، مقابل ميل أكبر لدى المراهقين للأنشطة مع الأصدقاء وخارج المنزل. ومن بين الهوايات برزت بشكل أكبر مشاهدة التلفزيون واستعمال الحاسوب مقارنة بالمطالعة وارتياد دور السينما.

النجاح بشكل كاف لأنها لا تتوافق مع الواقع ولا مع اختيارات المعنيين والمعنيات وتفضيلاتهم.

وجاءت **أبرز التوصيات** كما يلي :

- تحسين برامج التوجيه المهني الحكومية وغير الحكومية وإخراجها من طابعها التقليدي، وابتكار صيغ حية للتفاعل بين المدرسة ومجالات النشاط الاقتصادي.
- تطوير تشريعات العمل الخاصة بعمل المراهقين، خصوصا لجهة الالتزام بالحد الأدنى القانوني لسن الدخول إلى سوق العمل، وشروط عمل المراهقين ونظام المتمرنين، بما يمنحهم المزيد من الحقوق.
- ضمان حق المراهقات والمراهقين في التنظيم النقابي والاستفادة من التأمين الاجتماعي والصحي والمنافع والحقوق الأخرى المرتبطة بالعمل.
- تصميم برامج التدخل الموجهة للشباب مثل المشاريع المولدة للدخل والقروض والتأهيل المهني. وعلى هذه البرامج أن تأخذ بعين الاعتبار، انتظارات المراهقات والمراهقين والأولوية التي يعطونها للقيمة الاجتماعية للعمل، إلى جانب تفضيلهم لعمل مستقر ودائم ويوفر الضمانات على تأسيس مشروعات خاصة غير مضمونة النتائج من ناحية ثالثة.

## الفصل الخامس : ثقافة المراهقة والسلوكيات

قامت الأسرة في السابق بدور حاسم في التنشئة الاجتماعية بتوفيرها للطفل وللمراهق نماذج للتعامل ولأنماط التعبير المختلفة على مستوى السلوك والآراء والقيم. وهي المرجع الأول للنماذج التي يتعرف إليها. إن دور الأسرة هذا على أهميته، يتقلص بشكل متدرج لصالح مؤسسات أخرى، كالمدرسة والمؤسسة الدينية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية على اختلافها، ولصالح جماعة الأقران والأصدقاء الذين يشكلون بدورهم مصدرا أساسيا من مصادر تكوين سلوكيات المراهقة والمراهق ومواقفهما.

وتؤدي وسائل الإعلام دورا متزايد الأهمية في تكوين سلوكيات المراهقات والمراهقين تحديدا، بسبب ما تتمتع به هذه الوسائل من ميزات يصعب توفرها في المصادر الأخرى. فهي تملك القدرة على إيصال رسائل ومضامين موحدة للملايين منهم، كما أنها تمتاز بالكثافة والاستمرارية بما يقوي أثرها التراكمي ويزيد من احتمال تحول رسائلها والمضامين التي تبثها إلى سلوك. ووسائل الإعلام "سلطة" أيضا، وهي بهذه الصفة تمتلك القدرة على الإثبات باعتبارها مرجعا ومصدرا موثوقا به للأخبار والمعارف والسلوكيات.

هذا التجاذب المؤدي إلى تحول في أنساق السلوك والعادات وفي ما يمكن تسميته بثقافة المراهق، هو أحد الأبعاد الأساسية التي رصدها هذا الفصل والتي تبين فيها بشكل واضح أثر هذا التمازج بين مؤثرات البيئة المحلية ومؤثرات التعرض المتزايد لوسائل الإعلام الجماهيرية وما تولده من صور نمطية تقابل بالتماهي أو بالرفض.

- الموقف من الحياة السياسية والشأن العام. وتضمن تعريف المراهقات والمراهقين للسلطة والموقف منها والعمل السياسي والانخراط في العمل الاجتماعي والموقف من الحروب وأحداث 11 أيلول...
- مواقف أخرى ترتبط بتعريفهم للنجاح والسعادة وبقيمة المال في الحياة والموقف من السفر والهجرة...

## 1. الموقف من المرأة والأدوار الاجتماعية للنساء والرجال

عبرت أغلبية المراهقات والمراهقين على عدم رضاها على وضع المرأة في المجتمعات العربية، وأقرت بوجود حرمان وإجحاف لاحق بحقها. ولكن ذلك لا يقود تلقائيا إلى السعي إلى تغيير هذا الواقع (خصوصا بين المراهقين) ولا إلى القبول بفكرة المساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة (هو رأي شائع بين المراهقات والمراهقين على حد سواء).

وقد توزعت **الآراء المتعلقة بالموقف من المرأة** كما يلي :

- اعتراض واضح وعدم رضى على وضع المرأة الحالي في المجتمع ودورها في موقف ينتهي إلى الدعوة إلى المساواة في الحقوق وإلى رفض أي شكل من أشكال التمييز.
- عدم الرضى عن وضع المرأة الحالي والاعتراف أن المرأة "مغبونة" في المجتمع بشكل عام، ولكن دون التعبير بالضرورة عن تبني مفاهيم مساواتية صريحة.
- التركيز على مقارنة أوضاع المرأة بين الأمس واليوم، أو بين مجتمع وآخر، لكي يخلص إلى تحسن ما، وحدود ما أو خطوط حمر يستحسن أن لا يتم تجاوزها.
- اعتبار أن وضع المرأة طبيعي أو عادي قياسا إلى عاداتنا وتقاليدنا، دون التعبير عن مواقف شديدة التزمت ترفض تحسين أوضاعها، مع ربط احتمال التحسين بالتوافق مع المناخ الاجتماعي السائد.
- اعتبار أن وضع المرأة هو ما يجب أن يكون عليه لاعتبارات مفاهيمية دينية أغلب الأحيان. حيث يعتبر أن حصر دور المرأة في الواجبات الأسرية تجاه الزوج والأبناء هو الحالة المثالية، وخلاف ذلك يكون خروجا عن الطريق السوية، مع اتخاذ موقف رافض إزاء أي محاولة لتغيير هذه الوضعية.
- اتخاذ موقف غير المبالي أو غير المعني بالإجابة عن هذه المسألة.

تتعدد العوامل المؤثرة في مثل هذه المواقف، فمنها ما يرتبط بالخصائص التاريخية والاجتماعية للبلد التي قد تغلّب اتجاها محافظا أو مساواتيا. ويشكل اليمن عموما المثال الأبرز على تركز الإجابات حول القطب المحافظ، في حين يصعب القول إن هناك تركزا شديدا حول القطب المساواتي بالنسب نفسها. ويشكل لبنان الحالة المقابلة التي يبرز فيها أكثر من البلدان الأخرى الموقف المساواتي. أما العامل الثاني، فيتمثل في متغير الجنس. إذ بدت مواقف المراهقات معبرة عن عدم الرضى مع المطالبة بالمساواة، وصولا إلى عدم الرضى المقرون

أما ممارسة الرياضة فقد بدت نشاطا ذكوريا للذين يملكون موارد مالية، في حين بدت الموسيقى النشاط الأكثر انتشارا في كل الأعمار والبلدان والفئات الاجتماعية وبين المراهقات والمراهقين وبشكل لافت للنظر. وتراوحت الأذواق الموسيقية بين الميل إلى الاستماع إلى الأغنية الكلاسيكية والخفيفة، وبين الاهتمام بأحدث "الصرعات الموسيقية". وتشكل الأذواق هنا مؤشرا على درجة التأثر بالموجات "المعولمة" في مجال الموسيقى والفنون، وما يرتبط بها من سلوكيات.

أخيرا، فإن المطلب الأبرز للمراهقات والمراهقين في هذا المجال، تجسم في ضرورة نشر شبكة من المؤسسات والبنى التحتية الموجهة إليهم في الأحياء والقرى وعلى مقربة من أماكن السكن وبتكلفة تسمح للجميع باستخدامها.

أما **التوصيات** فتمثلت في :

- توفير البنى التحتية من أندية وجمعيات وبيوت شباب وتجهيزات رياضية وترفيهية وثقافية، ونشرها في أماكن قريبة من السكن خصوصا في الأرياف والأحياء المدينية الفقيرة، بما يجعلها في متناول فئات أوسع. وتتمكن بذلك المراهقات خصوصا من ارتيادها.
- وضع خطط تدخل وبرامج توعية من أجل تشجيع الشباب على المطالعة واستخدام تكنولوجيا المعلومات أو الحصول عليها. ويمكن ذلك من خلال تخفيض كلفة الكتاب من ناحية، وإنشاء شبكات في المدارس وفي البنى التحتية المخصصة للمراهقات والمراهقين بما يسمح بتوسيع استخدام التكنولوجيا الحديثة للفتيات وللفئات الأقل دخلا من ناحية أخرى. و العمل على تطوير الاهتمام بالسينما والمسرح لدى المراهقات والمراهقين على حد سواء.
- تفعيل التربية الفنية ونشر الثقافة العامة والتربية القانونية وقيم التسامح واحترام حقوق الإنسان والحماية الموجهة للمراهقين، باستخدام الوسائل والقنوات المتاحة (المدرسة، وسائل الإعلام، شبكة الأندية والجمعيات...).

## الفصل السادس : المواقف والقيم

بحث هذا الفصل في المفاهيم والتصورات التي كونتها المراهقات والمراهقون في تفاعلهم مع مجتمعهم الواسع ومع العالم، وموقفهم من الشأن العام ومن بعض التطورات الهامة الآنية في العالم. وقد تم تجميع المادة ضمن أربعة محاور أساسية :

- الموقف من المرأة والأدوار الاجتماعية للنساء والرجال. ويتضمن هذا المحور العناوين الفرعية التالية : الرأي في وضع المرأة الحالي، الموقف من التمييز والمساواة بين الجنسين، الموقف من العلاقات الحرة على النمط الأوروبي، الموقف من الحجاب.
- الموقف من الدين وأهميته في حياة المراهقة والمراهق وفي المجتمع.

وفي ضوء ما سبق عرضه، فإن **أهم التوصيات** في هذا المجال تتمثل فيما يلي :

- توسيع الاطلاع على التراث الديني للمنطقة العربية بحيث تشمل المعرفة الموسعة للدين الذي تنتمي إليه المراهقة أو المراهق والاطلاع على الأديان الأخرى بما يمكنهما من بناء ثقافة دينية تقوم على التسامح واكتشاف المشترك وتساعد على نبذ التعصب.
- التوعية على التمييز بين الدين وبين العادات الاجتماعية والتقاليد وبين الخيارات السياسية والإيديولوجية، لتلافي اختلاطها في الوعي السائد خصوصا بين المراهقات والمراهقين.

## 3. الموقف من الحياة السياسية والشأن العام

بالنسبة إلى هذا المحور، تبين اهتمام كبير بالقضايا السياسية الكبرى وتحديدا قضية فلسطين والعراق وأفغانستان وأحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001. وكانت كلها قضايا آنية أثناء إجراء المقابلات. ويقابل ذلك قلة اهتمام بالعمل السياسي المنظم ونظرة سلبية إلى الأحزاب والحركات السياسية ومفهوم السياسة الداخلية التقليدي. وأجمعت المراهقات والمراهقون على اختلاف انتماءاتهم وخلفياتهم الفكرية والدينية والسياسية، على التقييم السلبي للسياسة الأميركية وانحيازها لإسرائيل. وبرز إجماع في التعاطف مع الانتفاضة الفلسطينية ومع الشعب العراقي. والحرب كانت أمرا مدانا ومرفوضا من الناحية الأخلاقية بالنسبة إليهم جميعا. ولكن فيما يتجاوز رد الفعل العام والانفعالي هذا، لم تظهر مؤشرات على توفر الموارد الكافية لبناء موقف عملي متماسك يتجاوز ما تروّج له وسائل الإعلام. وبينت المقابلات أثرا كبيرا جدا للفضائيات خصوصا في تكوين الوعي السياسي الانفعالي هذا. وقد عبر الكثير من المراهقات والمراهقين عن إحباطهم لعدم قدرتهم على القيام بأي فعل في مواجهة ما تبثه الشاشة الفضية من صور ووقائع.

أما بالنسبة إلى السلطة، فقد تقاربت نظرة المراهقات والمراهقين في تحديدها ضمن دائرة خاصة يمثلها الأهل عامة والأب خصوصا، وأخرى عامة تمثلها أجهزة السلطة السياسية. وذهب بعضهم إلى اعتبار أن المجتمع والتقاليد هي سلطة أيضا. أما الموقف إزاءها، فيكون مرنا عندما يتعلق الأمر بسلطة الأهل ويكون أكثر تطلبا للعدالة ولفكرة الحق عندما يتعلق الأمر بالسلطة في المجال العام.

وبشكل عام، لم تظهر مواقف راديكالية في مواجهة أي سلطة خاصة أو عامة، بل إن الميل المرجح كان التعبير عن عدم الرضى والحاجة إلى الحوار والمزيد من الحرية، ومع استعدادات واضحة للتفاوض والتسويات، بل والتكيف مع متطلباتها.

## 4. مواقف أخرى : النجاح والسعادة والمال والهجرة

شكل عدم إضفاء أي قيمة أخلاقية على المال العنصر الأكثر بروزا في هذا المحور. كما تجلى بوضوح الحديث عن السعادة والنجاح بصيغة المستقبل كأن تحققهما الحالي أمر غير وارد أصلا. وكانت الرغبة في الهجرة قوية، وتنوع اختيار البلدان وأسبابه بين السعي إلى حياة أفضل وبين الفضول والتعرف إلى حضارات جديدة.

بالسعي الهادئ والمتوافق مع العادات والتقاليد لتحسينها التدريجي. فيما نجد بين المراهقين بعض المواقف الأكثر تشددا ورفضا للتغيير. العامل الثالث هو عامل اجتماعي - ثقافي. إذ يميل الموقف، وخصوصا في حال اجتماع الانتماء المديني مع الانتماء الاجتماعي إلى الفئات الوسطى وخصائص الانفتاح الثقافي الأسري، إلى الدعوة المتسقة إلى التغيير والمساواة، مع ظهور عناصر لوعي نظري بهذه الضرورة. أما العامل الرابع، فهو ديني ويؤثر في اتجاهين، يقوم أحدهما على كون الانتماء الديني يشكّل عاملا مساعدا على التفاعل أو رفض الثقافة الحديثة أو التأويلات المحافظة للتقاليد والتراث، خصوصا ما يتعلق منها بالعلاقات الأسرية والموقف من المرأة. وهو اتجاه يمكن رصد أثره في البلدان المختلطة دينيا (لبنان). أما الاتجاه الثاني، فيرتبط بالمراهقات والمراهقين المتأثرين بالحركات الدينية السياسية أو المنظمين في إطارها. وهم يحملون قناعات ذات طابع ديني - إيديولوجي إزاء المرأة أكثر من كونها قناعات ذات طابع ديني بالمعنى التقليدي حتى وإن جرى تقديم هذه القناعات باعتبارها منسجمة أو حتى معبرة عن التقاليد المحلية. ولكن يلاحظ عموما أن "النماذج النمطية" الصرفة في هذا الاتجاه أو ذاك غير موجودة، عدا بعض الحالات الاستثنائية جدا.

وتناول الفصل أيضا ظاهرة ارتداء الحجاب بأنواعه المختلفة. وبيّن التحول الذي عرفه ودلالات ارتدائه في الظروف الحالية. ففي حين كان ارتداء الحجاب عادة اجتماعية مشتركة للفئات الريفية والفقيرة وبغض النظر عن الدين، أصبح بالنسبة إلى جيل المراهقات والمراهقين الحاليين تعبيرا سياسيا وثقافيا عن الهوية. وبدا من خلال المقابلات أن من يرتدينه من بين المراهقات هن أكثر تأثرا بوسائل الإعلام والحركات الدينية والأصدقاء والصديقات من تأثرهن بالأهل الذين بدوا أكثر مرونة على هذا الصعيد. وبشكل عام، اعتبر ارتداء الحجاب شأنا شخصيا. ولكن المراهقين المتأثرين بالحركات الدينية السياسية عبروا عن موقف متشدد يصل إلى حد الدعوة إلى فرض ارتدائه على جميع الفتيات.

## 2. الموقف من الدين وأهميته في حياة المراهق وفي المجتمع

تناول المحور الثاني الموقف من الدين وأثره في حياة المراهقة أو المراهق. وبينت المقابلات أن الدين حاضر وبقوة ويؤدي دورا أساسيا في تحديد المواقف والسلوك. ولم يخرج عن هذا الوصف سوى حالات استثنائية اعتبرت أن الدين قليل الأهمية، أو قدمت نظرة نقدية إلى الفهم السائد للدين. وتراوحت المواقف هنا بين من دعا إلى اعتبار الدين علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه وإلى الابتعاد عن التظاهر، وبين من ينظر إلى الدين باعتباره منظما عاما للمجتمع والعالم في كل تفاصيل الحياة. ورصد الفصل أيضا التحول الحاصل من الدين المعتدل والوسطي إلى الحركات الدينية ذات الطابع السياسي الأكثر رواجا في جيل الأبناء مقارنة بجيل الآباء. وبشكل عام، تبين أيضا أن الثقافة الدينية بالمعنى الواسع ضعيفة، وأن المراهقات والمراهقين لا يميزون غالبا بين أحكام الدين وبين العادات والتقاليد الاجتماعية، وبعض الخطابات السياسية والإيديولوجية. كما أنهم لا يعرفون شيئا عن الأديان الأخرى غير الدين الذي ينتمون إليه.

ينتج عن كل ذلك تنوع وتعدد هامان في نماذج تفكير وسلوك غير "نمطية". وتتفاوت حسب المجالات والأبعاد المختلفة لواقع المراهقة. كما تتعدد بتعدد التجارب والخصوصيات الوطنية والأسرية والفردية. ويعني ذلك أنه يجب اعتبار النماذج النمطية أقطابا نظرية تشبه المآلات المحتملة للمسارات الواقعية دون أن تتطابق معها بالضرورة.[8]

وباختصار، بين البحث أنه بمقدار ما توجد تباينات بين البلدان العربية في موضوع المراهقة، هناك تشابه يخترق حدود الأوطان القطرية ويخترق بنسبة أقل حدود الإقليم العربي إلى العالم. فالمراهقة هي بمثابة العوالم التي تختلف ضمن البلد الواحد وتتشابه عبر البلدان.

**(8)** انظر الملحق عدد1 الذي يعرض بشكل وصفي وموسع الصيغ المختلفة للنماذج في بناء الشخصية والسلوكيات والمواقف انطلاقا من الدراسة الميدانية.

بينت مواد هذا الفصل في محاوره الأربعة وجود تفاوتات بين المواقف والسلوك والمفاهيم التي عبرت عنها المراهقات والمراهقون. يحيل التفاوت الأول في أحد أبعاده إلى ثنائية القول والفعل التي تبرز من خلال الفرق بين المواقف المعبر عنها والسلوك. وهي ثنائية سائدة في المجتمع بشكل عام بين ما يعلن والذي يجب أن يكون منسجما مع القيم السائدة، وبين ما يمارس والذي يجري التساهل معه حتى وإن كان مخالفا للسائد، طالما لا يرفع إلى مستوى القيمة التي يجاهر بها.

أما التفاوت الثاني بين المواقف و/أو السلوك من جهة، وبين المفاهيم من جهة أخرى، فهو تفاوت نابع من كون الانتقال من المستوى الأول (المواقف والسلوك) إلى المستوى الثاني عملية معقدة تتطلب درجة من التجريد ودرجة أعلى من الانسجام بين مختلف أبعاد شخصية المراهقة أو المراهق في المجالات المختلفة. وهذه العملية صعبة بطبيعتها وتتوفر شروطها مع تقدم المراهقة أو المراهق في السن ومع تنوع خبراته ونشاطاته.

## خلاصـــــــة عـــــــامة

شملت النقاط التي تم عرضها ضمن هذا الملخص بعض ما توصل إليه التقرير وتضمنته فصوله. ويعبر التقرير نفسه بشكل نسبي ومكثف عن المادة الغزيرة والغنية التي توفرت لإعداده. وهي مادة قابلة للاستثمار في تحليلات إضافية عامة ومتخصصة. وينوي مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث القيام بهذا العمل ضمن برامجه للمرحلة المقبلة.

ولا شك أن واقع المراهقات والمراهقين أثرى مما عكسه التقرير وأكثر تعقيدا وتنوعا. ورصد التقرير في هذا الاتجاه واستنادا إلى المقابلات ما يلي :

**أ** - هناك ديناميات عامة تفعّل باتجاه تقريب مواقف وسلوكيات المراهقات والمراهقين واستقطابها. وتعرف التقرير إلى أربع ديناميات أساسية هي : العولمة الاستهلاكية والتحول إلى الأصولية والراديكالية الدينية والحداثة وإعادة إنتاج المجتمع التقليدي.

**ب** - هناك ديناميات تفعّل باتجاه التشتت والتخصيص، أبرزها ضعف الثقافة التوليفية والاتجاهات الاستهلاكية والفردانية والتعصب. كما أن التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين البلدان وداخل البلد الواحد يزيد من أثر المسارات الأسرية والتجارب الفردية في بناء شخصية الفرد أو شخصية المجموعة بشكل مختلف عن النموذج النمطي المستخلص من الديناميات العامة.

**ج** - تبقى النماذج المشار إليها أقرب إلى النماذج المثالية النظرية. ففي الواقع يندر أن نجد مراهقات ومراهقين يتبعون نمطا متسقا يجمع بين القناعات والقيم الفكرية والمواقف والآراء والسلوكيات والممارسة. فكما سبقت الإشارة، تتمثل الخاصية الأكثر انتشارا في تجزئة المجالات والمرجعيات.

# القسم الأول :

# الإطار العام

# القسم الأول :

# الإطار العام

ويندرج الموضوع أيضا في صلب الاهتمامات المتجددة للمؤسسات الإقليمية والوطنية على غرار جامعة الدول العربية، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (الأجفند). ولعل في تنفيذ هاتين المؤسستين لمشروع المسح العربي لصحة الأسرة (بابفام) بالتعاون مع جهات أخرى، وإفراده قسما خاصا بالشباب دليلا على الاهتمام المتزايد بقضايا الشباب في المنطقة. وقد تضمن مشروع (بابفام) استمارة اختيارية خاصة بالشباب والمراهقين، قررت أكثر من دولة عربية اعتمادها وتنفيذ دراسات ميدانية على أساسها، هذا إضافة إلى عدد من البلدان العربية التي قامت فيها جهات حكومية أو مراكز أبحاث بدراسات اهتمت بهذه الفئة.

ويتميز التقرير الذي يعده "كوثر" بثلاث خصائص هي التالية :

- يمثل التقرير جزءا من مشروع متكامل يتضمن أبعادا عملية فيما يختص بالسياسات وبرامج ومشاريع التدخل والتدريب والإعلام والتوعية وإنشاء شبكة خاصة بالمراهقة لضمان استمرارية الاهتمام والمتابعة.

- يهتم التقرير بالبعد النوعي في مسألة المراهقة، فلا يقتصر على دراسة المؤشرات المتداولة تقليديا بل يخصص حيزا أساسيا لدراسة إشكاليات المراهقة في المجتمعات العربية وبتنفيذ دراسة ميدانية في سبعة بلدان عربية، تغطي مختلف الأبعاد النوعية لأوضاع المراهقات والمراهقين.

- ترتكز الدراسة الميدانية التي أنجزت في إطار التقرير على مواقف المراهقات والمراهقين أنفسهم وأفكارهم وآرائهم وشهاداتهم، مما يحقق مشاركة فعالة للمراهقات والمراهقين في تكوين مادة التقرير نفسه، وفي توصياته ونتائجه.

إن الاهتمام الذي توليه أكثر من جهة لأوضاع المراهقات والمراهقين في البلدان العربية هو مؤشر إيجابي على إدراك أهمية هذه الفئة بالنسبة إلى حاضر بلدان المنطقة ومستقبلها. أضف إلى ذلك أن تعدد الجهات وتعدد الأهداف ووسائل البحث يمكن أن يسهم في تكوين قاعدة معلومات ثرية ومتعددة الأبعاد.

وتحقيقا لأهدافه كمركز إقليمي يعنى بالبحث والتدريب والإعلام والدعوى والتشبيك، فإن "كوثر" سيبادر إلى جعل تبادل المعلومات والتنسيق والتكامل من أولويات خطة عمله في مجال المراهقة. ويعتمد "كوثر" في تنفيذ ذلك على قدراته البشرية والمؤسسية وعلى أعضاء شبكته الخاصة بالمراهقة ضمن إطار الشبكة العربية للنوع الاجتماعي والتنمية "أنجد". مع العلم أن هذا التنسيق قد انطلق فعليا مع عدد من الشركاء كصندوق الأمم المتحدة للسكان واليونسيف والبنك الدولي والمشروع العربي لصحة الأسرة والمعهد العربي لحقوق الإنسان ومع عدد من الجهات الحكومية وغير الحكومية في بعض البلدان. وهي شراكة تشكل لبنة سيسعى "كوثر" إلى تطويرها وتدعيمها ضمن شبكات وأطر مؤسسية مرنة، تمكن من انضمام أطراف أخرى معنية ومهتمة.

# مقدمة

تشكل دراسة أوضاع الفتاة العربية المراهقة مساحة تقاطع قضيتين أساسيتين لهما أولوية كبيرة في المجتمعات العربية، هما قضية المرأة وقضية المراهقين والشباب. وتجمع التقارير التي تتعلق بالبلدان العربية على وصف أوضاع المرأة بأنها لا تتناسب مع متطلبات تطوير التنمية البشرية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، وعلى وجود فجوة في معظم مؤشرات التنمية بما في ذلك تلك التي تطال التمييز في الحقوق بين الرجال والنساء في المجتمعات العربية.

ورغم أن المجتمعات العربية تتسم بكونها مجتمعات فتية، حيث يشكل الأطفال والمراهقون والشباب غالبية السكان، إلا أن المعطيات والدراسات حول هذه الفئات الحيوية غير متوفرة بالقدر الكافي. ونادرا ما يتم التعامل مع فئة المراهقات والمراهقين كفئة مستقلة عن فئتي الأطفال والشباب. لذلك يأتي هذا التقرير عن الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق، ليلبي الحاجة الملحة للتعامل مع هذا التقاطع بين قضية المرأة وقضية المراهقة والشباب في البلدان العربية[1].

يبلغ عدد المراهقات والمراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين (15-19 سنة) في البلدان العربية ما يزيد عن 31 مليونا، أي ما يشكل نسبة 11٪ من مجموع السكان. وإذا ما أضيف إليهم من هم بين سن البلوغ (11- 12 سنة) وسن الرابعة عشرة، فإن هذا العدد يتضاعف تقريبا.

إن مراهقات ومراهقي اليوم، هم نساء المستقبل ورجاله. فالأدوار الاجتماعية المستقبلية للمرأة والرجل تصنع اليوم في ما يغرس في عقول المراهقات والمراهقين وما يتاح أمامهم من فرص وإمكانيات. إن المراهقة هي تطابق لحظة البلوغ والتحول الفيزيولوجي مع لحظة التحول المعرفي والسلوكي والاجتماعي. وهنا بالذات تبدأ الأدوار الاجتماعية، فيبدأ بشكل عام تقييد الفتاة، وتبدأ حرية "الرجل"، بل يبدأ الرجل نفسه.

وتشكل هذه الجوانب (الفيزيولوجية والنفسية والتربوية والاجتماعية والسلوكية...)، ببعديها الكمي والنوعي أساسا كافيا لإدراك ما تمثله دراسة هذه الفئة من أهمية وأولوية لمركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"، الذي يعنى بقضايا النوع الاجتماعي والتنمية في المنطقة العربية. واللافت للنظر أن اهتمام "كوثر" بهذا المجال قد تزامن، بل سبق أحيانا، الاهتمام الدولي والإقليمي والوطني بفئة المراهقين والشباب.

فعلى الصعيد الدولي، تشكل المراهقة اليوم أولوية برامج صندوق الأمم المتحدة للسكان. وكذلك، يولي صندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) أهمية متزايدة لتوسيع نطاق برامجه في اتجاه المراهقات والمراهقين المشمولين باتفاقية حقوق الطفل. كما يبدي البنك الدولي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا اهتماما متزايدا بقضايا الشباب وعلاقتهم بالنظام التربوي وقضايا التشغيل والبطالة. ويشكل دور الشباب في التنمية والتطوع محورا أساسيا من محاور اهتمام برنامج الأمم المتحدة الإنمائي واستراتيجياته.

(1) لاعتبارات عملية، يركز التقرير في قسمه النوعي، على الفئة العمرية 15-18 سنة. وقد جرى توضيح ذلك بالتفصيل في متن التقرير.

# الأهداف والمنهجية

## 1. أهداف التقرير

يعتبر "كوثر" تقرير تنمية المرأة العربية الثاني حول "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق" عملا استطلاعيا وتمهيديا للقيام بدراسات لاحقة في مجال لا يزال غير مدروس بالشكل الكافي في المنطقة العربية. والغاية الرئيسية من هذا التقرير وخاصة الدراسة الميدانية التي أجريت في إطاره هي استشراف مستقبل المرأة العربية ولفت نظر صانعي السياسات والعاملين على تطوير مشاركتها في عملية التنمية، إلى إمكانية التأثير الإيجابي في هذا المستقبل ولا سيما رفع مستوى مشاركتها في اتخاذ القرار. ويتم ذلك من خلال التعرف إلى مصدر المعوقات ومعالجتها وفق سياسات وتدخلات فعالة في مراحل تشكلها المبكرة. وفي هذا السياق، يمكن تفصيل الأهداف الرئيسية لهذا التقرير على النحو التالي :

**أ.** المساهمة في سد النقص الكبير في معرفة المراهقة في البلدان العربية معرفة علمية معمقة وفي البيانات الإحصائية والمؤشرات الخاصة والدراسات التحليلية بفئة المراهقات والمراهقين في البلدان العربية.

**ب.** إدماج وجهة نظر المراهقات والمراهقين أنفسهم في رسم ملامح مرحلة المراهقة في البلدان العربية وخلق نوع من الاهتمام بإشكالية النوع الاجتماعي والمراهقة.

**ج .** رصد بدايات التمييز بين الفتاة والفتى في الأسرة والمدرسة والمجتمع وكيفية تكون الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء في مرحلة المراهقة.

**د.** التعرف إلى صعوبات فترة البلوغ وإلى المعارف والسلوكيات المرتبطة بالحقوق الإنجابية وأبعادها الصحية الجسدية والنفسية.

**ه.** تمكين صانعي السياسات الحكوميين ومؤسسات المجتمع المدني والباحثين ووسائل الإعلام ومنظمات الشباب، والشباب والمراهقين أنفسهم، من رصيد معرفي في قضايا المراهقة، بما يمكنهم من المساهمة في وضع السياسات وبرامج التدخل والمشاريع أخذا بعين الاعتبار الأولويات والرؤى التي عبرت عنها المراهقات والمرهقون بأنفسهم.

**و.** تحفيز الجهات المهتمة، على القيام بدراسات لاحقة معمقة لمرحلة المراهقة تعتمد أساليب ومقاربات متنوعة. والهدف هنا هو بناء قاعدة معلومات إحصائية تصلح أساسا صلبا من أجل فهم المراهقة واقتراح إستراتيجيات متوسطة وبعيدة المدى لتنمية قدرات المراهقات والمراهقين وقدرات مختلف الفاعلين في المجتمع.

ولا يعدو تقرير "الفتاة العربية المراهقة : الواقع والآفاق" أن يكون سوى مساهمة أولى من قبل "كوثر" في مجال استشرافي يعد الاهتمام به مسألة حديثة. لذلك سعى التقرير إلى الخروج عن الصيغة المألوفة والتقليدية للتقارير الدولية والإقليمية، في محاولته تقديم صورة حية عن فترة المراهقة كما تراها وتعيشها المراهقات والمراهقون.

كما تضمن توصيات تستقي أهميتها من كونها نابعة من انتظارات المراهقات والمراهقين وحاجاتهم وتصوراتهم لمختلف المؤسسات الفاعلة في فترة تبلور شخصيتهم وإعدادهم لأدوارهم الاجتماعية كنساء ورجال الغد.

أما البيانات الإحصائية المتوفرة من المصادر الإحصائية الوطنية والإقليمية والدولية، فهي معروضة عموما إما حسب فئات عمرية خمسية أو حسب مستويات التعليم. وعلى هذا الأساس، بالنسبة إلى المؤشرات الإحصائية تم اعتماد الفئة العمرية (15-19 سنة) كفئة هي الأقرب إلى الفئة المشمولة بالمقابلات، وفئة التلاميذ في المرحلة الثانوية أيضا باعتبارها الأقرب عمريا إلى الفئة نفسها. وعلى هذا الأساس، فإن المراهقات والمراهقين المشمولين في هذا التقرير، ينتمون إلى الفئة العمرية (15-18 سنة) في الدراسة الميدانية و(15-19 سنة) بالنسبة إلى المؤشرات العامة، وتلامذة المرحلة الثانوية بالنسبة إلى مؤشرات التعليم.

## 3. طريقة العمل والمنهجية : دراسة نوعية، واهتمام كبير بالبعد الكمي

تدخلت عدة عوامل في تحديد موضوع التقرير والبلدان المشمولة بالدراسة الميدانية التي أنجزت في إطاره، وفي تحديد كيفية مقاربته والمنهجيات المناسبة لذلك.

وحدد "كوثر" وفريق العمل الذي أشرف على إعداد التقرير والتوجهات العامة لطريقة العمل ومنهجيته بما يتناسب مع الطابع الخاص لمشروع الفتاة العربية المراهقة. وهو مشروع دراسة استطلاعية وتأسيسية، تشمل مجالا واسعا متعدد الأبعاد. ويمكن اختصار هذه التوجهات على النحو التالي :

**أولا :** الالتزام بالتقليد البحثي الذي أرساه تقرير تنمية المرأة العربية الأول، بحيث يتضمن التقرير الثاني متابعة لمؤشرات التنمية البشرية المختلفة في البلدان العربية ولأوضاع التنمية فيها عموما.

**ثانيا :** استخلاص المؤشرات الإضافية المتاحة الخاصة بالمراهقات والمراهقين من المصادر الإحصائية المتعددة وتحليل الاتجاهات العامة المؤثرة في أوضاع المراهقة في البلدان العربية كلها (22 بلدا) بما يشكل إطارا عربيا عاما للدراسة الميدانية التي اقتصرت على عدد محدود من البلدان.

**ثالثا :** إجراء دراسة نوعية باعتماد مقابلات شبه موجهة في عينة من البلدان العربية، تشمل عددا من المراهقات والمراهقين. وقد تم لاعتبارات مركبة اعتماد سبعة بلدان هي البحرين وتونس والجزائر ولبنان والمغرب ومصر واليمن. وقد تم الاختيار على أسس موضوعية تتعلق بضرورة شمول مختلف المناطق (مغرب، مشرق، وخليج) ومستويات التنمية (المرتفعة والمتوسطة والأقل نموا).

**رابعا :** اعتماد أسلوب من البحث والتحليل يستند إلى شهادات المراهقات والمراهقين وآرائهم مع عرض استشهادات من هذه المقابلات بما يدعم التحليل ويمكّن القراء من القيام بقراءات أخرى وتحليل مختلف. كما يمثل هذا الأسلوب شكلا من أشكال مشاركة المراهقات والمراهقين في صياغة محتوى التقرير من خلال نقل آرائهم وأفكارهم، واعتبارها عنصرا مكونا للمعرفة العلمية والتوصيات العملية فيما يختص بقضايا المراهقة.

وقد لحظ "كوثر" بشكل واقعي أن تحقيق هذه الأهداف الرئيسية قد يتم بشكل متفاوت. فقد يجري التقدم في معرفة بعض الموضوعات إلى مستوى يصل إلى تقديم اقتراحات أو توصيات تتعلق بسياسات وتدخلات، في حين قد يقتصر الأمر في مجالات أخرى على رصد النواقص والثغرات الأكثر أهمية ولفت الانتباه إلى ضرورة دراستها بتعمق لاحقا.

## 2. تحديد نطاق البحث في التقرير

إن الفترة العمرية للمراهقة غير محددة بدقة وترتبط في غالبية المقاربات بالبلوغ. ويتفاوت سن البلوغ حسب جملة من الخصائص من بينها خصائص فردية. فقد يبدأ البلوغ في سن التاسعة في حالات معينة، أو قد يتأخر إلى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة. أما انتهاء مرحلة المراهقة فهو يرتبط عموما "بالرشد"، وهو بدوره مفهوم غير محدد ويستعاض عنه ببلوغ سن الرشد القانوني، أي 18 سنة وفي بعض الحالات 21 سنة. وكل هذه التحديدات لا تخلو من بعض الاصطلاحية التي ترجّح فيها اعتبارات معينة على أخرى حسب الجوانب التي تعطى لها الأولوية في الدراسة أو البحث.

من ناحية أخرى، فإن التقسيمات العمرية المعتمدة دوليا لاحتساب مؤشرات التنمية والمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الأكثر تداولا، تخضع لتقسيمات خاصة. على سبيل المثال، الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل تشمل الفئة العمرية من (0 -18 سنة)، وهي نطاق عمل منظمة اليونيسف والهيئات والمجالس المعنية بالطفولة. أما الشباب في أدبيات الأمم المتحدة فهم عموما من يقع ضمن الفئة العمرية (15- 24 سنة) وهو مجال اهتمام صندوق الأمم المتحدة، للسكان والهيئات المهتمة بالمراهقين والشباب والصحة الإنجابية. وفي التقسيمات العمرية المرتبطة بالعمل، يوزع السكان على ثلاث فئات عمرية (0- 14سنة) أي من هم دون سن العمل و(15- 64 سنة) وهم يمثلون القوى العاملة، ومن تتجاوز أعمارهم 65 سنة وهم المسنون الذين يقعون خارج قوة العمل. أما فيما يخص مؤشرات التعليم، فإن التقسيم يتم على أساس المراحل التعليمية وهي عموما : المرحلة الابتدائية (6-11سنة) والمرحلة الإعدادية (12-14 سنة) والمرحلة الثانوية (15-17 سنة).

ويلاحظ من هذه التقسيمات، خاصة الأول والثاني منها، أن المراهقة غير مخصصة بالبحث كفئة عمرية مستقلة، بل هي إما مدمجة بالكامل ضمن فئة الأطفال (0-18 سنة)، وإما جزء منها مشمول بفئة الشباب (15-24 سنة). وعندما يتعلق الأمر بالأطفال، فغالبا ما يجري التركيز في الدراسات والتدخلات والسياسات على من هم دون 15 سنة، وفي السياسات الشبابية على من هم فوق 18 سنة. وبهذا المعنى فقد تم تحديد نطاق البحث في مجال غير مغطى عمليا بالدراسات والتدخلات بالقدر المطلوب، وهو الفئة العمرية التي تمتد بين (15-18 سنة).

لقد تم تحديد هذه الفئة العمرية لاعتبارات عملية لتلافي الازدواجية والتضارب، ولكي يتم التركيز على فئة محددة بوضوح، بما يسمح باستخلاص النتائج وعقد المقارنات. ولا يعتبر هذا الاختيار تعريفا للمراهقة وحصرا لها في هذه الفئة العمرية. وقد تم اعتماد هذه الفئة العمرية في اختيار العينة التي شملتها المقابلات مع المراهقات والمراهقين، مع توخي بعض المرونة في اختيار المستجوبين حيث شمل من هم دون سن الخامسة عشرة ببضعة أشهر أو يتجاوزون سن الثامنة عشرة ببضعة أشهر.

وأثناء إعداد التقرير الإقليمي، تم اعتماد المحاور الستة المشار إليها وتحويلها إلى فصول استنادا إلى تحليل المقابلات. كما تم اعتماد متغير الانتماء إلى البلد المعين بالإضافة إلى باقي المتغيرات. ولم يتم التحليل حسب البلدان بل حسب الموضوعات، دون إغفال الإشارة إلى الانتماء الوطني واعتماده كمتغير أساسي. وهكذا جاءت الاستخلاصات والنتائج معبرة عن محتوى المقابلات وعابرة للحدود الوطنية، في حين أتت الإشارة إلى الخصائص الوطنية لتدعيم هذه الاستخلاصات عند الضرورة. ويبين الجدول التالي خصائص العينة التي شملتها الدراسة الميدانية وتوزعها على البلدان المختلفة.

**جدول 1.1 : خصائص العينة**

| البلد | عدد المقابلات | | | العمر | | | | الوضعية | | | | مقابلات أخرى | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | إجمالي | فتيات | فتيان | 15 | 16 | 17 | 18 | يدرس | يعمل | تكوين مهني | أخرى | مختصون أهل | مجموعات بؤرية | استمارة |
| البحرين | 35 | 25 | 10 | 7 | 6 | 9 | 13 | 35 | 0 | 0 | 0 | 0 | - | 285 |
| تونس | 26 | 18 | 8 | 3 | 7 | 8 | 8 | 15 | 2 | 9 | 0 | 3 | - | - |
| الجزائر | 21 | 15 | 6 | 0 | 5 | 9 | 7 | 21 | 0 | 0 | 0 | 0 | 4 | - |
| لبنان | 23 | 17 | 6 | 7 | 5 | 6 | 5 | 18 | 1 | 0 | 4 | 7 | 1 | 125 |
| مصر | 30 | 20 | 10 | 7 | 12 | 7 | 4 | 26 | 4 | 0 | 0 | - | - | - |
| المغرب | 20 | 16 | 4 | 4 | 4 | 5 | 7 | 11 | 6 | 0 | 3 | 5 | - | - |
| اليمن | 42 | 27 | 15 | 11 | 8 | 14 | 9 | 33 | 2 | 1 | 6 | 12 | 1 | - |
| المجموع | 197 | 138 | 59 | 38 | 47 | 58 | 52 | 159 | 15 | 10 | 13 | 27 | 6 | 410 |

## 5. صعوبات البحث

عرف التقرير مجموعة من الصعوبات والمشكلات صاحبت مختلف مراحل الإعداد. وهي صعوبات خاصة بمرحلة التحضير وأخرى تتعلق بالتنفيذ وثالثة صاحبت مرحلة إعداد التقرير النهائي على مستوى المضمون والشكل. وفيما يلي عرض مختصر لأبرز هذه الصعوبات :

في المرحلة التحضيرية، تمثلت الصعوبات الأساسية في إعداد التصور العام للعمل والمنهجية وأدوات العمل وتشكيل الفرق لتنفيذ الدراسات الوطنية. فقد عقدت ورش عمل للجنة المشرفة والنواة الأساسية لفريق العمل وفريق كوثر تمكنت من إنجاز دليل المنهجية الموحد الذي اعتمدته الفرق الوطنية. وتمثلت الصعوبة الأساسية في هذا المستوى في التوفيق بين التحليل النوعي والتحليل الكمي الإحصائي في تقرير واحد وتكامل الأدوار بينهما بما يخدم أهداف التقرير. وقد اقتضى ذلك نقاشات مطولة استمر بعضها حتى بعد بدء العمل الميداني. من جهة ثانية، كانت هناك صعوبة أخرى تتعلق بضمان التزام جميع الفرق بالمنهجية الموحدة مع إتاحة هامش من المرونة بحكم اختلاف اختصاصات الباحثين و خصائص البلدان.

**خامسا :** التركيز على تحليل التمايز بين الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء، ورصد أشكالها الأولى في مرحلة المراهقة. وهذا الموضوع أساسي بالنسبة إلى مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"، ويتفق ومهمته الأساسية. وعلى هذا الأساس، طلب إلى الباحثين الميدانيين أن يلتزموا في اختيار المستجوبين بنسبة الثلثين للمراهقات والثلث للمراهقين.

وانبنى الهيكل العام للتقرير وفقا لذلك على قسمين رئيسيين : الأول هو الدراسة الميدانية التي شملت سبعة بلدان عربية. وهي دراسة نوعية اعتمدت على مقابلات مع مراهقات (138 مراهقة) ومراهقين (59 مراهقا) من الفئة العمرية (15-18 سنة) إلى جانب سبع وعشرين مقابلة مع أخصائيين وأولياء ومربين، و6 مجموعات بؤرية (Focus group). وقد تم تشكيل فرق وطنية في البلدان السبعة (ما عدا مصر حيث تم الاكتفاء بباحثة واحدة) كلفت بإعداد تقرير وطني عن أوضاع المراهقة كل في بلدها، حسب تصميم عام موحد. أما القسم الثاني، فهو تحليل للمؤشرات التنموية العامة والمؤشرات ذات الصلة بالمراهقات والمراهقين واتجاهات تطورها، وهو قسم إحصائي تحليلي مدعم بجداول إحصائية مفصلة في شكل ملاحق، وتم تكليف خبير إحصائي بإعداده. كما اعتمد الباحثون وسائل تحليل مكملة (الإطلاع على الدراسات السابقة، استمارات استطلاع رأي، مجموعات بؤرية...) بالإضافة إلى الأنشطة الموازية التي نظمها "كوثر" من ورش عمل وموائد مستديرة مع مختصين في المجال. وقد تم كل هذا العمل في إطار من التعاون بين كل أعضاء الفريق، من خلال الاجتماعات وتبادل الآراء عبر المراسلات الإلكترونية. وتم تنسيق العمل من قبل فريق "كوثر" ومنسق التقرير، مع مساعدة فنية وعلمية قيمة من اللجنة الاستشارية وعدد من الخبراء المتعاملين مع "كوثر".

## 4. الدراسة الميدانية : محاور الاهتمام

تعامل التقرير مع فترة المراهقة باعتبارها واقعا معيشا. وسعى على هذا الأساس إلى تغطية جوانبها وأبعادها المختلفة ومحاولة التعرف على العوامل والمتغيرات التي تؤثر فيها. وتم تحديد ستة محاور رئيسية تطرقت لها الفرق الوطنية في المقابلات التي أجريت مع المراهقات والمراهقين شكلت بدورها فصول التقرير الإقليمي وهي :

- الهوية وصورة الذات ،
- البلوغ والصحة الإنجابية والحب،
- العلاقات الأسرية،
- المدرسة والعمل،
- ثقافة المراهقة والسلوكيات،
- المواقف والقيم.

وقد غطت التقارير الوطنية كل هذه المحاور وما تتضمنه من عناوين فرعية. وفي اختيار المستجوبين، طلب من الفرق الوطنية اعتماد المتغيرات الأساسية التالية في عملية الاختيار : المتغير الاقتصادي - الاجتماعي، متغير الانتماء الجغرافي (حضر/ ريف)، متغير الانتماء الديني أو الإتني (حيث يكون ذلك مناسبا)، متغير التعليم والعمل إضافة إلى متغير الجنس وغيرها من المتغيرات الخاصة التي يراها الفريق الوطني ضرورية حسب خصائص البلد.

المقاربة والأسلوب الخاص بكل باحث واختصاصه (علم اجتماع، علم نفس...)، والحرص على إعداد تقرير منسجم من حيث المفاهيم الأساسية والمضمون وأسلوب العرض واستوجب ذلك من فريق عمل "كوثر" والمنسق جهدا إضافيا لتحرير المادة وتأمين الانسجام المطلوب، مع احترام المضمون كما جاء في النصوص المعدة من قبل الباحثين. أضف إلى ذلك أن فصلين من فصول التقرير أعدا أصلا باللغة الفرنسية. وتمثلت الصعوبة الأساسية هنا في ضعف التفاعل بين الباحثين حيث لم يبرمج لورش عمل مشتركة في المراحل الأخيرة من إعداد التقرير.

بعد إنجاز مسودات فصول التقرير، وقعت على فريق المتابعة من "كوثر" والمنسق مسؤولية كبيرة على مستوى التحرير والتنسيق وتأمين انسجام المضمون وأسلوب العرض وسد الثغرات خاصة المتعلقة منها بالاستشهادات والبحث عن مواد داعمة من دراسات أخرى وإحصاءات، إضافة إلى تحويل ملخصات المقابلات والسير الذاتية إلى نصوص صالحة للنشر. مع كل ذلك، كان لا بد من إعداد التقرير ليكون صالحا للاستخدام من قبل الباحثين وصانعي السياسات والأهل والمراهقات والمراهقين أنفسهم. والصعوبة الكبرى هنا تكمن في إمكانية التوفيق بين كل هذه المتطلبات والتنسيق بين مختلف الأطراف ثم إخراج العمل بصيغته النهائية.

ولكن التعامل مع هذه الصعوبات وتجاوزها والتغلب عليها، كان بالنسبة إلى فريق العمل تحديا مرهقا وممتعا في آن، وشكل عملا وشغفا في الوقت نفسه.

## 6. فريـــق التقريـــر الإقليمـــي

قام بصياغة فصول التقرير فريق من الباحثين استنادا إلى الدراسات الميدانية التي نفذت في البلدان السبعة بالإضافة إلى المصادر والمراجع الوطنية والإقليمية والدولية. وقد تولى كل باحث إعداد فصل أو أكثر من فصول التقرير. وقام المنسق بمساعدة فريق "كوثر" بعملية المراجعة والتوليف بين مختلف الفصول. وتجدر الإشارة إلى أن أعضاء الفريق الإقليمي كونوا في الآن ذاته، إلى جانب مديرة المشروع، الدكتورة **سكينة بوراوي**، أعضاء لجنة مشرفة على إعداد التقرير واتخاذ القرارات الحاسمة في خصوص المحتوى والشكل.

وتجدر الإشارة بداية إلى مساهمة الدكتور **Pierre Noël Deneuil** (باحث في علم الاجتماع بالمركز الوطني للأبحاث العلمية بفرنسا) في العمل التمهيدي المتمثل في إعداد مشروع الدليل الفني والمنهجي للدراسة الميدانية ودليل المقابلات.

وقد تولى الدكتور **محمد حسين باقر** (خبير إحصائي واقتصادي من العراق) إعداد القسم الخاص بالمؤشرات الكمية ذات العلاقة بموضوع التقرير وإعداد الجداول الإحصائية الملحقة. كما عمل على تقديم المشورة والمساعدة للفرق الوطنية والفريق الإقليمي في كل ما يتصل بالجوانب الإحصائية، إلى جانب مساهماته القيمة في كل مراحل إعداد التقرير.

وقامت الدكتورة **منى فياض** (كاتبة وأستاذة جامعية في علم النفس من لبنان) بصياغة فصل البلوغ والصحة الإنجابية والحب وفصل ثقافة المراهقة والسلوكيات. كما ساهمت من خلال عضويتها في اللجنة المشرفة في إعداد المنهجية وتصميم التقرير. فضلا عن اضطلاعها بمسؤولية الإشراف على الدراسة الميدانية في لبنان.

على صعيد آخر، فرض اختيار الباحثين وتشكيل الفرق الوطنية في البلدان المختارة صعوبة أخرى تتمثل في عدم وجود معلومات كافية عن الباحثين في مجال المراهقة وبما يتوافق مع المقاربة التي اعتمدها التقرير (أي عدم الاقتصار على البعد السيكولوجي). بالإضافة إلى ذلك تعددت اختصاصات الباحثين بين علم الاجتماع وعلم النفس والطب النفسي والديمغرافيا والتنمية... وكانوا أحيانا أفرادا (مصر) أو فرقا مكونة من باحثين أساسيين مع مساعدين (تونس ولبنان والبحرين واليمن)، وأحيانا أخرى مراكز بحوث (المغرب والجزائر). ولئن حققت هذه الوضعية ثراء كبيرا وفائدة في إفراز مستوى متقدم من تفاعل وجهات النظر والاختصاصات المختلفة، إلا أنها شكلت مصدرا لصعوبات فيما يتعلق بالوصول إلى تقييمات موحدة لطريقة العمل والتحليل.

وتتمثل أبرز صعوبة في المرحلة التحضيرية في التفاوت الزمني في تشكيل الفرق الوطنية وتنفيذ العمل الميداني. ففي الوقت الذي قطعت فيه بعض الفرق شوطا هاما في العمل الميداني، كانت فرق أخرى قيد التشكيل. وقد أدى هذا إلى تعقيد مهمة التنسيق وعملية متابعة الالتزام بالمنهجية الموحدة. ونتج عن ذلك أن هامش المرونة في التعامل مع مختلف الفرق تجاوز ما كان متوقعا. وبرز أحيانا بعض الخروج عن المنهجية الموحدة، مما جعل المادة أقل تجانسا فصعب استثمارها بالوجه الأمثل. ولكن بشكل عام، ساهم التنوع في الاختصاصات والمقاربات في إضفاء إيجابيات كبيرة على مستوى التقرير.

في مرحلة التنفيذ، وتحديدا أثناء القيام بالمقابلات الميدانية، برزت صعوبات من نوع مختلف أبرزها ما يتعلق باختيار العينة حسب المتغيرات المتفق عليها خاصة مع حرص الفرق على عدم اختيار الحالات المتطرفة التي لا تعبر عما هو معمم في المجتمع من سلوكيات ومواقف. من جهة أخرى، كان هناك حرص على تفادي الإطلاق وتجنب التعامل مع العينة باعتبارها عينة ممثلة للبلد المعين. وقد واجه الباحثون بشكل خاص الصعوبات الناجمة عن تحفظ المراهقات والمراهقين في التحدث في بعض الموضوعات، وأحيانا رفض الأهل لإجراء المقابلات مع أبنائهم. وفي خصوص مكان إجراء المقابلة، حرص الباحثون التزاما بما جاء في الدليل المنهجي، على إجرائها في أماكن مريحة للمراهقات والمراهقين وبعيدا عن رقابة الأهل، ولكن ذلك لم يكن متاحا دائما. كما قوبل تسجيل المقابلة بالرفض في العديد من الأحيان، أو اشتراط تفريغ شريط التسجيل الصوتي في حضور المستجوب نفسه ثم إتلافه. وأحيانا كان الاختلاف في العمر أو الاختلاف في الجنس عاملا معوقا أمام حرية الكلام لدى المستجوب خاصة عند الحديث في أمور الجنس والصحة الإنجابية.... وواجه المنسق صعوبة على مستوى اللغة واللهجات مما استوجب منه جهدا إضافيا. فقد أعدت بعض المقابلات والتقارير في بلدان المغرب باللغة الفرنسية. كما تم استخدام اللهجات المحلية حرصا على احترام نقل المعاني والانطباعات بأكبر قدر ممكن من الدقة.

كان هناك في المرحلة الأولى من إعداد التقرير الإقليمي اتفاق على تصميمه وفصوله ومحاوره الداخلية وتوظيف المقابلات والتوفيق بين عرض المقابلات وتحليل المؤشرات العامة والجداول الإحصائية التي تشمل كل البلدان العربية. وكان هناك أيضا اتفاق على اتباع خطوط عامة مشتركة في عمل الباحثين الذي قاموا بإعداد التقرير الإقليمي، مع المحافظة على تميز

# مدخل نظري

## مقدمة

قبل أربعة آلاف عام، ترك لنا أحد كهنة مصر الفرعونية هيروغليفا يقول فيه :

" لقد بلغ عالمنا مرحلة حرجة : فالأولاد لا يصغون إلى أهلهم. لا شك أن نهاية العالم قد أصبحت قريبة". (كاهن مصري - 2000 سنة قبل الميلاد)[1].

إنه تشابه لافت للنظر في شكوى الأهل من عصيان أولادهم اخترق أربعة آلاف سنة من الزمن، شهدت فيها مصر والعالم تغيرات في كافة أحوال "العمران"، في المجتمع ومؤسساته، في الاقتصاد وأنماط العيش، في نظم الدولة والمؤسسات السياسية، وفي الدين والثقافة...

وبعد ألف عام من الهيروغليفيا الفرعوني، وفي إقليم آخر مما سيصبح لاحقا العالم العربي، كتب أب بابلي على آجر اكتشف في آثار بابل شكوى أخرى. قال :

"هذه الشبيبة فاسدة في صميمها. إن شبان اليوم سيئون وكسالى ولن يشبهوا أبدا شباب الأيام الغابرة. إن شبان اليوم أعجز من أن يحافظوا على ثقافتنا". (نص منقوش على آجر في آثار بابل، على الأقل 1000 سنة قبل الميلاد)[2].

نقف هنا أيضا على تشابه آخر في نظرة الآباء للأجيال الشابة، والمقارنة النوستالجية بين جيلين متعاقبين، حيث يبدو جيل الأبناء سطحيا وغير مسؤول مقارنة بجيل الآباء. إشكالية معاصرة هي الأخرى، إلا أن عمرها 3000 عام، ولكننا نجد تقييمات مشابهة لها عند أشخاص معاصرين.

يقول رجل الدين اللبناني المثقف والناشط الاجتماعي الذي تمت مقابلته في إطار إعداد هذا التقرير مقارنا الجيل الذي ينتمي إليه مع الجيل الحالي :

"قضية فلسطين والنكبة أثرت بنا. كان خير الأمة فيها : نمونا على الجرح والحلم معا، يأتي أحدهما من الآخر. أطللنا على قضية الإنسان، المحرومين، الكادحين، وناضلنا من أجل الوحدة العربية. أسسنا ناديا ومستوصفا ومسرحا، كتبنا نصا ومثلنا عن المعاصرة والحداثة والكلاسيكية... الآن لا وجود لقضية عامة كانت في الماضي ناظما لذهنية جيل كامل. القضايا العامة ومسألة العدالة غير مطروحة، وعندما يحرم المراهق من القضايا العامة يركز على شأنه الخاص. وعندما عدنا نحن إلى قضايانا الخاصة، تحولنا إلى مثال سيئ". (رجل دين لبناني، 2002).

**(1)** Diaz B. et Lietard-Dulac B., Contre violence et mal-être, la médiation par eleves, Nathan, Paris, 1998. Cite par Lebailly Philippe, La violence des jeunes, comprendre et prevenir, éditions ASH, Paris, 2001.

**(2)** المرجع السابق.

وتولت الدكتورة **درة محفوظ** (أستاذة جامعية في علم الاجتماع من تونس) كتابة الفصل الخاص بالعلاقات الأسرية. كما ساهمت من خلال عضويتها في اللجنة المشرفة في وضع المنهجية وتصميم التقرير وتدقيق مسار العمل في إعداد التقرير. بالإضافة إلى مشاركتها مع الدكتور عماد مليتي في إنجاز الدراسة الوطنية التونسية.

وقام الدكتور **عماد مليتي** (أستاذ جامعي في علم الاجتماع من تونس) بإعداد وثيقة عمل أولية شكلت نقطة انطلاق المشروع إذ تضمنت إشكاليات المراهقة في المجتمعات العربية ومقترحا لمنهجية الدراسة. كما تولى كتابة الفصل الأول عن الهوية وصورة الذات بالإضافة إلى مساهماته في وضع المنهجية وتصميم التقرير من خلال عضويته في اللجنة المشرفة ومشاركته مع الدكتورة درة محفوظ في إنجاز الدراسة الوطنية التونسية.

وتولى الأستاذ **أديب نعمه** (مركز الدراسات الإنمائية -مدا- مدير مشروع بناء القدرات للحد من الفقر، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي/وزارة الشؤون الاجتماعية بلبنان) مسؤولية التنسيق ومتابعة عمل الفرق الوطنية والباحثين الذين اضطلعوا بمهمة إعداد التقرير الإقليمي. كما تولى مسؤولية إعداد الإطار العام بمختلف مكوناته والفصل الخاص بالمدرسة والعمل وفصل المواقف والقيم بالإضافة إلى إعداد الملخص التنفيذي والخلاصات والتوصيات وصياغة كل المؤطرات الواردة في التقرير. كما قام بمراجعة الفصول، إلى جانب مساهمته كعضو في اللجنة المشرفة في إعداد المنهجية وتصميم التقرير.

وأخيرا، تولت السيدة **اعتدال المجبري** (مسؤولة الإعلام والاتصال في "كوثر")، الإشراف على فريق الدعم والمتابعة في مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، وأمنت التواصل بين أعضاء الفرق الوطنية والفريق الإقليمي والمنسق. كما تولت متابعة عملية التصحيح ومراجعة النصوص وإعدادها للطباعة وإخراجها. بالإضافة إلى مساهماتها المختلفة في أعمال اللجنة المشرفة وتنظيم ورش العمل في مراحل إعداد التقرير.

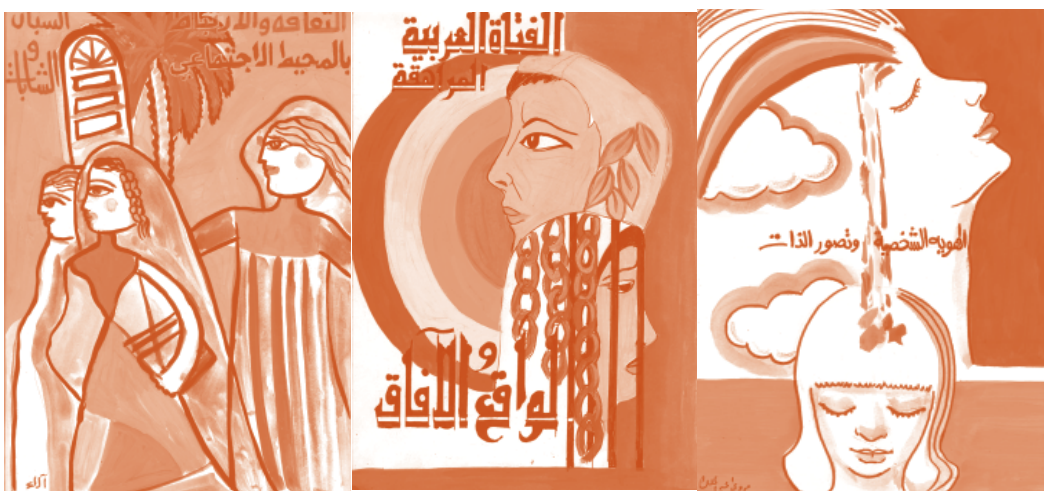

وبقدر ما تشكل هذه النصوص إضاءة وصفية لعلاقة الأجيال في العصور الغابرة، بقدر ما تطرح أيضا على المفهوم المعاصر للمراهقة أسئلة تنبع من ظاهر التشابه والاستمرارية اللافتين للنظر. أولها، كيف تكون المراهقة "ظاهرة" حديثة، رغم هذا التشابه اللافت للنظر الذي عبرت عنه النصوص القديمة ؟

إن بعض الخصائص الثابتة نسبيا أو العبر تاريخية[7]، من نوع الاحتكاكات المتشابهة بين الأجيال وبين الآباء والأبناء ودور الصداقة والحب... إنما هي ناتجة عن بعض خصائص الإنسان من حيث هو نوع بيولوجي- اجتماعي، وعن خصائص المؤسسات والأدوار الاجتماعية التقليدية والعبر تاريخية أيضا، لاسيما مؤسسة العائلة وأدوار التواصل بين الأجيال ونقل المعارف والتقاليد. وهذا ما يفسر وجود تشابه واستمرارية في بعض الظواهر المرتبطة بهذه الأبعاد. إلا أنها مؤسسات وأدوار تتحرك في بيئات مختلفة جذريا، وبالتالي تكمن خلف التشابه العام، أو التشابه الظاهري أحيانا، اختلافات عميقة نابعة من الشروط المحيطة التي تشكل الإطار العام المحدد لظاهرة المراهقة وتطورها.

## 1. المراهقة العربية : الإطار النظري

يتحدد الإطار النظري العام لتناول مسألة المراهقة في هذا التقرير وإشكالياتها في المجتمعات العربية على النحو التالي :

**1.1** التطرق إلى المراهقة باعتبارها حالة متولدة عن التفاعل العلائقي بين المراهقة أو المراهق والتحولات الفيزيولوجية والمعرفية والنفسية التي تبدأ عموما مع عملية البلوغ، وبين البنى الاجتماعية بمؤسساتها المختلفة الممتدة من العائلة والمدرسة، إلى الاقتصاد وسوق العمل، وصولا إلى مجمل التنظيم الاجتماعي، بما فيه مؤسساته السياسية والإيديولوجيات ومنظومات القيم، من جهة أخرى. ومن ثمة تكون إشكالية المراهقة وخصائصها متحركة، ذلك أن أي تغير في العوامل والبنى الفاعلة في أحد الطرفين (الفرد والمجتمع) ينتج عنه توصيف مختلف للإشكاليات والخصائص المحددة للمراهقة في مجتمع وزمان تاريخي معينين.

**2.1** إن المتغيرات التي تؤثر في تحديد خصائص المراهقة، وخصائص المراهقات والمراهقين كأفراد يعيشون في مجتمع معين، يمكن أن تكون من النوع التالي :

**أ** - متغيرات ناتجة عن الخصائص الفردية للمراهقة أو المراهق نفسه،

**ب** - متغيرات تتعلق بخصائص العائلة باعتبارها المؤسسة الأكثر أهمية التي يعيش فيها الإنسان في فترتي طفولته ومراهقته،

**ج** - متغيرات تتعلق بجملة المؤسسات الاجتماعية التي تطال حياة المراهقة والمراهق، والمجتمع في كليته، كالمدرسة ووسائل الإعلام وسوق العمل وشبكة المؤسسات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية...

(7) نقصد بتعبير عبر تاريخي، بعض الخصائص والظاهرات التي لا يقتصر وجودها على مرحلة تاريخية محددة، بل تملك خاصية الاستمرار في مجتمعات شهدت تحولات هامة على الصعد الاقتصادية والاجتماعية.

وفي الجهة الأخرى من البحر المتوسط، في اليونان القديمة حيث استقى عصر النهضة الأوروبي منابعه ومثله بعد عصور الظلام في القرون الوسطى، وصف أفلاطون العلاقة بين الشاب ووالده وأستاذه فكتب :

"الوالد يخشى أولاده، والإبن يعتبر نفسه مساويا للأب ولا يكن لأهله أي احترام أو مهابة. كل ما يريده هو أن يصبح حرا. الأستاذ يخاف تلامذته. والتلامذة يمطرون أستاذهم بالإهانات. الشبان يريدون فورا أن يأخذوا محل الكبار، والكبار يوافقون على هذه الاستقالة خوفا من أن يبدوا محافظين ومستبدين. وفوق كل ذلك، يطالب الشبان بتجاوز الحدود بين الجنسين باسم الحرية والمساواة..." (أفلاطون، 427-347 قبل الميلاد)[3].

نلمس من خلال نص أفلاطون تشابها في وضعية الأب والأستاذ. وفيه أيضا إشارة إلى استقالة الكبار منذ ذاك التاريخ عن أدوارهم مخافة أن يبدوا متخلفين عن قيم العصر. وخلافا للنصين السابقين، تبدو هنا قيم الشباب هي المرجع المسيطر، لا بفضل أفضليتها بل بفعل تسلط الشبان واندفاعهم وعدوانيتهم على الكبار تحت شعارات الحرية والمساواة والتحرر.

في النص الأفلاطوني بداية تعرف إلى دينامية صراع الأجيال ومواقف طرفيها. وهي أيضا إشكالية معاصرة، حيث يبدو آباء وأمهات اليوم أكثر استعدادا للاستقالة عن أدوارهم التقليدية السلطوية لصالح أبنائهم، خاصة في المجتمعات الصناعية المتقدمة وفي الأوساط العربية الحضرية الميسورة والمتأثرة بقيم الحداثة.

"نشهد اليوم ظاهرة غياب أو ضعف دور الناقل passeur الذي يقوم به الكبار لمساعدة المراهقين على الدخول في التبادل الاجتماعي. إنها ليست مسألة استقالة وعدم انضباط، بل يتعلق الأمر بالعجز المتزايد عن تقديم نظام مرجعي ورموز بنائية تتعلق بعمل المجتمع. ومع تراجع دور الأب، تتراجع أهمية بعض القيم مثل الاحترام والطاعة والانضباط واحترام المؤسسات . إلا أن الأهل لم يستقيلوا طوعا عن دورهم التربوي؛ لقد سرحهم المجتمع من هذا الدور... إن الأخوة حلت محل الأبوة".
(La violence des jeunes - 2001 )[4].

"إن الأباء باتوا يتصرفون مثل أبنائهم" (أب مغربي 2000، CERED)[5]

وإذا كان بعض الشبان العصريين، يقضون وقتهم يمرحون ويلهون في المدن العربية، فإن ذلك لا يبدو مختلفا كثيرا عن سلوك شبان أيام الجاهلية، كما يصفه جواد علي في كتابه الموسوعي "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"[6].

"وشباب الجاهلية مثل شباب أهل كل زمان، لا يختلفون عنهم بشيء، في تأنق بعض منهم وفي محاولته إظهار شبابه تجاه البنات. فكان شباب القرى والمدن... يتسكعون في الأسواق ومواضع التجمع... ليعبثوا في كلامهم مع البنات وليتحدثوا إليهن، شأن أي شاب في هذه الدنيا بالنسبة إلى الشابات".

**(3)** المرجع السابق .
**(4)** المرجع السابق .
**(5)**- CERED, l'adolescence en question : Analyse des resultats de l'enquête sur l'Adolescent en milieu urbain, 2000.
**(6)** جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، دار العلم للملايين، ط**2**- بيروت **1977**.

• المجتمع الحديث الرأسمالي أساسا، ثم في تنويعاته الأخرى كالأنظمة الاشتراكية والوطنية أو القومية... هنا أصبح بالإمكان الحديث عن المراهقة ك"ظاهرة" اجتماعية. كما أصبحت التجربة الفردية للمراهقة والمراهق مندرجة أكثر فأكثر في سياق الظاهرة الكلية، التي باتت لها أهمية أكبر. فالمراهقة اعتبارا من العصر الحديث، صارت تتحدد اجتماعيا بالدرجة الأولى، وأصبح من الأهمية بمكان البحث في الخصائص والتحولات الاجتماعية، باعتبارها عنصرا أساسيا ومحددا في تكوين هذه المرحلة وتحديد خصائصها والتأثير في مسار تطورها.

## 2. المراهقة : مفهوم حديث

المراهقة كمرحلة عمرية متميزة لم تكن معروفة في كل المجتمعات. فالتقسيم البسيط لدورة الحياة قبل العصر الحديث، كان يقتصر عموما على أربع فئات : الطفل والولد والراشد، والكهل[11]. وقسمها "إخوان الصفاء" إلى خمس على النحو التالي : الطفولة (من الولادة إلى سن الرابعة)، الصبا (5 –14 سنة)، الشباب (15-30 سنة)، الحكمية (40–50 سنة)، الملكية (من سن الخمسين إلى الوفاة)[12]. وثمة تقسيمات أخرى متعددة بتعدد الاهتمامات ومجالات الاختصاص، إلا أنها تشترك جميعها في عدم تخصيص مرحلة لما يعرف اليوم بالمراهقة، باعتبارها مرحلة مستقلة عن الطفولة أو الشباب.

ويشكل كتاب جان جاك روسو "أميل" أحد الإرهاصات الأولى في استخدام مفهوم المراهقة بمعنى قريب من استخدامه العلمي المعاصر، حيث خصص الجزء الرابع من هذا الكتاب للحديث عن هذه المرحلة من عمر الشباب، واعتبرها "ولادة ثانية" ". ونقول إننا نولد مرتين، الأولى لنكون، والأخرى لنحيا، والأولى للنوع والأخرى للجنس... ويشابه هذا الانقلاب العاصف هدير البحر، الذي يسبق الزوبعة من بعيد، فينبئ ... بما يكون من تغيير في المزاج ومن كثرة الاحتداد ومن هياج دائم في النفس يجعل الولد غير قابل للانقياد تقريبا..."[13]

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، تزايد الاهتمام بهذه الفئة العمرية التي تبدأ مع البلوغ. وكان لهذا الاهتمام مداخل متعددة ذات طابع بيولوجي وسيكولوجي وتربوي وانثروبولوجي. وجاء في كتاب ستانلي هال "سيكولوجيا المراهق" – Adolescence its psychology الذي صدر عام 1903، أول استعمال علمي لمفهوم المراهقة كما استقر في استخداماته المعاصرة. ثم أتت أعمال عالمة الانتروبولوجيا الأميركية مارغريت ميد، عن المراهقة في المجتمعات البدائية في جزر الساموا، لتؤسس للمقاربة الانتروبولجية والسوسيولوجية التي تعدّ المراهقة مرحلة تتحدد اجتماعيا وتاريخيا وثقافيا. كما بينت أن أزمة المراهقة هي وليدة العلاقة بين المجتمع والمراهق والتوقعات والإحباطات المتواجهة، ولا تنبع من الخصائص النفسية للفرد في هذه المرحلة العمرية[14]. أما المساهمات العربية في هذا الشأن، فأتت في مرحلة متأخرة عن مرحلة التأسيس هذه، باعتبار أن المجتمعات الأوروبية نشأت فيها قبل غيرها الضرورة الاجتماعية والمعرفية التي أدت إلى إنتاج الأبحاث عن المراهقة بفعل التحولات التي حصلت في المجتمع.

**(11)** - Traité de psychologie de l'enfant, publie sous la direction de Helene Gratiot-Alphandery et Rene Zazo. 5- La formation de la personnalité , par Philippe Marlieu, Suzanne Marlieu et Daniel Widlocher, PUF, Paris 1973

**(12)** - أوردها : أحمد عبد الله : "قضية الشباب مصريا وعربيا وإسلاميا ودوليا". مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، القاهرة، 1994.

**(13)** - جان جاك روسو، اميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر 1956.

**(14)** - هذا العرض هو تكثيف مستقى من مصادر عدة :
- غسان يعقوب، ليلى دمعة يعقوب : "سيكلوجيا النمو عند المراهق، الجزء الأول". دار النهار للنشر، بيروت (السنة غير مذكورة).
- المنجي الزيدي، مرجع مذكور.

- Ola Stafseng, Nordic youth research coordinator, Conditions and prospects for youth research in 1990s: policies and content. (Internet address: www.alli.fi/nyri/nyris/nyris5/olast.htm.
- Traité de psychologie de l'enfant, op.cit

- أعمال الباحثين في الفرق الوطنية المساهمة في إعداد التقرير .

د - متغيرات تتعلق بالتنظيم الاجتماعي الكلي في بعده السياسي، والايديولوجيات، والثقافة والتقاليد والقيم الناظمة للحياة الاجتماعية وما يتفرع عنها من نماذج مثالية وتصورات للحاضر والمستقبل بشكل خاص ومساحات التفاعل وديناميات التغيير أو آليات إعادة إنتاج الواقع بمستوياته المختلفة والتفاعل مع مفاهيم الحداثة والعولمة ودرجة الانفتاح والانعزال...

وفي إطار التفاعل بين مختلف المتغيرات المشار إليها، فإن المراهقة كتجربة فردية معيشة، تكون ذات خصائص مختلفة، وتتفاعل بقوة مع التنظيم المجتمعي العام. وفيما يخص الأثر المباشر على أوضاع المراهقة والشباب، والعلاقة بين الأجيال، يمكن تمييز أنواع التنظيم التالية [8] :

- المجتمعات البدائية بسيطة التكوين من النمط "الديمقراطي" [9]. وأحد أمثلتها القبائل البدائية كالتي درستها مارغريت ميد في جزر الساموا. وفي هذه المجتمعات، هناك تطابق بين البلوغ الجنسي والرشد الاجتماعي، ويتم الانتقال بشكل بسيط نسبيا من الطفولة إلى الشباب فالرشد داخل الجماعة حيث الأدوار الاجتماعية واضحة وغير معقدة. ولا تترافق "المراهقة" في هذه المجتمعات مع مظاهر "أزمة".

- المجتمعات المدينية القديمة، ومن أمثلتها المجتمعات في الحضارة الفرعونية وحضارة بلاد ما بين النهرين والحضارة الاغريقية... وفي الاستشهادات التي وردت أعلاه من هذه الحضارات القديمة، ما يشير إلى درجة من التعقيد وإلى درجة من التصادم بين جيل الشباب وجيل الكبار. وهو تصادم موضوعه الأساسي الموقف من المؤسسات والثقافة السائدة والأدوار الاجتماعية. وتتوقف درجة التأزم في هذه العلاقة هنا على الهرمية الاجتماعية ودرجة المرونة في الهياكل الاجتماعية وإمكانيات الحراك الاجتماعي العام والفردي، ودرجة التقدم الثقافي علاوة على الدينامية الاجتماعية السائدة في المجتمع، في مراحل التقدم أو مراحل الركود والانحطاط.

- المجتمعات القائمة على بنية قبلية مهيكلة، وهي بنية غير ديمقراطية عموما (وهذا ما يميزها عن النمط البدائي "الديمقراطي")، منحازة ضد المرأة وصغار السن بحكم طابعها الأبوي والذكوري. وبشكل عام، فإن سلبيات النسق القبلي تزداد عندما يحصل تزاوج بينه وبين الحياة الحضرية [10]، حيث تفقد الأشكال التقليدية البسيطة للتواصل بين الأجيال ونقل المعارف جانبا أساسيا من دورها لصالح مؤسسات "الدولة"، في حين تتكرس المفاهيم الذكورية على مستوى المجتمع مع تقييد الحراك الاجتماعي. وتتفاقم هذه السلبيات في عصور الركود والانحطاط.

- المجتمعات التقليدية التي سبقت الرأسمالية مباشرة. وهي مجتمعات ذات خصائص مختلفة، ولكن تشترك في طابعها الأبوي، وبدأت تتراكم فيها عناصر تأزم اجتماعي شديد، بين القوى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي مهدت لولادة الرأسمالية الحديثة (في المجتمعات الأوروبية)، وبين القوى المرتبطة بالنظام التقليدي. وفي هذه المجتمعات، بدأت تتكون المراهقة كفئة اجتماعية بالمعنى الحديث.

**(8)** - إن التقسيم المقترح هنا لأنواع المجتمعات ليس تقسيما حصريا ولا شاملا. إنه تقسيم وظيفي مرتبط بالجانب العلائقي بين المراهق الفرد والمجتمع وعلاقات الصراع بين الأجيال، ومتصل بما يمكن اعتباره نقاط الاحتكاك الأساسية المصاحبة لهذه المرحلة العمرية.

**(9)** - المقصود المجتمعات غير الهرمية، والتي تتميز بنسبة عالية من المشاركة بين أعضائها، تنظمها قواعد سلوكية ونظام من العلاقات المبنية على العادات والعرف. ونظرا لأن هذه المجتمعات تتسم بعدم اللجوء إلى القمع من خلال أجهزة مستقلة عن المجتمع، وتستند إلى درجة عالية من تقبل القواعد السلوكية واستبطانها من قبل أعضائها، فقد تم وصفها تجاوزا بالديمقراطية نظرا لخصائصها هذه.

**(10)** - "ما نراه اليوم من اعتكاف النساء في بيوتهن ومن عدم اختلاطهن بالرجال ومن التشدد في الحجاب وأمثال ذلك، هو بين أهل الحضر خاصة. وقد كان هذا التحفظ معروفا نوعا ما عند أهل الحواضر والقرى في الجاهلية، إلا أن التزمت والتشدد في وجوب ابتعاد الرجل عن المرأة وانفصالهما بعضهما عن بعض إنما نشأ في الاسلام بسبب تغير الظروف واختلاط العرب بالأعاجم، وظهور حالات جعلت العوائل الكبيرة تحرص على حصر المرأة في بيتها. أما في البادية، فإن المرأة لا تزال تشارك الرجل في أعماله وتجالسه وتكلمه ولو كان غريبا عنها، لأن محيط البادية محيط بعيد عن مواطن الريبة والشبهات، وينشأ البنات والأولاد فيه سوية، ويلعبون سوية، ويشبون سوية، ولذلك لم تنشأ عندهم القيود والحدود التي تفصل بين المرأة والرجل. وقد كان حال المرأة الإعرابية على هذه الحال في الجاهلية". جواد علي، مرجع مذكور.

الوقت نفسه مشكلة الزواج المتأخر، والتي تفاقمت بسبب ارتفاع تكلفة الاسكان والبطالة الواسعة بين الخريجين، فقد أهملت الأدبيات هذا الوضع الخاص كما أهملته غالبية الهيئات المعنية بقضايا الشباب. في غضون ذلك، لم توفر الأدبيات الدولية سوى القليل من النماذج المفيدة بالنسبة للتفكير حول واقع النشء المصري... فقد بدا أيضا أن الأدبيات تغفل العديد من الجوانب المهمة لحياة النشء والتي تؤدي إما إلى الحرمان أو إلى تحسين الفرص في المستقبل، مثل ترك المدرسة، وشغل الأدوار المتصلة بالعمل، ودخول الحياة الزوجية..."[16].

ويسعى التقرير الحالي إلى الانطلاق من إشكاليات وطنية وعربية والانفتاح والتفاعل الحي مع الطروحات العالمية، لاسيما المتقدمة منها. كما يسعى إلى إتاحة المجال للمراهقات والمراهقين أنفسهم للتحدث عن مراهقتهم، وإدماج وجهة نظرهم كعنصر أساسي مكون للنظرة إلى المراهقة وإشكاليتها والمشكلات والحلول المقترحة.

## 3. تعريف المراهقة : مقاربات عدّة

يتطلب فهم المراهقة والإحاطة بأبعادها ومستوياتها المختلفة، اعتماد مقاربة متعددة الأبعاد تتناسب مع الطابع المتداخل لحياة المراهقة أو المراهق وسلوكه، وهو ما يشكل شخصيته الإنسانية كفرد وكعضو في الجماعة من جهة، وتتناسب من جهة أخرى مع اعتبار المراهقة "ظاهرة" اجتماعية تقع في مجال اهتمام مشترك لعلوم النفس والتربية والاجتماع والعلوم الاجتماعية عامة. وفي هذا السياق، لا بد من الاستفادة من الإسهامات الكثيرة التي قدمتها المقاربات المتخصصة المختلفة على امتداد القرنين الماضيين. ويمكن تصنيف هذه المساهمات ضمن خمسة أنواع أساسية، تتكامل في طبيعة المعارف والإضاءات التي تقدمها :

**المقاربات الفيزيولوجية :** وهي التي تعنى بالتحولات الجسدية - الفيزيولوجية التي يعيش فيها المراهق - الإنسان كنوع بيولوجي. وتركز هذه المقاربات على مسائل النمو الجسدي والجنسي والتمايز بين الفتى والفتاة...

**المقاربات السيكولوجية :** وهي تتعامل بالدرجة الأولى مع المراهقة والمراهق بصفتهما أفرادا يمتلكون قدرات عقلية وشعورية. إن التحولات الجسدية والبلوغ ونمو الدافع الجنسي وكذلك تطور القدرات العقلية والسعي إلى الخروج من حالة الطفولة إلى بناء الشخصية المستقلة والتحول الحاصل في علاقة الطفل بأهله ومحيطه المباشر ... تشكل العناصر المفاتيح التي ترتكز عليها المقاربات السيكولوجية في طرحها لعالم المراهقة أو المراهق ولمفهوم المراهقة. وتنفتح هذه المقاربات على وصف هذه المرحلة باعتبارها انتقالا وتغيرا في الوضعية ومرحلة تعلم فردي وتأرجحا في الانتماء والبحث عن الذات، تتسم غالبا بالتوتر في العلاقة بين المراهقة أو المراهق والأهل ومن يماثلهم في الوضعية والوظيفة. كما تعطي المقاربات السيكولوجية أهمية كبيرة لمفهوم "الأزمة" في المراهقة، سواء كانت فردية أو ذات تمظهرات جماعية، بما في ذلك انتشار أنماط سلوكية محددة في أوساط المراهقات والمراهقين، وصولا إلى مظاهر الرفض والعنف و"الجنوح" وغيرها من مظاهر القلق الاجتماعي. وتشمل أيضا

**(16)** الانتقال إلى مرحلة النضج: مسح قومي حول النشء في مصر. مجلس السكان الدولي - المكتب الاقليمي لمنطقة غرب آسيا شمال افريقيا: مركز البحوث الاجتماعية - الجامعة الاميركية القاهرة: المعهد العالي للصحة العامة - جامعة الاسكندرية: قسم الصحة العامة وطب المجتمع - جامعة أسيوط: القاهرة - الطبعة الثانية 1999-2001.

وسرعان ما خرج الاهتمام بالمراهقات والمراهقين عن نطاقه الضيق المرتبط بالطب والبيولوجيا ثم السيكولوجيا إلى نطاق أوسع انطلاقا من الحاجات التربوية والمدرسية والاجتماعية العامة التي تطلبت فهم بدايات الاضطرابات النفسية والجسدية المصاحبة لفترة المراهقة، بالإضافة إلى دراسة السلوك الرفضي وجنوح المراهقين. وحملت الستينيات معها رياحا جديدة، لا سيما بعد حركات الطلاب في أيار- ماي 1968، حيث دخلت دراسة الشباب والمراهقين مرحلة جديدة تميزت بتزايد الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية والتاريخية بعد أن بدأ ينظر إلى الشباب والمراهقين باعتبارهم فئة أو "جيلا" ذا خصائص متميزة تجعل منهم ظاهرة اجتماعية على مستوى البلد المعين، وعلى المستوى العالمي أيضا.

ومن جهة أخرى أسهمت الأنساق الاقتصادية الاستهلاكية في تعزيز تكون المراهقين كفئة استهلاكية وذلك من خلال التوجه إليهم كسوق واسع من المستهلكين لأنواع معينة من السلع الخاصة بهم، كالسلع الرياضية والموسيقية والملابس والموضة والغذاء والأجهزة الإلكترونية ومنتجات الحاسوب والتقينات المتقدمة والإعلام الجماهيري المعولم (المحطات الفضائية).

على صعيد آخر، وضعت في إطار الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية، مجموعة من الأهداف العالمية العامة التي يتصل البعض منها بالمراهقين والشباب، لاسيما في مجالات السياسات السكانية والصحة الإنجابية وإصلاح نظم التعليم وإلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة وسد الفجوة بين الفتيات والفتيان في مجال التعليم وفي السلوكيات الأسرية والاجتماعية...

كما كانت هناك اهتمامات أكثر تسييسا، مرتبطة بردود الفعل الثقافية على العولمة، وتنامي التيارات التعصبية والانغلاق القومي والعرقي، وتزايد الصدامات وأعمال العنف النابعة من كره الأجانب xenophobie والاحتكاك بين مواطني البلدان المستقبلة للعمالة الأجنبية والعمال المهاجرين... لذلك ازدهرت مؤخرا الدراسات المنطلقة من نظرات "مركزية أوروبية" eurocentrique أو "مركزية أميركية" لفهم ما يعتبر "ثقافات" أو حالات اجتماعية "أخرى". فجرى الاهتمام بدراسة الشباب والمراهقين في روسيا وأوروبا الشرقية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين وكذلك في المناطق التي شهدت نزاعات طويلة وعنيفة مثل البوسنة والهرسك وفلسطين... فضلا عن الاهتمام المتزايد بدراسة خصائص الشباب العرب والمسلمين، بحكم ارتفاع أعداد الجاليات العربية في القارتين الأوروبية والأميركية، ولاعتبارات إضافية تتعلق بأحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 وتداعياتها[15].

وتجدر الإشارة إلى ضرورة الوعي بالتفاعلات المحتملة بين الاتجاهات العالمية في دراسة المراهقة وبين الاتجاهات الوطنية والإقليمية. فالأولويات والأهداف قد لا تتطابق تماما. فقد جاء في مقدمة الفصل الأول من المسح القومي حول النشء في مصر"وقد تبين أن الافتراضات السائدة محليا حول النشء لم تكن تتماشى مع الحقائق الجديدة. على سبيل المثال، في حين اهتم العديد من الباحثين ووكالات التنمية بتأثيرات الزواج المبكر على الفتيات، أظهرت البيانات المتوفرة تراجع هذه الظاهرة بسرعة كبيرة نسبيا. وفي حين واجه عدد متزايد من الشباب في

(15) - Ola Stafseng, op.cite

السيكولوجية للمراهقة[18]. وكان الأمر على هذا النحو في القبيلة العربية في الجاهلية "فإذا بلغ الطفل، صار رجلا، وجاز له حينئذ أن يفعل فعل الرجال. واحتفل أهله بذلك عند الصنم (Oratal) الذي يقابل الإله باخوس عند اليونان. ويبلغ الاحتفال غايته عند قص الضفائر ورميها أمامه، لأن ذلك معناه عندهم دخول الشاب في مرحلة الرجولة، ودخوله في عبادة هذا الإله"[19].
والمجتمع العربي - الإسلامي القديم كان يعتبر البلوغ الجسدي علامة الانتقال من عالم الطفولة إلى عالم الشباب والرجولة، بالنسبة إلى الفتيان والفتيات على حد سواء. فكانوا يتحملون مسؤوليات اجتماعية وجهادية ويتزوجون في سن مبكرة تلي البلوغ مباشرة. إن المتغير الثقافي-الاجتماعي إذن، هو الأساسي والحاسم في نشوء التوتر النفسي والاجتماعي المصاحب للمراهقة كما عرفتها مجتمعات الحداثة، لاسيما الصناعية المتقدمة منها. إن الأزمة لا تكون إلا بصفتها علاقة متوترة بين المراهق والمجتمع. والمجتمع هو المعطى الأولي الذي لا بد من دراسته باعتباره الخلفية المفسرة للمراهقة كوضعية اجتماعية وفردية مأزومة كانت أو غير مأزومة.

إلا أن المدخل الأنتروبولوجي لم يكن سوى نقطة البداية للمقاربات السوسيولوجية الأكثر شمولا. ووفق هذه المقاربة اعتبرت المراهقة "ظاهرة" اجتماعية متفاعلة مع مكونات المجتمع وديناميّاته. وبناء عليه يمكن فهمها من منظور التغير الاجتماعي من المجتمع التقليدي إلى الحداثة فالعولمة، ومن منظور الأدوار الاجتماعية المتطورة للعائلة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية، أو من منظور تطور المفاهيم والأدوار داخل الأسرة نفسها ولاسيما بين الأبناء والأهل. كما مكنت هذه المقاربات من دراسة تكوّن خصائص "جيل" معين من المراهقات والمراهقين، وأنماط السلوك والثقافة الخاصة التي تميزهم، ودور العوامل الدينية والأيديولوجية والحركات السياسية، وتنامي تأثير جماعة الأصدقاء مقارنة بالأهل، بالإضافة إلى اعتماد المقاربات السوسيولوجية في تفسير ما يعتبر سلوكا غير اجتماعي أو عنفا أو جنوحا في صفوف المراهقات أو المراهقين.

من المقاربات التي يمكن إدراجها، المقاربات الديمغرافية بشكل خاص التي تعطي الأولوية لتناول المراهقة عمليا بصفتها مرحلة عمرية مقترنة بنوع معين من الاحتياجات والمشكلات ومنها على سبيل المثال مسألة الخصائص الديمغرافية ومعدلات الإعالة والإسقاطات السكانية وما يتصل بها من احتياجات تتعلق بالتمدرس وسوق العمل.

ومن المسائل التي تستقطب الاهتمام أيضا كل ما يتصل بالصحة الإنجابية والحقوق الإنجابية للمراهقات والمراهقين ومشكلات البطالة وتأخر سن الزواج أو الزواج المبكر والدخول المبكر في سوق العمل... وهذه كلها نماذج عن مقاربة خاصة قد تبدو مستقلة بذاتها تتنزل ضمن مفهوم التنمية أو التنمية البشرية، إلا أنها تبقى مقاربة محدودة الفاعلية في حال تم اجتزاؤها ولم تدرج في الإطار الأكثر شمولا للمقاربات السوسيولوجية أو المركبة. فمع المقاربات السوسيولجية، بات ينظر إلى المراهقة نظرة أكثر شمولا وتعقيدا، وهو ما فتح المجال أمام اعتماد مقاربة مندمجة أو مركبة، تتداخل فيها عناصر من المقاربات المختلفة.

**(18)** راجع على سبيل المثال :
- المنجي الزيدي، مرجع مذكور، و

Traité de psychologie de l'enfant, op. cit.

**(19)** جواد علي، مرجع مذكور.

هذه المقاربات البعد العرفاني المتصل بنمو القدرات العقلية. وتشكل أبحاث بياجيه عن مراحل التطور الذهني علامة فارقة في هذا السياق. وارتباطا بذلك، بات ينظر إلى تطور القدرات العقلية وأنساق التفكير والتمثل وبناء النماذج المثالية والتجريد والحكم المنطقي باعتبارها خصائص مكملة للخصائص الانفعالية والسلوكية والنفسية التي تناولتها بتفصيل مدارس التحليل النفسي. وترتبط هذه الأبعاد العرفانية بشدة بالمقاربات التربوية والتمدرس وأنظمة التعليم ومراحله وأساليبه.

**المقاربات التربوية :** ارتبطت تاريخيا بنشوء المؤسسات الخاصة برعاية الأطفال خصوصا أولئك الذين يعانون من ظروف صعبة أو الذين انفصلوا عن عائلاتهم بعد الحروب والكوارث. كما ارتبطت أيضا بنشأة المدرسة وتطورها وتوسعها، وما اتصل بها من ضرورة اعتماد مناهج وأنظمة وأسس في تحقيق المشروع التربوي. إلا أن التربية ليست مرادفا للتعليم ولا هي حكرا على المدرسة، بل هي حسب تعريف معاصر "ممارسة اجتماعية محينة للمعرفة تكون في المدرسة وفي العمل الاجتماعي وفي الحي وفي المنزل".[17]

إن النظرة الموسعة إلى التربية باعتبارها ترتبط بتكوين الإنسان المواطن أو الراشد المؤهل لأدواره الاجتماعية كافة، تجعل مهمة التربية مسؤولية عدد من المؤسسات. وقد ازدادت أهمية هذا التعدد والتداخل مع التحول الذي طرأ على أدوار المؤسسات الاجتماعية التقليدية في المجتمع الحديث، والذي أدى إلى تقلص دور العائلة شبه الحصري في العملية التربوية. وتوسع في المقابل دور المدرسة (والمؤسسات المشابهة) من الناحية الكمية والنوعية، ووسائل الإعلام وأطر الانتظام الاجتماعي ، وما صاحبها من تعقد البنى والوظائف الاجتماعية. نتج عن ذلك تغير مستمر في مفهومي التعليم والتربية ليصبحا أكثر توسعا وتعقيدا، مما وسع من نطاق الاهتمام بالمقاربات التربوية للمراهقة.

**المقاربات السوسيولوجية والانتروبولوجية :** شكلت مساهمة الانتروبولوجيا منعطفا في فهم المراهقة من الناحية الفيزيولوجية - النفسية إلى الناحية الثقافية - الاجتماعية. لذلك غالبا ما يرد مؤلفا ستانلي هال (مقاربة سيكولوجية) ومارغريت ميد (مقاربة أنتروبولوجية)باعتبارهما معالم المقاربتين المتوازيتين. وقد فتحت مقاربة ميد الانتروبولوجية أفقا جديدا لمقاربة سوسيولجية متحركة في فهم المراهقة كظاهرة اجتماعية بكل أبعادها. ويتمثل عمل ميد التأسيسي (اعتبارا من نهاية العشرينيات) في نقدها للتصور السائد الذي يعزو ما يعدّ سلوكا مضطربا وغير مستقر لدى المراهقين إلى خصائص ملازمة لتلك المرحلة العمرية التي تتسم بالتحولات الفيزيولوجية وانعكاساتها النفسية. وما قامت به مارغريت ميد (فيما يرتبط مباشرة بموضوع بحثنا) هو دراسة مجتمعات بدائية بسيطة التكوين في جزر الساموا ثم جزر الادمير واكتشفت عدم صلاحية مفهوم المراهقة- الأزمة بالنسبة إلى هذه المجتمعات، حيث يتم الانتقال من الطفولة إلى سن الشباب بسهولة نسبية ودون ضغوط. فالجنس مسألة عادية غير مسيجة بالمحرمات. والانتقال من الطفولة إلى الشباب يتم من خلال شعائر عبور خاصة لا تستغرق سنوات طويلة يندمج بعدها الشاب في مجتمع الكبار حيث الأدوار الاجتماعية والاقتصادية على درجة عالية من الوضوح، وحيث الاختيارات محدودة. ومن ثمة لا تسجل في هذه المجتمعات البسيطة مظاهر الأزمة التي تتمحور حولها المقاربة

**(17)** - Jacques pain: De l'école utile aux outils d'École: la pedagogie institutionnelle; in: Nouvelles problèmatiques adolescents, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

إطار 1.1

# المراهقة في اللغة

استخدم مصطلح المراهقة في الأبحاث والكتابات العربية بمعناه المعاصر ترجمة لمصطلح adolescence من الدراسات والمؤلفات الأوروبية والأميركية في القرنين الماضيين والأصل اللاتيني adolescere ومعناه النمو. ومفهوم النمو هنا يفيد أولا معنى النمو الجسماني بما فيه البعد الفيزيولوجي - الجنسي. وقد تمت ترجمة هذا المصطلح إلى المراهقة في اللغة العربية، وهو اختيار موفق لجهة تطابق دلالته اللغوية مع المفهوم كما تشكل في بداياته في إطار الثنائي فيزيولوجيا- سيكولوجيا. وأصل المصطلح في لسان العرب هو الفعل "رهق". ويحمل هذا الفعل دلالات كثيرة متناقضة أحيانا. وليس من بين معاني "الرهق" معنى النمو، ولكن فيه معنى الاقتراب من البلوغ (الحلم). فيقال "راهق الغلام، فهو مراهق إذا قارب الاحتلام. والمراهق : الغلام الذي قارب الحلم، وجارية مراهقة. ويقال : جارية راهقة وغلام راهق، وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة".. وفعل رهق يحمل معنى تابع ولحق واقترب أو دنا، ومن اشتقاقات المعنى نفسه الاقتراب من البلوغ والاحتلام. واللافت هنا، أن المعنى الأصلي يفيد من الناحية العمرية والفيزيولوجية المرحلة التي تسبق البلوغ والاحتلام، وليس المرحلة التي تبدأ بالبلوغ وتليه، كما هو معنى المصطلح المعاصر. من جهة أخرى، فإن لمعنى الرهق دلالات سلوكية ونفسية مثيرة. "فالرهق أيضا هو الخفة والعربدة، والرهق هو جهل في الإنسان وخفة في عقله، وفيه رهق، أي حدة وخفة، والرهق هو السفه... الرهق في الحديث الأول هو الحمق والجهل... ويقال : رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشر..". وفي معنى آخر : "الرهق : التهمة. والمرهق : المتهم في دينه. والرهق : الإثم. والرهقة : المرأة الفاجرة".

والأقرب إلى المنطق أنه استند إلى المعنى الأول الذي أشرنا إليه، بمعنى الاقتراب من مرحلة البلوغ. وتم توسيع دلالته بحيث يدل على مرحلة البلوغ نفسها وما يليها، وذلك استنادا إلى الارتباط العضوي بين مفهومي المراهقة والبلوغ في الدراسات الأوروبية. وما أجاز مثل هذا التوسيع هو كون معاني الفعل رهق، تحتوي على دلالات سلوكية (الخفة والحمق والتسرع والخروج على التقليد - الدين، وكثرة الأسئلة التي تخطر في البال والرغبات الجنسية...)، وكلها تقع صلب التصور التقليدي الذي كان سائدا منذ عقود في النظر إلى المراهقة. ويتضمن التعبير من ناحية الدلالة اللغوية، مضامين بيولوجية (البلوغ والحلم) ونفسية سلوكية في الوقت نفسه. وهو ما لا يتضمنه الأساس اللغوي للمصطلح اللاتيني. وتوسيع دلالة تعبير الرهق عما جاء في لسان العرب حيث كان ينطبق على المرحلة التي تسبق البلوغ مباشرة، لتشمل المراهقة كمرحلة تبدأ مع البلوغ وتليه، كأنه يعبر بدوره عن الامتداد الزمني للخصائص النفسية والسلوكية التي تترافق مع المراهقة (الاقتراب من الحلم) لتمتد سنوات إضافية، وتعبر عن استمرار سلوك "الحمق والجهل" *لفترة أطول مما كان عليه الأمر في السابق. وهذا الامتداد الزمني هو أحد المرتكزات الأساسية التي سوغت بروز المراهقة كمرحلة مستقلة.

*** في التعبير الشعبي في بعض دول المشرق، تعبير الجهل هو أحد مرادفات المراهقة. ويقال عن المراهق (ة) "جهلان (ة)" (أي جاهل) بمعنى أنه(ا) بات (ت) كثير(ة) الاهتمام بالجنس والموضة واللباس والتزين والخروج وما شابهها من سلوكيات. وينسحب هذا الوصف على الكبار أيضا حين "يراهقون على كبر"، فيقال "جهلة" الأربعين أو الخمسين، للرجال والنساء الذين يبدون وهم في عمرهم هذا اهتماما زائدا بالجنس الآخر وبالموضة والترفيه والاهتمامات الأخرى التي يعتبرها العقل التقليدي حكرا على المراهقين (عمريا). وبهذا المعنى أيضا، لا تكون المراهقة مرحلة عمرية ولا مجرد بلوغ جنسي، بل هي في الأساس نسق سلوكي ثقافي.**

**المقاربة المندمجة أو المركبة :** ليس المقصود هنا مقاربة بعينها، لها مواصفات وخصائص محددة مسبقا، أسوة بأنواع المقاربات الأخرى المشار إليها سابقا. تكمن الفكرة هنا في أن الطابع المعقد والمركب لمرحلة المراهقة يتطلب في فهمها ودراستها الاعتماد على معارف وأدوات بحث وتحليل متعددة. وبناء عليه، وما دام البحث لا ينتسب إلى مجال محدد بالمعنى المباشر (علم النفس، علم التربية...)، فإن الباحث الراغب في دراسة المراهقة في وحدتها وكليتها، عليه أن يقوم بالتوليف المناسب لبلورة مقاربة متناسبة مع تعدد أبعاد هذه المرحلة، ومع أهداف الدراسة. من جهة أخرى، لا يقتصر الأمر هنا على مجرد تجميع انتقائي لعناصر من المقاربات المختلفة في تركيب اعتباطي أو غير علمي، ولا مجرد تجاور لمقاربات واختصاصات مختلفة يتم جمعها في تقرير واحد. إن اعتماد المقاربة المندمجة لا يعفي الباحث من تبنيه خيارا منهجيا محددا، يستخدم على ضوئه العناصر والمنهجيات الفرعية للمقاربات الأخرى بصفتها مكونات مندمجة عضويا في البحث الواحد. وهي بالتالي عملية أكثر صعوبة وتتطلب اتساقا منهجيا من جهة أولى، وانفتاحا وقدرة على الاستفادة من قاعدة علمية وثقافية واسعة من جهة ثانية، بالإضافة إلى العمل على تحقيق الترابط بين مختلف أبعاد الظاهرة المعنية ومستوياتها في إطار مفاهيمي وعملي واحد.

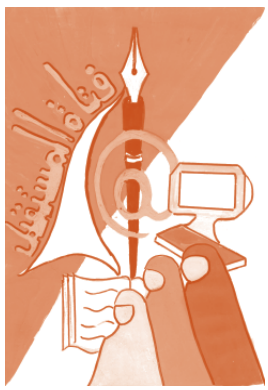

ربما تكون المقاربات السوسيولوجية الأكثر قربا للمقاربة المندمجة، وذلك بسبب قدرتها على تضمن المقاربات الفيزيولوجية والنفس تحليلية والتربوية والأنثروبولوجية، وتحقيق التمفصل فيما بينها ومع البيئة الاجتماعية. إلا أن زوايا أخرى لدراسة الظواهر الاجتماعية، ومنها المراهقة موضوع بحثنا، ضرورية أيضا. وتكتسي المقاربة التاريخية بدورها أهمية، ولا نقصد التاريخ الفردي للمراهقة أو المراهق فحسب وهو ما تلحظه المقاربات السيكولوجية، بل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المعين، الذي يمكن أن يشكل إضاءات لا غنى عنها لفهم أي ظاهرة. كما أن الأبعاد السياسية والاقتصادية لا تدخل بالضرورة ضمن المفهوم الضيق للمقاربات السوسيولوجية، ولا المقاربات التنموية المعاصرة. لذلك من الضروري لحظ هذه الأبعاد كلها بشكل خلاق. ومن هنا فإن ما يميز المقاربة المندمجة أو المركبة كما تم تعريفها، هو أن نقطة الانطلاق المزدوجة هي المراهقة أو المراهق الفرد، والمراهقة كفئة اجتماعية من حيث هي حياة معيشة بكل مستوياتها وأبعادها، وأن المقاربة الصالحة لهذه "الحياة" يجب بناؤها وبلورتها بشكل معين من ضمن دينامية مشروع البحث نفسه، أخذا بعين الاعتبار الأهداف المحددة.

وحسب، بل بالاختلاف في "الزمن الاجتماعي". إن الالتباس في اعتماد المفهوم الحديث للمراهقة يبقى قويا في حال تطبيقه على واقع بعض المجتمعات العربية قبل عقود قليلة.

سنة 2000، اعتبر والد مغربي "أن المراهقة لم تكن موجودة خلال شبابه هو، أو على الأقل لم تكن واضحة المعالم. ويعود ذلك إلى الثقل الأبوي ورسوخ قيم الحياء (التمييز الجنسي، واحترام الأب المتجلي في تقبيل يده وإلى غير ذلك من المظاهر). أما المرحلة الراهنة التي يلاحظ فيها حضور المراهقة بوضوح، فهي تتميز بتراجع التقاليد والاختلاط وبتغير الأساليب التربوية وأنماط السلوك الأبوية، حيث بات الآباء يتصرفون كأبنائهم. إن تراجع التقاليد أخل باحترام الآباء، وتم رفض النظام الأبوي، فتراخى هذا الأخير"[23].

لكن ثمة اختلافات أساسية ناشئة بين المجتمعين الأوروبي والعربي. فالحداثة كما سبق تعريفها تتعلق بالدرجة الأولى بالديناميات الاجتماعية والهياكل والمؤسسات، وبالتحول على مستوى الثقافة والقيم. ففي نموذج الحداثة الأوروبي، تطورت العائلة باتجاه تقلص دور الأب وقيم الطاعة المطلقة[24]. وقد تشكلت هذه القيم والنماذج في مرحلة كان المجتمع في سيرورة تقدمه، حيث كانت الدينامية الأقوى هي دينامية تقدم محفزة للشباب وللجديد بشكل عام. ومن ثمة تتحدد خصائص المراهقة باعتبارها تتم في ظروف وفي بيئة اجتماعية تساعد المراهقة والمراهق على التمتع بحس نقدي، وعلى بلورة شخصيته ومشروعه الحياتي الخاص، ولا نشير هنا إلى الاختلافات الكثيرة الهامة بين الحالات الفردية للمراهقات والمراهقين أنفسهم، ولا للأسر التي ينتمون إليها.

يختلف الوضع في المجتمعات العربية. فالسيرورة التاريخية التي شهدتها هذه المجتمعات كانت ذات طبيعة مختلفة، إلى حد أنه من الصعب اعتبارها "مجتمعات حديثة" بمعنى الحداثة المشار إليها أعلاه. "خلال المائة سنة الأخيرة حدث تغيير كبير في المجتمع العربي من جراء اصطدامه بالحضارة الغربية الحديثة. إلا أن هذا التغيير لم يؤد إلى استبدال النظام القديم بنظام جديد، بل فقط إلى تحديث القديم دون تغييره جذريا، فانبثق عنه النظام الأبوي المستحدث وحضارته المخضرمة التي نعيش في ظلها... إن هذا المجتمع يمتلك كافة مظاهر الحداثة الخارجية إلا أنه يفتقر إلى القوة والتنظيم والوعي الداخلي، وهذه هي العوامل التي تتسم بها التشكيلات الحديثة ... ولذلك فمهما كانت المظاهر الخارجية-مادية وقانونية وجمالية- للعائلة الأبوية المستحدثة المعاصرة ومجتمعها "حديثة"، فإن بناها الداخلية تبقى مجذرة في القيم الأبوية وعلاقات القربى والعشيرة والطائفة والجماعة العرقية...والنظام القائم في المجتمع العربي اليوم، ليس نظاما تقليديا بالمعنى التراثي، كما أنه ليس معاصرا المعنى "الحداثوي"، بل هو خليط غير متمازج من القديم والحديث، من التراثي والمعاصر"[25].

هذا الواقع يجعل المجتمعات العربية تتميز بدرجة عالية من الانفصام بين الأشكال الحقوقية والمؤسسية وبين المضامين الفعلية، وهو ما يجعل ثنائية التقليد/الحداثة حاضرة بقوة لا سيما بالنسبة إلى الشباب والمراهقين الذين يجدون أنفسهم وسط هذا التجاذب.

**(23)** من أعمال الفريق المغربي تحضيرا لهذا التقرير. والمصدر الأولي :

CERED, op, cit.

**(24)** إن توسع الطبقات الوسطى وأفكارها الليبرالية على الصعيد التربوي (ممنوع المنع) أدى إلى نموذج تربوي يمنح دورا محوريا للاستقلال الذاتي للأفراد وتفتحهم الشخصي وللحوار والتعبير الحر، حيث أن المحاججة والنقاش أصبحت إحدى القواعد الأساسية في نظام عمل العائلة الحديثة :

la violence des jeunes, op. cit.

**(25)** هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.

## 4. إشكالية المراهقة في المجتمعات العربية

المراهقة حالة علائقية واجتماعية، يصوغها طرفان : المراهقة أو المراهق والمجتمع. ومن غير الممكن فهم المراهقة وإشكالياتها، دون فهم المجتمع نفسه وخصائصه وديناميات، فالمجتمع هو الذي يصنع المراهقة. وطابع الأزمة الذي لازم المراهقة على الدوام، نابع من فهم وتصور محددين لما يجب أن تكون عليه الأدوار الاجتماعية لكل من المراهقات والمراهقين والمؤسسات الاجتماعية التي ترتبط بأوضاعهم الراهنة وخياراتهم المستقبلية. فبقدر ما يكون هذا الفهم والتصور مصوغين من مواقع تقليدية ومحافظة، وبقدر ما تكون الاستقلالية والحرية الفردية قيمة سائدة في أوساط الشباب وفي المجتمع، بقدر ما تصبح علاقة المراهقات والمراهقين بالمجتمع أكثر صدامية.

لقد تحددت وتطورت إشكاليات المراهقة باعتبارها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتحول من المجتمع التقليدي إلى مجتمع الحداثة، ومنه إلى مجتمع "ما بعد الحداثة" الذي صحبته تحولات طرأت تدريجيا ولاسيما العولمة وتداعياتها. إن المقاربة المعتمدة في هذا التقرير، تحاول أن ترصد أوجه التشابه والاختلاف في خصائص وديناميات الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث في كل من أوروبا والبلدان العربية. كما تميز هذه المقاربة بين الحداثة والنسق الراهن من العولمة، وتحاول أن ترصد آثارهما المختلفة على اشكاليات المراهقة في المجتمعات العربية، بما فيها الأثر الخاص لمرحة ما بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001 على المراهقات والمراهقين العرب.

### أ- ثنائية التقليد والحداثة

الحداثة عملية تاريخة شاملة، تتضمن تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية، أسهمت في تشكل الأمم الحديثة والدولة ونظام العلاقات السياسية وتبدل أدوار المؤسسات الاجتماعية[20]. وقد انبثق عن هذه التحولات "الفرد الحديث" والمؤسسات الاجتماعية الحديثة والأدوار والعلاقات المتحركة التي تطبع كل هذه التحولات. لقد نشأ المفهوم الحديث للمراهقة في هذا الإطار، الذي بمقدار ما كان بيئة محفزة للمشروع الفردي، كان يراكم في ثناياه تعاظم دور العوامل الكلية (في شكل قوة غير مرئية أحيانا كثيرة) التي تؤدي دورا حاسما في صناعة صورة العالم المعاصر واتجاهات تطوره الأساسية.

لقد اختلفت حياة المراهقة أو المراهق المعيشة نوعيا بين النظام القديم والنظام الجديد "في ما مضى كان الولد العادي غالبا رب أسرة في السادسة عشرة من عمره، وجنديا في الجيش الملكي في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، أو متمرنا يتحمل مسؤوليات في حرفته في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة. أما الآن فإن فترة التبعية في بعض الطبقات هي أطول من ذلك بكثير"[21]. وفي بدايات الإسلام كان علي بن أبى طالب في العاشرة من عمره عندما فاتحه النبي (صلعم) بالوحي، وكان عمر أسامة بن زيد أقل من عشرين سنة عندما عينه الرسول قائدا حربيا[22]، وفي ذلك اختلاف كبير عن معايير العمر في زماننا. ولا يتعلق الأمر بالمسافة الزمنية (عدد السنوات)

**(20)** - يقول سمير أمين " انطلقت الحداثة إذن، عندما أفلت الإنسان من تحكم النظام الكوني، بل أقول تحرر من هذا التحكم . ليس هناك تعريف آخر للحداثة في رأيي غير هذه القطيعة الفلسفية... وهي (عملية) لانهاية لها... إن مقولة إن الإنسان يصنع تاريخه تلغي الطمأنينة. فلا حرية دون التعرض للخطر. ولذلك فقط أنتجت الحداثة الأفضل والأسوأ". سمير أمين، نقد روح العصر، دار الفارابي، بيروت 1998.

**(21)** -Traité de psychologie de l'enfant, op. cit

**(22)** - أحمد العبد الله، مرجع مذكور.

المجالات التي تبدأ بالظهور مع مرحلة المراهقة : تحريم السياسة يضعه أمام طريق مسدود فيما يتصل بمساءلة الواقع القائم والتنظيم المجتمعي والمشاركة في صنع القرار وانسجام القول والفعل في الحياة العامة. والتحريم الديني، يعطل التفكير النقدي في كل ما يتصل بالقيم والثقافة الجديدة والتقاليد. ويؤدي التحريم الجنسي إلى الكبت، فيحلل في الخفاء كل ما يحرم في العلن. مما يحرم المراهقة والمراهق من حقهما في التعرف العلمي على جسديهما وممارسة حقوقهما الإنجابية، ويبقيهما أسيري المعتقدات الشائعة عن الجنس. أما الطابع الذكوري، فيؤسس منذ المراهقة للأدوار الاجتماعية المختلفة للمرأة والرجل، ويضع الفتاة المراهقة بشكل خاص تحت ضغوط أشد، الأمر الذي ينعكس بدوره على المراهق. إذ كما سبقت الإشارة، فإن الممارسات التمييزية بين الفتيان والفتيات تتفاقم عادة مع البلوغ، فيدفع كل من الفتى والفتاة إلى اهتمامات وأدوار مختلفة، قد تصل أحيانا إلى فصل مبالغ فيه بين الجنسين. وينتج عن ذلك تضييق مجالات الاحتكاك بينهما، مما يترك أثارا سلبية على الاثنين معا، بحيث يجتزئ الفصل من خبراتهما الحياتية والعاطفية، وهو ما يؤثر سلبا في شخصيتهما أثناء المراهقة وفي المستقبل. وهو ما أكدته الدراسة الميدانية المنفذة في إطار إعداد هذا التقرير.

إن المراهقة والمراهق العربيين، محرومان من الوسائل التقليدية في المعرفة والتواصل بين الأجيال والتفاعل مع المؤسسة العائلية التقليدية على النحو الذي عرفه آباؤهم وأجدادهم، هذه الوسائل التي كانت تؤدي دورها بفعالية في المجتمع التقليدي. كما أنهما محرومان من الوسائل الحديثة في تلقي هذه المعارف أو ممارسة هذه الأدوار، لأنها غير معتمدة فعليا في المجتمع إلا على نطاق محدود في أوساط الأسر التي استطاعت أن تجد حلا خاصا لهذا الانفصام. وليس أكثر دلالة على ذلك مما تواجهه الفتاة المراهقة في بعض الحالات لجهة عدم تهيئتها للتعامل مع الدورة الشهرية على سبيل المثال، فلا هي تتلقى المعلومات من والدتها، كما تلقتها والدتها من جدتها دون خجل وبشكل طبيعي كجزء من مهمة الأم التقليدية. ولا هي مسموح لها بتلقي مادة التربية الجنسية في المدرسة، كما يفترض في المجتمع الحديث، لأن ذلك لا يزال مرفوضا بسبب التقاليد. ولا يمكن الإطلاق هنا بالطبع، لأن المجتمعات العربية وكذلك الأسرة، تعيش في حالة تحول ومخاض مستمرة، مما يؤدي إلى نشوء سلوكيات مركبة لا يمكن حصرها وتنميطها ضمن نماذج محدودة العدد . إلا أن الإشكالية المثارة هي إشكالية حقيقية، وأن تعددت استجابات الأسر والأفراد في التعامل معها.

إطار 2.1

## بين التقليد والحداثة

إن أوجه التشابه بين المجتمعات التقليدية ما قبل الرأسمالية عديدة. ولعل أبرزها اشتراكها في كونها مجتمعات أبوية. والأبوية حسب هشام شرابي[26] "هي سمة العلاقة الاجتماعية المركزية للتشكل الاجتماعي السابق للرأسمالية".

ويمكن رسم مخطط مبسط مقارن لأهم خصائص المجتمعين التقليدي والحديث على النحو التالي :

| المقولة | التقليدية | الحداثة |
|---|---|---|
| المعرفة | أسطورة/معتقد | فكر/عقل |
| الحقيقة | دينية/مجازية | عملية/نقدية |
| اللغة | بيانية | تحليلية |
| السلطة | سلطة أبوية مستحدثة | ديمقراطية/اشتراكية |
| العلاقات الاجتماعية | عمودية | أفقية |
| التشريح الاجتماعي | عائلة/عشيرة/طائفة | طبقة |

وعلى الرغم من التغيرات التي عرفتها الأسرة العربية خلال العقود الأخيرة، لا سيما تلك التي تلت مرحلة الاستقلال، فهي لا تزال تحتفظ بالقسم الأكبر من أدوارها التي كانت لها في المجتمعات التقليدية، ومنها دور الوسيط بين الفرد والمجتمع والدولة. فالعلاقات الاجتماعية في البلدان العربية، لا تزال "تتصف بالشخصانية ويتغلب مفهوم الجماعة على الفرد كما على المجتمع... إن الجماعة لا الفرد هي التي تشكل الوحدة المتداولة في العلاقات والالتزامات الاجتماعية..."[27] هذا دون أن ننسى العدد الكبير من المحرمات والممنوعات التي يحظر عادة التحدث عنها في المجتمعات العربية، ولا سيما منها "الثالوث المحرم"[28] السياسة والدين والجنس، والطابع الذكوري الحاد للثقافة العربية[29].

و"تبدو المراهقة مرحلة غير مخطط لها اجتماعيا. إنها ليست وليدة تحوّل اجتماعي ولا تتمفصل على أي وضعية اجتماعية معترف بها وليس لها دور. وغالبا ما تشكلت فئة المراهقات والمراهقين عدديا في المجتمع بسبب منع الزواج المبكر أو تأخره، وتعميم التعليم والزاميته. ولكن عدا ذلك، لم يجر أي تحضير في المجتمع وفي مؤسسات التعليم وفي العائلة، ولا على مستوى الديناميات المهنية للتعامل مع هذه الظاهرة الجديدة. أما العائلة، فعلى الرغم من بعض مظاهر العصرنة في حياتها اليومية، إلا أنها لا تزال تقليدية ومحافظة، وتجد المراهقة والمراهق صعوبة كبيرة في الخروج عليها، لأن العائلة لا تزال حتى اليوم، مكان الحماية والأمان الأول بالنسبة إلى الفرد. إن بيئة من هذا النوع لا تشجع بالتأكيد على تبلور الفرد بالمفهوم الحديث".[30]

يشكل مجمل ذلك بيئة غير مساعدة للمراهقة والمراهق العربيين. إن استمرار حضور دور العائلة القوي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يعطل مسار الاستقلال الذاتي المتدرج الذي تمثله المراهقة كمرحلة انتقالية من الطفولة التي تتميز بالتبعية شبه الكاملة، إلى الاستقلال الذي يفترض أن يكتمل مع بلوغ سن الرشد وتحقيق المشروع الشخصي والأسري الخاص بشكل مستقل عن الأسرة النووية. إن التنظيم الاجتماعي الذي يكرس الطابع الجماعي ويهمش دور الفرد، يؤدي بدوره إلى تهميش البعد المرتبط بتكوين المشروع الشخصي الفردي للمراهقة والمراهق، بل إنه يعوق تكوّنه كفرد مستقل. أما "الثالوث المحرم" فيطال تقريبا كل

**(26)** هشام شرابي، مرجع مذكور. "ومن الواضح أن الأبوية باعتبارها مقولة اجتماعية/اقتصادية تشير إلى مجتمع تقليدي وسابق على الحداثة. وتبعا لذلك فإن التعبيرين مجتمع /ثقافة أبوي، ومجتمع /ثقافة تقليدي (أو سابق على الحداثة) لهما تقريبا دلالة واحدة، إذ يجري تعريف التعبيرين على أنهما نقيض مجتمع/ثقافة يختلف عنهما نوعيا، أي ما هو حديث".

**(27)** حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر-بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة السابعة، 2001.

**(28)** الثالوث المحرم، استعارة لعنوان كتاب من تأليف بو علي ياسين. وأيضا عند حليم بركات المصدر السابق. إشارة إلى التحريم المثلث نفسه.

**(29)** انظر في هذا الصدد على سبيل المثال، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002 - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي 2002.

**(30)** من أعمال الفريق الجزائري تحضيرا لهذا التقرير.

إطار 4.1

# من المراهقة إلى المراشدة

يثير التحديد الزمني لمرحلة المراهقة، أسئلة عديدة تحيل بدورها إلى الأبعاد والمقاربات المختلفة التي تمت الإشارة إليها. ويختلف هذا التحديد حسب محور الاهتمام والأولوية التي تعطى لبعد من أبعادها. فإذا تم التركيز على البعد المتصل بالتحولات الفيزيولوجية وبروز الجنسانية، ارتبطت بداية المراهقة ارتباطا شديدا بالبلوغ وعلاماته، وانتهت باكتمال تكون الهوية الجنسية والنضج العاطفي والعقلي. وإن تعذر تحديد لحظة محددة لهذا الاكتمال، فبالإمكان تحديده اصطلاحا بعمر معين يحيل إلى الرشد القانوني والاجتماعي.

ولكن إذا أعطيت الأولوية للبعد المتصل بالنمو "العرفاني" وبروز الشخصية المستقلة والسلوكيات التي ترتبط عادة بتجاوز الطفولة والملازمة عادة للمراهقة، فقد بينت دراسات عدة وملاحظات المربين "أن ذكاء الأولاد ينمو بسرعة في سنواتهم الأولى في الحضانات ورياض الأطفال والمدارس، وأداؤهم يتحسن على المستوى الفكري فهم يقرؤون ويتكلمون في عمر مبكر قياسا بالأجيال السابقة. ونتيجة ذلك، فإننا نشهد اليوم مراهقة سابقة على البلوغ، أي أن الأولاد قد نموا بشكل جيد، ويسعون إلى تأكيد ذواتهم، في حين أنهم من الناحية البيولوجية لا يزالون أطفالا. ومع ذلك فهم يبدؤون بالمطالبة بالاعتراف باستقلالهم أو بكيانهم الذاتي"*.

أما إذا أعطيت الأولوية للقدرة الواقعية على بناء مشروع فردي مستقل باعتباره مؤشرا على الخروج من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد، فإن السن التي يستطيع المراهق أو الشاب أن يعيش فيها استقلاليته تتجاوز سن الرشد القانوني والبيولوجي والعاطفي بسنوات عدة. ومن ثمة ليس غريبا أن نجد من يقترح اعتماد مفهوم جديد أكثر تعبيرا عن الحالة الراهنة التي تتميز بإطالة في فترة التبعية أو شبه التبعية التي يعيش فيها الشباب، وهو مفهوم adulescence أو "المراشدة"**(من الرشد adulte).

ذلك أن هذه المرحلة باتت تتميز بتأجيل تحقق الرشد/الاستقلال بفعل تمديد فترة الدراسة أو بطالة الشباب وتأخر سن الزواج، أكثر مما تتحدد بكونها المرحلة التي تلي البلوغ الجنسي والنمو الجسدي.

لقد انتقل مركز الثقل في التعريف من نقطة البداية (البلوغ الجنسي) إلى نقطة النهاية (الرشد الاجتماعي المعبر عنه بالاستقلال المادي والمعنوي)، وهو ما يسوغ الانتقال من مفهوم المراهقة إلى مفهوم المراشدة.

* - Boris Cyrulnik : Résilience et capacité d'évolution; in nouvelles problématiques adolescentes,op.cit.
** - Développement de l'enfant et l'adolescent, in : Traité de psychologie de l'enfant,op.cit.

إطار 3.1

# يوجد مراهقة، لا يوجد مراهقة

على الرغم من اختلاف المواقع والمستويات التعليمية، يظهر بعض التشابه بين آراء بعض الأكاديميين والآراء الشائعة بين الناس، والتي يستخلصونها بحكم خبرتهم، في عدم الإقرار بوجود مرحلة مراهقة. ويصل هذا الحكم في بعض الأحيان إلى حد نفي وجود المراهقة في الأوساط الفقيرة. فهل ينطبق الوصف الوارد أدناه فعليا على مجتمعات قائمة حاليا ؟

نورد هنا شهادة لأم يمنية و هي تحيل إلى إمكانية وجود تطابق تام بين الفرد والمجتمع بمجرد توفر تربية دينية سليمة تحقق الانسجام الكامل والمثالي. فهل ينطبق هذا أيضا على الواقع ؟ مع العلم أن كلا الرأيين، كل من موقعه ينفيان وجود المراهقة نفيا يكاد يكون مطلقا في المجتمعات التقليدية.

"لا وجود لما يسمى بمشكلة المراهقة وخاصة لدى الأسر التي تتبع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، الذي أوضح بما يكفي الأسس السليمة للتربية الصحيحة، وضرورة تفهم كل مرحلة من مراحل النمو سواء الجسمي أو النفسي. أنا لا أوافق على تسمية "المراهقة" لهذه المرحلة، فهي مثل غيرها من المراحل التي يمر بها الإنسان، وينبغي أن تكون طبيعية إذا ما وعت الأسرة دورها ووجهت أبناءها وجهة دينية تربوية صحيحة، لأن الانصراف عن الدين وغياب التربية الدينية يولّد المشاكل والأزمات، في حين أن الالتزام بتعاليم الدين يؤدي إلى تنشئة أجيال صالحة دون أي مشاكل أو عقد نفسية".

(**أم يمنية**)

"المراهقة مفهوم جديد. وهو مفهوم له تعريف اجتماعي بالدرجة الأولى. البلوغ له تعريف بيولوجي. والدليل على ذلك هو أنه في البلدان الفقيرة حيث لا يتابع الشباب دراستهم لا يوجد هناك مراهقة، بل هناك بلوغ فقط. أي عندما تبلغ الفتيات ويصبحن قادرات على الإنجاب فإنهن يتزوجن للقيام بدورهن في الإنجاب، وعندما يصبح الصبيان قادرين على العمل يدخلون في ميدان الإنتاج. إذن هذا المجتمع يشتغل بشكل جيد، والشخصيات وأداورهم محددة بدقة"[30].

(Rabote, cite par Boris Cyrulnik)[30]

**(30)** - Boris Cyrulnik: Resilience et capacité d'évolution, in: Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

ينتج عن هذا التحول النوعي تغيرات كثيرة ومتعددة المستويات تطال الوضع الحالي والتوقعات المستقبلية بالنسبة إلى مختلف الفئات السكانية والاجتماعية، وخصوصا بالنسبة إلى الشباب والمراهقين. ويتجلى ذلك في ظواهر جديدة في أوساط هؤلاء، سواء من حيث الحجم والانتشار أو من حيث النوع، والتي يمكن رصدها بشكل خاص من خلال تمظهراتها المتطرفة كالعنف والجنوح، وهو أمر ناتج عن حساسية المراهقين والشباب الكبيرة إزاء قيم المجتمع وفعالية مؤسساته واحتمالات المستقبل. وبالتالي فان إشكاليات المراهقة على الصعيد العالمي والإقليمي والوطني ترتبط مباشرة بالأسئلة والتحديات التي يفرضها العالم المعاصر، والتي تختلف عن الأسئلة التي طرحها العالم في المراحل السابقة.

إن العولمة وآلياتها ونتائجها، تشكل إطارا عاما وسياقا موحدا لتطور المجتمعات وإن كانت تختلف في موقعها من العولمة وفي ردود فعلها تجاهها. ذلك أن آليات العولمة قادرة على اختراق الحدود الوطنية، يساعدها في ذلك ثورة الاتصالات ووسائل الإعلام الجماهيرية، بما يمكنها من التأثير أو حتى خلق سلوكات ومفاهيم "عابرة للقوميات" في بعض أوساط الشباب والمراهقين، مما يجعل الإشكاليات المعاصرة حاضرة كعنصر داخلي في المجتمعات كافة.

في دراسة حديثة عن عنف الشباب[33] يدرس المؤلف أثر هذه التحولات، وخصوصا آليات الإفقار المؤدية إلى "ذوبان أو انهيار كل نظم الإدماج والضبط الاجتماعي regulation الذي كان سائدا في المجتمع، بما في ذلك في الأحياء العمّالية... في السابق "كان المصير الفردي والجماعي للفئات الشعبية مترابطا ومندرجا تحت منظور التقدم الاجتماعي المستمر. أما الآن فإن الشبان يجدون أنفسهم في وضعية يفاوضون فيها منفردين من أجل مستقبلهم في ظروف لا تتوفر فيها ضمانات للارتقاء الاجتماعي. لأول مرة، يجد جيل الشباب الحالي نفسه مهددا باحتلال مواقع ومراتب اجتماعية أدنى من الجيل السابق : البطالة والأعمال الهامشية غير المستقرة"[34].

ولا يتعلق الأمر باستخلاص نظري، بل إنه كان أيضا نتاج دراسات ميدانية بينت ارتباطا إيجابيا بين معدلات الجنوح ومعدلات البطالة، مع تنامي ظواهر العنف وتركزها في الضواحي المدينية المحرومة. ولذلك ارتباط وثيق بالتحولات الشاملة التي نتجت عن العولمة، بما في ذلك اختلاف القيم الأساسية والمرجعيات التي تحكم نشاط المراهقين والناس ومواقفهم وردود فعلهم.

لقد ارتكز النموذج النظري المثالي للمرحلة السابقة على فكرة الاعتقاد في التقدم الاجتماعي باعتباره أفقا مرجحا لتطور المجتمعات. "لعبت هذه الفكرة (التقدم الاجتماعي) دور الموديل المرجعي للهوية. كما أنها لعبت دورا توحيديا للمجتمع لأنها كانت فكرة مقبولة في المجتمع الفرنسي. وكانت تقوم على القيم الجماعية كالعدالة الاجتماعية والتضامن بين الجميع"[35].

وهذه الفكرة ليست خاصة بالمجتمع الأوروبي، بل استبطنتها مجتمعات أخرى، أو صاغت أفكارا مشابهة لها، سواء في صيغتها الاشتراكية الدولتية كما تجلت في البلدان الاشتراكية (النموذج السوفياتي سابقا والصيني)، أو كما تجلت في الصيغ والأشكال التي اتخذتها في البلدان النامية، ومنها البلدان العربية. فمن جهة أولى، نقلت البلدان العربية عن نموذج الحداثة الأوروبي

**(33)** La violence des jeunes, op.cit.

**(34)** المرجع السابق.

**(35)** المرجع السابق.

## ب- بين التقليد والحداثة في زمن العولمة

كيف نصف عالمنا المعاصر في مسار العولمة ؟ يرسم جورج قرم في كتابه "اللانظام الاقتصادي العالمي الجديد" صورة للعالم المعاصر هي أقرب إلى النظام الإقطاعي المراتبي والريعي الذي ساد في أوروبا في القرون الوسطى قبل الثورة الصناعية والسياسية والثقافية التي صنعت الحداثة ومجتمعاتها. "إن الأمراء، والزعماء من أصحاب القوة والنفوذ، وأصحاب الثروة هم أكثر عددا في نهاية القرن العشرين مما كان عليه الأمر في أي مرحلة أخرى من تاريخ البشرية. وأصبح مصدر ثروتهم يقتصر على الريع وليس أي نشاط منتج من أي نوع كان، أو أن ثروتهم باتت نابعة من امتيازات تعاقدية تحمي فئات اجتماعية محددة، كما كانت عليه الأمور زمن الإقطاعية"[31].

ويرى جورج قرم أن العالم المعاصر تهيمن عليه هرمية مركبة من مراتب اقتصادية وسياسية، تنأى بالمجتمع المعاصر المعولم عن صورة المجتمع الحديث الذي تشكل في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية، واستمر حتى بداية الربع الأخير من القرن العشرين. فالقوى المسيطرة على عالم اليوم تتكون من هرمية على النحو التالي : أمراء المال والبورصة ورؤساء الدول والحكومات وكبار الموظفين المدنيين أو العسكريين والمقاولين الذين أتقنوا وسائل الحصول على عقود هامة والمستفيدين من الطفرتين النفطيتين عامي 1973 و1985 وشبكات الاتجار بالمخدرات والسلاح والقوى العاملة والرقيق الأبيض ورؤساء مجالس الإدارة والمديرين وكبار الموظفين في المصارف والشركات العالمية العملاقة. ويساهم في تسلية هؤلاء، من يوازون "مهرجي البلاط" في العصور الغابرة، وهم اليوم حاشية المغنين ونجوم السينما والتلفزيون والعارضات ونجوم الرياضة أي باختصار كل من تتمثل وظيفته في تسلية الملوك والأمراء الجدد ورعاياهم. أما المقاولون المنتجون في القطاع الخاص وكافة المنتجين والعلماء والباحثين، فهم يشكلون الخيط الأخير الذي لا يزال يربط الاقتصاد المعاصر بالمعالم الأساسية لعصر الأنوار والثورة الصناعية، وبالتالي بقيم الليبرالية.[32]

إن الفكرة المحورية في هذا العرض تتمثل في التشديد على الاختلاف، بل التعارض بين النموذج المجتمعي الحديث وقيمه، كما اكتمل تدريجيا خلال القرنين الأخيرين، وبين النموذج المجتمعي المابعد حديث وخاصة منه مرحلة العولمة النيوليبرالية. ففي حين كانت فكرة دولة الرعاية وقيم العدالة والتضامن الاجتماعي والمواطنة والتشغيل الكامل والوظائف الثابتة والتوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية في إستراتيجيات التنمية هي السائدة، فإن النموذج الحالي المعولم يقوم على قيم نقيضة تشدد على الفردانية وأولوية طاغية للجدوى الاقتصادية، يشكل فيها المال والربح القيمة العليا. أضف إلى ذلك تشجيع الميول الاستهلاكية وإعادة انبعاث النزعات الداروينية الاجتماعية حيث التنافس المحتدم وحيث البقاء للأقوى في آليات السوق العالمية.

كما نشهد حاليا تفكيك دولة الرعاية وفكرة التضامن ليحل محلها استقطاب اجتماعي واقتصادي شديد بين الأغنياء والفقراء عالميا ووطنيا، فيتوسع الفقر ويسود منطق الانقسام البسيط إلى "رابحين وخاسرين"، واعتبار هذا الانقسام أمرا طبيعيا وعاديا، وأن تغيير وضعية الفرد رهن بقدراته الذاتية ومهاراته فقط دون أي مسؤولية للنظام الاقتصادي أو الاجتماعي.

**(31)** - Georges Corm. Le nouveau désordre économique mondial, aux racines des échecs du development. La découverte/essai, paris 1993.

**(32)** - المرجع السابق.

تتعمق ثنائية المجتمع العربي في ظل العولمة بحكم الطابع الاستقطابي للتطور العالمي والمحلي والوطني. إن قلة في المجتمع تملك القدرة على تقليد نمط الحياة الاستهلاكي الذي تروج له العولمة، في حين تعجز الأغلبية عن ذلك، وترفضه كرد فعل ثقافي وتتمسك بالهوية الأكثر تماسكا في مواجهته. وهنا تبرز ثنائية العائلة - الدين مرة أخرى كرد فعل ثقافي. ولكننا سوف نجد تغيرا في الأدوار داخل هذا الثنائي بين طوري الحداثة وما بعد الحداثة والعولمة كشكل من أشكالها. ففي العقود التي سبقت العولمة، كانت العائلة هي الفضاء الرئيسي لمقاومة التغيير الثقافي والاجتماعي، ولذلك فإن عددا من الباحثين كانوا يرون أن البنية العائلية كانت أكثر تماسكا ووظفت الدين من أجل تقوية بنيتها ووظائفها[37]. إلا أن الأمر يختلف في طور ما بعد الحداثة، حيث يبدو الانتماء إلى العائلة أو القبيلة غير كاف لتحصين الفرد في مواجهة مؤثرات العولمة ووسائل الإعلام الجماهيرية وخاصة الفضائيات. لذلك تبرز من جديد أهمية الدين كعنصر كوني أساسي وحاسم في بناء الهوية الذاتية لدى الجيل الجديد.

ويبرز هذا التناقض بشكل حاد في مجتمعات الخليج العربي، حيث لا تزال هذه المجتمعات منظمة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا على أساس البنية القبلية، وهي في الوقت نفسه من أكثر البلدان العربية اندماجا بالعولمة الاقتصادية وتأثرا بها. وهي المنطقة التي شهدت تحولات شاملة وعميقة على أكثر من صعيد، في مدى زمني لا يتجاوز الخمسة أو ستة عقود، فانفتحت آفاق الفرد والجماعة من نطاق العشيرة أو القبيلة المحلي المحدود، إلى عصر العولمة والنفط والفضائيات. و"في مراحل التغييرات الكبيرة في التركيبة الاجتماعية يصبح التساؤل عن التقاليد والحداثة شغل الشباب الشاغل مهما كانت جذورهم الاجتماعية والاقتصادية أو الإقليمية، وبعيدا عن النوع أو الجنس. ويحاول الجيل الجديد أن يعيد المجتمعات المختلفة والمتنافرة في الوقت نفسه إلى ما تشعر أنها تنتمي إليه، فمع أن العائلة تبقى الوحدة الأساسية في الانتماء، إلا أنها ترفد عادة بحس الانتماء الوطني، ولكن الدين يبقى في العادة يعطي تميزا أكبر من العائلة والوطن، لأنه يسمح لبقية الولاءات المتصارعة بالدخول في هذه الفئة المعيارية الكبرى. لذلك أكد العديد من المراهقين أن الهوية الاسلامية تأتي أولا، ويعتقدون أن الدين يظل العامل الأساسي المعرف لحياتهم، ويعطيهم هدفا أخلاقيا"[38].

يجري توصيف الصراع الذي يعيشه الجيل الجديد هنا باعتباره صراعا بين الحداثة والتقليد "هذا الجيل ينظر إلى نفسه على أنه يقع بين مؤسسة الجيل السابق، تلك المؤسسات التي ينظر إليها على أنها "تقليدية" - العائلة والدين، والمؤسسات الجديدة والحديثة التي تمثلها الدولة والسوق. وهناك نوع من الإجماع الافتراضي بين أفراد هذا الجيل على وصف السوق العالمي كحامل للحداثة، وعلى وصف المجتمعات التي ينتمون إليها على أنها مجتمعات تقليدية"[39]. لكن اللافت للنظر، أن بعض هؤلاء يعتقد أن في بلدانهم توجد حداثة أكثر مما توجد تقاليد، وذلك استنادا إلى ما يرونه من تزايد لدور الاقتصاد والسوق ومظاهر "الحداثة" الشكلية الأخرى. ويتمثل جانب آخر من معاناة الجيل الجديد في فقدان الأمان الاجتماعي والاقتصادي الذي صاحب الطفرة النفطية، وهو ما يدفع مرة أخرى إلى البحث عن الأمان في البنى الاجتماعية التقليدية، التي توفر علاوة على الأمان النفسي، الأمان الاجتماعي والاقتصادي المضمون في مجتمعات لم يصل التوظيف في الدولة ومؤسساتها الحديثة بعد إلى المستوى المطلوب لتوفير هذا الأمان.

**(37)** على سبيل المثال، مساهمات حليم بركات وخلدون النقيب وهشام شرابي تذهب في هذا الاتجاه. ويورد شرابي أمثلة داعمة من نوع عدم قدرة الدين على الغاء عادات الثأر الشائعة في البنية القبلية.

**(38)** مي يماني، هويات متغيرة، تحدي الجيل الجديد في السعودية، ترجمة إبراهيم درويش، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2001.

**(39)** المرجع السابق.

جانبا هاما من هياكل الدولة ومؤسساتها والقوانين، بالإضافة إلى بعض الجوانب الثقافية والقيمية. كما تأثرت من ناحية ثانية، بالتجربة السوفياتية سابقا أو بأفكار إشتراكية وطنية وقومية. كما استوحت من ناحية ثالثة، التراث الديني ومجمل منظومة التقاليد والقيم التي تحوي أبعادا تكافلية وتضامنية وتقول بالمسؤولية الاجتماعية للدولة أو للجهة الحاكمة أيا كانت. وبالتالي فإن بعض التحولات الحاصلة في المجتمعات الأوروبية المعاصرة على خلفية العولمة، والآليات التي تمت وفقها هذه الأخيرة ومآلاتها، تحتوي على بعض عناصر التشابه مع ما يجري في مجتمعاتنا العربية، سواء لجهة المسارات أو النتائج.

إن تفكك دولة الرعاية وتراجع الإيمان الراسخ بحتمية التقدم الاجتماعي، أدى إلى تحول نوعي في تطلعات الطبقات الوسطى، التي نسبت إليها أدوار إيجابية كثيرة في بناء دولة ومجتمع الحداثة. فقد باتت هذه الفئات تبحث، كالطبقات العليا، عن الاستقرار في أحياء سكنية راقية، وترفض الاختلاط الاجتماعي في المدارس، وإنشاء مناطق للسكن الشعبي في أماكن قريبة من الأحياء التي تقيم فيها. إن ظواهر الاستقلال أو الانعزال الاجتماعي هذه، تبرز جليا على صعيد تكوين المدينة المعاصرة وأحيانا على صعيد البلد ككل، وعلى صعيد العالم، حيث نجد العالم منقسما إلى مناطق جغرافية - اجتماعية (شمال/جنوب)، والبلد نفسه منقسم أحيانا إلى مناطق غنية وأخرى فقيرة، بل حتى المدينة المعاصرة نفسها لم تعد متسقة بحيث تبرز تفاوتات اجتماعية وعمرانية وتخطيطية بين أحيائها الفقيرة والغنية، المخططة و العشوائية، وبين مركز المدينة نفسها والضواحي، مما يضعف التفاعل بين سكان الأقسام المختلفة.

وتكتمل الدائرة بالضعف المتزايد الذي طال الفئات الشعبية والفقيرة على اختلافها. ويسود الإحساس بتراجع القدرة على التأثير في مسار الأمور، بسبب تقلص دور النقابات العمالية واتحادات الفلاحين، وكافة الأطر المشابهة التي كانت تؤدي دورا في تمكين هذه الفئات وجعلها تشعر بشيء من القدرة على التفاوض والتحكم في مصيرها. إن مراهقات ومراهقي اليوم والشباب المنتمين إلى هذه الفئات يفتقدون إلى الأدوات التقليدية التي كانت تسمح للأجيال التي سبقتهم في الانتظام في أطر مهنية ونقابية وسياسية وطنية ومحلية، يمكن أن تشكل أطرا للتعبير وتحقيق الذات والسعي لتحقيق الطموحات. كما أن هذه الأطر بما هي أطر تمكينية للأهل العاملين، كانت عنصر توازن في العلاقة بين الأهل والأبناء، تعزز دور الآباء في التواصل بين الأجيال. هذا الدور الذي يختلّ كثيرا عندما يرى الابن المراهق والديه عاجزين في مواجهة النظام المحلي والمعولم.

إن الفقر والبطالة يهزان موقع الآباء في التواصل بين الأجيال، ويضعفان دورهم، ويخلقان ظروفا جديدة تتحرك فيها المراهقة أو المراهق، بما في ذلك زيادة تعرضها لمؤثرات من خارج الدائرة العائلية التي تأتي لتحاول سد هذه الثغرة المرجعية الناجمة عن تراجع دور الأهل في الأسرة النووية. وحيث لا توجد حركات ذات قدرة على تأطير الشباب والمراهقين، "فإن عالم المؤسسات يتآكل لصالح عالم الشارع"[36]. وحيث توجد مثل هذه الحركات السياسية أو الاجتماعية فإننا نشهد توسعا في نفوذها، خصوصا إذا كانت من النوع الديني أو من النوع الذي يستند إلى أيديولوجيات ذات قدرة على الرواج الشعبي وتتغذى من التقاليد أو التاريخ المحلي (قومية، قبلية، طائفية)، ولم تعتبرها العائلة في السابق أمرا مرفوضا بالمطلق. ويصبح الانتماء إلى مثل هذه الحركات النافذة، عنصرا مساهما في تقوية موقع المراهقة والمراهق في الأسرة، في مواجهة الوالدين، ويجعله مؤثرا أحيانا في القرار ضمن العائلة.

**(36)** - la violence des jeunes, op.cit

وفي حين كان خطاب العولمة في المرحلة السابقة يتميز بطغيان كبير لمفردات اقتصاد السوق، فقد دخلت بعد 11 أيلول- سبتمبر 2001، وبقوة مفردات إضافية تنتمي إلى الحيز الإيديولوجي والسياسي والثقافي. وفي هذا السياق عادت عدة مقولات للبروز من جديد كمقولة "صدام الحضارات" و"مكافحة الإرهاب" والتركيز على تبرير إمكانية اللجوء إلى استخدام القوة في العلاقات الدولية "الحرب الوقائية والحرب الاستباقية" وتجاوز منظومة الأمم المتحدة وممارسة ذلك فعليا كما جرى في أكثر من منطقة في العالم.

لقد كانت المنطقة العربية إحدى أكثر مناطق العالم تأثرا بهذه التطورات، الذي لم يقتصر على بلد دون آخر، ولا على فئة عمرية دون أخرى، بل يمكن القول إن المراهقات والمراهقين العرب ربما كانوا الأكثر تأثرا من غيرهم لأنهم في مرحلة تفتح وعيهم، وتكوين قيمهم المثالية التي اصطدمت بقوة بعالم متحول يتميز بتراجع لغة الديبلوماسية والحق لصالح لغة القوة.

إلا أن هذا الاضطراب ليس اضطرابا ذاتيا في وعي المراهقات والمراهقين وسلوكهم فحسب، بل هو أولا اضطراب موضوعي وحقيقي في المجتمع العالمي والوطني ومؤسساتهما والمبادئ التي تنظمهما. وهو اضطراب وتشويش يصيبان المستقبل الذي يبدو على هذا القدر من الالتباس، لأول مرة في التاريخ.

إن المراهقة والمراهق العربيين يجدان نفسيهما وسط "الإعصار" المعولم، تندمج في وعيهما القضايا المحلية بالإقليمية بالعالمية، كما تمتزج الأبعاد الانفعالية الفردية والجماعية مع الأبعاد السياسية والمؤسسية في تحديد ردود فعلهما إزاء الحضور القوي لآثار العولمة السياسية والعسكرية في تفاصيل حياتهما اليومية. بحيث تبدو ردود فعلهما السلوكية، بمثابة رد على العولمة نفسها. وسوف نجد هذا الحضور القوي في رد الفعل المتمثل في الرجوع إلى الهوية الدينية والسلوكات المرتبطة بها على نحو أكثر تشددا من الأجيال السابقة، خلافا لما يوحيه مسار التطور والتقدم المعهود، كما سنجده في الحضور القوي لقضية العدوان على العراق وشعبه[41]، وللظلم المطلق الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، باعتبارهما مثالين حاضرين في الحياة اليومية يطرحان أسئلة صعبة ومعقدة :

- سؤال القيم الزائفة وازدواجية المعايير،
- سؤال الظلم والسكوت عنه والعجز عن إزالته،
- سؤال مشروعية مقاومة الظلم وأخلاقياتها وجدواها،
- وأخيرا، السؤال الأكبر عن المجتمع ودوره التحصيني.

وهي أسئلة تطرحها بإلحاح المراهقات والمراهقون في البلدان العربية، ويجتهدون لتقديم إجابات فردية وجماعية أحيانا عنها.

**(41)** لقد تم إنجاز هذا النص قبل حرب الخليج الثالثة واحتلال العراق، ولكن هذه التطورات تزيد من أهمية الموضوع المثار ومن حضوره القوي في حياة المراهقات والمراهقين وكافة المواطنين العرب. مهما اختلفت تقييماتهم ومواقفهم إزاء هذه التطورات ونتائجها.

وبرز خلط في مستوى مفهوم الحداثة ومضمونها، حيث أصبحت قيم السوق وكأنها مرادفة للحداثة. ذلك أن قيم العولمة والسوق لا تحتوي على مضامين ثقافية واجتماعية مقبولة وصالحة لكي تشكل أساسا لصياغة إطار مرجعي وقيمي بديل على الصعيد الفردي أو المجتمعي. وبالتالي، فإن قيم العولمة والسوق، خلافا لقيم الحداثة، تعطي عموما آليات تفكيكية في المجتمع، واستقطابية ضمن جيل الشباب نفسه، الذين لا يمكن إلا لفئة ميسورة منهم أن تجد فيها حلولا خاصة، في حين أن الغالبية ستجد نفسها مدفوعة دفعا إلى تأويل أكثر تشددا للتقاليد[40].

إن الإشكاليات المثارة في مثال مجتمعات بلدان الخليج النفطية تتخذ شكلا أكثر حدة مما هي في البلدان العربية الأخرى. فالخيارات المطروحة في هذه البلدان تتميز بدرجة أكبر من الاتساق الداخلي (بنية قبلية متماسكة وقوية، إندماج كامل في قيم السوق الاستهلاكية)، كما يمكن تحديد العوامل الأساسية لتاريخها الاجتماعي والسياسي بدرجة أعلى من الوضوح مما هو عليه الأمر في البلدان العربية الأخرى.

فمن جهة، هناك تنوع في المؤثرات الخارجية وفي قنوات التفاعل، بدءا من الاقتصاد إلى الانفتاح الإعلامي وصولا إلى حركة الهجرة الكثيفة والتفاعل المباشر بين ضفتي المتوسط خصوصا بالنسبة لدول شمال إفريقيا ولبنان. ومن جهة أخرى، تختلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية عن دول الخليج النفطية، ولاسيما نسب الفقر والبطالة المرتفعة في بعض البلدان مثل اليمن ومصر والسودان والمغرب وموريتانيا، مما يؤثر في الاستقرار الاجتماعي ويولد قلقا إزاء المستقبل، وينعكس مباشرة على أوضاع الشباب والمراهقين. أضف إلى ذلك درجة دينامية الحركات السياسية الدينية والقومية والاشتراكية والليبرالية... ووضعية البلدان التي تشهد الاحتلال أو تعاني من حروب أو حصار أو تعيش مباشرة تأثيراتها. وكل ذلك يؤكد القول بحضور قضايا العولمة بقوة في المجتمعات العربية، التي تجد نفسها مرة أخرى في مواجهة تحولات نوعية مستجدة، في الوقت الذي لم تستطع فيه التعامل بشكل نقدي أصلا مع الطور الأول من التحولات العالمية الذي مثلته الحداثة في العقود الأخيرة. فالمجتمعات العربية تدخل عصر العولمة من موقع غير الفاعل، ومن موقع المجتمع الذي ليس هو بالتقليدي ولا بالحديث.

## ج- تأثيرات 11 أيلول- سبتمبر 2001 وتداعياتها

قبل الحادي عشر من أيلول-سبتمبر 2001، كان البعد الاقتصادي هو الأكثر استقطابا للاهتمام من بين أبعاد العولمة كلها، حتى كادت تختزل هذه الأخيرة في العولمة الاقتصادية دون غيرها. إلا أن أحداث الحادي عشر من أيلول-سبتمبر 2001، أدت إلى جملة من التداعيات والتطورات التي شكلت تحولا هاما في مسار العولمة نفسها، في ما بات يسمى بعسكرة العولمة أو العولمة الأمنية أو ما يماثلها من المصطلحات والأوصاف التي تعطي أهمية أكبر للبعد السياسي والسياسي- العسكري.

**(40)** التعليقات التي يقدمها أعضاء الجيل الجديد تعبر وبشكل متزايد عن موقف فردي أخلاقي، عن الإنجاز الشخصي، في الوقت الذي تعترف فيه وتتأسف على انهيار التضامن الاجتماعي. لقد أصبح السوق كنقيض للعائلة والمجتمع أصبح أكثر تحديدا للشباب، والمصطلحات التي تستخدم للتقييم تم تكييفها تجاه عقلية ذلك السوق بدلا من المجتمع"، مي اليماني، مرجع مذكور.

# القسم الثاني :
# الدراسة الميدانيّة

## الفصل الأول

# الهوية وصورة الذات :
# بروز متردد للفرد

الاسنتبار

لماذا هذه الصعوبة وضعف القدرة، بل أحيانا العجز عن صياغة خطاب عن الذات ؟

ما تجدر الإشارة إليه، هو أن هذه الصعوبة الأصلية تتضاعف عندما يبنى الخطاب ردا على طلب الباحث الذي يقوم بالمقابلة، حيث يجري إخضاع الوصف الذاتي إلى مقتضيات تقديم النفس التي يتحدث عنها أرفينغ غوفمان (Erving Goffman)[3]، وتعكس بالتالي الحرص على رسم الصورة الذاتية انطلاقا من فكرة محددة عن المعايير والأخلاق السائدة، وعما يفترض المستجوب وجوده من توقعات في ذهن الباحث يحاول الاستجابة لها مسبقا. هذا مع العلم أن الوصف الذاتي أصلا هو تمرين صعب تحف به المخاطر، وليس باستطاعة كل المراهقين القيام به بسبب الطبيعة المعقدة للتفكير في الذات.

ويصادف ألا تعرف المراهقة (أو المراهق) "من تكون" ولكنها تعرف "من لا تكون". إنه تعريف للذات من خلال النفي، مثل أحمد (17س، تونس) الذي يصف نفسه أساسا بتعريف سلبي. فهو لا يتذكر أي حدث طبع حياته. يقول إنه "عادي" "مثل كل الناس" والصفة الإيجابية التي يعترف بها في شخصيته هي أنه ليس بخيلا وقد ذكرها بصيغة النفي.

ويؤدي "الآخرون" دورا مرجعيا أساسيا في بناء صورة الذات. وهو ما يزيد من صعوبة عملية التفكير الذاتي التي تقوم بها المراهقات والمراهقون عندما يطلب منهم رسم صورة ذاتية لأنفسهم. فخلال هذه العملية يختلط التفكير الداخلي المستقل بالصورة التي يرسمها الآخرون لهم، بحيث يصعب التمييز في النهاية بين ما هو نابع من صميم القناعة الداخلية، وبين ما هو صدى لآراء الآخرين. وهذه إحدى الصعوبات الأساسية في عملية التفكير الذاتي الانعكاسي. فالميل إلى تطابق الصورة الذاتية مع نظرة الآخرين، يشير إلى التأثير الهام الذي يلعبه "الآخرون الدالون"، وذوو المكانة الخاصة في تفكير الفتيات والفتيان[4]. ويؤدي ذلك إلى تدنّ في مستوى التفكير الذاتي الانعكاسي المستقل، وهو ما أمكن رصده في معظم أجوبة المراهقات والمراهقين في جميع البلدان التي شملتها الدراسة الميدانية. وتبرز هذه المشكلة كلما كان المستجوبون يفتقرون إلى الموارد (كالدراسة والثقافة والموارد المادية والتجربة...)، التي من شأنها أن تساعدهم على البروز كأفراد ذوي كيان مستقل. فقد استغرب عدد من المستجوبين طرح سؤالين مختلفين عليهم، مرة حول حكم الآخرين عليهم، ومرة حول تقييم الذات. وقليلون هم الذين شككوا فعليا في هذه الأحكام.

مؤشر آخر على ضعف التفكير الانعكاسي يتشارك فيه عدد من المراهقات والمراهقين، يتمثل في عدم القدرة على الاعتراف بالعيوب. ويدل ذلك على ضعف الاشتغال على الذات، بمعنى ضعف الحس النقدي والقدرة على اتخاذ مسافة عن الذات، أكثر مما يدل على شعور بالرضى الذاتي. فتالة ولين (17س) من لبنان، تعبران بشيء من المزاح عن هذا التقييم الإيجابي جدا والأقرب إلى الغرور "إني طيبة، من لا يجدني ودودة وخفيفة الظل فهو قطعا مخطئ". هذا ما تقوله الأولى للباحثة، في حين تؤكد الثانية بكل بساطة أنها "لامعة وتثير عقدا لدى الآخرين". وهناك كثير من المراهقات اللاتي يرتحن مثلهما لهذه الصورة المثالية عن الذات على غرار نجاة (18س) وفدوى (16س) من تونس ونسرين (17س، لبنان) وفاطمة (15س) وسهير (16س) وعزيزة (17س) من مصر، وغيرهن من بلدان أخرى.

**(3)** Goffman ( Erving ), La mise en scène de la vie quotidienne : 1- la représentation de soi, Paris, Minuit, 1973.

**(4)** نستخدم هنا التمييز الذي وضعه لوكمان وبارجي بين "الآخرين الداليين" و "الآخرين المعممين" أنظر :

Berger (Peter) et Luckmann (Thomas), la construction Sociale de la réalité , Paris, Méridiens /Klincksieck, 1989

# الهوية وصورة الذات

## مقدمة

يبحث هذا الفصل في السيرورات التي تعتمدها المراهقات والمراهقون لنحت صورة الذات وبناء هويتهم، مع لحظ انتمائهم إلى منظومات اجتماعية مختلفة. فهم يقفون على عتبة الرشد، ولكن لا يستطيعون ولوجها إلا من خلال عملية تفكير داخلية في ذواتهم، ( Réflexivité )[1] لا تخلو من الصعوبة. وتفترض هذه العملية أخذ مسافة عن الذات وإقامة حوار باطني (داخلي)، وهما من خصائص الفرد المعاصر حسب غيدنس (Giddens)[2]. فالمراهقة كتجربة ذاتية لا تتحقق إلا إذا قام صاحبها بقدر أدنى من "الاشتغال على الذات". ذلك أن المراهقة أو المراهق حين يفكر في ذاته ويتولى تقييمها والتعبير عن خصاله وعيوبه، فإنه يجعل نفسه فاعلا في نموه الشخصي ويتعلم أن ينظر إلى نفسه كذات متفردة ومتميزة لا تختزل في الصورة الاجتماعية التي يعكسها له المحيط. كما يدل التفكير الداخلي هذا على القدرة على التموقع بين الآخرين واتخاذ المسافة الضرورية تجاه أحكامهم، دون التخلي عن الاعتماد على الآخر لبناء الصورة الشخصية عن الذات.

أما الأسئلة التي توجه البحث في هذا الفصل فهي التالية : هل هذا العمل الفكري الذي يستهدف التعريف بالذات الذي تستخدمه المراهقة أو المراهق لتأكيد وجوده "كفرد في طور التكون" ممكن في المجتمعات العربية ؟ وإلى أي مرجعية قيمية واجتماعية يستند ؟ وهل يعني بالنسبة إلى كلا الجنسين مجرد وصف الذات أم يتجاوز ذلك إلى تقييمها أيضا. فالوصف الذاتي ليس محايدا كليا، إذ يفضي حتما إلى تقييم الذات ؟ وما هي الوسائل التي تمتلكها المراهقات والمراهقون وما هي السيرورات التي يستخدمونها لذلك ؟ وما هو الدور الذي يؤديه الآخرون في عملية التقييم الذاتي وكيف يتدخلون تدريجيا في بلورة صورة الذات ؟

## 1. صورة الذات

لطيف، مهذب، أليف، اجتماعي، طيب، خدوم، خفيف الظل، شهم، محترم، خجول، رقيق الإحساس، ساذج، متمرد، نافد الصبر، عصبي ... تلك هي الصفات التي تتردد بكثرة حين تصف المراهقات والمراهقون أنفسهم. دقة المضامين التي تنقلها هذه الصفات غير مهمة بذاتها في البداية، إذ أن ما يجب التوقف عنده أولا هو أن استخدام النعوت المذكورة يندرج في جل الحالات ضمن أسلوب المدح الذاتي، وحتى النقائص عندما تذكر فإنها تتضمن تقديرا إيجابيا للذات. إلا أن وصف الإنسان لنفسه يعتبر تمرينا صعبا ولا يقوم به المستجوب إلا بعد تردد كبير وبعد أن يلح عليه الباحث.

يعترف بعض المراهقات والمراهقين مثل سامية (15س، البحرين) أنهم غير قادرين على تقييم أنفسهم بمفردهم، موكلين هذه المهمة إلى الآخرين على أساس أنهم أكثر قدرة على القيام بذلك. ويبدو الذكور إجمالا، أكثر إيجازا عند وصف الذات، إذ يجدون صعوبة كبيرة في إيجاد الكلمات المناسبة ويقتصرون على النعوت العامة ويصرحون، مثل عمرو (16س، مصر) أنهم "لا يعرفون أنفسهم إلا قليلا". وعندما يقرّرون الإجابة عن السؤال يؤكدون أنهم "مثل الآخرين"، فيقتصرون على استعمال صفة "عادي" تارة بالعربية وتارة بالفرنسية "Normal". وهي مفردة رائجة لدى المراهقات والمراهقين المغربيين والتونسيين على حد سواء. ويقابل لفظ "عادي" في ذهن المراهقين المغربيين لفظ "فخور" الذي يستعمل لوصف الأشخاص المغرورين والمعتدّين بأنفسهم.

**(1)** مصطلح Réflexivité يفيد هنا معنى عملية التفكير الداخلية، أو عملية تأمل في الذات يقوم بها الشخص في نوع من الحضور الداخلي. تعرف أيضا بالتفكير الانعكاسي.

**(2)** Giddens (Anthony) , la constitution de la Société, Paris, PUF, 1987.

تثير المراهقات والمراهقون من المغرب، مع بعض الاختلافات الجزئية، هذا الطبع "الاندفاعي" وهذا الصدق في الأقوال الذي يضعهم غالبا في وضعيات حرجة يصعب الخروج منها. لقد اتضح من المقابلات أن قلة من المراهقات والمراهقين قادرة على فحص الذات فحصا دقيقا، بما يمكنهم من إدراك النواقص والعيوب في شخصياتهم وتحمل نتائج إدراكهم هذا. وبينت المقابلات المغربية أسلوبا آخر في التعامل مع هذه العيوب، يتخذ شكل كشف العيوب "المفترضة" تحت قناع من الحياء والاحتشام أو شكل الكنية.

تلجأ ابتسام (18س) إلى الضحك لتجاوز الضيق والحيرة في مواجهة سؤال الباحثة. إنه وسيلة لتحسين موقعها في مواجهة التناقض الذي تشعر به بين متطلبات الصدق الذي يشبه الاعتراف هنا، وبين تقديم صورة مرضية عن نفسها تنسجم مع توقعات الآخر (الباحثة في هذه الحالة). لذلك فهي تجعل الكنية التي ينسبها الآخرون لها، السبيل الأمثل للحديث عن الذات، وكأن الأمر يتعلق بشخص آخر. فاستعمال ضمير الجمع الغائب من قبل ابتسام في وصفها لنفسها يشي بالدلالات البلاغية التي تكمن خلف أقوالها "يقولون عني إني صبي في هيئة بنت أو عزري الدوار"، وتضحك ثم تواصل "أخالط الأولاد، ألبس مثلهم، يقولون لي إنني لست بنتا، بل بنت لديها مظهر ولد". فما هو الحكم على الذات هنا؟ وهل خطاب ابتسام يندرج في إطار النقد الذاتي، أم المديح الذاتي؟

في المقابلات اليمنية والمصرية، بدت المراهقات والمراهقون أكثر قدرة على ممارسة هذا التمرين العسير في النقد الذاتي، والمتمثل في إحصاء العيوب التي يسندونها إلى أنفسهم عن طواعية. هل يعني ذلك أن لهم قدرة أكبر على التحليل الناقد للذات من أقرانهم في البلدان الأخرى؟ أم أن الأقرب إلى الظن أن هذا الموقف جاء نتيجة استبطان أكبر لأحكام الأهل؟ غالبا ما يتعلق تقييمهم القاسي لأنفسهم بضعف المردود المدرسي. ويرجعون ذلك إلى المساوئ أو النقائص التي تزعج مجتمع الكبار كالكسل وقلة الطاعة وعدم الصبر وقلة المثابرة إضافة إلى الانفعال والتسرع. وهذا ما يرجح التفسير الثاني، ويبين إلى أي حد يمكن أن تكون أقوال المراهقات والمراهقين صدى لانتقادات الأباء في مجال الدراسة والانحرافات السلوكية، في محيط اجتماعي، حيث الطاعة والتحكم في النفس واحترام مختلف أشكال السلطة العائلية تظل خصالا أساسية.

إن مثال محمود (18س، البحرين) يدعم هذه الفرضية، رغم أن أجوبته تفصح عن قدرة كبيرة على التقييم الذاتي "إنني انفعالي للغاية، لكني ضعيف حين أتلقى ضربة قاسية. وأنا صريح جدا وغامض. أما والداي فيريان أني وقح، غير مطيع وولد سيئ. في المجال الجنسي يبدو لي أني غريزي واندفاعي، وأمارس العادة السرية بكثرة. حين أكون وحيدا في غرفتي تتغير شخصيتي وأقوم بكل ما يشبع غريزتي من الأكل إلى الجنس". ويذكر محمود أنه اكتشف العادة السرية عن طريق ولد "صايع" يرتاد المسجد نفسه الذي يؤمه، ويقول إنه منذ أن علم بأن ممارسة هذه العادة محرمة شرعا وهو يحاول التخلص منها.

ما هي العيوب التي تتردد بكثرة في الصور التي ترسمها المراهقات والمراهقون لأنفسهم؟ نجد في البداية "العصبية" وهي مرادفة لديهم لضعف القدرة على التحكم في الذات لأن المحيط العائلي يقدمها على هذا النحو. "إني عصبية قليلا وأنفعل" تصرح نرمين (18س، مصر) على غرار

يؤكد مهيب (16س، اليمن) الذي يصعب عليه تحمل نظرة الآخرين إلى إعاقته، أنه "ليست له عيوب". والأمر نفسه يصح على منى (18س، الجزائر) التي تقول إنها تجهل عيوبها "أعرف ما هي خصالي أما العيوب فلا أظن أن لي عيوبا ... لم أتمكن من اكتشافها". أما عائشة (17س، المغرب) التي كانت في مؤسسة لإعادة التأهيل، فإنها لا تنكر أن لها عيوبا، لكنها تمتنع عن كشفها "للغريب" (أي الباحثة التي تجري المقابلة) "لا أستطيع أن أحدثك عما هو سيئ فيّ".

وثمة أحيانا موقف آخر، تبريري، يحاول أن ينفي ما يلصقه الآخرون من سلبيات بصورة المراهقة أو المراهق. هذه حال عبد الرحمان (16س، تونس) الذي يتفق مع ما سبق ذكره من مواقف، إذ يجده الآخرون لطيفا وخفيف الظل وبشوشا وصاحب دعابة وطيبا، ويؤكد أن هذه الصفات تناسبه تماما. وبالمقابل فهم يؤاخذونه على أنه كسول نوعا ما، وهو لا يقبل هذا الحكم "عندما يتعلق الأمر بأمور جادة فلست كسولا". وكذلك حالة هيام (17س، تونس) التي تتألم للصورة السلبية التي تعكسها عنها أسرتها. فهي لا تستسيغ النقد الذاتي بما أنها ترجع الصعوبة التي تجدها في الاستيقاظ صباحا إلى الأرق، لا إلى الكسل الذي ينسب إليها بغير وجه حق، حسب رأيها.

يتجلى هذا الموقف بوضوح في أقوال بسام (17س، مصر) الذي يعيش في حي عشوائي في ضواحي القاهرة. فقد أتت عباراته في لهجة قاطعة لتؤكد أن بعض المساوئ، كالنزعة إلى العنف، يمكن تحويلها إلى مزايا للحفاظ على الصورة الإيجابية للذات. "صحيح أنا فتوة" (قبضاي، جدع، شخصية الشهم القوي في الأحياء الشعبية الذي يدافع عن الضعيف والذي قد يخالف القانون)، يقول بسام، "ولكني أحب الناس ولا أظلم أحدا، ومن يتعدى علي فإني أفقأ له عينيه، وأدافع عن ضحايا الظلم والناس يحترمونني ويخافون بطشي في الحي". إن صفة "الفتوة" تشير إلى مرجعية تجمع بين الشهامة والقوة البدنية مع أخلاقيات معينة تحيل إلى الرجولة بأتم معنى الكلمة. هكذا يرسم بسام لنفسه صورة تقرّبه من صورة الشطّار والعيارين في التراث العربي أو صورة روبن هود في الروايات الغربية "Robin des Bois".

إن هذا الموقف المتمثل في الحديث عن العيوب يعبّر عن تورية وزخرفة أسلوبية أكثر منه نقدا ذاتيا. ونجده كذلك عند عثمان (18س، اليمن) الذي يتباهى باعتناقه مؤخرا نظرة جهادية للإسلام. ومن هذا المنطلق يصبح أهم "عيب" فيه هو حرصه على تقويم ما يراه منكرا في بيئته المحيطة. مثله الموقف الذي عبّر عنه أكثر من مراهق ومراهقة حين أكدوا أن ما يراه الآخرون عيوبا فيهم يتمثل أحيانا في صفات مثل الصراحة والصدق وغيرها، وهو ما يتسبب لهم عادة بالمشاكل المستمرة مع الآخرين وبسوء فهم مواقفهم. تتظاهر ميساء (18س، الجزائر) بتقديم إيثارها للآخرين كعيب لها، فتقول "عيبي هو أني لا أفكر في نفسي كما يلزم، بل أفكر في الآخرين". وكذلك تفعل كل من سوسن (16س) وإقبال (17س) وهاني (17س) من اليمن. فسوسن تصرح "عيبي هو الصراحة، أريد أن أعبر عن رأيي دائما، وإسداء النصح للبنات، ولكنهن يغضبن، فأجيبهن بأني لا أفعل ذلك متعمدة الإساءة. أنا هكذا، سبحان الله، لي أفكار أريد التعبير عنها". ويرد الموقف نفسه على لسان عبارة (18س، البحرين) "عيوبي الكبرى أنني ثرثارة، خصوصا أني عفوية، أقول ما أفكر فيه في أعماقي بتلقائية، وأنا لا أحتفظ بأي شيء لنفسي".

تجسم فريدة (17س، تونس) هذا الشكل من الإحساس المرهف الذي يترجم بميل شديد إلى البكاء "لم أبك البتة لسبب معين، وإنما أبكي لعدة أسباب مجتمعة أو بدون سبب واضح. وكلما ضحكت ومزحت يعود عليّ ذلك بالبكاء". وتعلّق على ذلك بسخرية قائلة إنها تحتاج دائما إلى نوع من التوازن "فإذا ضحكت في الصباح، بكيت في المساء، والعكس صحيح، أشعر بالارتياح عبر الضحك والبكاء". ويعبر هذا إلى حد ما عن تصور ثنائي للحياة، أفراح وأحزان، ظلام ونور...

لا يشكل الحديث عن العيوب فرصة مناسبة للتفكير في النفس والتحليل الذاتي إلا بالنسبة إلى عدد قليل من المراهقات والمراهقين مثل رفيف (17س، لبنان) ووعود (15س، تونس) وسبيكة (17س، البحرين) وفاروق (18س، مصر)، الذين ينتمون جميعا إلى عائلات ذات مستوى اجتماعي وثقافي واقتصادي مرتفع، مما يرجح الاستنتاج بأن المراهقات والمراهقين الذين يملكون مجموعة من الموارد المادية والرمزية هم أكثر استعدادا للقيام بهذا التمرين الصعب المتمثل في التقييم الذاتي. وهم مسلحون أكثر من غيرهم أيضا "بعدّة" الاشتغال على الذات الذي تستوجبه المراهقة بما هي مرحلة تكوين وبناء مقومات الاستقلال والعبور إلى عالم الراشدين.

رفيف (17س، لبنان)، ينحدر والداها من وسط ريفي ويعملان أستاذين في الجامعة الأمريكية ببيروت. أما الملمح الذي ترسمه عن نفسها فيجعل منها "فيلسوفة" تتساءل عن كل شيء، إذ لا توجد لديها حقائق بديهية، وهي لا تقبل أي أمر إلا بعد إخضاعه مسبقا للتحليل المنطقي والتفكير فيه تفكيرا أصيلا ومستقلا. وتعتقد أن الناس كثيرا ما يخطئون في حقها فيجدونها هادئة ولطيفة وسعيدة، حسب قولها، بينما ترى نفسها "أنانية ومنطوية"، وأكبر عيوبها أنها "متمردة وثائرة" وتعارض كل شيء، تقول ذلك وهي ضاحكة.

تصف وعود (15س، تونس)، التي يعمل والدها في السلك الديبلوماسي، نفسها بطريقة إيجابية وتنظر إلى ذاتها نظرة نسبية تعتمد التلوينات. تقول إنها مرحة، أليفة، متضامنة، تتأثر بما يلحق بأقاربها وأصدقائها من صعوبات، تؤازرهم وتتحمس لمشاكلهم. ولكنها ترى أنها لا تخلو من عيوب، أولها طبعها الانطوائي والحاد، مما يمنعها من إظهار مشاعرها. وهذه حسب قولها "خاصية ذكورية، إذ على البنت أو المرأة أن تعبّر عن أحاسيسها، وأن تكون رقيقة ومرهفة الإحساس". عيبها الثاني، الأنانية، إذ يقال في العائلة "إنها تريد كل شيء لنفسها، ولها نزعة إلى الاستحواذ على كل ما هو موجّه إلى كل العائلة، وترفض قاعدة المشاركة". وهي ترى أن هذا الوصف يطابقها جزئيا.

ومثل وعود، فإن سبيكة (17س، البحرين) وفارحة (16س، الجزائر) تصفان نفسيهما بالأنانية أيضا. تتحدث سبيكة بلهجة لا تخلو من الحدة "أنا لطيفة ويمكن أن أكون سيئة جدا وفظيعة، وأخطر عيوبي أني أنانية، فلا أتحمل أن يتمتع غيري بشيء لا أملكه".

تلاحظ النزعة نفسها إلى تشخيص النقائص عبر عمل تأملي واستبطاني لدى فاروق (18س، مصر) وهو طالب هندسة من أسرة ميسورة من أسيوط (جنوب مصر). تتمثل أكبر عيوبه حسب قوله في أنه يسعى إلى الهيمنة على الآخرين "عندما أجد شخصا ضعيف الشخصية أريد أن "أركبه"، كلما تمكنت من ممارسة سلطتي على أحد فإني أفعل ولا أحترمه. لكني أحاول تقويم هذا العيب وإصلاحه منذ أن نبهني أقاربي إليه وأعلموني به".

العديد من المراهقين، "هكذا يقولون عني رغم أنه لا ينقصني الصبر ولا التحمل. إلا أنه توجد أمور لا أطيقها، ماذا يمكنني أن أفعل ؟ أمي كذلك غاضبة مني لأني لست متدينة كثيرا، ولا أذهب إلى الكنيسة بانتظام". وتعترف هالة (17س، الجزائر) أنها "سيئة الطباع نوعا ما" وكأنها تريد أن تلطف من حكمها على نفسها. "أتوتر بسرعة، وحينذاك أصيح عاليا، وهذا يحزن الأشخاص الذين يحبونني، ولكن دون أن أقصد ذلك، أقول كلاما لا أفكر فيه، هكذا". وترد الفكرة نفسها لدى مروى (18س، الجزائر) التي تقول إنه نظرا إلى أنها كثيرة الكلام، فقد تتفوه بعبارات جارحة ولكنها لا تستهدف أحدا. أما جميلة (17س، المغرب) فإن عدم التحكم في نفسها ونزعتها الجامحة إلى استعمال العنف في وضعيات الخصام والشجار يعودان على الأرجح إلى وضعيتها الاجتماعية المتردّية وإلى تاريخ شخصي مأساوي. وتعترف مواطنة لها بشكل آخر من الإخلال في ضبط النفس الذي تصفه على النحو التالي "أنا أعرف أن ما قمت به من فعل مرفوض تماما، ورغم ذلك أقوم به".

يلحّ عدد من المراهقات والمراهقين الآخرين مثل أكرم (16س) وسلوى (18س) من مصر على قلة الصبر وعلى الرغبة الدائمة في الانتقال إلى عمل آخر "أشعر بالتعب بسرعة" حسب تصريح سلوى، "ليس لي الاستمرارية الضرورية للقيام بالكثير من الأعمال. ما إن أشرع بعمل ما بحماس، حتى أشعر بالتعب". والتعب هنا تعبير عن الملل وقلة الصبر أكثر من كونه تعبا بالمعنى المعروف.

تتجلى من المقابلات أشكال أخرى لضعف الشخصية الذي تعبّر عنه المراهقات والمراهقون ببعض التحفظ، كالتردد والشك. تعترف فارحة (16س، الجزائر) بأنها تجد صعوبة في اتخاذ أي قرار. وعبّرت سوسن (15س، اليمن) هي الأخرى عن قلة الثقة في النفس. ويعبر فتحي (16س) وهيام (17س) من تونس أكثر من غيرهما عن انعدام القدرة على إتمام مشاريعهما وبلوغ نهاية ما يرغبان في إنجازه. ويتجلى ذلك واضحا في كلام الأول، إذ أن قلة "الحزم" تؤثر فيه أيما تأثير خاصة عندما يرى الآخرين من الكبار ثابتين وعاقدي العزم على تحقيق ما يرغبون فيه. ويضيف أن عيبه الكبير هو عدم قدرته على أخذ قرار بسرعة، حتى وإن كان متيقنا أن القرار صائب.

يعزو فتحي هذا التردد إلى التجارب السابقة التي ندم على بعضها لأنه لم يعط لنفسه ما يكفي من الوقت للتفكير. يحب فتحي أن يتفحص الأدوات والمصنوعات بدقة، ويصلح الأشياء الصغيرة بطلب من الأسرة أو من الأصدقاء. يقال عنه إنه فضولي ويحب بطبعه الاكتشافات والاختراعات، ولكن تردده المستمر يمنعه من بلوغ الغاية وإشباع فضوله أو الإقدام على مغامرة. أما عن والده فيقول "قلما يكون متفرغا لنا. وعندما يكون بيننا فهو صعب ومتسلط". وإذا كان فتحي وأخوه لا يعرفان دائما ما يريدان، فإن "كل شيء واضح تماما" في ذهن الوالد، على حد قول فتحي.

تكرر في المقابلات عنصر آخر بتواتر كبير في الصور الذاتية التي ترسمها المراهقات عن أنفسهن ويتمثل في رقة الإحساس. كثيرا ما تصوّر رهافة الحس التي تلامس الهشاشة على أنها عيب، وهي علامة على عدم الاستقرار النفسي والانفعالي، وتبين أن تعلّم التحكم في النفس لم يكتمل بعد ويثير لدى المراهقات مثل فهمية (17س، اليمن) ونادية (18س، الجزائر)، اضطرابا نفسيا متواصلا وميلا إلى البكاء. كما تبين لنا أن صفات الأنا عند المراهقة، تتأثر بدرجة كبيرة بالتنشئة الاجتماعية المتسمة بالتمييز بين الجنسين.

تقف مراهقات ومراهقون آخرون في الطرف النقيض للموقف السابق، حيث لا يمثل حكم الآخرين المرجعية الأولى في بلورة صورة الذات، ويؤكدون أنهم لا يولون أي اعتبار للصورة التي يعكسها عنهم المحيط الاجتماعي. ولا تخلو مثل هذه الأقوال من المبالغة، وقد لا تعبر تماما عن المواقف الحقيقية لأصحابها. إلا أن البحث عن المنطق الذي يحكم خطابهم يبقى مفيدا ومعبرا في أي حال.

فلماذا ترى بعض المراهقات والمراهقين ضرورة تجاوز حكم الآخر في تصور الذات وتمثلها ؟

إن حكم الآخرين في حد ذاته لا يمكن الوثوق به ببساطة. يتضح ذلك جليا من أقوال فريدة (17س، تونس). يقول لها الآخرون عادة إنها جميلة وساحرة ولها ابتسامة حلوة وقامة رشيقة. ولكنها لا تعير أهمية لما يقولون "لأنهم يخاطبون الجميع بهذا الأسلوب من باب الإطراء والملاطفة". غير أن هذا السلوك لا يعود إلى "نفاق" الآخرين، بل إلى تركيبة الأنا، فهي التي تجعل حكم الآخر لا ينفذ إلى حقيقتنا.

عندما تصف فريدة انطباعها بأنها ثنائية الشخصية وبأن صورتها الخارجية لا تطابق ما هي عليه في الداخل، فهي تعبّر عن ازدواج الأنا أو عن أنا يتكون من مستويين. كما تصف إحساسها بأن لها عدة وجوه. ويستغرب الناس الذين لا يعرفونها جيدا، حين يكتشفون أنها مغايرة لما كانوا يظنون. فقد يعتبرونها فتاة طائشة لا ترغب إلا في الضحك والمزاح، ثم يدركون أن لها عقلية مختلفة وأنها أعمق تفكيرا مما يتصورون لأول وهلة وأنه يمكن التحادث معها حول الأمور الهامة في الحياة. فإذا عرفوها جيدا، أدركوا أن لها موقفا خاصا من شؤون الحياة وأنها ليست مثل الآخرين.

تنتقد المراهقات والمراهقون بشدة نزعة الحكم على الآخر من خلال المظاهر حين يفسرون أخطاء التقدير والتقييم التي يتعرّضون لها. وتعبّر عن ذلك إيمان (16س، البحرين) بطريقة خاصة بها "هناك فتاة تجدني مغرورة وصادف أن أتيحت لنا فرصة التحادث، وساعدتها على حل مشكل شخصي، فجاءتني في الغد وطلبت المعذرة لأن حكمها بأني مغرورة خاطئ وغير مبرر. فاستغربت عندما علمت بالصورة التي كانت تحملها عني والحال أني لم أكلمها سابقا قط".

وتتألم غالية (17س، الجزائر) من نظرة زملاء الدراسة لها، إذ يجدون أنها فتاة من النوع السيئ "لأن لي مظهري (look) الخاص". وتؤكد أن الناس يميلون إلى الحكم على الآخرين دون أي معرفة جيدة بهم. وتضيف "علينا ألا نحكم على المظاهر". كذلك تتطرق فهمية (17س، اليمن) إلى الفكرة نفسها، فترى "أن الآخرين بإمكانهم أن يقولوا ما يشاؤون عنّا، ولكنهم في نهاية المطاف لا ينفذون إلا إلى جزء من حقيقتنا. وكمثال على ذلك، يمكن أن نتظاهر بالفرح والسعادة وإخفاء حزن عميق دون أن يتفطن الآخرون لنا". وتقول إقبال (17س، اليمن) لتبرّر أن أحكام الآخرين ليست دائما صحيحة، إن محيطها ينسج عنها حكايات وهمية، منها أنها تحب أخا لصديقتها، وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا نظرا لفارق السن وفارق القامة بينهما.

ذكرت عيوب أخرى في المقابلات مع المراهقات والمراهقين كالحقد وحب الامتلاك والغيرة. فتؤكد نادية (18س، الجزائر) مثلا أنها غيورة، إذ لا تريد أن تحصل رفيقاتها على العلامات المدرسية نفسها التي تحصل عليها، ولا أن يكون لأختها مصروف جيب يتجاوز نصيبها.

## 2. الـذات والآخـرون : سيـرورات المقـارنة الاجتمـاعية

لا تبنى هوية المراهقة أو المراهق مع ما يستوجبه البناء من تفكير في الذات بطريقة منعزلة، وفي شكل حوار منفرد بين الشخص ونفسه، بل يشارك فيه الآخرون بطريقتين مختلفتين على الأقل.

عندما تصف المراهقات والمراهقون أنفسهم، فإنهم يعقدون مقارنة "مع الآخرين" بشكل صريح أو يكادون، حتى يتعرفوا على خصالهم وعيوبهم. ومرجعيتهم في ذلك تارة العائلة، وعلى الأخص مجموع الإخوة، وطورا مجموع الأقران. نجد هنا المفهوم الذي يعبر عنه علماء النفس الاجتماعي بمصطلح "المقارنة الاجتماعية". وهو مفهوم أصبح كلاسيكيا منذ أعمال فيستنجر (Festinger)، يستخدمه الباحثون لوصف السيرورات التي تدلّ على استعمال الآخر للمقارنة والتقييم الذاتي[5]. لكن هذا التقييم ينجز كذلك انطلاقا من الصورة التي يعكسها الآخرون عنّا والتي تتكون على أساس الأحكام والصفات التي يعترفون لنا بها. وهكذا فإن صورة الذات لدى المراهقات والمراهقين تتشكل عبر وسيطين اثنين، فهي خاضعة من جهة لمدى انخراطهم في الحقل الاجتماعي باعتباره المصدر الأساسي الذي يستمدون منه الحكم على الذات، ومن جهة أخرى للمقارنة الاجتماعية حيث يمكن للفرد إسناد قيمة معينة إلى نفسه باعتماد آليات معقدة من التصنيف والترتيب التفاضلي.

يتضمن الشكل الأول من استخدام الآخرين طرح الأسئلة التالية : هل تعتقد المراهقات والمراهقون أن الصورة التي يعكسها الآخرون عنهم هي صورة معينة وذات مصداقية ؟ وما علاقة ذلك بما يتصورون أنهم عليه فعلا، أي ما قد يعتبرونه "الأنا الحقيقي" ؟ وكيف يتعاملون مع نظرة "الآخرين" إليهم والتي لا تخلو أحيانا من قساوة ؟

الملاحظة الأولى التي يجدر إبرازها في هذا الإطار، هي أن جل المراهقين يستندون إلى العائلة ومجموعة الأقران في الآن ذاته ليصفوا أنفسهم. بينما تتخذ المراهقات من الأسرة تحديدا مرجعية أساسية لهن. ولا يشكل هذا الأمر مفاجأة، لأن درجة انخراط الإناث في الفضاء العام أقل وهو في بعض الحالات مجرد مكان للعبور، وليس مكانا للحياة والتفاعل. في حين أن الذكور يتمتعون بحرية أكبر يوظفونها لبناء شبكة علاقات اجتماعية حقيقية تتجاوز حدود العائلة لصياغة "علاقات حوارية" تساعد الشخص على اكتشاف ذاته [6].

إن الدور الذي يقوم به الآخرون "لتمكين المراهق من رؤية الأنا" الخاصة به[7]، يكون مقبولا ويعلن عنه أحيانا بصفة صريحة. ففتحي (16س، تونس) الذي يبدي احترازا قويا من مخالطة أصحاب السوء ويمتدح الصلات العائلية يعبّر عن ذلك أحسن تعبير. فهو يرى أن أهله هم المرآة التي تنعكس فيها صورته. وتؤكد وعود (15س، تونس) ذلك بطريقتها، فيقال إنها معجبة بنفسها، بل تحتقر الآخرين. ورغم أنها لا تحبذ هذا الجانب من شخصيتها، فإنها لا تنكره لأن الآخرين - على حد قولها- "هم الذين يمتلكون حقيقتنا".

**(5)** Festinger, «Théorie des processus de comparaison sociale» in C . Faucheux, Psychologie Sociale théorique et expérimentale, Paris, Maloine, 1971.

**(6)** Singly ( François De), Le soi, le couple et la famille, Paris, Nathan,1996. p. 13

**(7)** Ibid, p 14

يتجلى أيضا الحرص على تقديم صورة مثالية أخلاقية في أقوال سارة (16س، لبنان) المنحدرة من عائلة بيروتية فقيرة. وهذا يعني أنه عندما لا يملك الفرد سوى جسمه وسمعته عليه أن يحافظ على هذا "الرأسمال" الوحيد. ففطومة (16س، المغرب) ترى أن المجتمع عالم مليء بالصقور التي تترصد أقل هفوة من جانبها للانقضاض عليها، لذلك تبقى دائما متيقظة حتى لا تتأثر بمن قد يجرها للانحراف. وتجسم فطومة هذه "الرهبة والخوف من الانزلاق" وما يصاحبهما من خطاب أخلاقي وعظي.

ونجد لدى نجاة (18س، تونس) الاستقطاب الثنائي الذي يجعل الواقع الاجتماعي منقسما إلى قسمين "نظيف" و"قذر"، أي إلى أشخاص متخلقين وآخرين سيئي الأخلاق. كما نلمس الاستقطاب نفسه لدى جهاد (18س، تونس) الذي يحرص على الحصول على التقدير والاعتراف من المجتمع. يعيش هذا الشاب، الذي لم يعد يرتاد المدرسة، ظروفا قاسية وإمكانياته المادية محدودة. ما انفك ينتقل من ورشة ميكانيكية إلى أخرى للتدريب كخراط دون نتيجة تذكر. يقول جهاد "يحبني رفاق الدراسة ويرون في الشاب المستقيم والنظيف لأنهم لم يقفوا لي على أي سلوك مشين". وعندما يصف أهم سمة في طباعه، يقول إنه يحرص على أن يعامل باحترام، ولا يريد أن يختلط بمن هم في سنه من الشبان الذين يعرفون بمزاحهم الثقيل وببذيء القول والعنف.

تذكر أقوال جهاد بتحاليل ماري دوغلاس (Mary Douglas) عن المنطق الذي تقوم عليه مفاهيم "المدنس" و"القذر"[9]. يقول هذا الشاب "يتسم المجتمع التونسي والعالم بصفة عامة بالاختلاط بحيث لا يمكن التمييز بين الحسن والقبيح، لذا تراني لا أتسرع، وأتحرى قبل أن أربط علاقة مع شخص آخر وأتعرف عليه". ورغم أن بقية المراهقين لا يقسمون العالم إلى شطرين منفصلين بصفة قطعية، فإن أغلبهم يستند ضمنيا إلى مقولات النظام الأخلاقي عندما يصفون أنفسهم. ومن المقولات الواردة النزاهة، التقدير والأخلاق الحسنة.

ما يثير الانتباه في خطاب المراهقات والمراهقين أيضا، هو أن صورة الذات لا تتحدد فقط على أساس عدد من الصفات أو القيم الأخلاقية المتصلة بالفرد نفسه، بل تتعلق أحيانا بتقييم الكفايات الاجتماعية. ويظهر ذلك واضحا في المقابلات المصرية حيث يعود نعت "جدع" و"جدعة" أي الشجاع والقادر الخدوم، بصفة متواترة. كما نجد في المقابلات أوصافا وعبارات أخرى تستعمل للدلالة على الانسجام مع المحيط الاجتماعي وعلى الرضا عن النفس في مجال العلاقات الإنسانية.

تصف المراهقات والمراهقون خاصة في البحرين واليمن والمغرب أنفسهم بألفتهم و"علائقيتهم"، ويؤكدون أنهم يحظون بتقدير الآخرين بسبب ذلك. إذ أبرزوا قدراتهم على طمأنة الآخرين وربط صداقات كثيرة والحفاظ عليها. تقول سهير (16س، مصر) "أتعوّد بسرعة على الآخرين وأكسب صداقاتهم بسرعة فائقة. وقد يصادف أن أغلط ويغرّر بي ولكن يستحسن حسن الظن بالآخرين، فهذا خير من سوء الظن بهم والريبة منهم". وفي حالات أخرى يأخذ وصف الذات صبغة أخلاقية كالتأكيد على اللياقة وآداب السلوك وخاصة الطيبة وتجنب الحقد والتسامح مع من أساء إلينا، كما ورد على لسان إقبال (17س، اليمن) وبعض المراهقات اليمنيات.

**(9)** Douglas (Mary), De la souillure, Etude sur la notion de pollution et de tabou ,Paris, la Découverte, 1992.

أما سمير (16س، تونس) فهو لا يتحمل أن يقال عنه إنه جدّي للغاية، ويدرس كثيرا "محراث قراية". إنها سمة يلصقها به رفاقه. فلا أحد استطاع أن يفهمه وذلك لتغير مواقفه وتقلب مزاجه. ويضيف "تارة أكون جديا، وتارة أكون مرحا ومازحا، وأحيانا أكون منضبطا، وقد أخرج في أحايين أخرى عن السلوك العادي". وكأنه يريد أن يقول ليس من اليسير "تصنيفي" ونعتي بصفة واحدة. وهذا يدلّ بطريقة أخرى على عدم قدرة الآخر على الإلمام بمختلف جوانب الأنا.

فما هو دور المقارنة الاجتماعية في بناء صورة الذات ؟ وإلى أي حد تتدخل سيرورات المقارنة في العمل المعقد للتقييم الذاتي ؟ وبمن تقارن المراهقات والمراهقون أنفسهم غالبا؟ بالأقرباء أم بصورة للآخر المعمم ؟

يبرز من تحليل المقابلات أن المقارنة تبدأ من القريب فالأبعد ثم الأبعد داخل دائرة العائلة، ثم تمتد إلى آخر مجهول، حيث لا تبدي المراهقات والمراهقون أي حرج في استخدام التصنيف التراتبي استخداما كليا.

تعقد حنين (17س، تونس) مقارنة ضمنية مع زملاء الدراسة عندما تريد التعريف بنفسها ثم تسعى إلى التموقع في إطار أسرة الأب وأسرة الأم. وتستعين نجاة (18س، تونس) كذلك بالمقارنة كوسيلة للتعرّف على الذات، فتقارن نفسها أساسا بأختيها اللتين تكبرانها سنا، فترى أنهما خجولتان خلافا لها، لا تتحدثان كثيرا وتنكفئان على نفسيهما. أما بول (18س، لبنان)، فهو لا يتردد عن التأكيد أنه مختلف عن مجموع الشبان في سنه، وربما يرجع اختلافه هذا إلى التزامه الديني.

تحدّد المراهقات والمراهقون صورة الذات بالاستناد كذلك إلى عامل معياري وأخلاقي، حيث تحتل الأحكام القيمية المكانة الأولى، وإلا فماذا تعني النزعة المتواترة في تعريف المراهقات و المراهقين لذواتهم بأنهم أشخاص "طيبيون" أو "رصينون" ؟ وما يفيد "حضور الأخلاق" وتأثيرها العميق في تقديم المراهقات لأنفسهن والتي تجعل العديد منهن يعرّفن أنفسهن بمقارنة عكسية مع صورة الفتاة الطائشة والعابثة ؟

تبرز أهمية المقارنة التصنيفية في خطاب سيرين (17س، الجزائر) وفدوى (16س، تونس). تصرح سيرين التي يعمل والدها سائق تاكسي وأمها ربة بيت، بأن الناس يجدونها "فتاة مهذبة" ولا يرونها إلا مع بنات مثلها "لا أسير يمينا ولا شمالا، من المعهد إلى الدار مباشرة..." أما فدوى الفتاة الريفية، فتؤكد من البداية أن الآخرين يجدونها "رصينة وعاقلة" ولا يسجلون في سلوكها أي انحراف مثل مصاحبة الذكور. وهي تفسر ذلك بالتربية المتشددة التي تلقتها. وتتحدث سيرين عن هذه التربية بنخوة كبيرة فتذكر بأنها تعودت أن لا تخالط إلا الفتيات "المتخلقات" و"العفيفات". فلفظ الشرف الذي تستعمله مرادف للعفة الذي يعني الحفاظ على شرف المجموعة وعرضها.[8]

**(8)** فيما يتعلق بمفهوم الشرف في المجتمعات المغاربية أنظر :

Jamous (Raymond ), Honneur et Baraka, les Structures Sociales traditionnelles dans le Rif, Cambridge University/ Ed. de la Maison des Sciences de l'Homme, 1981.

وبموازاة تأكيد الذات من خلال المعارضة، يتخذ عدد من المراهقات والمراهقين نهجا آخر يتمثل في البحث عن الأنا الأصيل والمتفرد، فيصل المراهق إلى الإحساس العميق بأنه "فرد" بطريقتين اثنتين : إما بما يمكن نعته حسب لغة فوكو "بالانشغال بالذات"[10] والذي يتجلى في أشكال مختلفة كالاهتمام بالجسم وإبرازه أو على العكس من ذلك، رفض التمركز حول المظهر ورفض دكتاتورية المظاهر التي يمليها الآخرون وخاصة مجموعة الأقران لفائدة ما يعتبرونه أنا "حميميا" لا يمكن النفاذ إليه. تمثل فتحية (16س، تونس) بنرجسيتها المفرطة، الصنف الأول عندما تعترف أنها ترغب في أن ترى نفسها في المرآة باستمرار وأن تجمل حاجبيها وأن تصبغ شعرها وتعتني بمظهرها، رغم معارضة والدتها لهذا السلوك.

**إطار 1.2**

## بناء الفرد بين الاستقلال والاستقلالية

في إطار تشكل الهوية الفردية ثمة قاسم مشترك بين كل الأعمار. إنه السعي الدائم إلى تأكيد الذات ككائن متميز. ولكن المراحل العمرية تختلف في الوزن الذي تكتسبه كل من العناصر المكونة للذات. وهي تخطيطيا ثلاثة : الاستقلالية autonomie والاستقلال independance والتميز originalite. ففي مرحلة المراهقة يكتسب الطفل المزيد من الاستقلالية وينظر إلى "الأزمة" باعتبارها تتيح له بناء عالمه الشخصي المنفصل عن عالم الأهل من خلال استعارة أو تبني الثقافة "الشابة" من أصدقائه. وهو يحقق بذلك حركة مزدوجة نحو الاستقلالية والتميز في ظل علاقة مع أهله تتميز بالتبعية dependance. إن المراهقين في المجتمع المعاصر يعيشون عدة سنوات من التوتر بين مستوى عال من الاستقلالية ومستوى منخفض من الاستقلال. أما سن الرشد فيمكن تعريفه حسب المعايير المعاصرة بأنه نوع من الاتساق coherence بين المستويات الثلاثة. ثمة بعد رابع ألا وهو بروز الأنا الحقيقي المتسق وغير المزيف authentique، authenticite وهو ثمرة تمازج الأبعاد الثلاثة الأولى لأنه يصلح كمعيار لتقييم الذات. وهو الطريقة التي أكون فيها إنسانا على طريقتي... بحيث أتبع نموذجا للحياة لا يمكن أن أجده خارج نفسي.

### أبعاد بناء الهويّة الفرديّة

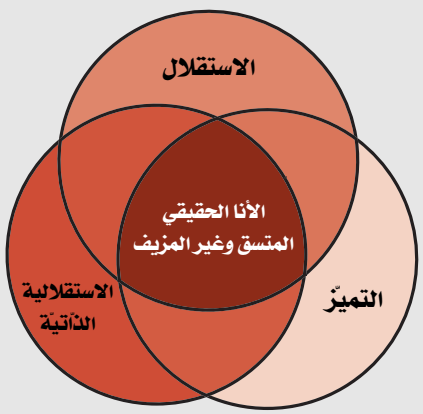


**Source :** Singly (François de), Les âges du soi in Etre soi d'un âge à l'autre. Famille et individualisation tome II. Sous la direction de François de Singly. Paris, L'Harmattan, 2001.

**(10)** Foucault (Michel), Histoire de la sexualité : 3- Le souci de soi, Paris, Gallimard, 1984.

نلاحظ لدى حسام (18س، اليمن) وسمير (16س، تونس) أن الاندماج في مجموعة الأقران يوازيه شيء من اليقظة والحيطة، مما يبرز تأثير الخطاب الأبوي والحرص على اختيار الأصدقاء والإبقاء على بعض المسافة معهم إن لزم الأمر "إني أعتبر نفسي مهذبا، لا أدخن ولا أخزن القات ولا أخالط أصحاب السوء"، هكذا يقول حسام. ويؤكد سمير من جهته أنه استطاع رسم قاعدة للاحترام المتبادل مع الآخرين. ويتجلى تأثير الأبوين كذلك في تقييم المراهقين لأنفسهم في مجال المردود الدراسي رغم أن حضور هذا العنصر يبدو بارزا أكثر في مشاريع المراهقات المدرسية منه في مشاريع المراهقين. ونجده أكثر بروزا في المقابلات البحرينية واليمنية والمصرية.

## أ- البحث عن الأنا الحقيقي وبناء الذات

يتضح من كل ما سبق أن بناء أنا المراهق يتم عبر التردد المستمر بين قطبي العودة إلى الذات وبلورة صور عديدة للآخر. لكن البعد العلائقي والاجتماعي لهذا البناء، كما لاحظنا ذلك سابقا، لا يفضي ضرورة إلى رغبة في الامتثال واستبطان مقتضيات النظام الاجتماعي، بل يتحقق هذا البناء غالبا بالقطيعة مع ضوابط وقوانين مختلف المجموعات التي ينتمي إليها المراهق والبحث عن الأنا الحقيقي (authentique) والمستقل ذاتيا (autonome).

كيف يبني المراهق ذاته عندما يمتلك الموارد الضرورية لذلك وعندما يتمتع بهامش لتحقيق هذا البناء ؟ يقوم بعضهم بانتقاد السلطة والرجوع إلى الأنا، أي في منطق المعارضة حيث لا يبحثون عن تأكيد ما يريدون أن يكونوا عليه، بل ما يريدون تجنبه والابتعاد عنه. ويقومون بذلك في اتجاه مغاير للبحث عن الأنا "الحقيقي". إنهم يصوغون هذه الذات عبر إرادة واضحة للقطع مع "الأثقال الاجتماعية" والأنا المحدد والمرسوم سلفا والمطالبة بالحق في الخطأ كوسيلة للتربية الذاتية كما تؤكد ذلك وعود (15س، تونس). تتميز بعض المراهقات والمراهقين المستجوبين بسعيهم إلى المعارضة مهما كان الثمن، ومنهم فريدة (17س، تونس) التي تعتبرها عائلتها عنيدة ومتصلبة لأنها تريد دائما فرض رأيها ولا تتراجع عن فكرتها أبدا ولو أيقنت أنها على خطأ. وكان عنادها أكبر عندما كانت صغيرة، والآن أصبحت تعترف أنها مخطئة في بعض الحالات دون أن تتراجع كليا. وهي تشبه أباها في ذلك بما أنها تقف في وجهه موقف الند للند. ورغم أن أمها تنصحها بالتخلي عن العناد، فإن فريدة لا تضعف ولا تتراجع، ولا تضبط نفسها. فهي تريد أن تقول لوالدها ما تفكر فيه رغم أنها تعرف أن ذلك سيزعجه ولا يروق له وأنه سيتوتر وربما يصبح عنيفا. المهم ألا تبقي شيئا في نفسها. وأكدت لاحقا أنها كانت دائما تحرص على ألا تكون نتاجا لتربية والديها، بل لما تريده هي بنفسها. تتحدث عن هذه الإرادة "للبناء الذاتي" وبصورة مستقلة، حديث الواثق من اختياراته.

توجد مراهقات ومراهقون آخرون أقل تشددا في إرادتهم في تأكيد الذات أمام الآخر. يصف لنا مصطفى (17س، لبنان) ميلا عرضيا إلى الحاجة التي يشعر بها من حين إلى آخر لفرض نفسه. أما بالنسبة إلى دانة (17س) ونادين (16س) وهما من لبنان أيضا، فإن إرادة تأكيد الذات والحفاظ على الاستقلالية تجاه المجموعة الأسرية تتوازى مع حسّ ديمقراطي يدفعهما إلى احترام رأي الآخرين. تقول دانة "لا أريد فرض رأيي على أحد لأنني أكره أن يفرض عليّ أحد رأيه".

لا تتردد مراهقات ومراهقون آخرون في التعبير عن الحاجة إلى المساعدة في هذا العمل التحليلي للذات، فلم تذهب وعود (15س، تونس) مثلا إلى المعالجين النفسانيين ولكن كانت تتمنى التحدث بانتظام إلى شخص يفهمها. وكانت تتمنى أن يكون ذلك الشخص مختصا وله الوسائل والمسافة الضرورية لفهمها. وهي تعتقد أنها تحتاج إلى معرفة شخصيتها معرفة أفضل وتتعلم التواصل مع الآخرين دون سوء تفاهم.

## ب- موارد الأنا : حدود متباينة في بناء الذات

تمتلك المراهقات والمراهقون عادة صنفين من الموارد في عملية بناء الذات : الموارد الموضوعية والموارد الذاتية، وهذا ما يتجلى على الأقل من أقوالهم، فهم يدركون حق الإدراك أن الحياة لا تعطيهم إلا بقدر ما يتوفر لهم من "رأس مال" يوظفونه في مرحلة الانطلاق. يعرف جلهم، مثل جهاد (18س، تونس) أنهم لن يصبحوا "ذوي شأن"، أي شخصيات مرموقة اجتماعيا بدون موارد مسبقة "لنا الحق جميعا في الحلم ولكل الناس أمان وأحلام". يعشق جهاد كرة القدم ويتصور نفسه مستقبلا لاعبا كبيرا في "النادي الإفريقي"، ناديه المفضل بتونس العاصمة. لكن لو كان له المال لبعث شركته الخاصة لضمان مستقبله والحصول على تقدير الآخرين، لأنه حسب قوله "إذا كان لك مال تحصل على تقدير الجميع، وإذا لم يكن لك شيء فأنت لا شيء". فهو متيقن أن طموحه وحلمه يستوجبان المغامرة والمجازفة، ودون ذلك فلن يصل إلى غايته.

أما نجاح (16س، تونس)، فجاءت أقوالها صدى لما سبق. فهي ترفض أن تكون امرأة جاهلة وقابعة بالبيت وتحلم بأن تصبح مصممة أزياء، وكأن فكرة امتلاك الذات والامتلاك عامة تمتزجان في ذهنها ولو بصورة ضبابية، وهي فكرة طوّرها روبير كاستيل (Robert Castel) في أعماله حول ظروف بروز الفرد. فحسب رأيه يصبح الإنسان فردا بطريقتين اثنتين : إما من خلال الوفرة (الفائض) عندما يتوفر هامش من الحركة والموارد أو القدرات لوضع إستراتيجيات وتجسيد المشاريع، أو بالندرة (النقص أو القلة) عندما يعيش الشخص منفصلا عن دوائر الانتماء، أي كلما عجز الفاعلون الاجتماعيون عن الانخراط في جماعات توفر الحماية. نلاحظ في الحالة الأولى تأكيدا فعليا للذات وفي الحالة الثانية نجد ظاهرة التفتيت "والتذرير" atomisation حين يصبح الإنسان فردا رغما عنه [12].

لا تقتصر الموارد الموضوعية على الاقتصادية منها، وهذا ما اتضح في بعض المقابلات مع مراهقات ومراهقين يملكون قدرة جيدة على التعبير عما يفكرون فيه وعما يريدون أن يصبحوا. فقد أدرجوا ضمن الموارد الموضوعية النجاح الدراسي والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي للأسرة، أي الفضاء الخاص المساند للمراهق والذي بإمكانه أن يستعمله بكل حرية وحميمية.

وإذا كان عدد من المراهقات والمراهقين مثل رامي (15س) ونادين (16س) من لبنان غير مدركين "لحظهم" في امتلاك غرفة شخصية، يوظف آخرون هذا الفضاء الخاص لتكوين عالم مستقل وسط العائلة. ويبدو أن المراهق لا يدرك أهمية أن يكون له فضاء شخصي إلا متى حرم منه. لين مثلا (17س، لبنان) تقاسم أختها غرفة واحدة وتشعر بحاجة ملحة للتمتع بفضاء خاص بها نظرا إلى شغفها بالمطالعة. رغم هذا تقول وكأنها تريد أن تواسي نفسها "توصلت إلى تخصيص فضاء لي، أما الأهل فيدركون ما يمكن أن يعرفوا عنّي، وفيما عدا ذلك فليس لهم أن يتدخلوا في شؤوني".

**(12)** Castel (Robert) et Haroche (Claudine), Propriété privée, propriété sociale, propriété de soi, Paris, Fayard, 2001.

إن النجاح في مسار البحث عن الأنا الحقيقي يتطلب أولا أن يعرف المراهق نفسه وأن يتقبلها كليا بواسطة نوع من التفكير الداخلي العميق. إن بعض الرومانسية التي تبرز عبر الحاجة للابتعاد عن مجتمع الآخرين والبحث عن علاقة متميزة مع الطبيعة تبدو مناسبة لهذا الاشتغال على الذات. وتدل على هذه النزعة حالة رفيف (17س، لبنان) التي تنمّي أنوثتها وتبحث عن العزلة والانفراد للتأمل والتفكير. كما تشعر بالحاجة إلى التوصّل إلى رأي شخصي عن كل الأسئلة التي تثيرها. ويتبين لنا أيضا من حالة رفيف أن البحث عن الأنا المتفرد والأصيل مرتبط بشعور جامح بالاختلاف الجذري، فهي تقول "أشعر بأني مختلفة اختلافا كبيرا عن الآخرين إلى درجة أني أبدي نوعا من التعاطف مع المعوقين والمجانين".

ورغم أن مروى (18س، الجزائر) تتحدث بلهجة أقل شفافية من رفيف، فإنها تؤكد أيضا على اختلافها سواء في نظرتها للعالم أو في مظهرها "إني أتسامح في كثير من الأمور... أعطيكم مثلا ممارسة الجنس المثلي، أو الحجاب... فأنا أقبلهما. صحيح أن هذه الممارسة غير عادية إلا أنني لا أرفضها". وتضيف قائلة "لا أريد أن ألبس مثل الآخرين، أرغب في أن يكون لي أسلوبي الخاص، وببساطة لا أريد أن أقارن بهم". بالنسبة إلى مروى، كما هو الشأن لدى العديد من المراهقات، مثل مواطنتها غالية (17س)، فإن الشعور الحاد بالاختلاف لا يعتبر معطى مفروضا وإنما خاصية تبحث عن تنميتها. غالية التي تصف نفسها بأنها غريبة نوعا ما وتقول ذلك بشيء من الرضى، تؤكد أنها ليست مثل الآخرين إلا أنها تستدرك لتدقيق الأمر فتقول "أفعل كل ما في وسعي لكي لا أشبه الآخرين سواء في الهندام أو في غيره من الأمور، أريد أن تكون لي شخصية متفردة. انظروا فذلك يظهر من خلال جسمي (تضحك) وحتى في مجالات أخرى... وليست لي اهتمامات الآخرين، وعندما أعتقد في شيء ما فإني أبذل قصارى جهدي لتحقيقه". وكثيرا ما يستعمل لفظ "شخصية" وعبارة "قوة الشخصية" من قبل المراهقات مثل سهام (16س، المغرب) للدلالة على اختلافها والتأكيد على قدرتها على الاختيار والدفاع عن اختياراتها وتحمل تبعاتها تجاه محيطها.

ويؤكد محمود (18س، البحرين) من جهته الشعور نفسه بالحاجة للاختلاف، مما يبرز إرادته لفرض الذات "لا أريد أن أقلد غيري حتى لا أصبح تابعا له ولا أريد أن يكون غيري نسخة مني. أعتقد أني شخص قوي، قادر على مواجهة الصعوبات وأن ما يعترضني من مشاكل يجعلني أزداد قوة. أريد أن أتميز عن الآخرين وأفرض شخصيتي". في حين تصرح دعد (17س، لبنان) أنها تود الانزواء في غرفتها وقضاء الساعات الطويلة في المطالعة والتفكير وممارسة رياضتها المفضلة : "الصمت". ويشير قولها إلى أن كثيرا من المراهقات والمراهقين يعملون على بناء الأنا الحقيقي في خلوة منفردة مع أنفسهم، وكأنهم يتجنبون "ضجيج" الخارج الذي قد يمنعهم من البناء الذاتي.

تعبّر فريدة (17س، تونس) عن فكرة مشابهة حين تصف عالمها الشخصي بكونه عالم الوحدة والانفراد، حيث لا يحتل الآخرون بنظرتهم للوجود إلا مكانة محدودة جدا، وحيث يسود حب الطبيعة والحاجة إلى الاختلاء بالذات، فتقول "إني أحب الطبيعة وخاصة في الليل، وأكره الشمس والضياء، وعندما أشعر بالقلق أصعد إلى سطح البيت ليلا لمشاهدة السماء، وهو الأمر الوحيد الذي يسليني ويخفف عني كربتي"[11]. إن اهتمام فريدة بأركان "علم النفس الساذج" وبالتنجيم الذي تزخر به المجلات والجرائد، مؤشر آخر على رغبتها في استكشاف طاقات الأنا الكامنة والعميقة.

**(11)** انظر تحاليل جلبار دوران حول النمط الليلي للخيال :

Durand (Gilbert), Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, Durand, 1992.

أما مهيب (16س، اليمن) الذي تبدو صورته عن ذاته أكثر انكسارا نتيجة إعاقة بيده، فيصرح بأنه راض عن مظهره رغم ذلك، ويأسف لنظرة الآخرين إليه الذين يعتبرونه "مختلفا" عنهم ويتجنبون مصاحبته.

ويقول جهاد (18س، تونس) إنه لا يرى نفسه "جميلا ولا قبيحا" ويضيف "إني أعتبر نفسي شابا وسيما وهذا من فضل ربي الذي خلقني وإن ميزتي هي أن الله هداني إلى الطريق المستقيم فلا خمر ولا بنات ولا محرمات". وتتردد الأجوبة المنمطة نفسها في المقابلات المغربية التي تؤكد على أن جمال الشكل لا قيمة له مقارنة "بجمال الروح" وهي أجوبة مطبوعة بالقيم السائدة اجتماعيا.

تفسر ظروف الدراسة الميدانية إلى حد ما رفض المراهقات والمراهقين الدخول في لعبة تقييم الشكل والجمال، لكن الخطاب القيمي السائد، بخلفيته الدينية يلقي بظلاله على أجوبتهم في مرحلة عمرية يفترض أن تبرز فيها رغبة المراهقات والمراهقين في إثارة إعجاب الآخرين وإغرائهم وسحرهم، بشكل أكبر. كما يتجلى من الأجوبة تأثير الجنس في بناء الهوية الشخصية إذ تتراوح مواقف المراهقين بين عدم الاهتمام الحقيقي بالاعتبارات الجمالية حينا، وبين الازدراء المتصنع لها حينا آخر، وهم أكثر عددا من المراهقات على إظهار عدم تأثرهم بالجانب الشكلي وكأنهم يريدون القول تكمن "قيمة الرجل" في غير ذلك، وهذا ما يصرح به محمد (17س، مصر) حين يؤكد "أن مظهره الجسمي هو آخر اهتماماته". ولكن موقف الفتيان هذا في التقليل من أهمية شكلهم وجمالهم، يقابله تشديد أكبر من قبلهم على أهمية صفة الجمال عند الفتاة عندما يتعلق الأمر بمواصفات الشريكة، وذلك ما سنراه في فصول أخرى من هذا التقرير، خلافا للفتيات اللواتي لا يشترطن الجمال في شريكهن. ويؤدي ذلك إلى ضرورة التحفظ في تفسير دلالات المواقف المعبّر عنها، بل في دقتها وفي مدى كونها تعبر عن الموقف الحقيقي لأصحابها أو أنها مجرد أجوبة منمطة تحكمها من جهة أولى ضرورة تقديم فكرة جيدة عن الذات للباحث الذي يطرح السؤال، خصوصا أن الجمال معطى لا يمكن تغييره والرضى به. وهو من باب التكيّف والتخفيف من حدة التناقض الداخلي من جهة أخرى.

لكن المواقف تتغير قليلا عندما يتعلق الأمر بما يمكن التأثير فيه وتغييره من خلال السلوك. ويبرز ذلك بشكل خاص فيما يتعلق بزيادة الوزن أو خفضه، أو بطول القامة وقصرها، أو شكل الشعر ولونه... لقد أثار عدد هام من المراهقين وخاصة المراهقات مشاكل زيادة الوزن. تقول ريم (15س، لبنان) إنها لا تتحمل مظهرها الجسدي لأنها بدينة وتخجل من نفسها. وكذلك منى (18س، الجزائر) التي تسبب لها وزنها الكبير ببعض المشاكل داخل مجموعة الأقران "أجد نفسي بدينة نوعا ما، وأصبح الناس الآن يسخرون مني فيقولون إنها البدينة إنها البقرة، وهم لا يتوقفون عن شتمي". ويتحول في حالات أخرى عدم تقبل المراهق لذاته جسميا وجماليا إلى حرج حقيقي إلى درجة تتأثر معها علاقته بالمحيط الاجتماعي.

يعبر وليد (18س، البحرين) الذي يبدو أنه يجد صعوبات كبيرة للاندماج في المجتمع تعبيرا مؤثرا فيقول "أنا أحب الناس وأحرص على صحبتهم، ولكنهم يتجنبونني ويعتبرون أني قبيح المنظر، فأنا لا أتقبل شكلي ولهجتي في الكلام، يرفضني الآخرون لأن أمي هندية. أما زينب (18س، لبنان) التي تنتظر الطلاق، فلم تعد تتجرأ على النظر في المرآة إثر فشل زواجها ولم تعد تريد أن يقال لها إنها جميلة، فجمالها هو أحد أسباب زواجها الفاشل الذي تدفع ثمنه الآن.

لقد توصل مراهقون آخرون ينتمون إلى أوساط ميسورة و/ أو لهم مستوى اجتماعي- ثقافي مرتفع إلى تحقيق مستوجبات الاستقلالية، مثل راني (16س) أو رفيق (18س) من لبنان الذي يراقب والده كل شيء ويعمل على جعل انخراط ابنه في الحزب الديني أقل قوة. فقد نجح رفيق في أن "يفرض" في العائلة احترام الحياة الخاصة لكل عضو فيها ويكرس في الواقع الملكية الشخصية للأماكن والأمتعة "ليس لأحد الحق أن يأخذ قميصي أو اسطوانتي دون إذن مني".

يحقق المراهقون أكثر من المراهقات - كما هو متوقع - نوعا من الاستقلالية خارج إطار البيت، عبر نسج شبكة من العلاقات الاجتماعية واستخدام الفضاء العام، وهذا شأن أشرف (18س، لبنان). ومن جهة أخرى، لا تتوانى البنات عن المطالبة باستمرار بقدر أدنى من الأشياء الذاتية وبالحق في أن تكون لهن "أسرار" وحكايات خاصة جدا رغم أنهن لا ينجحن دائما في ذلك، كما تؤكد أقوال تالة (17س، لبنان).

أما الموارد الذاتية فلا تقتصر على العزيمة وعلى الطاقات الكامنة في أعماق الفرد، بل تتجاوز ذلك إلى طبيعة النموذج الموجود في محيط المراهقات والمراهقين. وهذا ما يفسر الاختلاف بين وعود (15س) ونجاح (16س) من تونس إذ تعجب الأولى إعجابا كبيرا بأبيها الذي تحب هدوءه وثقافته وجهوده للنجاح والتميز. أما الثانية فتتماهى بالنموذج المضاد لما تمثله أمها (معينة منزلية ومطلقة) فترفض هذه المراهقة أن تؤول إلى المصير نفسه الذي عاشته أمها اقتصاديا واجتماعيا، وبالتالي فإنها تعرف نفسها ومستقبلها بعكس "النموذج" الذي تمثله الأم. وتريد نجاح مستقبلا، أن يكون زوجها مهذبا ومن أسرة محترمة، ذكيا وله طباع تماثل طباعها. ولا تريد أن تكرّر خطأ أمها في اختيار الزوج.

تمكّننا المقابلات اللبنانية من الوقوف على أهمية النماذج في بناء هوية المراهق في البحث عن الاستقلالية، مثل أشرف (18س) أبوه جامعي لامع ومناضل سياسي محترم ودينا (15س) التي تكنّ إعجابا كبيرا لأبيها، الضابط في الجيش اللبناني. وأخيرا راني (16س) الذي يبدو متأثرا كثيرا بعمه المهاجر والناجح في عالمي الرياضة والأعمال.

## ج- الشكل : "عادي" ولكن ..."يمكن أن يكون أفضل"

كيف تصف المراهقات والمراهقون أنفسهم من الناحية الجسمانية ؟ تتردد كثيرا مفردات من نوع "عادي" و"مثل كل الناس" في معظم المقابلات المنجزة باستثناء أجوبة المراهقين اللبنانيين. كما تتواتر عبارات تؤكد على أن الجسم "معطى" ورأسمال الانطلاق بحيث ليس لنا قدرة كبيرة على التأثير فيه وعلينا تقبله كما هو بكل قناعة، خلافا للطبع الذي هو نتاج الشخص ذاته. فالقبح والجمال هما من صنع صانع لا يرى ويجب الرضى بهما أيا كان مستواهما.

تجسد أقوال نجاح (16س، تونس) هذه الفكرة بشكل مؤثر، فهي تزدري أقوال أختها التي تسخر عادة من مشاكلها الجلدية التي تؤثر على مظهرها الجسمي. وترى أن موقف الأخت في غير محله. تقول نجاح "القبح والجمال من شأن ربي، وعلى الإنسان الرضى بما يعطيه وعدم السخرية ممن له نقيصة أو عيب لأنه غير مسؤول عن ذلك". وتتوافق هذه العبارات مع ما جاء على لسان زكية (18س، البحرين) مختزلا جدا إذ اكتفت بالقول "ليس لنا إلا الرضى بما أعطانا الله إياه وشكره على ذلك".

وعندما تتذكر المراهقات والمراهقون أحداثا معينة، فإنهم غالبا ما يفتحون أعينهم على لحظات ألم كبير تخرجهم من هذه العلاقة الخاملة التي تربطهم عادة بالزمن. وهي آلام تركت شرخا عميقا في مسار حياتهم. بالنسبة إلى جميلة (17س، المغرب) إنه جرح بليغ لا يمكن لها أن تشفى منه أبدا "حكاية والدها الذي حكم عليه بثلاثين سنة سجنا لأنه اغتصب أختها الكبرى". ولا يذكر إلا عدد ضئيل من المراهقات والمراهقين حدثا سعيدا مثل اللقاء الغرامي أو السفر... باعتباره لحظة طبعت حياتهم. ولئن تنوعت الأحداث المذكورة (موت، طلاق الأبوين...)، فإن سردها يتمحور دائما حول "ما قبلها" و "ما بعدها" وكأن أصحابها يريدون التأكيد على طابع اللارجعة لما جرى وأنه "لا شيء سيكون مثل السابق".

يمثل موت الأجداد الحدث الحزين الذي يتردد بكثرة في أقوال المراهقات والمراهقين. وما قصة جاسم (18س، البحرين) إلا شاهد على مدى الحزن الذي يرافق فقدان الأجداد. إذ تظهر لنا السمة المتفردة لهذا الحدث باعتباره يمثل "اكتشاف" الموت. يقول هذا المراهق "لقد أثر فيّ موت جدتي أيما تأثير وغير نظرتي إلى عدة أمور، وذكرني بوجود الموت، إني لم أعرف موت شخص أقرب إلي من جدتي". ولا يستثنى من هذه القاعدة العامة أشرف (18س، لبنان) رغم أنه تحرر إلى حد كبير من سيطرة العائلة وانخرط في النضال من أجل قضايا سياسة واجتماعية تتجاوز أفق الأسرة الضيق، فيذكر أن موت جدته هو الحدث الوحيد الذي طبع حياته. والشيء نفسه بالنسبة إلى دينا (15س، لبنان) التي تقول إن أهم حدث أثر في حياتها هو موت جدتها "منذ وفاتها، كل شيء تغير، ولم تعد العائلة مثلما كانت عليه. فلا نتزاور ولا نجتمع مع بعضنا". أما هبة (16س، لبنان)، فهي تتعرض إلى موت جدها بكلام بالغ التأثير "كان جدي يدللني ويداعب شعري. وفي يوم من الأيام لما كان على فراش الموت، وقد اشتد به المرض، طلب مني أن أقترب منه وقبلني على خدي، لن أنسى هذه القبلة ما حييت"[16].

تحدث فاروق (18س، مصر) عن الموت والطقوس الجنائزية والصور التي يسترجعها عن تلك اللحظات الفريدة ووصف موت جدته وكأنه لحظة عبور إلى مرحلة الرشد بالنسبة إليه. ويقول عن هذا التحول "أحب جدتي حبا عارما وكأني أحد أبنائها. أثناء مراسم الدفن وموكب تقبل العزاء، قمت بدور أساسي لا يوكل عادة إلى الشبان في سني. ومنذ ذلك الحين أصبحت أتحمل مسؤوليات تتجاوز سني". كذلك سمية (18س، مصر) إذ يمثل موت أحد الأقارب بالنسبة إليها لحظة مؤلمة ولكنها "فرصة" لتعلم ما يستوجب عمله للالتحاق بعالم الكبار.

تتضمن قصة هيام (17س، تونس) أيضا حديثا عن الموت، موت أبويها، الوالد الحقيقي والمتبني لها "يعني الموت بالنسبة إلي فقدان أشخاص إلى الأبد... إن ما فقدته في الحقيقة بموت أبوي هو هذه الثقة التي وضعاها في"، أي فقدان نوع من الاعتبار والاعتراف اللذين يجعلانها ترتاح لصورتها عن ذاتها.

يثير الموت لدى المراهقات والمراهقين مثل هناء (15س) وسارة (16س) من لبنان شعورا عميقا بالضياع والتخلي مهما كانت العلاقة التي تربطهم بالمتوفى، قرابة أو صداقة. وهو شعور قد تثيره أحداث أخرى كالطلاق والهجرة والانفصال وغيرها. ومثال نجاة (18س، تونس) دالّ في هذا الشأن، إذ أظهرت صعوبة في الحديث عن نفسها وعن المحطات الهامة في حياتها "أحتاج

**(16)** عن موقع الأجداد في حياة المراهقين، انظر أيضا الفصل الخاص بالعلاقات الأسرية في هذا التقرير.

من هن المراهقات ومن هم المراهقون الذين سيقبلون التقييم الذاتي بشكل محتشم على مستوى الهيئة الجسمية ؟ يتضح من خلال تحليل مضامين المقابلات أن المراهقات اللاتي يخضعن طوعا لتمرين التقييم الذاتي يتموقعن على طرفي نقيض. فمن جهة، تصوغ المراهقات اللاتي يمتلكن موارد أكثر من الأخريات خطابا يعبر عن اعتداد بالنفس. ومن جهة ثانية، تؤكد المراهقات الأقل حظا اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، أن الرأسمال الجمالي عنصر هام ينبغي أخذه بعين الاعتبار.

وتجسّم نرمين (18س، مصر) الموقفين معا. فهي تعمل بائعة بمتجر من أجل تمويل دروسها الخصوصية وإعداد جهازها في الوقت نفسه "أنا مثل القمر كما ترين"، تقول نرمين حين تجيب مخاطبتها ضاحكة قبل أن تستدرك حتى لا ترمى بالمبالغة والغرور لتقول "لا، أنا ببساطة مرضية، أنا عادية". أما مواطنتها إلهام (17س) المتزوجة، فهي تتخفى بذكاء وراء كلام الآخرين لتؤكد جمالها "يقول الناس عني إني جميلة". وتتوزع أجوبة المراهقات الجزائريات بين من هن أكثر استعدادا للتقييم الإيجابي للشكل وفق منطق متدرج ينطلق من عبارات محتشمة وتلميحية من نوع "لا أرى نفسي قبيحة" كما جاء علي لسان نادية (18س) وميساء (18س)، ليصل إلى تأكيدات جريئة ولا لبس فيها "أرى نفسي جميلة وظريفة" كما عبرت هالة (17س).

وفي لبنان بدت المراهقات والمراهقون أكثر اهتماما بالشكل. إذ تحدثوا عن الحمية والتغذية المتوازنة والأنشطة الرياضية وجراحة التجميل مع الإشارة إلى أنهم يحتاطون في أقوالهم حتى لا يظهروا أمام الباحث بمظهر "التفاهة" والسطحية[13].

## 3. العلاقة بالماضي : بين النسيان والتألم

تظهر المقابلات ملمحا مشتركا بين المراهقات والمراهقين في البلدان التي شملتها الدراسة تتعلق بتعاملهم مع الزمن، فالطابع الغالب هو انحباسهم في الحاضر. ويبدو أن هذه السمة عامة وتشكل إحدى ميزات نهايات القرن العشرين حسب المؤرخ إريك هوبسبوم (Eric Hobsbaum) "إن تدمير الماضي، أو بشكل أدق تدمير الميكانيزمات الاجتماعية التي تربط المعاصرين بالأجيال السابقة، هو إحدى الظاهرات المميزة والأكثر غموضا التي تطبع نهايات القرن العشرين. إن غالبية الشباب يكبرون في نوع من الحاضر الدائم دون ارتباط عضوي مع الماضي العام للزمن الذي يعيشون فيه"[14]. هذا الواقع العام ينسحب على الحياة الفردية للمراهقات والمراهقين الذين يجدون صعوبة في ربط سيرهم الذاتية بلحظات وأحداث تكون قد طبعت حياتهم. إذ يؤكد عدد كبير منهم أنهم لا يتذكرون أي حدث هام في حياتهم، أو هم يجدون صعوبة في استحضار المحطات الهامة في حياتهم، أو عرضها في صورة شريط متصل أو سياق تطوري. إن "أعراض قصر الذاكرة" حيث تعلق صعوبات الحياة ومصائبها بفعل النسيان العميق، يذكرنا بما يعبر عنه ميشال مافيزولي (Michel Maffesoli) بمفهوم "الحاضرية" "Le présentéisme"[15]. فغياب أي تحليل لتجربة الحياة اليومية وللمعيش الشخصي يجعل من إبراز التاريخ الذاتي وصياغته في خطاب واضح، أمرا عسيرا.

**(13)** انظر الفصل الخاص بثقافة المراهقة والسلوكيات : اهتمامات جديدة.

**(14)** Hobsbaum (Eric) : L'âge des extrêmes. Histoire du court XX ème siècle. Ed complexe. 1999

**(15)** Maffesoli (Michel), la Conquête du présent, Paris, Desclée deBrouwer, 1998.

أوردت بعض المراهقات أنماطا أخرى من العنف الأسري التي تبدو "تافهة" أو "عادية" ولكنها في الحقيقة تترك آثارا في الذاكرة لا تمحى. تتذكر زكية (18س، البحرين) اليوم الذي ضربتها فيه أمها ضربا مبرحا لأنها عادت إلى البيت متأخرة. وتشير ابتسام (18س، المغرب) إلى العنف المتواصل الذي يمارسه والداها عليها باستخدام أشكال متنوعة من العقاب الزجري. وتتحدث فطومة (16س، المغرب) عن الأعمال المتعبة التي كانت تقوم بها وعن "السخرة" التي كانت تتحملها بالبيت منذ أن انقطعت عن الدراسة.

أما عن الأحداث السعيدة، فجاءت في سياقات اجتماعية عرضية، ولم نعثر إلا على نماذج قليلة منها في المقابلات. من ذلك نذكر مثال بول (18س، لبنان) الذي لا ينسى لقاءه منذ أربع سنوات بفتاة تكبره بسنتين في مخيم شبـــابي. وهذا شأن إيمان (16س، البحرين) ومروى (18س، الجزائر) اللتين تصفان- كل منهما بطريقتها الخاصة- اللقاء الغرامي الأول والاهتزاز التي شعرت به عند تلقي أول رسالة من الحبيب. وكذلك إلهام (17س، مصر) التي تستحضر أهم حدث في نظرها وهو حفل زواجها "كنت خجولة ومسرورة. وكان يبدو لي أن لي شيئا إضافيا بالنسبة إلى الفتيات في سني وفي الآن نفسه كنت خائفة". وترد أحيانا أحداث سارة أخرى من نوع النجاح ونيل الشهادة والسفر.

لئن مثلت الأحداث الأسرية علامة بارزة في مسيرة المراهقات والمراهقين الحياتية، فإن الأوضاع تختلف بالنسبة إلى بعضهم وتظهر في السير التي يروونها. والقصة الأكثر دلالة في هذا السياق هي قصة وعود (15س، تونس) التي تربط القطيعة في تاريخها الشخصي بأحداث تاريخية كبرى، فتؤكد أنها عاشت صدمة إثر أحداث الانتفاضة الثانية وما حملته من صور فظيعة. فبعد أن كانت معجبة ومنبهرة بالمجتمع الأمريكي، خاب ظنها فيه فجأة وصارت ترفضه، وأصبحت واعية بالظلم والهيمنة في العالم، كما نجد ذلك في قصة نسرين (17س، جنوب لبنان) التي تستعيد ذكريات أليمة عن الاحتلال الإسرائيلي وتأثرا بالغا إثر قصف بلدة قانا[17] بالقنابل. ويقص عثمان (18س، اليمن) أهم حدث في حياته ويتمثل في نوع من "التحول" أو "التوبة"، "كنت تائها وليس لحياتي مغزى وكنت ولدا يرفضه الجميع وخاصة من قبل الأسرة، الحمد لله الذي هداني إلى الطريق الصواب وأصبحت رجلا ذا شأن في البيت وفي المسجد وفي المدرسة وفي علاقاتي مع أهلي. وحتى الأولاد الأشرار الذين كنت أخالطهم سابقا يحترمونني الآن ويتمنون أن يصبحوا مثلي".

**إطار 2.2**

## المراهق والجماعة

يميل المراهق في السنوات الأولى من المراهقة إلى مسايرة المجموعة التي ينتمي إليها. فهو يحاول جاهدا أن يظهر بمظهر أعضائها ويتصرف كما يتصرفون ويفعل ما يفعلون. ويقترن ذلك تدرجيا بمحاولة تأكيد الذات والاستعراض داخل الجماعة نفسها. ويقوى هذا السلوك كلما نضج المراهق وزادت خبراته.

والمراهقون يحبون علاقات الصداقة التامة والإخلاص. لذلك نراهم وهم ينتمون إلى جماعة معينة، يكبتون أي نزاع داخل الجماعة ويعتبرونه نزاعا ثانويا بالنسبة إلى النزاع الأكبر، إن حصل، وخصوصا مع السلطة المدرسية. ويلاحظ أن المراهق يعزز ولاءه واحترامه للجماعة ويخلص لها ويتضامن مع أفرادها في مواجهة ما هو خارجها.

**(17)** قصفت القوات الإسرائيلية مركزا لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في بلدة قانا في جنوب لبنان حيث كان عشرات المواطنين من النساء والأطفال يلتجئون إليه أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 1996. وقد أصاب القصف مهجعا أدى إلى مقتل أكثر من مائة مواطن معظمهم من النساء والأطفال في مجزرة فظيعة.

إلى التفكير، لا أدري...". تقطع خطابها لحظات صمت وضحك وتردد. وبعد أن تجاوزت شيئا فشيئا الحرج الذي مرت به، تذكرت حدثين هامين، زواج أختها والفترة التي قضتها عند جدتها ولم تتجاوز آنذاك سن السادسة. وهي لا تستطيع نسيان الحدث الثاني لأن في هذه الذكرى "يوجد في الآن ذاته الحسن والسيئ". لقد أرسلت إلى جدتها بالقرية لتدرس، ولكنها مرضت لأنها لم تتحمل فراق أمها التي كانت متعلقة بها كثيرا. وبعد ثلاثة أشهر أرجعت إلى أبويها. لقد بقي هذا الانفصال ذكرى أليمة رغم أن معلميها كانوا يتفهمونها وكانت محلّ عطف من قبل محيطها.

وتحدثت مراهقات ومراهقون آخرون عن قطيعة مشابهة. تثير تالة (17س) وراني (16س) من لبنان هجرتهما خارج لبنان كلحظة عسيرة للغاية. وتصف نوران (17س، البحرين) هجرة والدها كتمزّق لا يحتمل. ويتذكر فوزي (18س، البحرين) بكثير من الحرقة والألم القطيعة مع من يحب والتي انفصلت عنه للزواج بشخص آخر قادر على تكوين أسرة. أما حنان (18س، البحرين) فتصف بمرارة واضحة زواجها المبكر وطلاقها المبكر أيضا.

يذكر عدد آخر من المراهقات والمراهقين انفصال الوالدين باعتباره لحظة قاسية جدا في مسارهم الحياتي ويصوّرون تدهور المحيط العائلي الذي صاحب هذا الحدث الأليم. تمثل قصة نهلة (15س، مصر) تجسيدا دالا لتلك الحالة، تقول "إن ما أثر تأثيرا بليغا في حياتي هو انفصال أبويّ، وإن ما يزيد من وطأة هذا الحدث أنهما يواصلان العيش مع بعضهما تحت سقف واحد دون أن يتخاطبا. مازلت أذكر ذلك جيدا، كان شجارا حادا، وكنا ضائعين بينهما وكان إخوتي مذعورين، ومنذ ذلك الحين لم تعد حياتنا كما كانت عليه سابقا". وتعبر رامية (15س، البحرين) عن الشعور نفسه باستحالة إصلاح ذات البين في هذا الشأن "لما انفصل والداي، كنت أمني النفس بأنهما سيعودان إلى بعضهما في يوم من الأيام. ولما كبرت أدركت أن ذلك مستحيل". أما نهال (16س، البحرين)، فهي تثير العنف الذي كان يسلطه والدها على أمها وتتذكر أنها لما كانت طفلة كانت ترافق أمها إلى جدتها حين تغادر بيت الزوجية. وتضيف أنها لما كانت ترى أباها يضرب والدتها، فإنها تشعر بالكراهية تجاهه، والآن صارت تحبه.

نجد في المقابلات أشكالا أخرى من الآلام والعنف، يعود بعضها إلى تعنت الأقدار مثل حوادث الطرقات كما ذكرت منى ونادية (18س) من الجزائر. في حالات أخرى تكون العائلة أو المجموعة الأسرية هي السبب. يتذكر محمود (18س، البحرين) "الخميس الأسود" حيث اتهم باطلا بالتحرش الجنسي بابن الجيران الذي يصغره بأربع سنوات بحجة أنه قبّله على فمه، دون أن يعطيه أبواه الفرصة لتوضيح موقفه، حتى يعاد إليه الاعتبار في نظر الناس ونظر الأصدقاء.

أما عزيزة (17س، مصر) فتروي قصتها المؤثّرة للغاية "إن نسيت فلن أنسى يوم الطهارة (الختان)، وكأن شيئا مني قد بتر وأحدث في جرحا عميقا. مازلت أذكر ذلك جيدا وكأنه الآن ويبدو لي أنه منذ ذلك اليوم أصبحت أكره جدتي. لما كانت أمي بالسوق، أخذتني جدتي أنا وأختي بدعوى أننا سنزور جارة لنا، ولما عدنا كنا في حالة يرثى لها. وأتذكر أني بقيت يومين دون أكل، دون أن أكلم أحدا، لن أغفر لها ذلك أبدا".

إلا أن النتيجة هنا لا تنسجم دائما مع التوقعات التبسيطية وقد لا يقود هذا التمرد بالضرورة وبشكل تلقائي إلى بناء شخصية مستقلة ولا إلى المساهمة في التغيير الاجتماعي إلا إذا توفرت شروط أخرى مساعدة. إن المراهقات والمراهقين يسعون أحيانا إلى "التفرد والتميز من خلال المبالغة في التشابه والاندماج بما هو ثقافة شاب مفترضة (se singulariser étant plus conformiste que les autres)، فهم يتحفظون على وصفهم بأنهم مخالفون. وما يعتبر أعلى قيمة لديهم هو أن يبدو أحدهم وكأنه تجسيد لقيمة جمعية معينة"[18]، وإن كانت هذه القيمة مختلفة عن قيم الكبار. ولكن الاندماج الشديد في جماعة الأصدقاء، بقدر ما يهمش تأثير الأهل والأسرة، فهو في المقابل "يعوق تبلور المشروع الفردي لأن هذا الأخير يعني التمايز عن الجماعة التي ينتمي إليها"[19]، وبالتالي فإن الإشكالية أكثر تعقيدا مما تبدو عليه للوهلة الأولى.

وبين هذين المسارين، مسار ثالث يعتبر "توفيقيا" وتتوخاه المراهقة (أو المراهق) التي تسعى إلى مراعاة ضوابط الأسرة والمجتمع والاستجابة لانتظاراتها من جهة، وإلى الإسهام الفعلي في تحديد هوية متميزة لا تطمس متطلبات مرحلة المراهقة من جهة ثانية. ويقوم هذا المسار على الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الداخلية والتغيرات الخارجية.

ولا يحمل وصف هذا المسار بـ "التوفيقي" تقييما سلبيا، في الوقت الذي تبدو فيه إشكالية بروز الفرد في العالم المعاصر إشكالية تمكن من التوصل إلى تسوية بين الفرد والمجتمع. وهو ما طرحته كارين شالان (karine chalan) "إن الصعوبة التي يواجهها الإنسان المعاصر هي كيفية إيجاد الضوابط والمركلجات reglages التي تسمح له بالوصول إلى التوازن بين الاستقلال independance والاستقلالية autonomie والعلاقات مع الآخر".[20]

وتتميز كل من هذه المسارات باحتلال عملية التفكير الداخلي مكانة مختلفة ومدى استخدامها من قبل المراهقة أو المراهق في الوصف والتقييم والتعامل مع الآخر. فهو تفكير محدود في الصنف الأول، حيث يتماهى الفرد كليا -أو يكاد- مع مجموعة الأسرة. ويتنامى هذا التفكير في الصنف الثالث حين تبحث المراهقة (أو المراهق) عن التوافق بين الأنا والآخر، ليبلغ أوجه في الصنف الثاني، حين يكون تفكيرا داخليا عميقا، وتستخدم المراهقة أو المراهق خلاله الموارد الموضوعية والذاتية في وصف الذات وتقييمها وبلورة صورة مختارة ومقنعة عنها.

وتلعب المقارنة الاجتماعية دورا محوريا في ذلك، فتبنى صورة الأنا باعتماد الآخر "الدال" أو الآخر "المعمم" كمرجعية إما بالتشبه والامتثال أو باتخاذ مباعدة نسبية مع أحكام الآخرين، أو بالقطع كليا مع هذه الأحكام ومحاولة بناء الهوية وبلورة الشخصية خارج إطار المواقف المنمطة والأفكار الجاهزة.

**(18)** Scolarité et adolescence: Les motifs de l'insécurité; Alain Clémence, Francois Rochat, Caroline Cortolezzis, Patricia Dumont, Michele Egloff, Claude Kaiser; : Haupt - Bern 2001.

**(19)** Autorité parentale être cityonneté. La question des compétences parentales. Robert Bidart; in: Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

**(20)** Pour un usage sociologique de la double généalogie philosophique de l'individualisme- karine chalan: in Nouvelles problématiques adolescentes. op.cit.

ويعطي المراهق اهتماما كبيرا لعلاقاته مع الجنسين. وهو يشعر بالانزعاج من الرقابة الاجتماعية المشددة ومن رقابة الأهل والأقرباء والمعلمين. فما هو شائع في مجتمعاتنا هو الرقابة المشددة، إذ أن الأسرة تتمسك تمسكا شديدا بالقيم وتضفي على التوجهات التربوية طابعا أخلاقيا ودينيا. والهدف من ذلك هو التوصل إلى سلوك أكثر تماسكا. ولكن ذلك لا يلغي وجود بعض ملامح الصراع بين جيلي الأبناء والآباء.

وما يؤخذ على بعض المراهقين عادة، هو التهور الكبير والتسرع في اتخاذ القرارات الخاصة بحياتهم من جميع النواحي. فنلاحظ أن كثيرا من المراهقين يقعون في أخطاء وأخطار كبيره أحيانا تكلفهم حياتهم. ومن السلوكيات الملاحظة حاليا هوس الشباب بالجنس وممارسته مع الفتيات. وهذا الهوس لا يراود الذكور فقط، بل حتى الإناث. والسبب يعود لكثير من العوامل أهمها الفراغ وتأثير وسائل الإعلام والبطالة. وهذه الأشياء تكشف عن علاقاتهم بأهلهم وبالموروث الديني، فتظهر بين صفوفهم سلوكات لا يرضى عنها الأهل وميل إلى المعارضة الدائمة. فنلاحظ أن علاقة المراهقات والمراهقين بأهلهم ليست دائما على الشكل المرغوب به، خصوصا عندما يمارس الأهل رقابه شديدة عليهم مما يؤدي إلى ردود فعل معارضة ومعادية أحيانا. كما نلاحظ أن علاقتهم بالدين وبالمورث الديني ضعيفة والسبب يعود لتأثيرات الإعلام ولاهتمام المراهقين بأشياء جديده تهمهم أكثر من الموروث الديني.

**أستاذ جامعي في علم النفس-اليمن**

## استنتاجات عامة

بينت الدراسة الميدانية أن السيرورات التي تنتهجها عادة المراهقات والمراهقون في تكوين الهوية وبلورة صورة الذات، تختلف باختلاف الظروف الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية وباختلاف المسارات الحياتية التي طبعتها، وكذلك بالوسائل التي يملكونها لتوجيه خياراتهم وللتعامل مع ما يعترضهم من مشاكل وصعوبات. وعلى هذا الأساس يصعب القول بوجود نمط واحد للمراهقة أو المراهق العربي.

ويمكن تصنيف مسارات المراهقات والمراهقين في بناء الهوية إلى ثلاثة أصناف : مسار يعتبر "امتثاليا" يجعل صاحبه ينخرط كليا في المجموعة الأسرية التقليدية، فيستبطن معاييرها وقيمها ويتبنى رؤاها وأحكامها ويقول بضرورة التوافق معها لتحقيق الطمأنينة وتجنب كل أسباب التوتر والتأزم. ويؤدي الاندماج الشديد في المجموعة الأسرية إلى تهميش تأثير مجموعة الأقران في بناء شخصية المراهقة والمراهق الذين يصبحان في هذه الحال أكثر شبها بالكبار من حيث سلوكياتهما والقيم التي يحملانها.

أما المسار الثاني، وهو نقيض الأول، فيتمثل في الخروج عن المسالك الجاهزة و"التمرد" على جيل الكبار برفض أفكارهم وتصوراتهم وانتقاد مواقفهم والحرص على نحت شخصية متفردة وبناء هوية أصيلة والعمل على إيجاد نماذج سلوك جديدة مرتبطة بالمراهقة كمرحلة متميزة، ومن شأنها أن تسرع التغيير الاجتماعي.

## القسم الثاني :

# الدراسة الميدانيّة

### الفصل الثّاني

# البلوغ والصحة الإنجابية والحب :

## انطلاق المراهقة وتقييد المراهقة

لكن النظر في هذا الإطار الاجتماعي - الثقافي العام وحده ليس كافيا لفهم المراهقة بكل تجلياتها وأبعادها، خصوصا لجهة كونها فترة يعيشها أفراد لكل واحد منهم تاريخه الشخصي الفردي والأسري والذي، بتفاعل مع الأطر المجتمعية الأشمل، ترتسم ملامح المراهقة الملموسة التي يعيشها وخصائصها. وهذا يفسر التنوع والتعدد القائم ضمن فئة المراهقين كأفراد أو كمجموعات تشترك في بعض الخصائص وفقا لعوامل أو متغيرات مختلفة، كالجنس مثلا، أو المستوى الاقتصادي-الاجتماعي أو المركب الاجتماعي - الثقافي أو الوسط السكني.

وفي المجتمعات العربية، لا بد من وضع عملية البلوغ وتفاعلاتها في إطار التحولات الاجتماعية والقيمية العامة التي طرأت في العقود الأخيرة، وخصوصا ما يتصل منها بالزواج والعلاقات بين الجنسين. ولعل أبرز هذه التطورات ذات الصلة المباشرة بموضوع هذا الفصل، هو التأخر المتزايد في سن الزواج الذي أصبح ظاهرة بارزة في معظم البلدان العربية. إن متوسط السن عند الزواج بالنسبة إلى الأجيال الشابة يتراوح بين 25 و30 سنة للإناث والذكور في معظم البلدان العربية، وهو ما يجعل متوسط الفاصل الزمني بين البلوغ والزواج يزيد عن عقد كامل ويصل إلى عقدين أحيانا. وهي فترة لا تسمح فيها القيم والعادات السائدة، ولا القوانين السارية، بإقامة علاقات جنسية علنيّة ومستقرة بين الجنسين، مع العلم بأنها فترة تتميز ببروز الجنسانية وإلحاحها والاهتمام بالجنس الآخر كمجال اهتمام أساسي جدا. إن مسألة التحريم الجنسي في فترة بروز الشعور الجنسي والعاطفي وبلوغهما الذروة، لم تكن إشكالية مطروحة بحدة بالنسبة إلى الأجيال السابقة، حيث لم يكن يفصل بين سن البلوغ وسن الزواج غير سنوات قليلة، (بالإضافة إلى كون الحياة الاجتماعية كانت أقل تعقيدا مما هي عليه الآن). ففي المراحل السابقة كان الزواج المبكر (الذي كان نابعا حينذاك من سياق التطور الاجتماعي ومستواه)، آلية اجتماعية عملية لإدراج العلاقات الجنسية في إطار مؤسسة الزواج. ونجد في بعض الممارسات المعاصرة محاولة استعادة هذه الآلية وهذا الدور، على الرغم من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والقيمية الكبيرة التي طرأت على المجتمع، في معالجة مشكلة تأخر سن الزواج في المجتمعات العربية. ويتجلى ذلك في البرامج التي تشجع الشبان على الزواج التي تنظمها بعض الجمعيات والمؤسسات في البلدان العربية (خصوصا الدينية منها، الإسلامية والمسيحية)، إلى جانب اعتماد الحكومات وبعض الأحزاب هذه الآلية باعتبارها حلا ناجعا لمواجهة مشكلات معاصرة، بما فيها مشكلة السيدا والأمراض المنقولة جنسيا، والعلاقات الجنسية خارج أطر الزواج، والعنوسة بالإضافة إلى تأخر سن الزواج. وتتضمن برامج هذه المؤسسات والجمعيات أحيانا كثيرة تقديم التسهيلات والمساعدات لتشجيع الشبان والشابات على الزواج (تنظيم حفلات زواج جماعية، تقديم مساعدات مالية وقروض لمجابهة تكاليف الزواج، أو للحصول على سكن وتوفير فرص عمل، والمساعدة على حل مشكلة المهر المرتفع...). ويجري تقديم هذه المقترحات باعتبارها حلا بديلا للحل الذي توصلت إليه المجتمعات الأوروبية، التي اعتمدت موقفا قيميا وقانونيا وسلوكيات، أكثر مرونة وتساهلا حيال العلاقات الجنسية والمساكنة خارج مؤسسة الزواج، والاعتراف بحقوق الأطفال الذين يتم إنجابهم خارجها، وكذلك الاعتراف للشريكين في إطار المساكنة بحقوق تشبه حقوق المتزوجين.

# البلوغ والصحة الإنجابية والحب

## مقدمة

تناول القسم الأول من هذا التقرير بشكل موسع نسبيا المقاربات المختلفة التي تطرقت إلى تعريف المراهقة من حيث هي ظاهرة مركبة، فردية واجتماعية. وتتفق هذه المقاربات على تنوعها على وجود رابط قوي ومباشر بين المراهقة والبلوغ، وما يصاحبه من تحولات جسدية وجنسية على وجه التحديد.

إلا أن المقاربة المتبناة، لا تنظر إلى عملية البلوغ باعتبارها عاملا وحيدا مستقلا في تحديد المراهقة، بل هي تتعامل معه كأحد العوامل المترابطة والمتداخلة، بحيث أن التحولات والأدوار والسلوكيات التي ترافق المراهقة لا يمكن نسبتها إلى عامل دون غيره، بل هي بطبيعتها ناجمة عن عوامل مركبة ومتعددة المستويات. ولا يمكن النظر إلى تأثيرات هذا المركب باعتباره مجرد محصلة بسيطة للعوامل الافرادية المكونة، بل هي نتاج نوعي يتجاوز الأجزاء. فالبلوغ والمراهقة هما نوع من "الكيمياء البيولوجية- الاجتماعية" التي تولد ظواهر نوعية لا يمكن عدها وليدة عوامل منفردة، بل لا وجود للمراهقة نفسها إلا بفضل هذه "الكيمياء"، وباعتبارها نتاجا لها.

## 1. البلوغ ومرحلة المراهقة

ويقصد بالبلوغ مجموعة من التحولات الفيزيولجية والنفسية والعقلية التي يمكن رصدها من خلال مؤشرات وعلامات أبرزها : النمو الجسدي وتطور الأعضاء التناسلية وبروز العلامات الجنسية الثانوية والتحولات الهرمونية والقدرة على التناسل والإباضة وإنتاج الحيوانات المنوية. كما تترافق مع تطور القدارت الذهنية والمعرفية والنمو الانفعالي والعاطفي... ولكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه التحولات التي تؤثر بشدة في حياة المراهقة (أو المراهق) تمارس تأثيراتها بشكل أكثر تعقيدا مما قد يبدو للوهلة الأولى. ذلك أن تأثيرها ليس مباشرا ولاخطيا، بل تتوسطه جملة من التصورات الجماعية والمعتقدات والرموز. كما أنه يتعلق، من جهة ثانية، بالتغير الذي يلحق بصورة المراهقة (أو المراهق) عن نفسها وتصورها للآخرين وللعلاقات بين الأشخاص ومع المؤسسات. وبتعبير آخر، تتكون المراهقة من حيث هي فئة اجتماعية عندما تتقاطع عملية البلوغ الفيزيولوجي مع سيرورات اجتماعية وثقافية محددة، عامة أو أكثر تخصيصا (بداية التأهيل العملي للأدوار الاجتماعية في الوسط الأسري والمدرسي...). وتمثل هذه السيرورات الإطار العام الذي يتيح تشكل هذه الفئة ومفهومها، وتوسيع نطاق التحليل ليشمل المستويات الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية...

ومرحلة البلوغ هادئة عموما بالنسبة إلى جاسم (18س، البحرين)، ولكن "عصبيتي زادت قليلا وتكونت شخصيتي خلالها"، أو هي إشعار بالتوجه نحو التعرف على الواجبات الدينية "لمعرفة الصواب من الخطأ" كما في حالة عباس (18س، البحرين). وبشكل عام، فإن البلوغ بالنسبة إلى الشاب مرتبط غالبا بمشاعر إيجابية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حيث يكتسب تقديرا واحتراما أكبر، حتى من الناحية الجسمانية "الناس تسمعني عندما أتكلم لأن شكلي أصبح كبيرا" كما صرح أمير (15س، مصر).

ولا يعني ذلك أن جميع الفتيان يعيشون بلوغهم على أحسن ما يرام، إذ عبر عدد منهم عن مشاعر الخوف والارتباك، مثل وسيم (17س، اليمن) الذي شعر بالخوف عند استحلامه الأول فلجأ إلى أمه التي نصحته أن يقرأ بعض السور القرآنية عند النوم وطمأنته بأن ذلك "بول يبولوه وهم رقود". وأدى البلوغ عند أحمد (18س، المغرب) إلى ترك المدرسة والتشرد في الشوارع لمدة ثلاثة أشهر "أفقت بعدها واكتشفت أنه ليس بسلوك مقبول وعدت إلى الدراسة". أما راني (16س، لبنان) فكبت دهشته لفترة وذلك لعجزه عن فهم ما حصل له، ولم يدرك الأمر سوى من خلال درس التربية الجنسية في المدرسة.

ويطغى طابع الازدواجية على اتجاهات الشباب عند الجيل الجديد الذي يحيل إلى وجود صراع داخلي، "ففي الوقت الذي يعبر فيه كافة الفتيان والفتيات عن تنامي رغباتهم الجنسية ورغبتهم في التقرب من الجنس الآخر والحاجة إلى تلبية هذه الرغبات، تبدو الاختيارات والاتجاهات إزاء كيفية تلبية هذه الرغبات متباينة حتى لدى الفرد الواحد. ومنها ذلك الداعي إلى ضرورة كبت هذه الرغبات في انتظار الزواج ومحاولة تفاديها بوسائل ترفيهية كالمطالعة والرياضة أو بالتركيز على الدراسة، مبينين خطورة الانزلاق في الاستجابة للشهوات والدخول في علاقات قد يترتب عنها مشكلات كبيرة مثل القول " يلزم يتلهى بقرايتو". أو "يلزم تكون عنده شخصية، إرادة قوية. يلزم يكون رزين".[3]

ويغلب هذا الموقف على قاطني الريف. ويتبين أن التحفظ في العلاقات بين الجنسين يكون أكثر حدة في الريف عامة وفي جميع البلدان العربية، فيميل الفتيان والفتيات عموما إلى انتظار الزواج. بينما يتميز الوضع في بلدان مثل تونس ولبنان والمغرب بالدعوة إلى قبول إقامة علاقات اجتماعية واسعة بين الجنسين وضرورة أن تتفهم الأسر والمحيط الاجتماعي أهمية تلك العلاقات، واعتبارها ظاهرة صحية تحقق توازنا نفسيا.

إلا أن الأمر يتوقف أيضا على التجربة الفردية والبيئة الأسرية، سواء بالنسبة إلى الفتيات أو الفتيان. وهو ما يفسر التنوع في حديثهم عن ذكريات البلوغ، مع لحظ الخصائص المشتركة الناجمة عن القيم والعادات الاجتماعية المتشابهة في قسم كبير منها، في معظم البلدان والبيئات الاجتماعية العربية.

**(3)** من الدراسة التونسية في إطار إعداد هذا التقرير.

تضغط هذه الإشكاليات الجديدة على وضع المراهقات والمراهقين، وعلى تمثلهم للعلاقات بين الجنسين، وعلى أشكالها المتاحة والمقبولة أو المحرمة والممنوعة، وعلى تمثلاتهم للزواج، كما سيتبين في سياق العرض والتحليل في هذا الفصل.

## أ- البلوغ : اختلاف بين الفتـــاة والفتى

كيف تعيش المراهقات والمراهقون فترة البلوغ والتحولات التي تصاحبها ؟ هل نجد لديهم شعورا بالقطيعة الجذرية مع فترة الطفولة أي ما قبل- المرحلة الجنسية ؟ أم يعتبرونها مجرد مرحلة جديدة تعقب الأولى ؟ أم على العكس من ذلك، تحمل لهم تأكيدا متدرجا ومحسوسا للهوية الجنسية ؟

يختلف البلوغ بشكل عام عند الذكور عنه عند الإناث. هو أسهل وأكثر طبيعية عندهم. وهو يجلب لهم متعة مبكرة وبديهية خلافا للفتاة التي بدا أحيانا أنها تعيش ذلك كشرّ لا بد منه. فالبلوغ يستقبل غالبا بالفرح من قبل الذكور وأسرهم، ويغمرهم بشعور بالاعتزاز وبالثقة بالنفس. كما أنه مناسبة لبروز الاهتمام بالمظهر "يصبح يحب تغيير مظهره بشكل دائم "son look changer"[1].

ويمثل البلوغ للفتاة عامة تحولا نحو عالم الكبار يؤدي إلى التوقف عن اللعب، والتقيد بسلوك أكثر عقلانية ومسؤولية. بل قد يعني البلوغ الزواج (المبكر) في اليمن وفي حالات أقل في بلدان أخرى، على غرار زينب (18س، لبنان). ومن الناحية السلوكية، يقترن البلوغ بالنسبة إلى الفتاة في البيئات والأسر المحافظة بارتداء الحجاب وملازمة المنزل وتقييد حرية الحركة والاختلاط، وإن بشكل متفاوت. فحنين (15س، اليمن) تؤكد أن البلوغ قيد، وأنها بكت عند نزول الطمث للمرة الأولى عندما كانت في الصف السابع، "لأني لا أحب أن أكون كبيرة وأرتدي الحجاب". كما جاء على لسانها.

إلا أن إجابات الفتيات تختلف باختلاف بيئتهن، وباختلاف تجاربهن وانتماءاتهن الاجتماعية والثقافية. فإذا كن ينتمين إلى أوساط ميسورة نسبيا ومنفتحة ومتعلمة، ولهن تجربة شخصية خالية من التعقيدات، غالبا ما يعشن في هذه المرحلة بنوع من الحرية، مما يسمح لهن بالتعامل مع أجسادهن بشكل غير متزمت. ويشكل البلوغ بذلك مرحلة نضج طبيعية وبديهية. وقد تشعر الفتاة حينها بالسرور كما حصل مع سارة (16س، البحرين) "فرحت أخبرت والدي"، ففسر لها ما حدث.

أما الشاب، فقد يعيش هذه المرحلة بنوع من الإسراف الذي أشار إليه كل من أشرف (18س) وبول فاليري (18س) من لبنان، ومحمود (18س، البحرين)، إذ يلجؤون إلى ممارسة العادة السرية، أو لإقامة علاقات مع الفتيات غير المتمنعات. وهذا ما نلمسه في تونس أيضا، حيث برز رأي[2] يعتقد أنه لا يمكن للشاب أن يتحكم في هذه الرغبات، مع طول الفترة ومع الإغراءات الواسعة وبخاصة في فترات الضغط النفسي أو الدراسي أو المهني أو الأسري. كما دعا البعض إلى تجنب العلاقات مع الفتيات اللاتي لا يقبلن العلاقات الجنسية، وعند الحاجة الملحة، يمكن اللجوء إلى "الأماكن العمومية" "في حالات قصوى، سبحان الله، لا يمكن أن يصبر، فيمشي للأماكن "العمومية" فهي تكون أقل ضررا..." (تلميذ، معارف الشباب، تونس).

**(1)** معارف واتجاهات وسلوك الشباب في مجالات الصحة الإنجابية - سلسلة تقارير حول السكان والتنمية، وحدة البحوث والدراسات والتنمية، جامعة الدول العربية، مارس 2002. تونس.

**(2)** المرجع السابق.

من جهة أخرى، تحدثت المراهقات بشكل خاص عن تجربة حدوث الطمث لأول مرة وعن كيفية تعاملهن وتعامل الأهل مع الحدث. وكانت أغلب الإجابات سريعة وركزت على الشعور بالخوف والتوتر والارتياب والبكاء، وذلك لعدة عوامل منها عنصر المباغتة لحدوث العادة الشهرية وعدم المعرفة المسبقة أو عدم توقعهن أن يدركن مرحلة البلوغ بهذه السرعة. كما حملت أغلب المراهقات ذكرى غير مريحة أو محزنة عن البلوغ. وفي بعض الحالات الأخرى، ارتبطت الذكرى بالفرحة وبالإحساس بالكبر والنضج خصوصا بالنسبة إلى المهيئات منهن من طرف الأهل.

وتتوافق خلاصات المقابلات الميدانية التي جرت في إطار إعداد هذا التقرير، مع نتائج تحقيقات إحصائية ميدانية، كما في مسح النشء المصري[4] حيث جاءت ردود فعل الفتيات على حدوث الطمث لأول مرة على الشكل التالي :

| | |
|---|---|
| **الخوف، الصدمة، البكاء :** | **60،6٪** |
| **طبيعي، رد فعل محايد :** | **35،5٪** |
| **السعادة :** | **4،2٪** |

جاء ردّ الفعل مشابها عند فتيات عينة الجزائر حيث أكد أكثر من نصف المراهقات أنهن لا يذكرن شيئا، حوالي الثلث منهن خفن وتألمن وأعربن عن بداية اهتمام الصبيان بهن، في حين لم ترد سوى إجابة واحدة مفادها الشعور بالسرور لأنها كبرت. ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة إلى المراهقات في البلدان الأخرى.

واستنادا إلى المفردات التي استعملتها المراهقات، نلاحظ تنوعا في وصف حدوث الطمث لأول مرة. إذ تشعر الفتاة، في حالات كثيرة، كما بالنسبة إلى ريا (18س، لبنان)، وهي فتاة عصرية وعلى قدر كبير من الحرية التي أكدت أن "الأمر لم يعن لي كثيرا". و حتى في حالات تقبل الأمر، قد نصادف التعبير عن حصول شيء "غلط" أو التعبير عن إحساس بـ"عدم الراحة" الذي تسببه العادة كما حصل مع رفيف (17س، لبنان). وقد يصل الأمر إلى حد "الاشمئزاز" الذي شعرت به سارة (16س، لبنان) أو نفي حدوث الطمث عند الفتاة كما حصل مع سميرة (15س، لبنان). ويطغى الشعور بالخجل عند الكثير من المراهقات ، فالأمر "بيكسف شوية" حسب تعبيرسهير (16س، مصر)، أو هو مثير للشعور بالارتباك "اتخضيت". وينتاب البعض الآخر منهن شعور بالخوف، إذ قالت هدى (18س، مصر) "كدت أموت من الخوف" وأكدت نورة (15س، البحرين) "أحسست بالخوف ولم أشعر بالأمان إلا بعد أن أخبرت أمي". ويصل الأمر حد الصدمة "تفجعت وبدأت أبكي بشكل لا إرادي" (فتاة تونسية)[5].

ويعبر أحيانا عن هذا الشعور بشكل محايد، وفي أحيان أخرى بالشكوى وبانزعاج وبنوع من الضيق والتمزق ويعاش "كمرض" كما عبرت وعود (15س، تونس). سارة أيضا (16س، لبنان) تمنت لو أنها "لم تسخن"[6] أي لم يأتيها الطمث، لتوجعها وإحساسها بأنها وسخة وهو ما يجعلها تشمئز وتتضايق[7].

**(4)** في كل مرة يشار فيها إلى المسح القومي في مصر، يكون المقصود به "الانتقال إلى مرحلة النضج : مسح قومي حول النشء في مصر"، الذي قام به مجلس السكان الدولي، نيويورك - الولايات المتحدة الأميركية. القاهرة ط 2001.

**(5)** معارف واتجاهات وسلوك الشباب في مجالات الصحة الإنجابية - مرجع مذكور.

**(6)** كلمة تعني الإصابة بالمرض.

**(7)** تعرضت سارة لانقطاع الدورة الشهرية وخضعت لعملية جراحية بسبب ذلك.

## ب- ذكريات البلوغ

واجه الباحثون الميدانيون، في معظم الحالات، صعوبات متفاوتة في الحصول على تجاوب المراهقات والمراهقين في الحديث الصريح والموسع في موضوع البلوغ، وهي صعوبة تصبح أكثر شدة عند تناول قضايا الجنس بشكل مباشر. وإذا كان جانب من هذه الصعوبة يعود إلى اختلاف العمر أو الجنس بين الباحث والمستجوب، فإن جانبا آخر منه يعود إلى الثقافة والسلوكيات السائدة التي لا تزال تنظر إلى الحديث عن الجنس وما يتصل به بنوع من التحفظ أو الحرج، إن لم نقل التحريم.

في هذا السياق، كانت إجابات المراهقات والمراهقين عن ذكرياتهم والتحولات التي عرفتها أجسادهم وعن تجاربهم ومشاعرهم الحميمة، تتسم بالاقتضاب، والاكتفاء أحيانا باختصار التجربة في كلمات عامة، يحاولون من خلالها تلافي الحرج. فهم يتهربون من الإجابة بالتعلل بنقص المعلومات والمعارف، والخجل الناتج عن عدم تعودهم على التحدث في هذه المسائل، خصوصا مع أشخاص غرباء ويكبرونهم سنا. وقد يصل الأمر إلى حد الاعتذار عن الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بهذا الموضوع، كما حصل مع فاروق (18س) وعبد الله (17س) من مصر، إذ اكتفى فاروق بالقول إنها كانت فترة شديدة الصعوبة وإنه يفضل عدم الخوض في الحديث عنها.

كما تميزت الإجابات بالفصل بين الأبعاد المختلفة لعملية البلوغ وتجنب التعامل مع الرغبات الجنسية باعتبارها علاقة مركبة مع الآخر. ويعتبر هذا الفصل شكلا آخر للحماية الذاتية وتجنب الحرج الإضافي الذي يمكن أن يسببه الاعتراف بترابط التحولات الجسدية بالمشاعر تجاه الجنس الآخر، وبوجود ارتباط بين الصداقة والحب والرغبة الجنسية. لذلك فإن المراهقات والمراهقين يبدون أكثر راحة في تناول كل بعد من هذه الأبعاد بمعزل عن الآخر. فيتحول البلوغ إذاك بالنسبة إلى الفتيات إلى عملية طبيعية بحتة، هي بدء الطمث. وبما أنه عملية طبيعية يصبح الحديث عنه مقبولا خصوصا مع الباحثات باعتباره أمرا مشتركا. وتربط إجابات المراهقات عموما بين البلوغ والطمث، إلى حد اعتبارهما أمرا واحدا. في حين كان الربط بين البلوغ والقذف أقل حدة لدى المراهقين، وتواترت الإشارة لديهم إلى الرغبة الجنسية والانتصاب كتعبيرات عن البلوغ سبقت القذف الإرادي أو اللاإرادي (الاحتلام).

وكآلية أخرى من آليات تجنب الخوض في التفاصيل، تقلل المراهقات من أهميّة العادة الشهرية إذ اعتبرت آمال (18س، المغرب) الأمر "عادي، كأن شيئا لم يحصل". وقالت دعد (17س، لبنان) "لم يحصل شيء. يعني أتت العادة واستغربت قليلا في البداية لكن أمي كانت بقربي ولا أذكر أن أي مشكلة حصلت، وقالت لي أمي إنّه أمر طبيعي وليس علي أن أخاف". وتحيل الشهادتان إلى أهمية التحولات على مستوى النضج والوعي بالذات أكثر منها على المستوى البيولوجي والجسدي، إذ اعتبرتا العادة الشهرية أمرا طبيعيا.

## الرقابة وتقييد الحركة

يقترن البلوغ ببروز رقابة اجتماعية قوية، خصوصا بالنسبة إلى الفتيات. وتطال الرقابة اللباس والخروج من المنزل، ولاسيما الخروج مع الأصدقاء من الجنس الآخر والخروج ليلا. وقد تطال في بعض الحالات الخروج إلى المدرسة، خصوصا إذا كانت بعيدة عن مكان السكن.

وفي حين يعني البلوغ اعترافا اجتماعياً بالمراهق "بمجرد أن بدأت أحلم وأستحلم، عرفت أنني أصبحت رجلا"، على حد تعبير حسن (18س، المغرب)، فإنه يعنى غالبا قيودا تمنع عن المراهقة حرية الحركة في الكثير من الفضاءات في المجتمعات العربية، إذ تؤكد زهرة (17س، اليمن) "كنت ألعب في الشارع، بعد البلوغ تقيدت حركاتي وتصرفاتي". وتتحول بذلك المراهقة إلى عالم النساء البالغات بكل ما يعنيه هذا من تقيد بالعادات والتقاليد وتوقّف مفاجئ عن اللعب واتباع سلوك أكثر عقلانية ومسؤولية "قالت لي أمي إني أصبحت ست صغيرة وأن علي أن أشد حيلي أخلي بالي من نفسي ومن صحتي تحضيرا للزواج" كما جاء على لسان إلهام (17س، مصر). وتتشابه هذه الحالة مع حالة نادية (16س، مصر) "أمور كثيرة أصبحت ممنوعة علي بعد أن أتتني الدورة الشهرية لأنني كبرت، والمفروض أن أنتبه إلى تصرفاتي. كان عمري حينها ثلاثة عشرعاما، وكنت أرغب في أن أستمر في اللعب وأن أتصرف كما كنت أفعل من قبل".

ولا تكون هذه المسؤولية بالنسبة إلى المراهقة في مجتمع كالمجتمع اليمني مثلا أكثر من مربكة فحسب، بل إنها تشعرها بالتمييز الممارس تجاهها. لذا تقول نوف (17س) عند الحديث عن بلوغها إنها صارت تكره نفسها آنذاك لتحملها مسؤوليات وواجبات أكثر من الفتى. فكانت "حزينه وأدعو الله أن يجعلني ولدا". وجعلتها فترة تحولاتها الجسدية انطوائية وتكره الفتيان. ورغم تقبلها لأوضاعها بشكل تام فيما بعد، إلا أنها لا تزال تكره الزمالة والصداقة بين الجنسين. فالبلوغ يشكل هنا العلامة الفارقة والحاسمة في تحديد الأدوار الاجتماعية لكل من المرأة والرجل التي كانت كامنة في مرحلة الطفولة، فتدخل حيز التنفيذ بعد البلوغ. فإذا كان البلوغ عنوان بداية الانتقال البيولوجي من الطفل إلى المرأة والرجل من حيث خصائصهما الجسدية ووظائفهما الجنسية المختلفة، فهو في الوقت نفسه عنوان بداية الأدوار الاجتماعية المنمطة المبنية على فكرة الاختلاف البيولوجي. لذلك، وبمقدار ما يكون الفصل بين الجنسين أكثر حدة، والأدوار الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة أكثر تباعدا، يصبح اقتران هذا الفصل بين المسارات والأوضاع بالبلوغ سببا لبروز مشاعر سلبية إزاء البلوغ وإزاء العلاقة بين الجنسين.

ويبرز هذا التنميط أحيانا باسم "الإحساس بالمسؤولية" كما عند الربط بين البلوغ وأحد الأدوار التقليدية للمرأة المتمثل في القيام بالشؤون المنزلية. تقول نجاة (18س، تونس) إنها كانت تحب اللعب في الشارع لكنها شعرت منذ بلوغها أنها "أكثر ثقلا ومحمّلة" وأحست نفسها ملحقة بأمها وأقرب إليها. كما أن الفتاة قد تتحمل أحيانا كل المسؤولية إذا اقترن بلوغها بالزواج المبكر، فتصبح زوجة وأمّا بعد وقت قليل.

ويظل السؤال قائما، ما الذي يساعد على بروز مشاعر الحزن والخوف والارتباك هذه عند الفتيات إضافة إلى تجاهل الأهل[8] أو تخليهم عن دورهم في إطلاع بناتهم وأولادهم على خصوصيات هذه المرحلة ؟ يبدو أن خوف البنات وارتباكهن يغذيه في بعض الأحيان كيفية استقبال الأم للحدث. وورد في المسح التونسي مثال فتاة قروية، عاشت كابوسا منذ حدوث العادة للمرة الأولى ليس فقط من وقع المفاجأة في حد ذاتها، وإنما كذلك من رد فعل الأم، التي كانت بدورها خائفة من رد فعل الأب. فانبرت تسأل ابنتها بإلحاح إن كانت قامت بشيء أحدث لها سيلان الدم. تقول "خفت من أمي التي كانت تسألني : فين مشيت ؟ عملتش حاجة..؟ وأنا نحلفلها وكل شيء..."

وعاشت ريم (15س) من منطقة البقاع في لبنان، حيث لا تزال العلاقات العشائرية قوية، وضعية مشابهة، وأكدت أن البلوغ شكّل لها صدمة، بسبب ما نقلته عن رد فعل الأم التي سألتها بحدة "أين كنت ؟ وماذا فعلت ؟". وترتبط ردود الفعل هذه بضرورة المحافظة على عذرية الفتاة والخوف من عدم التمكن من مراقبتها كما يجب. فالرقابة والضبط المطلوبان، يحصلان عبر تقييد حركة الفتاة وتحذيرها من الفتيان وحمايتها منهم.

## عوارض نفس- جسدية

يلاحظ أحيانا ترافق العادة الشهرية مع بعض العوارض النفس- جسدية مثل الصداع، كما حصل مع وسما (17س، اليمن) التي أدركت تغيرات جسدها وتحولها إلى المراهقة عند إحساسها بالصداع الذي تسبب فيه، حسب الطبيب، قلقها وكثرة تفكيرها في تحولاتها الجسدية. حينئذ طالبها أهلها بتعديل سلوكها لتتحول من فتاة "دلوعة" إلى امرأة ناضجة. وشعرت وسما بتغير كبير إذ أصبحت أكثر مرونة بدلا من تزمتها وعنادها.

ويمكن أن نستخلص أن البلوغ بالنسبة إلى الفتاة في اليمن، يشكل تحولا هاما في ظروف حياتها، وتحديدا إذا كانت تعيش أوضاعا أسرية خاصة كطلاق الوالدين مثل ولاء (17س)، التي بكت عند إدراكها لبلوغها والتغيرات التي طرأت على جسدها. وتكيفت مع هذه التحولات دون أن تخبر زوجة الأب. ولم تستطع إعلام أمّها بحدوث العادة الشهرية لأول مرة إلا بعد أسبوع. كما عرفت اضطرابات في الدورة الشهرية عندما تقدم من يطلب يدها، شعرت أنه سيكون سببا في حرمانها من الدراسة.

ويزداد احتمال التعرض لاضطرابات عند حصول البلوغ في سن مبكرة لدى فتيات غير مهيئات لذلك، بحيث يتفاجأن بحجم التغيير وأثره على أجسادهن والسلوك المتوقع أن يتبعنه. وعادة ما يسبب لهن التغيير حرجا كبيرا كما تؤكد نجلاء (17س، مصر) "لم يكن أمرا جميلا على الإطلاق لأني بلغت باكرا، وكان شكلي مختلفا عن كل صديقاتي. كنت أخجل جدا في المدرسة ولم أكن أحب الخروج. وجاء في حديث حنان (18س، البحرين) "حسيت أن هذا الشيء الذي يحدث لي حرام في حقي كطفلة صغيرة". أما بالنسبة إلى عزيزة (17س، مصر) فقد ارتبط الأمر بحدث ختانها الذي كرهته كما كرهت جدتها التي أجبرتها عليه "أنا بلغت بعد موضوع الطهارة ده (الختان) بكذا شهر، يعني بدري، بس من كتر ما الموضوع كان مرتبط في ذهني بالموضوع التاني ده قعدت فترة كارهة نفسي وكارهة جسمي ولما كانت تيجي لي الدورة كنت لا أخرج من البيت، وبعدين خلاص بقى الواحد كبر".

**(8)** وهذه سمة من سمات مجتمعاتنا المرتبكة التي تقف حائرة بين التقليد والحداثة. فأمر إطلاع الشبان على "أمور الحياة"، كان يتم تقليديا عن طريق الأهل، أو عبر طقوس متعددة، أو بواسطة رجال الدين الذين كانوا يعالجون أدق الأمور الجنسية التي قد يتعرض لها الإنسان.

لبعضهن. ولا يتكرر ذكر الأم في تزويد ابنتها بالمعلومات عن الصحة الجنسية إلا بنسبة 12٪، مقابل نسبة 24 ٪ للقريبات. وتبين من نتائج المسح التونسي أن مصادر البنت هي أكثر تنوعا من الولد، ويبقى فضل المدرسة كبيرا في تزويد الشباب من الجنسين بالمعارف عن الصحة الإنجابية. فهي تمثل مصدر المعلومات بنسبة 64 ٪ للفتيات، و62٪ للفتيان[11].

## البلـــوغ : خـــوف الفتـــاة وفـــرح الفـــتى

يسبب البلوغ عموما الخوف عند المراهقة، والفرح عند المراهق. فمنذر (17س، اليمن) أدرك بلوغه "عند الاستحلام الأول قبل عامين أخبرت أبي وشعرت بالارتياح ونبتت الشوارب (الشنب)" وصار يحظى باحترام أكبر من الآخرين. ويقول تلميذ من (تونس) واصفا هذا الحدث، في المسح التونسي لصحة الأسرة، "اكتشفت أنني بلغت، وقد أصبح بإمكاني أن أقذف. فرحت...وليت راجل" أي أصبحت رجلا. وأضاف تلميذ آخر (تونس) "الواحد يولي يحب، تجيه الشهوة، تولي عنده رغبة".

ولئن اتسم الحديث عن هذه الفترة بالاقتضاب، فإن معظم التعليقات جاءت إيجابية عند المراهقين خلافا للمراهقات اللاتي يصبحن هدفا للخطاب الراغبين في الزواج منهن، ويصبح التفكير في الزواج شاغلا أساسيا بالنسبة إليهن.

مع ذلك، لا يخلو الأمر من مساحة متواضعة للفرح حتى بالنسبة إلى الفتيات. لم تشعر ريا (18س، لبنان) بالسرور في البداية وانتابها الخجل، ولم تعلم أمها التي كانت غائبة عن المنزل، ووجدت اهتماما من جدتها التي روت لها حكاية تعبر عن الاحتفاء ببلوغ الفتيات، ولم تع ريا ما يحصل ولماذا "كبّروا الأمر إلى هذا الحد". مع ذلك شعرت براحة أكبر و بالسرور لبلوغها هذه المرحلة خاصة عند شرائها "لسوتيان" (حمالة صدر) سوداء وصارت "تلبس أشياء أحلى" وأكدت أن "البنات يفرحن من هذه الأمور". كما شعرت أنها كبرت، وصارت تدرك ما لهذا التغيير من أهمية لدى الشباب الذين " يحبون هذا الشيء وهو حلو للبنت أيضا وأن جسمها يصبح حلوا بسبب ذلك". وقد يحصل تغيير بموجبه في العلاقة بين الشاب والفتاة، وهي توافق على أن بعض التجارب الجنسية السطحية تبدأ عادة في هذه السن، وهذا ما حصل معها.

عاشت ابتسام (18س، المغرب) مرحلة البلوغ باعتبارها دعوة إلى الصداقة واكتساب معلومات واكتشاف مشاعر جديدة، والوعي بأهمية الاهتمام بالمظهر وتبني سلوك جديد في هذا الاتجاه "شعرت بأني تبدلت، كبرت. أصبح بإمكاني أن أصادق وأن أجرب العلاقة مع الشبان. وتبدل اهتمامي بمظهري وصرت لا أخرج إلى الشارع إلا وأنا مرتدية لباسا جميلا، وكنت أبدل ملابسي كل يوم".

ولكن هل يمكن الربط بين مساحة الفرح هذه وبين متغيرات اجتماعية أو ثقافية ؟

**(11)** المسح التونسي لصحة الأسرة : التقرير الرئيسي، جامعة الدول العربية-المشروع العربي لصحة الأسرة ووزارة الصحة العمومية التونسية-الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري، 2002. / شمل المسح العربي حول صحة الأسرة بتونس عينة تعد 7000 أسرة ممثلة لكل أسر الجهات بمدنها وقراها وأريافها.

## دور الأهل

يبرز من خلال المقابلات أن الأهل لم يهيئوا أبناءهم لمرحلة البلوغ إلا فيما ندر وبالحد الأدنى المطلوب الذي لا يمكن تجنبه مثل تنبيه الفتاة فقط على احتمال نزول الدماء عندما تقترب من سن معينة، وكأن هناك شبه اتفاق بينهم على عدم الخوض في الموضوع من قبيل التحاشي أو الإهمال أحيانا.

ذكر معظم المراهقات والمراهقين أنهم لم يستقوا معلوماتهم عن البلوغ والدورة الشهرية والاحتلام وأي مسائل جنسية أخرى من الأهل ولا حتى من المربين، ما عدا قلة منهم أشاروا إلى تلميحات الأهل أو الحديث مباشرة معهم. ولا نسجل هنا اختلافات هامة بين الريف والحضر أو الأوساط المتعلمة أو غير المتعلمة. فهناك أوساط ريفية تقليدية تم فيها إعداد الفتاة، وأخرى متعلمة لم تشر إلى الموضوع إلا بعد حدوثه.

وتتنوع مصادر المعلومات المرتبطة بالبلوغ بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين. وتأتي هذه المعلومات غالبا متقطعة يلتقطونها إما خلسة من خلال الاستماع إلى ما يدور أحيانا بين الأهل، أو عن طريق الاخوة والأخوات الكبار أو عن طريق الأصدقاء. ويحتل الأصدقاء المرتبة الأولى تقريبا كمصدر للمعلومات. كما تشكل المطالعة مصدرا آخر إضافة إلى المدرسة في بعض الحالات القليلة حيث تحصل المراهقات والمراهقون على المعلومات بطريقة آمنة وعلمية ولكن متأخرة نسبيا.

ومن الأمثلة اللافتة للنظر في هذا الصدد، ما روته طالبة تونسية عن كيفية حدوث طمثها في الصف، حيث اعتقدت أن فاجعة أصابتها ولم تكن تفقه سببها، حتى أن زميلاتها "بهتوا" أي استغربن ولم يفهمن ما حدث. وعندما طلبن من المدرس توضيحا، قال إنها قد تكون جرحت نفسها عرضا بمسمار"هذيكا مسمار دقها". الأمر الذي " يفيد بضرورة تطوير معارف المدرسين أنفسهم وتدريبهم على كيفية إيصالها للنشء". فليس بالغريب إذن أن يرتبط الطمث بالقلق والخجل والارتباك عند الفتيات.[9]

ومن الملاحظ أن الأهل قد يشيرون إلى أنهم تحدثوا مع أبنائهم عن البلوغ، الأمر الذي لا تشير إليه المراهقات والمراهقون أنفسهم. وكما يورد مسح النشء المصري[10] "يظهر الدور الضئيل الذي يؤديه الآباء والأمهات في نقل هذه المعرفة عندما نقارن إجابات النشء بإجابات الوالد (الأب والأم) من نفس الجنس. وتظهر هنا صورة لافتة للنظر للغاية، يذكر 7٪ فقط من الأولاد الذين يعرفون شيئا عن البلوغ أنهم تعلموا ما يعرفونه من آبائهم. بينما يقول 42٪ من هؤلاء الآباء أنفسهم أنهم تحدثوا مع أبنائهم حول التغيرات المصاحبة للبلوغ".

وجاء في المسح التونسي لصحة الأسرة أن دور الأقارب من داخل الأسرة يبدو ضئيلا في تزويد الشباب بالمعلومات عن الصحة الجنسية، وخصوصا بالنسبة إلى الذكور. أما بالنسبة إلى الإناث، فإن للقريبات من خارج الأسرة الضيقة دورهن في نقل المعلومة عن الصحة الجنسية

**(9)** معارف واتجاهات وسلوك الشباب مرجع مذكور.

**(10)** مسح النشء المصري، مرجع مذكور.

المدرسة، ويلبسونها اللباس التقليدي المعروف باسم "الفوطة" ويبدؤون في ابتياع المصوغ وتحضير جهاز العرس. وتتحول الفتاة بذلك إلى مجرد جسد أو "شيء" وهو ما ترفضه هيام بشدة، كما ترفض طقوس العبور التقليدية التي تقوم على "إخضاع الفتاة إلى اختبارات مذلة ترافق انتقالها إلى وضعية النساء المتزوجات [12].

## الجنسانية المحرمة

إن ما يميز المراهقة هو النضج الجنسي وتأكيد الهوية الجنسية. فكيف تعيش المراهقات والمراهقون المستجوبون هذه المرحلة وكيف يتعاملون مع جنسانيتهم وجنسهم في منطقة لا يزال فيها الجنس موضوعا محرما، "تابو". يتحرج الباحث أو حتى الباحثة أحيانا عند طرح مثل هذا السؤال على مراهقة، فيشعر أنه يعتدي على "طهارة وعذرية" قاصر. فهبة (16س، لبنان) أفهمت الباحثة أنها لا تخجل لكن إجابتها عن الجنس وردت كما يلي "لا أفهم ما تقولين.. ولا أعرف هذه الأشياء"، وكأنها ترفض الخوض في هذا الموضوع رغم معرفتها به. وقد تم رصد العديد من الأجوبة المماثلة، ممن "لم يفهمن السؤال" وكأنه صيغ بلغة مختلفة وغير مفهومة. وهناك من رفض ببساطة الإجابة على غرار فارس (15س، اليمن) إذ اعتبره "سؤالا محرجا جدا". وفي مصر، عبر نصف المستجوبات عن صعوبة "الحديث" عن الجنس، ولو أنه ممكن أحياناً مع صديقة أو مع الأم. ولا يختلف الأمر في البحرين، فحنان (18س) تحجبت حتى لا تكون "موضع رغبة جنسية لأحد. لم أجرب الجنس لتكون لي رغبة تجاه أحد". كما تؤكد نورة (15س) "لا أستطيع الكلام في الجنس ولا أحب الجنس".

وبالرغم من إمكانية استشفاف وجود نوع من العلاقات والمغامرات الجنسية بين المراهقات والمراهقين، في حالات عديدة وفي جميع البلدان التي شملتها الدراسة -وأحيانا تأكيد ذلك صراحة- إلا أن هذه العلاقة مع الجنس الآخر تعاش في معظم الأحيان كنوع من الاعتداء على المحرمات. فنائلة (18س، تونس) ترى في الجنسانية سلوكا "شائنا غير طاهر". أما رفيف (17س، لبنان) فعبرت عن كرهها للجنس، ورغبتها في "التخفف" من جسدها (السمو عن جسدها). وتعتبر أننا "نمارس الجنس مرة واحدة وننجب وهو أمر اضطراري" ولذلك تكره إنجاب الأطفال. ويحيل موقف فريدة (17س، تونس) إلى المفهوم "الكنسي" التقليدي للموقف من الجنس، الذي يعتبره أمرا ضرورياً للتكاثر فينفي عن الفتاة الشعور بالرغبة "لا تبحث المرأة إلا عن الأمومة، بينما يبحث الرجل عن لذته". وفي هذا ابتعاد عن المفهوم الإسلامي الذي يعترف بالجنس ولا يخاف من الاعتراف بإحدى غاياته، أي اللذة، عند كل من الرجل والمرأة [13]. لذا ينظر إلى سلوك البنت التي تنجرف في علاقة مع شاب على أنه انتقاص من قيمتها.

وتظل النظرة إلى الجنس أكثر ميلا إلى السلبية ولا تساعد على التفتح بل هي تساهم في التقليل من احترام الآخرين ومن احترام الذات الذي لا يمكن الوصول إليه إلا باتخاذ مسافة من الجنس الآخر والتنكر للجنسانية. فهذه الأخيرة هي على الأقل نوع من "التورط"، حسب فارس (15س، اليمن) الذي يقول إنه ارتبط بعلاقات عاطفية مع ثلاث فتيات أمريكيات، ويحمد الله أنه "لم يتورط معهن". ويقارن بين الأمريكيات واليمنيات، فيعتبر بنات بلده "خجولات يخشين الفضيحة بينما الأمريكيات لا يكترثن لشيء". ويخشى جهاد (18س، تونس) ممارسة الجنس

**(12) Mahfoudh Dorra :** Rites alimentaires, rites matrimoniaux dans la société tunisienne in revue IBLA, 1992, t.55, n°170.

**(13) Bouhdiba (A)** : La sexualité en Islam. Puf. Paris. 1972.

## ج- المواقف من البلوغ

مكّن العمل الميداني من رصد تغير في الموقف تجاه البلوغ. فالموقف التقليدي كان مرحبا ومحتفياً إلى حد إقامة احتفال للفتاة عند بلوغها، في مقابل الموقف الحالي الذي يعبر عن خجل وارتباك الأم نفسها، مما يسبب خوفا وارتباكا عند الفتاة.

يبدو أن الاحتفال بالانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، كان يعني بداية الرشد. وهو ما تم التعبير عنه على لسان تالة (17س، لبنان) وأشارت إليه ريا (18س، لبنان). وكان لتالة الحظ في أن يحصل أول طمث لها، يوم عيد ميلادها الثاني عشر، خلال وجودها في المدرسة. ومع أن معظم رفيقاتها كن قد بلغن، إلا أنها لم تكن لها بعد معرفة بالموضوع وتقول "ماما لم تشرح لي بالتحديد، ففزعت وطلعت عند الناظرة وأخبرتها". احتضنتها الناظرة وقبلتها، وبينت لها ما يجب القيام به. وتفاجأت تالة بأن الناظرة التي تبلغ من العمر حوالي الستين سنة أقامت حفلة لابنتها عند حدوث الطمث لها أول مرة. وتساءلت "هل يسرون هالقد ؟ (بهذا القدر)". وأكدت والدتها ما روته الناظرة "ماما قالت لي انه من زمان كانوا يفرحون جدا لأن الفتاة أصبحت قادرة على إنجاب أولاد". ويبدو أن مسألة الخصوبة هي التي كانت مهمة قديما. فعندما بلغت زينب (18س، لبنان)، أخبرت أمها مباشرة، فأبلغتها أن "كل بنت يحصل معها ذلك وأن هذه هي سنة الحياة وذلك يعني أنها سوف تتزوج وتنجب أطفالا". وشكلت المناسبة فرحة زغردت لها الأم، لكنها لم تخبر الجيران بسبب الاعتقاد أن إخبارهم بذلك يعني إشعارهم بأن بلوغها المبكر قد يحد من نموها وتبقى قصيرة، مما يؤثر سلبا في الراغبين في الزواج منها. وقد يعمد الأهل إلى تأجيل الإعلان عن بلوغ البنت في حال لم يكونوا مستعدين لذلك، إذ يعدّونه علامة الخصوبة ومؤشرا على أن الفتاة أصبحت مؤهلة للزواج.

زغردت أم إلهام (17س، مصر)، لأن ابنتها أصبحت "ست صغيرة" وأصبح بإمكانها أن تتزوج. أما سالي (16س، مصر) فقد أوضحت أن بداية الطمث مسألة مهمة جدا في الأوساط الفلاحية "عند الفلاحين الموضوع ده له شنة ورنة بالنسبة للبنات. وأنا احتفلوا بي احتفالا كبيرا لأني الصغيرة بين أخواتي". وهو ما يشير إلى تعامل مختلف مع علامات البلوغ في المجتمعات التقليدية في العقود السابقة. أما الآن، فنلاحظ استمرار فرض القيود على حركة الفتاة في مناطق الريف وفي الفئات الاجتماعية الدنيا عند بلوغها، مع اندثار ما كان يرافقها من مظاهر احتفالية تبرر أو تخفف من ثقل هذه القيود.

ولكن هل تنظر المراهقات إلى الاحتفال الجماعي ببلوغ الفتاة في المجتمع المعاصر نظرة إيجابية ؟ ترفض هيام (17س، تونس) هذا الطابع الاحتفالي وترى فيه إزعاجا للفتاة. فهي تتبنى بعض المفاهيم العصرية إزاء الزواج مثل اعتبارها اختيار الزوج من حقها هي، وترفض الزواج المبكر الذي يمنع الفتاة من متابعة دراستها واتساع خبرتها بالحياة، وتعده شكلا من أشكال تدهور أوضاع المرأة... كما لا تقبل فرض الحجاب على البنت عند البلوغ. وتذكر هيام طقوس "العبور" في جزيرة جربة (جزيرة في الجنوب التونسي تنتمي إليها زوجة شقيقها) حيث يلقون ثياب الفتاة القديمة ويشترون أخرى جديدة عند حدوث الطمث لأول مرة، ويقيمون احتفالا ويقدمون الطعام للمدعوات. واعتبارا من هذه اللحظة، يهمشون كل ما تعلمته الفتاة في

وإذا كان الموقف النمطي المعلن من المراهقين يتمحور حول فكرة حصر العلاقة الجنسية ضمن مؤسسة الزواج مع موقف مبطن متساهل يعترف بالرغبات الجنسية للرجال ويقبل ممارستها ضمن حدود، فإن الموقف النمطي المعلن والشائع لدى المراهقات هو أكثر تحفظا تجاه موضوع الجنس. فهو إما "مكروه" وإما "مقرف" وإما "متجاهل" أو "ضرورة لا بد أن تتحملها المرأة لأنها لا تستطيع البقاء من دون زواج". والزواج نفسه أحيانا "عذاب وشقاء" لا بد من تحمله.

وهنا يبرز الاختلاف بين الجنسين، وكأن الجنس هو ملك أو حق للرجل والمرأة تتحمله فقط من أجل استمرار النوع ومن أجل حسن سير المجتمع وبمبادرة من الرجل. إذ أن فريدة (17س، تونس) لم تخف تأثرها بآراء أستاذتها التي كانت تقول لتلميذاتها "إن الهدف الأسمى الذي تطلبه المرأة من خلال العلاقة الجنسية هو الإنجاب". ويتبين لنا من خلال هذا أن الجنس في المجتمعات العربية لا يعترف به كحق للمرأة كما أنه لم يدرك كعلاقة شراكة وتبادل بين الطرفين. إنه حق للرجل وممارسة مترسبة للمرأة.

وهنا يطرح سؤال عن تلك المرأة الأسطورية في ألف ليلة وليلة، تلك التي كانت تجمع خواتم الرجال الذين تعاشرهم تحت أنف الزوج العملاق الذي يحرسها، فأين هي المرأة الشبقة التي يروي سيرتها الأدب الشعبي؟ أين هي المرأة "الشر كلها" ؟ وهل يغير الرجل المرأة بعد الزواج؟ أم أن ما يعلن عنه ليس هو ما يمارس؟ أم أن المرأة تغيرت لجهة استيعاب القمع الداخلي؟ أم أنها التربية المتحفظة الحديثة والمتأثرة بالتراث الفيكتوري[14] الغربي أكثر من تأثرها بالتراث الإسلامي ؟

إن الخوض في مثل هذه المسائل يشبه البوح بما هو خاص وحميمي، وهو بالتالي صعب على المراهقة أو المراهق اللذين قد يفضلان في هذه الحال تبني مواقف أقرب إلى النمطية وما هو سائد ومقبول اجتماعي. ولكن على الرغم من ذلك كشفت بعض المقابلات عن آراء وتجارب صريحة وعميقة. ولئن لم تقم خديجة (18س، المغرب) مع صديقها أية علاقة جنسية، فإنها ستوافق إن أقنعها بذلك، مع أنها تفضل تأجيل ذلك "حتى تتم الخطبة بينهما رسمي". ولم تخف تخوفها من أن يتركها ويذهب إلى فتاة أخرى إذا لم تمارس معه الجنس الآن. وتتبع خديجة التدرج في ممارسة الجنس "هو الآن يملك ربعي وبعد الخطبة نصفي وبعد الزواج كلي". ويروي حسن (18س، المغرب) أن إحدى الفتيات التي تكبره بخمس سنوات تسببت في إثارته. فأصبح "يلف" حولها مستعملا "كل أساليبه الشيطانية" على حد تعبيره حتى "حقق الله مراده" فقد كانت هي من أثارته كما يقول.

ولعل شهادات جريئة من هذا النوع تلفت الانتباه إلى نسبية المواقف وتنوعها، وإلى تعدد مستوياتها والاختلاف المحتمل بين ما هو معلن وما هو مضمر بسبب التكيف الذاتي مع القيم في الخطاب السائد.

**(14)** نسبة إلى الملكة الانكليزية فيكتوريا (1819-1901) التي اشتهرت بحكمها الطويل لانكلترا (63 عاما). تميز حكمها بالالتزام الصارم بقواعد أخلاقية وسلوكية لا تخلو من الخبث والرياء، ومن ضمنها النظر إلى الجنس باعتباره خطيئة، وأن وظيفته الوحيدة هي الإنجاب فقط.

بسبب المشاكل التي تنجم عنه ، فإن هو مارسه مع فتاة "وضيعة الأخلاق" فإن هي حملت من شخص ما قد تقوم "باستعادة شرفها" على حسابه هو. ويخضع الجنس عند جهاد إلى ثنائية الحلال والحرام إذ قابل سؤال الباحث بسؤال "عن أي أنواع الجنس تريد الحديث، الحلال أم الحرام ؟".

مع ذلك اختلفت ردود فعل المراهقات والمراهقين حول مواضيع الجنس والحب وتنوعت مواقفهم، ولم يحدد متغير الجنس وحده هذا الاختلاف، بل يتداخل مع متغيرات أخرى كمتغير الريف/الحضر، الفقر/الغنى وكذلك متغير الدين ومتغير المستوى الثقافي- الاقتصادي للأسرة في تحديد الاتجاهات.

إن المنتمين إلى الطبقات الميسورة وسكان الحضر يكونون عموما أكثر قدرة على الحديث عن الجنس من المنتمين إلى الطبقات الفقيرة، كذلك المراهقون مقارنة بالمراهقات. وتبين وجود بعض الاختلافات بين البلدان، ففي حين لا يزال المجتمع اليمني محافظا وتقليدياً، نجد أن الوضع في المغرب أكثر تحررا. وقد يذهب البعض إلى نعته بالتسيب. وتتعامل بعض الأوساط في لبنان وتونس ومصر مع العادات بمرونة أكبر نظرا لتأثرها بالغرب. وقد تعود هذه المرونة إلى الظروف الاقتصادية الصعبة التي تفرض مثل هذا السلوك، كما هو الحال في المغرب.

وغالبا ما يتم استشفاف المواقف من الجنس بشكل غير مباشر، إذ لا يتم التعبير عنها بصراحة. فالموقف المعلن لا يزال يتسم بالتحفظ ويفضل تأجيل ممارسة الجنس إلى حين الزواج. يؤكد محمود (18س، البحرين) "لم تحدث تجربة جنسية بيني وبين أية فتاة وهذا لن يحدث إلا بالزواج الشرعي سواء بالزواج الدائم أو المتعة". أما نهلة (15س، مصر) فلا تعتبر العلاقات الحرة بين الجنسين صحيحة، فلو كانت نية الشاب سليمة، حسب رأيها، لسعى إلى خطبة الفتاة والزواج منها وانتهى الأمر.

وهناك موقف آخر لا يدين الممارسة السابقة على الزواج ضمنياً وتعبر عنه تالة (17س، لبنان) "طبعا يفضل الشاب أن يمارسه مع الشخص الذي يحب. ونفس الأمر ينطبق على الفتاة"، وهي ترفض خوض هذه التجربة من دون حب ولكنها تقصد ضرورة أن يؤدي هذا الحب إلى الزواج. وتفضل مونيا (18س، الجزائر) الاحتفاظ ببكارتها كي تقدمها "أجمل هدية" لزوجها في المستقبل. إلا أنها تؤكد في نفس الوقت "قبل الزواج مازلت لا أدري قد يحدث هذا أو لا يحدث".

ولا يوجد موقف موحد لدى المراهقين، فبول فاليري (18س، لبنان) لا يريد أن يمارس الجنس إلا مع الفتاة التي سوف يحبها ويتزوجها وكذا الشأن بالنسبة إلى رفيق (18س، لبنان)، وهما متدينان مسيحي ومسلم. في حين يتوقع أشرف (18س، لبنان) أن تحل المساكنة مشاكل كثيرة، فيمكن لشخصين متحابين أن يعيشا معا لوقت معين دون ارتباط أو "أسر" على حد تعبيره. والعلاقات الجنسية حسب عمرو (16س، مصر) "شيء حلو"، لكن التقاليد لا تتفهم "هذه الحاجات" وتكون الفتاة هي المتضررة في نهاية الأمر من هذه العلاقات. ويحصر حسن (18س، المغرب) ممارسة الجنس في الأطر الشرعية فهو "ضروري في حدود المشروع".

الفتاة سهلة المنال ويمكن للفتى إقناعها بمشاعره بسهولة. غير أن المراهقات يؤكدن أنهن قادرات على التحكم في مشاعرهن فلا يصرحن بها أو بمغامراتهن إلا للصديقة الحميمة. كما يعتبرن ممارسة العادة السرية مسألة طبيعية للجنسين.

ويعترف المراهقون بالمراقبة التي تعيشها المراهقات والحصار المفروض عليهن من الآخرين مما يستوجب، حسب رأيهم، توخي الحيطة والحذر لأن من تقوم بعلاقات جنسية أو حتى مجرد صداقة في بعض الأحيان، قد تفقد مصداقيتها مما يقلل من حظوظها في الزواج. وغالبا ما تعترض المراهقات على غرار ريا (18س، لبنان) على الموقف المتناقض للشاب من الجنس. فهو يعتبره إيجابيا كحاجة طبيعية وبيولوجية، وسلبيا بما أن هدفه يصبح ممارسة الجنس للجنس، و"يعامل الفتاة بالتالي كشيء". مما يحيلنا إلى ازدواجية النظرة والسلوك عند الذكور. فلئن اعتبروا الجنس حاجة طبيعية، إلا أن الفتاة لا تستطيع ممارسته إشباعا لرغبتها كالشاب. وتتكرر اعتراضات المراهقات على معاملة الشبان لهن "كشيء"، فأكثر ما يردع مونيا (18س، الجزائر) من إقامة علاقات هو تخوفها من نوايا الشباب السيئة. وتشير "أتعرض لمضايقات الرجال من كل سن عندما أخرج، أنا لست مادة جنسية كما يظنون".

ولكن ما يمكن التطرق إليه في موضوع الجنس في بلدان مثل تونس ولبنان والمغرب، يصبح شائكا وعسيرا في بلد مثل اليمن، فالمراهقون متحفظون عامة ولا يرون أي إمكانية لإقامة علاقات، من أي نوع، بين الجنسين خارج مؤسسة الزواج.

وفي البحرين، وردت عدة حالات لمراهقات ومراهقين مروا بتجارب عاطفية وجنسية، ولكن أغلبها كان فاشلا على حد تعبيرهم. وأحيانا ترك هذا الفشل انعكاسات سلبية مثل مشاعر عدوانية تجاه الجنس الآخر، وفقدان الثقة بالحب واعتباره وهما. فحنان (18س) على سبيل المثال، مرت بتجربة حب فاشلة، دفعتها إلى زواج مبكر انتهى بطلاق سبب لها الأذى، تقول "انعزلت عن الناس لأن هناك إنسانا أهانني وأعطاني لقب مطلقة وأنا صغيرة. وبعد ذلك تجاوزت الموضوع وواصلت حياتي". وتؤكد حنان استحالة دخولها مجددا في علاقة جادة تضمن لها النجاح. ولوليد (18س، البحرين) تجربة خاصة، لا بل عدّة تجارب. فقد عاش تجربة جنسية مع فتاة تكبره بثلاثة أعوام، أصرّت على أن تكون بينهما علاقة جنسية كاملة، "فافتض" بكارتها برضاها مما سبب لها مشاكل عندما أرادت الزواج من آخر.

يتبين إذن وجود فروقات بين الجنسين فيما يتعلق بالجنس. فموقف المراهقين من الجنسانية ومن الجنس الآخر غير محفوف بالمحرمات ويتضمن مفهوم اللذة بشكل أوضح. وهو ما يظهر جليا في موقف سمير (16س، تونس)، الذي يعتبر أن "الجنسانية صارت بالنسبة إلى الشباب في العالم كله، شكلا من أشكال اللذة البحتة". ومن خلال المقابلات التي أجريت في المغرب، أشار بعض المستجوبين إلى وجود نوع من الرياء المتبادل بين المراهقات والمراهقين "أضحك عليك، تضحك علي". فلكل منهما هدف مختلف عن الآخر، ويتمثل بالنسبة إلى المراهقين في إشباع الرغبة، أما بالنسبة إلى المراهقات فيرتبط بالحفاظ على العذرية. وهو ما جعل إكرام (18س، المغرب) تصف الذكور بأنهم "حقيقة كلاب"، وتتفق في ذلك مع لين (17س، لبنان) التي تقر بأنها تغري الشباب وتصف الشاب بـ "الحيوان، لا يقدر أن يضبط غريزته، يرى واحدة خلاص، بدو إياها شو ما صار، أو إذا مرت بنت أمامه فهو فورا يحس بشيء (تضحك)،

### العذرية المقدسة

ارتبط الحديث عن الجنس غالبا بالزواج، وكأن هناك عدم قدرة على التفكير في الجنس خارج إطار الزواج أي خارج إطار منظومة المعايير الاجتماعية والدينية والأخلاقية. ويعود الاختلاف الجوهري في النظرة إلى الجنس بين الجنسين إلى مفهوم العذرية. وترى الفتيات أن الشاب بإمكانه خوض التجربة الجنسية "للتسلية" خلافا للفتاة، إذ لا يزال غشاء البكارة أو مفهوم العذرية مهما في المجتمعات العربية[15]. ففي الأوساط المحافظة، غالبا ما يرتبط مستوى احترام الأسرة "بفضيلة" نسائها المعبر عنها بالعذرية.

تصرح هناء (18س، تونس) "أن البكارة مهمة في بلادنا، ففي بنزرت (مدينة في الشمال) تقوم الأم بالتأكد من عذرية الفتاة في اليوم التالي للزفاف" لأنها تشكل مصدر كبرياء الأسرة[16]. لذلك "كافأت" هناء أهلها بأن أحبت مدرسها الخصوصي حبا "شريفا وعذريا" ولم تقم بأي سلوك مشين إلى أن ارتبط بها رسميا. فالفتاة لا تتشدد في الحفاظ على غشاء البكارة من أجل قيمة الشرف أو الحفاظ على تقاليد المجتمع فحسب، بل كذلك من أجل تحسين شروط التفاوض مع زوج المستقبل. فالجنس هو منبع المشاكل بالنسبة إلى الفتاة ويعرضها لخطر الحمل ويضعها في موقف تفاوضي ضعيف تجاه زوج المستقبل[17]. إذ لا يزال غشاء البكارة مصدر قيمة المرأة ورأسمال الفتاة في عملية التفاوض مع "العريس اللقطة" أي "الفرصة التي قد لا تتكرر". وإذا كان غشاء البكارة يكتسب الأهمية نفسها في جميع الأوساط، فإنه يصبح أمرا ملزما وله ضرورة مطلقة في الطبقات الفقيرة المحافظة والمتماسكة. فهو المكافأة التي تقدمها الفتاة نظير جهود أهلها في تربيتها وتعليمها، وهي أيضا وسيلة لشكرهم على ثقتهم بها، وتجنب إلحاق العار بالعائلة.

وفي لبنان وتحديدا في الأوساط التي تؤمن بالحرية الفردية، أمكن رصد موقف مشابه يتشبث بضرورة المحافظة على العذرية عبرت عنه نادين (16س) التي تقوم بزيارات لأقاربها في أمريكا باستمرار. وتؤكد أن النظرة إلى العذرية مختلفة "هنا عما هو الأمر في أميركا" وهي تقبل بتأجيل العلاقات الجنسية كمعطى أساسي في مجتمعها ولا ترغب في مناقشته أو كسره علنا على الأقل. ورغم أن لديها "بوي فرند" تخرج معه وتسهر وربما ترتبط به نهائيا إلا أن ذلك لا يعني ممارسة الجنس بالنسبة إليها. وأقام أشرف (18س، لبنان) علاقة جنسية في سن 16 مع فتاة يعتقد أنها أحبته لكنه لم يبادلها نفس الشعور. وهو الآن، يبلغ من العمر 18 سنة ويعيش قصة حب مع فتاة لا يمارس معها الجنس، وربما لأنه يحبها، اختار أن يحافظ على "كرامتها"، فممارسة الجنس تحط من "كرامة" المرأة بينما تثبت رجولة الفتى وتكسبه ثقة بنفسه. وفي السياق نفسه تعتبر فريدة (17س، تونس) الجنس "ضعفا عند المرأة وعليها تخطيه ومواجهته"، وتتساءل في الوقت نفسه، كيف يعقل أن تعطى كل هذه الأهمية "لهذا الغشاء المادي، وبشكل مسف ؟"[18]

## 2. المراهق : نعم للجنس، المراهقة : نعم للعاطفة

في تونس[19] تعتقد المراهقات عموما أن المراهقين لديهم مشاعر ورغبات جنسية عالية لا يتمكنون من التحكم فيها ويعبرون عنها بصراحة أكبر وطلاقة مع أصدقائهم، بل ويتبجحون بها وبقدراتهم الجنسية الحقيقية منها والوهمية. كما يعتقدن أن للمراهقين استعدادا لمرافقة المراهقات وممارسة الجنس معهن دون شعور بالحب تجاههن. في المقابل، يعتقد المراهقون أن

**(15)** وليس أدل على ذلك من "جرائم الشرف" التي لاتزال شائعة في أكثر من بلد عربي، خصوصا حيث العلاقات والعادات القبلية لا تزال قوية. وساعد في استمرار هذه الممارسات، وجود أسباب تخفيفية وأعذار محلة للقاتل، حين تقتل الفتاة لأسباب تتعلق "بالشرف"، وهي مواد قانونية منقولة عن قانون نابليون (أي قانون أوروبي) خلافا للاعتقاد الشائع أنه مستوحى من مصادر أو تقاليد عربية أو إسلامية.

**(16)** تناول المخرج الفلسطيني ميشال خليفي هذا الموضوع بشكل جريء في فيلمه السينمائي عرس الجليل، حيث كان أهل القرية يحتفلون خارج غرفة نوم الزوجين الشابين بعد العرس مباشرة، ويتنظرون خروج أم العريس مع غطاء السرير وعليه دماء البكارة. وأمام إصابة الشاب بعجز جنسي بفعل الضغط النفسي الشديد، فضت العروس بكارتها بإصبعها وسالت الدماء على "الشرشف" الذي أخرج إلى الجمهور من أجل الحفاظ على الشرف المزدوج المتمثل بعذرية العروس ورجولة العريس.

**(17)** الذي قد يعيّرها عند أقل سوء تفاهم أنه تزوجها ثيبا.

**(18)** ولقد أشارت طبيبة نسائية إلى أن الكثير من الفتيات (لبنان) بعمر 16 و17 عاما يأتين إليها من أجل "رتق" غشاء البكارة الممزق. كما أشارت إلى طلب العديد من الفتيات الإجهاض. وثمة ممارسات مشابهة في بلدان عربية أخرى، بما يشهد على استمرار أهمية العذرية في المجتمعات العربية.

**(19)** المسح التونسي لصحة الأسرة، مرجع مذكور.

وقد جاء التصريح بوجود علاقات جنسية أكثر شيوعا في عينة المغرب مما هو في البلدان الأخرى. وترى بعض المراهقات أن العلاقات بين الجنسين "لا يمكن إلا أن تكون جنسية، وإلا فإنها لن تقام أصلا، وإذا لم تقبل الفتاة فهناك غيرها من تفعل ذلك". وتذهب بعض المراهقات إلى القول إن ما تعلنه الفتيات عن تعففهن هو واجهة يخبئن خلفها سلوكا مغايرا. وللبعض منهن رفيقات خضن علاقات جنسية في الفنادق أو البيت، كما أشرن إلى قيام بعض المراهقات بعمليات إجهاض.

ويقر أصحاب الاتجاه الثاني بالفروقات بين الجنسين، مفضلين تأجيل ممارسة الجنس لحين الزواج. وهو ما عبرت عنه دينا (15س، لبنان) باختصار ووضوح "نعم الشباب يمارسون الجنس بعمر 17 أو 18 للتسلية. لكن البنت تأخذ الأمور بجدية أكثر. أحس أنه مهم للإثنين معا. لكن البنت تراه مقدسا. تفضل أن تكون لرجل واحد مدى حياتها. لكن الشاب لا تفرق معه". ويشاطرها راني (16س، لبنان) الرأي الذي يعطي أهمية للجنس لكنه يفضل "أن لا تحصل علاقة جنسية قبل الزواج". ويقف رفيق (18س، لبنان) الملتزم دينيا ضد الجنس خارج مؤسسة الزواج ويضيف "البنت لديها شرفها الذي هو أهم ما تملك. فباستطاعة الشاب أن يتزوج بأكثر من واحدة أما هي فليس باستطاعتها سوى الزواج من شخص واحد، لذا فإن حريتها مقيدة".

تراوحت إجابات أصحاب الاتجاه الثالث بين موقف سلبي من الجنس وبين اعتباره مقرفا و"مش حلو". وعبر أصحابه عن كراهيتهم للجنس. فهو "بلا طعم" ويمارس اضطراريا كما ترى ريم (15س، لبنان). أما تالة (17س، لبنان)، فتعتبر "الجنس من دون حب حرام حتى في إطار الزواج، فالجنس قرف والحب هو الذي يجعله مختلفا". أما وعد (17س، اليمن) فـ"لا يشغلها" الجنس على حد تعبيرها. وبرز لدى المنتمين إلى هذا الاتجاه رفض شبه تام للعلاقات الحرة بين الجنسين، مع التأكيد على الالتزام بالعادات والتقاليد وأوامر الإسلام بوضوح. فهم يؤيدون بشكل عام "تبادل العواطف في حدود مؤسسة الزواج أو بين المخطوبين"، أي في إطار "الارتباط الشرعي". "فالغلط" هنا هو الصفة التي تطلق على العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج، وهو رأي حسام (18س، اليمن) "إذا لم يكن فيها شيء غلط، فالأمر عادي. يعني علاقة عادية كلام في كلام. أما إذا كان فيها غلط، وتلاعب وفيها خيانة، فهذا شيء مرفوض".

والمنتمون لهذه الفئة نوعان، أحدهما لا يزال صغيرا في السن ولم يدرك معنى الجنس بعد، مثل ريم (15س، لبنان)، والآخر يرى فيه شيئا مخيفا كنجاة (18س، تونس) "شيئا يشبه الذنب ومنحدرا خطرا نبدؤه لسبب ما ثم ننزلق فيه وندمنه كالتدخين والكحول".

## ب-التحـــرش الجنـــسي

بدا الحديث في هذه المسألة ممكنا ومقبولا لدى البعض على الأقل. وبرزت حالات متنوعة من التحرش الجنسي مع افتراضنا أن جميع المراهقات والمراهقين لم يفصحوا عن مواقف عاشوها في هذا الاتجاه.

كلا نحن البنات مختلفات، أنا أحس أن الجنس آخر شيء"، أي أنه تتويج لعلاقة متكاملة. ويمكن أن نطلق على لين صفة "اللعوب" حتى أنها تصف نفسها "بالكلبة" لأنها تثير الشباب وتشغلهم "لأن هذا الشاب ما لازم تعطيه شي لأنه إذا خرجت معه وأعطيتيه كل شي دوغري (فورا) بيزهق (يضجر) منك وحلي عني" (إذهبي عني). وتعلمت لين هذه الأمور من أمها ومن أصحابها وآخرين وكثيرا ما يسألونها "هل أعطيته شيئا ؟"

وبالنسبة إلى المراهقين غلب استنتاج غياب العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل وعلى المشروع المستقبلي. وتبقى العلاقة الجنسية الطريقة الوحيدة للمراهق لتحقيق رجولته. كما تبنوا استراتيجية "إقامة علاقة وإنهائها بسرعة" على حد تعبير حسن (18س، المغرب). لكن ذلك لا يعني عدم وجود أنماط أخرى من المراهقين ومن العلاقات. فهند، عاملة المنزل (17س، المغرب)، تقول" هناك من الشبان من يريدون الخروج مع البنات دون أن يطلبوا شيئا أو ما هو معقول، وهناك من يريد منهن هذا الشيء. وبعض البنات يغامرن ويمشين معهم ومنهن من لا تريد ذلك فتخاف وتتراجع".

أما في اليمن، فإن العلاقة لا يمكن أن تتطور حسب المراهقات إلى أكثر مما تعبر عنه رحيق (18س) التي تعتقد أن "العلاقة الغرامية ممكنة إن كانت في حدود التعبير عن مشاعر الاثنين لبعضهما"، وهي معجبة بأحدهم إلا أنها لم تظهر له ذلك.

## أ- الجنس : ثلاثة اتجاهات

أمكن من خلال المقابلات رصد ثلاثة اتجاهات في خصوص الجنس. يؤمن أصحاب الاتجاه الأول بأهمية الجنسانية لكل من المراهقات والمراهقين على حد سواء. وغالبا ما يصرحون بممارستهم للجنس أو يقرون بالاحتكاك الجسدي الخفيف كما يفعل أشرف وريا (18س) ونادين (16س) من لبنان. فجميعهم يتبنون وجهة نظر مونيا (18س، الجزائر) التي ترى أن العلاقة العاطفية والمداعبة مهمة للتوازن. ولا يفرق أصحاب هذا الاتجاه كثيرا بين متطلبات الفتاة الجنسية ومتطلبات الفتى. وتنتمي هذه الفئة إلى أوساط متعلمة بشكل عام من الطبقة الوسطى ومتأثرة بالثقافة "الغربية" في الجانب المتعلق منها بأفكار المساواة ولكن مع وعي تام بخصوصية بلداننا ومتطلباتها. لذلك لم يؤيدوا العلاقات الجنسية الحرة كما في الغرب نظرا لوعيهم بالضغوطات الاجتماعية الممارسة. فأشرف (18س، لبنان) يرى أن "الجنس يكون نفسه عند الجنسين في مجتمع مثالي"، لكنه لاحظ أن "الأفراد في مجتمعنا يتجهون نحو جنس غير واع و"فلتان" (أي غير مضبوط)، ويعود ذلك إلى الضغوطات الاجتماعية والكبت".

و"تحس" نسرين (17س، لبنان) أن الشاب والفتاة متشابهان ولكن المسؤولية تقع على عاتق الفتاة، أما الشاب "لا تفرق معه". وتتبنى ريا (18س، لبنان) تقريبا آراء الحركة النسوية (بمعنى feministe). في هذا الاتجاه تحدثت عن الجنس بحرية ودون تحفظ، وتعتقد أن "المجتمع هو الذي يوجد الاختلاف، فالفتاة لديها حاجة الشاب للجنس، لكن المجتمع يجعلها تقول، لا أريد، لست بحاجة. وبسبب القمع الطويل تصدق الفتاة ذلك ويصبح الجنس عيبا".

وإذا كان الجنس موضوعا محرما، فإن التحرش الجنسي والسفاح يعدان "أكثر تحريما". ولا يعني السكوت عنهما عدم وجودهما. أفادت فريدة (17س، تونس) أنها كانت موضع رغبة جنسية من قبل أحد أخوالها العزاب عندما كانت في سن السادسة وقد قام بملامستها وحاول احتضانها وطلب منها أن تخلع ملابسها. ولم تتحدث عن ذلك سوى مع والدتها التي أشعرتها بأن شيئا ما انقطع بينهما إلى الأبد. لذا صممت على أن تحتفظ بكل شيء لنفسها وأن لا تخبر أحدا عن مشاكلها مهما كانت. وتنتمي فريدة إلى أسرة متواضعة، رسخت والدتها في ذهنها أن الموت أفضل للفتاة من أن تفقد غشاء بكارتها. وهو ما حدا بها أمام هذه الحادثة أن تتساءل "كيف يمكن أن يكون لشيء مادي حقير، كغشاء البكارة، كل هذه الأهمية ؟" وقد يحيل تساؤلها إلى أسئلة أخرى ضمنية، كيف تفسر موقف أمها المتناقض ؟ وكيف يحاول "أحد حماة القانون" أو "أحد حراس عذريتها المفترضة" التحرش بها جنسيا ؟ وكيف تفسر صمت والدتها ولومها الضمني لها، وهي التي كانت لا تبلغ من العمر سوى ست سنوات ؟

## 3. العلاقـات بين الجنسيـــن

عندما تكون العلاقة الجنسية خاضعة لهذا القدر من الرقابة والتضييق، ويتحمس مع ذلك نسبة معينة من المراهقات والمراهقين لإقامة علاقة حب أو خوض تجربته، يكون المقصود عندها الحب العذري. فنوف (17س ، اليمن) لا تمانع في إقامة علاقة حب "تقتصر على النظرات البريئة" وقد سبق أن عرفت الحب العذري وانتهت العلاقة دون أن تخلف في نفسها أثرا مع أنها تأمل في استعادة العلاقة التي استمرت ثلاث سنوات. وغالبا ما تفصل المراهقة (أو المراهق) بين الممارسة الجنسية وبين الحب.

أما بخصوص العلاقات الوجدانية أو الصداقة بين الفتاة والفتى، فقد ساد بين أغلب المراهقين في اليمن، إناثا وذكورا موقف رافض للعلاقة الحرة بين البنت والولد، وتأكيد على الالتزام بما سموه "العادات والتقاليد وأوامر الإسلام"، وفي حدود مؤسسة الزواج أو بين المخطوبين. تقول شذى (18س) "إن العلاقات الغرامية تؤدي إلى الهلكة أحيانا تكون نزوات تؤدي بالبنت لأن تكون الضحية". ومع هذا الرفض، لا ينكر عدد منهم ارتباطه أو مروره ببعض التجارب العاطفية بعضها فاشل. ويبدو أن الذكور أكثر اختبارا للتجارب العاطفية من الإناث، ومنهم من لا يمانع في إقامة علاقات صداقة أو زمالة بين الجنسين في إطار الأسرة لكن ضمن حدود. وعلاقات الصداقة مشبوهة ضمنيا في بعض الأوساط اليمنية، وقد تصل الرقابة عليها إلى حد اتخاذ الأهل قرار فصل البنت من المدرسة كما حصل مع إقبال (17س)، المنتمية إلى أسرة فقيرة من عدن وكان ذلك بسبب علاقات الصداقة التي جمعتها بالجنس الآخر. وخلف الأمر في نفسها مرارة وصلت إلى حد البكاء أثناء المقابلة.

وتمثل المراهقات المصريات الموقف الوسط فيما يتعلق بالصداقة بين الجنسين، فأيدت بعضهن هذه العلاقات ووجدن فيها "أمرا جميلا وعاديا" رغم صعوبة إقامتها في مجتمع يعتبرها غير مقبولة وتسبب المشاكل. وتعد بعض المراهقات، المتشددات دينيا، أن ربط مثل هذه العلاقات غير مقبول من "وجهة النظر الأخلاقية". أما بالنسبة إلى العلاقات الغراميـــة، فأقلية

في لبنان، قلة هم من لم يسمعوا عن حادثة تحرش جنسي أو لم يتعرضوا له. فمع كل المنع والحظر الذي يحف بالجنس، نجد أن التحرش الجنسي يسود أكثر مما نعتقد. ويمكن تفسير السهولة النسبية في التحدث عن الموضوع في لبنان بفتح محطات التلفزة ووسائل الإعلام الأخرى لمثل هذه الملفات. ولئن أثار الأمر موجة استنكار شديدة واتهم أصحاب هذه البرامج بالدعوة إلى الفساد، إلا أنه ساهم في تمكين الفتيات والفتيان في الكثير من الحالات، من التعبير عن أنواع التحرش الجنسي وسفاح المحارم التي يتعرضون لها أو يسمعون عنها.

وأشارت الفتيات في اليمن أيضا إلى التحرش الجنسي بعضها حصل في الاطار المدرسي، وأكدت معظمهن على عدم تعرضهن لمثل هذا الموقف، مبينات أنهن يتجنبن أصلا ارتياد الأماكن التي يوجد فيها الشبان، ولا يخرجن عادة إلا بصحبة الأهل أو الاخوة الكبار. ولا يتعدى التحرش حسب المراهقات اليمنيات حدود القول وتصريحات الإعجاب التي تصدر أحيانا عن مدرس لطالبته كما ورد في المقابلات، وهو ما يشير إلى عدم التمييز بوضوح بين التحرش والاعتداء الجنسيين اللّذين يصدران عن شخص ذي سلطة على القاصر، وبين التعليقات والمعاكسات التي تتعرض لها الفتيات بشكل عابر.

ووفقا لهذا المفهوم، تستهجن المراهقات اليمنيات التحرش ويرفضن الاستجابة للمتحرش بهن. وتتصرف شذى (18س) "بغلظة" مع من يتحرش بها "بسلوك أو بقول"، وردت مرة على بعض الشبان المتحرشين بها "إذا أنتم رجال عندكم ذرة رجولة ما تأذوا بنات الناس في الشارع، تخيلوا أختكم ماشية". وتعتبر وحي (15س) كلمات الغزل والإطراء نوعا من أنواع التحرش "خصوصا لما أذهب إلى المدرسة يعني في حاجات حصلت كذا لكن لم يحصل أن واحدا لحق بي مجرد كلام بس."

وإذا لم تشتك الفتيات من تعرضهن للتحرش الجنسي، فهل يعني ذلك غيابه فعلا ؟

برزت في لبنان حالات تحرش "مثلية" (بين أفراد الجنس الواحد) حصلت مع بول فاليري (18س). وتمت الإشارة إلى جريمة قتل أب لابنته بعد أن مارس السفاح معها، وهو جار لمراهقين اثنين تمت مقابلتهما. كما ورد من خلال المقابلات الحديث عن عدة حالات تحرش بالمراهقات في العمل وفي المدرسة ومن أقارب أو أصدقاء للأسرة يكبرونهن سنا. وتحدث المراهقون عن حالات كشف للأعضاء التناسلية.

ووردت حالة أب من المغرب اعتدى على ابنته البكر مما أدى إلى تفكك الأسرة والتحاق الابنة بمركز لتأهيل المراهقات. وفي مصر صرحت عدة مراهقات أنه قد تم التحرش بهن من رجال أكبر منهن سنا، هم غالبا من أصدقاء العائلة أو مدرسين خصوصيين، أو غرباء عنهن. وحدث التحرش في فترات متراوحة ما بين الطفولة والمراهقة المبكرة وخلف آثارا نفسية سيئة. ولم تقم أية واحدة منهن بإخبار الأهل بالحادثة درءا للمشاكل. وشكلت المقابلة في إطار إعداد هذا التقرير أول فرصة للبوح بما تعرضن إليه.

## أ- العلاقة بين الجنسين : حرب غير معلنة

تبدو العلاقة بين الجنسين أحيانا حربا غير معلنة، وهو ما تعبر عنه نجاة (18س، تونس) بـ" السلاح ذو الحدين"، خاصة بالنسبة إلى الفتاة. فإن كان باستطاعة الشاب مخالطة العديد من الفتيات كي يختار بينهن لاحقا، فإنه على الفتاة "أن تفكر جيدا قبل الانخراط في علاقة، والقاعدة هي في الانسحاب مع أقل خسائر ممكنة". وكلها "تكتيكات حربية".

وهذا ما تؤكده لين (17س، لبنان) في الحديث عن مغامراتها العاطفية، التي تديرها على طريقة المعركة الحربية، "شد ورخي". وتأخذ "المعركة الحربية" في المغرب اتجاها آخر حيث توصف الفتاة التي لا تقيم علاقة صداقة مع الفتيان، في المدينة، بأنها "معقّدة".

ومع أن هذه العلاقات تعاش كاعتداء على المحرّم وكسلوك منقص من قيمة الفتاة، يظل الجيل الجديد متمسكا بها بالرغم من انعدام الثقة الذي يسودها.

وهناك نوعان من الشبان، النوع الذي يثير الشعور بالثقة، والنوع الذي يعامل الفتاة كشيء كما ترى هند (17س، المغرب). كذلك الحب فهو نوعان، البريء وغير البريء بالنسبة إلى المراهقات اللواتي لا يمانعن في خوض تجربة حب. وتصرح المراهقات في غالب الأحيان عن ارتياحهن لعلاقتهن بشاب معين "لأن ليس لديه نوايا سيئة" أو أنه لا ينظر إليها "نظرة وسخة". والمقصود بـ"الوساخة" هنا ممارسة الجنس عن غير حب.

وتميل المراهقات إلى الحب الرومانسي والعاطفي الشبيه بما تقدمه المسلسلات التلفزيونية. إذ أن الحب "يلتصق بجلد الفتاة" على حد تعبير نجاة (18س، تونس). ونجد في المقابل "الحب- الشغف" وهو ما يتوق إليه بعض المراهقين الذين لا يشكلون بدورهم "كتلة واحدة" حسب أحمد (17س، تونس)، فهناك من يبحث عن "الصيد" بمعنى التسلية وهناك من يبحث عن "الرذيلة"، وهناك من هم "طبيعيون". والفتيات في رأيه "يبحثن عن الرذيلة".

ولكن المراهقات أكدن خلاف ذلك، فهن أكثر ميلا إلى علاقة تحفظ لهن كرامتهن وأكثر قدرة على السيطرة على رغباتهن. وللفتيات حسب نجاة (18س، تونس) قدرة أكبر على كبح رغباتهن والاستغناء عن الجنس، خلافا للشبان. ويتفق هذا مع رأي عبد الرحمان (16س، تونس) الذي يسجل اختلافا جذريا بين الفتى والفتاة، "فلا يجدر بالفتاة أن تصرح بكل شيء، فالحشمة من صفاتها الأساسية، لذا يجب أن تبقي على الغموض والتناقض والحيلة". بينما باستطاعة الفتى حسب رأيه أن يعبّر بوضوح عن رغباته الجنسية. وتعكس هذا النظرة التقليدية للجنسين والفروقات بينهما. وتؤكد هبة (16س، لبنان) هذه الفكرة بقولها إن "الشاب يحب الفتاة الثقيلة التي لا ترمي نفسها"، وتحافظ على ثقة الأهل "حتى لو ذهبت إلى البحر".

وكي لا تتورط الفتاة في علاقة حب مكلفة اجتماعيا وشخصيا، قد تشترط أحيانا صفات خارقة في فارس أحلامها، مثال فريدة (17س، تونس) التي تريد شابا "تؤخذ به كليا" وتنجذب لسحر غريب تنبهر به. والشاب الذي يمكن أن يحظى باهتمام وحيدة هو "الأسمر الملتحي" الذي يوحي لها بقيم جوهرية وبالدفاع عن الدين بما قد يغمرها بإحساس من الثقة لأنها تستبعد أن يغرر بها شخص متمسك بمبادئه الدينية.

فقط وصفتها بـ"الجميلة" دون تحفظ، فيما أدانتها الأغلبية إن لم تحدث في إطار الزواج. ويسود الاعتقاد لدى المراهقات أن الفتاة، في إطار هذه العلاقة، تكون أكثر عرضة للمشاكل بما أنها تكون عادة أكثر صدقا في مشاعرها. مما يجعل المراهقات يفضلن الحفاظ على سرية علاقاتهن رغم أنها لا تتعدى "الحب العذري". أما المراهقات من المستويات الاجتماعية الميسورة اللواتي يتمتعن بدرجة عالية من الحرية، فقد حسمن موقفهن لصالح العلاقات الغرامية. وترى جميلة (17س، المغرب) أن العلاقات بين الجنسين لا تشكل بالنسبة إلى الطبقة البرجوازية "تابو". فصديقاتها الثريات يستقبلن الأصحاب في بيوتهن بشكل عادي. وفي لبنان أيضا، تنحو الفئات الاجتماعية الوسطى والمتعلمة والمدينية غالبا إلى تقبل علاقة الحب البريئة، التي قد تجمع بين المراهقات والمراهقين.

وإذا كانت الصداقة بين الجنسين مثيرة للشبهات في بعض البلدان العربية، فإن معظم المراهقات والمراهقين في لبنان أيدوا الاختلاط والصداقة مع الجنس الآخر، لأنها "أكثر غنى" ولأن ذلك "يساعد على ضبط سلوك الشاب"، وعلى التعرف على خصوصيات الجنس الآخر. وأشارت المراهقات إلى أن هذا النوع من الصداقة يؤمن لهن نصائح مفيدة بعيدا عن الغيرة التي قد تظهرها البنات، فضلا عن أن الشاب لا يستغل ما قد يعرفه عن البنت بعكس الفتاة. ويصف فتحي (16س، تونس) الصداقة مع الفتيات بأنها أسهل من صداقة الفتيان. كما لا ينفي إمكانية تطورها إلى "شيء آخر". وتتقلص إمكانية قبول الاختلاط والصداقة بين الجنسين في الريف بشكل خاص وكذلك في الطبقات الشعبية والأحياء الفقيرة حيث تكون الرقابة أشد على الفتاة. ونورد هنا مثال ماجدة (17س، المغرب) وهي فتاة ريفية غير متعلمة وتعد العلاقة الغرامية خطرا لأنها تكون كما تقول "خارجة عن الطريق". وكذلك الشأن بالنسبة إلى أميرة (15س، لبنان) وهي من طبقة شعبية ريفية، إذ ترى الخطبة هي الأصل، ولا يمكن الحديث عن الحب من دون خطبة أو "كلام"[20] وخارج هذا الإطار "يمكن يكونوا عم يضحكوا على بعض".

في علاقات الصداقة والحب بين الجنسين ترى نجاة (18س، تونس) أن "الاختلاف يفيد ويغني" طالما أنه يسمح بالتعرف على الآخر وطريقة تفكيره". وفي علاقة الحب يجب حسب رأيها أن "ندرس جيدا العلاقة وأن نفحص الآخر ونعرف إذا ما كان يستحق أن نهتم به أم لا". لكنها ترى مع ذلك أن الفتيان يشكلون مصدرا للقلق ولا يساعدون حقا عند تعرض الفتاة لمشكلة ما. "فالفتى لا يستطيع أن يستمع إليك عندما تعانين من مشكلة ولا يمكنه أن يساعدك، لأن مشاكله أكبر وأصعب من مشاكلك".

وتفضل يمنى (17س، تونس) صداقة الفتيان لأنها تحقق لها الاستفادة وتسمح لها بفهم الرجال بشكل أفضل. أما بالنسبة إلى الحب فقد لاحظت من خلال تجربتها أن"بعض الفتيات يضعفن عندما يتركهن أصدقاؤهن ويتدمرن" من أجل الركض خلف فتى "أقل قيمة منهن"، "فالفتيات أكثر ضعفا وأكثر حساسية وسريعات البكاء". وتنصحهن في هذه الحالة بالتركيز على اهتمامات أخرى "ففي الحياة أشياء كثيرة مثيرة للاهتمام مثل الدرس والأسرة والمستقبل". مع ذلك تحدثت يمنى بتأثر واضح عن قصتها مع الشاب الذي كانت تحبه، وتسببت جدتها في الانفصال عنه، ومنعهما كبرياؤهما من استعادة علاقتهما. وتقول بأسى أنه كان أول من استطاعت "أن تحكي له كل شيء".

(20) عندما تتبادل الأسرتان الزيارات من أجل الارتباط مستقبلا.

تصادق ولد". وترى، كالكثيرات والكثيرين، أن "الغرام يكون بين الرجل وزوجته فقط". ويلاحظ في مقابلات اليمن خلط بين الصداقة وبين الحب، بينما عنت الصداقة علاقة الود نفسها التي قد تجمع الفتاة بالفتاة أو بالفتى في لبنان وتونس مثلا.

ومع هذا الموقف المتحفظ للمراهقات والمراهقين في اليمن، ساهمت الفضائيات بشكل كبير في خلخلة النظام المغلق، مما أدى إلى شيوع العلاقات بين الجنسين. ويبقى الموقف السائد هو المؤيد للعلاقات في حدود مؤسسة الزواج أو العلاقات الرسمية المرتبطة به. مع ذلك فإن عددا منهم لم ينكر خوضه تجارب عاطفية باء بعضها بالفشل.

ويظهر الموقف نفسه في لبنان، ولكن التعبير عنه يبدو مختلفا إذ يشير إلى موانع داخلية لدى المراهقة تتعلق بالنضج الداخلي وليس "بالمنع" الخارجي. وتفرق دعد (17س) بين الصداقة والحب "فالصداقة تختلف عن العلاقة الغرامية ومن الممكن عمل صداقات ولكن العلاقة الغرامية تحتاج إلى نضج أكبر بعدا أو خبرة أي أن لا تقام مباشرة". وتفضل أن تحصل العلاقة الجنسية بعد الزواج، بل إنها تؤجل حتى القبلة لحين الزواج. ولا خطأ حسب دعد في الصداقة بين الجنسين "لكن يجب أن يظل الشاب صديقا وأن لا يتحول بسرعة إلى "بوي فرند" الوقت يعطي الخبرة ولا يزال الوقت مبكرا لهذا الأمر".

ويفضل المراهقون في الخليج بشكل عام أن يظلوا في الحدود التي تنظمها القوانين والتقاليد الاجتماعية. ولو أن الوضع أكثر انفتاحا في البحرين. وتمتلك المراهقات والمراهقون في تونس ومصر ولبنان والمغرب إمكانية أكبر لخوض تجارب مع الجنس الآخر، ولو أن التحفظ يظل الموقف الأسلم والأنسب كموقف وسط.

لا يشكل التحفظ الموقف الوحيد من الحب، ففي لبنان كان لمعظم المراهقات والمراهقين المنتمين إلى الأسر المتعلمة والحضرية من الطبقة المتوسطة، تجاربهم التي تحدثوا عنها ببساطة، بعضها كانت مجرد تجارب غير ناضجة لم تتعد حدود التعبير عن الإعجاب، وبعضها الآخر تجارب حب جدية بدأت مع نسرين (17س) مثلا منذ سن الثالثة عشرة والنصف وما زالت قائمة حتى الآن وقد تنتهي بالزواج. وهناك من أظهر القدرة على إقامة علاقة حب ومواجهة الضغوطات من أجل الحفاظ عليها وذلك بالرغم من انتمائه لوسط محافظ وذي طابع عشائري (كما في منطقة البقاع في لبنان). ويصل رفض العائلة ارتباط ابنتهم بشاب لا يقبلونه لسبب أو لآخر إلى حد التعنيف والمنع من الذهاب إلى المدرسة حتى وإن كانت في فترة امتحانات كما حصل مع دانة (17س) التي لم يمنعها تصدي عائلتها لها من اجتياز امتحانات الدخول إلى الجامعة بنجاح مع الحفاظ على علاقتها بالشاب الذي تحبه وتنوي الزواج منه. تقول "أنا تحملت ولا أزال مستمرة معه. أهلي يشكون بالأمر ولكنهم لا يعرفون بالتأكيد. لا أستطيع أن أفهمهم الأمر إلا بهذه الطريقة. صحيح أني كذبت، ولكن لم يكن عندي خيار آخر. أنا مستعدة للقيام بأي شيء من أجله. أشعر أنه يحترمني بكل معنى الكلمة، وبطريقة غير طبيعية".

لكن غالبا ما يعيش المراهقون الحب بشكل أكثر إيجابية من المراهقات، إذ يعدونه علاقة ثقة ومصدر شعور بالأمن والسلام والراحة كما بالنسبة إلى فتحي (16س، تونس). وقد يشكل "محرّكا" يدفع بالمراهق لبناء "شيء" للمستقبل كما يؤكد عبد الرحمان (16س، تونس). بينما تعيش المراهقات علاقة الحب على أنها صراع أكثر مما هي حاملة للسلام. وتقول هيام (17س، تونس) في هذا الصدد "من قطعت علاقتي معه كان يريد الزواج، لكنه أراد أن يقولبني ويسيطر علي. الفتيان يبحثون عن السيطرة ويتصرفون مثل المستبدين".

في هذه العلاقة المتجاذبة بين الجنسين، تلاحظ بعض المراهقات "الظهور التدريجي للشخصية الحقيقية لمن نحب" حسب فريدة (17س، تونس). فالرجل لا يظهر على حقيقته في البداية، بل ينكشف مع الوقت ليبرز شخصا محبا للسيطرة على المرأة. فهو لا يريدها أن تنظر إلى أي رجل ويريدها أن تعدّه كائنا مقدسا. كما تشعر أحيانا أنه ينقلب إلى "غول" ويصبح عنيفا. مما رسخ اعتقادها أن في كل رجل درجة معينة من العنف. وما عبرت عنه فريدة بشكل نظري، ترويه سمية (14س، مصر) كتجربة شخصية مع صديقها الذي أقامت معه "علاقة طويلة دامت أحد عشر شهرا" تخللتها مشاكل كثيرة. ولكن المشكلة الأساسية كانت نابعة من أن "صاحبها" كان يشعر بمنافسة شخص آخر وأنها تعطيه اهتماما زائدا "وعلشان كان بيقعد عندي في البيت كتير وبنذاكر مع بعض وكان أقرب لأهلي، وكان يغار من الفكرة دي حس إن التاني واخد مكانه مع العيلة ومع كل حاجة تانية. بس على الرغم من كده كانت علاقتنا في أول خمس شهور حلوة أوي. تركنا بعض لأن أنا في الفترة دي تفتحت على الدنيا وبدأت أعرف حاجات كتيرة أوي... في الأول كان مصاحبني علشان أنا خجولة وبالتالي حأكون بتاعته لوحده. بعدين حصل إن الموضوع تغير إذ إني تصاحبت مع كل أصحابه فده ضايقه أوي. بعد كده كان بيحاول يغيظني بأنه يحكي لي عن بنات تانية ورغم إني كنت عارفه أنه بيغيظني كنت باتغاظ وبأغير. فاضطرينا نسيب بعض". أما وعود (15س، تونس) فتجد أن المراهقة رومنطيقية في الحب ولها مشاعر فياضة، وللمراهق أيضا هذه المشاعر والأحلام، لكن طبعه يسوء عندما يكبر، بينما تحتفظ الفتاة بقدرتها على الحلم والتمسك بالمشاعر.

## ب- الحـــــب : تجـارب سلبيـــة وإيجـــابية

ظهرت في البحرين اتجاهات سلبية لدى الجنسين تجاه الحب، وتحفظ في كل ما يتعلق بارتباطاتهم بالجنس الآخر. كما أن المغامرات الجنسية الطفولية التي يختبرها بعض المراهقين غالبا ما تترافق بالإحساس بالذنب. وهناك ميل لدى المراهقات إلى تأجيل الحب إلى ما بعد الدراسة. تبوح سامية (15س، البحرين) بتجربتها "كنت سأدخل علاقة وأنا في الصف السادس وكان هناك ولد يريد أن يقيم علاقة معي لكني رفضت لأني أستمع إلى نصائح مدرساتي في أن العلاقات الغرامية فيها مشاكل وتنتهي بلا هدف. فكرهت فكرة أن أقيم علاقة مع أحد".

وبرز في اليمن كذلك تحفّظ كبير في الحديث عن هذا الموضوع وفي التعاطي معه. ومع ذلك نلاحظ استعدادا أكبر لدى المراهقين للدخول في تجارب عاطفية مع المراهقات، حيث يمكن "للعلاقات الغرامية أن تؤدي بالبنت إلى التهلكة" حسب شذى. بينما تؤكد وعد (17س) "أنا بصراحة ما أتوقعش أنه في صداقة بين الولد والبنت خاصة أحنا عندنا في اليمن استحالة بنت

"الحب بين اثنين من أجمل الأشياء"، هذا ما قاله بول فاليري (18س، لبنان) دون أن يضيف شيئا. وقد يوفر الحب للمراهقة الحنان الذي قد تفتقده في محيطها كما تعتقد لين (17س، لبنان)، التي تؤكد أن ما تحتاج إليه في علاقاتها المتعددة هو "الحكي والحنان" تقول و"أتغنج عليه، مع إنه طبعي مش غنوجة بس عليه بتغنج وبتهضمن (أحاول أن يكون عندي حس الفكاهة والمرح) عندما أراه وهيك أخرج معه. ما بحكي أنا وإياه كثير على التلفون. كمان بحياته ما يؤذيني ولا يلمسني بيعرفني كيف بفكر. بحب فيه هذه الشغلة، عنده كثير سيئات أكرهها بعده طائش هو يحبني لأنني أوعيه". ويعني الحب أيضا الثقة التامة في من نحب وقدرة الطرف الآخر على الإصغاء. وهذا ما تعبر عنه يمنى (17س، تونس) "أن نقول كل شيء لمن نحب". وهو يعني تبادل المشاعر بالنسبة إلى راني (16س، لبنان).

وفي الحب بحث عن التوافق في التفكير والميول الثقافية، وهذا حال حنين (17س، تونس) التي تجد أنه من الصعب أن تحب فتى يدرس الفرع العلمي، إذ يصعب عليها أن تحب أحدا لا تتفق معه في حب الأدب وتضع وعود (15س، تونس) شروطا تعجيزية في مواصفات الفتى الذي قد تقع في حبه. فهي تحب في الرجل كلامه اللطيف ورقته أي "كل ما يجسد الرجل بكل معنى الكلمة". رغم استنتاجها من خلال تجربتها أن الرجل لا يمكن أن يخلو من العيوب. الحب إحساس مركب حسب تالة (17س، لبنان) فهو بالنسبة إليها مزيج من "عدة أشياء في نفس الوقت، الاحترام والتفهم والخوف على مصالح الآخر". وتبرز في هذه السن فكرة "الحب للحب" كفكرة مغرية، فتقول تالة "هناك فتيات لا يحببن بالفعل لكنهن يحببن التجربة نفسها". وهذا ما حصل مع ريا (19س، لبنان) التي دخلت في علاقة وفي تجربة جنسية بسيطة لأن صديقتها شجعتها. "أول مرة أكيد كنت استحي (تضحك) تشجعت لأنه رفيقتي هيك عملت". وللحب وظيفة نفسية عند المراهقين.

وتتمسك مروى (18س، الجزائر) بضرورة فرض ذاتها من خلال المخالطة التي تعني بالنسبة إليها "الخروج والمداعبة، لأن ذلك هام جدا من أجل التوازن". رغم اعتقادها أن الإسلام يحرم الاختلاط بين الجنسين ويفرض على المرأة الخضوع. والحب عند البعض الآخر من المراهقين إعداد للمستقبل، فدينا (15س، لبنان) تعيش علاقة، تعدّها جدية، مع شخص يكبرها بحوالي سنتين. ولكنها تستدرك "هذه هي المشكلة، أحس أنه يجب أن يكون أكبر. أفكر للمستقبل. إذا أردنا الزواج، يجب أن يكون أكبر. أعتقد أنه لن يقدر أن يكون قد أمّن مستقبله بسهولة، كما أنني لا أتخيل نفسي متزوجة قبل أو دون أن أعمل".

## 4. الزواج ومواصفات الشريك : موقف جديد

"الزواج نصف الدين". قيمة سائدة تحدد الدور التقليدي لمؤسسة الزواج القائم على هدف تكوين أسرة والإنجاب. وهذا ما يدعمه رأي فريدة (17س، تونس) التي ترى أن "الزواج لا يدوم من دون طفل، فبعد فترة من الحياة المشتركة، يصعب على المرأة أن تتأقلم في مثل هذه الوضعية".

ونلاحظ نوعين للحب لدى المراهقين "الحب للحب" و"الحب اللعوب". إذ لا تتوقف لين (17س، لبنان) التي تنتمي إلى أسرة تعاني من مشاكل جدية بين الوالدين، عن القيام بمغامرات حب. عاشت أول تجربة حب في سن الرابعة عشرة مع رفيق أختها وكان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة. لكن ذلك لا يعني أنها غير متحفظة، عند سؤالها عن القبلة قالت "حاول هنا الحلو. ماما حطت لي برأسي ما تخليه (لا تسمحي له بتقبيلك) بيصير يحكي عليك. ومعها حق فوصلت إلى هذه الشغلة وحاول يبوسني بس واوو، لأ ما في." لكنها لا تمانع في أن تقبل من تجده "حرزان" أي الشخص الذي يتمتع بمواصفات تجعله يستحق القبلة. وللين مبادئها في الحب، فهي تجد أنه من غير المعقول أن "تحكي" مع شخص غير متعلم "بدك تعرفي تحكي معه يفهمك من مستواك الفكري".

تمر المراهقات و المراهقون بتجارب بسيطة يصفونها بـ "تجارب الحب البريئة" وتتمثل في الانجذاب نحو فتى أو فتاة من نفس العمر. وعادة ما يتم ذلك في سن الثالثة عشرة تقريبا. وتخرج المراهقات والمراهقون غالبا بعد هذه التجارب المبكرة باستنتاج مفاده أن "الحب شيء آخر" كما تؤكد رفيف (17س، لبنان). ومن الملاحظ أن المراهق يتعامل مع الحب في سن مبكرة بجدية أكثر من مراهقة في العمر نفسه ويستحضره كأول وأجمل حب. والفتاة الوحيدة التي لا يزال محمود (18س، البحرين) يحلم برؤيتها إلى اليوم، هي تلك التي التقاها في طفولته في أحد المصائف وصارحها بحبه. ويرى بول فاليري (18س) ورفيق (18س) من لبنان أن الفتاة تولي أهمية للسن، فهي لا تحب ولا تقبل أن تحب من يصغرها، بينما هما لا يجدان مانعا في ذلك. ولراني (16س، لبنان) عدد من الصديقات يخشى أن يبوح بحبه لواحدة منهن، فيخسرها كحبيبة وكصديقة في حال لم تسر الأمور كما يتمنى. ويصف راني بالكذاب كل من يدعي أنه لم يمر بتجربة حب. ولندى (16س، فلسطينية تعيش في مخيم للاجئين)، رفيقات يعشن علاقات حب في المدرسة رغم أن المديرة تمارس رقابة مشددة على سلوك الفتيات. وهي بدورها معجبة بشاب يغازلها في السوق. لكن على الفتاة حسب رأيها "الاحتراس في هذه البيئة".

## ج- صداقة أم حب ؟

نلاحظ في بعض الحالات لبسا بين الصداقة والحب خاصة في بداية العلاقة. "فالصداقة بين الجنسين صعبة" مثلما تقول لين (17س، لبنان) التي تصرح أن الصداقة سرعان ما تتحول معها إلى حب. وتعتقد ريم (15س، لبنان) أن الصداقة هي أحيانا "حب نخفيه". ويعود الالتباس بين الصداقة والحب في حالة رفيق (18س) وبول فاليري (18س) من لبنان إلى أنهما يصادقان فتاتين تكبرانهما سنا خاصة أن الفتاة كما سبق وذكرا "لا تقبل أن تحب من يصغرها سنا". ويعتقد فتحي (16س، تونس) أن الصداقة بين الشاب والفتاة يمكن أن تتطور إلى حب. "تتحول فيما بعد عندما تتغير المشاريع". وفي حال تحول الصداقة إلى حب بكل ما يعنيه من حميمية، فإنه يصعب استرجاع علاقة الصداقة بسبب شعور الفتيات بالذنب. "فالحب يفسد الصداقة بالضرورة" حسب نائلة (18س، تونس).

رغم الارتفاع النسبي الذي شهده سن الزواج الأول في اليمن، حيث بلغ المعدل بالنسبة إلى الجنسين 24 سنة، فإن الواقع يشير إلى استمرار اتجاهات الزواج المبكر في الأسرة اليمنية[24]. وأشارت العديد من المستجوبات إلى أنهن يستعددن للزواج أو هنّ متزوجات.

ويبدو أن الزواج المبكر لا يزال منتشرا في بلدان الخليج إذ مع الإشارة إلى رصد ارتفاع في سن الزواج في البحرين[25] فإنه لم يتحسن إلا بنسبة بسيطة، إذ ارتفع من 21.9 سنة 1990 إلى 22.3 سنة 2000. وما يفسر استمرار ظاهرة الزواج المبكر، هو عدم تشجيع المجتمع الخليجي عامة على الاختلاط بين الجنسين.

وتجدر الإشارة إلى أن اتباع عادة تزويج الفتاة الكبرى أولا، ساهمت في تأخير سن زواج الفتاة في المجتمعات التقليدية. وينطبق هذا على حالة هند (17س، المغرب) وهي فتاة من أصل قروي، إذ تؤكد أن مسألة زواجها غير مطروحة طالما لم تتزوج أخواتها اللاتي يكبرنها سنا. كما تجدر الإشارة إلى الاتجاهات المختلفة لتطور ظاهرة زواج الأقارب، بما أنها مؤشر دالّ على درجة الابتعاد أو الاقتراب من نموذج الزواج التقليدي. ففي المجتمع التونسي، يسجل تراجع في هذه الظاهرة بسبب الميل المتزايد لدى المراهقين لمعارضة الزواج التقليدي المخطط له من طرف العائلة، فقد تراجع الزواج من ابن العم أو ابن الخال من 18.2٪ سنة 1970 إلى 13.5٪ سنة 1998 حسب سجلات الحالة المدنية ويتركز بشكل خاص في الأوساط الريفية. أما في لبنان، فقد بلغت نسبة الأزواج الذين تربطهم صلة قرابة 15٪ سنة 2000، وبلغت 8٪ في العاصمة بيروت وتصل إلى حدود 29٪ في الأوساط الريفية الأشد فقرا[26]. وهذه الظاهرة التي شهدت تراجعا في بداية السبعينيات، عادت إلى البروز مجددا خلال سنوات الحرب (1975و1990)، حيث تقلصت مساحات الاختلاط وتمت العودة إلى الأطر العائلية والجهوية الضيقة.

## ب- الحصول على موافقة الأهل

يبين المسح التونسي لصحة الأسرة، التغيّر الذي طرأ على أنماط وطرق الزواج، إذ شهدت دائرة التعارف عن طريق الجيرة والقرابة تراجعا من عقد إلى آخر "وهو ما يعني تراجع دور الأسرة في اختيار قرين البنت (بلغ سنة 1971، 89٪ وأصبح في العقد الأخير 72٪)".[27]

أدلى الكثير من المراهقات والمراهقين بآرائهم في مسألة الزواج رغم أنها غير مطروحة بالنسبة إليهم حاليا. ويرون أن الزواج مسألة شخصية لا يعود القرار فيها إلى الأسرة. فمروى (18س، الجزائر) مثلا تولي أهمية لرأي والديها، لكنها تعتبر أن القرار قرارها وتوجز أن "اختيار الزوج مسألة شخصية". وهي على استعداد للقطيعة مع والديها لهذا السبب "لأنهما لو يكنان لي احتراما، فيجب عليهما احترام قراراتي بكل بساطة". وعبّر البعض بوضوح أن الخيار يعود لهم وحدهم على غرار حسن (18س، المغرب) "الشخص يأخذ المرأة التي اقتنع بها، فهو من سوف يعيش معها وليس الوالدان". ويرفض جهاد (18س، تونس) أن يتدخل أهله في اختيار شريكة حياته لأن الأمر يعنيه هو في المقام الأول. كما لا يعير فخري (18س، اليمن) أية أهمية لرأي أهله في مسألة اختياره لزوجة المستقبل. ويؤيده مواطنه وسيم (17س) "لا أرى أن اختيار الزوجة من قبل الأهل. زمان كان لهم دور. تغيرت هذه العادات اليوم، وأصبح للواحد الحرية في اختيار الزوجة لأن تدخل الأهل قد يخرب الزواج أو يكون تدخلهم بغرض المال أو القرابة".

**(24)** ففي نتائج المسح الديمغرافي اليمني الدورة الأولى (1992/91م)، بلغ وسيط العمر عند الزواج الأول للفتاة 16 سنة، الأمر الذي يعني أن نصف النساء في الفئة العمرية 20-49 سنة يتزوجن في عمر 16 سنة على الأقل..

**(25)** بحسب دراسة الفريق الوطني البحريني.

**(26)** وضع الأطفال في لبنان 2000 ؛ إدارة الإحصاء المركزي، منظمة الأمم المتحدة للطفولة، بيروت 2003.

**(27)** المسح التونسي لصحة الأسرة، مرجع مذكور

ومن الملاحظ بروز موقف مخالف في لبنان ومصر وتونس، لا سيما لدى الأوساط الراقية، حيث لم يعد الزواج ضرورة حتمية دون أن يخضع للتساؤل. كما أنه فقد جاذبيته. ولم تعد العزوبية تعني شذوذا وخروجا عن تقاليد المجتمع[21]. وبرزت أيضا نظرة نقدية للزواج خاصة بعد تفاقم الصعوبات والمشاكل الأسرية الناتجة عن التطور الذي شهدته الأسرة والتغيير الذي طرأ على وظائفها وعلى متطلبات أفرادها. ترى ماجدة (17س، المغرب) أن "أغلبية المتزوجين يشكون من الفقر، فالزواج هربا من الفقر يوقع فيه، وكذلك أسمع بالمشاكل، من يضرب زوجته أو الإنجاب ومشاكله والطلاق"، وهذا ما لا يشجعها على الزواج. أما ريا (19س، لبنان) فإنها لا تفكر كثيرا في الزواج ويرجع ذلك إلى المشاكل التي تنشب بين والديها، مما جعلها تشعر أن "ليس لديها أسرة". فهي تكره فكرة استمرار اثنين مع بعضهما "فقط لأن الأمر أصبح عادة". لكن ذلك لن يمنعها من أن تخوض تجربة الزواج. أما أشرف (18س، لبنان)، فقد عبر عن رفضه لمبدأ الزواج، ويرى في المساكنة حلا. وتضع دعد (17س، لبنان) شروطا لزواجها، فالشريك المثالي بالنسبة إليها "يجب أن يكون مثقفا وأن يفهم متطلباتي، فالمرأة يجب أن تحصل دائما على استقلالية معينة". كما ترفض العقلية القديمة، المؤيدة لبقاء المرأة في البيت. وهي على استعداد للتضحية بشريك المستقبل في حال طلب منها ترك العمل بعد الزواج.

لا شك أن النظرة إلى الزواج تشهد تغيرا مستمرا في المنطقة العربية. فإذا اعتمدنا الوضع في لبنان كمثال، نجد أن المراهقات لم يعدن "يربطن" ولو على المستوى الظاهري، مصيرهن الوجودي بمسألة الزواج[22]. هناك من يناقش هذه المسألة ويعتقد أن موقف الفتيات لا يزال على حاله وأن ما "يظهرنه" لا يعكس حقيقة موقفهن من الزواج وأولويته واعتبار تأخره كمؤشر لدخولهن مرحلة "العنوسة" ذات الدلالة السلبية. ومع افتراض صحة هذا الرأي، فإن في "المكابرة" في حد ذاتها، ورفض الفتاة أن تعلن ربط وجودها بمسألة الزواج، موقفا معبّرا. وهو اتجاه يبرز أكثر فأكثر ويعبّر عن بدايات تغيّر في القيم وفي الذهنيات. فأن تقبل الفتاة فكرة وجودها كفرد مستقل بمعزل عن كونها "عازبة" أو متزوجة، يعدّ تغيرا كبيرا في حد ذاته. وهذا ما بدأت تناقشه الفتاة العربية العصرية المنتمية إلى وسط حضري مثقف و ميسور.

وبشكل عام، أمكن رصد ثلاثة أنواع من الخطاب فيما يتعلق بالزواج. الأول، يعطي الأولوية لعلاقة الحب بين الشخصين كشرط للزواج. والثاني، يغلب "العقلانية" باعتبار الزواج مشروعا علائقيا مشتركا يتوقف نجاحه على حسن اختيار الشريك. أما الثالث فهو خطاب يهمش الأبعاد الشخصية في الاختيار لصالح المنطق الجماعي التقليدي. وتصبح علاقات التبادل الاجتماعي والقرابة والشعور بالأمن المستقبلي من خلال الجماعة والمصاهرة المختارة بعناية هو الأساس.

## أ- ظاهرة تأخر سن الزواج

برزت حسب الإحصاءات في الكثير من البلدان العربية ظاهرة تأخر سن الزواج. ففي المغرب بلغ معدل سن الزواج الأول سنة 1960، 18 سنة، في حين أصبح الآن في حدود 27 عاما. وبلغ في تونس 29.2 سنة بالنسبة إلى الفتيات و 32.5 سنة بالنسبة إلى الفتيان. وارتفع متوسط سن الزواج من 23.3 سنة بالنسبة إلى النساء و28.5 سنة بالنسبة إلى الرجال عام 1970، إلى 27.5 بالنسبة إلى النساء و30.9 بالنسبة إلى الرجال عام 1996. أما في لبنان فقد بلغ 28 سنة بالنسبة إلى الفتيات و31 سنة بالنسبة إلى الفتيان[23].

**(21)** في أوج حركة التحرر والعلمانية في لبنان كان يصعب على الشاب العازب استئجار شقة في وسط سكني للعائلات "المحترمة". وحتى الآن هناك أماكن معينة يمكن للعزاب فيها السكن بسهولة دون إثارة شبهة المحيط. ويعتبر الأمر أكثر تعقيدا بالنسبة إلى العازبات.

**(22)** منى فياض، "الفتاة العازبة" في الكتاب الصادر عن مؤتمر "الأسرة بين الواقع والمرتجى". 4و1997/11/5، مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات. بيروت، لبنان.

**(23)** إحصاءات وردت في تقارير ومسوحات وطنية مختلفة أوردتها الفرق الوطنية في البلدان المعنية.

يختارون له الزوجة الصالحة"، وتعتبر رندا (16س) أن "أهلها أدرى بمصلحتها". ولكنهم مع ذلك غالبا ما يرفضون الإجبار وفرض زوج أو زوجة دون اعتبار للطرف المعني أو لمجرد تحقيق مصالح عائلية. ويرجع ذلك إلى أن مساحات الاختلاط في المجتمع اليمني محدودة، خاصة أن هناك فصلا بين مجتمع النساء ومجتمع الرجال في الجلسات والحفلات والمناسبات التي تتيح إمكانيات أكبر للتعارف والرؤية. لذا عوّل معظم المراهقين المستجوبين من الذكور على مساعدة الأم. كما لوحظ وجود رفض للارتباط والزواج المبكر، حتى ضمن المتزوجات من المستجوبات واللاتي يجدن في الزواج المبكر ظلما مورس عليهن. فنرجس (18س) التي تزوجت صغيرة تقول " تزوجت كده على طول ... أنا كان عمري صغير... وهو كان صغير السن 16 سنة يعنى أحنا اتظلمنا". وتضيف "أهلي لم يعطوني حرية الاختيار، وكنت أمام الأمر الواقع... ولكن زوجي متفهم جدا ومتسامح يتحمل مثلي، ونحن صابرون". أما عن خبرتها قبل الزواج بالعلاقة بين المرأة والرجل فتقول "لما تزوجت لم يكلمني أهلي، عندما لا يتكلمون فإن كل واحدة تعلّم نفسها". لكن ألا تتطلب حرية الاختيار حرية التعامل مع الجنس الآخر وتقبل فكرة الاختلاط ؟ ربما نجد فيما قالته دعد (15س) إجابة "إن العلاقات الغرامية بين الولد والبنت ممكنة وطبيعية إلا أنها لا تحدث في المجتمع اليمني".

ولا يختلف الأمر كثيرا بالنسبة إلى المراهقين في البحرين، إذ يميل معظمهم إلى تغليب رأي الأهل. لكن ذلك لا يمنع وجود مواقف مخالفة، فالبعض يجاهر برفضه لتدخل الأهل مثل فوزي (18 س) "لا أرى أن لأهلي دورا في اختيارها، ولا أقبل أن أتزوج من مذهب مغاير لمذهبي". أما موقف محمد (16س) فتميز بالمرونة "أنا أختار وبعد ذلك أستشير أهلي، سوف أرى وجهة نظرهم وسبب الاختلاف وسوف أرى رأيهم". ويؤكد جاسم (18س) أن حرية الاختيار ستكون راجعة له، لكنه سيكون مقيدا برأي والديه بحكم محبته لهما ورغبته في إرضائهما، وفي حالة معارضتهما سيحاول إقناعهما. وسيرضخ وليد (18س) لسلطة الأهل في حالة معارضتهم لاختياره، رغم أنه يؤكد على أهمية الحب والتفاهم لاختيار زوجة المستقبل.

ولكن غالبية المراهقات كن أميل إلى قبول خيار الأهل ونادرات هن من تشبثن بحرية خياراتهن الشخصية. تقول نورة (15س) "أنا سأختار وإذا كان رأيهم ضدي يجب أن أسمع كلامهم لأن هذا لمصلحتي حتى لو كنت غير مقتنعة به يجب أن أسمع الكلام". أما سامية (15س) فترى أن "أهلها لهم رأي وقد يعتمد، إذ قد يكون الأب صح وقد يكون غلط". وكأن الأمر مجرد حظ وليس خيارا واعيا من قبلها.

بشكل عام، ظهر نوع من الانشطار في الموقف من استقلالية الفتاة واتخاذها لقراراتها بنفسها، إذ أن من تحظى بإمكانية مواصلة تعليمها العالي، غالبا ما يسمح لها بخيارات فردية. وتخضع الأخريات إلى النظام الأبوي التقليدي. كما برزت من خلال المقابلات الإشارة إلى أزمة زواج، إذ تؤكد ماجدة (17س، المغرب) أن الأهل "سوف يعطون ابنتهم لأول قادم بسبب ندرة الزواج". وربما يعبّر تأخر سن الزواج عن وجود هذه الأزمة التي تسببها أيضا ظروف المعيشة الصعبة وانتشار البطالة وانخفاض الإنتاجية عامة، مع شيوع النمط الاستهلاكي. كما تمت الإشارة إلى "نوع من الاستقالة" في صفوف الأهل عن اضطلاعهم بدورهم في الاختيار هروبا من المسؤولية.

و تدل هذه المواقف على بروز الفرد ككائن مستقل له آراء خاصة في تحديد خياراته المصيرية. ولم يعد الزواج شأنا عاما واجتماعيا تقرره مصالح الأسرتين المعنيتين كما كان في المجتمعات التقليدية بقدر ما أصبح يبنى على أسس الحب والتفاهم بين الطرفين[28].

بشكل عام، نلاحظ في الأوساط الراقية المثقفة ميلا إلى الاختيار دون الاحتكام إلى رأي الأهل وبمعارضة تامة لتدخلهم في الأوساط فأشرف (18س، لبنان) يعتقد أن أهله "لن يتعاطوا بهذه المسألة"، كذلك الأمر بالنسبة إلى رفيف (17س، لبنان) التي تقول بحزم "لا دخل للأهل بذلك"، مع أنها متأكدة من موافقتهم على قرارها. أما هند (17س، المغرب) فترى أن اختيار الشريك يرتكز أكثر فأكثر على التوافق بين الأفراد وليس على مصلحة الجماعة. ويضمن هذا التوافق توفر حظوظ أكبر لنجاح الزواج.

ترى فئة أخرى من المراهقين ضرورة مراعاة الأهل واستشارتهم، وخاصة الأم، في اختيار الشريك. "شرط أن لا يفرضوا رأيهم". وفي حال تمسك المراهقين بشرط موافقة الأهل فإن ذلك لا يكون من باب تقبلهم لأمر مفروض عليهم بقدر ما هو عرفان بالروابط العاطفية التي تجمعهم بأهاليهم. لذلك نلاحظ شعورا بالمعاناة والحيرة الوجدانية لدى المراهقة التي تميل في الوقت نفسه إلى الاستقلالية بالرأي في اختيار الزوج وإرضاء أهلها. ولا يتوقف الأمر عند الناحية العاطفية فحسب، بل إنه يرتبط أيضا بالموقف الضعيف الذي ستضع الزوجة نفسها فيه مستقبلا في حال تفردت برأيها في اختيار شريكها، إذ أنها ستفقد دعم أسرتها وحمايتها لها، باعتبار أنها ستحملها المسؤولية في حال الفشل، "أنت التي اخترته، تحملي مسؤوليتك". وتفضل المراهقة أحيانا عدم مواجهة هذا المصير والبقاء في حماية الجماعة. ونجد موقفا آخر ضمن الفئة نفسها يؤمن بأهمية الإبقاء على الروابط العاطفية مع الأهل مع المطالبة في الوقت نفسه باحترام رأي الفرد في اختياره. وهو ما يعبر عن نضج ووعي لتحمل مسؤولية الخيار الشخصي مهما كانت النتائج. وفي حال تعنّت الأهل، فإن ذلك يدل على أنهم هم الذين لم يتوصلوا بعد إلى تقبل استقلالية أبنائهم ونضجهم.

وقد عبّر المستجوبون عامة في جميع البلدان التي شملتها الدراسة، عن هذا الميل إلى التغيير عند الجيل الجديد. ففي أكثر من حالة في مصر ولبنان والمغرب، برزت ظاهرة رفض المراهقة للزواج، أو ربطه بشروط تراعي المشاركة المتكافئة بين الزوجين. وتعطي العديد من المراهقات الأولوية إلى طلب العلم والعمل قبل الزواج أو أنهن يضعنه في نفس المرتبة، رغم اعتبار العمل وسيلة لتحسين شروط الزواج بالنسبة إلى البعض منهن. وهذا ما ينطبق على نجاح (16س، تونس) التي لا تريد أن تتزوج قبل أن تحسن مستواها كي لا يأتي يوم يعيرها فيه زوجها ويشعرها أنه أفضل منها.

يختلف الأمر نوعا ما في اليمن[29]، فمعظم المراهقين يقدرون رأي الأهل والمساعدة في الاختيار مع ميل أوضح للاستئناس برأي الأم والأب وكبار الأسرة والأخذ به "لما يتمتع به هؤلاء من خبرات وتجارب وحرص على الأبناء"، كما عبّر الكثيرون. ففارس (15س) يرى أن "رأي الأسرة ضروري"، وحسام (18س) يقول "طبعا فيه حاجات أنا مش شايفها، مثلا هم شايفين حاجات بحكم التجربة أكيد عارفين أكثر مني"، ويرى فاروق (16س) أن "رأي الأهل مهم لأنهم سوف

**(28)** انظر أيضا:
- Ariès, (Ph) : L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime. Seuil. Paris 1973.
- Shorter, (E) : Naissance de la famille moderne. Seuil. Paris 1977.

- انظر أيضا منى فياض: الطفل المتخلف عقليا في المحيط الأسري والثقافي، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، 1983.

**(29)** تم استطلاع رأي المراهقات والمراهقين في مسائل الزواج وطرقه، وقد أشارت معظم المراهقات في العينة إلى أن الاختيار للزواج (للفتاة بالتحديد) لا يزال يتم بالطريقة التقليدية وعبر الأهل مع أخذ رأي البنت، بينما ذكرت عينة صنعاء (وهي عينة حضرية) أن مجالات العمل والدراسة والزيارات توفر متسعا للاختيار بين الفتيان والفتيات. ومع ذلك فقد أكد معظم أفراد العينة من المراهقات على أهمية رأي الفتاة والتعارف عن طريق الأسرة، ويرفضن فكرة الزواج في سن مبكرة، سن المراهقة، وذلك بحسب ما جاء في دراسة أجريت في جامعة الملكة أروى للعلوم الأكاديمية: دراسة اجتماعية-ميدانية حول فهم عناصر الثقافات الفرعية المؤثرة في السلوك السكاني في الجمهورية اليمنية. صنعاء 1999م.

أكثر بؤسا من مراهقتي لأن العروض الكثيرة والمعروضات من مختلف أنحاء العالم تزيد من بؤسهم. المراهق يتأثر وعالمنا كان فقيرا وأقل استفزازية. كنا نعيش في عالم من غير بنت، فهي لم تكن موجودة في أي مكان في العالم. الآن هناك الخارج الخادع الذي يوحي بعلاقات كثيرة، وهذا غير صحيح، مما يولد الإحساس بالحرمان والنقمة . لكني أحس أنه جيل ضعيف. في أيامنا كان لدينا المجال كي نعبّر، كانت هناك خيارات متعددة عندما لا يعجبنا العالم الذي نعيش فيه. كما كانت إمكانية تغيير العالم موجودة ويمكن أن يقوم أحدنا بها. عند قيام الحرب سنة 1975 أحسست أنني سوف أغير العالم. أحس أن هذا الجيل متمرد لكنه يائس. جيلنا كان متمردا من دون يأس وأحلامه قريبة ويمكنه أن يحققها، يمكنه أن يقوم بالثورة : أميركا اندحرت وبلدان عدة تحررت في آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية وفيتنام والكونغو والجزائر وكوبا. وكنا نفكر : لم لا، لم ليس هنا أيضا ؟

**شاعر من جنوب لبنان**

إطار 3.2

## شهادة عن مراهقة

لم نكن نبقى في البيت، كنا نخرج حتى الثانية فجرا وأهلنا لا يسألون عنا. كانت لنا قواعدنا وحياتنا التي نعيشها في البرية بمعزل عن الأهل. كانت لدينا مدينة، أقامتها العصابة التي شكلناها، لها زعيمها وأنظمتها بما فيها قانون للسير ومكان محدد أو بيت لكل واحد (البيت مبني من كتل التلاع الترابية التي تتشكل بعد أن يفلح التراكتور الحقل). ويحدد قانون السير الوصول إلى المدينة عبر طرق محددة ومن يخطئ في ذلك يؤنب أو يضرب أو يعاقب بالسجن وهو عبارة عن حفرة عميقة في الأرض. وكانت أسرة السجين تدخل اللعبة وتحضر له الطعام.

عندما وصلت إلى الصف الرابع متوسط، لم يكن هناك من عنف ممكن لم أمارسه، عنف الطبيعة والبشر وعنف في الحب. وحين التحقت بدار المعلمين في بيروت، وكنت في الخامسة عشرة، أصبحت علاقتنا بالبنات رومنطيقية جدا، بينما اتسمت تصرفاتنا في زمن العصابة بفظاظة كبيرة. كنا نريد أن نلمس البنت، ببراءة طبعا، مع أننا لم نكن نملك أحاسيس بعد. كنا ننزل إلى البركة في قريتنا، كي نسبح ونتلامس مع البنات، ننزل تحت الماء والبنات في لباسهن ونلعب معهن. لا أتصور أن هذا يحصل الآن، المجتمع أكثر انغلاقا وغير منفتح. لم يعد هناك وجود لحياة برية أو ريفية تمتد إلى الحقل. فالعلاقات في البرية مفتوحة و"نلتقط" البنات بسهولة. كما كنا نقوم "بالبصبصة" على المتزوجين الجدد، "نعربش" على الأشجار كي نرى عري الناس. كل هذا انتهى الآن.

في بيروت صرنا رومنسيين. المدينة مجتمع مخيف وغريب. نزلت في بيت كانت تسكن قبالته فتاة جميلة تذهب إلى المدرسة وكان خالها يراقبها. وكان أهلها يلاحظون تماما أن هناك طالبا من دار المعلمين يسكن قبالتهم وأن ابنتهم تقف على الشباك. كنت أجلس في البيت وأمامي إطار الشباك وهي تقف فيه. سنتان من البؤس.

يوجد الآن حرمان أكيد. أفترض أن الحرية الجنسية في مجتمع محافظ كانت أكبر مما هو موجود الآن. الريف يتيح حرية أكبر من المدينة. الشباب الذين يتاح لهم حرية في بيروت يشكلون نسبة ضئيلة. فإذا أراد أحدهم إقامة علاقة مع فتاة في المدينة فهو يحتاج إلى بيت، فمن لديه شقة من الشبان؟ في الريف لا وجود لهذه المشكلة. يمكن أن يتم اللقاء في حديقة معشوشبة أو في ظل شجرة.

المراهقة أحلام وخيالات وخوف. في مراهقتي غرقت في الخيال وفي الرومنطيقية وصرت أتخيل الحب. في بيروت اختفت البنت فلا ظروف للقائها. بالكاد كنت أتلمسها في السينما، مداعبات بسيطة. هناك السيارة للبعض، لكن السيارة شيء مرعب وأبشع ذكرياتي تتعلق بالسيارة. وكتعويض، غرقت في قراءات كانت على الموضة : اللامنتمي (كولن ويلسون) وسارتر... الآن يختلف الأمر وأجد المراهقين محافظين جدا وتعساء. إن مراهقتهم

وهناك من المراهقات والمراهقين من يعيش مرحلة المراهقة بكل ما يرافقها من انتظارات غير واقعية، فيكون شعوره بالحب رومانسيا وبسيطا في الظاهر، إلا أنه يبقى حبا طوباويا، وهذا حال أحمد (18س، المغرب) الذي يريد " قصة حب لا تنتهي". لكن هناك من يولي أهمية للأخلاق و"المظهر غير مهم". وتفضل مواطنته ماجدة (17س) أن يكون شريك المستقبل "معقول، ما يشرب، ما يسكر، ما يديهاش في البنات". وتتسم مواقف بعض المراهقات دائما في المغرب بالواقعية، فتتمنى عايشة (17س، المغرب) زوجا لا يعنفها.

وهناك من المراهقات من تؤكد فقدان الثقة في من يملك المال، تقول هند (17س، المغرب) "ربما نجد من لديه المال ولا يتكل عليه. بالنسبة إليّ أتمنى أن يكون إنسانا بسيطا طيبا". والمتأمل في هذه التعابير تجدها وكأنها صادرة عن أشخاص بلغوا سن الرشد وخبروا الحياة واختصروها بحكمة موجزة.

ويتكرر مطلب الوفاق لدى المراهقات رغم عدم توصلهن إلى تعريف مقوماته. تقول مروى (18س، الجزائر) "إذا كنت اخترته فلأنه يطابق الشخص الذي أريده وأحبه". وتتبنى دينا (15س، لبنان) تقريبا الموقف نفسه، فهي تنشد التفاهم والاحترام، وهو ما يعبّر عن ثقة أكبر في النفس وفي الحياة.

يمكن أن نفسر تركيز المراهقات المنتميات إلى الأوساط المتواضعة على الاستقرار المادي والعاطفي، بعدم توفرهما في محيطهن، وتتفق فدوى (16س) وفتحية (16س) من تونس وأميرة (15س) وندى وهبة (16س) من لبنان على المطالب نفسها تقريبا "أن يكسب الزوج رزقه جيدا، أو أن يكون له عمل ثابت، أن يكون طيبا وأن يحترمها ويعاملها معاملة جيدة وتكون أسرته مليحة معها...". وينطبق ذلك على المراهقين من البيئة نفسها.

في البحرين تشترط المراهقة الوسامة والثراء في مواصفات الشريك. في حين يركز المراهق على الجمال والأنوثة. من ناحية أخرى برزت أهمية المعطى الديني في تحديد هذه المواصفات كأن يصر المراهق على أهمية تحجب زوجة المستقبل، والمراهقة على أن يكون من ستختاره متدينا وعلى خلق. وفي المقابل أكدت المراهقات البحرينيات المنتميات إلى أوساط متحررة على ضرورة أن لا يجبرن على ارتداء الحجاب. فسامية (15س) ترفض أن يكون شريك حياتها "متسلطا، بل متفهما، لا يتدخل في لبسي ولا يجبرني على ارتداء الحجاب، لا يمنعني من العمل أو مواصلة الدراسة". كما يشترط فوزي أن "تمتلك نسبة معقولة من الجمال ومثقفة وعالمة، لا يهمني أن تكون متحجبة".

واتسمت المواصفات عند المراهقات المصريات بالواقعية، بل إن بعضهن نفى إمكانية وجود الزوج المثالي. وكانت المواصفات التي يحددنها لزوج المستقبل أقرب إلى أمور ممكنة التحقيق منها إلى المتطلبات مثل المسؤولية والتفهم والحنان والصدق والإخلاص والتقارب في الفكر وفي الاهتمامات. وعموما كانت الميزات كلها "ممكنة" بعيدا عن الرومانسية الخيالية.

## ج- مواصفات الشريك

تنوعت المواصفات التي يختارها أو يفضلها المراهقون والمراهقات في شريك المستقبل. ويمكن تصنيفها إلى صفات فكرية كالتوافق الفكري والتحرر والليبرالية، صفات أخلاقية كالتدين والتهذيب والاحترام، صفات نفسية كالحب والتفاهم والحنان وقوة الشخصية، وأخرى مادية، كاشتراط العمل والاستقرار المادي وصفات عامة مثلا كأن يكون الشريك " منيح" أو صفات متعلقة بمواصفات جسدية كالجمال واللون والشكل.

تنبع هذه الصفات من الخلفية الاجتماعية والثقافية للمراهقين والمراهقات. كما ترتبط بانتظاراتهم من أنفسهم ومن الحياة وبمدى نضجهم. ففي اليمن تكررت صفات أخلاقية ونفسية كثيرة على لسان المراهقين مثل مؤدب(ة) ومتدين(ة) ومتعلم(ة) ومحترم(ة) وودود(ة) ومحب(ة). إضافة إلى هذه الصفات، يصر المراهقون على ضرورة أن تكون الفتاة جملية. أما المراهقات، فلم يركزن على النواحي المادية كالثراء، بل ركزن على التعليم والثقافة واحترام الحياة الزوجية والنضج بالنسبة إلى البعض منهن.

أما في تونس فقد تمحورت الصفات حول شخصية الزوج ونمط العلاقة. فنجاة (18س) تريد إخضاع الطرف الآخر لامتحان قبل الارتباط للتأكد من أنه يستحق هذا الحب، وتفضل وعود (15س) في الرجل كلامه المعسول ولطفه. أما فريدة (17س)، فإنها تريد أن تؤخذ به، وكأنها غير قادرة على وضع صفات محددة أو أن هذه غير موجودة عمليا، وذهبت هيام (17س) إلى حد إنهاء علاقتها بشخص كان ينوي الزواج منها لأنه بنى اختياره لها فقط على أساس انتمائها إلى أسرة طيبة، مما يمكنه من "قولبتها".

كما تواترت مواصفات مثل "مهذب" و"من عائلة طيبة" و"ذكي" و"له نفس الطباع". ويتطلب بعضهن في الشريك الشخصية والسلطة على غرار فريدة (17س، تونس) وتالة (17س، لبنان). أما سيرين (17س، الجزائر)، فأجابت أن يكون normal "عاديا". وترى هيام (17س، تونس) في شريك المستقبل شخصا "يتقاسم معها صعوبات الحياة ويساعدها".

ومن الواضح أن الفتاة العربية تتجه نحو المطالبة بمشاركة الزوج على جميع المستويات، ويصل الأمر بالبعض منهن إلى سرد كل الصفات الممكنة التي يحبذنها في زوج المستقبل، فدعد (17س، لبنان) مثلا تضع مواصفات تقترب من برنامج عمل يتطلب تحقيقه وقتا وجهدا، فالشريك المثالي بالنسبة إليها يجب أن يكون مثقفا وأن يفهم متطلباتها وأن تضمن معه المحافظة على استقلاليتها. وهي ترفض كل ما يرتبط بالعقلية التقليدية، مثل بقاء المرأة في البيت. كما تريده صاحب مبادئ ومنفتحا ومثقفا. أما عن شكله فتريده "أسمر وذا عينين لهما لون أزرق نادر وطويل، أطول مني بالطبع، وأن لا يأكل كثيرا ويمارس الرياضة ولا يدخن". وأن يكون "مربى" أي مؤدب.

أما المراهقات فقد تضمنت إجاباتهن، بشكل غير مباشر، بعدا نقديا لأسلوب تربية الأهل. إذ أكدن مبدأ الصراحة في العلاقة مع أبنائهن واستعملن تعبير "عدم الخوف"، فإلهام (17س) سوف "تسمع لهم، وتجعل منهم أصدقاء لها، ولن تعطيهم أوامر، وستفعل المستطاع لكي يعيشوا في جوّ مريح" ونرمين (18س) سوف تعلمهم كيف "يسمعوا لبعض، أو يعطي أحدهم للآخر فرصة التعبير عن نفسه، وحينها حتى لو لم يتمكن الولد من أن يفعل ما يريد، فيكون على الأقل قد عبّر عمّا يريد". فهل يتحدث المراهقون عن أولادهم أم عن أنفسهم من خلال العلاقة التي تجمعهم ؟

## استنتاجات عامة

تجلى الترابط الوثيق بين البلوغ والمراهقة من خلال شهادات المراهقين والمراهقات أنفسهم، وخلال تأكيد المقاربات المختلفة لظاهرة المراهقة وتعريفها لهذا الارتباط. وإذا كان هناك اختلاف، فهو لا يطال وجود الرابط نفسه، بل تفسيره والحيز الذي يحتله في منظومة التحليل والتفسير، والنظرة إلى تفاعله وترابطه بعوامل أخرى اجتماعية أو ثقافية... وينظر هذا التقرير إلى البلوغ باعتباره لحظة تحول في حياة الانسان، تتزامن مع بداية مرحلة المراهقة، بما يجعله (أي البلوغ) بمثابة إطلاق لسيرورة الخروج من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد الجسدي والاجتماعي، وإعلان عنها.

وفي شهادات المراهقات والمراهقين، نكتشف بعض الاختلاف في نظرتهم إلى عملية البلوغ وإلى مسائل الجنس عموما. فبينما أدى الحديث عن البلوغ عند المراهقين إلى التطرق إلى الجنس بشكل بديهي، كان الأمر مختلفا عند المراهقات، فيما عدا حالات قليلة. و يمكن الإشارة بشكل عام إلى أن الحديث عند الاثنين اتسم عامة بالاقتضاب في الإجابة، مما يظهر الشعور بالحرج الذي يعتريهم عند تناول هذه الموضوعات، ويشير إلى مزيج من الصعوبة وعدم الدراية بالمسائل الجنسية والصحة الانجابية. وبدا أحيانا من خلال المقابلات، أن المراهقين يتحدثون عن الجنس مع أقرانهم الذكور ويتبادلون المعارف والتجارب، بشكل جدّي أحيانا وبشكل فكاهي لا يتعدى النكتة الجنسية والمزاح أحيانا أخرى. أما بالنسبة إلى المراهقات فيبدون أكثر تحفظا وجدية. كما تبين ضيق المساحة المخصصة للتحدث في القضايا الجنسية والصحة الإنجابية داخل الأسرة لجهة استعداد الأهل للقيام بدورهم كناقل للمعارف وفي تهيئة الأبناء لولوج مرحلة جديدة من حياتهم. وينطبق هذا بشكل خاص على الآباء، في حين بدت الأمهات أكثر قدرة للاضطلاع بهذا الدور مع البنات خصوصا لإطلاعهن، في سن معينة، على بدء الطمث وكيفية التعاطي معه.

ويثير انعدام الحوار داخل الأسرة في المسائل الجنسية، إشكاليتين أساسيتين. ترتبط الأولى بافتقار المراهق والمراهقة إلى مصادر موثوق بها لتكوين ثقافتهم الجنسية. وهو ما يطرح بدوره سؤالا، لم توفر هذه الدراسة جوابا مباشرا عليه، ويتعلق بمدى تمتع الأهل بالمعارف الكافية والثقافة الجنسية التي تؤهلهم للإجابة عن أسئلة أبنائهم التي تتجاوز الشرح السطحي للانتصاب والقذف والاباضة والطمث والحمل. والمرجح من خلال ما أشارت إليه بعض الشهادات عن ردود فعل الأساتذة، أن هناك نقصا هاما لدى المربين أيضا في هذا المجال. وهو سبب إضافي

## د- الموقف من الخطبة

يبدو أن الخطبة فقدت أهميتها في الأوساط المنفتحة التي توفر للجنسين إمكانية التحرك والالتقاء بسهولة وتتاح لهما فرص الخروج منفردين أو بصحبة آخرين. فإذا ما قررا الارتباط فإنهما يعلنان عنه قبل الزواج بفترة قصيرة لتقتصر فترة الخطوبة على إتمام ترتيبات العرس. في المقابل لا تزال فترة الخطوبة ذات قيمة في الأوساط المحافظة والريفية. وهي من الأهمية بمكان خاصة في المجتمعات التي تمنع الاختلاط بين الجنسين.

والمراهقون اليمنيون هم أكثر من تطرقوا إلى موضوع الخطبة حيث أشاروا إلى أن الحب أو الغرام ممكنان لمن ينويان الزواج أو هما في حكم المخطوبين. وتحدث المستجوبون من تونس عن الخطوبة كفترة اختلاط طويلة واعتبروها فترة محبذة خاصة مع وجود تحفظ على العلاقات الجنسية قبل الزواج. وتتمثل وظيفة الخطوبة حسب نجاح (16س، تونس) في السماح للشريكين بأن "يكتشفا بعضهما كي يتجنبا المفاجأة التي تقود إلى الطلاق".

وتعبّر تالة (17س، لبنان) عن الرأي الشائع الذي أصبح ينظر إلى الخطبة كإعلان لعلاقة فعلية وليست فقط مرحلة تجريبية لذلك تفضل التريث "أنا ضد فكرة أنه يأتي شخص إلى البيت وأن يقولوا لي أتى وطلب إيدك. حتى لو أعجبني هذا الشخص فقد أنظر له نظرة سلبية : نحن في هذا العصر، وأنت لا تزال تأتي لطلب يدي من البيت ؟ ما دمت تعرفني لماذا لا تحكي معي، قد لا نتفاهم مثلا ؟". وبرز من خلال المقابلات مع المراهقات في لبنان أن المنتميات منهن إلى أسر متعلمة أو ميسورة لا يتقدم لهن خطاب. على عكس المراهقات الريفيات أو المنتميات إلى الأوساط الشعبية. وبشكل عام عندما تكون الفتاة على صداقة معروفة مع أحد، فإنهم لا يتقدمون لخطبتها. كأن علاقة الصداقة هنا مع شاب، ترسم حدودا فاصلة بين ما يتوافق مع مفهوم الخطبة التقليدية وما لا يتطابق معه.

## هـ- الأمومة والأبوة

كان معظم من شملتهم المقابلات مع فكرة الزواج وتكوين أسرة وتحمّل مسؤولية الأطفال. ففي حين أن أشرف (18س، لبنان) لا يتخيل نفسه أبا، تتحمس تالة (17س، لبنان) قائلة "الأمومة رائعة، طالما أن الشخص على قدر المسؤولية. أحب أن يكون عندي أولاد، طالما أني لن أشردهم على الطريق. وأنا أعرف أني سأربيهم وسيكونون أشخاصا ناجحين في المستقبل". وبدت ريم (15س، لبنان) أكثر واقعية من الذين تبنوا موقفا رافضا للأبوة أو الأمومة عندما تؤكد أن "كل واحد يقول الآن لا أريد أن أتزوج، ولا أريد أن أنجب أولادا، ولكنه في النهاية يفعل عكس ذلك".

وتبين وجود اختلافات في نظرة المراهقات والمراهقين في مصر. إذ بدا المراهقون أكثر رضى على نمط التربية الذي تلقوه من أهاليهم. فمحمد (17س) يرغب في تعليم أبنائه ما تعلمه هو واستخدم المراهقون تعابير "تربيتهم على الشجاعة" و "توفير الحماية" بالإضافة إلى "الثقة بالنفس".

إطار 4.2

# مصر : مواصفات الشريك

يشترك الصبيان والبنات في إعطاء الأولوية لأن يكون الشريك مؤدبا أو مؤدبة، مع تفضيل هذه الصفة أكثر من قبل الصبيان. وبعد ذلك، فإن الصبيان يفضلون أن تكون شريكة حياتهم متدينة ومن عائلة جيدة، في حين تفضل البنات أن يكون شريك حياتهن حسن الطباع وذو شخصية قوية.

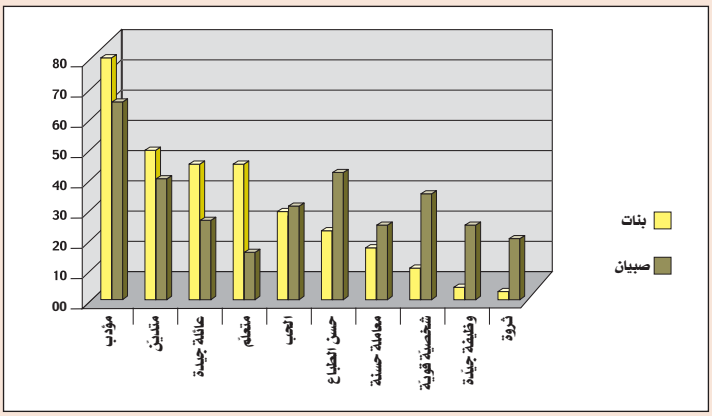


| مصـــــــــــــــــر | | |
|---|---|---|
| الصفـة | صبيان | بنات |
| مؤدب | 79 | 62 |
| متدين | 43 | 34 |
| عائلة جيدة | 37 | 19 |
| متعلم | 36 | 30 |
| الحب | 22 | 25 |
| حسن الطباع | 16 | 35 |
| معاملة حسنة | 9 | 18 |
| شخصية قويّة | 5 | 27 |
| وظيفة جيدّة | 3 | 18 |
| ثروة | 2 | 14 |

طلب الفتيات حسن الطباع، يشير إلى سعيهن إلى معاملة أفضل مما هو سائد في المجتمع. وكذلك يعبّر طلب الشخصية القوية عن رغبة في الاستقلالية إزاء العائلة وقدرة على مواجهة متطلبات الحياة الصعبة. وطلب الفتيات أن يكون لشريكهن وظيفة جيدة مؤشرا إلى الاستقرار وأن يكون الزوج مسؤولا على تأمين متطلبات الحياة (18٪)، في حين أن هذا الأمر غير مطلوب من الفتيات (3٪). في المقابل يبدو أن الصبيان لا يزالون يفضلون أن لا تكون شريكة حياتهم تتمتع بشخصية قوية (5٪ فقط)، بما يؤشر بدوره إلى استمرار سيادة النظرة التقليدية إلى الطباع المستحبة لكل من الرجل والمرأة حيث للرجل قوة الشخصية وللمرأة الدماثة والحنان والطاعة. أخيرا، يلاحظ تراجع تطلب أن تكون الزوجة أو الزوج من الأقارب، ولا يعبّر ذلك بالضرورة عن تطور على مستوى المفاهيم فقط، بل ربما هو خلاصة تجارب غير مشجعة في العلاقة مع الأقارب.

1- **الانتقال إلى مرحلة النضج**، مسح قومي حول النشء في مصر، مجلس السكان الدولي، 1999- 2001. عينة البحث شملت أكثر من تسعة آلاف فتى وفتاة تراوحت أعمارهم بين 10 و19 عشر عاما.

## الحاج متولي وتعدد الزوجات

اهتمت المراهقات المصريات بمسلسل الحاج متولي (الذي كان يدافع عن تعدد الزوجات) وإن بنسبة أقل من جيل الأمهات. وبرزت بينهن آراء وجدت أنه يتجاوز تسلية الناس خلال شهر رمضان، وأنه يطرح أفكارا خطرة لأنه يحسم الموقف في نهايته لصالح تعدد الزوجات كخيار واقعي.

### ثلاث مراهقات مصريات عبرن عن رأيهن في هذا المسلسل :

**نهـــــــة**

"... تابعت المسلسل والبرامج التي دارت حوله. أعتقد أن أمي أحبت المسلسل، وناس كثيرون في المدرسة كانوا يقولون أيضا إنه نموذج للعدل. حتى بعض المدرسات كن يقلن ذلك. هو مسلسل مسخرة والستات كلهم هبايل".

**دلال**

"... المصيبة أن الستات يشاهدن المسلسل ويضحكن، وتبدي كل واحدة منهن إعجابها بهذه الزوجة أو تلك".

**سهيـــــــر**

"... وجدت الناس يتحدثون عن الموضوع بالكثير من الجدية. كان واضحا أن هذا المسلسل كشف ما يخبئه الناس في قلوبهم ولا يصرحون به. كأن الرجال كانوا ينتظرون مسلسل كهذا كي يتجرؤوا ويعلنوا عن رغبتهم في أن يتزوجوا أكثر من امرأة، وأن نساءهم يمكن أن يكن على علاقة جيدة ولا تحصل مشاكل بينهن. والغريب أننا سمعنا كلاما من هذا النوع من رجال متعلمين وخريجي جامعات ومتزوجين منذ سنوات وعندهم أولاد كبار".

يشجع المراهقات والمراهقين على الاستعانة بالأصدقاء والاخوة والأخوات الكبار ووسائل الإعلام والكتب والمجلات (الجيد منها والرديء) والأفلام... للحصول على معلومات عن الجنس والصحة الإنجابية، قد لا تكون ذات طابع علمي أحيانا كثيرة.

أما الإشكالية الثانية، فهي ذات طابع اجتماعي- ثقافي. فقد تبين أن تحول العلاقات الأسرية في المجتمعات العربية، لم يؤدّ بالضرورة إلى تحسن مستوى الحوار بين الأهل والأبناء في مسائل الجنس والصحة الإنجابية، ولم ينتج وسائل متقدمة لتحضير الفتى أو الفتاة للبلوغ وتكوين الهوية الجنسية. وبينت بعض الشهادات أن النظام التقليدي الذي كان سائدا في العقود السابقة، ربما احتوى على وسائل تواصل تقليدية كانت أكثر فعالية في إطارها الاجتماعي والتاريخي، وأن طابع الحرج والخجل وتجنب التحدث في المسائل الجنسية داخل الأسرة، يعدّ حديثا نوعا ما، في حين أن البلوغ كان يحتفى به تقليديا في طقوس احتفالية. وهي مسألة تمت الإشارة إليها في سياق هذا الفصل، وخصوصا على مستوى شهادة هيام (17س) عن الاحتفال بالبلوغ في جزيرة جربة في تونس.

ويثير هذا المثال مسألة التفاوت الزمني في حصول التحولات الاجتماعية وتعبيراتها الثقافية والسلوكية، وكذلك الإشكاليات المعقّدة التي يثيرها حصول تغيّر اجتماعي أو ديمغرافي أو ثقافي في مجال محدد دون أن تواكبه تحولات مناسبة في مجمل النظام أو الإطار الاجتماعي، مما ينجم عنه تنافر بين الجزء والكل. وهو ما ينطبق بشكل خاص على ما طرأ على دور الأهل ومؤسسة العائلة والأشكال التقليدية الأخرى للمؤسسات فيما يتعلق بإعداد المراهقات والمراهقين للبلوغ الجسدي والاجتماعي. ففي المجتمع التقليدي كان هناك تقارب زمني، ولجهة المضمون، بين البعدين الجسدي والاجتماعي لعملية البلوغ، وكانت منظومة القيم في البيئة الاجتماعية المحلية موحدة إلى حد بعيد، والتفاوت بينها وبين المنظومات الوطنية قليل نسبيا. وكانت الشعائر بما هي شعائر جماعية تعبّر عن الطابع الجماعي للحياة في المجتمع المحلي التقليدي حيث لم يكن مفهوما الفرد والخصوصية يحتلان فيه موقعا هاما معترفا به. ولكن مع التحول إلى "الحداثة" طرأت تغييرات أساسية ليس أقلها فقدان المرجعية القيمية الموحدة بحكم التحديث الذي عرفه المجتمع وبحكم الانفتاح على وسائل الإعلام والثقافات الأخرى. بالإضافة إلى بروز إحساس الفرد بفرديته، ونشوء الحيز الخاص الذي تقع ضمنه الجنسانية والحب والزواج، فلم تعد تعتبر بذلك شأنا اجتماعيا عاما. وبهذا المعنى، فإن طقوس العبور تشكل في هذه الظروف انتهاكا للخصوصية والفردية استنادا إلى التحولات المشار إليها وإلى مرجعية الحداثة وبروز الفرد. وتصبح وظيفتها السلبية هي الطاغية. ولكن المشكلة تكمن، في أن المجتمع المتحول لم ينتج بعد آليات بديلة لتهيئة مراهقيه لهذه التحولات. فلا الأساليب التقليدية استمرت أو هي فعالة، ولا الأساليب والوسائل الحديثة شقت طريقها إلى الممارسة الاجتماعية الواسعة. وهذا هو أحد أوجه الوضع "الحائر" بين الحداثة والتقليد في المجتمعات العربية، الذي جرت الإشارة إليه في أكثر من مكان في هذا التقرير.

# القسم الثاني :
# الدراسة الميدانيّة

## الفصل الثّالث:
# العلاقات الأسريّة :
## خلاف محكوم بالوفاق

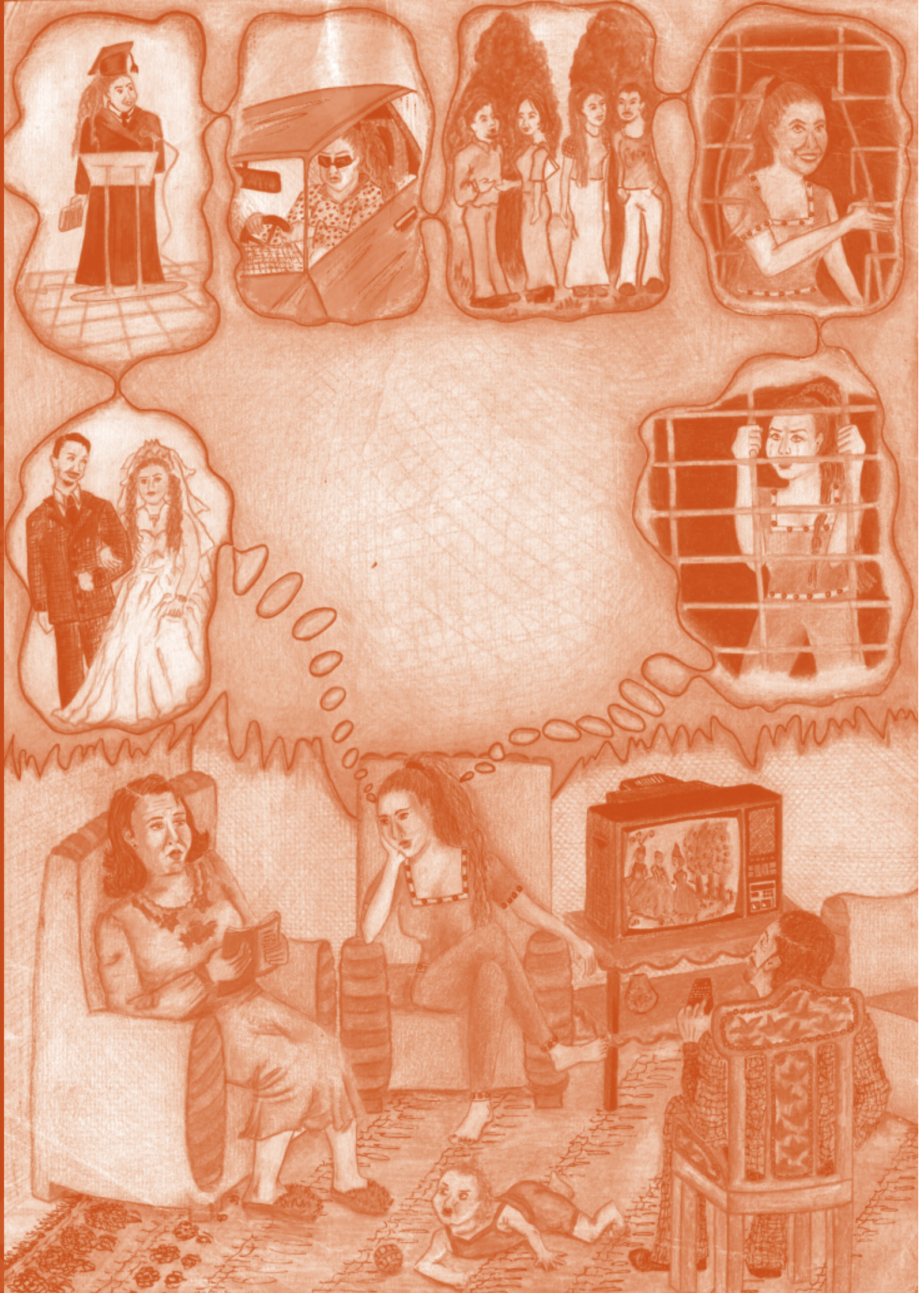

في التصور التقليدي لحياة الأسرة الداخلية، تتم صياغة العلاقات على أساس التراتبية المرتبطة بالوضعية ويجري تهميش أثر العوامل الأخرى، ولا تخضع الأدوار الفعلية والحقوق والواجبات للتفاوض. وأبرز مثال على ذلك هو مثال الأسرة البطريركية المتشددة حيث تنحصر السلطة داخل الأسرة بيد الأب (الرجل الأكبر سنا والذي يحتل مرتبة رب الأسرة). أما في التصورات الأقرب إلى مفاهيم الحداثة وقيمها، فإن الأدوار والمسؤوليات ومستوى المشاركة في القرار تتحدد على ضوء جملة العوامل والمتغيرات التي تدمج ضمنها المكانة التي تحدد بدورها المسؤوليات والأدوار ، ولكن دون إغفال العوامل الأخرى وآليات التفاعل والتفاوض والتعديل التدريجي والتطور باتجاه توسيع قاعدة المشاركة في القرارات الأسرية كلما اكتسب الطفل معارف ومهارات إضافية، وكلما تكونت شخصيته وازدادت قدراته العقلية والنفسية. إن المراهقات والمراهقين لا يرفضون سلطة الأهل بشكل مطلق بل نجدهم أكثر ميلا لقبولها وذلك استنادا إلى الدراسة الميدانية التي أنجزت في إطار هذا التقرير، ولكنهم يرفضون التسليم التلقائي بما يعطيه الأهل لأنفسهم من حقوق حصرية في اتخاذ القرار بحكم كونهم آباء أو أمهات فقط، ودون اعتراف بالمراهقة أو المراهق كفرد في طور التشكل ودون منحه هامشا للتفاوض على حريته ودوره ضمن الأسرة وخارجها. وغالبا ما تجد المراهقة (أو المراهق) نفسها في وضعية صعبة، إذ "عليها أن تؤكد هويتها من جهة أولى، وتعدّ نفسها من جهة ثانية ليكون لها موقع في مجتمع يشجعها ويحبطها في الوقت نفسه. وعليها من جهة ثالثة أن تتميز عن عالم الأطفال الذي ترغب في مغادرته . في كل الحالات يبدو أن الصراع بين الأجيال أمر لا يمكن تجنبه في مثل هذه الوضعية، ولكنه صراع متفاوت الحدة"[2]. وتتوقف حدة هذا الصراع على تداخل مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والثقافية والأسرية والفردية إلى جانب التجارب الخاصة بكل حالة من الحالات. وهذا التداخل على درجة من التعقيد بحيث يصعب التعميم إلا بالنسبة إلى ما يرصد من اتجاهات وميول عامة، وهو ما تبين أيضا من خلال الدراسة الميدانية.

وما يجعل الأمور أكثر تعقيدا بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين هي الازدواجية التي يعيشون فيها في علاقتهم بالعائلة. فالعلاقات داخل العائلة محكومة بالدرجة الأولى بالاعتبارات العاطفية والمشاعر أكثر مما هي محكومة بالعقل والمنطق أو بالمنفعة. ولكن في الوقت نفسه تحتل هذه القيم (العقل والمنفعة) أهمية متزايدة في الحياة. فالمراهقة (أو المراهق) التي يكتمل نضجها العقلي باتت تبحث عن تفسير منطقي مقنع لكل شيء، بما في ذلك العلاقات والأدوار داخل الأسرة. كما تجد أن ما تفترضه من غياب نظري لمبدأ المنفعة داخل الأسرة أمر طوباوي خصوصا على مستوى العائلة الموسعة بحكم ما تراه داخلها من مشاكل وصراعات. لذلك تعيش تمزقا بين نظم مرجعية مختلفة وتجد نفسها أمام هوة واسعة بين ما يقال وما يمارس فعليا.

لقد أسس تفاعل المجتمعات العربية مع الحداثة وما رافقه من تحولات، لظهور المراهقة كمرحلة عمرية وفئة اجتماعية متميزة في هذه المجتمعات (جرى تناول هذا الجانب في فصول أخرى من هذا التقرير)، لكن الحقل الاجتماعي ظل إطارا للصراع بين أنساق من القيم المتعارضة حيث تضعف في بعضها العلاقات السلطوية داخل الأسرة وتتراجع الرقابة الأسرية لصالح الحوار والتفاوض مفضية إلى نوع من "التحرر التربوي" وتقوى في بعضها الآخر مما يولد تربية متشددة وصارمة.

**(2)** - Scolarité et adolescence : Les motifs de l'insécurité; Alain Clémence, François Rochat, Caroline Cortolezzis, Patricia Dumont, Michèle Egloff, Claude Kaiser; : Haupt - Bern 2001.

# العلاقات الأسرية

## مقدمة

تعرّف المراهقة على أنها عملية تحول وانتقال الطفل من نمط علائقي يتميز بتبعية شبه كاملة للأسرة وانحصار علاقاته إلى حد كبير ضمن نطاقها أو تحت رقابتها ومسؤوليتها المباشرة، إلى نمط مختلف يتميز بتوسع نطاق العلاقات والمرجعيات وبتخفيف متدرج لعلاقة التبعية في مرحلة انتقالية نحو الاستقلال عنها في مرحلة الرشد. كما تتميز بتوسع نطاق التربية التي يتلقاها "الطفل"، بحيث تشمل الأدوار الاجتماعية والسلوكيات المرتبطة بالجنس من جهة، والإعداد للأدوار الاجتماعية والاقتصادية من جهة ثانية. وتتمحور هذه العملية التي تستغرق سنوات في جانب أساسي منها حول علاقة المراهق بأسرته. وتتم سيرورة بناء الهوية الفردية للمراهقة (أو المراهق) بتأثير قوي للظروف الأسرية التي تعيش فيها ونمط العلاقات في إطارها وتطورها والتفاعل بين الأسرة والمرجعيات الأخرى التي تشكل عالم المراهقة أو المراهق (جماعة الأصدقاء والمدرسة والعمل والمؤسسة الدينية والحركات السياسية والاجتماعية ووسائل الإعلام...). وغالبا ما تتأثر علاقة المراهقة (أو المراهق) بأسرتها بهذه المرجعيات المستجدة التأثير في حياتها.

فالعائلة لا تزال تؤدي دورا بالغ الأهمية في حياة المراهقات والمراهقين، بما في ذلك في المجتمعات الصناعية المتقدمة في أوروبا الغربية خلافا للاعتقاد السائد. فحسب "تصور شائع يتكرر في كل مكان، أننا محاطون بمخلوقات "برية" sauvageons، ولكن الواقع هو غير ذلك. لقد نشرت جريدة لوموند نتائج دراسة عن قيم الشباب وتوقعاتهم في الفئة العمرية 15-24 سنة أظهرت الأهمية الكبيرة التي تحتلها العائلة عند هذه الفئة من السكان. فقد ذكر 82٪ من الشبان في العينة أن العائلة مهمة جدا بالنسبة إليهم، و15٪ آخرون ذكروا أن للعائلة أهمية كبيرة نوعا ما بالنسبة إليهم. وفي الفئة العمرية 15-17 سنة بلغت نسبة من يعدّون العائلة مهمة جدا 85٪"[1]. إن الاعتراف بأهمية العائلة يشكل إحدى نقاط الانطلاق الأساسية لهذا الفصل. ولا يمكن تفسير درجة التوافق أو الامتثال، ولا درجة الاعتراض والصدام بين المراهقات والمراهقين والعائلة، إلا باعتبارها تجليات لدورها الكبير في حياتهم، خصوصا في المجتمعات العربية.

من جهة أخرى، تمتاز العلاقات ضمن الأسرة باستنادها إلى وجود وضعيات محددة لأفرادها تنسب إليهم أدوار ومسؤوليات ومستويات من السلطة بحسب مكانتهم (الأب والأم والأجداد والأبناء...) وبحسب متغيرات عديدة (الجنس والعمر ومستوى التعليم والمساهمة في الدخل والنفوذ خارج العائلة...) وبالارتباط بالمناخ الاجتماعي السائد. وتتميز العائلة بكونها تقوم على هذه التراتبية وعلى العلاقات غير المتناظرة asymétrique بين أعضائها. وينظر عادة إلى هذه الخصائص باعتبارها خصائص "طبيعية" بحيث يتوقع أن يتم قبول ما يترتب عنها من حقوق وواجبات متبادلة ومن أدوار سلطوية دون مناقشة. ويشكل ذلك أحد أهم الأسس للصراع داخل الأسرة الذي قد يتخذ طابع صراع بين الأجيال العمرية المختلفة (الآباء والأبناء) وأحيانا داخل الجيل الواحد (بين الذكور والإناث، أو بين الاخوة والأخوات الكبار والصغار).

**(1)** Le monde - No 21-22 Nov. 1999; cite par Robert Bidart: Aurorité parentale et citoyenneté. La question des compétences parentales; in: Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001.

وتشمل مجالات هذه الرقابة كل مظاهر الحياة اليومية كالفضاءات الشخصية والحميمية أو "فضاءات التدرّب على الاحترام المتبادل"[3] كالغرفة الخاصة بما فيها من مكونات كالخزانة أو الدرج حيث يودع الفتى أو الفتاة الأمتعة المدرسية والشخصية. كما تشمل الرقابة الهيئة والهندام والمكالمات الهاتفية وكل ما يتصل بالعلاقات مع الأصدقاء والأصحاب والخروج للفسحة والتجول، والعلاقات مع الجنس الآخر و صولا إلى اختيار زوج المستقبل.

إن النتيجة الأولى البارزة من المقابلات التي أجريت مع المراهقات والمراهقين هي تأكيدهم جميعا على تدخل الأهل تدخلا يقوى ويضعف حسب الظروف في مختلف الجوانب والمجالات المذكورة، إلا أن ردود الفعل على هذا التدخل تتخذ أشكالا وصورا مختلفة من الامتثال والتقبل الظاهري إلى النقد والمفاوضة والرفض.

بينت المقابلات الميدانية وجود نقاط تشابه واختلاف في مجالات الرقابة وتفاوت حدتها ارتباطا بالخصائص الاجتماعية والثقافية العامة والخاصة بالأسرة ومحيطها المباشر. ويشكل اشتداد الرقابة على المراهقات فيما يتعلق بالخروج والتواجد في الفضاء العام قاسما مشتركا بين معظم المستجوبات. أما بالنسبة إلى المراهقين، فإن الرقابة تطال أكثر الدراسة وكل ما يمكن أن يؤثر سلبا فيها حسب اعتقادهم، وخصوصا العلاقات مع أصدقاء غير مرغوب فيهم. أما الرقابة على الشكل، فتتفاوت من بيئة إلى أخرى وتصل في بعضها إلى تشدد كبير وتتسم في البعض الآخر بالمرونة مع استثناء ما يعدّ ضرورات الاحتشام للفتيات الذي يبقى حاضرا في كل البيئات رغم تفاوت المعايير (من الحجاب إلى آخر صرعات الموضة).

بينت أبحاث مركز الدراسات والأبحاث الديمغرافية في المغرب أن أدنى نسبة للخلافات المستمرة بين الأهل والأبناء هي في مجال الدراسة، في حين سجلت أقصاها في مجالات العمل المنزلي (للفتيات خصوصا مع الأم - 39.9 ٪)، ثم بخصوص الخروج ليلا، والأصدقاء، والأماكن المرتادة بنسب متقاربة وهي مجالات مترابطة أصلا. ويلفت الانتباه هنا الأرجحية في نسبة الخلافات على العمل المنزلي مقارنة بالخلاف على الخروج والأصدقاء، فهي تدل من جهة أولى أن التنشئة الاجتماعية للأبناء والبنات قد جعلتهم بهذه الطريقة أو تلك، عن اقتناع أو عن مسايرة للواقع، يتكيفون مع قواعد الخروج والمخالطة والأنشطة الخارجية، بحيث تنخفض نسبة الخلافات بصددها. كما أن الإمكانيات الواقعية المتاحة لممارسة بعض الأنشطة غير متوفرة غالبا في الأوساط الريفية أو أن كلفتها عالية بالنسبة إلى قسم كبير من الأسر، لذلك فهي ملغاة بشكل تلقائي من قائمة النشاطات وغير مشمولة في الخلافات الدائمة، مما يجعل النسبة المستخلصة من الإحصاءات بالنسبة إلى هذه المسائل معبّرة بدرجة أعلى عن البيئات المدينية والفئات التي يتوفر فيها دخل يتجاوز تلبية الحاجات الأساسية للأسرة. وقد بينت المقابلات هذه الخاصية، حيث أن المراهقات والمراهقين من الفئات المدينية والوسطى كانوا أكثر إحساسا بالرقابة، ومجالات خلافهم مع الوالدين تتجاوز نطاق المنزل إلى الأنشطة الخارجية. أما نسبة الخلافات المرتفعة بخصوص العمل المنزلي، فتشير إلى عدم رضى المراهقات عن تقسيم العمل داخل المنزل وعدم تحوله إلى قاعدة مقبولة رغم قيامهن بالشؤون المنزلية. ويبدو من هذا الرسم البياني أن الخلافات مع الأم أكبر مما هي مع الأب في المغرب، ما عدا الخلافات حول الآراء حيث الخلاف مع الآباء أكثر تكرارا باعتبارهم أصحاب القرار في الأسرة، في حين تتقارب

**(3)** Singly (F.De), Le soi, le couple et la famille, Paris, Nathan, 1996.

في هذا الإطار، تواجه المراهقات والمراهقون عناصر ثقافتين : الأولى حديثة تمجد تحقيق الذات وتأكيد مسؤولية الفرد عن نفسه، والثانية تقليدية يكون الفرد فيها منصهرا في الجماعة الأسرية خصوصا أو أي جماعات انتماء أخرى. وتؤدي العائلة في ذلك أحد الدورين، فإما أن تكون فضاء للتجديد وبالتالي تساعد المراهقات والمراهقين على بناء هوية متفردة، أو تكون فضاء محافظا وتقليديا فتصبح حاجزا أمام رغبة المراهقات والمراهقين في الحصول على المزيد من الاستقلالية والحرية، وينطبق ذلك بصورة أشد على المراهقات. وهذه هي فرضية هذا الفصل الأولى، وللتحقق منها واختبارها سينبني التحليل وفق المحاور التالية : أهداف الآباء التربوية وتصوراتهم لمكانة المراهقة مقارنة بمكانة المراهق، الرقابة وعلاقات الثقة بين الآباء والأبناء، توزيع الأدوار التربوية وتقاسم السلطة بين الوالدين، مواقف المراهقات من الأب والأم ومن الأجداد والأقارب، العلاقات بين الاخوة والأخوات والتمييز بين الجنسين في الأسرة، توزيع المهام المنزلية وتحديدها بالنسبة إلى الإناث والذكور وأخيرا الثقافة الجنسية كجزء من التنشئة الاجتماعية.

يهدف هذا الفصل إذن إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات : ما هي مكانة المراهقة في الأسرة بالمجتمعات العربية ؟ ما هي الأشكال التي تتخذها علاقات السلطة بين الآباء والمراهقات والمراهقين ؟ هل يوجد اختلاف بين تنشئة المراهقة والمراهق اجتماعيا ؟

## 1. أشكـــال الرقـــابة ومجـــالاتها

يطرح هذا الفصل السؤال المحوري التالي : هل خفت حدة الرقابة الأسرية إلى درجة تسمح للمراهقين وللمراهقات خصوصا بالبروز كأفراد مستقلين قادرين على تحقيق الذات، وعلى حل الصراعات مع الأهل ؟ أم أن التشبث بالمعايير والقواعد التربوية الصارمة ربما أنتج أشخاصا يتبعون نمطا حياتيا يتسم بالضغط والتبعية بل الخضوع والامتثال ؟

فما المقصود بالرقابة الأسرية ؟

تعدّ الرقابة مجموع الوسائل التي تستخدمها الأسرة لضمان التطابق بين سلوك الأبناء والبنات وبين المعايير والقيم السائدة في المجتمع والتي يرى الأهل أنهم مؤتمنون عليها وساهرون على استمرارها. يمارس الأهل رقابة على تصرفات أبنائهم عندما يطالبونهم بالقيام بأعمال مرغوب فيها اجتماعيا أو يمنعونهم من ممارسة أفعال أخرى يرون أنها غير مقبولة. وتأخذ هذه الرقابة أشكالا عدة فتكون محدودة وظرفية أو شاملة ودائمة، وذلك حسب أهداف الأهل وغاياتهم التربوية وكفاياتهم الذهنية، وحسب التمثلات والتصورات التي يحملونها عن منزلة الأبناء والبنات ودورهم في الأسرة والمجتمع. أما مضمونها فقد يقتصر على إملاء جملة من الواجبات والممنوعات، وقد يتخذ صيغا أخرى أكثر لينا وأساليب أكثر تأثيرا للتوصل إلى قبول المراهقات والمراهقين السلوك المرغوب به واستبطانه. إن "الدروس الأخلاقية" والنصائح والترغيب تحل بعض الأحيان محل الضغط والرقابة المباشرة، إذ يفضل بعض الأهل اتباع أساليب الحوار والتواصل كالنقاش المتواتر وإفساح المجال لأبنائهم كي يدافعوا عن وجهة نظرهم ومواقفهم، والتفاوض من أجل تقبل التعليمات الأبوية والاقتناع بها أو من أجل رسم معايير جديدة يتفقون عليها بشكل مشترك.

### رسم بياني 2.2 : مجالات الخلاف مع الأهل حسب الجنس - لبنان

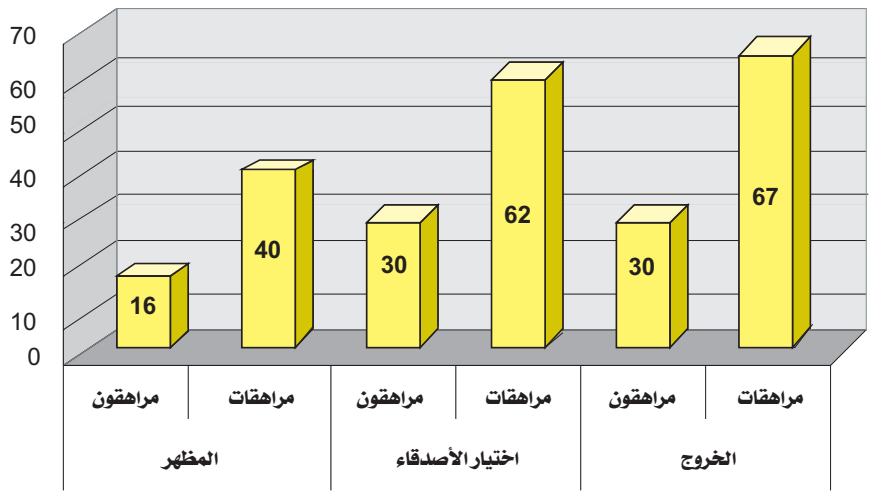


**المصدر**: الدراسة اللبنانية في إطار الإعداد لهذا التقرير

## أ-مراقبة علاقات الصداقة والحد من استخدام الفضاء العام

هل تستطيع الأسرة في المجتمعات العربية اليوم مساعدة المراهقات والمراهقين لتحقيق الاستقلالية وبأي طريقة ؟ يمكن أن نفترض أن الأهل يرسمون إستراتيجيات مختلفة تتمثل إما في إفساح المجال لهامش من الحرية لأبنائهم من الذكور كي يبنوا علاقات مع العالم الخارجي، أو في مراقبة هذه العلاقات والسعي إلى إبقاء الإناث خاصة ضمن حدود الفضاء الداخلي.

لقد عرفت المجتمعات العربية لمدة طويلة فصلا حادا بين الفضاء الخاص والفضاء العام، وغالبا ما تعزل البنات في الفضاء الأول. لكن الأوضاع تغيرت نسبيا بتنامي تعليم البنات وانخراط المرأة في سوق العمل وغير ذلك من العوامل، وهكذا أصبح الحضور في الفضاء العام مطلبا هاما للنساء عامة والمراهقات بوجه خاص، وهذا ما عبرت عنه المراهقات بوضوح، ودعون إلى الدفاع عنه.

أشارت المراهقات في أجوبتهن إلى أن الأسرة تعترف بهن كأفراد، وهن يتمتعن ببعض الاستقلالية في الفضاء الداخلي حيث تبدو مكانة المراهقات أكثر إيجابية. على أن سيرورة تأكيد الذات بالنسبة إلى الأسرة وإلى الكبار عامة لا تتوفر لكل البنات، بل نجدها خاصة لدى المنتميات إلى أسر تتمتع بموارد معرفية وذهنية مرتفعة. يسمح الأهل إذن للمراهقة بأن يكون لها فضاء شخصي وزمن ذاتي في عالم الأسرة، بل ويشجعون على ذلك. وقد يفسر هذا التشجيع في بعض الحالات بمقايضتهم المرونة داخل المنزل مقابل تقبل المراهقة للرقابة المضروبة على علاقاتها بالعالم الخارجي. ويبدو من خلال أجوبة المراهقات أن رقابة العائلة أخذت تتراجع، ولاسيما في الدائرة الخاصة. وعلى العكس بقي ارتياد البنات للفضاء العام مراقبا، إن لم يكن مغلقا، باستثناء الفضاءات المدرسية والمهنية التي يتسامح الأهل في شأنها. أما الأولاد، فهم ليسوا عموما محل أية ملاحظة من قبل الأهل عدا حالات قليلة وقصوى.

**رسم بياني 1.2 : مجالات الخلافات مع الوالدين -المغرب**

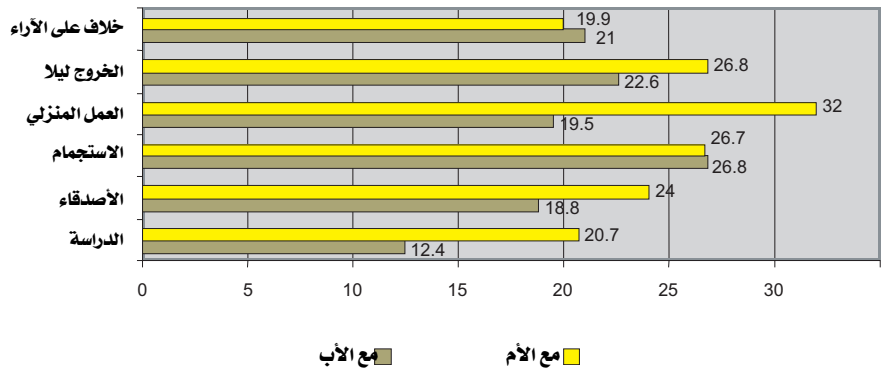


**المصدر** : مركز الدراسات والأبحاث الديمغرافية - 2000 [4]

مستويات الخلاف مع الأب والأم بالنسبة إلى الاستجمام وأنشطة أوقات الفراغ. أما ما يتصل بدائرة المنزل والقضايا الحميمية، فالأم هي المعنية بالمتابعة والرقابة. وقد بينت النتائج أيضا أن الخلاف المستمر على الخروج ليلا بين الأبناء الذكور والآباء هو الأعلى (29.9٪) وكذلك مع الأمهات (33.9٪)، وهي أعلى من النسبة المسجلة لدى الفتيات بحكم عدم طرح مسألة الخروج ليلا بالنسبة إلى الفتاة أصلا في بعض الفئات، أو تكيفهن مع القواعد السائدة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما استطلاعا الرأي اللذان نفذا في لبنان والبحرين في إطار إعداد هذا التقرير فقد بينا تفاوتا في مجالات الخلاف (وبالتالي الرقابة) التي يمارسها الأهل على الأبناء. فالنسبة الأعلى في البلدين تعلقت بالخروج من المنزل، حيث تصل نسبة الخلافات (غالبا أو دائما) إلى 63٪ في البحرين و 45٪ في لبنان. كما أن الأهل في لبنان أكثر مرونة في مجال الرقابة على المظهر إذ تصل نسبة الخلافات إلى 26٪ مقابل 43٪ في البحرين. أما فيما يتعلق بالأصدقاء، فإن الخصائص السكانية والجغرافية للبحرين (عدد السكان المحدود والامتداد الجغرافي الضيق بالإضافة إلى استبطان القيم السائدة) جعل المراهقات والمراهقين البحرينيين يرون الخلافات مع أهاليهم في مجال اختيار الأصدقاء أقل أهمية، فلم تتجاوز نسبة 4٪ منهم، في حين أنها كانت موضوع خلاف أساسي بالنسبة إلى لبنان (44٪) وكذلك بينت المقابلات في البلدان الأخرى أنها تشكل موضوعا أساسيا لرقابة الأهل، بما يوحي بأن المثال البحريني هو تعبير عن حالة خاصة.

وعلى الرغم من أن لبنان يعتبر من البلدان الأكثر انفتاحا والأقل تمييزا في العلاقات بين النساء والرجال في حقل الممارسات الثقافية والاجتماعية، فقد تبين وجود تفاوت كبير جدا في مجالات الخلاف بين المراهقات والمراهقين، ويجب النظر إلى مفهوم الخلاف هنا باعتباره معبّرا عن ممارسة الرقابة من قبل الأهل ورفضها من قبل الأبناء في الوقت نفسه، وتحديدا المراهقات.

**(4)** CERED, (2000), L'adolescence en question : Analyse des résultats de l'enquête sur les adolescents en milieu urbain.

إن المخاطر الفعلية أو المتخيلة للوجود في الفضاء الخارجي واحتمالات التحرش والمضايقة التي تتعرض لها المراهقات، تجعل بعضهن يتقبل المنع من الخروج دون معارضة.

ثمة فجوة عميقة إذن بين المعيش الشخصي في الفضاء الخاص والتصرفات في الفضاء العام، ويعبّر الأهل عن موقف مزدوج تجاه المراهقات : مرن نسبيا داخل الأسرة، وحرية محدودة جدا خارجها، ومن انعكاسات هذه الثنائية في السلوك والموقف انعدام أنشطة الترفيه والترويح عن النفس، والشعور بالعزلة والانزواء.

ويتجلى الفصل بين الفضاء الداخلي والفضاء الخارجي بوضوح في المجتمعات التي عرفت اضطرابات اجتماعية وسياسية خطيرة كما هو الشأن في الجزائر. تذكر ليندا (17 س) عندما تتحدث عن ضغوطات أوقات الخروج والدخول "أنا مجبرة على العودة إلى المنزل قبل موعد معين وهذا مشروط بعدة اعتبارات كاليوم، ومع من أخرج، وإلى أين أذهب. أخرج عادة مع أصدقائي لكن عليّ ألا أتجاوز بعض الحدود... فأقول في نفسي يجب أن أعود إلى البيت قبل الرابعة والنصف، عندما أكون بالمعهد أرجع مباشرة فى الساعة الخامسة". ولكن على الرغم من كل المبررات، فإن ذلك لا يمنع طرح السؤال عن المعنى العميق لهذه الرقابة وجدواها. تقول مواطنتها ميساء (18س) "عندما أردت أن أخرج ليلة رأس السنة، لم يسمح لي بذلك لأنه "الليل" رغم أن أسرتي متأكدة من حسن تربيتي. ولكن تلك هي العقلية، يخاف الأهل من كل شيء، ويظنون أن الليل يسهّل الفساد والانحراف بينما النهار أكثر ضمانا وطمأنينة... ولكن ما نفعله في الليل يمكن أن نأتي مثله نهارا وهذا ما لا يريدون إدراكه".

## ب- صـــــراع الأجيـــــــال

يتوقف الإحساس بصراع الأجيال على إحساس المراهق بفرديته، أو على تبنيه الواعي لمرجعيات مختلفة عن مرجعيات الأهل، فيتحول عندها الاختلاف الطبيعي في المواقف والآراء بحكم الفارق الزمني وفارق الخبرات والثقافة إلى علاقة صراعية (ليس لمفهوم الصراع هنا معنى سلبي بالضرورة). ومن ثمة فإن تشابه المرجعيات الفكرية والقيمية بين الآباء والأبناء يحد من الطابع الصراعي للعلاقة بينهما، رغم ارتفاع المتطلبات المتبادلة. كما يتقلص الصراع أو يتحول إلى صراع مكبوت ولا واع عندما تكون استقلالية المراهق أو المراهقة محدودة جدا. فالاستقلالية في الشخصية، ثم السعي إلى ممارستها فعليا، هي الشرط الأولي لصراع الأجيال، بما هو ظاهرة تتجاوز مجرد الاختلاف في الرأي.

تربط سهير (16س، مصر) وجود صراع الأجيال بطبيعة تغير الزمن وتغير احتياجات الناس. في حين تربط مواطنتها فاطمة (15س) الأمر بخصائص الأسرة فكلما "كانت العائلة متعلمة قل صراع الأجيال أو على الأقل تمكنت من حل الخلاف دون صراع". أما عزيزة (17س، مصر) فتعتقد أن الأمر متعلق بمدى الصداقة بين الأهل والأبناء، "فكلما كان الأهل والأولاد أصدقاء كان الصراع أقل". وعلى الرغم من بساطة الإجابات، وخصوصا تقدير فاطمة بأن ارتفاع مستوى التعليم يحد من صراع الأجيال، فإن العلاقة تبدو أكثر تعقيدا، خصوصا أن ملامح صراع الأجيـــال بالمعنى المركّب الذي أشرنا إليه والذي يتجاوز التناقض غير الواعـــي أو الصدام

فأحمد (17س، تونس) يخبر عادة والديه بأسباب خروجه من البيت ولكنه لا يرى نفسه مجبرا على "رفع تقرير لهما حول ما قام به في الخارج". أما ما لا يستسيغه أبواه فهي مكالماته الهاتفية مع صديق له. لذلك يكتفي صديقه برن الجرس مرة واحدة ليطلب إليه زيارته في بيته. فوالدا أحمد لا يرتاحان لهذا الصديق إلا أنه لا يعرف السبب. ولا يرى حسن (18س، المغرب) حدودا لحريته في اللباس والخروج. يمكن له أن يخرج عدة مرات دون قيود، ولا يتدخل أبواه لمنعه أو لحمايته وإنما لتنبيهه إلى المخاطر المحتملة. عندما يغادر بيته كل صباح يقولان له : "اذهب حيثما تشاء لكن اتهلا في راسك ". (أي احترس).

فارس (15س، اليمن) ينتمي إلى عائلة ميسورة. سافر كثيرا مع والده ويعرف الولايات المتحدة، حيث يقيم أخوه. يتمتع بحرية كبيرة ويملك هاتفا جوالا كما يمضي جل وقته خارج البيت مع أصدقائه الذين لم يوفقوا مثله في دراستهم. يدخن الشيشة (أو النرجيلة) ولكن والديه يراقبانه حتى لا يقدم على تخزين "القات". يدرّبه أبوه على الحياة الاجتماعية فيأخذه معه لحضور التظاهرات والمناسبات الكبرى، فالتنشئة الاجتماعية التي يتولاها بالأساس والده تتم ، في الفضاء الخارجي. أما في معيشه اليومي، فإن أخته الكبرى هي التي تسهر على شؤونه، وتحتل أمه الدور المركزي في العائلة، فهي توجهه وتنصحه في علاقاته مع الفتيات.

نستخلص فيما يخص المراهقين أن الآباء يظهرون تسامحا أكبر معهم، بل هم يشجعون الانفتاح على الفضاء الخارجي وتقتصر الرقابة أساسا على العلاقات مع الرفاق والأصحاب خوفا من أن يكون تأثيرها أقوى من تأثير العائلة. أما بالنسبة إلى المراهقات فتتمثل الرقابة غالبا في منعهن من الوجود الفعال في الفضاء العام واكتساب تجارب اجتماعية تيسر لهن الاستقلال الذاتي. فقد أشارت المراهقات المصريات إلى أن الرقابة عليهن لا تستهدف الأمتعة والأمور الشخصية ولا ما يجري داخل الفضاء الخاص الحميمي، بل تطال بالدرجة الأولى خروجهن من البيت ودائرة الاختلاط والأصحاب وكل ما يتصل بالتعامل مع الفضاء الخارجي . فلا تتوقف الأمهات عن ملاحقة بناتهن بالأسئلة وإجبارهن على استئذانهن للخروج، وإعلام الأهل بالأماكن التي يزرنها وبالأشخاص الذين يرافقونهن. كما توجد ممنوعات أخرى تطال المكالمات الهاتفية ومواقيت العودة إلى البيت. وفي المساء لا يسمح لهن بالخروج إلا مع مرافق. تقول نادية (16س، مصر) "لا يمكن لي أن أقوم بأي شيء دون إعلام أبويّ، أذهب إلى المدرسة وأعود منها بصحبتهما أو رفقة ابنة عمي، بعد المدرسة ليس لي الحق في الخروج أو أن أذهب بمفردي لقضاء حاجة شخصية. وإذا عزمت على الذهاب إلى مكان ما، فهما اللذان يرافقاني ولا يصرحان بأن ذلك مراقبة، بل يقولان إنهما يخافان علي".

وفي الحالات المتطرفة تعيش الفتاة محاصرة من كل الجهات من المجتمع والأسرة، من الآباء والأمهات، والمبالغة في القلق عليهن من مخاطر العالم الخارجي. وتعبر آمال (18س، المغرب) عن ذلك بتخوفها من أن تخمينات الأهل وتخوفاتهم المتزايدة تنتهي أحيانا بالتحقق لفرط تكرارها "تلاحقني أمي بصياحها وشكوكها لأي تأخير في الرجوع إلى البيت، متوعدة، مؤنبة وتقول لي بأنني بدأت أخرج عن الطريق المستقيم، وأنني أدخن وأخالط الذكور... ونتيجة الإكثار من هذا القول أنتهي بالاعتقاد بأنني أصبحت كما تقول هي، إني أعرف عددا كبيرا من البنات والأولاد الذين زاغوا عن السبيل السوي بسبب آبائهم".

يتبين من خلال المقابلات وجود مستويين في النظر إلى صراع الأجيال، إذ ينظر بعض المراهقين إلى صراع الأجيال باعتباره مفهوما أو ظاهرة اجتماعية، وهم غالبا من الذين يتمتعون بمؤهلات علمية أو خبرات اجتماعية وسياسية. أما بالنسبة إلى الغالبية، فإن صراع الأجيال كان مرادفا للخلاف مع الأهل والصراع الناجم عن الرقابة. وهو أحد مستويات صراع الأجيال الأكثر شيوعا.

## ج- ردود الفعل على رقابة الأهل : من الخضوع... إلى الثورة

تتخذ مواقف المراهقات والمراهقين تجاه الرقابة الأسرية أشكالا واستراتيجيات مختلفة تتحدد وفق الموارد المادية والرمزية التي تتوفر لهم وحسب مدى وعيهم بقيمتهم الذاتية وتوقهم إلى الاستقلالية. فرأس المال المدرسي والاستقلال الاقتصادي وشبكة العلاقات الاجتماعية أو تأثير مجموع الأصدقاء تمثل جميعها جزءا من الموارد التي تساعد المراهقة (أو المراهق) على بناء شخصيتها المستقلة نظرا لما تتيحه من فرص المقارنة والاختيار بين نماذج سلوكية ومواقف متعددة.

ويتعلق التساؤل الأساسي في هذا المجال بمدى ثقة المراهقات والمراهقين بقرارات الأهل وما هي الاستراتيجيات التي يتخذونها تجاه معاييرهم : ثورة أم خضوع، حيلة أم تخطيط استراتيجي، أم تفاوض وتعاقد مبني على الثقة ؟ وقد أمكن رصد عدد من الاستراتيجيات، أبرزها ما يلي :

■ **إخفاء جزئي للحقائق** : ثمة موقف يحظى بانتشار واسع بين المراهقات والمراهقين خلاصته "يجب ألا نقول كل شيء"، ويعد ذلك وسيلة لحماية النفس وإيجاد منطقة للحرية الشخصية والحميمية. تؤكد نهلة (15س) وعزيزة (17س) من مصر ضرورة إخفاء بعض الحقائق والاحتفاظ بجزء من حياتهما الشخصية والحميمة بعيدا عن نظر الأهل. يعتبر هذا الموقف خطوة أولى لبروز هوية المراهقة (أو المراهق) كفرد متميز في ظل عدم اقتناعها بإمكانية بناء مجال مشترك شامل على أساس التفاوض مع الأهل ويضمن الاستقلالية. وهو الموقف نفسه الذي تكرر في المقابلات المغربية أيضا "لا تحكي الكل" (أي لا تقل كل شيء) وذلك في الأوساط الاجتماعية المختلفة بما في ذلك المحافظة، حيث الروابط العائلية قوية. والبحث عن هذا الحيز الخاص تعبّر عنه جملة (17س) باستخدام تعبير "بيني وبين نفسي" و"تبقى بداخلي". وهذا النوع من المواقف لا يتعلق بالكذب على الأهل بقدر ما هو الاحتفاظ للنفس بمساحة خاصة وتجنب الصّدام معهم.

■ **الكذب :** ولكن بعض المراهقات والمراهقين يشيرون صراحة إلى اضطرارهم إلى الكذب للسبب نفسه. فنرمين (18س، مصر) التي تعبّر عن مشاعرها وأفكارها ضمن شبكة الأصدقاء تقول إنها تضطر أحيانا إلى "الكذب" على أهلها بدافع الخوف وتجنبا للمواجهة. وترى "أن الأهل لا يعترفون بتغير الأمور وتطورها وليسوا على استعداد للإصغاء إليها أو التنازل عن رأيهم وتفهم أولادهم". فأساليب التربية التقليدية في رأيها، هي التي تدفع الشباب إلى الكذب وأن الكبت هو الذي قد يجعل المراهقة (أو المراهق) تقع في الخطأ. وكذلك شداد (16س، اليمن) الذي أوضح كيفية تعامله مع سؤال الأهل عن خروجه المتكرر قائلا "طبعا يطرحون الأسئلة خصوصا إذا خرجت وقعت مشكلة ما. ولكن نخفي الأمر عنهم ونتعامل مع الأمر بطريقة تؤدي إلى الإغلاق على

بين الأبناء والأهل في موضوع من الموضوعات، يبرز تحديدا في الفئات المدينية والفئات الوسطى، أما الأسر الفقيرة فتمنعها مشاغلها الحياتية من التفكير أو الخوض في مسألة صراع الأجيال، فهي على حد تعبير سناء (15س، مصر) "مشغولة هي ووالديها وأخيها بالصراع ضد الفقر". وبدا وصف إلهام (17س، مصر) أقرب إلى الواقع، فهي تعتقد بأن صراع الأجيال مرتبط بالمستوى الاجتماعي للأسر وبانفتاح الأبناء على ثقافة مغايرة لثقافة الأهل وأن ذلك يحدث في الأماكن المتمدنة مثل القاهرة، أكثر من الصعيد، إذ هناك أرضية أكبر للخلاف. تقول "صراع الأجيال موجود عندكم في القاهرة أكثر من عندنا في الصعيد. هنا المشاكل تبدأ عندما يذهب الأولاد إلى مصر (القاهرة) ويعودون وهم يرغبون أن يلبسوا ويخرجوا ويتصرفوا كما في مصر. ولكن الصعيد صعب".

يبرز صراع الأجيال بشكل واضح في الأسرة "الحديثة". ولا يتعلق بالضرورة بوجود قمع شديد داخل الأسرة أو بتدني مواردها. إنه يتعلق بدرجة أقوى بالتفاوت في التوقعات والتصورات بين الأهل والأبناء. ريا (18س، لبنان) لا تتعرض لرقابة أو لضغوط شديدة من أهلها، فهم متفهمون ومنفتحون، ولكنها مع ذلك تشعر بوجود هوة بين "جيلها وجيلهم" ناجمة عن متطلباتها المتقدمة مقارنة بالأهل. فنقطة الخلاف بينها وبينهم تتعلق بمفهوم التربية نفسه، إذ لكل من الطرفين وجهة نظر مختلفة فهي تجد أن أهلها "من النوع الذي لا يستوعب بسهولة أن عليهم التخفيف من الاعتماد على السلطة عند الوصول الى مرحلة معينة". فهي تطلب منهم أن "يبقوا معها لفترة حتى تعرف ما تريد، ثم عليها أن تستقل". أما أشرف (18س، لبنان) فإن اشتراكه مع والده في الانتماء السياسي والفكري، قد استبدل علاقة الصراع بينهما بعلاقة يغلب عليها التفاهم بحيث يشكل الأب المثال الأعلى الضمني لأشرف، رغم عدم إفصاحه علنا عن ذلك. ولا يعني التفاهم هنا عدم وجود خلافات متبادلة بينهما. أما بالنسبة إلى مواطنه رفيق (18س) فإن انتماءه السياسي إلى حزب ديني ذي نفوذ قوي، قد أثار تحفظات والده، ولكن بقي الأمر في حدود إبداء الملاحظات، نظرا للنفوذ القوي والسمعة الجيدة للحزب الذي ينتمي إليه رفيق، مما جعل الأب هنا يتلافى الصراع مع ابنه.

ولكن ما يجب التنبّه إليه هو تجنب إسقاط مواقف مسبقة على الأشكال الواقعية لصراع الأجيال في المجتمعات العربية، وخصوصا تجنب النظر إلى العلاقة الصراعية بين الأبناء والآباء على أنها محكومة حصرا بتوجه الأبناء نحو الحداثة والعصرنة خلافا للآباء. فهذا التصور ذو بعد واحد، وهو يغفل الاحتمالات الكثيرة للتباين في وجهات النظر بين الأبناء والآباء التي قد تستند إلى مرجعيات أخرى غير مرجعية الحداثة، وقد تكون المرجعية الدينية هي السند الذي يستخدمه الأبناء في ممارسة اختلافهم مع جيل الآباء بشكل واع تماما. فمنذر (17س، اليمن) يتبنى إلى حد بعيد قيم الكبار، وبدا ذلك واضحا حين طلب إليه وصف سلوك المراهقين إذ استخدم الأوصاف والانتقادات نفسها التي يستخدمها الكبار ("انحراف" المراهقين، اعتراض على إعطائهم المال والسيارات والهاتف الجوال، عدم الاهتمام بالتربية الدينية...). لكن ذلك لم يمنعه من التصريح بوجود صراع الأجيال في المجتمع اليمني "فعلا أرى هنا في مجتمعنا ما يسمى بصراع الأجيال بين الآباء و الأبناء لاختلاف العصر الذي يعيشه هؤلاء الأبناء عن العصر الذي كان يعيشه الأباء سابقا، وذلك للتطور الذي حدث. ويقول عمر بن الخطاب علموا أولادكم فإنهم خلقوا لزمن غير زمانكم".

■ **الحيلة :** عندما يكون الضغط قويا وتريد الأم أن تمتثل البنت لذوقها، تلتجئ المراهقة إلى الحيلة فتتظاهر بالطاعة. وما إن تكون خارج البيت حتى تستخدم ما في حوزتها من وسائل لتغيير مظهرها وتتصرف بحرية. وهذا ما تقوله نرمين (18س، مصر) التي تريد أمها أن تلبسها بطريقة "كلاسيكية" وهي ترفض أن تكون على هذه الهيئة لأنها تظهرها في سن أكبر من سنها الحقيقي. وفي الاتجاه نفسه، يقول أحمد (17س، تونس) الذي يعتبر نفسه ضحية التسلط الأبوي، إن العائلة في نظره فضاء لممارسة سلطة مفرطة وإن افتقاره للوسائل الضرورية للمواجهة، يجعله يجاري الآخرين في شيء من النفاق وعن غير اقتناع. وهو يرى أن السلطة بالبيت تتلخص بالنسبة إليه في عدم السماح له بالعودة بعد منتصف الليل.

■ **التفاوض والإقناع :** لا تتردد نجاة (18س، تونس) أمام والد تقليدي ولكنه مستعد للنقاش عن تأكيد رأيها والتفاوض معه بتوخي أسلوب "تربوي" حتى تجعله يغير رأيه. وهي تصرّح بأنها غالبا ما تكون على خلاف معه لأنه يميل إلى الحكم على النساء حسب المظاهر وله صور سلبية عنهن، فتسعى نجاة جاهدة إلى مناقشته حتى تثبت له أن حكمه خاطئ. فكثيرا ما تقول له "ليس الشكل الظاهر هو كل شيء"، فقد تكون الفتاة "محترمة" في سلوكها رغم أن لباسها غير تقليدي (عادي) وتجد أخرى ترتدي الحجاب دون أن يكون سلوكها نموذجيا. وهكذا ترى نجاة أن أفكار والدها حول منزلة الرجل والمرأة ماضوية، فبالنسبة إليه ينبغي ألا تخرج المرأة وألا يكون لها نشاط خارج البيت. أما هي فترى أن للمرأة حقوقا ينبغي أن تكون مستعدة دائما للدفاع عنها وأن تنخرط في تفاعل يمكنها من التعبير عن موقفها.

■ **قبول ما هو معقول :** وتتقبل المراهقات رقابة "معقولة" من الأهل لأن ذلك دليل على الاهتمام بهن، بل على حب صريح كما تعبّر عن ذلك سامية (15س، البحرين) "والداي لا يفتشان أغراضي ولا يتنصتان على مكالماتي الهاتفية، إلا أني لا أخرج إلا بعد إعلامهما أين سأذهب ومع من وساعة الرجوع، فإذا لم يسألاني أشعر كأنهما لا يهتمان بي". وتؤكد ليندا (17س، الجزائر) مشروعية سلطة الوالدين والثقة التي يضعها المراهقون فيهما "علينا أن نطبق ما يطلبه منا آباؤنا، وإذا قدموا لنا نصائح فيعني أنها صالحة لنا ومفيدة ويدركون مضمونها وأهميتها فهم لا يريدون لنا المضرة، علينا أن نطيع أهلنا وليس الأشخاص الآخرين لأنهم سيئون".

■ **القيام بما يرضي الأهل :** من الاستراتيجيات التوفيقية التي تتوخاها المراهقات والمرهقون لتجاوز رقابة الأهل والتمكّن من الانفتاح على العالم الخارجي هو الاندماج في مجموعة الأقران والأصدقاء. فالأصدقاء الذين يتم اختيارهم بعناية ووفق معايير ترضي الأهل وإن ظاهريا، يطمئنون الآباء والأمهات ويوفرون للمراهقات والمراهقين فرص الالتقاء واكتساب موارد جديدة.

■ **التمرد :** يوجد اتجاه آخر وهو اتجاه الرفض والتمرد الذي تنخرط فيه مراهقات أخريات يطال انتقادهن أسس التربية المعيارية والمتسلطة التي تلقينها. ونجد هذا الموقف لدى مراهقات يعتبرن العائلة مؤسسة قوية ولكنها شبيهة بالدائرة المغلقة. تقول هالة (17س، الجزائر) "أخاف أن لا يثق بي والداي، وأنا أدرك ما أفعل أحيانا، عندما أكون بعيدة عن البيت بالمعهد يقولان في

الموضوع وأقدّم لهم أعذارا أخرى. فأقول لهم إني كنت عند صاحبي أدرس... يعني الكذب هو أحسن وسيلة". إن عقد الثقة يقضي بألا يطالب الأهل بمعرفة كل شيء وألا تشعر المراهقات والمراهقون بالحاجة إلى التصريح بكل ما يخصهم. غير أن الحرص على الشفافية، إن تصريحا أو تلميحا، يميز العلاقة بين المراهقة وأمها، فالشعور بضرورة قول كل شيء وبعدم وجود موضوعات محرمة يصبح في بعض الحالات حاجزا أمام بناء شكل آخر من العلاقة.

■ **المثابرة والإلحاح :** تبدو المثابرة السمة المميزة لطريقة تعامل يمنى (17س، تونس) مع الرقابة العائلية، فهي تؤكد "قطعا، ينبغي أن نبدي للأب الاحترام والتقدير، فرأيه هو السائد في نهاية الأمر... وهذا لا يمنع من أن أبدي رأيي. وعندما أجبر على القيام بعمل ما، لا أتردد في القول بأني غير مقتنعة، وتراني أتحيّن أول فرصة للقيام بعكس ذلك، ولكن أفضل النقاش أولا". تصادف يمنى وضعيات يقتصر دورها فيها على الاستماع دون نقاش، تقف أمها إلى جانبها، وتدافع جدتها للأب عن موقف والدها وهذا ما يثير خلافا وربما صراعا بين الجميع. ولكن حين تدرك يمنى أن مصلحتها في الميزان، تنتظر هدوء الزوبعة وتعود إلى الموضوع ثانية لتبين لوالدها أنه على خطأ ولكنها لا تجادل عندما تتيقن أن موقف الآخر صحيح وصادق. وهي ترفض الامتثال إذا ارتابتها بعض الشكوك لأنه "ليس كل ما يقوله الآخرون صحيحا". و"الآخرون" بالنسبة إليها هما الأب والجدة "اللذان لهما "عقلية الماضي" ولا يدركان أن العالم قد تغير وكذلك الناس، وما كان يقع سابقا لا يسمح به اليوم... ولو فرضنا أن الأب يريد تربية ابنته حسب مبادئ صارمة، عليه أن يتحدث معها ويناقشها وليس له أن يجبرها على الخضوع والانصياع". فالنقاش ضروري حتى يقتنع كل طرف برأي الآخر.

■ **الامتثال وخفض التوقعات :** "لا تطلب إلا المستطاع"، هذه هي القاعدة التي اختارتها سميرة (15س، لبنان) التي تريد أن تكون "فتاة نموذجية" ومطيعة، "لم يقع بيني وبين أبي أي خلاف أبدا حول أي موضوع، أستجيب لكل رغبات أمي، ألبس وأخرج حسب رغبتها، وإذا أرادت أن تأخذني معها وأنا لا أميل إلى ذلك فإني أرافقها، لا يمكن لي أن أعارضها. تريد أمي أن توافق على الأماكن التي أرتادها مسبقا فإذا رأت أن المكان الذي سأقصده غير محبّذ فإنها تمنعني من ذلك، ولذلك لا أطلب إلا ما لا ترفض". ليست سميرة الوحيدة التي تبنت استراتيجيا الامتثال، فأميرة (15س) وهبة وندى (16س) من لبنان صرحن بأنهن يتخلين عن كثير من الأمور التي يرغبن فيها وتعجبهن ويفضلن الخضوع لإرادة الأم للحصول على الطمأنينة وعلى راحة البال. يميز سلوك الامتثال والطاعة بعض المراهقات اللاتي كانت تربيتهن متسلطة وضاغطة، فتعرضن إلى العقاب الجسدي من قبل الأب أو الأخ نتيجة رفض الانصياع. نجد كذلك بعض المراهقات المغربيات اللاتي يتقبلن دون نقاش الحد من حريتهن في الخروج وفي العلاقات الاجتماعية ويوافقن على ذلك أهاليهن الذين يتذرعون بحجة أن الفضاء العام لا يخلو من احتمالات التحرش الجنسي، مثل إيمان (15 سنة) فهي تمتثل "إراديا" لأوامر أمها التي تمنعها من الخروج.

إن الامتثال والطاعة هما من عناصر مكانة المراهق في المجتمعات التي تقدّر عاليا علاقات السلطة، كما يوضح ذلك وليد (18س، البحرين) بقوله "أمي، اخوتي، الحي، الدولة، إنها السلطة المفروضة عليّ والتي ينبغي احترامها، قد يقعون في خطأ، ولكني مضطر إلى الخضوع لهم لأنهم أكبر منّي".

المستجوبين في الدراسة الميدانية. وحتى في حال بروز خلاف في الرأي فهو لم يصل بالنسبة إلى الغالبية إلى مستوى تهديد العلاقة بين الأهل والأبناء إلا في الحالات الخاصة التي تتميز إما بتشدد كبير من طرف الأهل مصحوب باستخدام العنف أو ممارسة السلطة بشكل اعتباطي، أو في حالة التفكك الأسري.

يغلب الطابع العاطفي والأخلاقي على موقف الأبناء من الأهل، أكثر مما يغلب المنطق والتحليل العقلي والناقد للمساهمة الفعلية التي قدمها الأهل في تنشئة المراهقات والمراهقين. وهذا أمر طبيعي ومفهوم في نسق العلاقات والأدوار الاجتماعية في المجتمعات العربية، مع نوع من التفاوت يعود إلى بعض الخصائص الاجتماعية والتجارب الخاصة. ولكن المراهقات والمراهقين مع إقرارهم الذي سبقت الإشارة إليه، يستعملون غالبا صيغة الماضي في خطابهم حول دور التنشئة الذي قام به الأهل وكأنهم يعبّرون بشكل غير مباشر أو غير واع أحيانا، عن رغبتهم في الانطلاق نحو مرحلة تتميز باستقلالية أكبر، وتوحي برغبتهم في جعل أمر بناء شخصياتهم المستقبلية مسؤوليتهم الشخصية.

لقد وصف 57.5٪ من الشبان و62.7٪ من الشابات في سوريا علاقتهم بالأهل بأنها علاقة محبة وتفاهم، ووصفها 35.1٪ من الشبان و 31.6٪ من الشابات بأنها علاقة احترام متبادل[6]. ووصف 83.3 ٪ من الشبان و77.3٪ من الشابات في مصر، هذه العلاقة بأنها كذلك علاقة احترام متبادل. وفي تحقيقين استطلاعيين أجريا في إطار الإعداد لهذا التقرير في كل من البحرين ولبنان، تبين أن 74٪ و87٪ من المستجوبين يعتبرون علاقاتهم بآبائهم ممتازة أو جيدة، و95٪ و87٪ يعتبرون أن علاقاتهم بأمهاتهم ممتازة أو جيدة[7]. وتتطابق هذه النسب مع الميل العام الذي سجل في المقابلات المعمقة مع المراهقات والمراهقين، وهو ما يعزز الاستنتاج بأن غالبيتهم يولون أهمية كبيرة للعلاقة مع أهاليهم، ويميلون إلى نسج علاقات انسجام معهم.

## رسم بياني 3.2 : العلاقة مع الأسرة والأصدقاء

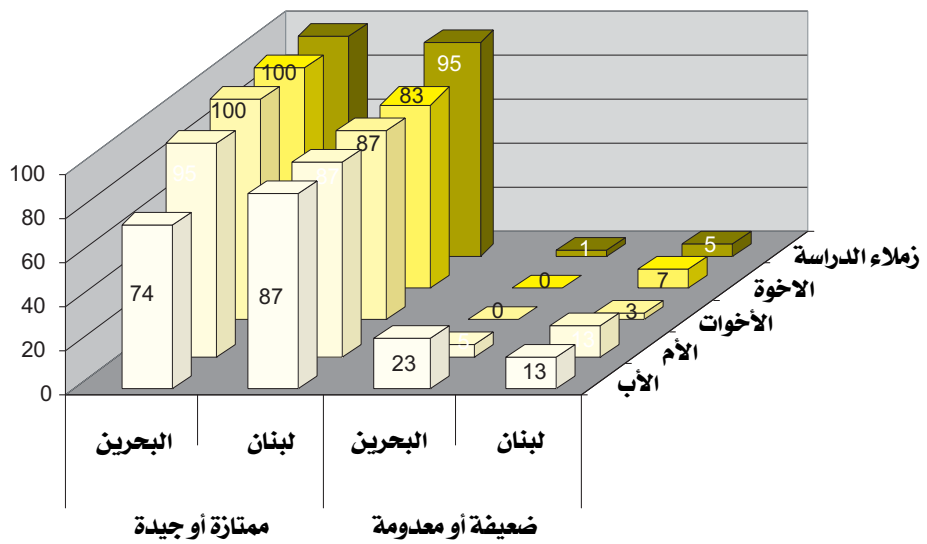


(6) مشكلات الشباب التربوية والاجتماعية والصحة الإنجابية، مشروع التربية السكانية سوريا، 2000.

(7) تم تنفيذ استطلاع رأي في كل من البحرين ولبنان تناول عددا من المسائل المثارة في هذا التقرير. شمل الاستطلاع في البحرين عينة من 285 مراهقة ومراهقا (13 - 18 سنة)، وفي لبنان عينة من 125 مراهقة ومراهقا (15 - 18 سنة). وقد تم اختيار العينة وفق معايير مشابهة لعينة المراهقات والمراهقين الذين شملتهم المقابلات. وقد تم اعتماد نتائج هذا الاستطلاع باعتباره مصدرا ثانويا لتدعيم أو تدقيق تحليل مضمون المقابلات.

قرارة نفسيهما ربما تقوم بأعمال غير مقبولة، لا أستسيغ ذلك لأني كبيرة وأتحمل مسؤولياتي، عندما يشاهداني برفقة شاب فإنهما لا يحبذان ذلك، وأنا أقول لهما دائما : أعرف جيدا أين أضع قدمي". أما مريم (18س، الجزائر) فترفض أن ينظر إليها دائما كقاصرة "أمنع أحيانا من الخروج فأشعر بالاختناق وتصبح الطاعة المستمرة لا تطاق وتراني أضطر إلى العصيان".

■ **العصيان والابتعاد :** وقد يصل الأمر إلى حد أن يغادر بعض المراهقين المسكن العائلي نتيجة خلافات مع الأهل ويقيمون مع أصدقائهم أو مع بعض أفراد العائلة الآخرين. ويفكر غيرهم في الابتعاد عن السكن المشترك كمرحلة تمهد للرحيل. محمد (17س، مصر) قرر الاستقلال عن العائلة "يريد أبي أن أختار توجها تقليديا، أن أصبح مهندسا ناجحا يتقاضى أجرا محترما وأن تكون لي زوجة... وأولاد. أما أمي فإنها تريد أن أتصرف حسب رغبتي وأسافر لأبني مستقبلي ثم أستقر". ولكن ما سهل على محمد قرارا كهذا، هو أن والديه مطلقان، إذ يكون ترك المنزل في ظل استمرار الزواج أمرا أقل احتمالا.

بشكل عام يعتبر الحصول على ثقة الأهل واستحقاقها هاجسا قويا لدى المراهقين والمراهقات على وجه الخصوص، مما يجعلهم ينتهجون سلوكات تطمئن الأهل وتحد من تخوفاتهم، مثل الرقابة الذاتية والتحكم في النفس في مختلف الوضعيات المعيشة بالفضاء العام، مع احترام قواعد السلوك المتفق عليها والتي ترمي إلى التوفيق بين الميل إلى الاستقلالية والاستجابة لانتظارات الآباء.

## 2. العلاقات مع الأهل والانسجام العائلي

تدل مختلف الاستراتيجيات التي تتبعها المراهقات والمراهقون لمواجهة الضغوطات التي يتعرضون لها داخل الأسر أو لتفاديها أو للتكيف معها، وخصوصا الرقابة التي يمارسها الوالدان، على الحقيقة المزدوجة التي سبقت الإشارة إليها والمتمثلة في القيمة العاطفية والواقعية الكبيرة التي يحتلها الأهل والعائلة بالنسبة إليهم من جهة، وحقيقة أنهم غير مستعدين لقبول السلطة المنبثقة عن مكانة الأبوين دون مساءلة من جهة ثانية. لذلك فهم يبحثون بطريقة واعية أو لا واعية عن بناء علاقات جديدة مع الأهل تستجيب لرغباتهم ومتطلباتهم وتعطيهم مجالا أكبر للحرية الشخصية.

فكيف يتجلى الانسجام أو الخلاف بين المراهقات والمراهقين، وبين آبائهم وأمهاتهم في ثقافة تثمن عاليا الأسرة وأدوار كل من الأب والأم ؟

يقرّ الأبناء عموما بالدور المحوري الذي قام به الآباء والأمهات في حياتهم "أبي وأمي هما أهم شيء في حياتي"، كما تقول نرمين (18س، مصر)، "إنهما أول الأشخاص الذين عرفتهم وعلّماني ما أعرفه اليوم، غير أن الإنسان عندما يكبر يكتشف أن الحياة أوسع من عائلته وتوجد أشياء لا يتعلمها من أهله البتة. ونظرا إلى أن الأم والأب يخافان على أبنائهما فإنهما لا يتكلمان بصراحة وقد لا يتكلمان بالمرة". وهذا ما يدعم فكرة أن الأهل هم "الآخرون الدالون" (بمعنى الأهمية والتوجيه) الذين يتكفلون بتنشئة الابن اجتماعيا، فيتوسطون بينه وبين العالم ويختارون الأبعاد التي يرون أنها ضرورية له"[5]. وبشكل عام، فإن الموقف نفسه يتكرر عند معظم

**(5)** Berger (P.) et Luckman (T.), La construction sociale de la réalité, Paris, Méridiens/ Klincksieck, 1989.

يتعاطفون غالبا مع الأم - الضحية. ويلاحظ هنا بعض الحالات التي يحصل فيها تعاطف بين الابن والأب، خصوصا في الأسرة التي تتبنى مفاهيم ذكورية بشكل قوي، يقابله تعاطف مضاد بين الابنة والأم.

وفي غالبية الأسر الأخرى، نجد تنوعا في تقييم العلاقة مع الأب والأم حسب اعتبارات تتعلق غالبا بخصائص أفراد الأسرة والعلاقات داخلها ولا ينسحب التقييم نفسه بالضرورة على كل المجالات بالمستوى نفسه. ولكن غالبية المستجوبين عبروا إجمالا عن أن علاقتهم بالأم أفضل من علاقتهم مع الأب، خصوصا بالنسبة إلى المراهقات. ويعود ذلك من جهة إلى أن الأم تمضي وقتا أطول في المنزل حسب التقسيم الاجتماعي للعمل. وهو ما يجعل الأم مسؤولة عن متابعة تفاصيل الحياة اليومية للعائلة وللأبناء والبنات خصوصا، مما يتيح لها مجالا علائقيا متميزا معهم. وبما أن البنات أيضا يمضين وقتا أطول في المنزل ويتم تأهيلهن اجتماعيا لدور الزوجة والأم مستقبلا، فإن ذلك يزيد من حيث الوقت والمضامين مساحات التفاعل مع الأم.

إن هوية المراهقة تتهيكل وتنبني بالدرجة الأولى في علاقتها مع الأم أكثر منها مع الأب، فتبدو الأم الفاعل الأساسي في تنشئة الفتاة اجتماعيا والآخر "الأكثر دلالة". فهي في الوقت نفسه النموذج والمرشدة أو الموجهة وأهم مصدر للمعلومات والمرافقة في التجربة الاجتماعية. إنها تصغي وتطمئن وتوجّه وتوافق وتشجع وتتوسط، ولكنها أيضا تقيّم وتنقد وتمنع.

وفي استطلاعي الرأي اللذين أجريا في كل من لبنان والبحرين في إطار التقرير، تبين أن 87٪ من أفراد العينتين اعتبروا علاقتهم مع الأب والأم جيدة أو ممتازة، في حين تراوحت هذه النسبة بين 74٪ بالنسبة إلى الأب و95٪ بالنسبة إلى الأم في البحرين. ويصبح هذا التقييم أكثر إيجابية لصالح الأم في البلدين إذا فصلنا بين تقييمي "ممتازة" و"جيدة". ففي لبنان، وصف 62٪ من العينة علاقتهم بالأم بأنها ممتازة مقابل 25٪ وصفوها بأنها جيدة (المجموع 87٪)، في حين أتى تقييم العلاقة مع الأب 44٪ ممتازة و43٪ جيدة (مجموع 87٪). وفي البحرين وصف 9٪ علاقتهم بالأب بأنها ممتازة و65٪ بأنها جيدة، مقابل 18٪ وصفوا علاقتهم بالأم بأنها ممتازة و77٪ وصفوها بأنها جيدة. تدعم هذه النتائج ما تبين من خلال المقابلات في كلا البلدين، وهو ما يتصل اتصالا وثيقا بالتحولات التي عرفتها الأسرة في كل من المجتمعين اللبناني والبحريني. ويمكن اعتبارهما نموذجين لردود فعل متفاوتة في خصوص مؤثرات العولمة على الأسرة العربية، وهو ما يبين تأثير العوامل المختلفة على العلاقة مع كل من الأب والأم.

بيّن المثالان عموما أنه حتى عندما تكون العلاقة جيدة مع الأبوين، فإن العلاقة مع الأم تكون أكثر متانة وحميمية. ويبرز هذا الميل إلى الأم في المثال البحريني بقوة أكبر. ويرتبط عموما بغياب الأب عن المنزل واهتمامه بالعمل وتأمين الدخل لتوفير مستلزمات العائلة في مجتمع استهلاكي. وتبقى العلاقة مع الأم قوية على الرغم من شيوع الاستعانة بالخادمات الأجنبيات في المجتمع البحريني، التي يبدو أنها لم تؤد دورا في إضعاف علاقة الأبناء بالأم، بل ربما أزال مصدرا من مصادر الخلاف الناجم عن القيام بالأعمال المنزلية. ولكن هذا التقييم لا يطال الأبعاد المتعلقة بالأدوار التربوية للأم والأب ومسألة الحوار مع الأبناء والروابط داخل الأسرة. كل هذه عناصر تأثرت سلبا بالاستعانة بالخادمات الأجنبيات.

ويتجلى من أجوبة المراهقين في مختلف البلدان العربية، أن الإناث أكثر تعلقا بالعائلة من الذكور. وتصرح المراهقات أكثر من المراهقين أنهن لا يخفين شيئا عن الأهل، وأنهن يتقاسمن كل شيء مع الأم والأب والأخت، وأنهن محل ثقة الأهل. ويستخدمن تعبير الثقة بالذات في وصف موقف الوالدين منهن، وذلك على الرغم من تعرضهن للرقابة المشددة والمنع من الخروج، وكأن الثقة تعبر عن العلاقة المرغوب فيها، وعن تطلّب المراهقات لهذا النوع من العلاقة أكثر مما هي تعبير عن ممارسة فعلية في بعض الحالات.

أما بخصوص علاقة الاحتكاك مع الأهل، فإن المراهقات والمراهقين يحكمون على آبائهم وأمهاتهم من خلال منظور علائقي أكثر منه من خلال الأدوار المرتبطة بمكانتهم، ويأخذون عليهم الإفراط في المطالبة بالانضباط وضعف تطور عقلياتهم، وينتظرون منهم احتراما أكثر وعدم اللجوء إلى العنف. تميل المراهقات أكثر من المراهقين إلى ربط "كفاءة" معاملة الآباء لأبنائهم بالرأسمال الثقافي. فمن يعتبر أكثر تفهما وقدرة على إقامة علاقات حوارية هو من لديه مستوى تعليمي عال، أما الأميون منهم فيجدون صعوبة في الحصول على تقدير أبنائهم وفي تقبل المقارنة مع الأهل الآخرين أو مع المدرسين. وحين تواجه المراهقات والمراهقون خلافا ما مع والديهم، فإنهم يميلون غالبا لإيجاد المبررات و"الأسباب التخفيفية" التي تتمثل في اختلاف العقليات وفي ما ينسب إلى الآباء والأمهات من أدوار حسب المنظور التقليدي الشائع. فالأم يجب أن تكون قلقة على أبنائها وأن تخاف عليهم وتدعوهم إلى الحذر والصبر، والأب يجب أن يكون حازما في بعض الأمور وأن يمارس بعضا من سلطته لكي يشعر بالرضى وبأنه يقوم بدوره كأب. والأبناء يتسامحون إزاء ذلك طالما بقي ضمن حدود الوضع الطبيعي (مرة أخرى يعود مصطلح "الطبيعي" وكأنه مصطلح سحري يقدم جوابا موحدا على الأسئلة المستعصية).

## أ- العلاقات مع الأم : انسجام وتوتر

اعتبرت المراهقات والمراهقون أن علاقتهم بوالديهم جيدة عموما مع وجود بعض نقاط الخلاف. ويتفاوت تقييمهم لهذه العلاقة بحسب مجموعة من العوامل شديدة الاختلاف، والتي يدخل فيها بالتأكيد المناخ الاجتماعي العام والمؤهلات والخصائص الفردية لكل من الأب والأم وخصائص العلاقة التي تربطهما مع الابن و/أو البنت، بالإضافة إلى العلاقة الزوجية بين الوالدين التي تشكل أيضا أحد عناصر التقييم الإيجابي أو السلبي لكليهما.

في الأسر المفككة أو التي تعيش حالات نزاع وعنف غير مألوف، لا يكون أمام الابن أو البنت خيار فعلي للمقارنة والتقييم. ففي حال وفاة أحد الوالدين، نجد الأبناء يندفعون عادة إلى بناء علاقة وجدانية أقوى مع من بقي حيا منهما، مع احتمال بروز دور إضافي للأخ أو الأخت الكبيرين أو أحد الجدين. أما في حالة الطلاق أو الانفصال، فإن الأمر يتوقف من جهة أولى على من يعتبره الابن أو البنت مسؤولا عن الانفصال ومن يصنفونه ظالما أو مظلوما، كما يتوقف على أي منهما الذي يتولى رعايتهما. وقد بدا هنا بشكل عام تعاطف مع الأم خصوصا إذا كانت قد تركت المنزل وتزوج الأب من ثانية. فيلاحظ وجود رابط عاطفي قوي مع الأم وعناصر توتر مع زوجة الأب. وفي وضعية الأسر التي تعيش بعض حالات العنف غير المألوف، فإن الأبناء

**رسم بياني 5.2 : نسب الشباب الذين يطلبون مساعدة لحل مشكلة شخصيّة-سوريا**

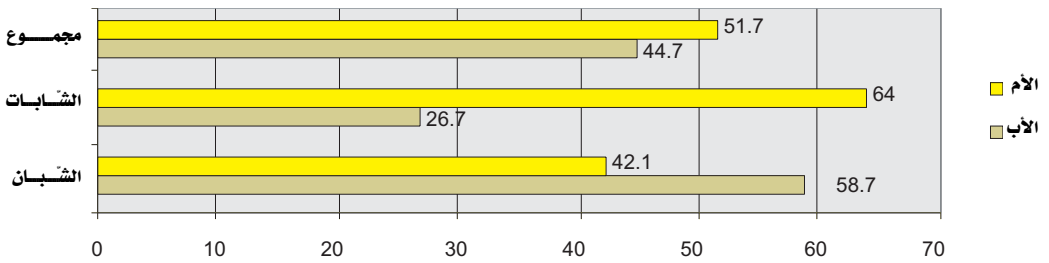


**المصدر:** مسح صحة الأسرة في سوريا

لقد نظر أحيانا إلى العلاقة بين الأم والبنت نظرة سلبية، مقيدة ومعوقة لاستقلالية المراهقات، ولكن نادرا ما اعتبرت الأم حاجزا أمام تطورهن الشخصي. فمعظم المراهقات المصريات صرحن بفضل أمهاتهن في نجاحهن في الدراسة وفي المجال المهني وأرجعن نجاحهن إلى الحرص على تحقيق أحلام الأم. ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد توتر بين الأم والبنت، فسامية (15س، البحرين) تقول إن والديها متعلمان ولهما عقلية متفتحة إلا أنه غالبا ما تنشب خلافات مع أمها "عندما أريد أن أخرج مع صديقة وأمي لا تعرف والدتها ينبغي أن يكون لي طاقة كبيرة لإقناعها حتى تسمح لي برؤيتها وملاقاتها، فأمي لا تقتنع بيسر. وتبرز الخلافات كذلك في نهاية العطل، قبل العودة إلى المدرسة بأسبوع، إذ تلقي على مسامعنا محاضرات حول ضرورة تجنب السهر إلى ساعة متأخرة". وسامية، مثل مراهقات كثيرات، تعارض وترفض في البداية إلا أنها تتقبل في النهاية ما تفرضه الأم من انضباط إذ تعتبر مطالبها "معقولة". وتقول ليندا (17س، الجزائر) "تود أمي أن تعرف من أخالط، مع من أتجول، لأنها تخاف علي، هي تثق بي، ولكن أحيانا تريد أن تتأكد. ففي سني يكون الإنسان سريع التأثر، لذلك ترغب في معرفة من هم أصحابي وكيف هم ؟".

في هذا الإطار، تبين أن الموقف الإيجابي من الأم ليس مطلقا، وأساسه الأول عاطفي يتعلق بالتفهم والدعم ضمن الأسرة، علاوة على الإرشاد والتوجيه. ولكن الموقف يتبدل لصالح الأب أو لصالح أشخاص آخرين، في حال توسع دائرة القضايا التي يشملها التفاعل بين الأبناء والبنات وبين الأم (والأب) وبممارسة الأم رقابة مشددة على الأبناء، وبتوسع نطاق الرقابة إلى الدائرة العامة حيث تقتضي متطلبات النصح والإرشاد توفر مؤهلات ورأسمال ثقافي وعلائقي أكثر أهمية. وبشكل عام، تكررت ظاهرة بحث المراهقات باستمرار عن مبررات لسلوك الأمهات ومواقفهن، فانعدام التفهم لديهن والنزعة التسلطية في التربية ينسبان إلى ضعف التجربة الاجتماعية. كما أن محدودية المستوى التعليمي وعدم دخولهن إلى سوق العمل يجعلانهن أقل استعدادا لقبول فكرة أن الأبناء قد كبروا وأصبحوا في حاجة إلى اهتمام خاص وإلى الحرية فضلا عن الحب. وعموما، ترى المراهقات بأن الأمهات لا يثمنّ دائما أشكال التعبير الحر وخصالهن ومواهبهن. والمراهقات اللاتي يتمتعن بنوع من الاستقلالية هن من ينتقدن أكثر الأمهات لعدم الاعتراف بهن وبإنجازاتهن وبحقوقهن، ولاسيما التطلع إلى استقلالية أكبر. وهذا ما يدفعهن إلى الابتعاد عن الموقف الذي يقوم على تفضيل العلاقة مع الأم. ولا يؤدي التفضيل بالضرورة إلى تراتبية صارمة وثابتة، بل قد يتعلق الأمر "بأفضليات مقارنة" في مجالات مختلفة مما يجعل العلاقة مع الأهل متعددة المستويات، حسب المجالين الخاص والعام وحسب

## رسم بياني 4.2 : العلاقة مع الأب والأم - لبنان والبحرين

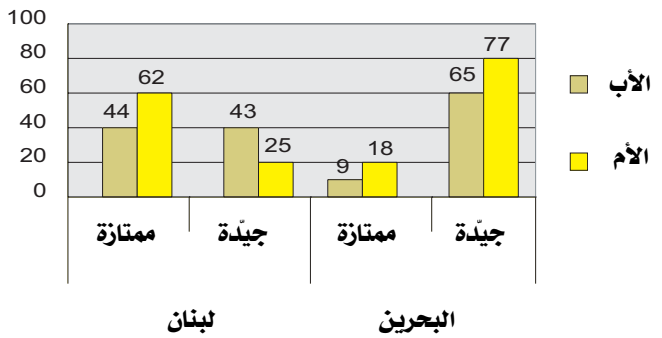


هكذا تعتبر مريم (14س، البحرين) أن علاقتها بأمها جيدة "وبعض الأحيان فيها صداقة، نخرج معا، وبعض الأحيان أزعل منها على الأشياء التي تفعلها، أما أبي فعلاقتي به علاقة مجاملة، فهو له عكس صفاتي"، وكذلك جاسم (18س، البحرين) الذي يقول "علاقتي بأمي قوية كوني أقرب لها وأن شخصيتي تشبه شخصيتها أكثر وتفكيري أقرب لتفكيرها، وحبي لها حب شديد وأحس أنها أعطتني الكثير لأصل إلى ما أنا عليه، وعلاقتي بها علاقة تفاهم كبيرة وأستطيع أن أكلمها في أي شيء". وتمتد هذه العلاقة المميزة مع الأم في مثال البحرين إلى العلاقة مع الأقارب، حيث أدى ذلك إلى جعل العلاقات مع عائلة الأم (الخالات والأخوال) أفضل من العلاقات مع عائلة الأب (العمات والأعمام). هذا رأي مريم "أحس أن خالاتي أحسن من عماتي فهن أقرب إلينا ونخرج معهن"، وهذا رأي مواطنها محمد (16س) أيضا "علاقتي بأهل أمي قريبة وخاصة مع خالي وخالتي وأزورهم بانتظام. لا أرتاح لعلاقتي مع أهل أبي كما بالنسبة إلى أهل أمي، لأن أسلوبهم وطريقة حياتهم وتفكيرهم مختلفة، وفي بعض الأحيان أتضايق من أسلوبهم ومعاملتهم وأحاول أن أقوم بزيارتهم وأضع الخلافات وراء ظهري". وإذا كانت العلاقة الوثيقة بين الأبناء والأم مدخلا لتعزيز العلاقة مع عائلة الأم من الأقرباء، فإن هذه العلاقة تؤدي بدورها إلى تعزيز مكانة الأم لدى الأبناء بحكم اندماجهم بدرجة أكبر في شبكة علاقات أسرة الأم واستبطان قيمها والشعور بالانتماء إلى نمط عيشها.

تبدو الأم أكثر إيحاء بالأمان من الأب ويلجأ إليها الأبناء والبنات بنسبة أكبر لطلب المساعدة. وتتحدث المراهقة خصوصا مع الأم وتستشيرها لشعورها بأنها الأقرب إليها. فالأم أكثر حضورا وتفرغا من الأب، وتؤدي دور الوسيط بينه وبين الأبناء خاصة الإناث منهم. وهي التي تعرّف ابنتها بالمسائل الصحية والجنسية وتتعاطف معها وتقوم بالمتابعة اليومية لدراستها وتوجه اختياراتها وسلوكها في الفضاء العام. فقد بين مسح صحة الأسرة في سوريا[8] أن 51.7٪ من الشبان والشابات (15-24 سنة) يطلبون مساعدة الأم في مواجهة مشكل شخصي مقابل 44.7٪ للأب. وتبلغ نسبة من يطلبون مساعدة الأب من الشابات 26.7٪ فقط، مقابل 42.1٪ من الشبان يطلبون مساعدة الأم. في حين يصل لجوء الشابة إلى أمها إلى 64٪ مقابل 58.7٪ نسبة لجوء الشاب إلى والده. ويرجع ارتفاع نسبة لجوء الفتيات إلى الأم إلى البحث عن التعاطف والحماية داخل الأسرة ولا سيما في مواجهة ضغوط الأب أو الاخوة. ففي هذا الجانب بالتحديد يكمن تفضيل نائلة (18س، تونس) لأمها، فهي تتعرض لمضايقات أخيها الذي يمارس الرقابة عليها بالشراكة مع الأب وبدعم منه، فتصبح الأم هي الجهة الوحيدة داخل الأسرة التي تحصل منها نائلة على بعض التعاطف والدعم في مواجهة أبيها وأخيها.

**(8)** مسح صحة الأسرة في الجمهورية العربية السورية، التقرير الأولي، رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للإحصاء، جامعة الدول العربية، 2002.

إلا أن أشكالا جديدة من العلاقات بدأت تظهر في الأوساط التي ترنو إلى الحداثة، حيث استعاض الأب عن مظاهر السلطة بالصلات الوجدانية والتقارب. ففتحية (16س، تونس) تقول إنها تفضل الحوار مع والدها، وهو مدير وكالة تكوين وتدريب، وتجده أكثر تفهما وتسامحا من أمها. وتفسر هذا الاختلاف بينهما بالعمل الذي يمارسه والدها وببقاء والدتها بالبيت طوال الوقت. فالبنت حين تتشبه بالأم، ففي دورها كأم بالأساس، وحين تتماهى بالأب، فلأنه يمثل صورة النموذج الاجتماعي بالنسبة إليها.

ورغم ما توجهه المراهقات والمراهقون من انتقادات للآباء، فإنهم يظلون بالنسبة إلى كثير منهم القدوة والمثال إذ يصرحون بأنهم سيربون أبناءهم على منوال التربية التي تلقوها من والديهم مؤكدين بذلك الحاجة إلى مرجعيات وقواعد ثابتة. وقلما يعاد النظر في شرعية سلطة الآباء شريطة ألا ينظر إليها كسلطة غاشمة واعتباطية أو دون مبرر. فالمراهقون يقبلون انعدام التكافؤ بين مكانتهم ومكانة آبائهم إذا لم ينف ذلك الاحترام المتبادل بينهم. إن سلطة الأب (أو الأم) في نظر المراهقين إناثا وذكورا، هي قبل كل شيء مكوّن من مكونات مكانة الكبار الذين يستمدون شرعيتهم من كونهم أصحاب خبرة ودراية تجعلهم أكثر قدرة على الحكم السليم. أضف إلى ذلك مكانتهم باعتبارهم الأهل، ليحتلوا على هذا الأساس موقعا يؤهلهم لتحديد صالح أبنائهم أكثر من أي شخص آخر. وليس من النادر أن تعتمد المرجعية الدينية لدعم تلك التصورات التي تضفي نوعا من القدسية على مكانة الآباء وتجعل طاعتهم واجبة مثل طاعة الله. يقول عثمان (18س، اليمن) "الله عز وجل أمرنا بطاعة الوالدين فطاعة الوالدين واجبة" ويقصد طاعة الأب تحديدا. فعثمان وعدد من المراهقين من مختلف البلدان يؤمنون بضرورة أن تلزم المرأة البيت إذ أن دورها يقتصر حسب رأيهم على رعاية أبنائها وزوجها وطاعة هذا الأخير. فهي بذلك غير مشمولة بواجب الطاعة طالما أن السلطة الفعلية داخل الأسرة هي بيد الأب وحده. ويبرز هذا الموقف بشكل خاص في المقابلات اليمنية بسبب الطابع القبلي للنسيج الاجتماعي وأثره المباشر على العلاقات داخل الأسرة حيث يمكن أن تكون السلطة الفعلية لرجل آخر من الأسرة الموسعة غير الأب، كأن يكون الجد، أو أحد الأعمام ذوي النفوذ في العائلة.

عندما يكون هناك انتقاد للأب، فهو يتعلق غالبا بغيابه وانشغاله عن التواصل مع الأبناء، وبتغليبه دوره كمعيل للأسرة على دوره الوجداني وبإفراطه في استخدام السلطة وصولا إلى استخدام العنف. تقول ماجدة (17س، المغرب) "أبي دائما بعيد عنا. إنه يمارس نفوذا مطلقا وغير قابل للنقاش". وتفسر ماجدة ذلك بكونه ينتمي إلى "الجيل الماضي" "لقد شاخ أبي وليس لنا إلا قبول تصرفاته لأن الإنسان إذا تقدم في السن لم يعد له سوى صوته لرفعه ( للصياح)... علينا أن نتحلى بالصبر". فرغم كونه كبير السن وأميا، يواصل الأبناء احترامه والاعتراف بسلطته وهم لا يعتبرونه فاقد الأحاسيس بمقدار ما يعتبرون أن تربيته التقليدية تمنعه من التعبير عن مشاعره. وبالتالي فإن هذه المشاعر تهيكل العلاقة مع الأب، على الرغم من أنها غير ظاهرة أو لا يعلن عنها صراحة.

وتتحدث يمنى (17س، تونس) عن علاقتها بوالدها الذي يتميز بسلوك عنيف "لا أحس به قريبا منا، فهو يردد دائما : أعمل لأحصل على المال وأعيلك فماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ إنه يظن أن دوره يقف هنا. أنا أريد حب الأب وهو بعيد عنه. عندما يعود إلى البيت فإني أختفي في غرفتي ولا آكل معه البتة".

لقد سبقت الإشارة إلى تقييم جاسم (18س، البحرين) الإيجابي جدا لأمه ولكن بقية حديثه كشفت أبعادا إضافية "... ولكن بعض الأحيان أحس أنها (الأم) بعيدة عني بحكم الأشياء التي حدثت لها في حياتها وبحكم أنها تقوم بحسابات كثيرة في عقلها للأشياء التي حدثت والأشياء التي تحدث والتي ستحدث. هذا ما يجعلني أشعر بالبعد عنها. فأنا لم أعش ماضيها وعلاقتي بها علاقة حب وتفاهم وهي علاقة مفتوحة. وكذلك علاقتي بأبي فهي نفس الشيء لأنه إنسان ذكي ومنفتح مثل أمي، والفرق هو أني أستطيع أن لا يكون هناك حاجز بيني وبينه، أستطيع أن أحاوره في جميع الأمور". وتوضح مواطنته سارة (16س) بشكل أكثر بساطة هذا التمييز، وإن كان الخلاف بين أبيها وأمها قد أسهم في بناء وجهة نظرها "تفاهمي مع أبوي أسهل لأن أمي تخاف علي كثيرا، وغالبا ما تعقد الأمور. أبي قدوة بالنسبة لي، لقد وقعت مشاكل بين أمي وأبي أدت لخروج أمي من البيت، فواجهت كل مسؤولياتها وحدي. أبي كان بعيدا عني تلك الفترة، وكنت أقوم بكل واجبات المنزل وأهتم باخوتي وحدي". وكذلك تميز نهلة (15س، مصر) بين المجالين العام والخاص كمرجعية في تحديد العلاقات والأدوار الخاصة بكل من أمها وأبيها " أمي طبعا مثل كل الأمهات، هي التي تطعمنا وتشربنا وتلبسنا، وهي التي نتخاصم معها أيضا. أبي لا يبقى في البيت كثيرا، ولكن يبدو لي أن كل الأفكار التي في رأسي هي من عنده. هو الذي يدرسنا أحيانا ويصطحبنا في زياراته لأصدقائه ويأخذنا إلى السينما. أمي لا تخرج كثيرا من البيت".

يتعلق التقييم إذن بالتوقعات الخاصة بالمراهقة (أو المراهق) من علاقاتها بالأب أو الأم وبالأهمية التي تحتلها بعض الأبعاد مقارنة بالأبعاد الأخرى في شخصيتها التي هي قيد التشكل وتوقعاتها لمستقبلها الفردي. إن متطلبات المراهقة التي ترى نفسها زوجة وربة منزل في المستقبل، من أبويها، مختلفة عن المراهقة التي تخطط لأن تكون في المستقبل فردا ناشطا اقتصاديا و/أو اجتماعيا و/أو سياسيا.

## ب- العلاقة مع الأب : مسافة وجدانية

بينت المقابلات أن التصور القائم على ثنائية صارمة في تقييم المراهقات والمراهقين للعلاقة مع كل من الأم والأب لا يخلو من المبالغة والتبسيط وأن الميل المرجح لصالح أحدهما في بعض المجالات له أسبابه الكامنة في خصائص المجتمع ومنظومة القيم والتوقعات الفردية.

تتسم العلاقة بين الأب والأبناء في العائلة التقليدية باحترام الحدود والوضعيات التي يرسمها المجتمع بين الكبار والصغار وبين الأهل والأولاد (على أساس العمر، تقسيم أفقي). ويخفف من حدة هذه المسافات والحدود الشكلية كثافة العلاقات العاطفية والوجدانية التي تجمع أفراد الأسرة من جانب، والأدوار التربوية التي تفرض على الأهل التواصل مع أبنائهم لتأهيلهم لأدوارهم الاجتماعية ونقل القيم والسلوكيات إليهم من جانب آخر. وفي الأسرة التقليدية فإن هذه الأدوار المقسمة على أساس الجنس (تقسيم عمودي) هي التي تجعل الأم في هذه الأسرة أقرب إلى ابنتها والأب أقرب إلى ابنه لأن وظيفة إعداده لسن الرشد تقع على عاتقه. وهو ما يفسر وجود مسافة أكبر بين الأب وابنته.

تحظى المنزلة المتميزة للأهل بإجماع معظم المراهقات والمراهقين الذين شملتهم الدراسة وتبرز واضحة في شهاداتهم. وعندما يكون السياق الاجتماعي نفسه سلطويا فإن هذه المكانة تعطي للآباء الفرصة لفرض آرائهم على أبنائهم دون أن يشعروا بضرورة تقديم تفسير لذلك. ولكن في الواقع لا يضطلع الأهل بالسلطة المرتبطة بالمكانة اضطلاعا تاما فيتاح للمراهقة أو المراهق هامش من الحرية النسبية. وقد يعود ذلك أحيانا إلى غياب الأب (أو الوالدين) أوالاستقالة أو انعدام الكفاءة، فلا يتسنى للآباء ممارسة تلك السلطة أو إلى اعتراض الشباب على الأطر والمعايير القائمة باعتبارها خارجة عنهم ومتقادمة أو بموافقة هؤلاء الأهل ورضاهم على إسناد حرية أكبر لأبنائهم بغية صياغة قواعد سلوك شخصية. ولكن حتى في حال توفر هامش الحرية هذا، فهل هو نفسه بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين ؟

## ج- التفـــكك الأســـري وأثـــره

يبرز جليا أثر العائلة على المراهقات والمراهقين خاصة في حالات التفكك الأسري. ففي سياق المقابلات، وردت حالات عديدة تضمنت مستوى مرتفعا من المشاكل داخل الأسرة، تصل إلى حد العنف أو الانفصال، ثم زواج الأب أو الأم مجددا. كما وردت عدة حالات وفاة لأحد الوالدين. وفي هذه الحالات كلها، تبين أن هذه الأحداث كانت الأكثر تأثيرا في حياة المراهقات والمراهقين باتجاهات متعددة، كما عبروا عن ذلك بأنفسهم وبصراحة. وفي بعض الحالات، فإن وفاة أحد الوالدين أو الانفصال، يؤدي إلى تغيير جوهري في حياة المراهقة (أو المراهق) التي ترى نفسها مسؤولة أو شريكة في مسؤولية العائلة، خصوصا إذا كانت أكبر اخوتها وأخواتها. كما يمكن أن يؤدي إلى تعميق الارتباط العاطفي بالذي بقي حيا من والديها.

وفي حالات أخرى، وخصوصا في حالات النزاع الدائم أو الانفصال المصحوب بزواج لاحق، تتكرر النزاعات بين الأبناء وزوجة الأب أو زوج الأم. وتعبّر المراهقات خصوصا عن مشاعر سلبية إزاء هذه الوضعية التي لم يتم تحضيرهن لها والتي ذكرن أحيانا أنها غير مفهومة بالنسبة إليهن. فالخلاف بين الوالدين ينسف كل التصورات المثالية التي في ذهن الأبناء عن العائلة والوفاق الأسري، وهم في طور تشكل شخصيتهم. وغالبا ما اعتبر الخلاف بين الأب والأم من أكثر الذكريات السلبية لدى المراهقات والمراهقين. تقول ورد (17س، اليمن) " من المواقف المحزنة التي أثرت فيّ الخلاف الذي حصل بين أبي وأمي. هما يتخاصمان دائما، ولكن في تلك المرّة بالذات كان خلافا قويا جدا، وقالت أمي لأبي طلقني، وخرجت من المنزل كعادتها لعند أهلها. كان أبي "صورته مقلوبة" وشعرت أنه يريد أن يطلقها فعلا، وقد رأيته يكتب ورقة الطلاق وتأكدت من ذلك. لم أحدثه بالأمر ولكن خالي أتى بعدها وتوسط بينهما وتصالحا وقال أبي إنه لم يكتب ورقة الطلاق. لقد حزنت جدا، وأعتقد أن سبب تراجع أبي هو ضعف شخصيته وشخصية أمي القوية. نحن نحب أبي لأنه طيب وحنون أما أمي فهي نسخة طبق الأصل عن شخصية أبيها وتريد دائما أن تفرض رأيها". يكشف مثال ورد هذا جوانب سلبية في نسق العلاقات ضمن العائلة التقليدية الموسعة، غالبا ما يجري التقليل من أهميته مقارنة بالتشديد على الأبعاد العاطفية والتضامنية ضمن العائلة.

وتفسر يمنى شعورها هذا بغياب الأب المتواصل بسبب عمله في الجزائر وبأنها عاشت دائما مع أمها التي تتحمل كل أعباء العائلة بينما يكتفي الأب بإرسال المال. فلا تشعر بأن غيابه يشكّل أي فراغ في حياتها، وتحس باللامبالاة عندما تحدثها أمها عنه، ولكنها كانت تتذكر أنه عنيف جدا وتلومه على ذلك. فكلما جد خلاف عنيف بين والديها، تجد نفسها في قلب النزاع وتتلقى صفعة مثل أمها التي تحتمي بها. مع ذلك تتذكر يمنى بعض المواقف واللحظات التي شعرت أثناءها أنها قريبة من أبيها، وذلك لما أهداها أقلام حبر مكافأة لها على نتائجها المدرسية الحسنة أو عندما تبرع لها بالدم حين كانت مريضة. ولهذا السبب لا توجّه له انتقادات صريحة وتخفي جيدا مشاعرها نحوه. وهي رغم كل شيء تتأرجح بين الرفض والنقمة على الأب والسعي إلى تجاوز السلبي من أفعاله.

**إطار 5.2**

## مواصفات الأم والأب الصالحين

مكن تحليل مضمون المقابلات التونسية من رسم صور وسطية لملامح الأب الصالح، والأم الصالحة على النحو التالي :

| مواصفات الأب الصالح | مواصفات الأم الصالحة |
|---|---|
| - أب حاضر في الأسرة، يذكّر بالنظام، ولكن يتمتع بمؤهلات فكرية وعاطفية. | - أم تضحي براحتها من أجل أولادها. |
| - أب يوحي بالثقة، يعترف بالأبناء ويقدم الدعم والمواساة عند الحاجة. | - أم لديها نفوذ وسلطة دون أن تكون متسلطة. |
| - أب يجيد إدارة الحوار بدل استخدام العنف. | -أم متفتحة تعتمد الحوار والتواصل وتكون مستعدة للإصغاء إلى أبنائها. |
| - أب موجود عند الحاجة، ويشجع أبناءه. | - أم قريبة من أبنائها وصديقة لهم. |
| - أب أكثر إنسانية، وأقل تشددا في المسائل الأخلاقية ويبتعد عن دروس الوعظ والإرشاد. | - أم قادرة على اكتشاف المواهب المخفية لأبنائها. |

يحتوي هذا الجدول على مزيج من الصفات المستندة إلى مرجعيات تقليدية وحديثة في الوقت نفسه. إن جملة الصفات المقترحة لكل من الأب والأم لا تزال متأثرة بتقسيم المجتمع إلى مجالين خاص (الأساس فيه هو للأم) وعام (الأساس فيه هو للأب). كما لا يزال يقوم على ثنائية السلطة/الرجل والتضحية/الأم. ولكنه أيضا يحتوي على عناصر "حداثة" قوية حيث التشديد على الحوار والتواصل والتوازن في العلاقة بين الأهل والأبناء بما يبتعد عن نموذج الأسرة "التقليدية". وهذا الوصف الوسطي للأب والأم الصالحين أكثر انطباقا على وضعية المجتمعات التي شهدت تحولات ملموسة لصالح نمط الأسرة الحديثة. وهو يتوافق إلى حد ما مع استنتاجات المقابلات في البلدان الأخرى، حيث تقترب توقعات المراهقات والمراهقين من أهلهم من هذه المواصفات، ما عدا البيئات الأكثر فقرا والأرياف التقليدية والأوساط القبلية والذكورية. ففي هذه الحالات، تبتعد التوقعات عن هذا النموذج الوسطي وتميل أكثر لصالح تمثّل النماذج والعلاقات السلطوية أو يتخذ الرفض شكل كسر هذه العلاقات أو انقطاعها، خصوصا في الأسر المفككة أو التي تعاني من صعوبات.

ومن الأمثلة الأخرى التي وردت في المقابلات، مثال نهلة (15س، مصر). فوالداها على درجة من الثقافة والوعي، وخصوصا الأب الذي تؤكد نهلة تأثرها به. ولكنهما تخاصما ويعيشان تحت سقف واحد دون أن يكلم أحدهما الآخر. وهي وضعية تشكل ضغطا كبيرا على نهلة التي تساءلت إذا كان هذا الحل الذي اعتمداه "من أجل مصلحة الأولاد" هو الأفضل حقا أم الطلاق والافتراق هو الأجدى؟ أما حالة بسام (17س، مصر) فهي من نوع آخر، فمعظم مشكلاته كانت مع اخوته من أمه من زواج ثان بعد وفاة والده "أنا أكبر اخوتي. بعد وفاة أبي تزوجت أمي من رجل آخر بقي عندها حوالي خمس سنوات ثم تركها وتزوج امرأة أخرى دون أن يطلقها. أنجبت من زواجها هذا ولدين، لم أكن أعرف كيف أتعامل معهما، كنت أغتاظ منهما ولم أكن أشعر أنهما أخوان لي. ولكن بعد أن تركها زوجها صرت أمضي وقتا أطول في البيت معهما وأحببتهما وهما يشعران أني أخوهما الكبير". وكان بسام قد اختلف مع أمه عندما قررت الزواج وترك البيت.

ووردت أمثلة أخرى من لبنان. فعندما طلب إلى مصطفى (18س) أن يحدد أبرز مشاكله ضمن الأسرة، فإن أول ما تبادر إلى ذهنه هو خلافه مع "خالته" (زوجة أبيه) التي تصرخ كثيرا في وجهه. أما لين (17س)، وهي من منطقة لا تزال الروابط العشائرية فيها قوية، فروت إحدى حالات العنف الشديد في أسرتها مما جعلها تشعر بالخجل من الحديث عنها وتعتذر للباحثة دون سبب سوى إحساسها الداخلي بالضيق. روت لين "كان أهل أبي قد ملؤوا رأسه بأن أمي تخونه. وقد حدث ذلك منذ خمس سنوات يوم رأس السنة، كان قد شرب (الكحول)، فذهب إلى البيت وأحضر "الجفت" (بندقية الصيد) وهددنا بإطلاق النار علينا. قال إننا لسنا أولاده فهربنا عند الجيران، وبعدها أتت الشرطة وحل الموضوع بالتفاهم. نحن كل يوم على أعصابنا، نعيش في رعب ولكننا تعودنا على ذلك". عندما تتكلم لين عن والدها تستخدم تعابير مهينة، فهي عندما تصف علاقاته بأهله تقول "أهله بنظره هم العالم (العالم هنا بمعنى الناس الذين لهم قيمة) وبس، لا يحكي مع العالم وما عنده علاقة مع غير عالم ولا يهمه إلا أهله وبس، إنه رجعي وسطحي ومهبول". تقول ذلك وتتأسف "Sorry أعبر عن شعوري فقط". ومشاعر لين تشبه مشاعر نجاح (16س، تونس) التي تشبّه أباها "بالوحش" لشدة ما يمارسه عليها وعلى أمها من عنف. وتشدد نجاح على كرهها لأبيها وتجد نفسها مندفعة إلى علاقة تضامن مع أمها.

لكن ما يعتبر مشكلات أسرية هامة ومؤثرة أو تفككا أسريا هو شأن نسبي. ولا يقتصر الأمر على الحالات المتطرفة التي تمتاز إما بالممارسة المتكررة للعنف الجسدي، أو بالانفصال. فهناك حالات من ضعف الروابط العائلية الأكثر شيوعا والتي تترك بدورها تأثيرا في الأبناء مهما بلغت درجة هذا الأثر.

كما أن المسألة تتعلق في إحدى نواحيها بمستوى انتظارات الأبناء أنفسهم من هذه العلاقة. فريا (18س، لبنان)، وهي مراهقة عصرية ومتحررة ومثقفة، لا تعتبر أن للعائلة أهمية كبيرة في حياتها وهي تنظّر لموقفها هذا. ولكنها مع ذلك تعيده جزئيا إلى أن الروابط بين أفراد أسرتها النووية ضعيفة وهي أقرب إلى نموذج الأسرة العصرية التي تحترم خصوصيات الأبناء. ليس هناك من نزاعات بين الوالدين (ما عدا خلاف قديم) ولكن ببساطة لا تشعر ريا أن لديها أسرة، وهو ما ساهم على الأرجح في بناء نظرتها إلى الزواج وتكوين أسرة في المستقبل.

وتتحدد العلاقة بين الاخوة والأخوات بدرجة كبيرة بالعلاقة مع الأهل وبسلوك الأهل مع الأبناء وبوضعية الأسرة عموما.

وتشكل حالة ولاء (17س، اليمن) مثالا للأوضاع الأسرية الصعبة الأكثر تطرفا دون أن تكون مخالفة للعادات الشائعة. فوالد ولاء تزوج أربع مرات، وولاء ابنته من الزوجة الثانية، وهي تعيش الآن حالة خلاف مستمر مع زوجة أبيها الرابعة. لم تفهم ولاء في البداية سبب طلاق أبيها لأمها. فقبل الطلاق "لم يكن هناك أي مشاكل تذكر بينهما تستدعي الطلاق، وأنا وأخواتي لم نشاهد أبي وأمي يتخاصمان ولكن الأمر جاء فجأة وبدون مقدمات، وتبين أن السبب الوحيد والرئيسي في طلاق أمي وكره أبي لها هو أختي الكبيرة سامحها الله، وهي أختي من أبي (من زواجه الأول)". وتتابع ولاء روايتها " ثم تزوج أبي بامرأة أخرى، ولكن لم يدم زواجهما أكثر من شهرين لأن التي تزوج بها لم تكن جميلة وقال إنهم غشوه أعطوه أختها الكبيرة، وبالرغم من أنها كانت طيبة جدا فهو أخذ على نفسه كيف سينظر الناس إليه عندما بدّل أمي وهي جميلة جدا بزوجة أخرى ليست جملية فضلها على أمي التي ضحت لأجله كثيرا. وعندما طلق الزوجة هذه ظل قرابة ستة أشهر دون زواج ثم تزوج من الحالية، وعندما دخلت بيتنا قلبت الموازين. فقد كانت جميلة جدا وبدأت المشاكل بعد ثلاثة أشهر من زواجها بأبي، وكل خلافاتنا مع الأهل محصورة في خلافنا معها لتقصيرها في عمل المنزل وتركه إلى حين عودتي وأختي من المدرسة، حتى أنها تتعمد توسيخ المنزل وكسرت باب غرفتنا وهي تكره أخي وأختي الصغيرة". وقد بلغ الحد بولاء إلى التفكير في ترك المدرسة مؤقتا رغم أنها متفوقة في الدراسة، وتراجعت عن ذلك استجابة لطلب شقيقاتها.

حالة ولاء معبرة على أكثر من مستوى، بما في ذلك مستوى سلوك الأب والزواج المتكرر ومعايير اختيار الزوجة. ولكنه في ما يخص موضوع هذا الفصل، يشير إلى نوع من المشكلات التي لم يجر بحثها بعمق في البلدان العربية. وتتعلق هذه المشكلات بالآثار النفسية والاجتماعية التي يتركها تفكك العائلة والنسق السائد من العلاقات الأسرية على الأبناء. فكأن البحث الفعلي في هذه الموضوعات يدخل هو الآخر في نطاق المحرمات والمسكوت عنه، على الرغم من أهميته من حيث طبيعة المشاكل ومن حيث حجم هذه المشاكل في المجتمعات العربية التي يصعب الحصول على إحصاءات فعلية بشأنها. وبالتالي تبقى خارج دائرة البحث والمعالجة بما هي ظاهرة اجتماعية وينحصر علاجها في المستوى الفردي سواء من خلال التوسط العائلي، أو من خلال القضاء في الحالات التي لا سبيل للصلح فيها. وهما آليتان غالبا ما لا تعيران الاهتمام الكافي لمصالح الأبناء، إلا تحت عنوان ضرورة تضحية الأم وتقديمها التنازلات حرصا على مصلحة الأبناء، دون أن يكون القرار المتخذ في صالحهم بالضرورة.

**إطار 6.2** "عائلات بلا أسماء" [9]

هناك في فرنسا أكثر من مليون ولد لزوجين مطلقين، منهم 48٪ أحدهما قد تزوج مجددا، و37٪ تزوج والدهما، و66٪ لديهم أخ غير شقيق أو أخت غير شقيقة.

ويتحدث بيار بورديو Bourdieu مشيرا إلى هذه الظاهرة عن "عائلات بلا أسماء(...) العائلات التي تتشكل على أنقاض عائلات سابقة، في حين أن الأسماء وضعت للتعبير عن أوضاع وعلاقات اجتماعية لعائلات لم تعد موجودة... فكيف يسمي الولد ابن زوجة الأب من زواجها الأول ؟ أو ماذا يسمي زوج الأم أو زوجة الأب(...) كيف يخاطبهما".

**(9)** Robert Bidart: Autorité parentale et citoyenneté. La question des compétences parentales; in : Nouvelles problématiques adolescentes, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001

لا تخلو العلاقات بين الاخوة والأخوات من التنافس والخلافات التي تصل إلى الاشتباك الجسدي، خصوصا في سن مبكرة. وبرز ذلك من خلال المقابلات اليمنية، ولكنه ورد أيضا في كل البلدان المشمولة بالدراسة الميدانية. ولكن عندما يكون فارق السن كبيرا بين الاخوة، يصبح الانسجام (المستند إلى التراتبية العمرية) ممكنا بين الأخوات والاخوة الصغار وبين الأخ الأكبر، فينظر إليه على أنه أب ثان يوجّه ويعطي مصروف الجيب ويؤطّر. والموقف الأبوي للأخ الأكبر لم يمنع سعيدة (18س، تونس) من إيجاد أرضية تفاهم معه تظهر عبر تبادل مبالغ مالية صغيرة وإن كان التبادل غير متكافئ. "يصادف أن يمدني ببعض المال ولكن أحيانا قليلة وليس بالمقدار الذي أعطيه إياه". ويمكن أن نفسر الموقف الوفاقي الذي أظهره هذا الأخ الأكبر مؤخرا بطبيعة تبادل المنافع بينهما. أما أخو سالي (16س، مصر) الأكبر، فهو يحظى كذلك بمكانة متميزة، تقول "أحب أخي الأكبر كثيرا لأنه يشرح لي أمور الحياة، ويأخذني معه لأكتشف المدينة، ويقرأ لي ما يكتب"، فهو في الحقيقة أب ثان دون مستوجبات الدور الأبوي التقليدي من سلطة ومباعدة".

غالبا ما يفرض الاخوة حدودا على حرية المراهقة الشخصية في الفضاء العام. يقوم الأخ بأدوار عديدة : يراقب، يحدد قواعد السلوك ويفرض احترامها، يسمح بالخروج، يتدخل في حياة أخواته، يفتش أمتعتهن، يراقب علاقات الصداقة والهيئة واللباس. وليس من النادر أن نرى العلاقات بين الأخ وأخته تتدهور، عندما يريد أن يؤدي الأخ دور الساهر على شرف الأخت. يحرص الاخوة على تأكيد تفوّقهم المرتبط بمكانتهم، فيمارسون سلطة ضاغطة وحجتهم الوحيدة في ذلك أنهم رجال. فهم أحيانا يتعلمون منذ الصغر أنهم ينتمون إلى صنف الذكور، ويعتقدون أنهم مؤهلون اجتماعيا لفرض آرائهم على كل من ينتمي إلى الجنس الآخر. وعندما يكون للفتاة أخ يصغرها سنا، فإن ذلك يمثّل "حظا" يزيد من احتمالات الإفلات من رقابة الاخوة، أو على الأقل يزيد إمكانية مواجهتها. تشرح ثراء (16س، اليمن) اختلاف العلاقة مع أخيها الذي يصغرها داخل اليمن وأثناء السفر. تقول"عندما نكون مسافرين يكون الوضع عاديا. لكن هنا في اليمن باعتباري بنتا متحجبة مثلا هو الذي يرد على الاتصالات الهاتفية ويفتح الباب. ويقول لي لا تخرجي وحدك، يجب أن آتي معك، مع أنه أصغر مني بكثير. أعتقد أننا نحن أتحنا له الفرصة في المرة الأولى ليتصرف على هذا النحو، فاعتاد على ذلك". أما نرمين (18س، مصر)، فهي، وإن تساهلت تجاه رقابة الأهل، إلا أنها تستغرب انتقال هذا الحق إلى أخيها الذي يصغرها "طبعا إنه أمر يسبب الضيق، تحديدا عندما تجدين أن أخاك الصغير يريد أن "يعمل راجل" ويسألك من هذا ؟ أو من هذه ؟ أو إلى أين أنت ذاهبة ؟ "حاجة بايخة برضه:" (مسألة سخيفة ولا منطقية)".

وعرفت نجاة (18س، تونس) التي عرفت في حياتها اليومية خلافات مع عائلتها على أمور تعتبرها تافهة كلباس السروال الذي لا يوافق عليه أبوها واخوتها، ولكنها تبقى على رأيها إلى حد التعنت خاصة مع أخيها الذي لا يكبرها إلا بسنتين. وبالمقابل فهي تحترم رأي اخوتها الآخرين وهم أكبر منها سنا، فهم من يراقبون خروجها وسلوكها، لكنها تشعر بأنها قريبة من أختها التي تصغرها بسنة واحدة، فهي أختها وصديقتها في الوقت نفسه وتشاطرها الأفكار نفسها. وتشعر حنين (17س، تونس) أن أخاها، الذي يكبرها بسنتين ويراقبها مراقبة شديدة، يمارس عليها ضغوطا أكثر من والدها. تتشاجر معه أحيانا لأنه يتدخل في سلوكها ويملي عليها لبسها ويراقب خروجها، فيطلب منها مثلا تبرير رجوعها متأخرة من المعهد، وتنسجم معه أحيانا أخرى حينما يكون منبسط المزاج، وتقول حنين إنه أصبح أكثر تفهما وأقل صرامة من ذي قبل بتأثير عامل الزمن.

## 3. العلاقات داخل مجموع الاخوة والأخوات والبحث عن التكافؤ

ينتمي الاخوة والأخوات كما هو الشأن بالنسبة إلى الأهل والأجداد إلى من يعتبرون "الآخرين الدالين" الذين يرافقون المراهقة والمراهق في مسار تكوين الهوية. فالعلاقات بين الأخوات والاخوة قد توفّر موارد وجدانية ونماذج لبناء الهوية. وتتباين العلاقات بين الأخوات والاخوة في المجتمعات العربية حسب الوضعيات والظروف، فقد تكون صراعا أوتعاونا أو تنافسا، تواطؤا أو تعارضا. وهي علاقات تتحدد بدرجة كبيرة حسب العلاقات مع الأهل، فالآباء المسنون أوالمستقيلون أو الغائبون يفوضون السلطة للابن أو - إذا تعذر ذلك - للبنت الكبرى. أما الأولاد الصغار، فقلما يرضون بأن يتولى الاخوة الكبار مهمة الحفاظ على النظام العائلي. كما يمكن للفتاة أن تقبل (ولو على مضض) أن تتعرض لمراقبة الأب، أما أن يقوم بذلك أخ أو أخت فهذا ما ترفضه.

تمثل العلاقات بين الاخوة مجتمعا خاصا مصغرا يمكن أن يتحرر نسبيا من نموذج العلاقات العائلية فيقترب من مجتمع الأصدقاء والأقران. كما يمكن أن يكون فضاء لبناء معايير جديدة تساعد المراهقة (أو المراهق) على الاستقلال عن أبويها أو بالعكس يكرر نسق العلاقات نفسها فيقوي سلطة الأب ويدعمها مما يضعف حظوظ تحقيق الاستقلالية. إن غالبية المراهقات والمراهقين، في البلدان التي شملتها الدراسة الميدانية، متأثرون بالعلاقات التقليدية بين الاخوة والأخوات والعلاقات التي تحكمها الروابط الدموية والقرابة عموما، ولكن بعضهم بنى علاقات جديدة مع أخواته وإخوانه قائمة على المشاركة والصداقة.

### أ- العلاقة بين الأخ والأخت : صراع أم تآزر؟

"... والعلاقات بين الاخوة والأخوات في مرحلة المراهقة تكون أكثر حساسية مما هي عليه في المراحل العمرية الأخرى، إذ تتخذ فيها الفروق بين أعمار الأخوات والاخوة طابعا بالغ الأهمية"[10]. ويرجع ذلك إلى تحوّل العلاقات بعد البلوغ وتكوّن الهوية الجنسية واتخاذ التمييز والفصل في الأدوار الاجتماعية بين الفتيان والفتيات أهمية أكبر. تتفاهم يمنى (17س، تونس) تفاهما مرضيا مع أخيها الصغير وعمره 15 عاما. تطرأ بينهما أحيانا بعض الخصومات وتقول في نفسها إنها السبب لأنها تعتبر نفسها "أنانية جدا" فهي تأخذ أمتعته وتلبس ثيابه بينما هو لا يستطيع ذلك، وتسعى مع أمها إلى مراقبة علاقاته وصداقاته ولكنه لا يرضخ لهما ويعمل بما يمليه عليه رأيه. كل هذا لا يضعف علاقة يمنى بأخيها، فهي تحكي له كل أسرارها الخاصة، وهو من جهته يقص عليها كل مغامرة جديدة، فتسر بذلك لأنها تؤدي دور الأخت الكبرى المؤتمنة على أسراره.

وتروى زينب (18س، البحرين) أن لها علاقة قوية مع أخويها وخاصة مع أخواتها الثلاث "أنا أفضل أخواتي على صديقاتي، ولا أبوح بأسراري إلا لهن، فنحن نكوّن نفس المجموعة المتماسكة ولنا نفس الاهتمامات". أما زهرة (17س، اليمن)، فقد ربطت عبر الأيام والسنين علاقة وطيدة مع أختها، "ولكن عندما كنا صغيرتين ترانا مثل القط والفأر والآن أصبحت جزءا من زمرة الأصدقاء المتكونة من الإناث والذكور حتى لا تخبر أبي بما أفعل خارج البيت واليوم إذا أردت الخروج إلى مكان ما واعترض أبواي على ذلك فإنها هي التي تؤازرني". فالعلاقة الودية قائمة في جانب منها على المنفعة والتواطؤ.

**(10)** Rugo, (Marcel), Frères et soeurs, une maladie d'amour. Paris, Fayard, 2002.

تحتل مكانة الأخت الكبرى، فإنها تميل إلى الهيمنة وإصدار الأوامر وتضطلع بالمسؤولية في غياب الأهل ولا تقبل الخروج عن الطاعة من قبل الصغريات، فهي تمارس عادة حق الإشراف على الحياة الحميمة لأختها التي تصغرها سنا.

تنزع الأخوات الكبريات إلى التدخل في الحياة الخاصة لمن هن أصغر منهن. ففدوى (16س، تونس) مثلا تخضع إلى فضول أختها الكبرى وأسئلتها حول ما تقوم به وما تسلكه. والدليل على ذلك أنها فاجأتها عديد المرات وهي تفتش أمتعتها رغم أنها نبهت كل أفراد العائلة إلى ضرورة الاستئذان منها قبل أن يمسوا أغراضها الشخصية. أما مواطنتها رجاء (17س) فلديها أخوات فقط، لذلك تقوم أختها الكبرى بمراقبتها وتفتش أمتعتها وتتابع علاقاتها وتبلغ والدها عن تصرفاتها ولباسها.

للأخت الكبرى أحيانا مكانة متميزة بالنسبة إلى من يصغرها سنا فهي تعوض الأم. ورد (17س، اليمن) لها خمسة اخوة وأخوات وتضطلع بمسؤولية مراقبتهم والإشراف على حاجاتهم خاصة أن أبويها يتشاجران حول التصرف في الميزانية وكثيرا ما تغادر أمها البيت. أما مواطنتها إقبال (17 س) وهي كبرى اخوتها وتتحمل أعباءهم المادية والتربوية، فتقول "يصيح أبواي لأقل مشكل يعترضنا ويهدداني بوضع حد لدراستي، وعندما تستدعي المدرسة وليا، أطلب من عمتي التي تشتغل وزاولت تعلمها أن ترافقني دون إعلام أبي لأنه سيجبرني على مغادرة المدرسة لو علم بذلك. فقد سحبني مرة منذ سنة فتوسلت لأمي كي تقنعه حتى يسمح لي بالعودة إلى الدراسة في بداية السنة المقبلة. ومنذ ذلك الحين أحاول ألا أتسبب في مشاكل بالبيت وأشعر بنفسي مختلفة عن إخوتي وأخواتي. لا يضرب أي واحد منهم بينما أضرب أنا وأهان وإذا سألت عن السبب يقال لي إنك الكبرى وعليك أن تتحملي المسؤولية كاملة. في البيت أقوم بكل الأعمال، أغسل الثياب، أكويها، أرتب الغرف... ولما أتوجه إلى أمي وأقول لها إني منهكة القوى وأطلب المساعدة من أختي، تصيح في وجهي وتنعتني بالكسل".

تدفع البنت الكبرى، منذ الصغر، في العديد من العائلات إلى القيام بدور الكبار فتنجز كل ما يطلب منها وتتحمل المسؤولية وتؤدي دور الأم : تسهر على الشؤون اليومية وتشرف على الصغار من إخوتها حتى ينجزوا واجباتهم المدرسية لأن لها سلطة عليهم أكثر من والدها الذي قد لا يحسن القراءة والكتابة. لقد تعلمت فريدة (17 س، تونس) ممارسة السلطة على أخواتها، والتظاهر بأنها قوية. ولكنها حين ترى سلوك والديها مع أخواتها وما يبديان من مواقف فإنها لا تتحسر على سلوكها معهن. وهي تنتقد أسلوبهما التربوي وما يتسم به من تسيب أو إفراط في العقاب في الوقت نفسه، ولأسباب واهية أحيانا. في رأيها حتى يكون العقاب عادلا ومجديا، ينبغي أن يطابق خطأ محددا. تتقبل أخوات فريدة عادة سلطتها ويعارضنها أحيانا ولكنهن يتجنبن إغضابها حتى لا يرونها وهي تبكي. وللدلالة على شدة تأثيرها في أخواتها تقول هذه الأخت الكبرى إن البنات لا يأخذن إلا بذوقها، لا بذوق أمها في اختيار ملابس العيد. وتشعر أنها مسؤولة عنهن ولكن في الآن ذاته تود لو يتخلصن من تأثيرها،إذ ينبغي أن يتعلمن تدبير شؤونهن بمفردهن.

في العينة الجزائرية، أكدت المراهقات استبداد الاخوة، وعندما يتحدثن عنهم فإنهن يقدمنهم على أنهم مجموعة تحمل نفس الأفكار والمعتقد وليسوا أفرادا يسهل معهم ربط علاقات مشخصة ومتفردة. تقول هالة (17س) "أن تكون البنت مراهقة وضعية صعبة في الجزائر، لأنها لا تشعر بنفسها محترمة". وهالة هي الخامسة في تراتب الاخوة والأخوات ولها ثلاثة اخوة أكبر منها، تصرح بأن الفتاة عندما تشتكي أساسا من أخيها الذي يمنعها من مخالطة الأولاد خوفا من أن تجرح وتخدش كرامتها... فهو يريد حمايتها، وبما أنه ولد فهو يعرف ما يفعل عادة مع البنات... فهو لا يرغب أن يحصل لأخته ما يحصل للأخريات". كما توضح أنها تود تغيير سلوك أخيها "له 19 سنة، ويكبرني بسنتين، يبالغ في مراقبتي وأنا لا أريد ذلك، لهذا السبب لا أكلمه، أسعى إلى إفهامه بأني لست كالأخريات بينما يظن أن لي شخصية ضعيفة، إنه لا يستثيقني ويرى أن كل علاقة مع الولد هي علاقة جنسية". في الاتجاه نفسه تذكر ليندا (17س) " أن بعض الاخوة يرفضون أن تخالط الأخت ولدا ولا يسمحون بذلك إلا إذا كان ينوي الزواج فعلا، فهذه عقليتهم".

يمارس الاخوة السلطة على البنات بطريقة تعسفية وأحيانا ببعض العنف اللفظي والجسدي أكثر من الآباء الذين فقدوا الكثير من هيبتهم نتيجة البطالة. برزت مثل هذه الحالات في شهادات المراهقات المغربيات. وكما يكتب (م. الهراس 1997) "حاليا، عديدون هم الشباب الذين يتحدون سلطة الآباء، دون التوفر بالضرورة على سند كأجرة أو تكوين. كما يميلون نحو التفرد، تقريبا، بجميع القرارات التي تهمهم ويحصرون تدخل آبائهم في إضفاء الطابع الرسمي على الأمر الواقع (...) يصعب عليهم (الآباء) تدبير شؤون المراهقة، إذ يعيشون قلق فقدان ابن أو معاينة انزلاق ابنة نحو الفجور، ويعانون من ضعف قدرتهم على تدبير حياة ومستقبل أبنائهم، من جراء عدم امتلاكهم الوسائل التي تمكن من جعلهم أفضل".[11]

ولكن قد تكون هناك أسباب عديدة لتقلص سلطة الأب داخل الأسرة لصالح الاخوة، بينها أسباب تعود إلى انعدام الاستقرار في المجتمع، والنسق الجديد من الحركات السياسية ومنها الحركات الدينية، مما يعزز دور الأخ الشاب كانعكاس لمكانة سياسية واجتماعية متنامية خارج المنزل، في بيئة تصبح أقل تسامحا إزاء المرأة عموما. فقد أظهرت الدراسات السوسيولوجية للمجتمع الجزائري مثلا هذه الظاهرة، وبينت دليلة جربال في مؤلفها عن العنف العائلي والعنف الاجتماعي والعنف السياسي (1998) أن "العائلة هي المؤسسة التي عرفت التحولات الأكثر عمقا، إذ تشابكت صور أفرادها وأدوارهم (...) واتخذ الأخوة موقع المدافعين عن النظام الأسري والديني، وعن الشرف، وهو موضوع برز بكثرة في السنوات الأخيرة. وقد أضاع الآباء مكانتهم السلطوية أمام أبنائهم". وتتحدث أيضا عن "ميزة العنف" الذي يحتكره رجال العائلة ويمتد إلى الرجال الآخرين الذين لا يترددون في مضايقة البنات والنساء ومراقبتهن خارج الفضاء الخاص، في المدرسة، ومكان العمل، ووسائل النقل العمومي والشارع.

## ب- العلاقات مع الأخت الكبيرة : خضوع أم تنافس ؟

تتأرجح العلاقة مع الأخت بين المنافسة والتواطؤ. عندما تكون المراهقات متقاربات في السن يصرحن بأنهن يشعرن بالقرب من أخواتهن، فهن حافظات للأسرار وصديقات. تكون

**(11)** El Harass (M), (1997) Comprendre les facteurs socioculturels affectant les comportement en matière de démographie et les implications pour la formulation et l'exécution de politiques et programmes de population, Rapport d'une enquête qualitative.

الخاضعة لسلطة الأخت الكبرى أو الأخ الأكبر، فإما أن تخضع للأمر الواقع وتعيش في "سلم نسبي" أو أن ترفض ذلك وتواجه مختلف الاحتمالات. وبين الحدين توجد عدة إستراتيجيات وسطية كالتضامن بين أفراد الجنس الواحد أو تكوين مجموعة متماثلة أو الابتعاد عن العائلة والبحث عن حلول بديلة لدى الصديقات.

## 4. التفاعل مع شبكة الأقارب

عندما تتحدث المراهقة أو المراهق عن العائلة، فإنهما يقصدان الآباء والأمهات و الاخوة والأخوات، والأجداد والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وأحيانا أبناء الأعمام والأخوال في المجموعة نفسها. وبمقدار ما تكون البيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها المراهقة (أو المراهق) ذات طابع تقليدي، يكون المقصود بالعائلة هذا الإطار الواسع المشار إليه، وبمقدار ما تكون أقرب إلى الحداثة، يكون المقصود بالعائلة الأسرة النووية وبعض الأقارب. وبشكل عام، فإن نطاق العائلة والأقارب المؤثرين في حياة المراهقات والمراهقين والذين يتدخلون في تربيتهم، هو الأوسع في بلد كاليمن. كما أنه متفاوت بين البيئات المدينية والريفية (حيث هو أوسع في هذه الأخيرة)، ويتأثر ببعض العوامل الأخرى في اتجاهات متخالفة. فتوفّر الموارد المالية والاقتصادية على سبيل المثال، قد يعني دخول الأسرة في نمط من الحياة العصرية على أساس تشكيل أسرة نووية شديدة الإحساس بفرديتها، وقد يؤدي أيضا إلى احتمال تحوّل الثروة إلى محفز للبحث عن مكانة عائلية أكبر ضمن شبكة الأقارب.

وتعدد المؤثرين في تربية المراهقة أو المراهق ضمن شبكة الأقارب، يحمل معه إمكانية تعدد في اتجاهات التربية والخبرات والمواقف، بين ما يشجع على الاستقلالية وتبلور الشخصية أو العكس، إذ أن الأجداد والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم يكملون أدوار الأهل والاخوة والأخوات أو يعوضونها، ويستجيبون بذلك لمتطلبات المراهقات والمراهقين الجديدة فيصبحون أصدقاء لهم، أو العكس. فعندما يكون الفضاء العام ضيقا بالنسبة إلى الفتيات خاصة، تقوم بنات العم أو الخال مثل الأخوات تماما بدور الصديقة والمرافقة والمؤتمنة على الأسرار. كما تغيرت العلاقات مع الأجداد وأضحى لها ملمح جديد، بعد أن كانت العائلة الأبوية (البطريركية) التقليدية تعطي الجد سلطة ونفوذا كبيرين. أما اليوم، فقد تطورت العلاقات بين المراهقين إناثا وذكورا والأجداد نحو أشكال جديدة مستنبطة ومختارة وليست مفروضة. وتساعد إقامة الأجداد القريبة من الأسرة على المشاركة الفعلية في تربية الأحفاد وكفالتهم وتقديم يد المساعدة لهم بمشاركة الأعمام والعمات والأخوال والخالات أحيانا. وحين تكون العائلة متواضعة الموارد، يمد لها الأجداد أو الأقارب العون لحماية أفرادها من الضغوط الاقتصادية ومخاطر التهميش.

يتبين من خلال أجوبة العديد من المراهقات في كل البلدان التي شملتها الدراسة الميدانية، أنه في ظل انحسار فرص التعبير داخل الأسرة النووية ، تلتجئ المراهقة إلى الدائرة الموسعة للعائلة وتستجير بالعمة أو الخالة وبنات الخالة أو العمة اللاتي يعوضن الأمهات والأخوات في مؤازرة البنت وحفظ أسرارها وتدريبها على السلوكات الواجب اتباعها في بعض الحالات. ولا يقتصر التبادل بين المراهقة والمراهق وبين شبكة علاقات الأقارب على الجوانب الوجدانية والرمزية فحسب، بل يتجاوزها أيضا إلى الأبعاد المادية بالمعنى الواسع. فالأجداد

ومن علامات الارتباط القوي بين الأخوات، ما أوردته فريدة على لسان أختها التي لا تتجاوز خمسة عشر عاما حين قالت "لا يمكن لي مواصلة الدراسة إذا اضطرت الأخت الكبرى إلى الدراسة العليا بعيدا عن العائلة" وكأن منطقا أسريا عاما يحكم العلاقات ويحددها فتنقل المسؤولية من الكبير إلى من هو أصغر وهكذا دواليك. كما أن من علامات تعقّد العلاقة بين الأخوات وتعدد جوانبها السلطوية والنفعية والوجدانية ألا تستنكف الصغرى من التدخل في حياة الكبرى ومطالبتها بالتفكير جديا في الزواج، وهي منشغلة لأنه لم يتقدم إلى خطبتها أحد، وتنصحها بالتزوج من طبيب... تشير حالة فريدة إلى انقلاب الأدوار بحيث تصبح العنصر الأساسي في العائلة وتكتسب سلطة شرعية وضرورية لتماسكها.

يحل المراهقون ولا سيما المراهقات محل الأهل في تحمل أعباء الاخوة والأخوات الأصغر سنا في الأسر التي تمر بظروف خاصة. فناديا (18س، الجزائر) تعيش مع والدها المتقاعد والمطلق صحبة أخيها وأختها التوأم. غادرت أمها المنزل وسنها آنذاك ثماني سنوات، "ومنذ ذلك الحين وأنا أشعر بأني ربة البيت، أتكفل بالبيت، أشرف على شؤون أبي وأختي...". ولا تنسى في كلامها أن تذكر بأنها كانت تتمنى لو كانت هي الصغرى بين التوأمين لأن أختها ولدت بعدها بساعتين فقط، وهي أكثر حظا منها.

سمية (18س) وسلوى (16س) من مصر هما أكبر الاخوة والأخوات كل في أسرتها، تصرحان بأن لهما علاقات حسنة مع الاخوة والأخوات وأنهما بمثابة الأم الثانية لهم. تقول سمية "إن علاقتي طيبة مع أختي ولكن لا يمكن أن نكون صديقتين لأنها تصغرني بعشر سنوات". ولكن هل يكون الجواب نفسه لو سألنا الأخت الصغرى عن علاقتها بأختها الكبرى ؟ عليسة (16س، الجزائر) وهي الصغرى في تراتب الإخوة، تعطي جوابا بالنفي. وترى عليسة أن أختها تسيطر على كل حياتها وصارت تمثل عبئا نفسيا عليها باعتبارها تتدخل في كل شؤونها.

لاحظنا الشعور نفسه بالالتزام تجاه الصغار لدى جهاد (18س، تونس) فهو باعتباره أكبر الاخوة يقول "أشعر بنفسي مسؤولا عن أخوي بقدر ما أنا مسؤول عن والدي". وجهاد له خمسة اخوة، له أخوان أصغر منه. أحدهما يتدرب عند ميكانيكي والأصغر في السنة الخامسة ابتدائي. بعد عدة خيبات اضطر جهاد إلى مغادرة المدرسة ولكنه يعتقد بأهمية النجاح الدراسي، لذلك فهو يمارس ضغوطا على أخيه لدفعه للنجاح في الدراسة. له علاقات طيبة معه ويجده ذكيا ورصينا بينما يعتبر الآخر طائشا. يأخذ أخواه الصغيران بنصائحه وليس له خلاف معهما. ولكن إذا صادف أن اختلف معهما حول مشاهدة أحد البرامج الرياضية التلفزيونية، فإنه يفسح لهما المجال ويذهب لمشاهدة مباراته المفضلة عند عمه. وفي سياق آخر، عندما يخرج مع الفتيات فإنه يعلم والديه بواسطة أخيه الصغير.

وفرت لنا المقابلات مع المراهقات والمراهقين حول العلاقات بين الاخوة والأخوات جملة من المواقف و الأنماط التي تتحدد حسب المكانة التي يحتلها كلا الجنسين في التراتب الأخوي، فحين تكون المتحدثة هي الكبرى وتستفيد من موقعها، تمارس سلطة شبيهة بسلطة الأم أو الأب، ولكنها لا تعيش حياتها وتتحمل مسؤولية تفوق سنها. وعندما تكون المراهقة هي

ويشمل الصنف الثالث المراهقات والمراهقين الذين لهم علاقة تواطؤ وتحالف مع أجدادهم مما يعوّض العناية المحدودة لآبائهم بهم. وتتكون هوية هؤلاء المراهقات والمراهقين في تواصل مع تاريخ الأسرة كما تبنى بنسبة كبيرة بالتماهي مع أفرادها. فمثلا يدافع الجد والجدة عن نائلة (18س، تونس) في خلافاتها مع أخيها الذي لا يتوقف عن التجسس عليها. فيذكرانه بأنها لم تعد صغيرة و"ليست جاهلة" وتدرك جيدا ما تريد أن تفعل. ومن المبررات التي يقدمها الجد دفاعا عن الحفيدة أنها تعرف أكثر من أخيها الذي لم يصل إلى مستويات عالية في دراسته. وقد يشجع الجد والجدة الفتاة على متابعة الدراسة وكأنهما بذلك يريدان التعويض عن عدم تعليم بناتهما في السابق كما حصل مع وعود (15س، تونس) التي تربطها بجدتها علاقة وطيدة. ورغم أنها تجد جدها صعب المراس، إلا أنها تشيد بتشجيعه لها ولبنات أعمامها على مواصلة الدراسة. وقد يبدي الجدان رأيا معارضا لتزويج البنت باكرا حرصا منهما على مواصلة الحفيدة لدراستها كما فعلت جدة هناء (18س، تونس) التي عارضت خطوبتها لتدفعها لمواصلة تعليمها. ولكن لا يوجد نمط محدد لسلوك الأجداد والأقارب، بل إن الأمر يتوقف على الحالات الفردية، وعلى بعض الخصائص الاجتماعية العامة.

## 5. التنشئة الاجتماعية حسب الجنس

تتمثل إحدى خصائص المجتمعات التقليدية في تفضيل الولد على البنت، فهو الذي يحمل لقب العائلة ويضمن له الاستمرارية، ويتحصل على الجزء الأوفر من الميراث وينقله إلى الأبناء، ويتكفل مبدئيا بالأهل ويعيلهم أثناء الكبر. يقول المثل الشعبي في الولد : "يدفع الولد المحراث ويبعد الغريب عن الميراث". ونجد هذا الموقف قائما لدى العائلات المتمسكة بالقيم التقليدية وخاصة في العائلات التي لها ولد وحيد. "إن عشرين مثلك لا يضاهين أخاك"، هذا ما يردده والد ابتسام (18س، المغرب) عندما يخاطبها. وقد أجبرت هذه الأخيرة على الانقطاع عن التعليم لرفض أبيها دفع تكاليف الدراسة وأرسلتها أمها إلى مدرسة خياطة لا تعجبها. ويتجلى من خلال مثال ابتسام التمييز بين الاخوة والأخوات في العائلات التقليدية (والفقيرة بالدرجة الأولى) ومراهنتها أساسا على الولد. يترك التمييز بين الفتيات والفتيان داخل الأسرة أثرا سلبيا على العلاقة بين الاخوة والأخوات إذ ينتج مساحات للخلاف والصدام بينهما ومع الأهل ويحفز على التضامن على أساس الجنس أو التنافس غير الصحي.

ويتوقف ذلك من جهة أولى على واقع التمييز وشدته ومجالاته، ويتوقف من جهة ثانية على إحساس المراهقات بهذا التمييز. وبشكل عام، وكما سيجري عرض ذلك تباعا في الفصول اللاحقة، فإن التمييز بين المراهقة والمراهق يخترق كل المجالات. ولكن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الفصل هو ارتكاز التنشئة على فكرة قبول هذا التمييز من قبل المراهقين عموما، والمراهقات خصوصا، باعتباره أمرا طبيعيا إلى حد أن مفهوم التمييز نفسه غير واضح بالنسبة إلى بعضهن. فالأهل ينجحون من خلال عملية التربية أحيانا في إقناع الابنة بسداهة هذا الواقع. عندما سئلت لمى (15س، اليمن) ماذا تعلمت من والديك أجابت "تعلمت كل شيء. تعلمت مثلا أن المرأة تقع مرة واحدة فقط وأن المرأة لا تقف في الشارع ولا تكلم رجالا غرباء وأنها لا تضحك بصوت عال وأنها يجب أن تسمع الكلام (أي أن تكون مطيعة)"...

يتصفون بالسخاء ويقدمون أكثر مما يتلقون، وغالبا دون تكلّف أو تصنّع. وقد أصبح كثير من الجدات للأم، أمّا ثانية للأطفال عندما التحقت أمهاتهم بسوق العمل. وليس من النادر مثلا أن نرى الأجداد ينحازون للحفيدات ضد الآباء ويشجعونهن على الدراسة والعمل مثل الاخوة الذكور. وقد يعود ذلك إلى غنى تجربتهم وخبرتهم الحياتية وإلى المسافة التي تفصلهم عن ضغوطات الواقع وهي ضغوطات يعيشها الآباء بشكل أكثر حدة، وربما إلى تشبعهم بثقافة فرعية وبقيم أكثر مساواة من أبنائهم أو لتراجع اقتناعهم بالقيم الذكورية بسبب التقدم في السن.

بينت المقابلات أن الأجداد حاضرون حضورا بارزا في عالم المراهقات والمراهقين على المستوى الوجداني أكثر من كونهم حافظين للسلطة العائلية. كما تبين أن الصلات مع الأجداد تتحدد أولا بالصلات مع الآباء. وقد ذكر عدد من المراهقات والمراهقين أن لهم علاقات متميزة مع الأجداد الذين عاشوا معهم أو الذين مازالوا يعيشون معهم. ويحمل بعضهم اسم الجدة أو الجد، مما يجسم الصلة الرمزية التي تربط المراهقة بجدتها والمراهق بجده. إلا أن هذه الصلة مشروطة بالطريقة التي يوظف بها تاريخ العائلة في بناء الهوية وكذلك بالصيغة التي يعتمدها الأجداد في استحضار ماضي العائلة وبإشعار المراهقات والمراهقين بأن تاريخهم الشخصي امتداد لهذا الماضي ومواصلة له دون إلغاء استقلاليتهم أو بالعكس.

برز من تحليل المقابلات صنف أول من المراهقات والمراهقين الذين اختاروا مسار الاستقلالية وأرادوا أن يتحرروا من سلطة الأهل ورفضوا تدخل الأجداد لأنهم يمثلون في رأيهم النظام التقليدي الذي يرفضونه كما يرفضون ثقل الماضي والإرث العائلي. يقولون إن علاقاتهم بأجدادهم شكلية جدا. يصرح سمير (16س، تونس) بأنه يأبى أن يتدخل أجداده في حياته الشخصية. فهو يخفي عنهم كثيرا من الأمور التي يعتبرها خاصة جدا "وحميمية"، ويخفيها حتى عن أبويه ولا يقاسمه فيها إلا صديقه.

أما الصنف الثاني، فهو يجمع المراهقات والمراهقين الذين يتعاملون مع أجداد متسلطين ويواصلون التحكم في العائلة بأكملها. ويرى الأحفاد أن هؤلاء الأجداد فقدوا المكانة التي تخول لهم ذلك. تنتمي إلى هذا الصنف يمنى (17س، تونس) التي تقطن مع عائلتها عند جدتها للأب، وهي في نظرها منافقة تتظاهر بالتقوى وتقضي جل وقتها في الصلاة، في حين أنها في الواقع مختلفة تماما عن ذلك، وسلوكاتها تكذب ما تصرح به. فيمنى تأخذ على جدتها كرهها لأمها وسعيها إلى التفريق بين والديها بما أنها تقف وراء الخصومات المتتالية بين الزوجين، فبعد أن "تشعل النار تقف متفرجة عليهما". وبما أنها تنتصر للأب، فإن هذه الجدة لا تستثني يمنى من الشجار وهي تفضل أخاها عليها، والذي أعطته اسم ابنها المتوفى. وتلوم يمنى جدتها على تدخلها المفرط في حياة الأسرة، في كل صغيرة وكبيرة. وهي تقمع الكبار والصغار على حد سواء. ألم تطرد صديق يمنى عبر الهاتف، وقطعت الصلة التي تجمعهما ؟ لكل هذه الأسباب ترى أن ليس لها علاقات بعائلتها الكبيرة رغم أن لها أخوالا وأعماما وخالات وعمات "ليست لي علاقات قربى رغم امتداد العائلة وكثرة أفرادها". لكن يمنى تستدرك وتستعمل لهجة أخرى عندما تثير تعلقها بجدها للأب الذي توفي وهي في سن الخامسة. كان يتحدث إليها وكأنها شخص كبير ويحكي لها أمور الحياة. شكلت وفاته صدمة بالنسبة إليها ولم تستطع تجاوزها إلى اليوم رغم أنها لم تبك عند وفاته.

1 - العائلات الثرية العصرية : وهي العائلات التي تمتلك موارد اقتصادية وثقافية عالية، ولها خصائص مشتركة، منها ما يساعد المراهقة والمراهق في مسار البحث عن الهوية المتميزة مثل الاستقلالية الذاتية والتجربة الاجتماعية خارج المجال الأسري وشبكة العلاقات مع الأصدقاء من الجنسين، ومنها ما يقف حاجزا أمام ذلك كقلة الحوار والتواصل بين أفراد العائلة ومحدودية حضور الآباء في الفضاء الأسري والميول الاستهلاكية واحتمالات تزويج البنت قبل الانتهاء من دراساتها الجامعية وانعدام التشجيع على الدراسة طويلة المدى.

2- العائلات الثرية التقليدية : وهي العائلات التي تتمتع بموارد اقتصادية مرتفعة وموارد ثقافية متواضعة. وهي تتسم بنوع من المحافظة تتجسد في هيمنة مجموع الرجال على كل أفراد الأسرة وفي ممارسة السلطة العائلية على المراهقين وخاصة على المراهقات مع ما يستتبع ذلك من خضوع وامتثال. ورغم أن المراهقات لسن عرضة للتمييز الجنسي في مجال التعليم، فإن دراستهن عادة ما تكون مبتورة ويتبعها زواج مبكر نسبيا . وتمثل العائلة في هذا الصنف العالم الأساسي الذي تتحرك فيه المراهقة بما أن شبكة الأصدقاء تتكون من الاخوة والأخوات والأقارب، وتتركز فيه التنشئة الاجتماعية على الأدوار المنزلية. لا تسهم كل هذه العناصر في الاعتراف بمكانة المراهقة الخاصة وبحريتها في بناء ذاتها.

3- العائلات المتوسطة التقدمية : وهي العائلات التي تتوفر على موارد اقتصادية متوسطة أو ضعيفة نسبيا، ولكن تمتلك بالمقابل موارد ثقافية مرضية وهي تتيح للمراهقة والمراهق إمكانات أكبر لتحقيق الذات. تتسم هذه العائلات بالحوار والتواصل بين الآباء والأبناء وبالتقارب الوجداني بينهم، مع اعتراف بخصوصية المراهقة وإسناد مكانة إيجابية لها، والسماح لها بالمشاركة في أخذ القرار واعتماد مبدأ التفاوض في الخروج والتعامل مع الفضاء العام. أما شبكة الأصدقاء، فهي من الجنسين وخارج العائلة، مع توفر استقلالية في الفضاء الخاص. ويتدعم كل ذلك بالنجاح الدراسي وبتربية قائمة على الثقة وموجهة نحو تفتح الشخصية. ويمكن وصف هذه العائلات بأنها "تقدمية ومجددة".

4- العائلات الفقيرة التقليدية : وهي العائلات غير المحظوظة اقتصاديا وثقافيا حيث غالبا ما تواجه المراهقات في تجاربهن ومعيشهن اليومي العراقيل والمعوقات وهن يتعرضن إلى التمييز الجنسي الصارخ، فيفضل الاخوة الذكور عليهن وهم يمارسون على البنات السلطة والهيمنة وأحيانا العنف وخاصة عندما يتعلق الأمر بالخروج إلى الفضاء العام. وينتج عن محدودية الموارد الاقتصادية والثقافية الفشل الدراسي ولا يبقى لهن من أفق سوى العمل المهمش وما ينجر عنه من استغلال اقتصادي أو الزواج المبكر وانعكاساته على نمو الفرد. ومن المفارقات التي نلاحظها في هذا الصنف من العائلات تحمل المراهقة أو المراهق المسؤولية نتيجة استقالة الآباء أو غيابهم. وبذلك يتولى الصغار أدوار الكبار بصورة مبكرة فيعيشون في نوع من الاستقلالية غير المخطط لها، بحكم الأمر الواقع وكنتيجة للظروف الموضوعية والذاتية. فلا تعتبر بذلك الاستقلالية اختيارا ولا تنبثق عن وعي وإرادة.

ولا تمثّل هذه النماذج سوى الأقطاب التي تتموضع العائلات العربية بالنسبة إليها، والتي تتكون خصائصها الواقعية من مزيج من الخصائص المشار إليها في كل من النماذج الأربعة.

احتوت مقابلات اليمن على أعلى قدر من الإجابات التي تبين التنشئة على أساس التمييز والتي تقدم على أنها أمر عادي، سواء وعى الأبناء ذلك أم استبطنوه إلى حدود عدم التنبه لوجوده أصلا. يقول فاروق (16س) "للبنات في عائلتنا الحقوق نفسها والحرية نفسها كالصبيان..." ثم يتابع الجواب على تتمة السؤال الموجه إليه "لا، هي لا تخرج وحدها إلا بصحبة محرم. أنا أخرج عادي. هي تستأذن ولو خرجت فإن أحدا يجب أن يوصلها إلى المكان المقصود. أنا أستأذن عادي"، لكن وسيم (17س) يعي التمييز بوضوح بل إنه يتحدث عن أبعاد يجري تجاهلها عادة. يقول"أما المعاملة بالنسبة إلى الذكور والإناث فهي أكيد تختلف من أسرة لأسرة، سواء من حيث الأكل واللعب والحرية والعمل. حتى في الحب نحن الذكور يعاملوننا معاملة مختلفة. من حيث الأكل يعطوننا اللحمة المليحة (الجيدة) ولنا حرية في اللعب أكثر من البنات، ونعمل عملا قليلا داخل البيت. بعض الأحيان البنات لا يلعبن كثيرا ويقمن بالكثير من الأعمال مقارنة بنا، في حين نحن نقوم بأعمال قليلة".

يعتبر التمييز الملاحظ في العائلة صورة وصدى للتمييز القائم في المجتمع، حسب إشارة فارحة (16س، الجزائر) التي تقول "يمنع الأهل البنت من الخروج أو من اتباع بعض السلوكات ولكن المجتمع هو الذي يقرر". كما أنه في الوقت نفسه انعكاس للتجارب الأسرية والفردية، لذلك فإن الحالات التي تم عرضها أعلاه هي من الأمثلة على حالات خاصة من التمييز واستبطان التمييز، تم عرضها بتوسع لدلالتها باعتبارها مرجعا للمقارنة ونموذجا للأسرة الأبوية التقليدية في بيئة اجتماعية لا تزال تقيّم عاليا هذا النموذج. وبشكل عام، فإن نماذج الأسرة المتحولة في البيئات الاجتماعية المختلفة تربطها صلة بهذا الأصل المشترك. ولكن أيضا بينت المقابلات توسع حيز المرونة وتراجع التنشئة على أساس التمييز وتفاوتها من مجال إلى آخر.

## استنتاجات عامة

في نهاية هذا الفصل عودة إلى سؤال الانطلاق الذي يمكن صياغته كالتالي : إلى أي حد تيسّر الحداثة في المجتمعات العربية مساهمة الفرد في بناء هويته الخاصة ؟ ويتخذ هذا السؤال دلالة أكبر حين يتعلق الأمر بمكانة المراهقة في هذه المجتمعات، فهل يتاح للمراهقة الموارد المادية والرمزية والحرية الضرورية لتكون فاعلة في تنشئتها الذاتية وفي رسم ملامح شخصيتها ؟

ونظرا إلى أن العائلة هي المحيط الأول للتنشئة الاجتماعية، سعى هذا الفصل إلى تبيان ما توفره هذه العائلة من موارد وحظوظ تجعل المراهقات والمراهقين يحققون ذواتهم في عالم معاصر يتسم بالتغير والتقلب.

لقد تبين من تحليل أقوال المراهقات والمراهقين في المقابلات المنجزة أن العائلات لا تسهم جميعها وبالدرجة نفسها في سيرورة بناء الهوية الذاتية. كما اتضح من الدراسة أن المراهقات والمراهقين لا ينجحون في بناء شخصياتهم الفردية المتميزة واستقلاليتهم إلا إذا توفرت مجموعة من الظروف والشروط والموارد. ويبدو أن صنفين من الموارد يؤديان دورا أساسيا في تكوين ملامح الأسر العربية هما الموارد الاقتصادية والموارد الثقافية. وبحسب ما يتوفر من هذه الموارد للعائلات وطريقة تأليفها وتوظيفها في السلوكات والمواقف، نحصل على أربعة أنماط أو نماذج نظرية من الأسر :

ويقتضي الحصول على صورة أكثر دقة إدخال عناصر إضافية إلى شبكة التحليل عند محاولة تصنيف وضع عائلة محددة أو مجموعة من العائلات. على سبيل المثال، يدخل ضمن عناصر الموارد الثقافية هنا جملة من العناصر الأخرى منها المستوى التعليمي والتنوع الثقافي والانفتاح على الثقافات المختلفة، ومنها أيضا التأثر إما بقيم الحداثة أو التأثر بالقيم المعولمة الحالية والأقرب إلى نزعات العصر الاستهلاكية. وكذلك يشتمل مفهوم الموارد الاقتصادية على مستويات الدخل وطريقة الحصول عليه (ريع أو عمل منتج) والقطاع الذي يعمل فيه أفراد الأسرة (تكنولوجيا متقدمة، زراعة، خدمات...). وبالتالي، فإن العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية، وأحيانا كثيرة عوامل النفوذ السياسي (الوطني أو المحلي) تؤدي دورا أساسيا في رسم ملامح الأسرة وخصائص علاقاتها الداخلية بما يؤثر فعليا في علاقة الأهل بأبنائهم وفي الخيارات التي تتبعها المراهقات والمراهقون.

**جـــــدول 1.2**

## مـــلامح عـــــائلات المراهقـــات والمراهقيـــن

| | موارد ثقافية مرتفعة (+) | موارد ثقافية محدودة (-) |
|---|---|---|
| **موارد اقتصادية مرتفعة (+)** | - عائلات عصرية، نمط حياة "عصري".<br>- حضور محدود للآباء.<br>- الأم بالبيت أو تعمل في المؤسسة العائلية.<br>- مستوى استهلاك مرتفع.<br>- قلة الحوار في الأسرة.<br>- ضعف التمييز بين الذكور والإناث.<br>- شبكة أصدقاء، اختلاط.<br>- زواج مبكر.<br>- نجاح مدرسي متوسط.<br>- ضعف الشعور بالذات. | - عائلات محافظة.<br>- قلة التمييز في مجال الدراسة.<br>- تنشئة البنات على الأدوار التقليدية.<br>- هيمنة رجال العائلة على الفتيات.<br>- دراسة البنات مبتورة.<br>- احتمالات زواج مبكر نسبيا.<br>- نفوذ الأجداد والأعمام.<br>- الأصدقاء والصديقات من العائلة.<br>- رقابة على دخول الفضاء العام.<br>- صدام بين الأباء والأبناء وصراع بين الأزواج. |
| | **موارد ثقافية مرتفعة (+)** | **موارد ثقافية محدودة (-)** |
| **موارد اقتصادية متوسطة إلى ضعيفة (-)** | - عائلات تقدمية مجددة.<br>- تربية موجهة نحو تحقيق الفرد لذاته.<br>- حوار وتقارب وجداني مع الأهل.<br>- تواصل الأب مع البنت.<br>- استقلالية البنات في الفضاء الخاص.<br>- نجاح مدرسي للبنات.<br>- حرية قائمة على التفاوض حول الخروج والعلاقات مع الأصدقاء.<br>- تأخر سن الزواج.<br>- مشاركة في أخذ القرار.<br>- شبكة علاقات بين الجنسين. | - عائلات تقليدية فقيرة.<br>- خضوع المراهقات ودخولهن المبكر إلى سوق العمل في بعض الحالات.<br>- هيمنة الاخوة على الأخوات.<br>- احتمال فشل متكرر للإناث وانقطاع عن الدارسة.<br>- زواج مبكر أو متأخر.<br>- عنف أسري.<br>- لا مساواة صارخة بين الفتاة والفتى.<br>- رقابة على الانخراط في الفضاء العام.<br>- تكفل بمسؤوليات تخلى عنها الأهل.<br>- استقلالية الاستقالة - تكون الشخصية المستقلة قد يكون ناتجا عن معاناة وتخلي الأهل. |

**إطار 7.2**

## رسومات ودلالات

أشعر أن المراهقين والمراهقات يعيشون نوعا من الحيرة، فلا هم أطفال ولا هم كبار. ويؤثر هذا في علاقتهم مع أسرهم. كما أن العلاقات داخل الأسرة تؤثر في سلوكهم في المدرسة ومع أصدقائهم. في بعض الأسر تحرم البنات من أبسط الحقوق مثل الخروج في نزهة أو من حقها في لباس أو حذاء يعجبها. هي تبقى في البيت ترعى الأطفال فيما الأمهات يذهبن إلى جلسات "القات". وهناك بعض العادات لا تزال مستمرة في اليمن إذ تمنع الفتيات من الجلوس على مائدة الطعام مع الأب والأخ. وتفرد الموائد للأب أو الأبن وهي تأكل بعد ذلك. وفي بعض المناطق الريفية تحرم البنت من الدراسة بسبب العمل في الحقل. ولا توجد مجلات تتناول قضايا الشباب وطبيعة علاقاتهم في هذه السنوات الحرجة أحيانا. ويستمع شبابنا إلى موسيقى لا علاقه لها بالبيئة الاجتماعية.

في هذه الفترة الحرجة من سن 14 - 18 يعاني المراهقون من صعوبات كثيرة خاصة في اليمن. وأحيانا تظهر لنا رسومات الأطفال حتى قبل هذا العمر بعض الحقائق عن العلاقات داخل الأسرة. طلبنا من الأطفال رسم لوحة من واقع الحياة التي يعيشونها في البيت والشارع والمسجد. إحدى الفتيات رسمت أما تولد وتموت في اللوحة نفسها مما يبين قصورا في الرعاية الصحية. وكذلك هناك أطفال رسموا أدوار الولد وهو يذاكر بينما البنت تنظف. هذه أمور ترسخت في ثقافتنا وعلينا أن نحاول التصدي لهذه الصورة النمطية التي أصبحت لدى الجميع.

في المدارس، نجد بعض الأطفال الذين يعانون من الكبت في منزلهم يخاطبون المدرسين بعنف. وقد بدأت هذه الظاهرة تنتشر في مدارس البنات في السنوات الأخيرة. كما انتشرت ظاهرة الكذب، فكل فتاة تساعد الأخرى "وتغطي عليها". يخرجن أحيانا دون علم أهاليهن هربا من الكبت والتضييق. إذا أرادت الفتاة أن تشتري لباسا معينا أو ملابس داخلية أو مساحيق تجميل، فهي لا تعطى فرصة حقيقية في اختيار حاجاتها، لذلك تشرّك في ذلك رفيقاتها خلسة عن الأهل أحيانا. وهناك أيضا فرض الزواج المبكر الذي قد يصل إلى حد اعتباره جريمة أحيانا. فالبنت تكون ناجحة دراسيا ويتم تزويجها رغما عنها بغرض المحافظة عليها. وهذا أسلوب خاطئ تماما. وهناك عدم اهتمام إعلامي فادح، فلا يوجد سوى المسلسلات المدبلجة (المكسيكية) التي يشاهدها الكبار والصغار. كما تبرز أحيانا مشكلات محددة تطال نساء ينجبن بطريقة غير شرعية. ولا توجد أية مصداقية في تعامل الأسرة مع هذه الحالات. وهذا كله يجعل المراهق أو المراهقة في حيرة بين تقليد هذه السلوكات والمواقف وبين رفضها واتخاذ مسافة منها.

في إطار الأسرة، الولد يأكل مع الأب والبنات يأكلن مع الأم بحكم العادات والتقاليد الموروثة. إذ توجد أدوار للفتاة حتى بين أوساط المثقفات حيث نجد أن الاخوة يمارسون سلطة على الأخوات. ولكن نحاول أن نتخلص من هذا بأن نوجه الشباب إلى تحمل المسؤولية بالبيت مثلهم مثل البنات.

**أخصائية وناشطة في مجال الطفولة-اليمن**

# أنماط الأسرة العربية

رسم بياني 7.2

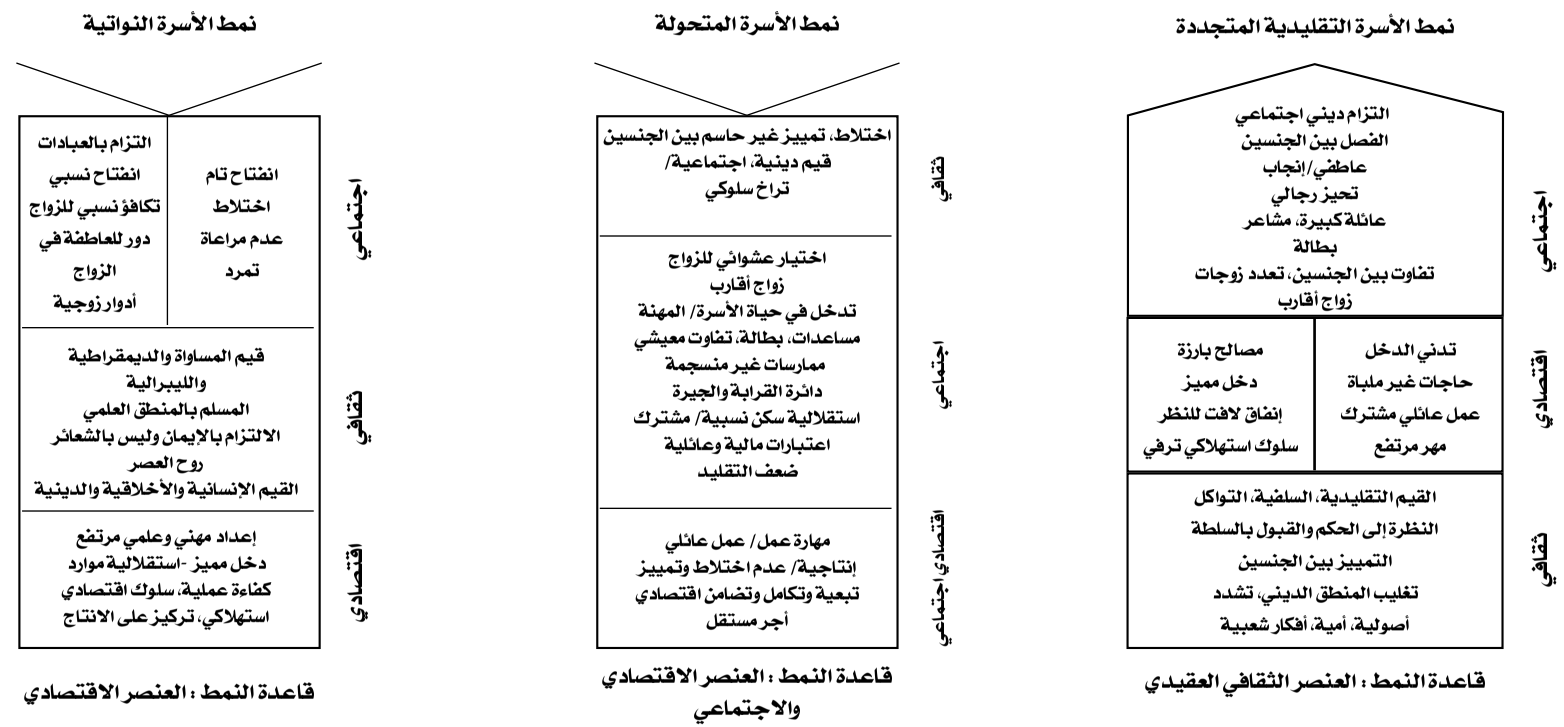


**المصدر** : حطب زهير، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر "نحو استراتيجية للأسرة العربية"، الدوحة 8 جانفي/يناير 2003.

نقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها في خلاصة هذا الفصل تتعلق بعلاقة الأسرة بالفاعلين الآخرين الذين يؤثرون في التنشئة الاجتماعية للمراهقات والمراهقين وتحديدا الأصدقاء والمدرسة. وما يلفت النظر هو ضعف العلاقة بين هؤلاء المتدخلين إلى حد انعدام التكامل بينهم، وخصوصا بين الأسرة والأصدقاء الذين غالبا ما ينظر إليهم باعتبارهم منافسا غير مرغوب فيه للأسرة. ففي حين يكتسب الأصدقاء أهمية متزايدة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين، حيث يتيحون مجالا للتحرر النسبي من رقابة الأسرة وقواعد الكبار وفسحة لبناء عالمهم الخاص، يلاحظ أن السعي إلى التكامل بين الأسرة والأصدقاء يكاد يكون مفقودا بحيث يعمل الأهل على تجاهل تأثير الأصدقاء أو التقليل من شأنه أو خلق تأثير مضاد، والعكس صحيح أيضا.

ومقارنة بتأثير مجموعة الأصدقاء، تحظى المدرسة كمؤسسة تربوية بموقف أكثر إيجابية من قبل الأهل، إذ يبدون تعاونا أكبر معها ويقدّمون الدعم المادي والمعنوي لأبنائهم ضمانا للنجاح في الدراسة. كما يراهنون على المدرسة لتحقيق آمالهم وطموحاتهم وضمان الارتقاء الاجتماعي للأبناء. ولكن علاقة الأهل بالمؤسسة التعليمية ضعيفة أيضا، وغالبا ما لا يشارك الأولياء في لجان الأهالي ولا يقيمون روابط مع المدرسين وإدارة المدرسة ولا يزورونها إلا في مناسبات قليلة وغالبا في حال حصول مشاكل مع التلميذ وبطلب من الإدارة أو المدرسين. وهكذا لا يقوم أي تكامل حقيقي بين العائلة والمدرسة رغم تكامل أدوارهما التربوية ورغم أن العملية التربوية هي أصلا عملية موحدة تجاه المراهقة والمراهق.

وبشكل عام، قلة هم المراهقات والمراهقون الذين تمتعوا بحقهم في بناء الذات على أساس أنهم أفراد وذوو شخصيات مستقلة. وإجمالا، إن المعايير التربوية في العائلة لا تزال أكثر ميلا إلى علاقات السلطة. كما أن تنشئة المراهقين وخاصة الإناث تتم عادة وفق النموذج التقليدي الذي يبقي عليهم في وضعية تبعية مادية وعاطفية تجاه الكبار. ولئن انتقد بعضهم القواعد التي فرضها عليهم آباؤهم، فإن قلة من المراهقات والمراهقين عبروا عن رفضهم لها بصريح العبارة.

**رسم بياني 6.2 : نماذج الأسر والإحتمالات المرجحة للتفاعل والتبادل فيما بينها**

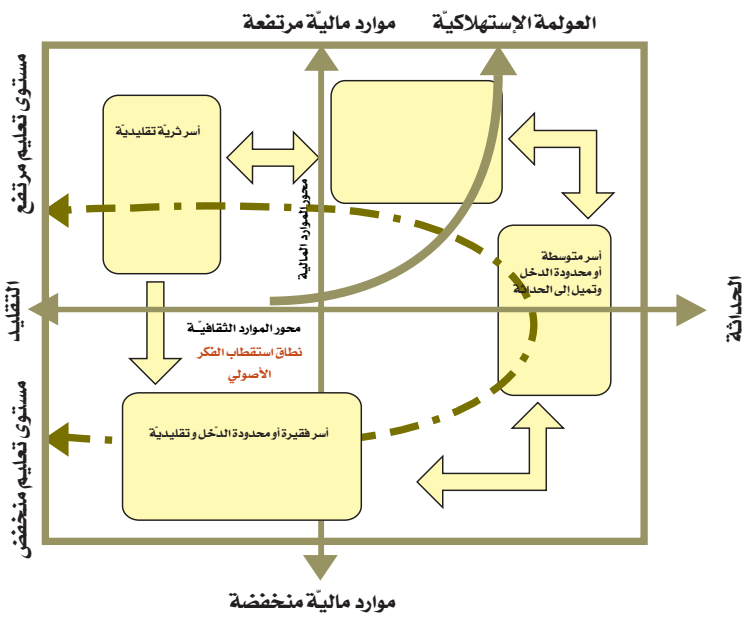

القسم الثاني :

# الدراسة الميدانيّة

الفصل الرّابع:

## المدرسة والعمل :

انتقاء وغموض

ويعتبر مثلث العائلة - المؤسسة الدينية - المدرسة الأكثر أهمية وتأثيرا في حياة المراهقة و المراهق، وهو يمثل بالنسبة إليها تجليات للسلطة المادية والاجتماعية والمعنوية، والتي تعتبر نوعا من المعابر الإلزامية والمصافي الانتقائية للمؤثرات الأخرى الصادرة عن المجتمع والعالم. إلا أن العائلة والمؤسسة الدينية تعتبر أكثر قدما وأدوارها أكثر استقرارا وأقل تناقضا في الممارسة ضمن فترة زمنية محددة، من المدرسة التي تحمل نسبيا بداخلها عناصر تغييرية وتجديدية أكثر قوة.

مع ذلك فإن الأدوار المشار إليها، ببعديها التجديدي والمحافظ، لا تتحقق ولا تمارس تأثيرها إلا في إطار أوسع من المؤثرات والآليات على الصعيد الوطني، وأحيانا على الصعيد العالمي، لا سيما في عصر العولمة. ففي المراحل التكوينية للتاريخ العربي في القرن العشرين، كان التعليم ركنا أساسيا من أركان مشروع النهضة العربية ومن المشروع الوطني الاستقلالي. والمدرسة بهذا المعنى، كانت تخرّج النخب والمواطنين وفق المواصفات المطابقة للمشروع السياسي الناشط. لذلك أدى التعليم دورا في تغيير البنى والذهنيات وتطوير المؤسسات التقليدية. وتحوّل المدرسون والمتعلمون إلى سلطة معنوية واجتماعية في أماكن عملهم وسكنهم. وتشكلت من بين صفوفهم النخب التي قامت بالتغيير السياسي في معظم البلدان.

إن المدرسة بهذا المعنى هي عامل تحديث للمجتمع. فهي تدخل عناصر العلم والنقد إلى جانب التقاليد والثقافة الشعبية والدين كعوامل حصرية محددة للوعي والسلوك في المجتمعات التقليدية. وهي بهذه الصفة تعد عامل تطوير وتغيير وتخصيب للمؤسستين العائلية والدينية. ولكن المدرسة تفقد في طور التراجع والركود الكثير من قدراتها التغييرية ويغلب عليها أيضا دور إعادة إنتاج الواقع القائم. فتفقد بالتالي دورها كحامل وناقل لوعي مختلف. ونتيجة لذلك يحصل اختلال في آليات وفي فضاءات انبناء شخصية المراهقة أو المراهق.

في حين يفترض أن تكون المراهقة (أو المراهق) تحت تأثير متوازن لمؤسسات ثلاث هي العائلة والمؤسسة الدينية والمدرسة يؤثر كل منها في اتجاه معين بما يتيح لها أن تبلور مسار تكون شخصيتها من خلال توازن مقبول بين تلك المؤسسات، يشهد التوازن اختلالا فنرى أن السياسة تخترق الدين والدين المسيس يخترق العائلة، ويخترق الاثنان المدرسة ويتحولان إلى سلطة عليها، مما يعطل دورها في خلق توازن مبني على العلم والمفاهيم الحديثة والنقد.

وينتج عن ذلك تراجع كبير في مضمون التعليم ونوعيته، إذ لم يعد الحس النقدي مسموحا به في المدارس. ويزيد من حدة هذه الإشكالية، الدور المتعاظم الذي تلعبه وسائل الإعلام، لا سيما الفضائية منها في بناء المعارف والسلوكيات وتكوين الوعي العام وفق اتجاهات تخرج أغلب الأحيان عن سيطرة المجتمع المحلي والأسرة والمدرسة.

# المدرســـة والعمـــل

## مقدمـــــــــة

تحتل المدرسة موقعا أساسيا في حياة المراهق الفرد وفي تشكل المراهقة كظاهرة/حالة اجتماعية. فمن جهة، تمضي غالبية المراهقات والمراهقين سنوات مراهقتهم داخل المؤسسة المدرسية في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي. ومن جهة أخرى، شكّل انتشار التعليم في مؤسسات معينة (المدارس)، من الناحية التاريخية - الاجتماعية إحدى الآليات الأكثر أهمية في تبلور المراهقة كمرحلة متميزة اجتماعيا وسلوكيا وثقافيا، باعتبارها من مؤسسات الحداثة الأكثر تأثيرا في بناء مرتكزات التحول الاجتماعي أو التعبير عنه. كما لا تزال المدرسة تمثل الحاضنة الأكثر أهمية لبلورة السّمات الخاصة والمشتركة بين المراهقين. فهي تتيح تكوين ما يمكن اعتباره "الكتلة الحرجة" والبيئة المساعدة على التفاعل الداخلي بين المراهقات والمراهقين الذين ينتظمون في حركات وطنية أو جهوية، أو في مجموعات و"شلل"، تتجلى فيها بوضوح أكبر خصائص المراهقة في علاقتها الصراعية مع المجتمع ومؤسساته وثقافته. وهو ما يفسر ربط العديد من الباحثين بين نشوء المراهقة وبين انتشار التعليم في صيغة مؤسسية هي المدرسة. وهي علاقة تبدو أشد ارتباطا في البلدان العربية على نحو جعل الفرق الوطنية تستخلص في أكثر من بلد مشمول بالدراسة الميدانية في إطار هذا التقرير أن "المراهقة هي نتاج التمدرس".

لقد تم التفاعل في المجتمعات العربية مع الحداثة بالدرجة الأولى من خلال نقل الأشكال القانونية والأطر المؤسسية التي أنتجتها الحداثة في أوروبا[1]. ويعتبر تعميم التعليم وبناء المدارس إحدى النقاط الثابتة على جدول أعمال كل القوى الاجتماعية والسياسية في مرحلة النهضة في مطلع القرن، وفي مرحلـــة الاستقـــلال في العقود التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية. كما ساهمت بعض الإجراءات بشكل مباشر في تبلور المراهقة كفئة اجتماعية في آجال زمنية قصيرة نسبيا (لا تتجاوز الجيل الواحد أحيانا). ففي الجزائر، كان لقرار منع الزواج المبكر والتعليم الإلزامي حتى عمر 16 سنة، بعد الاستقلال، دور كبير في تشكل المراهقة، في وقـت لم تسجل فيه تحولا ت موازية في المجتمع الجزائـري في المجالا ت الأخـرى باتجـاه الحـداثـــة[2].

## 1. وظائـــف المدرســـة

لقد أناط المجتمع بالمدرسة وظائف أساسية ثلاثة : نقل المعرفة، التأهيل لدخول سوق العمل والتأهيل للمواطنة ولأداء الأدوار الاجتماعية. وفي هذه الوظائف الثلاثة، تكون العلاقة المهيمنة بين المدرسين والإدارة من جهة، والتلاميذ من جهة أخرى، علاقة عمودية. إلا أن هناك دورا رابعا ينجم عن تجمع المراهقين وعن العلاقات الأفقية بين زملاء الدراسة. وجعلت هذه العلاقات من المدرسة المناخ الملائم لتشكل حركات الاعتراض والتمرد على السلطة المدرسية والعائلية، ومنها على سلطة المجتمع. وبهذا المعنى كانت المدرسة الفضاء الذي تنبني فيه جوانب أساسية من شخصية المراهقة (أو المراهق) وثقافتها ومواقفها وسلوكياتها.

(1) انظر المدخل النظري في القسم الأول من التقرير.
(2) وهو ما جاء في الدراسة الجزائرية المعدة في إطار هذا التقرير.

إلا أن الأدوار التي تقوم بها المدرسة تتأرجح بين حدي إعادة إنتاج الوضع القائم والتجديد. مما يؤدي إلى وضعيات مختلفة صدامية أو تلاؤمية بين المراهقة كفئة وكأفراد، وبين المجتمع ومؤسساته الأخرى، وفيما بين هذه المؤسسات المختلفة نفسها.

ويمكن رصد هذه التحولات في العلاقة بين الوظائف الأربع التي تقوم بها المدرسة، وفي كل وظيفة على حدة. إن الأزمة التي يتعرض لها نموذج المدرسة تتمثل في جانب منها في واقع التجزئة والفصل بين وظائفها المختلفة. إضافة إلى تغليب الجوانب التقنية بحكم إعطاء الأولوية للأهداف الاقتصادية ووظيفة التأهيل لدخول سوق العمل على الوظائف الأخرى ذات الطابع الاجتماعي والمعرفي. وهو ما نراه سائدا في بعض "الأدبيات التنموية" التي تركز بشكل مبالغ فيه على مسائل من نوع الربط بين التعليم والعمل والجدوى الاقتصادية للتعليم... كما تطال الأزمة في بعد ثان بعض التأرجحات والتحولات في الوظائف الأربعة نفسها التي تقوم بها المدرسة.

وفيما يلي أمثلة على هذه التحولات وتأثيرها على المراهقات والمراهقين ومستقبلهم.

## أ- الوظيفة المعرفية

للمدرسة وظيفة أولى وهامة جدا تتمثل في نقل المعرفة، التي تتمحور حولها الوظائف الأخرى. إذ تبرز تلك الوظيفة اختلاف المدرسة النوعي عن الكتاتيب والمدارس الدينية التي سبقتها بوظائفها المختلفة. فالمدرسة تكسر احتكار العلم والاصطفاء التراتبي للتلاميذ والمربين في المجتمعات التقليدية. وهي بهذا عنصر تغيير معرفي، ساهم في بناء وعي جديد لدى جيل الأبناء وقناة لتمرير المؤثرات والإنجازات الاجتماعية الوطنية والعالمية في كافة المجالات، وتحويلها إلى وعي وسلوكيات لدى الجيل الجديد. ولكن بقدر ما كانت المدرسة تفقد دورها في بناء وعي نقدي وسلوكيات تجديدية، وبقدر ما كانت تفصل بين العلم والوعي العلمي، كانت تتصالح مع المؤسسات التقليدية وتفقد دورها التغييري، وبالتالي جاذبيتها للمراهقين والشباب. وثمة شواهد معاصرة تشير إلى بداية تراجع دور المدرسة المعرفي المتصل ببناء الوعي العلمي، من خلال تدخل السلطة السياسية والمؤسستين الدينية والعائلية في مضمون المناهج وتحديد مواد التدريس[3]، بما شكل اختراقا مضادا من المؤسستين العائلية والتقليدية، أو من المجتمع عموما، للمجال المدرسي. كما يتم إخضاع العملية التعليمية لأولويات النمو الاقتصادي في الخطاب الذي يدعو إلى إصلاح النظام التعليمي على قاعدة التخصص المبالغ فيه، والتأكيد على أولوية التعليم الفني والاختصاصات التطبيقية، وتطوير المهارات على حساب المعارف، والتأهيل المهني والاستخدام الوظيفي البراغماتي للمهارات على حساب المعرفة المنظمة والمهيكلة. وهذه كلها إشكاليات مطروحة في مجال إصلاح أنظمة التعليم المعاصرة.

**(3)** من الأمثلة على ذلك تدخل مؤسسات دينية وتجمعات الأهالي في بعض مدارس الولايات المتحدة الأميركية نفسها، لحذف تدريس نظرية داروين من المناهج التعليمية، أو تدخل المؤسسة الدينية وبوسائط عائلية وأهلية من أجل الحيلولة دون إدراج مواد التربية الجنسية في مناهج التعليم للمراهقين في أكثر من بلد عربي.

**رسم بياني 8.2 : صيغة محتملة للعلاقات بين المدرسة والعائلة والمؤسسة الدينية، والمراهقة أو المراهق في مرحلة من الركود الاجتماعي**

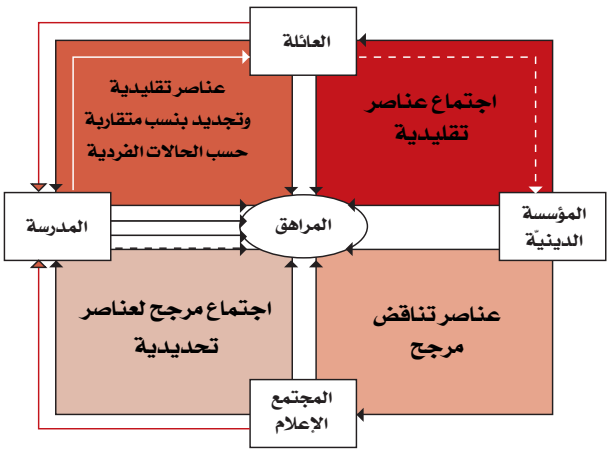


يؤدي هذا الوضع إلى احتمال تزايد الضغوط على المراهقات والمراهقين كفئة اجتماعية وكأفراد واحتمالات الصدام مع العائلة ومع المؤسسات الاجتماعية. كما يمكن أن ينتج عنه تقارب بين هذه المؤسسات الثلاث وتغليب وظائفها كتجسيد للسلطة بما يحد من انتشار الوعي النقدي وتشكّل الشخصية الفردية. وأكثر من ذلك، قد تسهم تلك المؤسسات في قولبة المراهقات والمراهقين واستيعابهم وتذويبهم في إطار تشكلات وحركات اجتماعية وسياسية وإيديولوجيات، تقوم على عدم الاعتراف بهذه الشخصية، بل ونفيها. إلا أن هذه النسق الأخير لا يمكن إلا أن يكون حالة مؤقتة وانتقالية بحكم عجز أي إطار مهما كان منغلقا، عن الحيلولة دون التفاعل مع مؤثرات خارجية. وتبدو المدرسة بهذا المعنى، على الرغم من الضغط الذي تتعرض له، أكثر قدرة من المؤسسات التربوية الأخرى على التفاعل مع تلك المؤثرات ونقلها إلى المراهقات والمراهقين. ولعل هذا التفاعل هو الذي يخلق أحيانا بعض نقاط الاحتكاك بين عناصر التجديد الفاعلة والكامنة في المدرسة نفسها من جهة، وبين المؤسستين الدينية والعائلية من جهة أخرى.

**رسم بياني 9.2 : عناصر التصادم بين المراهقة أو المراهق والمدرسة والعائلة والمؤسسة الدينية، باعتبارها مؤسسات ممثلة للسلطة الاجتماعية والثقافية**

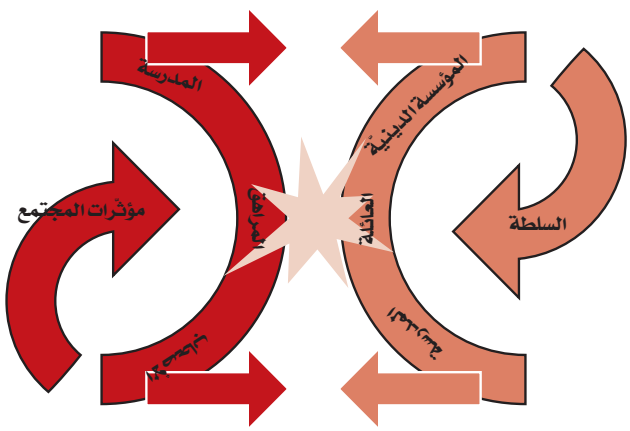

الطليعية. إن هذه السمات في حال وجودها في المؤسسة المدرسية، تؤدي إلى حالة من الضجر والملل في صفوف التلاميذ، مما يشكل أحد عوامل إهمال الدراسة، ويفضي تبعا لذلك إلى ارتفاع الشغب والتمرد والصدامات بين التلاميذ، وبينهم وبين المدرسين.

وعلى الرغم من التحولات الكبيرة التي لحقت بالمدرسة تأثرا بالاتجاهات الحديثة في علم التربية، إلا أنها لا تزال بالدرجة الأولى مؤسسة تقوم على النظام والانضباط. "يكفي أن نتذكر أن المؤسسات المدرسية ليست مصممة لكي تكون ممتعة للتلاميذ. الدخول الإلزامي إلى المدرسة يعني أن التلميذ مجبر أن يبقى جالسا في مكانه في قاعة مغلقة. كما أن معظم اتجاهات علم التربية تتفق في أن التعليم المدرسي يتطلب نظاما أساسيا يتضمن إبقاء التلميذ مقيدا ودون حركة لقسم كبير من النهار. إن الاستراحة هي الوقت الوحيد الذي يسمح فيه للتلميذ بالحركة بقدر معين من الحرية. حتى دروس الرياضة لا تزال تقوم إلى حد بعيد على المبادئ نفسها"[5]. وفي المجتمعات التي تمر بأزمات أو بفترات ركود، يصبح هذا الوجه السلبي للمدرسة طاغيا، إذ تتخذ وظيفة التأهيل للمواطنة شكل التدريب على الطاعة والانضباط واحترام النظام دون مساءلة.

## د- المدرسة كإطار للعلاقات الأفقية بين التلاميذ

تشكل المدرسة آلية مشروعة ومعممة للخروج من مجال العائلة إلى مجال أوسع. وهي مساحة احتكاك مزدوج مع المدرسين الذين يحلّون محل الأبوين، ومع الزملاء الذين يحلون محل الاخوة ومحل الأهل أحيانا كمصدر جديد أكثر جاذبية للمعلومات والسلوكيات. وبهذا المعنى، فإن العلاقات الأفقية داخل المدرسة مفتوحة على عناصر وديناميات غير متوقعة، خصوصا في مدارس المدن حيث يكون هامش الحرية أكبر، مما يهيئ نظريا فرصا أفضل لبناء الهوية الفردية بشكل مستقل.

كما أن العلاقة بين "شلة" الأصدقاء في المدرسة قد تكسر في علاقتها الداخلية الصمت إزاء الثالوث المحرم، السياسة والجنس والدين، أو أحد أضلاعه الأساسية. فالجنس يشكل بالتأكيد موضوعا مفضلا للأحاديث بين المراهقين إناثا وذكورا. وهو ما يقود إلى مساءلة المسلمات الشائعة المتداولة في إطار العائلة والمؤسسة الدينية.

ثمة حالات مناقضة تماما، فقد تشكل ثلة الأصدقاء قناة لنقل الوعي المحافظ بصيغته الدينية - السياسية غالبا، إذ أظهر عدد من المقابلات أن تأثير الصديقات على زميلاتهن في المدرسة في مسألة ارتداء الحجاب أكبر من تأثير الأهل، الذين قد يكونون أحيانا أكثر تساهلا من زميلات الدراسة إزاء هذا السلوك. وفي ذلك مثال على أن المؤسسة الدينية المسيسة خصوصا، تخترق المدرسة بسهولة أكبر أحيانا من اختراقها للعائلة.

**(5)** Scolarité et adolescence: Les motifs de l'insécurité; Alain Clemence, Francois Rochat, Caroline Cortolezzis, Patricia Dumont, Michele Egloff, Claude Kaiser; : Haupt - Bern 2001.

## ب- وظيفة التأهيل للدخول في سوق العمل

تعد وظيفة المدرسة كناقل للمعارف العلمية ضرورة اقتصادية أيضا فرضها التطور التكنولوجي وعملية الإنتاج التي باتت تتطلب مهارات متزايدة للتعامل مع الآلات والمعدات المعقدة واستخدام السلع الالكترونية وبرمجيات الحاسوب... وأداء هذه الوظيفة يتطلب تطابق مواصفات العرض والطلب في سوق العمل. يعني هذا الحاجة المستمرة لتطوير مناهج التعليم، المتخلفة نظمه عموما عن مواكبة التطورات التكنولوجية (ونخص هنا البلدان العربية)، وحيث مخرجات العملية التعليمية لا تتطابق مع احتياجات سوق العمل المحلية (والعالمية)، في ظل غياب استراتيجيات مناسبة وفعالة على هذا الصعيد. إلا أن هذا التراجع لا يشمل جميع المدارس بشكل متساو، بل تستثنى منه مدارس النخبة الخاصة، التي يكون للتعليم فيها قيمة مضاعفة في التأهيل لسوق العمل. وهذا اتجاه جديد في عصر العولمة، ففي حين أن المدرسة هي في الأساس وسيلة لتقليص التفاوت الاجتماعي، وآلية للترقي الاجتماعي من خلال التعليم، نجد أن نظام ثنائية مدارس النخبة - مدارس العامة، مدراس الأغنياء - مدارس الفقراء، تسهم في إنتاج نوع متجدد من التفاوت الاجتماعي بشكل موسع، من خلال أدوارها المتفاوتة في التأهيل لسوق العمل. وغني عن البيان أن مثل هذه الوضعية، تعزز الانقسام الثنائي العمودي داخل المراهقة كفئة اجتماعية وكحركة ويغذي عوامل الاستقطاب داخلها ويجزئها إلى تيارات ثقافية وسياسية متنافرة أحيانا. ويتحول هذا الوضع إلى مصدر قلق أساسي في المجتمعات المتقدمة بما يكاد يهدد بنسف الدور الأساسي الذي كانت تقوم به المدرسة كمؤسسة فعالة في تحقيق الاندماج الاجتماعي. "إن الأهل يعلقون آمالا كبيرة على المدرسة، بشكل مبالغ فيه، بمقدار ما يشعرون أن الحكم الصادر عنها في نجاح أبنائهم أو فشلهم سيحدد إلى حد كبير مستقبلهم". تكتسي الشهادة أهمية متزايدة في سوق عمل يتزايد فيه عدد حاملي الشهادات وتحتد فيه المنافسة في ظل محدودية فرص العمل. وقد أدى ذلك إلى بروز منافسة عنيفة في مجال التعليم والتمدرس وإلى موقف رافض لكل ما من شأنه أن يفضي إلى تراجع القدرات التنافسية في المدارس التي يختارها الأهل لأبنائهم. "إن الخطر هو أن تتحول المدرسة إلى مكان للتنافس على الحصول على الشهادات المؤهلة لدخول سوق العمل على حساب بناء المواطن المسؤول بدون تمييز بين المراتب، والمواطن القادر على امتلاك حس نقدي والتفكير في المعارف التي يكتسبها"[4].

## ج- وظيفة التأهيل للمواطنة والأدوار الاجتماعية

تقترب المدرسة هنا أكثر من وظيفة تدعيم دور السلطة من خلال تأهيل التلاميذ للاضطلاع بأدوارهم المستقبلية المحددة اجتماعيا وتكوين "المواطن الصالح". وتستخدم المدرسة من قبل النخب في تثبيت السلطة، أو معارضتها، أو في صراع الأجنحة ضمنها. وتضطلع المدرسة بهذا الدور من خلال وسيلتين : تتصل الأولى بمضامين المناهج والمفاهيم والقيم التي تروّج لها، خصوصا في كتب التاريخ والمدنيات ودروس الدين والمواد الإنسانية. أما الوسيلة الثانية، فهي سلوكية إن صح التعبير. فالمدرسة من حيث هي مؤسسة منظمة، تدرب التلميذ بالممارسة على قبول السلطة وترفع من قيمة النظام والانضباط وتقدس التراتبية. وذاك نظام المدرسة التقليدية الذي لا يزال في جوهره ساريا خصوصا في بلداننا العربية، مع بعض الاستثناءات التي يتاح فيها هامش من الحياة الديمقراطية والمشاركة النسبية في المدارس

**(4)** Marco Oberti, Segrégation dans l'école et dans la ville; in Nouvelles problématiques adolescents, Pratiques institutionnelles en recherche; Sous la direction de Maryse Vaillant Et Jean Paul Leblanc; L'Harmattan - 2001.

تقليديا، يرتكز الدور المحوري للمدرّس على تميزه المعرفي، لجهة اتصاله بمصادر المعلومات ومستواه التعليمي المتقدم مقارنة ببيئته المحيطة، بالإضافة إلى دوره كناقل أساسي إن لم نقل شبه حصري للمعارف والمهارات. لكن الأمر تغير إلى حد كبير اليوم. وليس أكثر دلالة على ذلك من تراجع الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لمهنة المدرّس. وقد ضمر دور المدرّس التربوي، ليتحول إلى مجرد مهنة أو وظيفة مدرة لدخل متواضع وتغلب عليها وظيفة التلقين. أضف إلى ذلك، أن الارتفاع العام في مستوى التعليم، لم يقلص التفاوت بين المعلم والأهل في معظم البيئات فحسب، بل ربما قلب هذا التفاوت لصالح الأهل والإخوة الكبار. كما أصبح التلميذ بتعدد مصادر المعلومات، أكثر اتصالا وتفاعلا مع التكنولوجيات الحديثة من مدرسيه في أحيان كثيرة، مما أفضى إلى إضعاف الدور المعرفي الذي يشكل أساس سلطة المدرسين أو تأثيرهم في تلامذتهم.

## المدرس: وضع وصورة

ولا يمكن بطبيعة الحال التعميم. ولكن ما تجدر ملاحظته، أنه بقدر ما يتجاوز المجتمع سماته التقليدية، يبرز التناقض بين وضع المدرس الفعلي وبين الصورة "المطلوبة". ويبرز هذا التناقض بأقل حدة في المجتمعات الأكثر تقليدية، كما بالنسبة إلى اليمن على سبيل المثال.

ولا يبدو المدرسون أشخاصا على درجة كبيرة من الأهمية في نظر المراهقات والمراهقين الذين شملتهم الدراسة. والموقف منهم متفاوت، فمن بينهم من يستحق الحب والتقدير ومن ترك تأثيرا جيدا، ومنهم من هو محل كراهية. وترجع المراهقات والمراهقون هذا التفاوت في الموقف إلى شخصية المدرس نفسه، وإلى بعض الظروف الخاصة التي أحاطت علاقتهم به. وطالت الاعتراضات الأساسية على المدرسين مسألة عدم حماسهم لعملهم وضعف الكفاءة العلمية في تدريس مادتهم، فضلا عن أسلوب التدريس وكيفية إدارة الصف والتعامل مع التلاميذ لجهة التسلط واستخدام العنف اللفظي أو الجسدي.

يصف باهر (16س) وسهير (16س) وعزيزة (17س) من مصر الحالة النفسية للمدرسين "كلهم مش طايقين روحهم وزهقانين أكثر منا". ويضيف عبد الله (17س، مصر) أن "العدد الكبير من المدرسين يدرسون في الريف وهم غير مسرورين لذلك". وتجدهم نسرين (17س) ودينا (15س) وريا (19س) ورفيف (17س) من لبنان أشخاصا عاديين، لا مبرر لاعتبارهم مثالا أعلى. وينتقد التلاميذ في مدرسيهم عدم أهليتهم للتدريس نتيجة عدم تدربهم على المنهجية الجديدة واستخدام التجهيزات المخبرية. تقول هناء (15س، لبنان) "مدرس الفيزياء يبدو مرتبكا وضائعا في الصف ويعلمنا هيك هيك".

يبدو التلاميذ هنا متطلبين معرفيا، وباتوا يملكون الموارد لتقييم أداء مدرسيهم خلافا للأجيال السابقة. وتتكرر هذه المشكلة في كل مكان تقريبا "لم أر في حياتي مدرسة تشرح الدرس جيدا، لا في المرحلة الابتدائية ولا في الاعدادية، ولا حتى مشرفة أو مديرة. لم يدخلوا مرة حياتنا أو أثروا فيها قليلا. حدثت خلافات كثيرة معهم لأن المدرسات دائما ينظرن إلينا نظرة احتقار واستهزاء. هل نحن حشرات عندهم؟ أحيانا المدرسة تغلط ونحن إذا أردنا أن نصحح لها لا تقبل. لماذا؟ نحن وهم بشر ولسنا معصومين من الخطأ" هكذا تستنكر مريم (14س، البحرين).

وفي هذه الحالة تشكل المراهقات والمراهقون أداة اختراق للعائلة لصالح المؤسسة الدينية - السياسية. وعادة ما يكون الأهل أكثر تأثرا من أبنائهم المراهقين بمفاهيم الحداثة أو الفهم التقليدي غير المسيس للدين والعادات الاجتماعية. وفي مطلق الأحوال، غالبا ما يكون الأصدقاء عنصرا يعزز التصادم مع الواقع القائم، سواء وقع هذا التصادم مع الثقافة والسلوكيات التقليدية من موقع يقترب من الحداثة، أم من موقع أكثر سلفية أو أصولية.

## 2. العلاقة بالمدرسة

ليست المدرسة مجرد مكان جامد يتلقى فيه التلاميذ تعليمهم، إنه أقرب ليكون حياة مكتملة بالنسبة إليهم. فقد تكرر ذكر المدرسة كفضاء للذكريات الحلوة أو المؤلمة التي تركت أثرا على المراهقين أو شكلت أحيانا نقطة تحوّل في مسارهم الشخصي. وتتذكر فطومة (16س، المغرب) بحسرة "ايه.. خرجت من المدرسة وصرت أشقى في العمل المنزلي الذي أتحمل مسؤوليته ولم يعد لدي الوقت الكافي للخروج..." بينما تتكرر في تونس اعتبار السنة التاسعة[6] بمثابة نقطة تحوّل في حياة المراهقات والمراهقين الذين يشعرون بأنها لحظة انقضاء "الطفولة" على حد وصف سهام (17س) وفريدة (17س)، والانتقال إلى مرحلة التعليم الثانوي.

وترتبط سنوات المدرسة ارتباطا شديدا بذكريات الصداقة، فتتراوح بين سنوات جميلة وأخرى محبطة. إذ ترى ثراء (16س، اليمن) أن أفضل سنة كانت "الصف التاسع، التي أثرت في كثيرا لأنني أحسست بمعنى صدق الصداقة، كنا نساعد بعضنا ونشعر أن هناك متعة في الحياة".

وتشكل هذه الصداقات حافزا للنجاح قصد البقاء مع زملاء الصف، وقد يعتبر تغيير المدرسة حدثا غير مرغوب فيه للسبب ذاته. أو على العكس من ذلك، قد يعتبر حدثا إيجابيا لكونه يفتح المجال أمام التعرف إلى أصدقاء جدد أو الانتقال إلى بيئة جديدة خارج إطار القرية الضيق.

إن سنوات المدرسة ومراحلها، هي التقسيم الزمني المهيكل والمستقر الأكثر تأثيرا في الوقت وفي تراكم التجربة والمعارف الذي يمكّن المراهقة والمراهق من أن يبنيا ذاكرتهما وتجربتهما الشخصية على أساسه. وبالتالي، فإن للمدرسة أهمية فعلية ورمزية، بالنسبة إلى المراهقة والمراهق، تتجاوز العملية التعليمية بمعناها الضيق.

### أ- العلاقة مع المدرسين

تبدو العلاقة بين التلاميذ ومدرسيهم في المدرسة ملتبسة ومتفاوتة. فالمدرس يمثل في الصف السلطة الموازية لسلطة الأهل أو الأب في المنزل. وهو أيضا وسيط أو ناقل للمعرفة، يساعد التلميذ على بناء وعيه وتطوير أركان شخصيته على نحو يمكّنه من الشعور بقيمته الذاتية ويؤهّله للنجاح في العمل وفي المجتمع لاحقا. وهو أيضا مربٍ وإنسان له أسلوبه الخاص وشخصيته المميزة، التي تؤثر في التلميذ سلبا أو إيجابا. وتتحدد علاقة التلميذ بمدرّسه حسب شخصية هذا الأخير وتجعل العلاقة بينهما تتراوح بين اللامبالاة والصدام والانسجام. كما يمكن أن يمثّل المدرّس في بعض الأحيان مثالا يحتذى به.

(6) آخر سنة من المرحلة المتوسطة أو الإعدادية، وهي تقابل سن الخامسة عشرة.

ففريدة (17س، تونس) تفضل مدرس اللغة العربية لأنها "تستطيع أن تناقشه، في حين في مادة الرياضيات لا تتوفر هذه الإمكانية". وفتحية (16س، تونس) تحب مدرس اللغة الفرنسية لأنه متسامح ولا يتوتر، بينما تتذكر نجاح (16س، تونس) الأستاذ رياض بسبب رومانسيته بمعنى هدوئه وعدم لجوئه إلى العنف. وتقول رانا (16س، مصر) عن مدرس اللغة الإنجليزية إنها " لأول مرة تصادف شخصا يتقن عمله جيدا، وهو مثقف وعقله منفتح، ويجيد التفاهم مع التلاميذ كأنهم أصحاب، ويقيم علاقة معهم. وكذلك مدرس الرياضة الذي كان يعامل الجميع كأنهم كبار، على كل منا مسؤوليات علينا القيام بها. ولم يكن يعاقب أحدا أبدا، ولكنه كان يشعرنا بالذنب في حال أخطأنا". ومحمود (18س، البحرين) يحب مدرس اللغة العربية الذي حقق له إضافة "سمعت منه لأول مرة كلمة عولمة، واستفدت منه كثيرا".

و"المدرّس الجيّد" يمكن أن يجعل التلميذ يحب المادة أو يكرهها. يرى بول-فاليري (18س، لبنان) أن مدرسا للرياضيات كان سبب تراجعه في هذه المادة. وروان (15س، اليمن) تكره الكيمياء لأنها لا تفهم شرح المدرّس. أما دعد (15س، اليمن)، فهي تقدم مثالا إيجابيا، إذ أبدت إعجابها بأسلوب مدرس اللغة الإنجليزية في الشرح " وكذلك تعامله مع الطلاب، وأنا لم أكن لأحصل على درجات جيدة في هذه المادة لولا أنه كان متفهما في علاقته معي". إلا أن ذلك لا يعني أن التلاميذ غير قادرين على التمييز بين مستوى الكفاءة المعرفية لمدرسيهم وأسلوبه وشخصيته. إذ على الرغم من ترابط هذين البعدين، شملت متطلبات المراهقات والمراهقين كلا البعدين، بالإضافة إلى الحد الأدنى من القدرة على ضبط الصف والحد من الفوضى.

ويشخص محمود (18س، البحرين) الآليات الدفاعية التي يتبعها المدرس في حالة القصور المعرفي، فيجد أنه "يقدم أحيانا مسائل لا يجد لها تفسيرا مقنعا، فيحاول أن يفرضها علينا، فتحصل بيننا مجادلات". ويشكل انتقاد أسلوب التلقين نقطة وفاق في نقد المدرسة والمدرسين، فيعترض أشرف (18س، لبنان) على أن يقتصر دور المدرس على "رمي" الدرس والذهاب، في حين يجب أن يؤدي دور توجيه النقاش داخل الصف بما يتيح للتلميذ أن يولّد الأفكار بنفسه.

الوجه الآخر للنقد الموجه للمدرسين يتخذ شكلا غير مباشر وأكثر شيوعا لدى المراهقات والمراهقين من خلال وصفهم المدرس الذي ترك أثرا في حياتهم. والوصف الأكثر شيوعا يطال بصفة خاصة شخصية المدرس وعلاقته غير التسلطية بالتلاميذ وأسلوبه. كما يطال إتقانه لمادة التدريس، وإن بنسبة أقل. ويلقي ذلك الضوء على تفضيلات التلاميذ وأولوياتهم المتعلقة بتطلعهم إلى علاقة غير تسلطية معهم تختلف عن العلاقة التقليدية داخل العائلة. وما يثير خلافات مع المدرسين داخل الصف، هو قضايا من النوع نفسه التي تثير الخلافات مع الأهل داخل العائلة، أكثر من كونها مرتبطة بعملية التعليم نفسها. وحتى الوصف الذي يعطيه التلاميذ للمدرس الجيد، خصوصا من قبل المراهقات، يحيل إلى وظائف الأهل كما سنتبين فيما يلي.

في وصف المدرس أو المدرسة ذوي المواصفات الجيدة والمفضلة، تتكرر العبارات المفاتيح التالية : والد، أخ، أم، أخت كبيرة، صديق أو صديقة، أخلاق جيدة، متفهم (ة)، هادئ أو هادئة، لا يصرخ، يزورنا في البيت، يهتم بالتلاميذ ويصغي إليهم، أسلوبه شيق، يتحدث في أمور تخرج عن نطاق الدرس الضيق، رومنطيقي (بمعنى رهافة الحس)، يبذل الجهد في التفسير، مثقف، شخصيته قوية... وفي المقابل نجد المدرس التقليدي الذي يلقي الدرس وكأنه مكره على ذلك، لا يصغي ولا يهتم بمشاعر التلاميذ ولا يتقن مادته ولا أساليب التدريس. إنه الاختلاف القائم بين المدرس الذي يريد أن يجسد السلطة الإدارية البحتة في الصف، وبين المدرس المربي.

في المقابلات اليمنية، تكررت الإشارة إلى المرجعية العائلية في وصف المدرس الجيد "كان هناك مدرسة درستني في الصف السادس كانت طيبة ومحترمة، كنت أعتبرها مثل أختي الكبيرة، وكانت تعاملني مثل أخوها" كما جاء على لسان فارس (15س). واعتبر حسام (18س) مدرسه المفضل "مثل الوالد". وكانت المدرّسة المفضلة لدى نازك (17س) "تدعنا نتعامل معها كأنها أختنا لا كأنها مدرسة، كانت طيبة، نأخذ ونعطي معها ولم نكن نشعر أنها المدرسة حقا". وتحب ورد (17س) مدرسة الاجتماعيات وتأثرت ولاء (17س) بمدرّسة التربية الإسلامية. واعتبرت كل منهما مدرستها قدوة. وترك مدرس التربية الإسلامية في كل من وسيم (17س) ووحي (15س) ورندا (16س) ومنذر (17س) وشمسة (16س) أثرا، في حين أن فريد (16س) كان على خلاف دائم مع مدرّس هذه المادة.

وبشكل عام يتكرر ذكر مدرسي المواد الأدبية (تربية إسلامية أو أدب عربي أو تاريخ أو لغة فرنسية أو إنجليزية أو اجتماعيات...) أكثر من ذكر مدرسي المواد العلمية. ويعود ذلك إلى أن هذه المواد تتطلب درجة أعلى من الانضباط ضمن حدود المادة، وتقلص هامش المرونة في التفاعل والتحدث إليهم. وفي هذه الحال، فإن مواصفات المدرس الجيد تصبح مختلفة، وأكثر ارتباطا بكفاءته في معرفة المادة وامتلاكه أسلوبا جيدا في التدريس وإيصال المعلومات.

### الخلافات مع المدرسين ونظام الانضباط

تعد المدرسة مكانا لممارسة السلطة والتدريب على الطاعة والانضباط وهو ما عبر عنه جاسم (18س، البحرين) بقوله إن "المدرسة هي الاصطدام الأكبر لي مع السلطة. في المدرسة شعرت لأول مرة في حياتي أن هناك سلطة يجب أن أتعايش معها حتى أستطيع أن أتعايش مع الحياة". وغابت في المقابلات التي أجريت في كل البلدان أية إشارة إلى وجود حياة ديمقراطية في المدرسة، كمشاركة التلاميذ في تشكيل روابط أو لجان منتخبة. ولا يفسر ذلك بغياب هذه الممارسة بالكامل، بل بمحدودية انتشارها وفعاليتها. وتغلب على المدرسة في هذه الحال، صورة المؤسسة الصارمة ذات النظام التراتبي، لا جدوى للاعتراض فيها ولا تقبل القرارات فيها الاستئناف. فينتهي أي صدام بين التلميذ والإدارة بتدخل الأهل. وتتوقف نتيجة هذا التدخل على التوازن بين مواقع النفوذ التي يمثلها أهل التلميذ موضوع الخلاف، وبين نفوذ إدارة المدرسة. واللافت للانتباه أن أي خلاف "تافه" في الصف يمكن أن يتحول إلى سبب لصدام وتوتر قد يؤديان إلى نتائج خطيرة بالنسبة إلى مستقبل التلميذ الدراسي. إن فكرة الاعتراض أو التمرد في حد ذاتها هي التي تثير لدى بعض المدرسين والإدارات خوفا شديدا، باعتبارها تمس الهيبة والنظام العام في المدرسة. فيكون رد الفعل أحيانا قاسيا بما يتجاوز أهمية الفعل نفسه.

**إطار 9.2**

## المدرسة، السجن، الثكنة

يكشف ميشال فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن، عن الخيط الجامع بين الدير والمدرسة والمستشفى والسجن والمشغل والثكنة العسكرية... : إنها جميعا مؤسسات تقوم على التحكم بالجسد من خلال نظام من الانضباط الصارم المعزز بالعقوبات. تتشابه هذه المؤسسات لا في نظامها العلائقي وفلسفتها التربوية فحسب، بل حتى في هندستها المعمارية : غرف موزعة صفوفا منظمة على جانبي ممرات مستقيمة، ساحات الاستراحة المسورة والمراقبة، المصطبة العالية التي تسمح بالرؤية الإجمالية لكل ما يجري ضمن القاعة أو الباحة، نظام الأمكنة المحدد وفق تراتبية ثابتة معروفة...

تقوم المدرسة على مراقبة التفاصيل على "الأشياء الصغيرة" والتحكم بها كوسيلة للانضباط والسيطرة. هذه هي فلسفة جان باتيست دو لاسال في بحثه عن "واجبات الرهبان في المدارس المسيحية". إن دقة القواعد والنظرة المماحكة في التفتيش والتثبت من دقائق الحياة والجسد، أعطيت في إطار المدرسة والثكنة والمستشفى والمشغل مضمونا علمانيا وعقلانية اقتصادية أو تقنية... كان ذلك تعبير عن حلم الإنسان الذي يريد أن يكون نيوتن الأجسام الصغيرة والتفاصيل والأعمال الصغيرة...

إن المدرسة - المبنى يجب أن تكون عامل تقويم...

**المصدر :** فوكو (ميشيل)، المراقبة والمعاقبة- ولادة السجن، الترجمة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت 1990.

إطار 8.2

# التربية الحديثة عند ابن خلدون

## مقتطفات من المقدمة

### تحول التعليم إلى مهنة...

إن التعليم في صدر الإسلام وفي الدولتين لم يكن بالجملة صناعة إنما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ، فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على سبيل التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي...

### ... للمستضعفين

... بمرور الأيام... كثر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج إلى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف... واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان، فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند أهل العصبية والملك...

### التعليم مرتبط بالعمران

العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم... من جملة الصنائع... إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش... ومن تشوق بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو... ولا بد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة...

### التعليم ثلاث مراحل : أساسيات ومقارنة وفهم متكامل

إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا. يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذالك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال... حتى ينتهي إلى آخر الفن. وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها يستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به (ثالثة) وقد شد فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضح وفتح مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك...

### الشدة على المتعلمين مضرة بهم

إن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف... سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث... وعلمه المكر والخديعة. وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن... فينبغي للمعلم في متعلمه وللوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب...

**المصدر :** مقدمة ابن خلدون- المقدمة، والفصل السادس من الكتاب الأول.

تعتقد المراهقات والمراهقون في كل مكان بأن النجاح المدرسي هام أو هام جدا. فالنجاح المدرسي مفتاح النجاح في الحياة. تقول رندا (16س، مصر) "طبعا النجاح مهم. فالمدرسة هي التي تفتح الفرص أمامنا أو تغلقها". وهي بذلك تختصر آراء الكثير من المراهقين المستجوبين في مختلف البلدان... والنجاح المقصود هنا هو الحصول على العلامات المطلوبة للدخول إلى الجامعة، وعلى التخصص المرغوب فيه، أو هو المكانة الاجتماعية والاعتراف والحصول على لقب علمي، أو هو إمكانية الحصول على عمل محترم. فالدراسة مرتبطة بقوة بالمستقبل بمعناه الواسع، ولا سيما بالنسبة إلى المراهقات، حيث يشمل وضعيتها كامرأة في المجتمع راهنا ومستقبلا. لذلك يكون النجاح ضروريا للفتاة لإثبات الذات تجاه العائلة في مرحلة المراهقة. فالفشل المدرسي من شأنه أن يشجّع الأهل على إخراج ابنتهم من المدرسة وإبقائها في المنزل بانتظار الزواج أو يرجّح خروجها إلى سوق العمل. وفي كل الحالات، يبقى موضوع دور المرأة المستقبلي في المجتمع والاقتصاد عنصرا كامنا وحاضرا في مواقف المراهقات، على أمل أن يساعدهن النجاح المدرسي على الإفلات من الدور المرسوم لهن من قبل المجتمع. وعندما يقل أملهن في ذلك، يختلف تقييم أهمية النجاح المدرسي، كما تعبر عن ذلك لمى (15س، اليمن) التي تقول "للنجاح أهمية متوسطة لأن البنت مهما درست، فهي في النهاية لازم" تتزوج".

هكذا يبدو الأمر بالنسبة إلى المراهقات وكأن المجتمع الذي رسم الأدوار الاجتماعية المستقبلية للفتاة على نحو معين، يمنحها في نفس الوقت فرصة الإفلات من هذا الدور، أو تعديله، من خلال التعليم. وتبدو هذه الفكرة أكثر حضورا في المجتمعات التي لا تزال فيها فجوات هامة بين تعليم الإناث وتعليم الذكور.

إن التحدي الذي تواجهه خاصة الفتيات لأسباب عديدة، هو أحد العوامل الأساسية في تفسير ظاهرة تفوّقهن في أكثر من بلد. ويبرز جليا هذا التفوق في التعليم الثانوي والجامعي. إذ تكتسح الطالبات كل عام لوائح الشرف والتفوق، ويحصلن على النسبة العظمى من البعثات الجامعية. ويعبر شداد (16س، اليمن) بكل وضوح عن هذه الظاهرة "بين الصف الأول والرابع كان ترتيبي الأول، وكنت أتنافس مع ابنة عمي على المركز الأول. أما الآن فإن البنات مجتهدات كثيرا، وأنا خرجت من المنافسة. أنا أحتل الترتيب الأول بين الأولاد، ولكن في الصف كله المراكز الأولى للبنات بس".

إلا أن للنجاح بالنسبة إلى التلاميذ حدودا تنسجم مع معاييرهم الخاصة. فبقدر ما يجدون النجاح ضروريا، يعتبرون التفوق أمرا غير مرغوب فيه. ويبدو هذا الموقف وكأنه قيمة مشتركة تتكرر في الكثير من المقابلات عبر البلدان المشمولة بالدراسة. فدانة (18س، البحرين) تقول "أكيد النجاح له أهمية في حياتي. لا أشترط التفوق، ولكن أنا أحب أنجح". وتضيف سمية (18س، مصر) "طبعا النجاح مهم لكني لست مهتمة جدا أن أكون الأولى. أحب أن أنجح بعلامات جيدة لكي أستطيع أن أختار الاختصاص، ولكن ماذا سأفعل بما يزيد عن ذلك ؟". أما دانة (17س، لبنان) التي لم ترسب مرة واحدة طوال فترة الدراسة فتقول "أشفق على الأوائل. إن التلاميذ يتصرّفون بشكل مختلف مع الذي يكون الأول في الصف".

تقول نوران (17س، البحرين) "يتوسع المدرسون في مواضيع لا علاقة لنا بها ولا تفيدنا في الحياة. مرة ضربتني المدرسة. بعض البنات كن يصفقن في الصف واعتقدت أنني المسؤولة عن ذلك. أدى ذلك إلى تدخل أمي والوزارة وانتهت بأن انتقلت إلى مدرسة أخرى". أما نادين (16س، لبنان) فتروي أحد شجاراتها مع المدرّسة قائلة " كان عقلها غلط. كانت إحدى الزميلات تبكي في الصف، وكنت أتحدث معها لأخفف عنها. نهرتني المدرسة لأبتعد عنها. وتطور الوضع، وتوترت أعصابي كدت أضربها، وهنا أمسكني أصحابي. تدخلت الإدارة وتدخل أهلي، وطلبت أن ينقلوها من المدرسة لأنها لا تفهمنا. بالطبع لم يحصل ذلك، ولكنها لا تتعاطي معي. هي ناظرة وتدرس مادة التربية. إذا كانت التي تعلمنا التربية تصرخ في وجوهنا بهذا الشكل". وجاءت قصة أخرى عن الشجار مع أحد المدرّسين على لسان وحيد (15س، اليمن) "كنت مرة في الحمام وتأخرت عن الحصة. ووجدت الأستاذ يصيح ثم ضربني. ناديت لأبي الذي حضر إلى المدرسة، كلمه وهدده تقريبا، وتشاجر معه. أثرت فيّ هذه الحادثة كثيرا لأنه ضربني أمام التلاميذ. من يكون هو حتى يضربني ؟"

تتكرر حكايات من هذا النوع في كل مكان. بعضها أكثر عنفا وبعضها الآخر يمر دون تطورات كبيرة. وبقطع النظر عن الحادث نفسه ودرجة الصواب أو الصدق في روايات المراهقات والمراهقين، فإن اللافت للنظر هنا هو موضوع الخلاف التافه الذي لا يكتسي أهمية بذاته، بل بتحوله إلى مفصل للعبة لوي الذراع اليومية بين المدرّس باعتباره سلطة، وبين التلاميذ المتلقين لفعل السلطة هذه. كما أن الخلاف بهذا الشكل يفضح هشاشة الآليات الداخلية للمدرسة في التعامل مع مشكلات من هذا النوع، حيث لا توجد أغلب الأحيان "صمامات أمان" ومخارج بديلة للتصعيد الذي لا بد أن ينتهي بتسجيل أحد الطرفين لنقطة لصالحه أو بهزيمة واضحة. إن تلافي حصول مثل هذا الأمر يتوقف أغلب الأحيان على مهارة الأفراد وخبراتهم في حل المشكلة. ولا يوجد في هياكل المؤسسة ونظام عملها وعلاقتها مع التلاميذ ومع الأهل ما يستبدل علاقات توازن القوى الصراعي، بنمط آخر من العلاقات والآليات تقوم على التفاوض والمشاركة والحوار، واعتبار الأطراف كلها في خدمة المصالح الفضلى للتلميذ.

## ب- سلوكيات المراهقات والمراهقين ومعاييرهم

يخلق التلاميذ في المدرسة مجالهم الخاص. وتكتسب المراهقات والمراهقون من اجتماعهم واتحادهم في جماعة أو "شلة" الأصدقاء قوة وشجاعة لم يختبروها من قبل، وهو ما يشجعهم على اختبار توازن القوة بينهم وبين المؤسسة المدرسية وعلى تحدي النظام.

يسود بين التلاميذ في الصف الواحد، أو حتى بين طلاب المدرسة أحيانا، نوع من التواطؤ تجاه المدرسين والإدارة. ويتراوح هذا التواطؤ بين أشكال بسيطة غير نشيطة تقتصر على التهامس وتشاطر التعليقات الساخرة والتستر على الزملاء المشاغبين، وبين أشكال نشيطة تبرز بشكل خاص على مستوى "الشلة" أو جماعة الأصدقاء داخل الصف أو المدرسة. وتتقاسم الجماعة معاييرها وقيمها الخاصة، التي تمثل غالبا شكلا سلوكيا من الاعتراض على نظام المدرسة الصارم.

وتبتعد الطريقة الذهبية عن التطرف في الاتجاهين، خصوصا بالنسبة إلى المراهقات اللواتي يعتبرن أن الفتيان يبالغون أحيانا في شجاراتهم فيما بينهم وفي شجارهم مع الأساتذة، مع وجود أنواع من السلوكيات التي يغلب عليها الطابع الذكوري، كإطلاق الشتائم والسباب، والتصرفات الأكثر عنفا. ومن شأن هذا التطرف أن يؤدي إلى اضطراب يؤثر سلبا في الدراسة وعلى العلاقات بين الرفاق، وقد يتسبب في تدخل الأهل إذا تجاوز المشاغبات البريئة.

وعن سؤال إمكانية حصول خلاف مع المدرسين، وردت أكثر من مرة إجابة تشبه جواب حنين (15س، اليمن) "لا لم يحصل، لأنه أستاذ ويجب أن نحترمه". ولكن ذلك لا يحول دون أن تصف ساره (16س، البحرين) الناظرة بكلمات تجعلها أقرب إلى صورة السجان منها إلى صورة المربية "عندنا مشرفة في المدرسة موجودة فقط لكي "تصيد" البنات اللواتي يحضرن الهاتف إلى المدرسة، ويفصلون البنت من المدرسة بشكل غير عادل. المشرفة دائما مصدر خوف أكثر مما هي شخص يمكن أن أحدثه عن مشاكلي. المشرفة عندنا دائما واقفة في الباب في حال تأخرنا، وتطالبنا بقص أظافرنا إذا كانت طويلة".

## إطار 11.2 مدرّسون... ومدارس في السينما المعاصرة

اهتمت السينما المعاصرة بالمدرسة والعلاقات ضمن المؤسسة المدرسية وجعلت منها موضوعا لعدد كبير من الأفلام، بينها عدد من الأفلام الجادة التي تناولت إشكاليات حقيقية تمت الإشارة إليها في هذا الفصل. وفيما يلي نماذج من هذه الأفلام الجادة والإشكاليات التي تناولتها:

**مدرسة بلا جدران L'ecole Buissonnière, 1948**
**Jean Paul le Chanois (director), Bernard Blier (actor)**

يروي الفيلم قصة حقيقية عن مزارع من الآلب (Freinet) أصيب في الحرب العالمية الأولى في معركة فردان، وتحول إلى مدرس، فلم يكن بإمكانه أن يدرس واقفا. وكانت له أفكار مجددة في ميدان التدريس، وحوّل الصف إلى مكان للعمل والتفاعل الجماعي والمشاركة في المعرفة والعمل بين المدرسة والقرية (Saleze). وفي مشهد ذي دلالة رمزية، يقوم المدرس بإحراق المصطبة التي يقف عليها الأستاذ ليكون في موضع أعلى من التلاميذ ويسمح بمراقبتهم، ويستخدمها وقودا للتدفئة.

**إلى أستاذي مع الحب To sir with love, 1967**
**James Clavel (Director), Sidney Poitier (actor)**

يؤدي سيدني بواتييه دور مهندس أسود البشرة يدرس صفا صعبا في مدرسة في الطرف الشرقي (End East) في مدينة لندن. يتضمن الفيلم عدة قصص متداخلة، منها ما يتصل بالعنصرية (أستاذ إفريقي الأصل في مدرسة تلامذتها من البيض)، ووقوع إحدى التلميذات في حب أستاذها. لكن الإطار العام للشريط يتعلق باعتماد الأستاذ أسلوبا تربويا مجددا وغير تقليدي في علاقته مع صف صعب ينتمي أفراده إلى أوساط مهمشة، فيشدد على احترام الذات والاحترام المتبادل فيما بينهم، ويدخل في نسيج حياتهم العائلية وفي بيئتهم، ويكسب ثقتهم وسط انزعاج إدارة المدرسة وبعض الأهالي المحافظين. وينتهي الشريط بنجاح التلاميذ عموما، وبمغادرة الأستاذ للمدرسة.

ينم موقف المراهقات والمراهقين هذا عن حس عملي. فللنجاح وظيفة مفيدة وضرورية، ولكن التفوق من شأنه أن يكون له انعكاسات سلبية على علاقة التلميذ بأقرانه. وبذلك يضع المراهقون بأنفسهم حدودا تلقائية لعملية التنافس، أو على الأقل هم يفضلون طريقة معينة من التنافس ومستوى خاصا به لا يصل إلى حد التزاحم على المركز الأول.

**إطار 10.2**

## أحصل على معدل 14 وأهلي يريدون 18: فما العمل؟

"يأتيني التلاميذ وهم يشعرون بالتعب، فهم يتعرضون لضغط الأهل الذي يطالبونهم بأن يحشوا عقولهم بالمعلومات في الوقت الذي ليس لديهم بعد المقدرة الكافية على التفكير والتحليل والتعامل مع المعلومات. أحيانا تكون الأشياء المطلوبة من التلميذ أكبر من طاقته وقدراته، وهذا ما لا يتنبه له الأهل. وحتى في حال تحصل التلميذ على معدل 14 من عشرين، يمتعض الأهل ويغضبون ويطالبونه بأن يحصل على 18 من عشرين، هذا غير طبيعي. ثم تأتي الأم لتردد على مسامعه "حصلت فقط على 14، ماذا تريد أن يقول الناس عني". إن الأهل لا يعرفون قدرات أبنائهم أحيانا ولا حاجاتهم ورغباتهم ولا يدركون قدراتهم وطاقاتهم.

**أخصائية في علم النفس في خلية صحية في مدرسة تونسية**

التلميذ "الشعبي" إذن هو التلميذ الناجح دون أن يكون الأول في الصف، وهو أيضا التلميذ الذي لا ينصاع بالكامل لسلطة المدرس أو الإدارة دون أن يتسبب بالفوضى ودون أن يكون بلا تهذيب (وخصوصا بالنسبة إلى الفتيات). إنه ناجح دراسيا و"نصف مشاغب" إن صح التعبير. ففي الثقافة الخاصة بالمراهقات والمراهقين ضمن المدرسة، يولي هؤلاء أهمية للشخصية التي تتحدى نظام الصف أو المدرسة دون أن تتسبب في مشاكل خطيرة. وتضطلع هذه الشخصية عادة بمهمة قيادية "لشلة" الأصحاب في المدرسة. وضمن "الشلة" التي يشعر المنتسب إليها بالحماية والدعم، يمكن للمراهقة أو المراهق أن يختبر بنفسه وبتدرج ممارسة التحدي والمشاغبة كشكل لإثبات الذات وبناء شخصيته. فرفيق (18س، لبنان) يصف نفسه بأنه "نصف مشاغب"، ومواطنته ريم (15س) تعترف بأنها "تشاكس" المدرسين دون الوصول إلى حد الشجار. أما فريد (16س، اليمن) فيقول "الدراسة في الصف التاسع كانت جادة قليلا، وكان فيها أيضا مشاغبة. ولا أستطيع أن أنسى هذه السنة، لقد أعجبتني كثيرا". يتوقف الأمر إذن على إيجاد الطريقة الذهبية للتوفيق بين النجاح في الدراسة والاستمتاع بالمشاغبة كمؤشر للخروج من مرحلة الطفولة حيث الطاعة هي المبدأ الاساسي، إلى مرحلة الشباب حيث تبدأ مساءلة القواعد البديهية، وحيث التمرد والرفض يصبحان قيمة مستحبة. ولا تتفق معايير الإدارة مع معايير التلاميذ، فما تعتبره الأولى تمردا يعتبره التلاميذ حقا "حدثت مشادة بيننا نحن الطالبات وبين الإدارة. وأنا التي أقودهم. وحسب قول المديرة أنا الرأس المدبر، وكانت تسميني قليلة الأدب، وتعتبر أننا نتحدى القوانين. أما نحن فقد كنا نأخذ حقا من حقوقنا فقط" كما جاء على لسان حنان (18س، البحرين).

ولا تخلو المدرسة من السلوكيات "غير الحضارية" حسب المتعارف عليه، ووفق وجهة النظر الغالبة بين التلاميذ. تكررت الإشارة إلى سلوكيات عنيفة في عدد كبير من المقابلات، وخصوصا استخدام لهجة الأمر والصراخ، وبدرجة أقل الشتائم والسباب أو الضرب. وثمة أكثر من إشارة إلى إقدام التلاميذ على ضرب المدرس أحيانا، ولكن القاعدة هي عكس ذلك بالتأكيد. ويتدخل الأهل عادة في حالات الشجار التي تخرج عن المستوى العادي. فحميد (16س، المغرب) لا يزال يتذكر تماما طعم اللكمات التي تلقاها من مدرّسه، وأشرف (18س) ورفيق (18س) ولين (17س) ونادين (16س) وكلهم من لبنان تحدثوا عن شجارات بمستويات مختلفة مع مدرسيهم. ووحيد (15س، اليمن) ضربه مدرسه، وقال إن الأولاد يتضاربون أيضا فيما بينهم في المدرسة. وتروي وسما (17س، اليمن) "أن المديرة متسلطة على المدرسات والطالبات، وتتميز الطالبات بالعنف فيما بينهن، وقد يصل الأمر إلى التضارب، ولسانهن بذيء جدا وهن مشاغبات جدا". ويحتج شداد (16س، اليمن) ضد أحد مدرسيه "شتمني شتيمة عادية في البداية، ولكن بدأ يشتم تربيتي لا طبيعتي أنا، وأنا لا أحب أن يلعن أحد أبي وأمي. منعني صاحبي من الهجوم عليه، وأخبرت أبي الذي كلم المدير والوكيل، وفيما بعد أخرجوه من المدرسة". وتنتهي بعض الخلافات على حساب المدرس، كما في حالة شداد ورامي (15س، لبنان) "في الصف الخامس طردوني مع ابن خالي بسبب شجار مدة أسبوع. وعندما عاد أبي حضر إلى المدرسة وحصل شجار بينه وبين الإدارة، وقال لي تعود غدا إلى المدرسة. في اليوم التالي حاولوا منعي، ولكني دخلت غصبا عنهم". مع ذلك، فإن الدخول في شجار مباشر وتضارب مع المدرس أمر غير محبب عموما في صفوف المستجوبين، وخصوصا بين المراهقات اللواتي يرجعن السلوك العنيف إلى رغبة التلاميذ بالتباهي، وباتباع سلوكيات غير مناسبة.

ويبدو الغش في المدرسة أمرا مقبولا، وتصف حنين (17س، تونس) السكوت عنه بأنه تعبير عن التضامن والثقة بين التلاميذ. ولا تنفي لمى (15س، اليمن) أنها "تغش أحيانا إذا كانت المادة صعبة وغير مفهومة". ولكن الموقف مختلف إزاء السلوكيات الأخرى، فتتحدث نجاح (16س، تونس) عن أن الفتيان في مدرستها "غير مهذبين ولايحترمون الأكبر منهم ولا المدرسين، هم يقذفونهم بكرات الورق، ويتحدونهم، ويخرجون من الصف وهم يغنون". وترى حنين (17س، تونس) أن "80٪ من التلاميذ يدخنون، وبعض الفتيات أيضا، وبعض الأولاد يشمون بعض أنواع المواد اللاصقة" (لها رائحة قوية وتعطي مفعولا مخدرا خفيفا). ولكنها تضيف "لا يحصل هذا في صف الرياضيات، بل في الشعب المهنية حيث هناك الكثير من الأولاد غير المهذبين"... وتتكرر المشاهد نفسها في المدارس اللبنانية، ولا سيما التدخين وشرب الكحول والمخدرات. تقول دينا (15س) "هناك مدرسة قريبة من مدرستنا ومستواها جيد، وجدوا فيها طلابا يتعاطون المخدرات. كان بينهم ولد عمره 11 سنة أرسلوه للمعالج النفسي. وقبلها انتحر ولد آخر". أما مواطنها راني (16س) فيروي حادثة هامة حصلت في مدرسته بسبب سلوك الجيل الجديد الذي يخيف الجيل القديم، كما يقول "في العام السابق كتب التلاميذ من صفنا على كتب وكراسات وملفات الرسم العائدة للصف الثاني، شتائم وسباب، ورسموا رسوما فاضحة. كانت كلمات وسخة جدا. لقد طردوا جميع الصبيان في صفنا بتهمة أنهم هم الذين كتبوا ورسموا، لا البنات. لديهم الحق في طردنا، ولكن كان بيننا أبرياء لم يشاركوا في هذا العمل. وفي رأيي أن طريقة التخاطب الداخلي للجيل الجديد، تبعث على الخوف". ويرى حسام (18س، اليمن) أن "نزاعات كانت تحصل

**جمعية الشعراء الموتى Dead poets' society, 1989**
**Peter Weir (diector), Robin Wiiliams (actor)**

يروي هذا الشريط قصة أستاذ أدب أنجليزي في مدرسة للنخبة تعتمد نظاما صارما (فيكتوريا) وأسلوبا تقليديا في التدريس. ويعتمد الأستاذ أسلوبا جديدا يتسم بالحيوية، فيدعو الطلاب إلى التحرر من النظرة الحسابية إلى الأدب والشعر وإلى تمزيق صفحات النقد الممل من الكتاب ويدعوهم إلى قراءة الشعر بحرية والتمتع به. ينجح الأستاذ في إثارة الحس الشعري في تلاميذه الذين تتفتح بينهم مواهب أدبية وينشئون جمعية سرية لقراءة الشعر. وتقع حادثة انتحار في المدرسة يحمل الأستاذ مسؤوليتها بسبب التناقض الحاد الذي عاشه التلميذ المنتحر بين خياراته الشخصية التي شجعها الأستاذ وبين بيئته العائلية المحافظة وتوقعاتها لمستقبله. في مشهد يستعيد إقدام Freinet على إحراق المصطبة، يدعو روبن ويليامز تلامذته إلى الوقوف على الطاولات ويشاركهم الحركة نفسها في إشارة رمزية إلى تجاوز المراتب داخل الصف والتحرر من نظام المدرسة التقليدي. ينتهي الفيلم بأن يغادر الأستاذ المشاغب المدرسة، رغم نجاحه.

**عقول خطرة Dangerous minds, 1995**
**John Smith (diector), Michelle Pfeiffer (actor)**

يستند الشريط إلى سيرة حقيقية للمدرّسة لو آن جونسون، في ضاحية مهمشة في إحدى مدن الولايات المتحدة الأميركية، حيث نسبة الجنوح مرتفعة جدا بين تلاميذ معظمهم من أصول إفريقية وإسبانية وآسيوية. الفيلم يتحدث عن تحدي تعليم الفقراء والمهمشين والتنازع الذي يعيشونه بين التعلم وبين الجنوح والوقوع في قبضة العصابات. يقتل أحد التلاميذ في صف لو آن جونسون، وتواجه نفوذ العصابات، وتستخدم هي الأخرى أساليب غير تقليدية أساسها الاهتمام والالتزام واكتساب الثقة، ثقة التلامذة وثقة الأهل. مرة أخرى هو نموذج الأستاذ المندفع غير التقليدي الذي يناقض النموذج السائد للأستاذ الموظف اللامبالي.

**موسيقى القلب Music of the heart, 1999**
**Wess Craven (director), Meryl streep (actor)**

تؤدي مريل ستريب دور روبرتا لتجسد قصة شخصية حقيقية. مدرّسة موسيقى تريد تعليم الأولاد في حي هارلم في نيويورك عزف الكمان. يلقى مشروعها هذا مقاومة داخل المدرسة (أستاذ آلة الفلوت التقليدية) ومن بعض الأهالي الذين لا يرون أي جدوى من دراسة الكمان بالنسبة إلى أطفال ينتمون إلى أقليات إتنية مهمشة وفقيرة. تتابع روبرتا مشروعها بإصرار وتحقق نجاحا باهرا. الفيلم يلفت الانتباه إلى أهمية الموسيقى، واستطرادا المواد غير التقليدية، في بناء شخصية التلميذ وفي شعوره بالاحترام الذاتي وفي إبعاده عن احتمالات الجنوح.

المراهق يمارس نشاطات اجتماعية من نوع الخروج مع الأصدقاء، كان السلوك العنفي أكثر تكرارا. في المقابل، كلما كان المراهق يشارك في نشاطات ضمن الإطار العائلي، كان السلوك العنيف أقل تكرارا. ويصح ذلك بشكل خاص على الفتيات اللواتي يقمن بنشاطات إبداعية، أما النشاطات الأخرى (الرياضة، الحاسوب، الفن، التلفزيون) فلم تكن مؤثرة فعليا على السلوك العنيف (سويسرا). من جهة أخرى، فإن استهلاك الكحول والسجائر وتعاطي المخدرات الخفيفة والعقوبات المدرسية مرتبطة بالعنف وجوبا. وكلما كان الوقت الذي يمضيه المراهق خارج المنزل طويلا، كان السلوك العنيف أكثر تكرارا. وكذلك كلما كانت النزاعات داخل العائلة قوية، زاد العنف. وكلما كان الانتماء إلى جماعة الأصدقاء أقوى، زادت الأعمال العدوانية، وكلما كان الاندماج في عالم الكبار أقوى، وخصوصا العائلة، تقلص العنف (الولايات المتحدة الأميركية). كما تبين أيضا أن المراهقين الذين يولون أهمية أكبر لرأي أهلهم يحترمون الأساتذة بنسبة أعلى، في حين تزداد معدلات الأعمال غير الحضارية ضد المدرسة في صفوف الذين يعطون أهمية أكبر لرأي أصدقائهم واخوتهم."[7] ثمة ما يدفع إلى الاعتقاد بأن مثل هذه الترابطات قائمة أيضا في المجتمعات العربية، كما يمكن استخلاص ذلك من شهادات المراهقات والمراهقين والمربين.

**إطار 12.2**

## قانون جماعة الأصدقاء أقوى من قانون المدرسة

"... شرحت لي التلميذة سبب استخدامها تعابير غير لائقة ببساطة، فقالت "لا أستطيع أن أكون مع البنات دون أن أقول هذا الكلام. أنا أسمع الجميع في عمري يتصرفون على هذا النحو، ولا أحصل على اعترافهم بي وانضمامي إلى المجموعة إلا إذا تصرفت على نحو مشابه لهم"... للجماعة قوانينها، يجب على المراهق أن يكون قاسيا أو جلفا أو متعجرفا بعض الشيء، وإلا فإنه لا يحصل على الاعتراف إذا كان بالغ التهذيب والأدب. الجماعة تؤثر كثيرا في المراهق. إليك مثالا آخر : مراهق متفوق في دراسته ولامع جدا. ولكن الجماعة التي تحيط به لا تقيم للتفوق الدراسي أهمية أبدا، بل إنها تعتبره علامة سلبية. فهم يعطون تقييما سلبيا لما هو إيجابي، وتقييما إيجابيا لما هو سلبي. والنتيجة أن المراهق توقف عن الدراسة، ولم يستطع والده فهم ما جرى لإبنه، وأتى يشتكي تغير حال ابنه. التزم الابن بالصمت المطلق فلم يتفوه بأية كلمة. بعد عدة جلسات مع المراهق قال لي "أريد أن أكون عاديا normal، ولا تتعبي نفسك. أنا لا أستطيع أن أبتعد عن جماعة الأصدقاء، ونظرة الجماعة إليّ أنه يجب أن لا أكون مجتهدا كثيرا وأن أتغيب عن المدرسة"... كما ترى أن جميع الشروط المطلوبة لكي يكون متفوقا متوفرة له، ولكنه لا يفعل. إنه لا يستطيع أن يرضي عائلته وأصدقاءه في الوقت نفسه، وقد اختار أن يرضي أصدقاءه".

**أخصائية في علم النفس في خلية صحية في مدرسة في تونس**

(7) Scolarité et adolescence: Les motifs de l'insécurité; op. Cite.

بين شلة طالبات وشلة طلاب، كانت تصل إلى حد الضرب وتدخل الإدارة". ويشير وسيم (17س، اليمن) إلى نوع آخر من السلوكيات "في القرية لم تكن توجد مشاكل بين الصبيان والبنات، لأن الصبيان يرون أنه لا يجب القيام بذلك. أما المعهد الذي أدرس فيه الآن ففيه مشاكل كثيرة. التلاميذ يكسرون النوافذ ويخربون الأشجار ويجتمعون على ضرب أحد خصومهم خارج المعهد ويتصايحون ويتضاربون مع المدرسين".

برزت من شهادات المراهقات والمراهقين إشارات إلى اختلاف في السلوكيات بين المدارس الخاصة والحكومية. فأشكال التعبير عن الرفض في المدارس الحكومية تبدو أكثر تأثرا بالخصائص المحلية، في حين أن درجة التشابه في السلوكيات في المدارس الخاصة، حيث يتعلم أبناء الفئات الوسطى والميسورة، أعلى. ويمكن إرجاع ذلك إلى أنه داخل هذه الفئات، تتراجع أهمية المؤثرات المحلية لصالح مؤثرات متأتية من النمط الاستهلاكي العصري، والأكثر تأثرا بالأنساق السائدة عالميا والتي تروّج لها وسائل الإعلام أو عن طريق الاحتكاك بها مباشرة.

وقد عبرت الدراسة المغربية التي أعدت في إطار هذا التقرير عن هذه السلوكيات الشائعة في صفوف المراهقات والمراهقين، التي تشمل البلدان الأخرى أيضا، بإشارتها إلى أن "استهلاك السجائر شائع باستثناء المراهقات القرويات، وكذلك المخدرات (خاصة الحشيشة) الذي يتفشى بين المراهقين أكثر من الفتيات، وهو منتشر خصوصا في المؤسسات التعليمية الخاصة وفي الأوساط الاجتماعية الميسورة. فالانتماء السوسيو- اقتصادي هو أحد المتغيرات الأساسية التي تحدد سلوكيات التلاميذ. ففي المؤسسة الحكومية يبدو الجو أكثر صرامة منه في المؤسسات الخاصة، ولا تتوفر للتلاميذ الإمكانيات التي تسهل السلوك الاستهلاكي". وتقول جميلة (17س، المغرب) "في المدارس الحكومية تجد نصفها منحرف ونصفها حسن السلوك. أما في هذه المدرسة (الخاصة) فكل شيء فيها منحرف، أو نلاحظ أن الأغلبية من الذين أهلهم من الميسورين هم خارجون على الطريق. في المدارس الحكومية فقراء، في هذه المدرسة الأهل يعطون الأولاد الفلوس فيشترون بها الحشيش والكحول. لو لم يكن معهم فلوس، لما تمكنوا من ذلك".

تتأثر السلوكيات غير الحضارية التي تأتيها المراهقات والمراهقون في المدرسة سلبا أو إيجابا بالعلاقات الأسرية والبيئة الاجتماعية المحلية ومستوى الانتماء إلى مجموعة من الأقران، وغيرها من العوامل. وعبّرت الشهادات بشكل مباشر أو غير مباشر أحيانا عن هذه الترابطات من قبيل التذكير بأن السلوكيات غير الحضارية والعنيفة غير شائعة في مدارس القرى الصغيرة، أو أن ثلة من التلاميذ هي التي تقوم بالتخريب أو الرسومات الفاحشة بشكل جماعي، أو مسؤولية الأهل عن رواج التدخين واستهلاك الكحول والمخدرات، أو استقواء التلميذ بوالده ذي النفوذ ضد إدارة المدرسة... ولا تتيح المقابلات إمكانية إقامة روابط إحصائية بين هذه العوامل - المتغيرات بقدر ما تلفت النظر إلى ضرورة رصدها ودراستها بوسائل أكثر عمقا ودقة نظرا لأهميتها، وهي في كل حال غير مدروسة بشكل واف في مجتمعاتنا. وفي دراسات أجريت في سويسرا الناطقة بالفرنسية على تلاميذ السنوات السابعة إلى التاسعة (من المرحلة الإعدادية المقابلة لعمر بين 13 -15 سنة (Branger et Liechti 1998- Zurich)، وفي جنوب الولايات المتحدة الأميركية (من 13 إلى 18 سنة USA (Salts et Lindholm et Goddard et Duncun (1995) ظهرت النتائج التالية "كلما كان

إلا أن للاختلاط مشاكله أيضا، الأمر الذي قد يشكل سببا لاتخاذ موقف سلبي منه، وخصوصا فيما يتصل بسلوكيات جنسية غير مقبولة بين التلاميذ، أو مع المدرسين. يمثل التباهي، وخصوصا لدى الفتيان، الشكل الأكثر شيوعا والذي قد يتسبب أحيانا في مشاجرات. ومثل هذا السلوك لا يستثني المدرسين، كما وصفت جميلة (17س، المغرب) حين تحدثت عن المدرس الذي يتباهي أمام تلميذات صف الأدبي، أو بعضهم الآخر الذي يمضي الوقت وهو يتحدث عن قصة حب لإحدى تلميذاته. وتتفاوت أهمية السلوكيات التي يوردها المراهقات والمراهقون في المقابلات، كما يتفاوت تقييمهم لها.

قد يقتصر الأمر أحيانا على الإحساس بالضيق لوجود زملاء من الجنس الآخر، الأمر الذي قد يخترق الحميمية أو الخصوصية. فهبة (16س، لبنان) تقول "إن الشخص لا يشعر بالراحة في مدرسة مختلطة. فهي تستطيع أن تخلع زيها المدرسي، أو ترتدي سروالا ضيقا في مدرسة للبنات، ولكنها لا تستطيع القيام بذلك إذا كان هناك شاب إلى جانبها". أما فريد (16س، اليمن) فهو يرى أن "الاختلاط جيد عموما في المدرسة، ولكن في الصف الواحد الأمر ليس جميلا "مش حلو" لأن البنات يعرفن أسرار الصبيان، ويشكون منهم، وقد تحصل حساسيات بيننا. الأفضل أن يكون الصبيان وحدهم، والبنات وحدهم، في الصف، ولكن المدرسة مختلطة". أما المراهقات فاعتراضاتهن تشمل أمورا أخرى، إذ ترى شمسة (16س، اليمن) أن بعض الفتيان يأتون لرؤية الفتيات لا للدراسة، ورندا (16س، اليمن) تقول إن الاختلاط "مش حلو، لأن الأولاد عندنا يتكلمون بكلام مش حلو".

وتثير السلوكيات المرتبطة بالجنس تحفظات أكثر وضوحا، برزت بشكل خاص في مقابلات اليمن والبحرين، دون أن يعني ذلك عدم وجودها في البلدان الأخرى. ففي المقابلات التي أجريت في اليمن، وردت إشارات إلى شبهة "تحرش" أو "علاقات" بين التلميذات والمدرسين، وترى وعود (15س، تونس) أن المسؤولية تقع على الأهل أحيانا، وعلى التلميذة التي تصدق الأستاذ لعدم خبرتها "على الفتاة أن تعتاد على العلاقة مع الأولاد، لأن الأهل المتشددين في تربية بناتهم تكون بناتهم فاسدات، فالبنت حينها ترغب في التقرب من الولد، والمسؤولية تقع على الأهل. أما البنات في المدرسة فهن مراهقات، فالواحدة منهن تفكر بالتعلق بالأستاذ، وهو مستحيل أن يفكر فيها. إنه يلعب بها، لكن البنات لا يفكرن في الأمر على هذا النحو لأنه لا توجيه لهن في البيت". وولاء (17س، اليمن) تقول إن "البنات في المدارس الخاصة يتجاوزن حدهن في الأدب، وهناك بنات لهن علاقات مع أولاد. مثلا، أمس وجدت رئيسة الفصل في فصلي رسائل بين طالبتين، كل واحدة كانت على علاقة بشقيق الأخرى". وكذلك ورد (17س، اليمن) تشتكي من أن "بعض الطالبات لديهن رسائل من صبيان من خارج المدرسة".

إلا أن المقابلات التي أجريت في البحرين أظهرت درجة أعلى من الصراحة وكشفت بعض الممارسات التي ترى المراهقات والمراهقون أنها أكثر شيوعا في المدارس الخاصة. فقد وردت في المقابلات أكثر من إشارة إلى حالات حمل في المدرسة، وكذلك إلى حالات شذوذ بين البنات اللواتي يطلق عليهن لقب "المسترجلات". تقول رزان (18س) "نعم توجد مسترجلات. فقد كانت معنا طالبة تحب أن تلمس البنات وقصة شعرها نفس قصة الأولاد وتلبس سلاسل، تدخن وغير ذلك". وتقول إيمان (16س) "كانت هناك فتاة أعرفها تتكلم دائما عن الفتيان وكانت تبالغ في كلامها. وبعد فترة اتضح أنها حامل. وهناك صديقات لهن قصص مرعبة وهن مشهورات بأشياء كثيرة". أما ياسمين (15 سنة) فقد دار بينها وبين الباحثة الحوار التالي :

## ج- الاختلاط والسلوكيات حسب النوع

غالبية واضحة من المراهقات والمراهقين الذين شملتهم المقابلات تفضل الاختلاط في المدارس، وإن حدد عدد منهم بعض الشروط. وبدت نسبة التفضيل ودرجته أقل في اليمن والبحرين. لكن الآراء كانت تتشابه بشكل عام. وتتعلق بعض التحفظات على الاختلاط بالسلوكيات والمشاكل التي تقع في المدرسة بين الفتيان والفتيات، وقع تبريرها دينيا وبالرجوع إلى العادات الاجتماعية. فالموقف الديني لا يصل إلى حد التحريم حسب رأي وسيم (17س، اليمن) "مسألة الاختلاط في المدارس عادية... وهذا ليس أمرا محرما. المحرم هو الخلوة أي الوحدة بين شاب وبنت، وأرى أن الاختلاط في المدارس لا يسمح بذلك. أما في حال الفصل فسوف يكون هناك شوق من أحدهما إلى الآخر".

وفي آراء المراهقات والمراهقين، خصوصا في اليمن والبحرين، يتكرر التحفظ على الاختلاط في المدارس الثانوية ويقبل في الجامعة باعتباره أمرا طبيعيا. "لا أعتقد أن الاختلاط جيد في المدارس، ولكن في الجامعة تكون الفتاة مخها متفتح. أما في المدرسة فالبعض يكون مخه ما زال صغيرا، وقد يستغل هذا الأمر سواء كان بنتا أو ولدا" حسب رأي سبيكة (17س، البحرين).

وسجل قبول أكبر للاختلاط في المغرب وتونس، وكذلك في لبنان، حيث لم ترفض الاختلاط سوى حالات قليلة لفتيات تركن المدرسة بسبب الفقر من ناحية، والصعوبات المدرسية الناجمة عن عدم التأقلم من ناحية أخرى.

تتشابه الأسباب التي قدمها الذين يفضلون الاختلاط. وأبرزها فكرة التعود على الجنس الآخر، مما يؤدي إلى نشوء علاقات عادية بين الجنسين، وهو ما يتعذر في حالة الفصل. "أحس أن الاختلاط أفضل لأن الشباب الآن إذا رأوا الفتاة كأنهم "اخترعوا" شيئا لم يشاهدوه من قبل. ولكن عندما يحصل الاختلاط سوف يكون الأمر عاديا"، كما تؤكد دانة (18س، البحرين). وتفضّل لين (17س، لبنان) الاختلاط "لأنه يمنع البنات من أن "تنصطل" (تصاب بالهبل والذهول) عند مقابلتها لأول شاب. وترى دينا (15س، لبنان) أنه في المدرسة غير المختلطة، "تصاب بعض البنات بعقد نفسية وبالخجل في التعاطي مع الصبيان". أما رفيف (17س، لبنان) فتجد أن "فكرة مدرسة للبنات فقط هي فكرة سخيفة وتعبر عن التعصب".

تجد المراهقات والمراهقون فوائد كثيرة للاختلاط على صعيد تحسين نوعية العلاقات والانضباط والتنافس السليم داخل الصف، حيث تسعى كل من الفتاة والفتى إلى تقديم أفضل ما عندهما... وكذلك على صعيد العلاقات الشخصية حيث هناك أفضليات للصداقة مع الجنس الآخر. ففتحية (16س، تونس) تجد أن لديها أمورا كثيرة تحدّث عنها زميلها، خلافا للبنات اللواتي تصفهن بأنهن ثرثارات. لذلك فإن "الشلة" التي تنتمي إليها تتكون من أربع فتيات وثمانية فتيان. وكذلك يمنى (17س، تونس) التي تفضل صداقة الفتيان وتقول "إن علاقاتها كانت دائما سيئة مع الفتيات لأنهن غيورات ويتحدثن بالسوء. أما الفتيان فهم أكثر جدية، يأخذون وقتهم في التفكير، وتجربتهم أكثر غنى. وبالتالي فإن العلاقة معهم تضيف شيئا لا توفره العلاقة مع البنات".

إطار 13.2

## المدرسة الإعدادية في مصر

عكست دراسة لمجلس السكان عن البيئة المدرسية شملت 75 مدرسة إعدادية في مصر، خصائص المدرسة والمشكلات التي تواجهها والعاملين فيها والتلاميذ. وتمثلت أبرز نتيجة لهذه الدراسة في الانتشار واسع النطاق للدروس الخصوصية حيث ذكر 67٪ من التلاميذ أنهم تلقوا دروسا خصوصية (75٪ للفتيات و 59٪ للفتيان). واعتبر 59٪ من التلاميذ أن هناك معاملة تمييزية في المدرسة، وأرجع ربع التلاميذ السبب إلى تلقي التلميذ دروسا خصوصية من الأستاذ. وترتفع نسبة التلاميذ الذين يتلقون دروسا خصوصية إلى 80٪ في المدارس ذات الأداء الجيد، وتنخفض إلى 40٪ في المدارس ذات الأداء المنخفض.

وبينت الدراسة تفاوتا في تعرض الفتيان والفتيات للعنف اللفظي والعقوبات. ففي حين ذكر 34٪ من الفتيان أنهم وصفوا بأنهم فاشلون في اليوم الذي سبق المقابلة معهم، فإن هذه النسبة بلغت 14٪ للفتيات. في حين بلغت نسبة الذين تعرضوا لعقوبات 33٪ و 14٪ تباعا.

وعبرت 90٪ من الفتيات عن رغبتهن في العمل بعد إتمام تعليمهن، ولكن 74٪ منهن فقط يعتقدن أن الأهل سيسمحون لهن بذلك.

أما بخصوص أداء الأساتذة، فقد تبين أنه في الأسبوع الذي سبق زيارة الباحثين الميدانيين للمدرسة، 47٪ فقط من الأستاذة كانوا موجودين في القاعات طوال مدة الدرس، وأن 76٪ من الأساتذة أضاعوا بعض الوقت خلال إلقاء الدروس. وتصل هذه النسبة إلى 85٪ في المدارس ذات الأداء الضعيف. في المقابل ، نجد أن 20٪ من التلاميذ غابوا على الأقل يوما واحدا خلال الأسبوع الذي سبق الزيارة.

**المصدر:** البيئة المدرسية في مصر : تحليل حالة المدارس الإعدادية الحكومية، مجلس السكان الدولي- المكتب الإقليمي لمنطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا، مركز البحوث الاجتماعية-الجامعة الأمريكية القاهرة 2000 . شملت الدراسة 75 مدرسة إعدادية، واعتمدت وسائل بحث متعددة شملت 2495 تلميذا وتلميذة، و480 مدرسا، بالإضافة إلى مديري المدارس والعاملين الاجتماعيين والصحيين ومراقبة الأداء في قاعات التدريس. وكان متوسط الأعمار في عينة التلاميذ 13.5 سنة، وهي مكونة مناصفة من الفتيات والفتيان...

### 3. الاختصاص، المستقبل المهني والعمل

برزت في بعض المقابلات كما في تونس واليمن والمغرب، إشارات إلى وجود تفضيل عام في المجتمع للاختصاص العلمي على الاختصاص الأدبي. وتبين أيضا أن المراهقات يخترن الاختصاص العلمي والأدبي، لكن المراهقين قلما يختارون الاختصاص الأدبي. وتنسب عادة إلى الاختصاص العلمي ميزات إذ يوفر إمكانية فتح مجالات أكبر للتخصص ويتطلب قدرة على الفهم أكثر من الاختصاصات الأدبية التي يغلب عليها طابع الحفظ. أما الاختصاص المهني، فيعتبر حسب ما ورد في بعض المقابلات في تونس من درجة أدنى، ويضم "نسبة أعلى من الفاشلين دراسيا والأولاد غير المهذبين أحيانا". إن النظرة الدونية للتعليم المهني لا تزال منتشرة في أكثر من بلد عربي، باعتباره مرتبة أدنى من التعليم، ينتسب إليه الفاشلون دراسيا وأولئك الذين يريدون ترك الدراسة قبل الجامعة، والدخول مبكرا إلى سوق العمل.

**س** - هل هناك أمور غير مألوفة تحدث في مدرستكم ؟
**ج** - إن مدرستنا معروفة. ربما 15٪ من الطالبات لديهن شذوذ والباقي لسن جميعا جيدات.
**س** : ماذا تعرفين عن الشذوذ ؟
**ج** - إن الفتاة تمارس الجنس مع فتاة أخرى، وإن هذا الشيء عادي ومنتشر.
**س** : اشرحي لي ما هو الشذوذ الجنسي ؟
**ج** - يعني الفتاة تمشي مع الفتاة الأخرى وتقول إنها حبيبتها، أو ترى فتيات يقلن لبعضهن البعض إننا حصلنا على فتاة جميلة. وفي العام الماضي تم فصل طالبة كانت حامل، فهذه الأشياء تحدث كثيرا عندنا في المدرسة.
**س** : ما هي المظاهر التي تحدث بين الفتاة والفتاة ؟
**ج** - أن فتاة تجلس في حضن فتاة وتمسك بها وبعض الأشياء تحدث في داخل الحمامات وغيرها. والتدخين منتشر كثيرا خصوصا بين البنات المسترجلات."

إلا أن هذه الشهادات على صراحتها وأهميتها، ليست سوى تعبير عن المضاعفات الجانبية لمجموعة من العوامل المتناقضة تسهم فيها العادات والتقاليد والأسرة ووسائل الإعلام والتجارب الفردية. أما الأساسي والغالب في رأي المراهقات والمراهقين، فهو رأيهم الإيجابي في الاختلاط في المدارس، حيث تتاح فرص أفضل للصداقة والتفاعل وتطوير الشخصية وحيث الآثار الإيجابية هي الغالبة. تقول فلة (15س، اليمن) في هذا الصدد" "أرى الاختلاط أمرا عاديا. بل أجده محفزا للدراسة من ناحية التنافس بين الأولاد والبنات".

وفي البحرين، عبّر المراهقون عن رغبتهم في العمل في المهن الحرة والمحاماة والتجارة. وذكرت المراهقات التدريس والحقوق والفنون أو التربية والتسويق والإعلام. وبرزت على مستوى البحرين أيضا إجابات أكدت من خلالها المراهقات والمراهقون أنهم ليسوا في سن الاختيار أو أنهم مازالوا لا يعرفون تماما ماذا سيختارون وسيتبعون نصيحة الأهل.

وتبدو خيارات المراهقات والمراهقين التونسيين أكثر ارتباطا بواقعهم الحالي، سواء لجهة الاختصاص الدراسي الذي يتبعونه حاليا، أو لجهة العمل الذي شرعوا في ممارسته. فالمراهقات اللواتي يعملن في معامل الخياطة يطمحن إلى تطوير مهاراتهن في مجال اختصاصهن. ومنهن من تريد مثلا بعث مشروع زراعي وأخرى تفضل أن تكون مربية في حضانة بدل العمل في مجال الخياطة. وتبدو فريدة (17س) مترددة إذ أن الكل ينصحها بدراسة الحقوق لأنها طليقة اللسان وكثيرة الكلام. ورغم أن والدها يرغب في أن تكون قائدة طائرة، إلا أنها تحبذ الطب والتعليم ولكنها في نفس الوقت تدرك أن سوق العمل يشهد طفرة في هذه الاختصاصات. ويرغب سمير (16س) في دراسة المعلوماتية كي يصبح خبيرا في النازا (وكالة الفضاء الأميركية)، ويتطلع أحمد (17س) إلى دراسة نفس الاختصاص لسبب آخر، فهي " مهنة يمكن تعلمها بسهولة وتدر مالا كثيرا" على حد قوله. أما حنين (17س) فترغب أن تكون مهندسة وتدرك في نفس الوقت أن هذا الاختصاص صعب ويتطلب علامات عالية. وتطمح هناء (18س) أن تكون مصممة أزياء، وقد انتقلت من التعليم العام إلى العمل في الخياطة، ثم عادت للدراسة للحصول على الشهادة الثانوية والسفر من أجل التخصص في المجال الذي تحبذه. ومروان (15س) يريد أن يختار بين أن يكون قاضيا أو ضابطا في الجيش.

## أ- تجربـــــة العمـــــل

بشكل عام، تبين من خلال تصورات المراهقات والمراهقين لمستقبلهم الموقف الإيجابي من العمل. وعلى الرغم من توسع النظرة الإيجابية لمشاركة النساء والرجال في النشاط الاقتصادي، إلا أن النظر إلى العمل باعتباره ضرورة ملزمة وأولوية لا يزال يطال الرجال بالدرجة الأولى. وتبدو هذه القناعة واسعة الانتشار نسبيا حتى بالنسبة إلى المراهقات، حيث أن عددا غير قليل منهن لا يزال يعطي الأولوية لتأسيس الأسرة والواجبات المنزلية على العمل، مع التشديد على ضرورة التوفيق بين العمل والواجبات المنزلية بالنسبة إلى المرأة في حال قررت العمل. ويرتبط هذا الموقف عموما بالنظر إلى العمل كأمر مفروض من أجل توفير مستلزمات العيش والمساهمة في مصاريف البيت، أكثر من كونه مرتبطا ببناء الشخصية المستقلة وتحقيق الذات. ومن هذا المنطلق لا تجد المراهقات غضاضة في الإفصاح عن عدم حماسهن للعمل في حال كان زوج المستقبل قادرا بمفرده على تلبية حاجيات الأسرة.

فالموقف الغالب في دوافع العمل كان اقتصاديا دون إغفال الدوافع الأخرى. فسهير (16س، مصر) تعمل بائعة في محل تجاري كي تساهم في تغطية مصاريف الدروس الخصوصية التي سوف تحتاجها في الثانوية العامة " كنت محتاجة للنقود. فما الذي يمكن أن يجعلني أعمل

لم يستطع الجميع تقديم جواب مباشرعلى السؤال الذي وجه إليهم في خصوص خياراتهم المهنية المستقبلية. تقول صفية (17س، البحرين) "الفترة التي أعيشها الآن وهي انتقالي من الثانوية إلى الجامعة، يوجد كثير من التشويش فيها، وتسبب إحباطا باختيار التخصص والحصول على الفرصة المناسبة". وعموما نجد أن الارتباط بين المسار التعليمي وبين خيار التخصص الجامعي واستطرادا العمل أو المهنة المستقبلية أكثر وضوحا عندما يقوم نظام التدريس الثانوي والجامعي على تعدد فروع التخصص واشتراط مستوى معين من العلامات لاختيار الاختصاص على غرار ما نجده في تونس ومصر والبحرين...

أما بالنسبة إلى المهن التي أوردها المراهقون، فكانت في لبنان العمل في السلك الديبلوماسي وفي مجال الرياضة والكمبيوتر والمجال الحربي والهندسة المعمارية. وأوردت المراهقات المهن المرتبطة بالمسرح والطب وعلم النفس والعلاقات العامة والكمبيوتر والكيمياء أو المختبرات. وتكرر بشكل لافت للنظر في المقابلات اليمنية، اختيار مهنة الطب بين المراهقات مع إضفاء أوصاف إيجابية كثيرة على هذه المهنة بما يدل على القيمة العالية التي يتمتع بها الطبيب في المجتمع. إلا أن ذلك لا يعدو عن كونه أمنية كما تقول وحي (15س) "دخول كلية الطب أمنيتي منذ كنت صغيرة"، أو رغبة غير قابلة للتحقيق أحيانا لاعتبارات عدة، ليس أقلها ما تعبر عنه لمى (15س) "أتمنى أن أدرس الطب وأكون طبيبة لكن هذا صعب، فأبي قد لا يوافق على أن أدرس حتى النهاية، ويحتمل أن أتزوج قبل إكمال دراستي". ومن المهن الأخرى التي تردد ذكرها أيضا ما يتعلق باللغات والكمبيوتر والعمل الاجتماعي والعمل كسفيرة. وتكررت لدى المراهقين أمنيات مشابهة للتي أفصحت عنها المراهقات، إذ يرغب أكثر من مراهق في أن يتخصص ويعمل في مجال الطيران والطاقة النووية، بالإضافة إلى هندسة وعلوم الكمبيوتر والإلكترونيات والتجارة. وفي كل الأحوال، فإن من معايير النجاح أيضا هو تأسيس أسرة، والحصول على بيت وسيارة، وأن يحظى بالإحترام في مجتمعه.

كانت مهنة التدريس في المقابلات التي أجريت مع المراهقات في مصر هي الأكثر تواترا. كما وقعت الإشارة إلى مهن أخرى كمهندسة ديكور تمهيدا للعمل في مجال الأزياء. وفي إجابات أخرى اكتفين بوصف طبيعة المهنة دون تحديدها، "عمل يفيد الناس"، "عمل فيه تفاعل مع الناس...". أما المراهقون، فقد تكرر ذكرهم للهندسة والمقاولات والتجارة والكمبيوتر بالإضافة إلى حالة لافتة للنظر هي حالة باهر (16س) الذي يريد أن يدخل جامعة يتعلم فيها رسم الكرتون لأنه يريد أن يعمل لاحقا في هذا المجال ويرسم للأطفال والكبار، ومازال لم يفاتح أهله في هذا الشأن بعد.

وبدت اختيارات المراهقات الجزائريات أكثر تنوعا لتشمل المحاماة والترجمة والصحافة والطب البيطري واالسلك الديبلوماسي والطب والشرطة والعمل في مجال المطاعم في الخارج. أما المراهقون فبرز لديهم اهتمام بالرياضة، فيما لم يتردد أحدهم في القول إنه يعيش ليومه، ولا يفكر الآن في المستقبل المهني.

إلا أن مواقف وآراء الذين دخلوا فعلا سوق العمل، أو الذين هم في طريقهم إلى ذلك، تختلف قليلا. ففي المغرب اتفق جميع من شملتهم المقابلات على بديهية أهمية العمل وارتبط خطابهم كثيرا بالواقع المعيش أكثر من ارتباطه بالأحلام المستقبلية، دون أن تغيب هذه الأخيرة عن أجوبتهم. فالمراهقات يرين أن مؤسسة الزواج أصبحت هشة، وبالتالي فإن الاستقلالية المالية للزوجة تصبح أمرا ضروريا. وعلى الرغم من أن الأمومة ودور الزوجة لا يزال يحظى بأهمية كبيرة وأولوية بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين في المغرب، إلا أن انخراط المرأة في العمل المأجور هو أيضا أمر مطلوب للمساهمة في تغطية مصاريف الأسرة. وطغى هذا السبب على الإجابات، في حين غابت الاختيارات التي ترى في العمل وسيلة لتفتح الشخصية والنضج من خلال التخطيط للمسار المهني. ويعود ذلك بشكل خاص إلى التخوف من البطالة، كما يوضح حسن (18س) "أنا مستعد أن أقبل أي عمل. نحن في المغرب لا نستطيع أن نختار المجال الذي نعمل فيه. علينا أن نقبل أي فرصة عمل تتوفر لنا، وليس لنا إمكانية الاختيار". حتى أن دخول سوق العمل في سن مبكرة غالبا ما يكون نتيجة ظروف معيشية صعبة، وعدم القدرة على متابعة الدراسة خاصة بالنسبة إلى الفتيات. ويؤدي هذا الأمر إلى إحساسهن بمرارة شديدة لعدم توفر المؤهلات الدراسية الكافية للدخول في سوق العمل في الوقت المناسب والالتحاق بمجالات العمل التي يفضلنها وذات المردود الاقتصادي الأعلى. فخديجة (18س) كانت ترغب في مواصلة دراستها لتصبح صحفية وتقول متحسرة "لم أدخل المدرسة لكي أصبح دكتورة أو محامية، ولو فعلت لتمكنت من التخرج على الأرجح... سواء رضيت أم لم أرض على العمل الذي أقوم به، فالخياطة هي ما يتناسب مع المستوى الدراسي الذي حصلت عليه". كذلك لم تستطع هند (17س) الفتاة الريفية الالتحاق بالمدرسة التي لم يسمح لها بارتيادها لأنها بعيدة. وهي أيضا ترى عملها كخادمة "هو الذي يتناسب مع مستواها".

بين الطموح والواقع أحيانا هوة يصعب تجاوزها، مما يجعل خطاب المراهقات والمراهقين محكوما بمساومة مجحفة مع الذات والتراجع عن الأحلام ببساطة مذهلة، وهو ما برز من خلال جملة قصيرة واحدة قالتها سهير (16س، مصر) "إذا وفقت في الثانوية وحصلت على معدل مرتفع ودخلت كلية الطب، إن شاء الله أفتح عيادة. وإذا لم أحصل على معدل كاف سأبحث عن مجال آخر مثل الهندسة. وإذا لم أوفق سأعمل مصففة شعر - كوافيرة". أما طه (17س، اليمن)، فقد ترك مقاعد الدراسة واضطر إلى العمل بعد وفاة والده "لا أدرس لأن الوالد توفي وتغيرت حالة المعيشة ونزلت من قريتي إلى المدينة من أجل أن أحاول تغيير الحالة المعيشية لأسرتي وأساعد في الدخل إضافة إلى معاش والدي - رحمه الله. أعمل الآن في ورشة ميكانيكية، ولكن الراتب ضعيف قليلا، وأنا أحاول أن أحسن وضعي حيث وجدت ورشة أخرى صاحبها والد أحد أصدقائي... أما طموحاتي، فأنا أركز الآن على الورشة التي أعمل فيها وأحاول أن أحسن الدخل".

إلا أن العمل المبكر الذي يبدو "شرا" مفروضا على الذين غادروا المدرسة، هو بمثابة مخرج وحل بالنسبة إلى عامر(15س، اليمن) الذي يجبره والده على التسول. وعامر الآن في دار الأحداث ويجد أن التسول معيب :

**ج** - العمل بالنسبة إلي مهم. أنا أرى شخصا يتسول وشخصا يعمل. الذي يعمل يكسب فلوسا، والذي يتسول يقولون له اذهب واعمل، ويتعرض للإهانة.

في رأيك؟ أكيد لا أريد أن أشتغل بياعة". أما بسام (17س، مصر)، فيروي قصة التحاقه بالعمل قائلا "أنا باشتغل نقاش، ونقاش شاطر كمان. كان عندنا في الحتة (الحي) راجل صاحب أبويا الله يرحمه. كان عنده ورشة نقاشة كبيرة وكان كسيب. ولما لاقاني مش غاوي مدرسة قال لي تعالى أعلمك صنعة. رحت واتعلمت. اشتغلت الأول معاه ودلوقتي ساعات بأشتغل معاه وساعات كمان بأشتغل وحدي. هو راجل جدع وحتى لما بأشتغل وحدي بيساعدني". ولئن دخل بسام ميدان العمل بسبب وفاة والده، فإن عبد الله (17س، مصر) حاول خلال الصيف أن يساعد والده ماديا بالعمل في مطبعة، إلا أن أباه لم يوافق وأفهمه أنه المسؤول عنه إلى حين الانتهاء من الدراسة، وأنه يفضل راحة عبد الله في فترة الإجازة الصيفية استعدادا للموسم الدراسي... ولا يعد العمل بذلك قدرا، بل من الممكن تأجيله أو تلافيه. وبالنسبة إلى بعض المراهقات، لم يكتسب العمل أهمية إذا قورن بتأسيس أسرة. فهدى (18س، مصر) لن تعمل إذا لم تضطر إلى ذلك "الراجل هو المهم أنه يشتغل علشان هو المطلوب منه يصرف في البيت. أنا مش مفروض أني أصرف على البيت"، في حين تربط عزيزة (17س، مصر) بين العمل والاستقلالية بصورة أوضح "لازم الواحد يشتغل علشان يكسب. أنا مش مستعدة اقعد في البيت وزوجي يصرف علي".

ونسجل دوافع أخرى، إلا أن ما يجب التنبه إليه هو أنها تختلط وتمتزج في وعي الشخص الواحد، ونادرا ما نستطيع رصد موقف متماسك مستند إلى دافع محدد دون غيره.

لذلك، نجد أن المراهقات أنفسهن يدلين بآراء أخرى تفصح عن وعي بضرورة تحقيق الذات وبناء الشخصية من خلال العمل. فترى سهير(16س، مصر) أن "العمل هو اللي بيدي للواحد قيمة وبيدي حياة الواحد معنى"، وهو يوسع المدارك حسب عزيزة (17س، مصر) حين تقول "الشغل بيوسع مدارك الناس ويخلي حياتهم فيها حياة، مش روتين متكرر كل يوم". أما نادية (16س، مصر)، فرأت أن العمل يشكل بالنسبة إلى المرأة البديل أو الملجأ لمواجهة صعوبات الحياة الأسرية فلا تشعر أنها محاصرة "الشغل مهم جدا جدا جدا. الشغل بيخلق للواحد العالم بتاعه وما يبقاش طول الوقت معتمد على حاجة واحدة في حياته. بابا مثلا لما بيكون متضايق بيفضل يشتغل فترات أكتر ويغرق في الشغل على عكس ماما اللي لما بتتضايق بتكون عاوزانا كلنا وطبعا بالأساس بابا يبقى حواليها ولما ده ما بيحصلش تحس أنها لوحدها".

تتشابه آراء المراهقات والمراهقين في كل البلدان التي شملتها الدارسة مع جملة المواقف التي سبق عرضها. فتؤكد رندا (16س، اليمن) موافقتها على عمل المرأة "بحسب نوع العمل، بحيث يمكن لها أن توفق بين بيتها وعملها". وترى مواطنتها دعد (15س) "بصراحة" أنها مع عمل المرأة شرط أن لا يلحق ضررا بأسرتها "لأن بعض النساء تشتغل وتكون مهملة لزوجها ولأولادها، وفي هذه الحالة فإن الأسرة يجب أن تفضل على العمل. أما إذا كانت تسكن مع أحد أفراد عائلتها الذين يمكن أن يعتني بالأولاد، عندها يمكن للمرأة أن تعمل لتحسين وضع أسرتها". إلا أن ولاء (17س، اليمن) تتمسك بقيمة العمل "لأني سأحقق ذاتي عبره، وكل ما طمحت إليه خلال دراستي". وكذلك ترى فاطمة (17س، المغرب) "أن العمل شيء مهم في حياة المرأة لأنه يعطيها الاستقلالية من الناحية المادية والروحية".

وبشكل عام، يمكن القول إن الدخول المبكر إلى سوق العمل أمر غير مرغوب فيه بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين لكونه يشكل طريقا مسدودة في مسار تطورهم الفردي، ما عدا الحالات الاستثنائية التي تمكنهم من اكتساب مهارات حقيقية تؤهلهم للحصول على عمل لائق ومدر للدخل.

**إطار 14.2**

## ثورة نساء أم حقائق مخيفة

ماذا يفعلن في هذه الساعة المبكرة من صباح الأحد وهو يوم عطلة؟ حشد من الفتيات، يقارب الخمسة أو الستة آلاف.

خلت نفسي للحظات أشهد نواة ثورة نسائية ستنطلق هذا الصباح. كلهن يافعات وجميلات في عمر الورود. هل قررن التمرد الجماعي على مفاهيم المجتمع الذكوري وإسقاط "الهيكل" فوق رؤوس الجميع والمضي في رفع الصوت حتى انتزاع الحقوق التي ينشدنها من زمان؟

سألت رجال الشرطة الموجودين في المكان، فقالوا: "إنهن المرشحات للتعاقد مع المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي بصفة مفتشة مطار، واليوم موعد الامتحان الخطي".

وصدمت. ثم صدمت أكثر عندما استقصيت عن بعض الأرقام:

العدد المطلوب لوظيفة مفتشة مطار هو 23 شابة فقط، والمؤهلات العلمية المطلوبة شهادة الباكالوريا (الثانوية العامة)، ومدة التعاقد سنة واحدة قابلة للتجديد ولا تعتبر المتعاقدة موظفة دائمة في الملاك، والراتب لا يتجاوز 550 ألف ليرة (الحد الأدنى للأجور 300 ألف ليرة أي ما يوازي 200 دولار).

أما عدد المرشحات لهذه الوظيفة فقد بلغ 6182 فتاة (العدد المطلوب 23 فقط)، 80٪ منهن جامعيات (المؤهلات المطلوبة الثانوية العامة)، وقد تكبدت كل واحدة منهن ما لا يقل عن 200 ألف ليرة مصاريف مختلفة للتقدم بطلب الترشح.

إنها حقائق مخيفة حقا.

**عباس صالح**

**بتصرف عن صحيفة النهار - بيروت**

**عدد** 19 **تموز/يوليو** 2003

**س** - بعد خروجك من المؤسسة ما هي مشاريعك؟
**ج** - قالوا لنا إن الحكومة سوف توظفنا في مصنع الغزل والنسيج.
**س** - ما الذي كنت ترغب في القيام به في المستقبل؟
**ج** - كنت أرغب أن أكون كاتبا.
**س** - وغير ذلك.
**ج** - مديرا.
**س** - كيف ترى أنك ستنجح عندما تعمل؟
**ج** - بالدراسة."

وتشكو نجاة (18س، تونس) التي تعمل في مجال حرفي ذي طابع فني، من تدني الأجر الذي تتلقاه لقاء عملها الذي تحبه، وتعتبره مجالا لإبراز مهارتها وبمثابة الهواية الشخصية في الوقت نفسه. بدأت العمل بشكل متقطع منذ كان عمرها 12 سنة لمساعدة شقيقتها، وهي تعمل منذ أربع سنوات في تصنيع عرائس صغيرة تباع للسياح في تونس وتتلقى ثلاثة دينارات (ما يعادل الدولارين تقريبا) مقابلة العروسة الواحدة في حين تباع في السوق بـ 14 دينار (10 دولارات تقريبا)، وهو ما لا تجده عادلا. على الرغم من ذلك هي تحب عملها، وتبادر بصناعة ملابس تقليدية للعرائس وترسم ملامحها بدقة وتقول إنها تقوم بذلك "دون أن أطلب فلوس، أعمل لكي أظهر مهاراتي، وأعمل لأني أحب أن أعمل". مع ذلك تبدو نجاة متناقضة - إن صح اعتبار ذلك تناقضا- فهي تقول "لو كان عندى فلوس كفاية، عندها لا أعمل. ولكني أعمل حاليا لأني لا أملكها. إن العمل ليس أمرا ضرويا بالنسبة إلي".

أما جهاد (18س، تونس) الذي يعمل متمرنا في ورشة ميكانيكية، فهو يشكل مثالا للعلاقة المتوترة بين المتمرن وصاحب الحرفة. فصاحب الحرفة الأول طرده من العمل لأنه عنيد "رأسه صحيح"، وكان هذا سببا كافيا لطرده من العمل. أما صاحب العمل الثاني، فهو يجبره على الوصول إلى العمل في الساعة الثامنة صباحا، في حين أن الورشة تكون مغلقة حتى مجيء صاحبها بعد 45 دقيقة على الأقل. يقول جهاد "أحضر في الثامنة صباحا وأبقى منتظرا قرب الحائط حتى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. أحيانا أبقى تحت المطر وفي الريح... فصرت أخرج من المنزل متأخرا وأصل في الوقت نفسه مع صاحب المحل...وصرت أختلف معه، وكان يضربني... لم أبق في التمرين أكثر من ستة أشهر... وأنا أحتاج إلى سنتين لكي أحصل على شهادة تخول لي العمل... أنا أكره البطالة... أحب أن أعمل لا أن أبقى في الفراش حتى الظهر، ثم أبقى في المقهى حتى المساء. يجب على الإنسان أن يعمل أي شيء وأن يتحرك".

يكشف مثال جهاد هنا عن طبيعة العلاقة بين المتمرن وصاحب العمل، التي تتميز بكونها علاقة عمودية صارمة، لا تخلو من التوتر والعنف. وعلى الرغم من أنها تقوم على التمسك بالتراتبية التقليدية داخل المهنة أو الحرفة، فهي في الواقع تنحرف عن الوظائف التي كانت تؤديها تقليديا. ذلك أن نظام المتمرنين التقليدي هو آلية لنقل المعرفة من صاحب الصنعة إلى المتمرن الشاب، إلا أنه أصبح في الظروف الراهنة أقرب إلى الآلية التي تخول الحصول على يد عاملة رخيصة تحت ستار التمرين، دون أن يقترن ذلك بنقل المعارف والمهارات بشكل منهجي وضمن آجال زمنية موضوعية.

إن الاقتصاد النيوليبرالي وتعميم القيم الاستهلاكية وفكرة النجاح المبنية على المشروع الفردي تؤدي إلى تآكل وضعية المدرسة ووظائفها في إطار مشروع الحداثة و إلى العودة إلى نوع من التراتبية المؤسسية بين المدارس (والمناهج والاختصاصات). وهي تراتبية اجتماعية مرتبطة أيضا بمستوى التأهيل المباشر للدخول في سوق العمل والإنتاج، وبالموقع الذي تؤهل المدرسة الفرد له لا استنادا إلى المعارف التي يتلقاها فحسب، بل استنادا إلى مجموع الوضعيات الاجتماعية والامتيازات المتاحة التي ترسم له مسبقا اختيار المدرسة. ويشبه الأمر هنا الحلقة المفرغة، الوضعية الاجتماعية للمراهقة أو المراهق تحدد اختيار المدرسة المناسبة والمدرسة ترسخ هذا الاختيار والامتيازات المرتبطة بالوضعية الاجتماعية من خلال التفاوت في نوعية التعليم، فينتج أن المؤهل اجتماعيا تزيده المدرسة تأهيلا والمحروم اجتماعيا يتلقى غالبا تعليما ذا نوعية متدنية فيعجز عن الترقي الاجتماعي من خلال التعلم. ضمن هذا الإطار، يجب لحظ الازدهار الحالي والمتوقع للمدارس الخاصة في أكثر من بلد عربي، وتزايد الطبقية المدرسية بين مدارس النخبة والمدارس العامة، وانتشار الدروس الخصوصية، وارتفاع تكلفة التعليم، والعودة إلى خيارات تؤدي في نهاية المطاف إلى التراجع عن تعميم التعليم باعتباره حقا للجميع، أو إفراغه من محتواه باختزال الحق في التعليم إلى تعليم أساسي ذي نوعية متدنية.

أما فيما يخص الإصلاح الداخلي للنظام المدرسي، فلا تعطى إلى الآن الأهمية الكافية للجانب العلائقي خصوصا بين التلاميذ والمدرسين والإدارة، ولا لوضع نظام عمل يحتوي على "صمامات أمان" لحل الصراعات عن طريق الحوار، ولا وجود لآليات مشاركة فاعلة للتلاميذ في التعامل مع شؤون مدرستهم وشؤونهم الخاصة فيها. في حين أن هذه المسائل تحتل أولوية بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين.

## ب - المستقبل المهني والعمل

يشكل العمل بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين على حد سواء خيارا أساسيا في تصور مستقبلهم الشخصي. ولكن مع ذلك لم يبد من شهاداتهم أنهم يعطون الأولوية إلى العمل باعتباره تحقيقا للذات بقدر ما ارتبط إما بتوفير سبل العيش وهو الاعتبار الأكثر أهمية، أو بالحصول على اعتراف اجتماعي أو باعتباره أمرا بديهيا ومسارا طبيعيا يقود الإنسان من المنزل إلى المدرسة فالعمل. وبدا عند المراهقات بشكل خاص أن انخراطهن في العمل ليس أمرا حتميا بالنسبة إليهن، لا لاعتبارات المنع الاجتماعي وحسب، بل باعتباره خيارا شخصيا في حال كان الزوج قادرا على تأمين متطلبات الحياة. وترتبط صورة العمل هنا بالجهد والتعب وغالبا بالقيام بأعمال لا تتناسب مع الطموحات أو الرغبات الشخصية.

وهذا الموقف يعبر عن قراءة على درجة من الموضوعية لواقع الأمور، حيث أن العمل في المجتمعات العربية لا يكون مقترنا بالضرورة بالحصول على أجر مناسب، ولا التأمينات الاجتماعية، ولا الحقوق النقابية، كما أن المهن تخضع لتصنيف تراتبي قيمي يشكل عامل نفور من بعض أنواع الأعمال. وبالتالي من الطبيعي أن يفقد العمل الكثير من عناصر جاذبيته ما عدا الاستقلالية التي يمكن أن يوفرها.

## استنتاجـــات عـــامة

### أ - المدرسة

بقدر ما كانت مؤسسة المدرسة آلية للتغيير الاجتماعي نحو الحداثة بالاستناد إلى القوى الاجتماعية الصاعدة، بقدر ما هي الآن أكثر تعرضا لاختراق مضاد بحيث باتت أكثر تأثرا بالتحولات التي يشهدها المجتمع العالمي والمجتمعات المحلية وتفاعلا معها، مما يطرح مسألة أزمة المدرسة باعتبارها أزمة شاملة تطال المؤسسة وأنظمتها وقواها البشرية وتركيبة علاقاتها الداخلية وأشكالها. وتطال هذه الأزمة دور المدرسة في المجتمع، كما تطال وظيفتها المعرفية والاقتصادية والعلاقات الداخلية بين أجهزتها الإدارية والأكاديمية والتلاميذ والعلاقة مع الأهل. ولا يمكن فهم هذه الأزمة المركبة إلا في إطار التحولات الاجتماعية الأكثر شمولا.

فالمعلمون أنفسهم يعترفون "أن قيام المعلمين بدورهم يصبح أكثر صعوبة، بل مستحيلا بسبب فقدان المرجعيات الموثوق بها والمستقرة، والحقوق الفردية المبالغ فيها والتباعد الحاصل بين عالم الراشدين وعالم الأطفال أو المراهقين، حيث يبني "عالم خاص بالشباب" برموز وقواعد سلوك خاصة (اللغة، اللباس...)"[8]. إن النظام المرجعي الذي تكونه المراهقة أو المراهق من عدة مصادر من بينها الأصدقاء، يختلف في الكثير من جوانبه عن مرجعيات الإطارين العائلي والمدرسي. وعلى هذا الأساس، فإن "مشاكل المدرسة، وبشكل أعم مشاكل المراهقة، كما تتجلى في الحقل العام، هي بالدرجة الأولى اهتمامات الكبار الذين ينشرون تصورا محددا للطفولة وللتربية"[9] في حين قد لا تكون كذلك في رأي المراهقين. إن الإطار المنظم للعلاقات بين الإدارة والمدرسين من جهة، والتلاميذ من جهة أخرى، يخضع لتجاذب بين محورين. ففي النمط الأول التقليدي، تعطى الأولوية للقانون والنظام والانضباط، وعندما يخالف التلميذ يعاقب. ويعطي النمط الثاني الأولوية للعلاقة ويكون أكثر قبولا للحوار والتفاوض. إن هذا التناقض بين محوري القانون والعلاقة يبرز بحدة أكبر في المجتمعات الصناعية المتقدمة، كما يبرز أيضا في الأوساط المتأثرة بقيم الحداثة والاتجاهات المعاصرة في التربية في البلدان العربية. ففي هذه الحال لا يكون قبول النظام المدرسي تلقائيا وبديهيا، بل يتطلب المزيد من التفاوض والاقتناع من قبل التلاميذ. ولكن مستوى عدم التجانس بين المدارس في البلد الواحد وما بين البلدان العربية مرتفع جدا، بحيث أن المجتمعات العربية تواجه نوعين مختلفين من المشكلات المتصلة بالمدرسة والتعليم. فمن جهة، هناك المدرسة التقليدية بكل معنى الكلمة، وهناك الفصل بين الفتيان والفتيات، وانتشار الأمية خصوصا في صفوف الفتيات، والعقاب الجسدي والتلقين وتخلف المناهج، إضافة إلى مشكلات عدم كفاية التجهيزات والشروط الصحية والسلامة... وهناك من جهة أخرى المشكلات المرتبطة بضرورة الانتقال إلى نموذج المدرسة العصرية في أساليب التدريس والمناهج والعلاقات... وما تجدر الإشارة إليه أن مؤثرات العولمة والإصلاح الاقتصادي في البلدان العربية تدفع باتجاه تعميق هذه الهوة والثنائية في النظام التعليمي.

**(8)** - L'éducateur, N° special 1999, in Scolarité et adolescence: Les motifs de l'insécurité; op. cit.

**(9)** - Scolarité et adolescence: Les motifs de l'insécurité; op. cit.

والتجارة والتسويق، مع استمرار حضور واضح للمجالات التي تساعد على العمل في الخارج أو في السلك الديبلوماسي (لغات، علوم سياسية، حقوق).

إن هذه الاستخلاصات تحفز على تعميق البحث والتفكير في البرامج والسياسات الموجهة لتشجيع عمل الشباب، فلا تأتي في صيغة تصورات جاهزة ومعدة مسبقا في حين لا تتوفر لها فرص النجاح بشكل كاف لأنها لا تتوافق مع الواقع ولا مع اختيارات المعنيين والمعنيات وتفضيلاتهم.

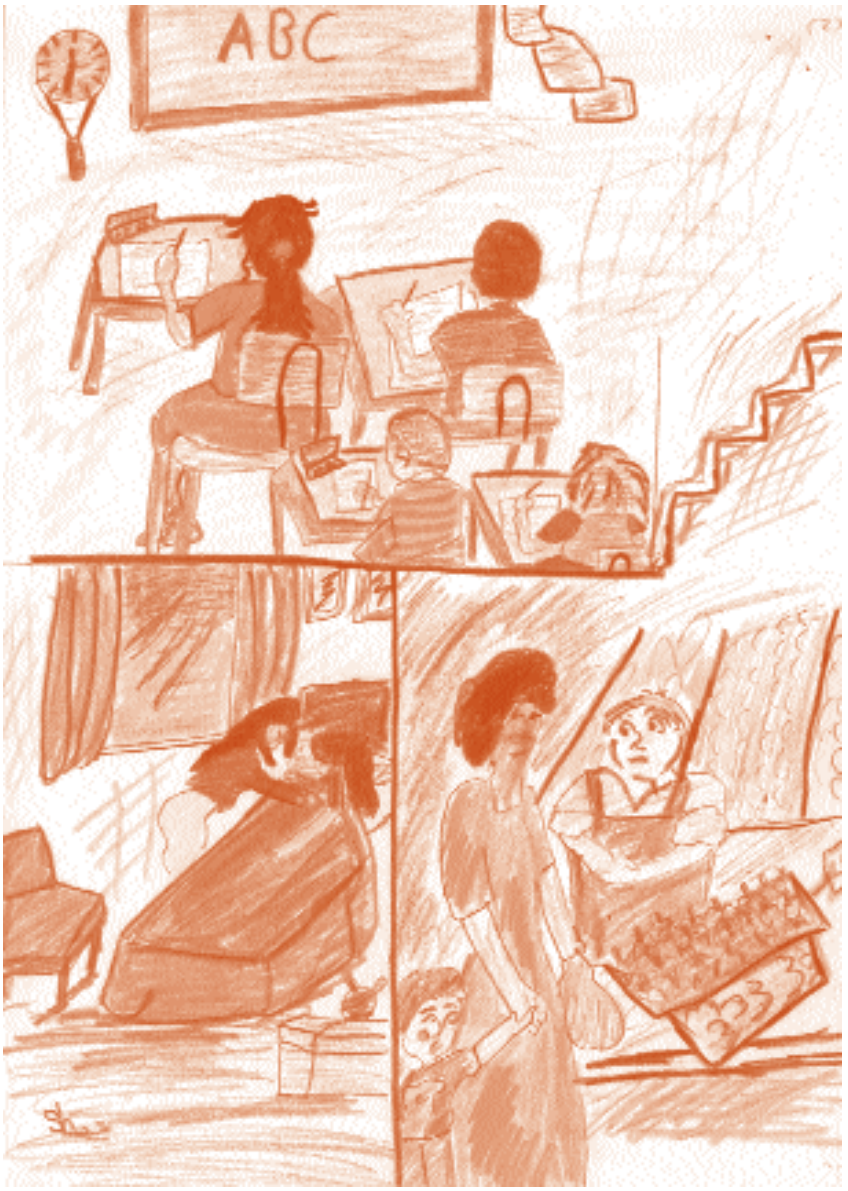

ومن جهة أخرى، فإن المنطق الاقتصادي البحت ومنطق النجاح المبني على المشروع الفردي لا يزال محدود الانشار، وهو ما يجعل الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية تمتزج في تقييم العمل وتحديد الاختيارات. وسجل مرّة أخرى انسجام التفكير مع مستوى التطور الاجتماعي ومع ما هو متاح في الواقع.

ومن خلال المقابلات، فإن أبرز الاستخلاصات المتعلقة باختيارات المراهقات والمراهقين المهنية هي التالية :

- هناك تداخل في اختيارات المراهقات والمراهقين، وخصوصا بالنسبة إلى المهن المرتبطة بالتكنولوجيا واللغات والسلك الديبلوماسي. ومع ذلك لا يزال هناك أثر واضح لاختيارات تعبر عن التقسيم التقليدي للعمل بين المرأة والرجل، مثل تفضيل المهن الاجتماعية كالطب والتعليم والآداب لدى المراهقات، وتفضيل المراهقين لمهن الهندسة والمقاولات والتجارة.

- هناك حالة من الارتباك وعدم الحسم في الخيارات لدى قسم من المراهقات والمراهقين، وهذا أمر طبيعي يعود إلى العمر أحيانا، وإلى الرغبة والقدرة على متابعة الدراسة، وعوامل أخرى.

- بعض الاختيارات تعبر عن أمنيات، وتعكس القيمة العالية التي تعطى لبعض المهن، كمهنة الطبيب في اليمن. وكذلك لقب الدكتوراه بما يوفره من أهمية اجتماعية أيا كان الاختصاص.

- خيارات المراهقات والمراهقين في تونس بدت واقعية جدا، وتعبر عن خيارات واضحة مرتبطة عموما بالمسارات المدرسية بالنسبة إلى التلاميذ، أو تطويرا للعمل الحالي الذي تقوم به المراهقات العاملات. وهذه خاصية لم نلحظها في المقابلات الأخرى. أما مقابلات البحرين، فقد دلت على التوجه نحو مهن ذات مردودية اقتصادية عالية مرتبطة بالسوق والتكنولوجيات الحديثة (كمبيوتر وتجارة)، وهو أيضا أمر مميز يعبر عن الخصائص الاقتصادية ونسبة الموارد في البحرين. في حين أن المهن الأساسية التي تكررت في مصر هي الهندسة المرتبطة بالمقاولات.

- بشكل عام، فإن المراهقات والمراهقين لم يستخدموا بصفة مباشرة تعابير تشير إلى تفضيل لمهنة على أساس مادي. وبدا في بعض الحالات وكأن القناعة قيمة سائدة تعبر عن الواقعية والاكتفاء بعمل يضمن الاستقرار والنجاح في الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه المراهقة أو المراهق، والذي يقتصر في جوهره على تكوين أسرة وامتلاك منزل وسيارة وسمعة جيدة وعلاقات اجتماعية مقبولة.

- على الرغم من وجود خيارات مهنية تعبر عن خصوصيات كل مجتمع، برزت خيارات مشتركة عابرة للحدود الوطنية، وبالتحديد في اختصاصات الكمبيوتر والمعلوماتية

## القسم الثاني :

# الدراسة الميدانيّة

### الفصل الخامس

# ثقافة المراهقة والسلوكيات :

# اهتمامات جديدة

لقد اكتسحت وسائل الإعلام عامة، والجماهيرية منها بالتحديد، كل الفضاءات الخاصة والعامة على حد السواء لتتحول إلى قوة حاضرة في كل لحظة تخاطب المراهقات والمراهقين فردا فردا وجماعة في الوقت نفسه، في كل ما يتصل بتفاصيل حياتهم اليومية ومستقبلهم. وتقدم لهم أحيانا كثيرة عالمهم المتخيل في صورة سلوكيات وممارسات لا تخلو من الجاذبية. وعلى هذا الأساس تتحول وسائل الإعلام إلى مصدر أساسي في تكوين سلوكياتهم، سواء بالقبول أو بالرفض، أو بالمزج غير المتسق بين عناصر كثيرة ومتناقضة تحتويها الرسائل الإعلامية المتعددة. فضلا عن المضامين المتناقضة المعممة من خلال منظومة المؤسسات والمصادر المختلفة التي تتجاذب المراهقة والمراهق في اتجاهات مختلفة.

هذا التجاذب المؤدي إلى تحول في أنساق السلوك والعادات وفي ما يمكن تسميته بثقافة المراهق، هو أحد الأبعاد الأساسية التي يحاول هذا الفصل رصدها والتي تبين فيها بشكل واضح أثر هذا التمازج بين مؤثرات البيئة المحلية ومؤثرات التعرض المتزايد لوسائل الإعلام الجماهيرية وما تولده من صور نمطية تقابل بالتماهي أو بالرفض.

وسوف يتم توزيع مادة هذا الفصل وفق ثلاثة محاور على النحو التالي :

1- النظرة إلى الجسد واللباس والتغذية،
2- العزلة والصداقة،
3- الاهتمامات والهويات ووقت الفراغ.

# ثقافة المراهقة والسلوكيات

## مقدمة

تنعكس الثقافة السائدة في مجتمع ما في نمط التربية الذي تتبعه الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأخرى التي تسهم في تربية المراهقات والمراهقين وتكوين سلوكياتهم. يضاف إلى ذلك المؤثرات النابعة من المجتمع ككل، ولا سيما الدور المتعاظم الذي تؤديه وسائل الإعلام التي تتجاوز الإطار الوطني إلى الإطار الكوني.

لقد قامت الأسرة في السابق بدور حاسم في التنشئة الاجتماعية. فهي توفر للطفل وللمراهق نماذج للتعامل ولأنماط التعبير المختلفة على مستوى السلوك والآراء والقيم. وهي المرجع الأول للنماذج التي يتعرف إليها الطفل خصوصا في سنوات مراهقته الأولى، فتشكل رأسماله الأولي الذي يستخدمه في التفاعل مع البيئة الأوسع، وفي بناء مساره الشخصي، رفضا أو قبولا لهذه النماذج، وفي خلق تركيبة خاصة به من مجمل المؤثرات التي يتلقاها من المصادر الكثيرة التي تحيط به. وتجدر الإشارة إلى أن دور الأسرة هذا على أهميته، يتقلص بشكل متدرج لصالح مؤسسات أخرى، كالمدرسة والمؤسسة الدينية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية على اختلافها، ولصالح جماعة الأقران والأصدقاء الذين يشكلون بدروهم مصدرا أساسيا من مصادر تكوين سلوكيات المراهق ومواقفه.

من جهة أخرى تؤدي وسائل الإعلام، خصوصا الواسعة الانتشار منها، دورا متزايد الأهمية في تكوين سلوكيات المراهقات والمراهقين تحديدا، بسبب ما تتمتع به هذه الوسائل من ميزات يصعب توفرها في المصادر الأخرى. فهي تتمتع بميزة الانتشار الواسع والتواصل الجماهيري مع جموع المراهقين بحيث تتمكن من إيصال رسائل ومضامين موحدة للملايين منهم. كما أنها تمتاز بالكثافة والاستمرارية بما يقوي أثرها التراكمي ويزيد من احتمال تحول رسائلها والمضامين التي تبثها إلى سلوك. بالإضافة إلى ذلك، تمتلك وسائل الإعلام ميزة الإقناع، إذ غالبا ما تكون القناة الحاملة للرسالة الإعلامية جذابة وتقدم نماذج جاهزة للتقليد معتمدة على إمكانيات تقنية تسخر لتحقيق هذا الغرض . والإعلام "سلطة" أيضا، فهو يحمل رسالة صادرة عن جهاز متعال ومنفصل عن المراهق، بعيد عنه، أشبه "بالعلبة السوداء" التي يمتلك القائمون عليها سلطة المعرفة والحقيقة ونشرها بين الناس. وهي بهذه الصفة تمتلك القدرة على الإثبات باعتبارها مرجعا ومصدرا موثوقا به للأخبار والمعارف والسلوكيات التي تروجها قارنة إياها عادة بصور النجاح أو الفضيلة أو القوة والفعالية.

مثل اللباس والطعام ؟ هل يقاومون أهاليهم ويتبنون مرجعيات مختلفة وهل لديهم مرجعيات معينة ؟ ما هي وأي طابع تحمل ؟ هل يتم التعامل معهم كأفراد مستقلين أم كتابعين تفرض عليهم الطاعة والامتثال ؟ وكيف يتجاوبون مع أنماط التعامل المختلفة هذه ؟

لقد تناولت الفصول السابقة من هذا التقرير بعض الأبعاد المتصلة بنظرة المراهقة أو المراهق إلى نفسه، في القسم الخاص بالإطار العام وفصل الهوية وصورة الذات. وتبين تأرجح المراهقة أو المراهق بين البحث عن التميز أو التفرد وبين البحث عن التشابه الذي يصل إلى حد التماهي أو الذوبان في العائلة أحيانا، أو في جماعة الأصدقاء أحيانا أخرى، أو في هوية جماعية أخرى سياسية أو ثقافية أو دينية. أما هذا الفصل فيحاول استكشاف السلوكيات الفعلية التي يتبعها المراهقات والمراهقون، والمواقف التي يعبرون عنها بالنسبة إلى عدد من القضايا من الناحية العملية، بما يكمل تطبيقيا ما جاء على مستوى الإشكاليات والتصورات في الفصلين السابقين المشار إليهما.

**إطار 15.2**

## المراهقات العراقيات بين الامتثال والامتناع*

جوانب عدة في حياة الفتاة المراهقة العراقية والعربية عموما يحكمها قطبان متنافران هما الامتثال والامتناع. وهذا نابع من أسباب عديدة منها التناقض القيمي في المجتمع العربي خصوصا تجاه المرأة. إذ في الوقت الذي يرفع فيه المجتمع من شأنها باعتبارها مقدسا لا يجب المساس به، فإنه يحط من شأنها باعتبارها جنسا ثانيا مقارنة بجنس الذكور.

ولا يمكن تفسير هذا الواقع استنادا إلى النموذج الثنائي ذكر- أنثى حيث تنسب السلطة المطلقة إلى الرجل مقابل تهميش المرأة ضمن نظام مغلق، بل من الأجدر الاستناد إلى نموذج آخر بديل يبين أثر المجتمع في نمطية العلاقات لأن المجتمع برجاله ونسائه ضد المرأة. فالمرأة تشترك بجنسها مع جنس الرجال في إيجاد نظرة تقيد المرأة وتنتقدها، وهي تعمل ضد جنسها بواسطة المجتمع بلا وعي منها. ويقوم هذا النموذج على جدلية العلاقة "مجتمع- ذكر- أنثى"، أي أن الذكر (الرجل) هو الوسط والوسيط بين الأنثى (المرأة) والمجتمع. لذلك فإن تحرير المرأة مرهون بتحرير الرجل. فالرجل يشد المرأة إلى الأدنى، والمجتمع يشدهما معا. فتصبح المرأة هي الطرف الوحيد في العلاقة الفاقد للقوة، بينما يستحوذ المجتمع على القوة مستخدما قوة الرجل.

وفي وضعية كهذه، فإن تعليم الفتيات يحمل تأثيرات متناقضة ذلك أنها تقع تحت تأثير قوتين إحداهما تشدها إلى الانصياع لتقاليد البيت والمجتمع والأخرى تشدها للأخذ بالحرية والتطلع العلمي والاستقلالية الفردية، مما يولد لديها صراعا نفسيا مريرا وصراعا مع أسرتها ينبع من عدم الفهم الكامل لما ترغب به. كما تتأرجح المراهقة في مجال العمل بين أمرين إذ هي تريد من جهة، الخروج من الجو الأسري الخانق بسبب التقاليد المنيعة التي قد يضاف إليها الفقر، وهي من جهة أخرى متخوفة على نفسها وكذلك على أفراد أسرتها من هذا الخروج خشية الانتقاد الاجتماعي المرير.

## 1. النظرة إلى الجسد والمظهر

المراهقة مرحلة تغير وتحول شامل في الإنسان. وإذا نظر إليها من منظور النظام الاجتماعي وعملية التربية، فهي مرحلة تأهيل وانتقال من طور الطفولة إلى الرشد ومن التبعية إلى الاستقلالية والاستقلال. ولكنه ليس بأي حال انتقالا بسيطا وتلقائيا. ومن هنا تأتي حساسية هذه المرحلة من وجهة نظر سيكولوجية وتربوية نظرا لأهمية التغيرات الجسدية والهورمونية والنفسية والاجتماعية التي تعيشها المراهقات والمراهقون واتصافها بالثنائية والتناقض، فهم يحتاجون في الوقت نفسه إلى الحرية والدعم، إلى الابتعاد والاقتراب، إلى تأكيد الذات وإعادة النظر في علاقتهم بالأهل ومقاومة الجيل السابق وتقليده.

نشير إلى هذه الإشكالية لأنها هي التي تطبع سلوك المراهقة والمراهق وكيفية وجوده وأسلوب تعامله مع الأشخاص والظواهر المحيطة به.[1] وتبرز هذه الإشكالية خصوصا على مستوى السلوك الشبابي وطرق التعبير والقدرة على ذلك. ويشير مسح النشء المصري[2] إلى "إن الفتيان والفتيات الذين يعبرون عن آرائهم صراحة أمام أسرهم وينالون الاحترام عندما يفعلون ذلك يصبحون أكثر ميلا أيضا للتعبير عن آرائهم مع أصدقائهم عند الخلاف، كما يكونون أقدر على مقاومة ضغوط مجموعة الأقران. وهم يصيرون مرشحين للتحلي بصفات القيادة. وعادة ما يكونون الأشد طموحا، أي أنهم لا يرضون تماما عن وضعهم الراهن ويظهرون أعلى درجات التفاؤل حيال المستقبل الأفضل، وتتكون هذه الفئة على وجه العموم من البنين والنشء الأكبر في السن وأولئك الملتحقين بالمدارس والقاطنين في المحافظات الحضرية، والمنتمين إلى الأسر ذات المكانة الاجتماعية الأعلى"[3]. وتضعنا هذه النتيجة منذ البداية أمام تنوع في المواقف والقدرات وأمام تأثيرات متفاوتة حسب متغير السن والجنس والأوضاع الاجتماعية والتمدرس والانتماء الريفي أو المديني. وكلها عناصر تدخل في تكوين المركب المؤثر في بناء شخصية المراهقة أو المراهق، وسلوكهما ومواقفهما.

### أ-المراهقة : فترة تحول

تنوعت آراء المراهقات والمراهقين في تعريفهم لمرحلة المراهقة التي يمرون بها، فبرزت فكرة التحول والإحساس بأنها مرحلة جديدة وانتقالية، وهي بالنسبة إليهم اكتشاف للحياة أيضا حتى إن اقترنت بالشعور بالضياع وبالصعوبة. وكأن المراهق كما تقول ريا (18س، لبنان) "يصعد من الكيس الذي كان فيه" ليكتشف لذة "المشاهدة" ويصبح حرا بإفلاته من دائرة الأهل المحدودة. وتعد بذلك مرحلة المراهقة مرحلة للتفكير ولإثبات الوجود، بما يفسر ربما حب المعارضة وجوهر السلوك الذي يتسم بشيء من التمرد والخروج عن المألوف.

وبناء عليه، يصبح من الأهمية بمكان دراسة أنماط السلوك ومتابعة التعبيرات التي يتبناها الجيل الجديد من أجل تأكيد الذات. ولنا أن نتساءل هل لا تزال المراهقات والمراهقون يتبعون أنماط الأهل السلوكية أم أنهم يتبنون أنماطا جديدة مختلفة ؟ هل يتماهون مع نموذج الأهل أم أنهم يبحثون عن نماذج مختلفة تطال النظرة إلى النفس وإلى الجسد وكيفية التعامل مع مسائل

(1) انظر مؤلفات بوريس سيرولنيك الذي يعمل في إطار علم الإيتولوجيا الذي يطبق حديثا على أنواع السلوك البشري، على سبيل المثال :
- Cyrulnik (B) : Sous le signe du lien. Hachette .Paris .1989
- Cyrulnik (B) : Un merveilleux malheur. Paris Odile Jacob .1999
- Cyrulnik(B) : Les nourritures affectives. Paris Odile Jacob . 2000

(2) الانتقال إلى مرحلة النضج، مسح قومي حول النشء في مصر. مرجع مذكور.

(3) انظر أيضا: منى فياض، السجن مجتمع بري، دار النهار، بيروت، 1999.

ولا تحيد المراهقات والمراهقون في كلّ البلدان العربية عن هذا الاتجاه العالمي، حيث يبدون اهتماما بأجسادهم بهذه الدرجة أو بتلك، سواء اعترفوا بذلك علنا أو لا. وبشكل عام، تفضل المراهقات خاصة النحافة والرشاقة بما يبدو تأثرا واضحا بالنماذج المعولمة للجمال الأنثوي المعاصر الذي ابتعد عن نموذج المرأة الممتلئة في العصور السابقة. في حين يفضل المراهقون أن يكونوا أكثر طولا وبملامح رياضية، وهو أيضا نموذج معاصر. ويهتم معظم المراهقات والمراهقين في اليمن بأناقتهم وبلياقتهم البدنية وبملابسهم على الرغم من الطابع المحافظ للمجتمع اليمني. يقول وسيم (17س) " أذكر العام الماضي حلقت شعري "حلاقة تايسون" وسافرت إلى القرية، قام أبي وصاح فوقي وشتمني وضربني وقال هذه حلاقة الطراطير". وتصرح دعد (15س) "أمي تصيح لو لبست مخلع زيادة (أي اللباس الذي يكشف أجزاء هامة من الجسم)". وتؤكد نوف (17س) "هواياتي المكياج ومتابعة آخر أخبار الموضة في الملابس، والبرامج التي تهتم بالجمال أحب أن يمدحني الجميع وحدي، أحب أن أكون دوما Top لا أود أن يكون لي منافس... وأحب جملة إلى قلبي أن يقال لي "أنت جميلة"...أحب أن أكون مشهورة في أي مجال محترم". وتكررت الإشارة إلى الشهرة من خلال المقابلات وبرزت في ارتباطها بالرغبة في العمل في مجال الصحافة وخاصة منها الإذاعة والتلفزيون، إذ كان لكلمة Famous رنة سحرية بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين.

ولعل في تكرار اعتبار الأخصائيين اليمنيين، الذين وقع استجوابهم في إطار هذا التقرير، الجيل الجديد جيلا محبا للمظاهر تأكيد لما سبق. ورغم شيوع الأنماط المتدينة من المراهقات والمراهقين وتميزهم بارتداء اللباس الإسلامي من حجاب وعباءة مما يقلل من الاهتمامات بمتابعة الموضة أو وضع المساحيق، برز اتجاه لدى المراهقات اليمنيات في الاهتمام بمظهرهن وجسدهن. وقد عبرت معظمهن عن تفضيلهن لأن يكن "أطول وأنحف وأن تكون لهن بشرة صافية" حتى وإن لم يقمن باتباع طريقة معينة للغرض[6]. ويصر بعض المراهقين على اتباع الموضة بالرغم من القيود الاجتماعية، الأمر الذي يوحي بتوقهم إلى جسد على صورة معينة، بما يعنيه ذلك من تمحور جديد حول الجسد.

ولكن الموقف المنساق وراء مؤثرات صورة الجسد المعاصرة ليس وحيدا، إذا يتم الابتعاد عن هذا النموذج النمطي من وجهة نظر تقليدية أو حداثوية. فلريا (18س، لبنان) التي تدرس المسرح فلسفتها الخاصة حول الجسد، فهي تقول إنها "مرتاحة في جسمها"، ولم تعد تتبع الموضة وتجد أن العلاقة بالجسد تؤثر في العلاقة بالآخرين. تقول "القبول بالجسد قبول بالذات هو تعبير عن كون الفتاة ترتاح بحالها أو لا، سواء أكانت سمينة أم نحيفة". ويذكرنا هذا بموقف المناضلات النسويات (feministe) في الستينيات والسبعينيات اللواتي ثرن ضد "تعسف الموضة" وطالبن بترك أجسادهن" حرة وعلى ما هي عليه من دون إضافات بما فيها "حمالة الصدر" وترك الشعر على طبيعته"... وفي ذلك أيضا تقييم عال للجسد وإن في اتجاه آخر[7].

ولكن بمعزل عن الأبعاد الجمالية والفلسفية في موضوع الجسد، فإن هناك أبعادا أكثر واقعية وأكثر انتشارا وارتباطا بمرحلة المراهقة، إذ قد تؤدي التغيرات الجسدية التي تحدث أثناء فترة المراهقة إلى شعور بالارتباك أو الحرج إزاء الجسد. ويذكر في مسح النشء المصري أن 12٪ من المراهقين المصريين ينظرون نظرة سلبية إلى أجسادهم لسبب أو لآخر، وتتساوى هذه النسبة

**(6)** برز اتجاه عبر عنه عدد قليل جدا من المراهقات في كل البلدان التي شملتها الدراسة ويتمثل في العودة إلى الجسد المحبذ تقليديا الممتلئ المائل إلى البياض والذي يوحي برغد العيش. وتجدر الإشارة إلى وجود محاولات حثيثة على مستوى الموضة العالمية من أجل العودة إلى الأجساد الممتلئة في بعض عروض الأزياء.

**(7)** انظر فصل الهوية وصورة الذات، حيث تمت معالجة هذه النقطة، وحيث بدا أن الموقف العام للمراهقات والمراهقين في موضوع جمالهم الشخصي، موقف أقرب إلى القناعة والتسليم باعتبار الجمال أمرا من عند الله، مع تفضيل واضح للجمال خصوصا جمال الفتيات.

أما معالجة هذا الواقع، فهو يتطلب من جهة أولى تفهّم المراهقة تفهما واقعيا يقوم على ظرفية المرحلة التي تمر بها، ويتطلب من جهة ثانية قيام وسائل الإعلام، البصرية منها على وجه الخصوص، بدور هام في إرشاد الوالدين وأفراد الأسرة إلى التعامل الموضوعي غير المنحاز مع الفتاة المراهقة. مع ضرورة إضعاف النظرة الاجتماعية إلى الفتاة على أنها للبيت فقط والعمل على إعدادها كعنصر لإنتاج الحياة بالعلم والعمل.

* من بحث لشاكر البيضاني - العراق، بعنوان "جدلية الامتثال والامتناع في ثقافة المراهقة : المراهقة العراقية نموذجا". وقد فاز البحث بالجائزة الثانية في مسابقة الباحثين الشباب التي نظمها مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر، عن الفتاة العربية المراهقة، كنشاط مواز لإعداد هذا التقرير.

## ب. الاهتمـــام بالجســـد والمظهـــر

لم يكن الجسد مقيدا في المجتمعات البدائية والحضارات القديمة. إلا أنه احتجب وتعرض للقيود والضوابط الصارمة في العصور الوسيطة، مما جعل تحرره اللاحق جزءا من ثورة الحداثة في العصر الحديث حيث ارتبطت النظرة المتحررة إلى الجسد بأبعاد تتصل بثقافة حقوق الإنسان وتطور الحركة النسوية feministe في المجتمعات الأوروبية. وفي النصف الثاني من القرن العشرين دخلت العلاقة مع الجسد في مسار علاقات السوق، فنشأت حوله مجموعة من الصناعات التي تتراوح بين مستحضرات التجميل واللباس والموضة والأنماط الغذائية وصولا إلى الأمواج الإعلامية والإعلانية وصناعة الجنس. وإذ لا تتساوى هذه الصناعات في أهدافها ووسائلها وفي موقف المجتمع منها، إلا أن الجسد موضوعها المشترك. ومع اندفاع العولمة، ولا سيما العولمة الإعلامية، باتت المسافات بين هذه الصناعات تضيق باستمرار، وبات معيار الترويج والاستهلاك حاسما في تقريب المسارات المتوازية لكل منها.

وفي هذا السياق، تحولت المراهقات والمراهقون إلى موضوع مفضل لهذه الصناعات. فهم أعداد متزايدة من المستهلكين لسلعها، وهم في الوقت نفسه يجسدون هوّامات fantasmes الشباب الدائم والجمال والحياة التي تهيمن على الكبار في المجتمع المعاصر. وتشكل صناعة عارضات الأزياء top models التجسيد الأبرز لهذه "الثورة" المعاصرة، حيث تشكل العارضات نموذجا حيّا لما يجب أن يكون عليه الجسد في طريقة عيشه وبروزه والعلاقة التي يكرسها مع الذات ومع الآخر. إذ أنهن يعرضن جسدا كاملا محكم الاتساق "مبنيا عضلة عضلة". جسد موضوع... جسد ذات.. جسد مبني على طريقة قطع الـpuzzle[4]، كل ذلك من أجل الحصول على جسد مثالي، ليس معنى الاقتراب من مقاييس الجمال الدقيقة وحسب، بل أيضا في محاولة لتقليد الرغبات التي يثيرها[5]. وقد أفرز هذا الاهتمام بالجسد نوعا من "هاجس النحافة" ورفض التقدم في العمر واللجوء إلى الجراحة التجميلية بهدف نحت صورة مثالية.

وتكتسب العناية بالجسد أهميّة محورية في الحياة الخاصة أو الحميمة المعاصرة وتحقق للفرد نوعا من المتعة الصافية والإشباع النرجسي. ويتم ذلك عبر العناية بالمظهر وبالبشرة وعبر لذّة الاستحمام واستخدام مواد التجميل.

**(4)** الصورة الأحجية التي يتم تكوينها من قطع كثيرة مفصلة بحيث تكتمل الصورة بان توضع كل قطعة في موضعها.

**(5)** انظر أيضا : منى فياض، فخ الجسد، دار رياض الريس، بيروت، 2000.

وتميل المراهقات البحرينيات إلى الاهتمام بالشكل الخارجي والعناية الفائقة بالمظاهر ومتابعة الموضة بتنويعاتها المختلفة من اللباس حتى قصة الشعر على غرار حنان (18س) التي "لا تطيق أي شيء يخرج عن الموضة". ولا يعني ذلك عدم رصد آراء مخالفة في البحرين. فلئن عبّر فوزي (18س) عن اهتمامه بمظهره الخارجي ومسايرته للموضة، فإن نورة (15س) تتبعها "في بعض الأحيان فقط. اللباس ليس مهما، الشكل الداخلي للإنسان هو المهم : عقله وقلبه". ويختار محمد (16س) من الموضة "ما يناسب"، في حين يقول جاسم (18س) "لا أحاول مسايرة الموضة ولست من النوع المهتم بها".

لكن اتباع الموضة قد يبرز عن طريق اتخاذ "مظهر مخالف" لما هو سائد. وتحت شعار إهمال المظهر أحيانا نكون نتبع ما يمكن أن نسميه موضة-مضادة، كما حصل مع بول-فاليري (18س، لبنان) الذي ترك شعره فوضويا وطويلا في فترة ما، لكنه عدل الآن عن ذلك وبدأ يهتم بآراء الآخرين. فترك الشعر يطول هو نوع من "موضة الاحتجاج" ومحاولة تأكيد الذات عبر الاختلاف. عاد الآن بول-فاليري إلى الاهتمام بمظهره ضمن الاتجاه السائد.

ويلاحظ عموما أن للمراهقات والمراهقين حرية في اختيار الملابس ولو أنهم جميعا ينضوون ضمن الذوق الكلاسيكي السائد. وأكثر ما يتسبب في إثارة الاعتراض لديهم هو ما يتعلق بنوع قصة الشعر. وغالبا ما يفضل المراهقون استشارة الأم للمساعدة في اختيار الملابس. أما المراهقات فتمارس عليهن رقابة في خصوص اللباس كل واحدة حسب انتمائها الاجتماعي وبيئتها الثقافية. وتشتد الرقابة كلما كانت البيئة الاجتماعية فقيرة وتقليدية محافظة. فأميرة (15س، لبنان)، وبالرغم من أنها ستخطب قريبا، إلا أنه لا يسمح لها إلا بارتداء "بنطلون يغطيه رداء واسع نسبيا" ومنعها أهلها من ارتداء تنورة حتى إن لم تكن قصيرة، وفرضوا عليها ارتداء الحجاب. وتجدر الإشارة إلى أن المراهقات، بشكل عام والمنتميات منهن إلى الأوساط الفقيرة بشكل خاص، غالبا ما يخضعن لرقابة الأم ويضطررن لاتباع نصائحها. كما أنهن يظهرن قبولا لرقابة الأهل عبر تبني استراتيجيات السلوك المقبول اجتماعيا. لكن عندما نقارن وضع أميرة بوضع تالة (17س) وريا (18س) من لبنان المنتميتين إلى وسطين اجتماعيين متوسط وميسور، نلمس مدى نسبية الأمور، فتالة تشكو من رقابة الأم التي تعترض على قصر "التي- شرت" (T-shirt) مما يظهر بطنها عند الحركة. وتجنبا لحصول المشاكل، تنصاع تالة لرغبة أمها لـ "تكسر الشر" أي تتجنب الصدام كما تقول.

والملاحظ عامة أن المراهقات غالبا ما يقابلن مشاعر المحيط وحدوده بنوع من الانضباط والرقابة الذاتية إلا في حالة وجود تفكك أسري أو مشاكل كبيرة.

أخيرا لا بد من الإشارة إلى أن مسألة "اختيار الملابس" و"اتباع الموضة" في الأوساط الفقيرة مسألة نسبية. ففي بعض هذه الأوساط يعد شراء الملابس موضوعا مهما وغير متيسر، بل إنه يخضع للمناسبات الخاصة، فتتحول متابعة الموضة إلى نوع من الإحباط. فخديجة (18س، المغرب) بكت عندما كانت أصغر في السن بسبب ذلك. كما يمتعض بعض المراهقين من عدم قدرتهم على اقتناء الملابس الرياضية ذات الماركات المشهورة. وقد تشكل الخيارات على مستوى تفضيل أنواع ملابس أو أنواع أطعمة، مناسبة لتأكيد فردية المراهقة وشخصيتها كما حصل مع فاطمة (17س، المغرب) "لم يكن لدي أي ذوق من قبل، كنت آكل بحسب ذوقهم وألبس أيضا بحسب ذوقهم. لكن أحاول الآن أن أفرض نفسي".

بين الفتيات والفتيان. وتشعر المراهقات والمراهقون أحيانا بأن أجسادهم غير متناسقة بما فيه السمنة (خصوصا بالنسبة إلى الفتيات) أو النحول وقصر القامة أو ضمور العضلات (بالنسبة للفتيان). كما تبرز أحيانا مشاعر عدم الرضى على الوجه نفسه والبشرة، وعناصر أخرى، مما يجعل بعض المراهقات والمراهقين في بعض الأوساط الميسورة يفكرون بالتدخل الجراحي لتجميل الأنف (وهو الأكثر شيوعا) أو تقويم الأسنان أو باستخدام العدسات اللاصقة بدل النظارات، وغيرها من وسائل الاقتراب قدر الإمكان من الصورة المثالية الشائعة في الوسط الذي يعيشون فيه. إلا أنها تبقى حالات فردية، فما هو أكثر شيوعا هو الاهتمام بالتغذية والرياضة تخفيفا لاحتمالات السمنة، واستخدام مستحضرات التجميل، وكذلك الاهتمام بالموضة واللباس الجميل واللائق.[8]

## مواكبة الموضة

تتطلع المراهقات والمراهقون إلى "مظهر ملائم وعصري ومقبول" مع اختلاف في تصوراتهم لهذا المظهر. ويشكل ذلك أحد نقاط التصادم بين الأهل والأبناء، وخصوصا الفتيات اللواتي يتعرضن لرقابة أشد فيما يتعلق باللباس، في حين تكرر الخلاف مع الأهل بشأن قصة الشعر في أكثر من مقابلة مع المراهقين. يقول فريد (16س، اليمن) إنه "يشعر أنهم يتابعونه... إنه لا يشعر بوجوب إخبارهم عما لديه إلا أنه يحب أن يفعل ذلك. إنهم لا يسمحون له بالحلاقة حسب آخر موضة ولا يسمحون له بلبس الملابس غير الاعتيادية". ويبدو أن اعتراض الأهل على مظهر الأبناء الذكور في البيئات المحافظة ينطلق من خلفية تقليدية تعتقد أن كل شكل من أشكال تحسين المظهر يجب أن يقتصر على النساء فقط، وكأن الاهتمام بالمظهر ينتقص من الرجولة. لكن في بلدان تتعامل بمرونة أكبر مع التقاليد والعادات ويسمح فيها بارتداء ملابس تظهر شكل الجسم، يصبح تطلب المظهر الخاص أي الـ look المتماشي مع العصر، أكثر شيوعا. فبرز الاهتمام بالملابس في لبنان وتونس والمغرب تماشيا مع الماركات العالمية "نلبس ملابس سبور أو ما يسمى "Griff" أو"signe" وأحذية cat"[9] كما عبر كل من عبد الرحمان (16س) ومروان (15س) ومهدي (16س) من تونس. وابتدع الجيل الجديد التونسي كلمة من أجل فعل الاستهلاك المتمادي، فسمير (16س) يستخدم كلمة "يقشقش"، وذلك لوصف شراء ملابس من الماركات العالمية ومن أسواق خاصة بتلك الماركات. وقد يجد الأهل في ذلك مبالغة، لكن "الله غالب" يقول سمير، كأنه يشير إلى وجود دافع أقوى منه يلزمه بسلوكه "القهري" وعدم قدرته على المقاومة. ويبرز الاتجاه الاستهلاكي خاصة لدى الطبقات الميسورة. ولا يعني ذلك تعميم هذا الاتجاه بالضرورة عند جميع المنتمين إليها. فأشرف (18س، لبنان) تعلق سابقا "بالماركات"، لكنه تخلى عن هذه العادة بنوع من النضج وصار يبحث عما "يليق به. وفي مصر لا يبدو من إجابات المراهقين اهتمام مبالغ فيه بالموضة، ويرتبط ذلك بالمناخ السائد من جهة، وبالتكلفة المرتفعة من جهة أخرى، على حد وصف فاروق (18س) "الواحد لازم يكون شكله كويس. عادي. بس الموضة لا. يعني الموضة دي غالية خالص وبعدين ساعات بتبقى حاجات ما تنفعش عندنا بالمرة". لكن الجميع يحب أن يكون شكله جميلا "علشان يعجب" على حد قول أمير (15س). ويرتبط الاعتناء بالمظهر بالمناسبة وبالمجموعة. يقول محمد (17س) "لكل مقام مقال عندما أشارك في فرح على سبيل المثال، يجب أن يكون مظهري مناسبا وجميلا. عندما أكون مع أصحابي، الشكل غير مهم، لأنهم لن يعيبوا علي ذلك. ولكن أحيانا أحب أن يكون منظري جميلا".

**(8)** الانتقال إلى مرحلة النضج، مسح قومي حول النشء في مصر، مرجع مذكور.

**(9)** Caterpillar

حاجة ما عدا "الكوارع"، ولكن لا أحب الحاجات الغرقانة في السمن أو الزيت، الحاجات التي تجعلني أقرف منها، مثل الأكلات السريعة أو الماكدونالدز". يبدو هذا الموقف أكثر انتشارا، وهو أمر يمكن تفسيره أيضا بنوعية الطعام وجودته في محلات الوجبات السريعة في بلد كثيف السكان وشديد الاكتظاظ، بما يجعل توفّر شروط النظافة والسلامة أكثر صعوبة. ومع ذلك ثمة من يفضل الوجبات السريعة وإن كانوا قليلو العدد.

وفيما بدا أنه لم يحصل بالنسبة إلى الغالبية تغيير في العادات الغذائية مع الدخول في المراهقة، فإن بعضهم مثل عمرو (16س)، أشار إلى حصول مثل هذا التبدل بسبب السفر "ذوقي تغير جدا. في السابق كنت أحب الحاجات التي أعرفها، ولكن بعد أن سافرت قررت أن أنفتح قليلا على ما لا أعرفه وأجرب". ولكن تجنب السمنة شكل قاسما مشتركا بين المراهقين في مصر على غرار كل البلدان الأخرى. فبهاء (15س ) "يأكل أي شيء طالما لا يسبب السمنة"، وهدى (18س) تقول "طول عمري بحب الحلويات، ولكن أحاول أن لا أكثر منها لكي لا أسمن ولا تظهر لي حبوب في وجهي".

ما يمكن استخلاصه فيما يخص العادات الغذائية، أن سلوك المراهقات والمراهقين يتحدد في ضوء نوعين من المؤثرات. يرتبط الأول منها بالبعد الصحي - الغذائي إن صح التعبير، ومنه تفضيل الطعام غير الدسم والذي لا يسبب السمنة. وقد يكون الدافع صحيا أو مرتبطا بالحفاظ على المظهر الرشيق، أو الاثنين معا. ويتعلق النوع الثاني من المؤثرات بأسلوب الحياة وما يعتبر سلوكا عصريا ومتوافقا مع النماذج النمطية للحياة العصرية كما تروج لها وسائل الإعلام بشكل خاص من خلال الإعلانات والأفلام والبرامج المختلفة. ويصبح البعد الصحي- الغذائي هنا ثانويا. فالأساس هو الخروج من المنزل، ومشاركة شلة الأصدقاء في تناول طعام عصري في مطعم الوجبات السريعة، أو "السندويش" في مكان العمل أو الدراسة أو أثناء التنقل. وهو ما برز بشكل خاص في مقابلات البحرين وتونس ولبنان، حيث تقع المطاعم في المجمعات التجارية الكبيرة، التي تعد فضاء ترتاده المراهقات والمراهقون لتناول الطعام وفي الوقت نفسه التسلية والتنزه والتسوق. وينتشر هذا السلوك بالدرجة الأولى في المناطق الحضرية. وفي غياب مثل هذه الفضاءات "العصرية" وعندما يكون مطعم الوجبات السريعة مجرد مكان لتناول الطعام، تقل جاذبيتها بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين فيفضلون بالتالي طعام البيت.

ولكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا النسق من السلوك يتعرض بدوره لبعض التحول نحو أنماط جديدة أكثر عصرية، كما أنه يطال الفئات الاجتماعية التي ينتشر فيها. بالنسبة إلى النقطة الأولى، نلاحظ تغييرا في نوعية الطعام العصري تحت تأثير الحركات البيئية والصحية المعاصرة والتيارات الحديثة في مجال الإعلان الغذائي الذي يبحث عن توسع نوعي وكمي في قدراته التسويقية. إن الميل المعاصر لدى الفئات الميسورة من المجتمع الأكثر تأثرا بهذه الاتجاهات، هو الابتعاد عن نموذج الوجبات السريعة غير الصحية (ماك دونالدز، كنتاكي...)، نحو الطعام الصحي النباتي عموما والخالي من المواد الكيميائية والمتأتي من مطابخ وطنية عديدة. وينتشر هذا الميل أيضا في أوساط الشباب والمراهقين الذين يتمتعون بنوع من الثقافة النقدية ويملكون حدا أدنى من الموارد. واحتلت بعض الوجبات السريعة كـ"الماك دونالدز" بذلك مكانة متأخرة مقارنة بالوجبات الصحية (Bio، والوجبات النباتية، الطعام الصيني

## النحافة واللياقة

تعد النحافة واللياقة مطلبا عاما للمراهقات والمراهقين على حد السواء وبنسبة أكبر لدى المراهقات. وتكررت في المقابلات اللبنانية خصوصا جملة "أنام دون عشاء كي أحافظ على رشاقتي". وبذلك يتحول تناول الطعام إلى نوع من الموضة شأنه في ذلك شأن كل أنواع السلوك. لكن من الملاحظ شيوع الاهتمام بالصحة من ناحية، وشيوع الثقافة الصحية من ناحية أخرى، خاصة فيما يتعلق بأنواع الطعام المغذية وتلك التي يجب الابتعاد عنها. من هنا يبرز الارتباط الوثيق بين اختيار أنواع الطعام والاهتمام بالجسد. ولكن مع الانتشار الجديد للأفكار المتعلقة بالغذاء الصحي في صفوف المراهقين، نجد أنهم غالبا ما يلجؤون إلى الطعام العصري والوجبات السريعة "Fast Food" مفضلين طعمها والفضاءات التي يتناولونها فيها.

ويبرز هذا السلوك بصفة أكبر في البحرين، إذ يميل أغلب المراهقين إلى تناول الوجبات السريعة. وهو ما يمثل مؤشرا قويا لاتجاههم نحو الاستهلاك الغذائي العصري. ويتماشى هذا السلوك مع نمط الحياة العصرية الذي أدى بهم إلى التخلي عن عاداتهم الغذائية التقليدية الصحية والتي كانت أكثر انسجاما مع احتياجاتهم في مناخ حار. فالعادات الغذائية تتغير لتعدل حسب منتجات الأسواق العالمية التي غزت أغلب البلدان، وتكون في أغلبها دسمة وضارة صحيا. وتم هذا التغيير ضمن مفهوم خاص يربط بين سرعة العصر وسرعة الأكل. لذا يلاحظ في الخليج بروز مشكلات صحية ولاسيما تفشي السمنة وازدياد معدلات أمراض السكري لدى المراهقين. كما أن الأمر قد يعبّر أيضا عن تبدل في السلوكيات الأسرية، مثل تناول المراهقين لوجباتهم بمعزل عن الأهل. لكن ذلك لا ينطبق على اليمن مثلا. فالطعام السريع غير رائج كثيرا والخروج إلى المطاعم محصور في الطبقة الميسورة إضافة إلى الميل الواضح لتناول الغذاء المتوفر في البيت.

وسجل في كل البلدان التي شملتها الدراسة، ميل متفاوت نحو الوجبات السريعة. ففي تونس عبّر المراهقون عن نبذهم للطعام التقليدي خاصة المحتوي منه على المرق، لصالح البيتزا و"الهمبرغر والكريب crepes". ويبرر البعض لجوءه إلى الطعام العصري بالابتعاد عن المطبخ التقليدي "الثقيل والمسبب للسمنة". ويوفر لهم الطعام العصري، في اعتقاد خاطئ، وجبات "خفيفة" light تساعدهم على الحفاظ على الرشاقة garder la ligne.

كذلك أظهر مسح النشء المصري[10] أن نحو خمس الصبيان يأكلون وجبات خارج المنزل، وهو ما يزيد على ضعف عدد الفتيات، وليس هذا بالمستغرب إذ أن الفتيات مقيدات أكثر في حركتهن ومن ثم تتوفر لهن فرص أقل للخروج من محيط المنزل. وذكر أكثر من نصف الفتيان والفتيات أنهم يتناولون الخضراوات الطازجة مع التقدم في العمر والمستوى التعليمي والحالة الاقتصادية والاجتماعية[11].

وفي المقابلات مع المراهقات والمراهقين في مصر في إطار هذا التقرير، بدا أن الأغلبية ليس لها متطلبات شديدة إزاء الطعام، فتكرر كثيرا جواب "نأكل كل شيء، نأكل الموجود". وتفضل الأغلبية طعام البيت باعتباره صحيا مقارنة بطعام الشارع. تقول سالي (16س) " آكل أي

**(10)** الانتقال إلى مرحلة النضج، مرجع مذكور.
**(11)** المصدر السابق.

إطار 15.2

## العادات الغذائية للمراهقات في مدارس بغداد*

مع التقدم في السن، يقل التزام المراهقات بانتظام وجبات الطعام، إذ أن 51.6 ٪ من أفراد العينة من الفئة العمرية 12 - 15 سنة يتناولن الوجبات الثلاث، مقابل 33.1 ٪ في الفئة العمرية 16 -18 سنة. كما أن نصف التلميذات المستجوبات تقريبا يغادرن منازلهن دون تناول فطور الصباح، وهذه الظاهرة في علاقة بعمل الأم. كما تظهر بعض العادات الغذائية الخاصة أثناء فترة البلوغ مثل تناول المشروبات الساخنة والحلويات. ويبدأ في هذه الفترة أيضا اهتمام المراهقات بالحميات الغذائية المثالية التي من شأنها أن تحافظ على رشاقة المرأة.

على صعيد آخر، فإن 2٪ فقط من المستجوبات يتناولن كفايتهن من اللحم وذلك نتيجة للحصار الاقتصادي المفروض على العراق، وهو ما يعني أن 2٪ فقط من المراهقات يتحصلن على احتياجات أجسادهن من الحديد. كما أن المراهقات بين 16 و18 سنة نادرا ما يستهلكن الحليب.

بالنسة إلى الأنشطة وأوقات الفراغ، فإن 73.5٪ من المراهقات مارسن تمارين رياضية في العطلة الصيفية الماضية، و69٪ يمارسن تمارين التعبير الجسماني بانتظام، بينما تمارس بعض الفتيات أنشطة أخرى مثل السباحة و المشي والعدو... بصفة غير منتظمة. وتمارس 54.5٪ من المراهقات الرياضة للتسلية واللهو بينما الربع (25٪) فقط يمارسنها للمحافظة على صحة جيدة.

تبين هذه النتائج ضرورة أن تولي المراهقات الاهتمام اللازم لاعتماد نمط حياة صحي لتجنب عدد من الأمراض، وضرورة إدراج مواد تربوية وتوجيهية تتعلق بالتغذية الصحية ضمن برامج التعليم، مع ضرورة قيام وسائل الإعلام بدور أساسي في نشر ثقافة غذائية صحية.

*من بحث أعدته بان مجيد - العراق، بعنوان "ثقافة التلميذة المراهقة في بغداد وعاداتها الغذائية ونشاطاتها الجسدية التي تمارسها في أوقات فراغها". وهو البحث الفائز بالجائزة الأولى في مسابقة الباحثين الشبان التي نظمها مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث في إطار إعداد هذا التقرير. وقد استند البحث إلى استطلاع ميداني شمل عينة تتكون من 303 تلميذات من عمر 12 - 18 سنة في مدارس بغداد، ونفذ عام 2002.

والمكسيكي...). أفرز هذا التحول توسعا جغرافيا للنوع الأول من الطعام أي الوجبات السريعة "من الجيل الأول" (الهمبرغر...) خارج المدن الرئيسية وتوسعا اجتماعيا ليشمل الفئات الوسطى والدنيا ويقترب أكثر من المراهقين المنتمين إلى الفئات الشعبية. وهكذا فإن محلات الوجبات السريعة (السناك، خصوصا الهمبرغر والبيتزا) بدأت تنتشر كنوع من النشاط الاقتصادي المحلي في البلدات والقرى المتوسطة والكبيرة، مستفيدة من الترويج الإعلاني الواسع لاستهلاك هذه الوجبات في وسائل الإعلام. ولكن الميل إلى استهلاك هذه النوعية من الوجبات، لم يتحول إلى سلوك معمم ولا تزال التفاوتات الاجتماعية والجغرافية وبعض العوامل الثقافية والسياسية[12]، تؤثر في انتشاره أحيانا.

إن العادات الغذائية المستجدة في صفوف المراهقات والمراهقين، ترتبط أكثر بالوظيفة الاجتماعية لتناول الطعام أكثر من ارتباطها بالوظيفة البيولوجية. فالتحول الأساسي في نوع الطعام يتعلق بتغيير المكان وبتغيير الأشخاص الذين يتشاركون الطعام. وكلما كان المجتمع متأثرا بسلوكيات العصرنة، وجدنا انزياحا من تناول الطعام في المنزل إلى الفضاءات العامة الأخرى، وانزياحا من مشاركة الأسرة إلى مشاركة الأصدقاء. إن تناول الطعام يصبح أحد النشاطات الأساسية التي تقوم بها المراهقة (أو المراهق) مع أصدقائها.

## رسم بياني 10.2: ماذا يأكل المراهقون في البحرين؟

في إطار الإعداد لهذا التقرير، قام الفريق الوطني البحريني باستطلاع رأي شمل 85 مراهقا و200 مراهقة، من الفئة العمرية 13 - 18 سنة. وقد تبين فيما يخص العادات الغذائية أن أقل من 19٪ منهم يتناولون الفواكه والخضراوات بشكل يومي منتظم أو دائم مقابل 25٪ يتناولونها نادرا، في حين أن 55.8 ٪ يفضلون الوجبات السريعة.

### تناول الفواكه والخضروات

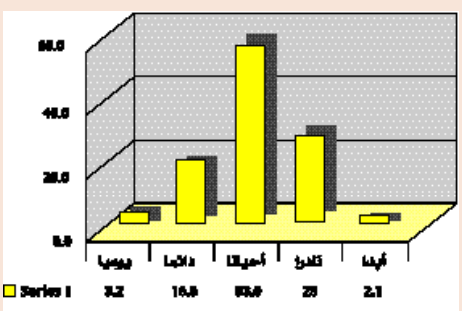

### الوجبات المفضّلة لدى المراهقين

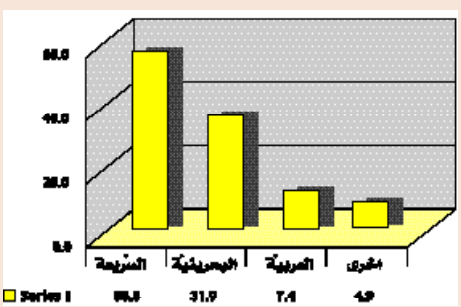

(12) من اللافت للانتباه أن بعض حركات الاحتجاج السياسي أو الثقافي على العولمة وآثارها، أو على سياسات ومواقف بعض الدول الكبرى وخصوصا الولايات المتحدة الأميركية، تتخذ في أوساط الشباب والمراهقين خصوصا شكل حركات احتجاج ومقاطعة لبعض السلع الغذائية وسلاسل المطاعم المرتبطة بشركات متعددة الجنسية. وقد اتسعت حركة المقاطعة هذه خصوصا في فترة القمع الشديد للانتفاضة الفلسطينية والضغط على العراق في مرحلة ما بعد 11 أيلول.

إلى أن الغيرة والتنافس الداخلي بين بنات جنسها قد يعوقان إقامة صداقة حقيقية، في حين أن هذه العوامل غير موجودة بالمستوى نفسه في العلاقة بين الفتى والفتاة. ولكن يبقى ذلك محكوما بالظروف الاجتماعية العامة. فمثل هذه الصداقة المختلطة غير ممكنة في اليمن على سبيل المثال كما أجمع على ذلك كل من شملتهم المقابلات. إن الصداقة بين الجنسين تكون أكثر تعقيدا وأقل انتشارا بسبب العادات والتقاليد والرقابة السائدة في المجتمعات العربية، ليس لأنها ناتجة عن خيار حر للمراهقات والمراهقين. تتساءل سارة (16س، البحرين) "فلماذا لا تكون لي علاقات بصبيان خصوصا أنها صداقة فقط ؟ ولكني أدركت أن الصداقة مرفوضة ولا أدري لماذا".

كلما ارتفعنا في السلم الاجتماعي، أصبح التداخل بين عالمي المرأة والرجل أكثر تواترا وصارت إمكانية الصداقة بين الجنسين أكثر احتمالا، خصوصا في الأوساط الحضرية والأسر المنفتحة ثقافيا. وهكذا نجد أن موقف المراهقات الفقيرات، خاصة الريفيات منهن، يكون متحفظا أو مستغربا لمجرد طرح السؤال في خصوص الصداقة بين الجنسين. فالصداقة بالمعنى الحميم إما غير موجودة أو أنها تحصل بين أفراد من الجنس نفسه. علاوة على أن الخروج من البيت في هذه الأوساط خاضع لرقابة مشددة خاصة بالنسبة إلى المراهقات. وإذا كان الدين يؤدي دورا مباشرا أو غير مباشر في تحديد الموقف من الصداقة، فهو لا يشكل العامل الوحيد أو الأول المحدد لهذه المواقف. فرفيق (18س) المنتمي إلى حزب سياسي ديني في لبنان، يؤكد كثرة علاقاته برفيقاته مقارنة برفاقه، لكن هذه العلاقات لا تتجاوز أسوار المدرسة.

والأصدقاء الحقيقيون قليلو العدد بالضرورة. وتميز المراهقات والمراهقون بينهم وبين الأصحاب والزملاء والرفاق العاديين. فلجهاد (18س، تونس) ثلاثة أصدقاء، ولكنه لا يبوح بأسراره إلا لواحد منهم فقط "فإذا كان هناك أكثر من صديق، فإن الصداقة تتراجع وتتحول". وتكاد تكون الحميمية المعبر عنها بالثقة والقدرة على مشاركة الأسرار العنصر المتفق عليه في تعريف الصداقة في معظم المقابلات. وهو ما يضع المراهقات والمراهقين أمام خيارات وامتحانات مربكة أحيانا إزاء احتمال ارتكاب خطأ في اختيار الصديق بأن يعمد هذا الأخير مثلا إلى إفشاء بعض الأسرار الحميمية. ويبرز هنا سلوكان متقابلان، ففتحية (16س، تونس) توقفت عن البوح بأسرارها إلى شقيقتها التي كثيرا ما تشي بها لأمها مستخدمة الأسرار التي صارحتها بها. ويمكن القول إن علاقة الصداقة تحتاج إلى مساحة حرة يفلت بفضلها المراهقون من رقابة الأهل. وهو أمر صعب في الصداقات التي تنشأ بين الاخوة والأخوات، أو حتى الأقرباء.

في المقابل، تبين أن الأمهات يمثلن موضع أسرار عدد من المراهقات والمراهقين الذين يبوحون لهن بكل شيء، وكذلك الشأن بالنسبة إلى الأقارب كما في حالة ندى (16س، لبنان)، إذ تفضل هذه الأخيرة مشاركة أسرارها مع ابنة عمها "لأن الناس لا ترحم" على حد تعبيرها. وتبعا لذلك يمكن القول إن ثمة حذرا متزايدا خصوصا عندما تكون البيئة عدائية. فالناس هم الغرباء ومن الأفضل إبقاء الأسرار الحميمة ضمن نطاق الأسرة أو عدم البوح بها. وهذا ما لوحظ عند البعض من المراهقات المصريات اللاتي يفضلن البوح بأسرارهن لأخواتهن لثقتهن أنهن لن يغدرن بهن أبدا. وقد كان ذلك أكثر شيوعا بين مراهقات الطبقات المتوسطة والفقيرة رغم أن مراهقات الطبقات الميسورة تتوفر لهن مساحة أكبر من الحرية داخل الأسرة، لكنهن وجدن مستوى أعلى من التفهم من أصدقائهن. ولا ترتبط الصداقة بالنسبة إلى المراهقين المصريين بالبوح بالأسرار، إذ تقترن حسب رأيهم بالإحساس بالراحة دون أن يعني ذلك الثقة التامة بالأصدقاء. يؤكد محمد (17س) "أنا لا أثق بالناس بسهولة. فقد تعرضت للمتاعب عندما أخبرت أحد الأصدقاء بأسراري واكتشفت لاحقا أنه أفشاها. مفيش سر لو خرج من البني آدم". ويتوخى عبد الله (17س) الحذر ذلك أنه "لا أحد يعرف كيف تتطور الظروف".

## 2. العزلة والصداقة

يعتبر نمو الشعور الفردي من معايير بروز الإنسان المعاصر. ويرتبط هذا الشعور بالخصوصية والاختلاف والعزلة واللجوء إلى صديق حميم وما شابه[13]. يظهر الميل إلى العزلة والانفراد في غرفة والاحتفاظ بالخصوصية والحميمية أكثر لدى الحضريين الذين يعيشون نمط حياة مديني في فضاءات منزلية ضيقة. وبرز عند المراهقات نوع مبتكر من تطلب العزلة، فدعد (17س، لبنان) تبقى أحيانا في غرفتها "من أجل ممارسة الصمت". فالصمت هنا يعني الرجوع إلى النفس والتخلص من توترات العالم الخارجي وضغوطاته. كذلك أكدت عدة مراهقات جزائريات أنهن يستفدن من لحظات العزلة من أجل "عيش الفراغ" " faire le vide".

مسألة الإحساس بالخصوصية وتطلبها متعلقة إذن بالعامل الطبقي والاجتماعي من ناحية، وبالعامل الثقافي والحضري من ناحية ثانية. وتحدد هذه المتغيرات الحس النقدي والنظر إلى النفس بشكل محايد وتحمل فكرة الاختلاف عن الآخرين، أي الخروج عن "القطيع". وتساعد الأوساط الاجتماعية الميسورة والمثقفة على تنمية هذا الإحساس دون تمييز بين الجنسين، بينما يبرز عند الطبقات الفقيرة التخوف من فكرة الاختلاف. فالامتثالية و"التشبه بالآخرين" يحمل الشعور بالأمن، حتى أن إحدى المراهقات ردت بحدة على سؤال هل تشعر أنها مختلفة عن الآخرين، بنبرة فيها نوع من التخوف والدهشة "مختلفة، بماذا ؟". كما أن إجابات المراهقات والمراهقين المنتمين إلى هذه الأوساط الاجتماعية أتت أكثر اختصارا واقتضابا، كأن هناك إما نقص في الأفكار وإما خوف من المغامرة بعرض أفكار "خطرة". ويعود هذا على الأرجح إلى عدم تعودهم على التعبير الحرّ عن أنفسهم من دون رقابة وإلى عدم شيوع عادة الجدل والنقاش داخل الأسرة. ولكن لا يجب التعميم هنا، فليس هناك من قاعدة عامة وإن كانت هناك ظروف أو بيئة مساعدة على تفتح الشخصية الفردية وأخرى تعوقها. فالأمر يتعلق بالدرجة الأولى بمواصفات فردية للأشخاص والأسر.

وتتأتى الحاجة إلى الصداقة في "هذا السياق" من التغيير الذي تعرفه المراهقة (أو المراهق). ففي استعدادهما للعزلة يدعوان صديقا أو صديقة لمشاركتهما إياها. ويكون هذا الصديق عامة من محيط المراهق ويحتل مكانة خاصة عنده. إنه "أنا- نفسي" "آخر" كما يكتب آرييس[14]. الصداقة تعبير عن شعور رقيق، عن إخلاص ووداعة. والصداقة تتأرجح بين قطبين متطرفين "العادية" إلى حد الابتذال، و"المتحمسة" إلى حد الهوس والتملك.

المراهقة هي سن الصداقة بامتياز. وهي تعني بالدرجة الأولى الثقة ومشاركة الأسرار والاطمئنان إلى إمكانية الاعتماد على الصديق وقت الحاجة، والتضامن وصولا إلى التواطؤ بين الأصدقاء، والإحساس بالراحة والتصرف دون حسابات أو "تخديم المخ" (الخبث) كما يوجز كل ذلك عبد الرحمان (16س، تونس). ويعني ذلك "استثمارا كبيرا" في الصداقة وإضفاء معاني جد حميمة ومثالية عليها. فالصديق هو الشخص الذي نأتمنه على أسرارنا ونثق بأنه لن يستغلها ضد مصلحتنا[15].

وبشكل عام، فإن الصديق غالبا ما يكون من الجنس نفسه لاعتبارات تتعلق بما هو متاح ومقبول في المجتمع، وأخرى ترتبط بالقدرة على الشراكة والتواطؤ بدرجة أعلى. مع ذلك ظهرت آراء ومواقف لصالح الصداقة بين الجنسين للاعتبارات نفسها. إذ أشارت بعض المراهقات

**(13)** Duby (F) et Aries (S.D. de), Histoire de la vie privée, Tome 3 et 5, Paris, seuil, 1985-1997.

**(14)** المرجع السابق.

**(15)** "يرتبط ائتمان الصديق على الأسرار بشكل وثيق بالشعور بأن الصديق بدوره يعتمد على المرء طلبا للمساعدة والدعم. نسبة 87٪ يذكرون أنهم يشعرون أن أصدقاءهم يحتاجون إليهم". الانتقال إلى مرحلة النضج، مرجع مذكور.

يمثل هذا النسق من التمييز في استخدام الوقت حسب الجنس سمة عامة في جميع البلدان العربية التي شملتها الدراسة، مع اختلاف في النسب وفي طبيعة الأنشطة أيضا. ولكن تجدر الإشارة إلى أمرين :

الأمر الأول هو الطابع النسبي لما هو مسموح وما هو ممنوع خصوصا بالنسبة إلى المراهقات. ويتراوح بين منع المراهقات منعا شبه كامل من الخروج، إذ لا يسمح لهن إلا بارتياد أماكن محددة وبمرافقة أحد أفراد العائلة أو الأقرباء، وبين موقف أكثر مرونة يكتفي بتحديد الأماكن الممنوعة وضبط الحد الأقصى للبقاء خارج المنزل.

الأمر الثاني هو ميل الأهل لمراقبة الأصدقاء الذين يخرج معهم أبناؤهم، وربط درجة المنع أو المرونة بموقفهم من هؤلاء الأصدقاء. وتجدر الإشارة إلى أن رقابة الأهل للمراهقين الذكور تركز بالدرجة الأولى على هوية الأصدقاء أكثر مما تركز على وقت العودة إلى المنزل. ويشكل ذلك إحدى أهم نقاط التصادم بين الأهل والمراهقين. فاختيار الأصدقاء يعني في الوقت نفسه اختيار فضاءات تمضية وقت الفراغ، ونوع النشاط الذي يقومون به، بالإضافة إلى أنه يشير ولو بشكل عام جدا إلى نوعية الأفكار والسلوكيات والقيم داخل "شلة" الأصدقاء نفسها.

وقد أظهرت دراسات ميدانية مغربية[17] هذا الاختلاف الجذري في تمضية وقت الفراغ بين الفتيات والفتيان، ففيما تأتي ممارسة الرياضة في المرتبة الأولى عند الفتيان، نجد في المقابل أن الأعمال المنزلية هي الانشغال الأول للفتيات. ويبدو أنه يمكن تعميم هذه الظاهرة على البلدان العربية بشكل متفاوت. وتختلف الفضاءات التي ترتادها المراهقات والمراهقون. واعتبرت المراهقات المغربيات المقاهي مكانا يمكن ارتياده بالإضافة إلى ممارسة أنشطة أخرى كالتنزه على الشاطئ وسماع الموسيقى. تقول أمال (18س) "غالبا نمشي إلى المقهى مع أصحابي، نتنزه قبالة البحر كما أني أحب سماع الموسيقى". ولا ترى أمال فرقا بين الذكور والإناث إلا في ارتياد قاعات الألعاب أما البنات فلا يفعلن ذلك، ولكن البنات والصبيان يمكن أن يتنزهوا أو يذهبوا إلى المقهى معا". وعبّر بعض المستجوبين من الوسط الحضري عن تفضيلهم لإقامة صداقات مع مجموعة أصحاب من طبقات اجتماعية معينة أو من أبناء الحي، ولكن بالنسبة إلى المستجوبات، مثل إيمان (15س) وإكرام (18س)، فإن المشكل المطروح من خلال ترددهن على هذه الأماكن هو احتمال تعرضهن إلى التحرشات. وهذا ما يرسم حدودا فاصلة بين الأماكن التي يترددن عليها وتلك التي لا يرتدنها عادة.

يشكل عالم الأصدقاء بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين بعدا هاما في حياتهم. فيستمتعون بالتلاقي وبالجلوس مع بعضهم بعضا وبتبادل الأحاديث المتنوعة والخاصة والهموم المشتركة وتخزين القات أحيانا، الذي لا يمانع الأهل في تناوله مثل ممانعتهم تدخين (السجائر والشيشة). فيشكل الأصدقاء في اليمن شلة للقات والتدخين والتنزه. وتقل حظوظ المراهقات في ارتياد النوادي أو في التنزه والتجول في الشارع، لعدم توفر النوادي الخاصة بالفتيات وتجنبا لأي مضايقات. هذا بالإضافة إلى ضيق الوقت، حيث تحول الالتزامات المنزلية دون ممارستهن لأية نشاطات أخرى.

**(17)**.. نتائج مستخلصة من دراسة ميدانية عن استخدام الوقت بين المراهقين في الدار البيضاء، من أعمال مركز الدراسات والابحاث الديموغرافية، المغرب،

CERED. (2000), L'adolescence en question : Analyse des resultats de l'enquête sur les adolescents en milieu urbain.

كيف التوفيق إذن بين توخي الحذر وبين الحاجة الماسة إلى صداقة حميمة ؟ بين الإحساس بالأمن في العلاقة مع الأهل والاخوة، وبين الحاجة إلى علاقة صداقة مستقلة تفلت من رقابتهم ؟

تتمثل إحدى استراتيجيات التعامل مع هذا التجاذب في تجزئة مساحات الحياة الحميمة إلى مجالات عدة، وتغيير موضوع البوح أو تشارك الأسرار الخاصة حسب الشخص. فتالة (17س، لبنان) ترى أن "الصديق هو من نشعر أنه سوف يفهم ويستوعب ما نحكيه له"، لذا نجدها تبوح لأمها بمشاكلها مع العائلة، وللصديقة الحميمة بتجاربها ومغامراتها العاطفية، ولابنة العم "بأشياء تضايقها في الحياة". وكذلك تفعل مراهقات ومراهقون آخرون، إذ يميزون بين عدة أنواع من البوح، ما هو وجداني وما يتعلق منه بالأسرار الأخرى. ولا يتم تجاوز هذا التقسيم إلا في حال العثور على صديق أو صديقة مثالية كالتي عثرت عليها دانة (17س، لبنان) والتي تصفها بأنها شخص أمين مخلص يلتزم بصديقه كما عبر رباط لا ينفصم "بحياتي لم أحس أنها تعاملني وكأنها غير ملزمة بمساندتي أو أوحت لي أنه لا جلد لها علي، كما أنها لا تتحدث عني للآخرين ولا تشعر أن تفكيري خاطئ. وأنا مهما تصرفت ومهما أخبرتها من أمور لا أشعر بالقلق، لا بل أشعر أنها كثيرا ما تعرض نفسها للملامة نيابة عني". وكذلك هي علاقة جهاد (18س، تونس) مع ابن عمه وصديقه في الوقت نفسه حيث تصل الشراكة بينهما إلى "المصروف" الذي ينتقل من الواحد إلى الآخر دون حساب، كأنهما شخص واحد. إلا أن الشراكة الأساسية بين الأصدقاء هي الشراكة في ممارسة الهوايات وتمضية أوقات الفراغ. فإذا كان المجالين الأسري والمدرسي، ومجال العمل بالنسبة إلى المراهقين العاملين، مجالات منظمة من قبل الكبار وتعمل وفق قواعد من وضعهم، فإن المراهقات والمراهقين يوجدون مع أصدقائهم مجالهم الخاص المتحرر نسبيا من هذه القواعد، ولكن الأمر لا يخلو من بعض الخلافات ومن بعض التداخل بين عالم الأصدقاء وعالم الأسرة والمدرسة أحيانا.

## 3. الاهتمامات والهوايات

يؤدي استثمار وقت الفراغ دورا مهما في التطور النفسي للمراهقات والمراهقين، ويعد نافذة لاكتساب القيم المهمة مثل العمل الجماعي وتحمل المسؤولية والإبداع. ويتضمن التعريف المستخدم لوقت الفراغ الأنشطة التي يتم القيام بها متى أنهت الفتاة أو الفتى واجبات المدرسة أو العمل أو الأعباء المنزلية. ويكمن التمييز الأساسي بين أنشطة وقت الفراغ والأنشطة الأخرى في أن االفتاة أو الفتى غالبا ما تختار أنشطة وقت الفراغ، بينما يملي عليهم الوالدان والمدرسون والمشرفون كيفية استخدام وقتهم في المنزل وفي المدرسة وفي العمل. ولكن الأهل يتدخلون أيضا بوسائل مختلفة في كيفية استخدام أبنائهم لوقت الفراغ.

تتضمن أنشطة وقت الفراغ لقاء الأصدقاء وممارسة الألعاب الرياضية ومشاهدة التلفزيون والاستماع إلى الموسيقى وممارسة هوايات أخرى. وقد يتفاوت كثيرا مقدار وقت الفراغ المتاح وطرق قضائه وفقا لمجموعة من المتغيرات مثل الجنس والحالة الاجتماعية والاقتصادية ومنطقة السكن. ويتمثل الاختلاف الأساسي بين الفتيان والفتيات عموما، في أن نسبة الأنشطة التي تمارس خارج المنزل وخارج الإطار العائلي هي أعلى عند الفتيان مما هي عليه عند الفتيات. وقد بينت نتائج مسح النشء في مصر أن نسبة الأنشطة الاجتماعية تصل عند الفتيان إلى 67٪ في حين لا تتجاوز عند الفتيات نسبة 43٪. ومقابل ذلك، تفوق نسبة انخراط الفتيات في الأنشطة المتصلة بالمنزل والأسرة بكثير نسبة انخراط الفتيان، إذ ذكرت 79٪ من الفتيات أنهن قمن بالعمل المنزلي في اليوم السابق للمقابلة مقابل 29٪ من الفتيان[16].

**(16)** الانتقال الى مرحلة النضج، مرجع مذكور .

متحدثة عن الأنشطة التي تقوم بها في المنزل "أعمل ما يخطر في بالي"، وهي تقصد بذلك كي الثياب الذي تحب القيام به، والغسيل وترتيبه. "أرتاح"، هذا ما قالته ندى (16س، لبنان) مما يعني أن العمل المنزلي نشاط متعب ووقت الفراغ عندها يعني "الفراغ الفعلي" أي إراحة الجسم. وقد يكون النوم نشاطا أساسيا أحيانا، وكذلك التخابر الهاتفي[18].

برزت في البحرين ظاهرة التسوق الـ"shopping". إذ أصبحت المراهقات والمراهقون يمضون أوقات فراغهم في المجمعات التجارية الكبرى وفي ملاقاة الأصحاب للذهاب إلى السينما أو المطاعم بهدف التعرف والاختلاط. واستخلصت الدراسة الميدانية التي أجريت في البحرين في إطار الإعداد لهذا التقرير، تزايد توجه المراهقين نحو هذه المجمعات التي أصبحت تشكل البديل للأندية الرياضية والمقاهي الشعبية لإلهاء الشباب وجرهم إلى ممارسة عادة تضييع الوقت. كما أسهمت هذه المجمعات في زيادة انتشار الميول الاستهلاكية والإفراط في الأكل. ويترافق ذلك في المثال البحريني مع ميل المراهقين إلى عدم ممارسة الرياضة رغم وجود الرغبة المبدئية في ممارستها، مما يؤدي إلى تعميم الخمول والكسل وقضاء الوقت في مشاهدة التلفزيون أو الترفيه خارج المنزل.

برز في تونس نشاط مشابه يمارس في الأوساط الاجتماعية الحضرية والميسورة نسبيا، إذ تشكل المجمعات التجارية المنتشرة في العاصمة والتي تضم محلات للسلع الاستهلاكية وقاعات الألعاب والمطاعم والمقاهي، فضاء مفضلا لتجمع الشباب والمراهقين. وثمة خيارات أخرى متاحة، إذ أن مجموعات الأصدقاء، من الشبان أو المختلطة منها بإمكانها ارتياد المقاهي و"الكافيتريا" ودور السينما. فعبد الرحمان (16س) ينتمي إلى "شلة" متكونة من زملاء الدراسة هم أربعة أولاد وبنتين، وتضم أيضا أصدقاء جددا تم التعرف إليهم أثناء ممارسة رياضة كرة اليد. وتنظم هذه المجموعة مشاريع الخروج بشكل مشترك، وعندما لا تتوفر لديهم الإمكانيات للقيام بذلك، فإنهم يكتفون بالالتقاء والبقاء سوية. أما عندما يتوفر لديهم المال فيذهبون إلى "حلق الوادي" (مدينة سياحية تقع في ضواحي تونس، مشهورة بمطاعمها)، أو يذهبون إلى مدينة الحمامات السياحية. وذكر سمير (16س) ووعود (15س) أنهما يذهبان إلى البحر أو إلى الجبل، أو يمضيان بعض الوقت في كافيتيريا أو في حديقة عامة. ونلاحظ تنوع الخيارات وارتباطها بمدى توفر المال أحيانا. كما أن تمضية الوقت في هذه الأماكن تكون وفق تخطيط (مفهوم التخطيط نسبي) وقرار مشترك يقتضي من مجموعة الأصدقاء التنقل إليها أو التواعد على اللقاء فيها. وتفضل "الشلة" أحيانا البقاء في الحي، "كشلة" سمير المكونة من سبعة أصدقاء، وهم يحبذون ارتياد مركز للرقص تابع لحزب سياسي على ارتياد دار الشباب حيث "لا يوجد إلا الكتب".

وتبقى أنشطة المراهقات عموما، ذات طابع تقليدي وتختلف قليلا عن نشاطات المراهقين. فالفضاء العام لا يكون دائما آمنا، خصوصا في الضواحي الحضرية. وهو "لا يصلح كمساحة تستقر فيها الفتاة"، كما تقول نجاة (18س، تونس) التي تخشى من تعرضها لمعاكسة أحد الشبان في الفضاءات العامة. لذلك فهي تفضل أن تذهب وصديقتها إلى "المدينة" (السوق العتيقة في تونس العاصمة) للتسوق، و"ليس لإضاعة الوقت". فالتسوق يمثل بالنسبة إلى الفتيات نشاطا

**(18)** أثناء جلسة نقاش في مخيم صيفي في لبنان ضم حوالي 200 مراهقة ومراهق تتراوح أعمارهم بين 15 و19 عاما، برز نشاطان هامان لتمضية الوقت لم يشر إليهما سابقا وهما النوم والتهاتف. فالهاتف قد يشغل المراهقين لساعات متواصلة. أما النوم فهو تعبير عن نوع من الفراغ "الوجودي" الذي يعانون منه على ما يبدو، أو على الأقل هو هروب من الفراغ الفعلي في ظل غياب أي مؤسسات حاضنة.

ما ميز أجوبة المراهقات والمراهقين في اليمن هو غياب أي تخطيط مسبق لقضاء وقت الفراغ. فهو إلى حد بعيد نشاط عفوي، نظرا إلى محدودية الخيارات. يقول شداد (16س) "وقت الفراغ نفعل أي حاجة. أنا وأبناء عمي نخزن القات مثلا". أما أسامة (18س) فيقضي وقته "أحيانا في القراءة أو في ممارسة الألعاب الرياضية أو المشي." ويمضي فارس (15س) وقته في "الخروج مع الأصحاب، والدوره بالسيارة ولعب البلياردو." في حين تورد فلة (15س) بعض الأنشطة الإضافية الخاصة بالفتيات كالالتقاء بالصديقات والخروج أو التسوق مع الأم "أخرج مع أمي أو مع صديقاتي للمطعم والسوق"، وتتابع قائلة إن لها "اهتمامات مشتركة مع الصديقات في الثقافة والموضة والأحاديث الخاصة". فالتواصل مع الصديقات وتبادل الأحاديث والأخبار هو من الأنشطة الهامة في العلاقات بين المراهقات.

كذلك في الجزائر، تنظم بعض المراهقات خروجهن مع الأصدقاء للذهاب إلى المقهى أو السينما. وأكدت غالبيتهن أن الأهل يمارسون عليهن رقابة شديدة، وأنهن يعلمن الأهل بالأماكن التي يذهبن إليها، فلا يخرجن دون إذن. ويسمح لهن بالبقاء خارج المنزل إلى حدود الساعة الثامنة مساء. وبرز هذا الأمر في بلدان أخرى، مع تفاوت في وقت العودة بحسب الظروف الخاصة بكل بلد. وتتقبل المراهقات أحيانا رقابة الأهل دون تذمر ويعتبرنها نوعا من الاهتمام، في حين تبدي أخريات نوعا من التذمر عندما تشتد الرقابة. إلا أن حكم المراهقة على سلوكها يبقى مسألة نسبية، فقد تعتبر فتاة متحررة نفسها، محافظة، لأن سلوكها أكثر محافظة من سلوك صديقتها. وقد تقول فتاة من بيئة محافظة إنها حاصلة على حريتها، وقد يعني ذلك مجرد السماح لها بقضاء وقت مع صديقتها، مقارنة بزميلة لها قد تمنع من إكمال دراستها مثلا.

في لبنان، يمضي بول فاليري (18س) وقت فراغه في السهر في "السناك" مع رفاقه أو في البيت لمشاهدة التلفزيون، ويقضيها رامي (15س) في ممارسة الرياضة. أما رفيق (18س)، فإنه يقضي وقت فراغه في التزاور مع الرفاق في منازل بعضهم أو في الكافتيريا أو يذهبون إلى "الحرش" أو إلى الصيد. في حين يهتم مصطفى (17س) بالنشاط الثقافي والاجتماعي، كالمهرجانات أو زيارة الأقارب أو التجمع مع الرفاق أمام البيت أو في الساحة. وتنتشر هذه الظاهرة في القرى وفي الأحياء الشعبية في المدن.

أما المراهقات اللبنانيات، فيمضين قسما كبيرا من وقت الفراغ في المنزل. وترتبط طبيعة النشاط المنزلي الممارس بالفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الفتاة. فكلما كانت من أسرة بسيطة ازدادت أعباؤها المنزلية والوقت المخصص لها. وعندما تنتمي إلى أسرة ميسورة فقد تنصرف إلى نشاطات أخرى. فنادين (16س) مثلا تمارس هواية الرسم عند بقائها في المنزل، وهي تنوي التخصص في الرسم. أما سارة (16س)، فتسكن منزلا صغيرا جدا وتقوم أمها بمعظم أعبائه. وهي تفضل الخروج الأمر الذي لا يسمح لها به عدا الذهاب إلى المركز التابع لجمعية تهتم بالفتيات في البيئات الفقيرة، لذلك فهي تلجأ إلى الكتابة. وتقول تالة (17س) إنها تحب الجلسات العائلية التي تجمعها بأفراد أسرتها، يتسامرون ويدخنون النارجيلة. أما رفيف (17س)، فلا أوقات فراغ لديها لأنها تمضي معظم وقتها في المنزل تساعد والدها في الطباعة.

وتساهم جميع هؤلاء المراهقات في أعمال المنزل بنسب متفاوتة. لكن الفقيرات منهن والمنتميات إلى أوساط ريفية وشعبية غالبا ما يطلب منهن المساعدة في الأعمال المنزلية بشكل إلزامي وبنسبة عالية. فالأسر تعتمد عليهن كأنهن يد عاملة مجانية. وتقول زينب (18س، لبنان)

معين وجوا ثقافيا لم يعد متوفرا الآن. للسينما جاذبيتها الخاصة، والمقبل عليها يجب أن يشغف بها. من الملاحظ أن معظم المراهقات والمراهقين المدينيين في لبنان مثل تالة (17س) ونادين (16س)، أو المنتمين إلى وسط ثقافي مسيس مثل أشرف (18س) وبول فاليري (18س)، يذهبون إلى السينما. أما دعد (17س) ودانة (17س) المؤهلتان في بنيتهما النفسية والفكرية لذلك، فلا تذهبان للسينما لأنهما تسكنان في قرية.

في مسح النشء المصري، تبين أن النشاط الذي يكلف مالا مثل ارتياد السينما أو الأندية الاجتماعية، كان الأقل انتشارا. وجاء ذكر الفتيان للذهاب إلى السينما أو النوادي الاجتماعية أكثر منه عند الفتيات 8٪ مقابل 1٪ في الفئة العمرية 16-19 سنة [19] بما يقودنا إلى استنتاج أن انخفاض نسبة ارتياد السينما يعود إلى عاملي التكلفة واقتصار انتشارها على المراكز المدينية. وحسب المستجوبات في الدراسة الميدانية المصرية، جاء ترتيب السينما الثاني في النشاط الترفيهي للمراهقات بعد التلفزيون. في حين احتلت السينما الترتيب الأول في النشاطات المفضلة لدى المراهقين. ويمكن تفسير ذلك بطبيعة العينة وبوجود تقليد سينمائي قديم نسبيا في مصر، خصوصا في المدن الكبرى.

ويمكن الحديث عن نوعين لمشاهدة السينما. الأول هو مشاهدة تقترب من ممارسة الهواية الثقافية التي تجمع الاطلاع بالمتعة الفنية والتسلية، وتكون عادة نتيجة اختيار واع ومسبق للفيلم المشاهد والذي يعد حضوره هدفا قائما بذاته. والحضور هنا ليس مشاهدة عابرة، إنما هو اشتراك في طقوس المشاهدة الجماعية التي تبرز من خلالها عناصر التقارب بين السينما والمسرح على غرار ما كان يقوم به هواة السينما التقليديون في عصر ما قبل التلفزيون. ويمكن مشاهدة الفيلم بشكل منفرد أو مع صديق له الذوق نفسه. أما النوع الثاني من المشاهدة، فتكون غايته عادة تمضية الوقت والتسلية مع ثلة الأصدقاء أثناء متابعة عرض يتم اختياره عشوائيا دون قرار مسبق مرتبط بالقيمة الفنية، بل بصفة عفوية أو كنتيجة للتأثر بالإعلان للفيلم أو إعجابا بالممثل أو المؤثرات المعتمدة. ويعد حضور الفيلم منفردا أمرا مستبعدا في هذا النوع الثاني من المشاهدة، فالأساس هو ثلة الأصدقاء التي تتشارك في النشاط، أو المشروع الذي يتكون عادة من مشاهدة العرض يليه أو يسبقه نشاط آخر. وهنا يبرز عنصر التقارب بين السينما والتلفزيون.

هذا التحول في نوع المشاهدة يعبر عنه التغيير الذي طرأ على قاعات السينما ومواقعها. وربما يظهر المثال اللبناني بوضوح هذا التحول من الطراز القديم لقاعات السينما التقليدية حيث تكون مستقلة وتحمل أسماء مفردة، في الشارع نفسه الذي تنتشر فيه مقاهي الأرصفة، إلى الطراز الجديد لقاعات السينما في بيروت والقائمة في المجمعات التجارية والفنادق، حيث توجد مجموعة من القاعات المتجاورة تحمل أرقاما متسلسلة مع المقاهي وقاعات الألعاب. وتستقطب هذه الأخيرة المراهقين على وجه الخصوص، في حين تمثل المراهقات والمراهقون نسبة قليلة من رواد قاعات السينما من الطراز السابق وهو ما بقي سلوكا نخبويا لذوي الاهتمامات الثقافية والسياسية. أما رواد الطراز الجديد لقاعات السينما، فيمثلون الأغلبية في العواصم ومعظم المدن الكبرى التي هي أكثر تأثرا بالسلوكيات الاستهلاكية والترفيه كما في حال لبنان والبحرين. وتمثل السينما في البحرين جزءا من ارتياد المجمعات التجارية، وهي نشاط جزئي في المغرب والجزائر. أما في اليمن، فلم ترد إشارات تذكر السينما كمكان لتمضية الوقت.

**(19)** الانتقال إلى مرحلة النضج، مرجع مذكور.

مفضلا بسبب طابعه المزدوج إذ يجمع بين النزهة وشراء احتياجات شخصية أو للأسرة. فهن يتنزهن دون أن يعترفن بذلك. أما هيام (17س، تونس) فجعلت من مكتبة مدرسة خاصة، مكانا للالتقاء بصديقتها، وتحوّل هذا المكان إلى فضاء لتبادل الآراء بين المراهقات والمراهقين.

تعد مثل هذه الفضاءات امتدادا للمجال الخاص، فهي تشبه المنزل من حيث الأمان الذي يحققه، ولكن الوصول إليها يقتضي اختراق المجال العام الذي يشكل أحيانا مصدر قلق. فالحي الذي يقع فيه مكان السكن قد يكون غير آمن، كما في حالة نجاح (16س، تونس) التي تفضل أن تجتازه بأسرع وقت ممكن، وبأكبر قدر من الحذر تلافيا لتعرضها لتحرشات أولاد الحي الذين يمارسون العنف أحيانا. وقد تدفع خصائص الحي بالمراهقات والمراهقين الذين يسكنون فيه إلى عدم إقامة علاقات صداقة داخله والبحث عن تكوين ثلة من الأصدقاء خارج إطارهم السكني. وبذلك تكون غالبا شبكات الصداقات داخل الحي منفصلة عن شبكات الصداقة الأخرى التي تكون قاعدتها المدرسة.

أكد معظم المستجوبات المصريات إنتماءهن إلى جماعة أصدقاء من السن نفسه. وتختلف تركيبة هذه الجماعة من فئة إلى أخرى. فهي في الطبقات الفقيرة وبعض فئات الطبقات الوسطى خاصة التي تسكن أحياء أقرب إلى الشعبية مرتبطة إما بالمدرسة أو بالعائلة أو بالحي. بينما تتكون جماعات أصدقاء المراهقات المنتميات إلى الطبقات الراقية من شلل تتنوع حسب الفضاءات " كل مكان فيه شلة بتاعته، في المدرسة طبعا دي أقرب شلة وبعدين فيه شلة في النادي فيه ناس أنا واخده عليهم وناس تانيه مش أوي بس عموما بنكون كلنا مع بعض"، كما تشرح سلوى (16س). واعتبرت المراهقات أن مجرد الالتقاء مع الأصدقاء هو هدف في حد ذاته وإن لم يكن هناك شيء محدد يفعلونه، إذ يلتقون يوميا تقريبا، فقط ليكونوا معا. تمضي المراهقات خاصة في الأوساط الريفية أوقات الفراغ في بيوت الصديقات أو الأقارب أحيانا أو يتنزهن سيرا على الأقدام. وبمناسبة العيد يمكن أن يذهب الجميع في رحلة على متن مركب في النيل. وتقوم "شلة" الأصدقاء في الطبقات الميسورة بنشاط مختلط خلافا للفئات المتوسطة والفقيرة.

وقد يكون المقهى والسينما من الأماكن التي يلتقي فيها المراهقون مع أصدقائهم. ولا تعترض معظمهم مشاكل عند الخروج من المنزل سوى في الحالات التي قد تشغلهم عن القيام بدروسهم. ولا يحبذ المراهقون عادة الالتقاء في المنازل لوجود نساء فيها، مما يجعل وجودهم غير مستحب. يشرح عماد (17س، مصر) "في العادة بنتقابل عند حد مننا، حد زيي كده، مفيش عنده أخوات أو حد عنده ولد بس، أو في القهوة أو في أي مكان نتفق عليه وبعدين نشوف حنعمل إيه. ساعات بنقعد على القهوة نلعب دومينو أو طاولة".

### أ- السينمـــــــــا

السينما هواية مكلفة وارتيادها يعد نشاطا يتطلب تفرغا. وهي ليست متاحة إلا في العواصم والمدن الكبرى. كانت السينما أحد مظاهر العيش المدينية وإحدى وسائلها الترفيهية والثقافية الممتازة قبل عصر التلفزيون وخاصة قبل عصر الفضائيات. إنها تتطلب نمط عيـــش

برزت مشاهدة التلفزيون في جميع البلدان العربية التي شملتها الدراسة الميدانية، كأحد الأنشطة الرئيسية (إن كان يصح اعتباره نشاطا فهو أقرب ربما إلى انعدام النشاط لكون المشاهدة هي عملية تلق سلبي تقوم على تغييب أي فعل أو تواصل آخر عدا التواصل مع الشاشة الفضية). وبينت المقابلات أن نسبة المشاهدة ترتفع لدى المراهقات بالمقارنة مع المراهقين لأنهن يمضين وقتا أطول في المنزل. كما ترتفع نسبة المشاهدة بين المراهقات والمراهقين الذين لا يقومون بأنشطة أو لا يمارسون هوايات أخرى. وترتفع ساعات المشاهدة أيام العطل وعندما لا يتعارض ذلك مع القيام بالواجبات المدرسية. وبينت المقابلات أن الأهل لا يمارسون عموما المنع أو الرقابة على مشاهدة التلفزيون إلا في الحالة الأخيرة.

صرح المراهقون اليمنيون ذكورا وإناثا أنهم يشاهدون التلفزيون بكثرة. فهو الأداة المفضلة لتمضية الوقت، ويحتل الراديو لدى المراهقات والمراهقين المرتبة الثانية، تليهما الصحف والمجلات. ويشاهد الكثير من المراهقات الأفلام العربية، وخاصة منها القديمة، فضلا عن الأفلام الأجنبية والمسلسلات وأفلام الكارتون. وفي المقابل لا يولين اهتماما لمتابعة الأخبار أو لمشاهدة مباريات كرة القدم.

وفي العينة المصرية يتابع عدد قليل من المراهقات الأخبار بانتظام مثل رندا (16س) التي تتابع "الأخبار وأحيانا برامج الحوار على الفضائيات لأن فيها آراء جريئة وفرصة أكبر للكلام". ويرتفع معدل متابعة الأخبار عندما تكون هناك أحداث كبرى مثل الانتفاضة الفلسطينية "أيام الانتفاضة كنا نشاهد مشاهد الانتفاضة ولكن غير ذلك نتابع فقط الأفلام والمسلسلات" كما ذكرت إلهام (17س). والأمر مشابه في البلدان الأخرى، فثمة رأي شائع مفاده أن الأخبار مملة. ويفضل المراهقون المصريون بدورهم مشاهدة مادة مسلية وجذابة وغير مراقبة (نسبيا) يجدونها في الأفلام الأجنبية كما يشرح أمير (15س) "لا أشاهد الأفلام المصرية بل الأجنبية. الأجنبية لا تكون مقطعة ولا أحد يفرض عليك ما يجب أن تراه وما لا يجب". وتحب مروى (18س، الجزائر) مشاهدة البرامج التلفزيونية، وخاصة الأجنبية منها لأنها تمثل حسب رأيها متنفسا ونوعا من الهروب من الواقع.

بشكل عام، يمثل التلفزيون وسيلة للتسلية والترفيه وتمضية الوقت ومتابعة الأحداث في الفترات الحرجة. وتكررت كثيرا التعابير التي توحي بذلك : مسلسلات فكاهية، مغامرات، أفلام، مسابقات، موسيقى، نشرات الأخبار... ونادرا ما تم ذكر البرامج التربوية أو البرامج الوثائقية والعلمية.

كما برزت ظاهرة أخرى تتمثل في متابعة المسلسلات العربية وخاصة المصرية منها والسورية، التي عرفت انتشارا واسعا، إلى جانب المسلسلات المدبلجة والمكسيكية بشكل أخص. وتنتشر هذه الظاهرة في صفوف المراهقات والمراهقين على حد سواء ومن الخليج إلى المحيط. فنرجس (16س، المغرب) وهي مراهقة أمية، تقضي ساعات طويلة في متابعة هذه المسلسلات وقد أظهرت مهارة في التعبير اكتسبتها من متابعتها المتكررة لهذه المسلسلات التي تشكل بالنسبة إليها توظيفا أساسيا لوقتها وتعويضا عن أنشطة خارجية تؤكد أن ممارستها مستحيلة، بما أنها تقضي معظم وقتها في المنزل. ورغم نقدها لبعض هذه المسلسلات، تواظب وسما (17س، اليمن) على متابعتها.

## ب- التلفزيـــــون

تشكل مشاهدة التلفزيون أحد النشاطات الأكثر شيوعا في العالم. وتورد التقديرات عامة أن الأميركي يجلس في المتوسط 6,5 ساعات أمام التلفزيون. وبين استطلاع للرأي شمل 10000 شاب وشابة في سن ما بين 15و29 سنة في تونس، أن 75٪ منهم يشاهدون التلفزيون. ويخصص 33.3٪ بين 1 و 3 ساعات يوميا لمشاهدة التلفزيون.[20]

**إطار 17.2**

### المراهقـــون والتلفزيـــون : الأفـــلام والمسلســـلات أولا

من الدراسات النادرة التي شملت أكثر من بلد عربي، دراسة اعتمدت على تحليل 92 بحثا ودراسة ميدانية أمكن حصرها في 19 دولة عربية للفترة الممتدة من 1960 حتى عام 2000، حول العلاقة بين الطفل العربي والتلفزيون خلال الفترة المشار إليها. ومن ضمن الدراسات المجمعة لغرض التحليل، تم رصد دراسة واحدة فقط تمثلت في استطلاع آراء عينة من المشاهدين من النشء والشباب في المرحلة العمرية 12-18 سنة وأجريت هذه الدراسة سنة 1994 معتمدة على عينة تفوق 600 شابة وشاب. وتوصلت الدراسة إلى أن 98.5٪ من مفردات العينة يشاهدون برامج التلفزيون وإن زادت النسبة عند الإناث قليلا وأن 72.3٪ منهم يشاهدونه يوميا وبانتظام. أما عن تفضيلاتهم، فتأتي برامج الأطفال في المرتبة الأولى تليها البرامج الترفيهية ثم الثقافية والرياضية فالدينية. وتناولت ست دراسات من ضمن الدراسة المجمعة علاقة المراهقين (15-18 سنة) بالتلفزيون أجريت كلها في مصر في عقد التسعينيات واعتمد أغلبها على عينات تتراوح ما بين 300 و500 مراهقة ومراهق. واهتم نصفها بالمراهقين في الحضر فيما لم تشمل سوى دراستين المراهقين عموما ودراسة واحدة اهتمت بالمراهقات والمراهقين في الريف. وكشفت مجمل هذه الدراسات أن نسبة تعرض المراهقين للتلفزيون ارتفعت لأكثر من ثلاث ساعات يوميا. كما لوحظ ارتفاع نسبة التعرض اليومية بين عينة المراهقين خارج القاهرة مقارنة بمراهقي القاهرة لاعتمادها على التلفزيون كوسيلة للترفيه والحصول على المعلومات معا. وتبين أن المتغيرات الديمغرافية كالجنس ونوع التعليم والمستوى الاقتصادي والاجتماعي لا تؤثر في مدى استغراق المراهقين في المشاهدة أو صلتهم بالأفلام السينمائية. وتصدرت المسلسلات والأفلام جميع الأشكال التلفزيونية التي تحظى بأعلى نسبة مشاهدة عند المراهقين. ويفضل 58 ٪ منهم مشاهدة البرامج الدينية، 59٪ منهم يحبذون تلك التي تقوم على شرح وتفسير آيات الذكر الحكيم.[21]

ورغم غياب إحصائيات عربية شاملة في هذا الصدد للمقارنة، فإن التحقيقات الميدانية والدراسات التي تنفذ في أكثر من بلد عربي، وانتشار استخدام أجهزة التلفزيون واللواقط، تشير إلى احتلال التلفزيون موقعا مهما في اهتمامات المواطن العربي. فقد أصبح منذ الحرب العالمية الثانية أهم وسيلة لتمضية الوقت. إنه يأتي مباشرة بعد النوم والعمل، ولا تخرج البلدان العربية عن هذا الاتجاه.

(20) الاستشارة الشبابية الموسعة حول تونس القرن 21 ، "تونس تصغي إلى شبابها" وزارة الشباب والطفولة والرياضة - 2000

(21) العلاقة بين الأطفال العرب والتلفزيون، دراسة تحليلية للدراسات التحليلية والبحوث الميدانية التي أجريت على الطفل العربي من سنة 1960 إلى سنة 2000، د. ليلى عبد المجيد، كلية الإعلام - جامعة القاهرة - دراسة قدمت للمؤتمر العربي حول الإذاعة والتلفزيون والطفل. تونس 2002.

إطار 18.2

## الترفيه ضد الجنوح والانحراف

هناك فرق كبير بين الولد والبنت. فالولد لا ينقصه أي شيء نهائيا. البنت هي التي تقوم بأعمال المنزل ولا تخرج. وهنا يبدأ الخلل لأنه لا يجوز أن يكون هناك تمييز من هذا النوع بين الأبناء. ولكن هناك من يؤمن إيمانا قاطعا بأن الولد أحسن من البنت، وهذا ما يجعل الأسرة تضغط عليها. وتشعر البنت بهذا التمييز وتحس بالحرمان فهي ترى أخاها جالسا لا يخدم نفسه، في حين يطلب إليها أن تخدمه، فتعطيه ما يطلب وتغسل ثيابه وتعد أكله. وهو ما يجعل الشاب في المغرب اتكاليا وأحيانا يشجعه الوالدان على ذلك، إذ يعطونه المال لكي يشتري "الدخان" والكحول، ويتفرغ للدراسة دون إحساسه بالحاجة إلى إنجاز أي شيء بسرعة. فنراه يبقى حتى سن الثلاثين وهو يتابع دراسته على مسؤولية والديه. ويحصل أحيانا أن يتزوج نتيجة خطأ ارتكبه في علاقة جنسية، فتتحمله الأسرة وزوجته وولدهما. والحال أن المراهق بدءا من عمر 16 سنة يبدأ بالتحرر من عائلته.

التربية على القيم تبدأ من سلوكات الأب في المنزل. وخصوصا كيفية معاملته لزوجته. فلا بد أن تكون هذه العلاقة حسنة، ولا يجوز استخدام العنف في العلاقة بين الزوجين، خصوصا أمام الأولاد. وفي حال نشوء خلاف يجب أن يعالج بينهما وعلى حدة. أما إذا كانت صورة الأب غير مقبولة، كأن يكون سكيرا على سبيل المثال، فإن لذلك أثر سلبي كبير على المراهقات والمراهقين، ذلك أن أول شخص يعتزون به هو الأب عموما.

مع بداية الاستقلال كانت هناك برامج للثقافة الشعبية موجهة للشبيبة. وجمعيتنا تتبع هذا النهج. بدأنا العمل في برامج محو الأمية والتوعية والتربية والتلقيح والتربية الصحية. وعندما نقول ثقافة شعبية، فهذا يعني أن لا يكون كل شيء من اختصاص المدرسة. خصوصا الآن لأن المناهج التعليمية في المغرب لا تحتوي على بعد تربوي قوي. فالتلاميذ في المدرسة يتعلمون القراءة والكتابة والحساب، ولا تغرس فيهم القيم.

التربية لم تعد كما في السابق. قديما كان الأب يربي في اتجاه والجدة في اتجاه والأخ والمعلم كذلك. والمراهق في سلوكه يجد نفسه وسط توجهات متناقضة وأحيانا وسط تناقض بين القول والفعل. فهو يرى والده يقول له لا تدخن، ولكن الوالد مدخن. وما يسمعه التلميذ في المدرسة لا يرى ما يطابقه في الشارع. لذلك من الطبيعي أن يؤثر ذلك على توازنه.

والمراهق يميل إلى الترفيه لأن ذلك يحرره من الضغوطات داخل الأسرة والمدرسة. فهو يرى المشاكل في الأسرة، الأب يشكو من الغلاء والماء والكهرباء وفي المدرسة هناك الازدحام ومشاكل التعليم، وفي المجتمع هناك المشكلات الاقتصادية والنمو السكاني... لذلك فهو يرغب بشدة أن يرفه عن نفسه كطريقة للتنفيس. فهو يعتبر الرياضة ترفيها وكذلك الموسيقى وخاصة الموسيقى الصاخبة مثل "الراي" أو "الروك" أو الموجات الحديثة منها. ولكن قلما نجد الشباب يتعاطون نشاطا مسرحيا. والسبب هو أنه حيث تكون مساحة الحرية ضيقة، فإن الفنون بصفة عامة لا تزدهر. فالفن كما نرى لا يزدهر إلا في الدول المتقدمة اقتصاديا وعمرانيا. لذلك ترى الشاب يفتقد إلى المجالات التي تتيح له تفجير كل طاقاته. وحتى عندما تبنى مدينة حديثة، فهي كلها طرقات وبنايات وليست فيها مساحات خضراء ولا ملاعب ولا دور للشباب. وعندما تخطط الدولة أو الهيئات المحلية، فهي تخطط لكل شيء إلا للشباب. كل همهم أن يبنوا عقارات ويبيعوا ويحصلوا على "السمسرات". إنه عمل مقاولات فقط بغرض الربح. وإذا أرادوا بناء حي فلماذا يبنون دارا للشباب؟ مع العلم أن مثل هذه المؤسسات هامة جدا ومفيدة جدا للشباب الساكنين في الحي. فهي تشكل وسيلة وقاية فعالة ضد الجنوح والانحراف. فالشاب يجد فيها قاعات مجهزة بالتقنيات وقاعة مسرح وقاعة معارض أو قاعة موسيقى أو مكتبة للمطالعة. وحسب التخطيط يجب أن يكون هناك دار شباب لكل خمسين ألف مواطن، مجهزة وفيها قاعات وملاعب ومساحات خضراء لكن ذلك لم يحصل. لذا من الطبيعي أن نرى الشباب يغضب ويثور ويشكل عصابات، لأنه لا يجد ما يملأ به وقت فراغه ويستثمر من خلاله طاقاته. وهذه مسؤولية الدولة والهيئات المحلية ويجب أن لا تقتصر على الرياضة فقط في حال وجودها، بل يجب أن تغطي مجالات الفنون المختلفة أيضا.

**مدير دار شباب بالمغرب**

في لبنان تؤكد المراهقات والمراهقون أنهم لا يشاهدون كثيرا هذه النوعية من المسلسلات وكأنه موقف دفاعي. وتفسر تالة (17س) سبب متابعتها لهذه المسلسلات، بقضائها سنة كاملة في إحدى دول الخليج مع أسرتها، وهو ما دفعها إلى مشاهدتها كي تشعر أن هناك ما تتعلق به. وتذكرها المسلسلات بالكتب ولكنها عبرت عن تفضيلها للمسلسل "لأن الإنسان يشعر أنه متعلق بأمر ما ومندمج فيه"، وهو نفس الشعور الذي ينتابها أثناء قراءة القصة "أكون في حالة انتظار طوال النهار لأني أريد أن أعرف ماذا حصل". فكأن حياة أبطال المسلسل تسير بموازاة حياة المشاهد، لذلك ينتظر الوقت المناسب ليعود إلى حياتهم. فهذه المسلسلات تشبه إلى حد ما عروض الـ RealTV ذات البث المباشر والمتواصل لأحداث من واقع الحياة والتي انتشرت بكثرة في السنوات الأخيرة. وبالإضافة إلى ذلك، تقضي تالة وقتا طويلا في مشاهدة الأفلام. والسبب الذي تقدمه لتفسير مشاهدتها للمسلسلات "المكسيكية" هو نفسه الذي يجعل لين (17س) تنفر منها. فهي تشاهد التلفزيون وتقرأ القصص، بينما لا تحب المسلسلات التي تجعلها تنتظر و"تعصب"، وهي لا تستطيع انتظار حلقة بعد أخرى، ولا تطيق أن يتحكم المنتج أو المخرج بإيقاع متابعتها خلافا للقراءة، فهي التي تحدد وتيرة دخولها إلى عالم الكتاب، وتقرر متى تدخله ومتى تخرج منه.

تعد متابعة المسلسلات عموما في لبنان خاصية المراهقات الحالمات اللواتي لا يخرجن كثيرا من المنزل. وتبين أن بعض المراهقين غير متعلقين بالتلفزيون ومنهم أشرف (18س) الذي لم يعد يشاهد برامجه كثيرا ومنها الأخبار. أما رفيق (18س) فتقتصر مشاهدة التلفزيون لديه على الأخبار وبعض البرامج. ويشاهد الأغلبية التلفزيون خاصة أيام العطلة. ويفضل المراهقون عموما الأفلام، والرياضة وبرامج الألعاب والمسابقات والموسيقى وبرامج المقابلات والمناقشات الـ "talk show" التي تبث كثيرا في لبنان ويتناول بعضها قضايا يعتبرها الجمهور على درجة من الإثارة والجاذبية.

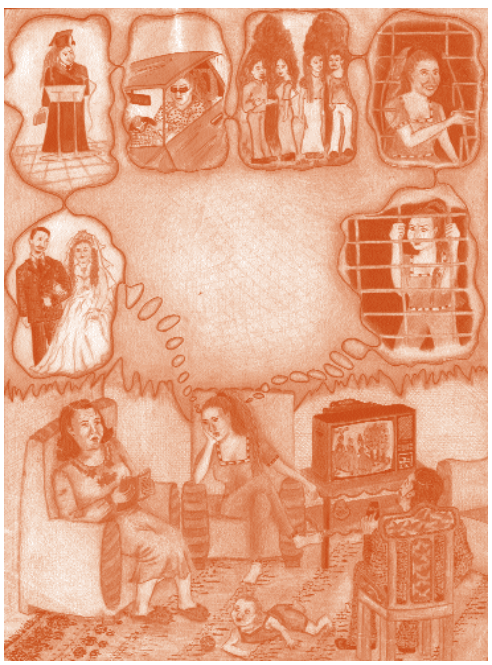

يستخدمونه وسيلة للتواصل مع الأصدقاء والدردشة وكذلك وسيلة لمعرفة الأخبار بشكل أفضل. والمراهقون هم أكثر استخداما للحاسوب من المراهقات. وترتبط مسألة إتقان استعماله بتوفر جهاز في المنزل وبالقدرات المادية للأسرة.

في البحرين، تعتبر الحالات التي لا تجيد استخدام الكمبيوتر نادرة. وترفض بعض المراهقات والمراهقين المتدينين الدخول للمواقع الجنسية "لأنها حرام". ونلاحظ أن الغالبية العظمى من المراهقين تستخدم الإنترنت بل تزور هذه المواقع بحثا عن المعرفة الجنسية ولإرضاء الفضول الجنسي لديهم. يقول جاسم (18س) "أستخدم الكمبيوتر بشكل أساسي كل يوم، أنا ملم بالإنترنت، واستفدت منه في الدراسة والحصول على قدر هائل من المعلومات وهو أهم من الكتب في دراستي، ولدي أصدقاء أتحدث معهم، ولدي مواقع متنوعة أزورها، مواقع الجنس، الجميع عندما ينفتح على الإنترنت يذهب إلى تلك المواقع، ولكنها الآن شيء لا يستحوذ علي". وبالنسبة إلى سامية (15س) فتصرح أن الكمبيوتر هو "معبودي وأدخل التشات للدردشة باسم مستعار". وتستخدم نورة (15س) أحيانا الكمبيوتر وترفض استعمال الإنترنت للمحادثة لكنها تؤيده لغرض الدراسة فقط وليس لأشياء أخرى "لأن فيها قلة أدب" كما تقول.

في المغرب يقتصر استخدام الانترنيت والكمبيوتر على بعض الفئات المتعلمة. وبدا في اليمن أن المراهقات والمراهقين يهتمون باستخدام الكمبيوتر والإنترنت، وهم يجدون فيه وسيلة هامة للتعلم والتواصل وتوظيفها لأغراض الدراسة. ولكن برز أيضا تحفظ على بعض الاستخدامات بل رفضها وخاصة المضايقات والمعاكسات والدخول إلى مواقع غير مقبولة أخلاقيا، وهو أمر مرفوض من وجهة نظرهم، وإن كان بعض المتحفظين قد أشار إلى أنه يمارس هذه الهواية ويتحدث عبر الإنترنت مع الجنس الآخر. إن الرغبة في استخدام هذه التقنيات واسعة، ولكنها تبقى غير متاحة إلا بالنسبة إلى قلة تتوفر لديهم الإمكانيات. ولعل أحد أسباب هذه الرغبة هو ما يوفره الإنترنت من إمكانية إشباع الفضول المعرفي والجنسي والتواصل مع أصدقاء من الجنسين بشكل سهل نسبيا وبشكل سري خارج رقابة الأهل أو المجتمع، خاصة أن الرقابة تمارس بشدة في اليمن.

وفي تونس أيضا عرف استخدام الإنترنت والكمبيوتر رواجا نسبيا. وبدت المراهقات أقل اهتماما من المراهقين بالكمبيوتر واستعمالاته. ففي حين قام جهاد (18س) بمدح "هذه التكنولوجيا العظيمة"، رغم أنه لم يستخدمها ولكنه يتوق إلى ذلك، ترى فيها حنين (17س) وفريدة (17س) مادة دراسية حيث تنحصر فائدتها الوحيدة في هذا البعد بالنسبة إليهما. وجربت فريدة "التشاتينغ" في المراكز العمومية للإنترنت، ولكنها لم تجد التجربة جيدة، وقالت ببساطة "أنا أفضل التواصل المباشر في الحياة على التواصل الإلكتروني". وتبين من إجابات المراهقات والمراهقين أن استخدامهم لهذه التكنولوجيا ينمّ عن مفارقات عديدة. فحيث تشتد الرقابة يكون مصدرا للمعلومات. وحيث التحريم الجنسي شديد يكون مصدرا للمعلومات الجنسية من خلال المواقع المبتذلة غالبا وهو ما يثير إشكاليات أخلاقية في المجتمعات المحافظة. وحيث التواصل بين الجنسين صعب يكون وسيلة للتعارف والتواصل بين الجنسين. وحيث هو جزء من المناهج الدراسية، يرتبط استخدامه أكثر بالتحصيل العلمي والبحث. فالحاسوب يستطيع أن يكون كل هذا، وقد يكون لا شيء أيضا.

## ج- الكمبيوتر والإنترنت

يحتل الكمبيوتر في حياة المراهقات والمراهقين مكانة أفضل كثيرا من السينما مع تفاوت حاد بين البلدان العربية لاعتبارات تتعلق أساسا بتوفر الموارد. فالانترنت متوفر بكثرة في البحرين، في حين هو أقل انتشارا في اليمن. أما البلدان الأخرى فيقع ترتيبها عموما بما يشبه ترتيبها حسب الموارد الاقتصادية ومستوى الانفتاح تقريبا. كما تجب الإشارة إلى تفاوت داخلي في استخدام الحاسوب والانترنت حسب المستوى الاجتماعي.

**إطار 19.2**

### وسائل الاتصال الحديثة في الخليج

- وصل عدد المستخدمين للحاسوب في بلدان الخليج 2.5 مستخدما لكل كمبيوتر وهي النسبة الأعلى في المنطقة العربية.
- تصل نسبة المشاركين في شبكة الإنترنت إلى 29.9 ٪ من إجمالي السكان في الإمارات العربية المتحدة تليها البحرين بنسبة 18.7٪.
- يحوي المنزل الإماراتي في المتوسط 3 إلى 4 أجهزة تلفزيون وفيديو كما أن أكثر من 85٪ من الأسر لديهم كمبيوتر شخصي و"دش" و 80 ٪ لديهم اشتراك في الإنترنت.

**المصدر**: مجلة إذاعات الدول العربية عدد 1. اتحاد إذاعات الدول العربية، 2002.

معظم المراهقات والمراهقين في العينة اللبنانية على صلة جيدة بعالم الكمبيوتر أو بصدد التدرب على استخدامه، عدا المراهقات اللواتي يسكن في ضواحي المدن الفقيرة أو ممن تركن المدرسة، مثل هبة (16س) وندى (16س)، أو اللواتي يعشن في الريف الفقير وتركن المدرسة أيضا، مثل زينب (18س) وأميرة (15س). فهن لا يستعملن هذه التكنولوجيا الحديثة ومنهن ربما من لن يعرفنها أبدا. وهناك من لم يعرف الكمبيوتر بعد ولكنه ينوي اكتشافه قريبا على غرار مصطفى (17س) ورفيق (18س) ونسرين (17س) وهناء (15س). أما أشرف (18س) فلا يحبه ولا يستخدمه مع أنه يمتلك جهازا. وهو لم يستعمل الانترنت ولكنه يستعمل البريد الإلكتروني ويمارس "التشاتينغ" Chating أحيانا مع رفاقه للتسلية والتعارف والاكتشاف. رفيف (17س) تستخدم الكمبيوتر لمعالجة النصوص وتستعمل البريد الإلكتروني و"التشاتينغ" أيضا الذي تجد أنه يساعدها في تنمية شخصيتها. ولكنها لا تحب أن تستخدم الإنترنت للحصول على المعلومات لكرهها لهذه التكنولوجيا، وهي تنتقد "التشاتينغ" لنفس السبب "يجمعنا مع الآخرين ويفصلنا عنهم في نفس الوقت". أما بالنسبة إلى ريا (18س)، فالكمبيوتر يعني البريد الإلكتروني والإنترنت، أما "التشاتينغ" فلا يعني لها شيئا وتجده "هبلنة" (سخافة)، وهي وسيلة "للتعرف إلى الناس بطريقة بشعة".

استخدام الإنترنت بدا منتشرا نسبيا في مصر. فثلث المستجوبين والمستجوبات لديهم كمبيوتر خاص يستخدمونه للاتصال الإلكتروني بدرجات متفاوتة. ويتردد عدد لا بأس به منهم على "مقاهي الإنترنت" أحيانا. لكن توجد فئة لا تعرفه بالمرة. وهو بالنسبة إلى من

وللمراهقين في اليمن نشاط اجتماعي ورياضي هام مقارنة بالمراهقات. أما في البحرين، فعلى الرغم من تنوع الأنشطة الرياضية في جميع المدارس الحكومية والخاصة وفي الأندية الرياضية، أجمع المراهقون على عدم الاهتمام بالرياضة وانحصرت بالنسبة إليهم في إطار المدرسة مع أن الرغبة في ممارستها موجودة. ومن أسباب ذلك طبيعة المجتمع الاستهلاكي حيث تعم الرغبة بالاسترخاء وقضاء الوقت في مشاهدة التلفزيون أو الترفيه خارج المنزل. أما أنواع الرياضة التي ذكرها المراهقون البحرينيون، فهي المشي والجري وكرة القدم ورفع الأثقال والكرة الطائرة، في حين أوردت المراهقات الجري وكرة السلة والكرة الطائرة وكرة الطاولة وهي رياضات تمارس في معظم الأحيان في المدرسة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، مع بعض الاستثناءات كما في حالة ياسمين (15س) التي تمارس الرياضة بانتظام في بيت جدتها.

وتعد ممارسة الرياضة في الجزائر نادرة عند المراهقات. ويبدو الاهتمام بها أكبر في المغرب مع اختلاف الأنشطة بين المراهقات والمراهقين كما تبين لائحة بأولويات تمضية الوقت[22]

| المراهقات | المراهقون |
|---|---|
| 1- الأعمال المنزلية | 1- الرياضة |
| 2- المطالعة | 2- المطالعة |
| 3- مشاهدة التلفزيون | 3- مشاهدة التلفزيون |
| 4- الرياضة | 4- ممارسة عمل مأجور |

تمارس الرياضة في المغرب بشكل متواتر وتكتسي أهمية خاصة بالنسبة إلى المراهقين، أما المراهقات فقد أبدين رغبة في ممارستها حتى وإن لم يتسن لهن ذلك بشكل دائم لعدم توفر الوسائل. ويعزى تزايد الاهتمام بالرياضة إلى البطولات العالمية التي تحصلت عليها المغربيات في محافل رياضية عديدة. وإجمالا جاءت إجابات المراهقات لتعبّر عما يرغبن في القيام به أو يتمنينه أكثر مما هو تعبير عن ممارساتهن الفعلية. لذلك يظل عدم ممارسة بعضهن لرياضتهن المفضلة موضع أسف كبير. كما يبرز شعور بالإحباط عندما يقمن بمقارنة وضعهن بأوضاع مراهقات ينتمين إلى أوساط اجتماعية راقية. فخديجة (18س) كانت تتمنى ممارسة رياضة السباحة وتكتفي بالتعبير عن أسفها لعدم تمكنها من ذلك.

في مصر، أجابت نصف المراهقات أنهن لا يمارسن أي نوع من الرياضة "لأنه لا المكان ولا الوقت يتيحان ذلك". وذكر البعض منهن أنهن يمارسن الرياضة في المدرسة مثل كرة السلة وكرة اليد. وذكرت ممارسة رياضة المشي "قبل هبوط الليل بالتأكيد". وتميزت يارا (15س) بممارستها لرياضة الكاراتيه وتدافع عن خيارها بالقول "إنها رياضة غير عنيفة على عكس ما يعتقده الناس. صحيح أنها تعلم الدفاع عن النفس لكنها تعلم ضبط النفس أيضا". واللافت للنظر أن مراهقات الطبقات الميسورة اللاتي يتمتعن جميعا بعضوية النوادي الرياضية الخاصة لا يمارسن الرياضة، ما عدا حالات قليلة تمارس "الأيروبيك" والرقص في ناد آخر متخصص غير النادي الرياضي الذي تنتمين إليه. في المقابل تشكو المحرومات من هذه الإمكانية من أنهن لا يجدن مكانا لممارسة الرياضة.

**(22)** تم استخلاصهما من الجداول الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث الديموغرافية، المغرب، 2000.

## د- الرياضة

ترتبط الرياضة بالطبقة الاجتماعية. فكلما كانت هذه الأخيرة أعلى، كانت ممارسة الرياضة فعليا أكبر، وليس كما ادعت هبة (16س، لبنان) من أنها تمارس الرياضة بمجرد تحريك القدمين بينما هي مستلقية، أو كما أكدت سميرة (15س، لبنان) ممارستها في المدرسة بمعدل ساعة واحدة في الأسبوع. وبشكل عام لاحظنا قبول مبدأ الرياضة أكثر من ممارستها الفعلية. وقد يعود ذلك إما إلى عدم تواجد المؤسسات والبنى التحتية الرياضية في مكان السكن وخصوصا في الأرياف كما بدا ذلك من شكوى دينا (15س، لبنان) "وإلا لكنت دخلت في نادي"، أو لارتفاع كلفة النوادي بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين (في حال توفرها في المدينة على سبيل المثال) وهو ما يفسر هذه الهوة بين الرغبة في ممارسة الرياضة وممارستها فعليا.

**إطار 20.2**

### استخدام الوقت في المغرب

#### الرياضة أكثر الهوايات طبقية وذكورية

بينت دراسات وطنية مغربية قام بها مركز الأبحاث والدراسات الديمغرافية وجود تفاوت اجتماعي حسب الجنس بين الشباب المغربي فيما يخص استخدام وقت الفراغ. فممارسة الرياضة والسفر أنشطة متاحة لأبناء الأسر الميسورة، فيما نجد أن مشاهدة التلفزيون والمساعدة في الأعمال المنزلية أنشطة يقوم بها أبناء الأسر الفقيرة. في حين برز أن اهتمام أبناء الفئات الوسطى بالقراءة يزيد عن أبناء الفئات الميسورة، وينخفض لدى أبناء الفئات الفقيرة.

أما إذا أخذنا بعين الاعتبار النوع مع الانتماء الاجتماعي، نتبين أن الاهتمام بالرياضة يكاد يختفي بالنسبة إلى الفتيات الفقيرات مقابل ارتفاع كبير في حصة الشؤون المنزلية. أما بالنسبة إلى الفتيان الميسورين فإن الوقت المخصص للمساعدة في الشؤون المنزلية يصبح ضئيلا جدا، مقابل ارتفاع كبير في ممارسة الرياضة. أما بالنسبة إلى القراءة، فنسجل تفاوتا بين الجنسين أقل مما هو في الأنشطة الأخرى. ولكن في الوقت الذي يزيد فيه الزمن المخصص للقراءة لدى فتيان الفئات الوسطى عنه لدى فتيان الفئات الميسورة (22.8٪ مقابل 19.6٪)، نجد أن فتيات الفئات الوسطى يقرأن أقل من فتيات الفئات الميسورة (19٪ مقابل 20.6٪)، نظرا إلى الأعباء المنزلية التي تقع عليهن بنسب أعلى من الفتيان في الفئات الاجتماعية الوسطى.

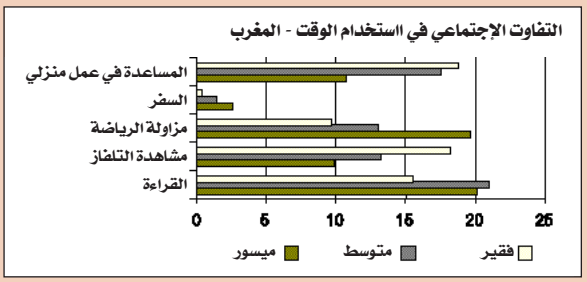


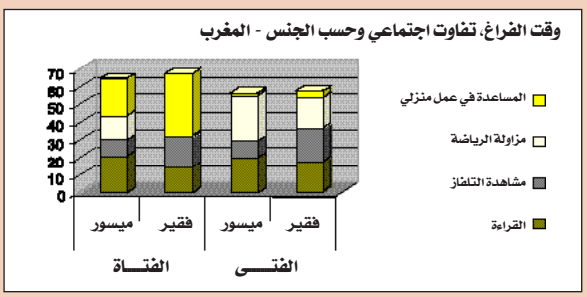

وهناك قراءات تدخل في البرامج المدرسية، ككتابات جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة. ومن المراهقات والمراهقين من يميل إلى مطالعة الكتب العلمية، مثل راني (16س) الذي كان يقرأ الموسوعات العلمية منذ صغره، أما الروايات، فيفضل مشاهدتها على شاشة التلفزيون. ويقرأ البعض منهم القصص والألغاز تهربا من الدرس مثل هناء (15س). تبدو المطالعة في بعض الأحيان نخبوية. ومن المحتمل أن تزداد نسبة المطالعة مع ارتفاع المستوى الاجتماعي، فالكتب مكلفة وغير متوفرة للفقراء.

وعن تمضية أوقات الفراغ حسب الأنشطة في المغرب، جاءت المطالعة في المرتبة الثانية بعد شؤون المنزل عند الفتيات وبعد الرياضة لدى الفتيان. فنسبة الوقت المخصص للمطالعة من بين بقية النشاطات تراوح من 15٪ لدى الأسر الفقيرة إلى 21٪ لدى الأسر المتوسطة والميسورة وبنسب متقاربة بين الجنسين إذ تراوحت نسبة الوقت المكرس للشؤون المنزلية عند الفتيات بين 20.6٪ لدى الفئات الراقية و 34.6٪ لدى الفئات الفقيرة.

في اليمن، برزت على خلاف البلدان الأخرى المشمولة بالدراسة الميدانية، ظاهرة قراءة الشعر عند الجيل الجديد. إذ يفضل عدد من المراهقات والمراهقين قراءة الشعر في أوقات فراغهم. تقول رحيق (18س) "أستمتع بقراءة الكتب الإنجليزية لكي أتعلم منها اللغة الإنجليزية، والشعر أيضا إذ يعجبني مجنون ليلى لأن كلامها ممتع. أما المجلات والجرائد فيعجبني أن أقرأ فيها الحوادث". والقراءة كوسيلة لتمضية الوقت مثلما هو شائع في البلدان العربية الأخرى، أنواع منها مطالعة المجلات المنوّعة وتصفح الجرائد. ومن الملاحظ أن قراءة الصحف تزداد مع التقدم في العمر وتترافق مع الاهتمام بالأخبار السياسية.

وفي العينة البحرينية تفاوت اهتمام المراهقين بقراءة الكتب الأدبية وغيرها. تهتم المراهقات بالروايات العاطفية والرومانسية والشعر، واتفق معهن بعض المراهقين في هذه الاهتمامات. كما برز حضور للأدب الأجنبي في بعض الحالات. فجاسم (18س) يحب "قراءة الروايات، وكتب التاريخ والروايات البوليسية والعالمية والأدب الأجنبي أكثر من العربي" وحنان (18س) تقرأ الروايات من الأدب الروسي والفرنسي والعربي، ويقرأ فوزي (18س) كتب الأدب والروايات والشعر لقاسم حداد وأمين صالح وفوزية السندي وسليم بركات وإبراهيم الكوني، ومن الأدب العالمي ماركيز. أما سامية (15س) فتحب قراءة ما يشدها "كالحوادث والسياسة والأبراج".

تبين من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت في مصر أن المراهقات اللواتي ينتمين إلى الفئات الميسورة والمثقفة أكثر ممارسة للمطالعة، ويبدو أنه سلوك مقلد للنماذج والمثل العليا المحيطة بهن. وقد يشكل وجود مشاكل أسرية في المحيط العائلي عاملا محفزا للقراءة في بعض الأحيان، فتكون القراءة في هذه الحالة فعل هروب من الواقع. وهو ما جعل سالي (16س) تفضل مطالعة الكتب على قراءة الصحف "الكتب بتخلق لي عالم تاني والجرايد بترجعني للعالم اللي إحنا فيه". وتبين من خلال المقابلات أن نصف المستجوبين المصريين يقرؤون الروايات والكتب العلمية والكتب الدينية. وقد يفضل بعضهم المجلات والصحف على الكتب على غرار بهاء (15س) "لأن الكتب طويلة جدا، أما المجلات ففيها قصص صغيرة". إنه البحث عن السرعة في كل شيء، في الطعام، وفي الحصول على المعلومات والاطلاع على الأخبار بأسرع وأقصر طريق ممكنة. وفي هذا يكمن سر الانتشار الواسع للمرئي والمسموع على حساب الكتاب.

وكانت نسبة ممارسة الرياضة في صفوف المراهقين المصريين أعلى، وخصوصا رياضة كرة القدم، النشاط الأكثر انتشارا بين الشباب في مصر. ويتوجه من لديهم عضوية في النوادي الخاصة إلى رياضات أخرى مثل المبارزة بالسيف والكرة الطائرة والجيدو. وتنتشر رياضة رفع الأثقال التي اختارها بسام (17س) في الأحياء الشعبية، في حين لا يمارس أكرم (16س) أي رياضة على الإطلاق. وفي كل الحالات لم تمثل الرياضة أمرا حيويا لا يمكن الاستغناء عنه في حياة أي منهم، فلا مجال للمقارنة بينها وبين ملاقاة الأصدقاء للدردشة وتبادل الأخبار.

## هـ - القـــــــراءة

أسهم اختراع غوتنبرغ للمطبعة في انتشار القراءة الصامتة الأمر الذي أدى دورا أساسيا في تغير البنية النفسية للإنسان الحديث. فأصبح بإمكان كل شخص تكوين فكرته الخاصة عن العالم واكتساب معارف تجريبية وشخصية، بما يحرره من الوسائط القديمة ويخلصه من رقابة الجماعة[23]. إن الثقافة المكتوبة هي وحدها التي تمكّن الفرد من استدخال ما يقرأه وتكوين آرائه الشخصية وتسمح بانفتاح آفاق واسعة جديدة. وحسب اعتقاد سائد، تبتعد الثقافة المكتوبة عن النموذج النمطي للمجتمع التقليدي الذي يعتمد في تنظيمه على الثقافة الشفهية. أما القراءة الصامتة، فتساعد على بلورة شخصية الفرد وشحذ حسه النقدي، وهي مصدر قوة هائلة كما يصفها مانغويل[24] "وما أن تمكنت من ربط العلامات السوداء فيما بينها وتحويلها إلى حقائق حية، حتى أصبحت إنسانا جبارا. كنت أستطيع أن أقرأ... كان الأمر بمثابة اكتشاف مفاجئ لحاسة سادسة". فالقراءة امتداد للفعل بما أنها تمثل إحدى أدواته الإضافية. بل إن كل فعل في حد ذاته يمثل قراءة. فعالم الفلك يقرأ السماء والصياد والباحث في الطبيعة يقرآن آثار الحيوانات، والمفتش الجنائي يقرأ آثار الجريمة. ويقرأ لاعب الورق وجوه اللاعبين الآخرين، ويقرأ المشاهد حركات الراقصين... وبذلك تكون الحياة كلها قائمة على قراءة العلامات المختلفة، الراهن منها والموروث وفك رموزها. كما تعتبر القراءة مصدر حرية، لذلك ثمة خوف من الكتاب وخشية من القراءة. وهذا ما عبرت عنه الرقابة الممارسة في القرون الوسطى على الكتب ومنع الكثير منها. وبدل ضمور هذه الرقابة بعد شيوع وسائط الإعلام وتوفرها للجميع[25]، عادت هذه الظاهرة للبروز آخذة في التفشي في بعض المجتمعات، ومنها العربية.

من خلال المقابلات بدت المطالعة وكأنها النشاط الأقل انتشارا عند هذا الجيل. ففي إجابات المراهقات والمراهقين التونسيين يكاد يغيب ذكر المطالعة كنشاط من بين الأنشطة التي يمارسونها، وكأن الكتاب لم يعد يحمل قيمة لذاته. فممارسة القراءة لم تعد نادرة وحسب، بل أصبح من الضروري أن تكون "موظفة" أيضا، أي أن تخدم شيئا ما. وغالبا ما تقتصر قراءات الجيل الجديد على المجلات والدوريات والحكايات المصورة. أما في لبنان فلم نجد سوى قارئة نهمة واحدة هي لين (17س)، مما مكنها من اكتساب ثقافة واسعة وثقة في النفس وإحساسا بالنضج. فهي تهرب من "عالمها الصعب" إلى رحاب القراءة التي تشكل نشاطها الأساسي في عطلتها الصيفية. ومرت تالة (17س) بمرحلة كانت تقرأ فيها كثيرا، فاستأجرت مجموعة بيار روفايل وطالعتها كلها. أما الآن، فلم تعد تطالع بالوتيرة نفسها.

**(23)** انظر آرييس في مقدمة الجزء الثالث لتاريخ الحياة الخاصة، مرجع مذكور.

**(24)** ألبرتو مانغويل، تاريخ القراءة، ترجمة سامي شمعون : دار الساقي، 2001.

**(25)** على الرغم من أن وسائل الإعلام الجماهيري المسموع والمرئي خصوصا هي الأكثر انتشارا، وهي التي تبث مواد إعلامية أكثر إثارة للجدل، إلا أن الاعتراض على هذه الوسائل يتخذ عموما طابع الحملات الإعلامية وإعلان المواقف دون اتخاذ أية تدابير وإجراءات لعدم القدرة أو عدم الرغبة، في حين يتعرض الكتاب، وخصوصا الكتاب النقدي والجاد إلى رقابة شديدة وكأنه مصدر خطر حقيقي يطال جوهر العلاقات الاجتماعية، وهو خطر لا يبدو أن أنصار الرقابة يستشعرونه بالطريقة نفسها فيما يخص وسائل الإعلام الجماهيري التي يبدو ترويجها لسلوكيات معترض عليها، مترافقا مع ترويجها للنزعات الاستهلاكية والتسطيح الثقافي، وكأن هذين الأثرين الأخيرين مرغوب فيهما ضمنيا.

معظم المراهقات والمراهقين المصريين يستمعون إلى الموسيقى وخاصة أغاني "عبد الحليم حافظ" و"أم كلثوم" و"نجاة الصغيرة" و"عمرو دياب" و"مارسيل خليفة" و"الشيخ إمام" إلى جانب الأغاني الغربية على اختلاف أنواعها. وبرز الاهتمام بالموسيقى عند أغلب المراهقين في البحرين أيضا، مع انحيازات إما إلى الأغاني العربية أو الأغاني الأجنبية. وتعبر التفضيلات الموسيقية أحيانا وبشكل ضمني عن ميول سياسية وفكرية عامة، وعن اختيارات ثقافية. وقد أبدت نسبة كبيرة حبها وهيامها بالموسيقى الكلاسيكية والهادئة. فجاسم (18س) يحب "الأغاني". وتفضل حنان (18س) الموسيقى الهادئة والكلاسيكية. ويستمع فوزي (18س) إلى الموسيقى الغربية و"الجاز".

في الجزائر تستمع غالبية المراهقات إلى الموسيقى، بمفردهن أو مع المجموعة. وفي المغرب تميل بعض المراهقات إلى الموسيقى الشعبية، ويفضلن الاستماع إليها في عزلة. ولا يشكل الاستماع إلى الموسيقى في اليمن نشاطا قائما بذاته، بل يرافقه الرقص والغناء، والموسيقى عندهم هي بالأساس "استماع إلى الأغاني".

وبشكل عام، فإن الموسيقى الصامتة أقل انتشارا من الأغاني، وهو ما يشير إلى نوع الثقافة الموسيقية السائدة، أو الذوق الموسيقي السائد بشكل أدق، حيث أن الموسيقى الصامتة أقرب إلى الثقافة المركّبة والناضجة من الأغنية بكل أنواعها (الطربية والشعبية والإيقاعية...)، ولعل تفوّق الأغنية على الموسيقى الصامتة يشبه تفوّق قراءة المجلات على المطالعة الجادة، وتفوق التلفزيون على السينما والمسرح، والإعلام المرئي على المكتوب.

## ز- الجمعيـــــات والأنديـــــة

تبين وجود نقص كبير في الفضاءات والمؤسسات التي يمكن أن تؤدي دورا في تأطير المراهقات والمراهقين وفي توفير ما يلزم لتمضية الوقت والقيام بنشاطات مفيدة كما ورد على ألسنة المختصين والمربين والمراهقين أنفسهم. وقد وردت إشارات إلى دورها الإيجابي في أكثر من مقابلة في لبنان والمغرب ومصر. مع ذلك لا يتعمق المراهقون ذكورا وإناثا في نقدهم للبنى الموجودة ولا يهتمون أحيانا بها. فنرجس (16س، المغرب) مثلا لم تبد أي اهتمام بهذه البنى، مع أنها موجودة ولو نسبيا، وذلك بسبب عدم امتلاكها لرأسمال مدرسي وثقافي يجعلها تثق بإمكانية استفادتها منها. كما تم التطرّق إلى الجمعيات الأهلية كبنى تحتية ينبغي تنميتها. وقد ذهبت المراهقات والمراهقون في لبنان والمغرب إلى تقييم الدعم المدرسي الذي تقدمه مثل هذه الجمعيات التي تساعدهم على تنمية قدرات اجتماعية وذهنية ومهنية كما في حالة سارة (16س، لبنان)، أوفي محو الأمية كحالة هند (17س، المغرب) والمساعدة على تجاوز الصعوبات الأسرية والنفسية. ويشكل وجود النادي على مقربة من مكان السكن حلا فعليا متاحا لتوظيف وقت الفراغ توظيفا يضمن الاستفادة والأمن، كما عبرت نهلة (15س، مصر). وانخرطت كل من نرجس وراني (16س، لبنان) في نشاط كشفي، فضلا عن المشاركة في المخيمات التي تؤدي دورا في بلورة شخصية المراهق، حسب رأي بول فاليري (18س) ودينا (15س) من لبنان وفاطمة (17س،

## و- الموسيقى

إذا كانت القراءة من الأنشطة الأقل ممارسة لدى المراهقات والمراهقين، فإن سماع الموسيقى يعد من أكثر الهوايات ممارسة لديهم في جميع البلدان التي شملتها الدراسة دون استثناء. ويخترق سماع الموسيقى كل الفئات الاجتماعية وكل المناطق ويشمل الذكور والإناث على حد سواء. أما الاختلاف في الأذواق وتفضيل أنواع معينة على أخرى، فهو أمر طبيعي تحكمه الميول الذاتية. ويمكن رصد ملامح لاتجاهات عامة تقاوم التنميط وأخرى تكرسه. وتساهم وسائل الإعلام وانتشار الفيديو كليب والأغاني الإذاعية والمهرجانات الغنائية والمسابقات وبرامج الهواة في ترويج التنميط، يسعفها في ذلك تعدد وسائل الاستماع من راديو وتلفزيون وآلات تسجيل واسطوانات.

في هذا السياق، تكرر ذكر "الراي" و"التكنو" و"الروك"... كما تكرر ذكر أسماء بعض نجوم الغناء الشرقي مثل "إيهاب توفيق" و"كاظم الساهر" في المقابلات التونسية مثلا. ولاتقدم المراهقات والمراهقون عموما تفسيرات واضحة لتفضيلاتهم باستثناء سهيلة (16س، مصر) وفريدة (17س) وجهاد (18س) من تونس الذين قالوا إنهم يستمتعون بالكلمات الجميلة والإيقاع المتطور واللحن المتميز. أما بالنسبة إلى الآخرين فالأمر يبدو من باب التأثر بالموجة السائدة، إلا أن هذا لا ينفي واقع ثبات الاهتمام بالأغاني الشرقية الكلاسيكية مثل أغاني "أم كلثوم" و"عبد الحليم حافظ".

وقد يصل حب الموسيقى إلى حد الهوس. فريم (15س، لبنان) تفضل العيش وحدها لكي تستطيع الاستماع إلى الموسيقى دون مضايقة أسرتها "أحب أن أسمع الموسيقى بصوت مرتفع، وهم يقولون لي خففي الصوت. أسمع الموسيقى طوال الوقت، حتى أثناء نومي. يقولون لي : كنت نائمة فكيف شعرت أننا أوقفنا الموسيقى ؟ أشعر أني نائمة ومستيقظة في الوقت نفسه. أحب أن تكون الموسيقى حولي ليلا نهارا". أما سبب هوس ريم، فهو خشيتها أن لا تتمكن من سماع الموسيقى بعد أن تتزوج. في لبنان توزعت أذواق المراهقات والمراهقين بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية. وبرز ميل إلى الأغاني العاطفية إذ تردد إسم "هاني شاكر" إلى جانب "إيهاب توفيق" و"نجوى كرم". وظلت الكلاسيكيات العربية مثل أغاني "أم كلثوم" أو "عبد الوهاب" أو "عبد الحليم" أو "فيروز" مرغوبا فيها و"على الموضة". فتالة (17س، لبنان) مثلا تحب الاستماع إلى أغاني "أم كلثوم" التي يصاحب صوتها جلساتهم العائلية الحميمة. لكن ذلك لا يمنعها من سماع الموسيقى الحديثة فهي تحب أغاني الفنان الإسباني "خوليو اغليسياس". "فلكل جو أغانيه" حسب رأيها. وتعزف دعد (17س، لبنان) على آلة "الفلوت" وتحب الاستماع إلى "الأغاني القديمة" والموسيقى الكلاسيكية وذكرت من أسماء الفنانين فيروز وعبد الوهاب. وهي تدرك أن ذوقها مختلف عن ذوق رفاقها. أما راني (16س، لبنان) فيستمع إلى كل أنواع الموسيقى ويقول إن الكمبيوتر مكنه من امتلاك "مقدار مائة ألف مكتبة موسيقية". وهو يستفيد من مكتبة والده الموسيقية التي تضم بعض الأغاني والأسطوانات النادرة.

اختلاف الآراء والمضامين، هذا من جهة أولى. ومن جهة ثانية، فإن مجال السلوكيات أكثر تأثرا بوسائل الإعلام "المعولمة" وبالأنماط التي تروج لها. وبالتالي فإن احتمال تعميم بعض السلوكيات في كل الاتجاهات يصبح أمرا واردا. ويساعد على ذلك ازدواجية الظاهر والمخفي في المجتمعات العربية والأهمية الكبيرة التي تعطى للسلوك الظاهر والتوافق مع العادات السائدة سواء كانت عادات حديثة أو تقليدية. فكلها تساهم في تكوين أنماط وأذواق وسلوكيات متشابهة في معظم الأحيان ومتعددة أيضا بتعدد المؤثرات والبيئات، دون أن يعني ذلك بلوغ هذه السلوكيات مستوى تكوين "ثقافات" خاصة بالمراهقات والمراهقين إلا بشكل "جنيني".

يعتبر سمير (16س، تونس) وبشكل نسبي نموذجا للتنميط السلوكي المتأثر بالعولمة. فسمير يحب الموسيقى والسفر واستخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة. يتابع كثيرا القنوات الفضائية ويستأجر أحيانا شريط فيديو ليشاهد فيلم مغامرات أميركي. لا يحب السينما بل يفضل مشاهدة التلفزيون في المنزل. ولا يحب الموسيقى الشرقية وموسيقى الراي ويعتبرها "شعبية". ويتابع آخر "صرعات" الموسيقى الغربية ويستمع إلى التكنو والهاوس والهارد روك والهيب هوب... ويحرص على أن يظهر كمتابع لآخر ما صدر في هذا المجال. ولا يشارك عامة الناس ذوقه الفني. هو متعصب للمعلوماتية والكمبيوتر ويستخدم الإنترنت ويتردد على الأماكن المخصصة لها. ويعيب على أهله أنهم لم يشتركوا بعد بالإنترنت في المنزل. هو معجب جدا باليابانيين لأنهم الأكثر تقدما في الإلكترونيات والمعلوماتية، ولا يهتم أبدا بالأدب ويعتبر أن القراءة عادة متخلفة. لا يحب المطبخ التقليدي بل الوجبات السريعة كالبيتزا والكريب والسندويش... ويميل إلى اختيار الألبسة "السبور" الأنيقة من الماركات المعروفة ويرى أنها تمثل الأناقة العصرية...

وتمثل زينب (18س، لبنان) النموذج المناقض لسمير. هي فتاة ريفية فقيرة، زوّجها أهلها في سن الرابعة عشرة وهي لا تزال تحاول إتمام إجراءات الطلاق بعد سنتين من الزواج الفاشل. تركت زينب المدرسة باكرا بسبب زواجها، وهي ترتدي ثيابا متواضعة وتضع الحجاب. لا تكاد تعرف شيئا عن الموضة. وشراء قطعة ثياب جديدة هي مناسبة هامة تقترن عادة بالعيد. تحب زينب الأغاني العربية الحزينة وقراءة الأدب وخاصة روايات "جبران خليل جبران" ولكنها لا تملك الوسائل لممارسة هوايتها. وتصنف زينب الأعمال المنزلية إلى أنشطة تحبها ككي الثياب، وأخرى لا تحبها. وفي وقت الفراغ أي عندما لا تقوم بالأعمال المنزلية، تشاهد التلفزيون وخصوصا المسلسلات العربية. أما الطعام الذي تفضله، إذا جاز تعبير التفضيل، فهو الأطباق الشعبية وهي الوحيدة المتاحة في وسط ريفي فقير.

يطرح علينا هذان النموذجان والمقارنة بينهما أسئلة عدة لا تخلو من التعقيد. هل أننا في بحثنا عن المراهقة في مجتمعاتنا لم نقع نحن أيضا في فخ الإسقاط والتصورات المسبقة، فكأننا نبحث في المراهقة عن نموذج في الذهن متكون مسبقا ؟ فأي النموذجين سمير أم زينب هو الأكثر شيوعا وانتشارا في المجتمعات العربية ؟ ولماذا يبدو البحث عن المراهقة وفيها، بحثا عن نموذج سمير أو ما يشابهه، في حين يبدو وكأن زينب المتزوجة نموذجا خارج تعريف المراهقة ؟ فهل يؤدي الزواج إلى استثناء الفتاة أو الفتى من المراهقة بما يعنى افتراض تعريف معين للمراهق يستبعد عامل السن والنضج والتكوين العقلي والعاطفي والاستقلالية الحقيقية. وكلها

وتشكل هذه الجمعيات نافذة حقيقية للمراهقات وللمنتسبات إليها خصوصا، تسمح لهن بالانفتاح على العالم الخارجي : لقاء مع الفتيان ورحلات ورياضة وكمبيوتر... كما أنها تضطلع بدور مهم في التعريف والتوعية بمشاكل صحية واجتماعية مثل "السيدا" والمخدرات وفي الوقاية من الانحراف. وتعتبر حلا وبديلا لمن يعانون من المشاكل الأسرية مثل فطومة (16س، المغرب) حيث نجدها تثمن كيفية مخاطبتها في الجمعية بـ "يا بنتي"، الأمر الذي يساعد في هذه المرحلة من العمر على تفتح الشخصية وعلى تنمية القدرة على التواصل مع الآخر.

ففي التجربة المغربية، اعتبرت دور الشباب نموذجا ناجحا في الاستجابة للحاجات الثقافية ولتمضية أوقات الفراغ. لكن، يأسف معظم المراهقات والمراهقين لعدم توفرها بالعدد المطلوب. وينتقدون مهمتها، إذ يرون أنه حتى في حال وجودها، فهي لا توفر التأطير الشامل لهم، ويقصدون بذلك القدرة على سد ثغرات ثقافية ومعرفية. ويمثل وجود هذه البنى التحتية الثقافية والرياضية وتوفر التجهيزات اللازمة لممارسة الأنشطة، ضرورة ملحة بالنسبة إلى المراهقين والمراهقات على وجه التحديد. حيث يمكن اختصار نشاطات غالبية الفتيات في "الدوران" في المنزل وقضاء شؤونه ومتابعة المسلسلات التلفزيونية بالدرجة الأولى وقضاء الوقت مع الرفيقات أو الأقارب.

وبرزت المشكلة نفسها في مصر. فقد اعتبرت أغلبية المراهقات والمراهقين أن فضاءات الترفيه ومراكز الشباب غير كافية ويقتصر وجودها على بعض الأحياء في المدن، وهي غير موجودة في الريف المصري، كما في كل الأرياف العربية. ويبقى الانتساب إليها غير متاح للجميع بسبب كلفتها. واعتبر كل المستجوبين أن وجود مثل هذه المراكز من شأنه أن يحل جانبا هاما من مشاكلهم ويساعد على تجنيبهم بعض العادات السيئة بدءا بالتسكع وصولا إلى التدخين وتخزين القات (في اليمن). فهذه المراكز تمكنهم من استبدال هذه العادات بأنشطة أخرى مفيدة، كتعلم مهارات الحاسوب أو المشاركة في أندية السينما أو الفيديو والانفتاح والتعرف إلى أصدقاء جدد.

ولعل زيادة عدد الأندية ودور الشباب وما شابهها من مؤسسات وبنى تحتية رياضية وثقافية وفنية، ونشرها بأعداد كافية في أماكن قريبة من التجمعات السكنية للمراهقين والشباب هو من التوصيات، بل المطالب، التي كانت الأكثر تكرارا على ألسنة المراهقات والمراهقين وعلى ألسنة الخبراء والمختصين الذين تمت استشارتهم في إطار هذه الدراسة.

## استنتـــــاجات عـــــــامة

هل يمكن الاستنتاج أن هناك أنماطا سلوكية متسقة يتبعها المراهقات والمراهقون العرب، بما يسمح بالقول بوجود "ثقافة مراهقة" أو "ثقافات" بمعنى النموذج الذي يتكرر ؟

يبدو الأمر سابقا لأوانه. لقد تمت الإشارة في الفصول الأخرى من هذا التقرير إلى ظاهرة عدم الاتساق في التعبير عن الذات وفي الخيارات والممارسات والمفاهيم. وبناء عليه يجب التعامل بحذر شديد ونسبية كبيرة مع فكرة النموذج نفسها. وينطبق الأمر أيضا على المستوى السلوكي، ولكن مع وجود هامش أكبر لاحتمال التشابه إذ لا تتطلب السلوكيات اتساقا داخليا، بل هي مجال يتعلق بالتمظهرات بدرجة كبيرة حيث لا يحول الشكل الخارجي والتصرف المتشابه دون

# القسم الثاني :
# الدراسة الميدانيّة

## الفصل السادس

# المواقف والقيم :
## توق إلى العدالة...
## وارتياب حيال المساواة بين الجنسين

عناصر لا تتوفر بمجرد الزواج ؟ وهل الامتثال والسلوك التقليدي أو المحافظ يؤدي بدوره إلى إخراج صاحبها من دائرة المراهقة التي تقترن هنا بالتمرد أو الرفض أو ممارسة شكل من أشكال التفرد والفردانية وصراع الأجيال ؟ وهل ارتباط تعريف المراهقة بتاريخ نشوئها أي كظاهرة تاريخية مرتبطة بالحداثة، يجعل من البحث في المراهقة بحثا عن تمظهرات حداثة ما في مجتمع لم ينتقل إليها أصلا ؟

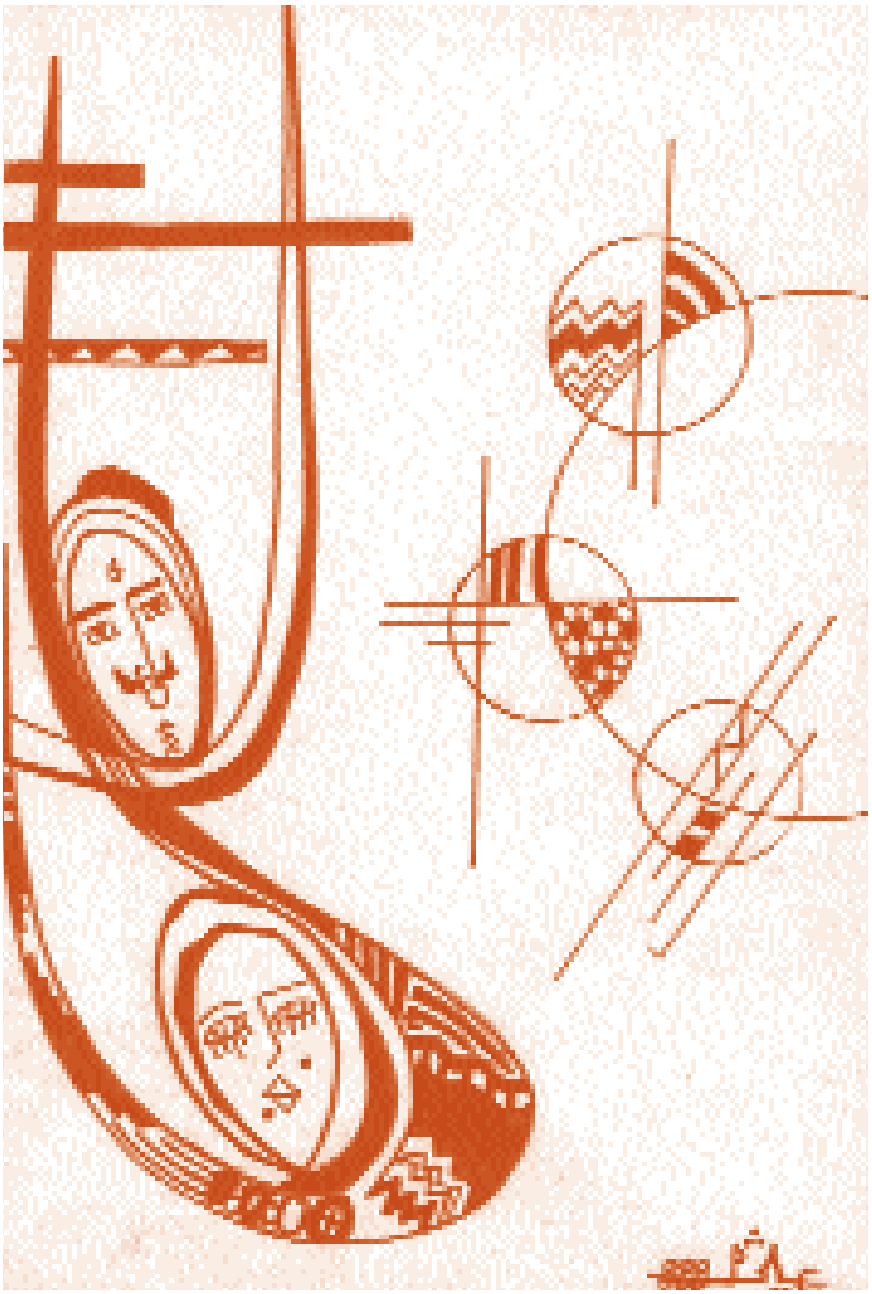

## أ- الذكـــــورة والأنـــــوثة

لا يبدو التعرف إلى النساء والرجال والتمييز بينهم على أساس أدوارهم الاجتماعية أمرا بديهيا. فلم يخل الأمر أحيانا من بعض الاستغراب إزاء معنى السؤال عن التمييز بينهما (بمعنى التعرف على الاختلاف والخصوصية). وكانت هناك أحيانا إحالة إلى الفروقات ذات الطابع البيولوجي أو في المظهر الخارجي أو الرأي السائد بالنسبة إلى الاختلافات السلوكية والعاطفية. ويشير هذا إلى أن مفهوم "النوع الاجتماعي "الجندر" الذي يحدد الاختلاف بين الرجال والنساء على أساس اختلاف الأدوار الاجتماعية (وهو نتاج ثقافي-اجتماعي تاريخي)، يبقى محدود الانتشار حيث لا يزال تحديد الاختلاف على أساس الجنس البيولوجي - السلوكي هو السائد. إلا أن ذلك لا يعني أن عناصر مفهوم النوع الاجتماعي ليست حاضرة، وإن بشكل أولي لم يرتق بعد إلى مستوى التبلور في مفهوم متسق واضح المعالم.

في المقابلات المصرية، لم يفهم عدد من المراهقات المقصود بالفرق بين الجنسين، وقلن إن الأمر واضح. فالمرأة امرأة والرجل رجل، استنادا إلى مرجعية بيولوجية واضحة ترتبط بشكل بديهي بأدوار اجتماعية مختلفة "الولاد بيبقوا رجاله والبنات ستات. الستات بتحبل وتخلف وتخلي بالها من الولاد والرجاله تشتغل وتصرف على البيت" كما تقول فاطمة (15س). وتميّز نهلة (15س) بدورها بين المرأة والرجل على أساس السمات الخارجية التي تعكس بدورها مفاهيم اجتماعية وثقافية سائدة تتعلق بخص المرأة بالجمال والدماثة، والرجال بالخشونة والرجولة التي هي مرادف للقوة بمعنى ما. "شكل الولد ليس مهما كما هو شكل البنت. كما أن على الولد أن يحمي البنت قليلا وأن يكون شهما وشجاعا وجدعا. ولكن أنا أعرف أولاد ليسوا جدعان أبدا، ولكن هؤلاء ليسوا أولادا، مش رجاله يعني. ولكن هذا الأمر ليس مشكلة بالنسبة إلى البنت. ربما يجب أن لا يكون هناك فرق، ولكنه موجودا". وكذلك فاروق (18س) الذي يكرر التصورات نفسها بما يشير إلى فهم مشترك بين المراهقات والمراهقين منسجم مع الصورة التقليدية السائدة في المجتمع لكل من المرأة - العاطفية، والرجل- القوي. يقول فاروق "الجنس الذكوري يعني شخص جدع، يتحمل مسؤولية ويهتم بالناس المحيطين به ويخدم أصحابه. أما الجنس الأنثوي فيتميز بالحنان والدلع دون أن يعني ذلك أن البنت لا يفترض أن تكون جدعة. لكن البنت لا بد أن تكون حلوة الطباع وجميلة". أما باهر (16س)، فيركز أيضا على مفهوم الحماية "الجنس الذكوري هو مبدئيا الأقوى والأقدر على تحمّل الصعاب والجنس الأنثوي يفترض أنه بيحتمي بالجنس الذكوري. ولكن ذلك ليس صحيحا دائما".

وفي المقابلات اليمنية، بدا هذا التصنيف البيولوجي المقرون بخصائص سلوكية، شديد الحضور أيضا، حيث القوة من سمات الذكورة الثابتة، والضعف والعاطفية هي سمات الأنوثة. ويشترك المراهقات والمراهقون على حد سواء في هذا الرأي. فيقول حسام (18س) "الرجل يتميز بـ"الجلافة" (أي الغلظة)، والمرأة بالرقة والضعف والعاطفة." وترى روان (15س) "أن المـــرأة أضعف

# المواقف والقيم

## مقدمة

يبحث هذا الفصل في المفاهيم والتصورات التي كونتها المراهقات والمراهقون في تفاعلهم مع مجتمعهم ومع العالم وموقفهم من الشأن العام ومن بعض التطورات الهامة الجارية في العالم والقيم التي تتضمنها. وهو على غرار الفصول السابقة، يعتمد منهجا مركبا يقوم على عرض المواقف والآراء الخاصة بالمراهقات والمراهقين بأكبر قدر ممكن من الدقة، مع تحليلها تحليلا أوليا. ويهدف هذا الفصل إلى كشف نقاط الاحتكاك والتفاعل الاندماجي أو الرافض لما يسود من قيم ومبادئ تحكم المجتمعين المحلي والعالمي، وكذلك إلى تمكين المعنيين من استكمال رسم صورة المراهقات والمراهقين في بعدها القيمي العام. كما يتيح الفصل التعرف على نقاط التشابه والاختلاف حسب المتغيرات المختلفة، عدا عن كونه ضروريا لاستكشاف درجة الاتساق الداخلي في سلوك المراهقات والمراهقين ومواقفهم بين الدائرتين العامة والخاصة.

وقد تم تجميع المادة ضمن أربعة محاور أساسية تحتوي على عناوين فرعية :

- **المحور الأول** يتعلق بالموقف من المرأة والأدوار الاجتماعية للنساء والرجال. ويتضمن العناوين الفرعية التالية : الرأي في وضع المرأة الحالي، الموقف من التمييز والمساواة بين الجنسين، الموقف من العلاقات الحرة على النمط الأوروبي، الموقف من الحجاب.
- **المحور الثاني** يطال الموقف من الدين وأهميته في حياة المراهقة أو المراهق وفي المجتمع.
- **المحور الثالث** يشمل الموقف من الحياة السياسية والشأن العام. ويتضمن تعريف المراهقات والمراهقين للسلطة والموقف منها والعمل السياسي والانخراط في العمل الاجتماعي والموقف من الحروب وأحداث 11 أيلول...
- **المحور الرابع** يتضمن مجموعة من مسائل أخرى تتعلق بتعريف المراهقات والمراهقين للنجاح والسعادة، وبموقع المال في الحياة، والموقف من السفر...

## 1. وضع المرأة والأدوار الاجتماعية للنساء والرجال

يخترق البعد المتصل بالأدوار الاجتماعية للرجال والنساء كل أقسام هذا التقرير باعتباره من الأهداف الأساسية الثابتة في عمل مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، وفي سلسلة تقارير تنمية المرأة العربية. وقد تم تناول هذه النقطة في الفصول السابقة، من منطلق رصد الممارسات والسلوكيات التمييزية أو المساواتية في الوسط العائلي أو المدرسي أو العلاقات بين المراهقين أنفسهم. أما في هذا الفصل، فيجري تناول هذا الموضوع من زاوية مفاهيمية لا تقتصر على الوسط المباشر الذي تعيش فيه المراهقة والمراهق، بل تطال نظرته إلى المجتمع والعالم راهنا ومستقبلا. إن هذا الفصل يتعلق بالقيم والقناعات والتصورات أكثر مما يتعلق بالسلوكيات والممارسات والأوضاع الخاصة بالمراهقة والمراهق وبيئتهما الضيقة.

بل قد نجد مواقف متقابلة أو متناقضة تناقضا شبه تام. والاختلاف هنا لا ينبع من عدم المعرفة أو عدم الاتساق، بل هو ناتج عن مواقف على درجة عالية من الوضوح في قبولها أو رفضها لفكرة التساوي في الحقوق أو تطوير دور المرأة ومساهمتها في الحياة العامة. ويمكن تمييز عدد من المتغيرات التي تؤثر في مواقف المراهقات والمراهقين وتصوراتهم، أبرزها متغير الجنس نفسه. إذ أن كل المراهقات تقريبا يعتبرن أن دور المرأة ووضعها دون المطلوب، في حين ينقسم موقف المراهقين بين موافق ومخالف ورافض للفكرة. وهنا يلعب المتغير المركب الاجتماعي والثقافي دورا أساسيا في تكوين هذه المواقف.

ففي المقابلات التي جرت في البلدان العربية السبعة المشمولة بالدراسة النوعية، توزعت آراء المراهقات والمراهقين إلى فئات رئيسية متقاربة مع بعض التباينات الداخلية. وأبرز المواقف هي :

1. اعتراض واضح وعدم رضى على وضع المرأة الحالي في المجتمع ودورها في موقف يكتمل بالدعوة إلى المساواة في الحقوق ورفض أي شكل من أشكال التمييز.

2. عدم الرضى عن وضع المرأة الحالي والاعتراف أن المرأة مغبونة في المجتمع بشكل عام، ولكن دون التعبير بالضرورة عن تبني مفاهيم مساواتية صريحة.

3. الآراء الوسطية التي تركز على مقارنة أوضاع المرأة بين الأمس واليوم، أو بين مجتمع وآخر، لكي تستنتج أن هناك تحسنا ما وحدودا ما أو خطوطا حمرا يستحسن عدم تجاوزها.

4. اعتبار أن وضع المرأة طبيعي أو عادي قياسا بعاداتنا وتقاليدنا، دون التعبير عن مواقف شديدة التزمت ترفض تحسين أوضاعها، مع ربط احتمال ذلك بالتوافق مع المناخ الاجتماعي السائد.

5. اعتبار أن وضع المرأة هو ما يجب أن يكون عليه لاعتبارات مفاهيمية دينية أغلب الأحيان، حيث يمثل حصر دور المرأة في الواجبات الأسرية تجاه الزوج والأولاد هو الحالة المثالية. وخلاف ذلك يكون خروجا عن الطريق القويم، مع اتخاذ موقف رافض إزاء أي محاولة لتغيير هذه الوضعية.

6. الموقف غير المبالي أو غير المعني بالإجابة على هذه المسألة.

العوامل المؤثرة في مثل هذه المواقف متعددة. فمن جهة أولى هناك الخصائص التاريخية والاجتماعية للبلد المعين التي قد تغلّب اتجاها تمييزيا أو مساواتيا. وبشكل عام يشكل اليمن المثال الأبرز على تركز الإجابات حول القطب التمييزي، في حين يصعب القول إن هناك تركزا شديدا حول القطب المساواتي بالنسب نفسها. ويشكل لبنان الحالة المقابلة التي يبرز فيها أكثر من البلدان الأخرى الموقف المساواتي. أما المتغير الثاني فهو متغير الجنس. وتتبنى المراهقات المواقف التي تعبر عن عدم الرضى مع المطالبة بالمساواة أو عدم الرضى المقترن

من الرجل ولا تستطيع أن تحل محله". وتؤكد وعد (17س) "أن المرأة طبعا عاطفية جدا، أما الرجل فليس عاطفيا". وعلى هذا الأساس، ثمة قناعة واسعة الانتشار بأن المسؤوليات الأسرية هي من مهام المرأة وأن العمل والكسب هما من مهام الرجل. وإن كان للمرأة الحق في أن تتعلم وتعمل، إلا أن عليها أن توازن بين مسؤولياتها المنزلية والمهنية. غير أن عثمان (18س) يحوّل الأمر إلى مجرد درس في البيولوجيا "الجنس الذكوري يتصف بالقوة وله ذكر وخصيتان وعانة، أما الجنس الأنثوي فيعني أن لها ثديين ولها شعر طويل وعينان جميلتان ولها عانة. يعني مميزات تختلف عن الرجل كما قال الله عز وجل "الرجال قوامون على النساء"، الرجل متصف بالقوة والمرأة متصفة بالضعف، فلهذا قال الله عز وجل هذه الآية".

وفق هذا الفهم الذي يشكل رد الفعل العفوي، لا توجد مسافة بين البيولوجي والاجتماعي، ولكن ذلك لا يعني عدم مساءلة هذه البديهيات التي قد تقود بدورها إلى شيء من عدم اليقين أو الموقف النقدي، سواء عند المراهقات أو المراهقين، خصوصا عندما يقارنون بين الصورة الافتراضية وبين الواقع كما في تساؤل باهر (16س، مصر) الأخير، والذي يتكرر على ألسنة أخرى. فهيام (17س، تونس) تجيب عفويا بالعودة إلى الشكل كمرجع للتمييز بين الفتيان والفتيات، ولكن سرعان ما تتراجع فلا تجد صفات محددة تميز الرجولة. وكذلك نرجس (16س، المغرب) تقول ببساطة "لا أعرف". وسرعان ما تطفو الأبعاد الاجتماعية كضرورة يفرضها إلحاح الواقع الذي يمكن تفسيره بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين بيولوجيا بصفة حصرية. فمحمد (17س، مصر) لا يرى أن هناك شيئا اسمه الرجولة رغم أن المسألة مرتبكة في عقله. أما بهاء (15س، مصر) فيرى أن الاختلاف يكمن في ما يسمح به المجتمع لكل من المرأة والرجل مع إشارة إلى اختلاف بين المراحل التاريخية حيث أنه "كان بإمكان الرجال في السابق أن يقوموا بأمور لا يسمح للنساء القيام بها، ولا تزال بقايا هذا التمييز قائمة الآن". أما عبد الله (17س، مصر) فيرى الفارق الأساسي في أن الرجل لا بد أن يعمل لكي يعيل الأسرة، أما النساء فلا أحد يستطيع أن يجبرهن على ذلك، والرجل الذي لا يعمل يقولون عنه "إنه ليس رجلا". فالرجولة مقترنة عضويا هنا بالعمل وإعالة الأسرة. أما الموقف الأنضج - إن صح هذا الوصف- فيرد على لسان المراهقات، إذ تستخدم نجلاء (17س، مصر) التمتع بالحرية كمعيار للتمييز. "فالأولاد والبنات لا يختلفون في الجسم والشكل فقط، ولكن يختلفون فيما هو مسموح لكل منهم أن يقوم به. فالأولاد لديهم قدر أكبر من الحرية، في حين أن البنات محرومات تماما منها وخصوصا في الريف". أما جهينة (15س، اليمن) فتستخدم مباشرة مفهوم الحقوق رافضة وجود أي فروق بين الجنسين، إذ تقول "الأولاد يأخذون حقوقا أكثر منا. فالبنت مغلوبة على أمرها منذ يوم ولادتها".

## ب- حقوق المرأة ودورها في المجتمع

تنبع الصعوبة التي تجدها المراهقات والمراهقون في التعبير عن فهم مركب لمفهومي الأنوثة أو الذكورة، تنبع من الطابع النظري لهذين المفهومين، الأمر الذي يتطلب مستوى معينا من الثقافة والتجريد الذهني من أجل استيعابهما واستخدامهما بشكل متسق. ولكن الأمر يمسي أكثر بساطة ووضوحا عندما يتعلق بوصف وضع المرأة وحقوقها ودورها في المجتمع. فهنا تقل الالتباسات وتميل الغالبية إلى الاعتقاد بعدم تمتع المرأة بحقوقها أو بممارسة هذه الحقوق بصفة كافية، ومحدودية دورها في المجتمع. ولكن ذلك لا يعني اتفاق الآراء والمواقف إزاء هذا الواقع،

أما المراهقات اللبنانيات فلا تختلف آراؤهن وكيفية توزعها نوعيا عن آراء المراهقين. فهناك من تجد أن أوضاع المرأة في تحسن، لكنهن يعطين أمثلة تعبر عن معاناة وعن اقتراب أكثر من المسألة من ناحية التجربة المعيشة. ونجد آثار هذا الواقع في الشحنة الانفعالية والطابع الذاتي الذي يميز مواقفهن. فتعبر بعضهن عن عدم الاعتقاد بوجود أمل كبير في تغيير قريب. ويرى البعض الآخر أن عدم الرضى عن الأوضاع الحالية لا يحول دون الوثوق بقدرة المرأة والأمل في المستقبل. ونجد من بينهن من تثق بقدرة المرأة الذاتية في حال توفرت لديها الإرادة والتصميم على الحصول على ما تريد. فمواقف المراهقات تتميز باتجاهها نحو الفعل والتغيير في الواقع ولا تقف عند حدود تكوين القناعات. وبالتالي نجد في آرائهن عناصر تستند إلى الواقع الذي يعوق تقدم المرأة. إذ يعتبرن أن تحسين شروط حياتها يتم عبر تعليمها وحصولها على ما يقيها شر الفقر والعوز، وهو ما يشكل ألد أعداء تقدم المرأة في المجتمع. كما نجد أيضا أثرا للتجارب والخيارات الذاتية للمراهقات في تقييم وضع المرأة الحالي من منظور مساراتهن الذاتية، مع أثر أقل حدة لعامل الانتماء الديني مما هو بالنسبة إلى المراهقين. فحيث يتعلق الأمر، بالنسبة إلى المراهقين بخيارات فكرية يجري إسقاطها على الواقع المعيش، فهو بالنسبة إلى المراهقات واقع معيش يسعين للتوفيق بينه وبين القناعات الفكرية والدينية، وبالتالي تلعب المعاناة المشتركة إلى حد ما، دورا مخففا للتباينات النابعة من تعدد الخيارات الفكرية والثقافة السائدة.

فنسرين (17س) المسيحية من الجنوب اللبناني والتي تحب شخصا ربما ترتبط به وتحيا حياة عصرية في الظاهر وتحمل نظرة تقليدية للأمور، تعتبر الشؤون المنزلية من مهام المرأة الطبيعية، في حين تحرص على الإعداد لمستقبل مهني متين لنفسها. ولدى نسرين قناعة أن المرأة حصلت على حقوقها. وترى دانة (17س) من البقاع أن وضع المرأة صار أفضل، لكنه يتطلب مزيدا من العمل على تحسينه. أما أميرة التي لم تبلغ بعد سن الخامسة عشرة والمخطوبة والمنتمية إلى وسط يفتقر إلى رأس مال ثقافي ومادي، فتقر أنها غير ناجحة في حياتها، إلا أنها ترى أن وضع المرأة "عادي، ومنيح"، ولم تكن لديها في هذا الخصوص أية مطالب. وريا (18س) التي تمثل الحالة الأكثر تحررا وتدرس المسرح، توافق على أن المرأة كانت مكبوتة أكثر في السابق، لكن لا يمكن القول إنها "صارت حرة" اليوم. وتضيف ريا "صدمة الحياة عندي تتمثل في المرأة التي لا تفارق البيت، وتتحجب، ولا ينقصها سوى أن تنتظر قدوم زوجها لكي تنزع حذاءه وتغسل رجليه". وإذ يبدو البعد الذاتي حاسما في الصورة الكاريكاتورية التي تقدمها ريا، والتي لا تخلو من سخرية صريحة، فإن نادين (16س) تجمع بين الواقعية والأمل، وتدخل في تقييمها الدائرة الاجتماعية الأوسع. فهي تشير إلى خصوصية وضع المرأة في الريف وتعرضها لجرائم الشرف، ولكنها تعترف بالتحسن الذي طرأ على وضع المرأة.

ونستنتج أن وضع الفتاة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وتجربة الأم، يتدخل في تكوين مواقف المراهقات اللواتي، مع عدم رضاهن عن وضع المرأة، أجمعن على أن أوضاعهن في لبنان أفضل من الأوضاع السائدة في المنطقة العربية.

تتشابه مواقف المراهقات والمراهقين في المقابلات المصرية مع مواقف المستجوبين اللبنانيين، وتتميز بكونها أكثر ارتباطا بالواقع الاجتماعي الضاغط. وهو ما يمكن تفسيره باختلاف حجم السكان وطبيعة المشاكل وبتمايزات أخرى تجعل من المسافة بين المراهقة والمرأة، وبين المراهق والرجل في مصر أقصر مما هي عليه في لبنان، بحيث تبقى هواجس

بالسعي الهادئ والمتوافق مع العادات والتقاليد لتطورها التدريجي، فيما نجد بين المراهقين بعض المواقف الأكثر تشددا ورفضا للتغيير. المتغير الثالث هو اجتماعي - ثقافي ويكتسي أهمية خصوصا في حال اجتماع الانتماء المديني مع الانتماء إلى الفئات الوسطى، مع خصائص الانفتاح الثقافي الأسري وتجربة مساعدة الأهل. فيميل الموقف هنا إلى الدعوة المتسقة إلى التغيير والمساواة، بما فيها ظهور عناصر لوعي نظري لهذه الضرورة. أما المتغير الديني، فهو أيضا مؤثر في اتجاهين. الاتجاه الأول، عندما يكون الانتماء الديني عاملا مساعدا على التفاعل أو الانغلاق على الثقافة الحديثة أو التأويلات المتباينة للعادات والتقاليد والتراث، خصوصا ما يتعلق منها بالعلاقات الأسرية والموقف من المرأة. ويمكن رصد أثر هذا الاتجاه في البلدان المختلطة دينيا على غرار لبنان. أما الاتجاه الثاني، فهو يرتبط بالمراهقات والمراهقين المتأثرين أو المنظمين في إطار حركات دينية سياسية إذ يحملون في هذه الحالة قناعات ذات طابع ديني - إيديولوجي إزاء المرأة، أكثر من كونها قناعات ذات طابع ديني بالمعنى التقليدي وإن جرى تقديم هذه القناعات باعتبارها منسجمة أو معبرة عن التقاليد المحلية. ولكن ليس هناك على وجه العموم "نماذج نمطية" واضحة في هذا الاتجاه أو ذاك، عدا بعض الحالات الاستثنائية جدا.

في لبنان، يعتبر رفيق (18س) المنتمي إلى تنظيم سياسي ديني، "أن وضع المرأة الآن أفضل من ذي قبل وينقصها القليل كي تصبح مساوية للرجل. لذا أجد أن وضعها مقبول" ولا يظن أن "هناك ما يمكن عمله أكثر من ذلك". أما موقف بول فاليري (18س) المسيحي المتدين والمعارض سياسيا والذي يستعين في إجراء المقارنات بالمرجعية الأوروبية فـ" يجد أن المرأة مظلومة قليلا، يعني لم تحصل على الكثير من حقوقها وذلك مقارنة مع الخارج لجهة ما يمكن أن تقوم به وما لا تستطيع. في لبنان يبدو ذلك غير مقبول خصوصا بالنسبة إلى الزوجة. لذلك هي مظلومة. لكن ليس كثيرا فهي حصلت على أشياء".

على الرغم من الاستعانة الضمنية بمرجعيات ونماذج اجتماعية مختلفة ظاهريا على الأقل، فإن الموقف هنا في الحالتين متقارب، وينتمي إلى فئة المواقف الوسطية، رغم الالتزام الحزبي والانتماء الديني المختلف لكل من رفيق وبول فاليري. أما مصطفى (17س) المنتمي سياسيا أيضا والذي يشكل الدين بالنسبة إليه المرجعية السياسية والفكرية الأساسية، فهو أقرب إلى الفهم التقليدي المحافظ والأكثر تشددا إزاء المرأة. فمصطفى يتكلم عن المرأة بصيغة الوصي قليلا، ويجد أيضا أنها لم تحصل على حقوقها، ولكن على هذه المرأة "أن لا تبالغ في مطالبها. صحيح أنها تعمل وتساعد زوجها في تأمين المصروف، لكنها كذلك تقوم بأعمال "غير مليحة" (غير جيدة) خرجت عن حدها. هناك أعمال لا يجب أن تقوم بها". ويعترف مصطفى أن المرأة لا تحصل مثلا على وظيفة جيدة مقابل خبراتها، مع ذلك يرى أنه لا يوجد تمييز ضدها. أما المرأة التي خرجت عن حدها حسب رأيه، فهي التي تعمل "كثيرا خارج البيت أو التي ترتدي بطريقة غير لائقة". أما أشرف (18س) الناشط اليساري، فيتخذ موقفا أكثر عمقا ويرى أن المرأة "لا تزال تتعرض للاستغلال بشكل خاطئ في الكثير من المجتمعات. وفي لبنان حصل تحسن عما كان عليه الأمر في السابق، ولكن لا يزال أمامنا الكثير لنصبح في مستوى الغرب على مستوى الحقوق في مختلف المجالات. في رأيي المرأة والرجل متساويان، أي أن الحقوق التي تعطى للرجل يجب أن تعطى كلها للمرأة أيضا. لكن مجتمعنا لا يزال يتصرف على أساس العادات والتقاليد الموضوعة منذ ألف سنة، وهذا ما يقيد المرأة حتى لو لم يكن هناك تمييز في النص القانوني ضدها".

وبشكل عام، اعتبرت المراهقات والمراهقين في المغرب، أن التمييز بين المرأة والرجل ليس له أساس ديني، إلا فيما يتعلق بالإرث. وخرجت إيمان (15س) عن هذا السياق، فاعتبرت أن التفسيرات التي تعطى للدين هي التي تضيّق من حرية المرأة. و يعتبرهذا التضييق أمرا واقعا بغض النظر عن أسبابه. إذ يلاحظ رضوان (15س) أن "بعض الرجال يمنعون المرأة حتى من مجرد الخروج من المنزل". وتعزو ماجدة (17س) الثغرات والمعيقات التي تسبب تردي وضعية المرأة إلى المجتمع ككل، وتعتبرها أقل في النصوص القانونية، بل إنها تذهب إلى حد اعتبار أن أحد العوامل المساعدة على الحد من التمييز بين الجنسين تكمن في تطبيق القانون. أما إيمان، فهي ترى أن "تحسين وضع المرأة لا يتحقق إلا بتحسين شروط أخرى عامة في المجتمع ككل".

في المقابلات التونسية، كان هناك شبه إجماع على الطابع العام الايجابي للحقوق التي حصلت عليها المرأة في تونس. فحسب هناء (18س) أصبحت المرأة التونسية مساوية للرجل وقد فرضت حضورها. وهي تلعب دورا فاعلا في المجتمع. وتشاركها نائلة (18س) الرأي في اعتبار " أن النساء التونسيات ينعمن بوضعية جيدة". وكذلك جهاد (18س) الذي يؤكد أن "حقوق المرأة هي من المكتسبات الهامة والإيجابية. فقد تم تجاوز الوقت الذي كانت فيه المرأة تتعرض للضرب من قبل زوجها، ويطردها ويرميها في الشارع مع أولادها". وترى حنين (17س) أن الفضل في ذلك يعود إلى المرأة أيضا، "فالمرأة التونسية لم تعد أمية، بل هي متعلمة ويمكن الاتكال عليها، وأصبح لا غنى عنها لنجاح الرجل نفسه". مع ذلك تعتبر حنين (17س) أن النساء التونسيات لا يتمتعن بما يكفي من حرية التعبير إذ أن "الأمور الهامة والحساسة لا تزال في يد الرجال، فهناك كثير من الوزراء الرجال وقلة من النساء فقط ولكن الأمور تتحسن بالتدريج. السنة الماضية كان هناك فقط ثمانية فتيات في صف الرياضيات، هذه السنة هناك عشرون فتاة وعشرون فتى. هكذا تتقدم الأمور". وتقيّم المراهقات والمراهقون وضع المرأة الإيجابي في تونس أيضا انطلاقا من مقارنات مع البلدان الأخرى، ولا سيما البلدان العربية. وهم على هذا الأساس يعون الطابع النسبي لهذه المكاسب. وهو ما دفع فريدة (17س) إلى التعبير عن سرورها ورضاها لأنها تعيش في بلد تعتبر أنه بلد حديث ومتقدم، إلا أنها تطرح أحيانا على نفسها السؤال التالي "على الرغم من تعصب الأب وتسلطه في الأسرة التقليدية، ألم تكن الأسرة أفضل حالا ؟ ألم تكن أكثر تماسكا ؟ ألم تكن العلاقة بين الاخوة والأخوات أكثر قوة ؟"

ومقابل هذه الرأي الذي تبنّته أغلب المستجوبات والمستجوبين، كانت هناك قلة تقيّم وضع المرأة بشكل سلبي انطلاقا من رفض المرجعية الأوروبية. فأحمد (17س) يصف وضع المرأة التونسية "بالانحدار والعري وقلة الحياء". وهو بالتالي يزيح مركز الثقل في وضع المرأة من جانب الحقوق والدور الاجتماعي إلى الجانب السلوكي والأخلاقي، في إطار التعارض بين منظومتين قيميتين غربية وشرقية. وهو ما سنتناوله بالتحليل لاحقا.

أما في المقابلات الجزائرية، فقد بدت المواقف أكثر تباينا، وبدت شكوى المراهقات من الموقف الذكوري للمجتمع أو الأهل أو حتى الاخوة الذكور كبيرة جدا. وهو أمر يمكن تفسيره بالظروف الخاصة التي تمر بها الجزائر، وبالاستقطاب السياسي- الثقافي الحاد في المجتمع الذي يمر بوضعية تتميز بالعنف الداخلي وبالحضور المؤثر للتيارات المتطرفة في بعض المناطق والقطاعات. فترى مروى (18س) أن الفتاة في الجزائر تعيش في محيط "عدائي". وتضيف "إن الأباء

اتفقت المراهقات المصريات، باستثناء فاطمة (15س)، على أن هناك ظلما "بينا" واقعا على النساء. حتى نرمين (18س) التي دافعت عن تقسيم الأدوار بين الرجال والنساء، ترى أن المجتمع يظلم المرأة أكثر من الرجل، فتقول"الوضع وحش (سيئ) اليوم وغدا. كل الناس في بلدنا حقهم مهضوم، ولكن النساء أكثر من الرجال. والرجل الذي يتعرض للضغط خارج المنزل يمارس سلطته على زوجته داخل المنزل لأنه الراجل. حتى البنات داخل المنزل يتعرضن إلى قيود أكثر من الصبيان". وتعترض نهلة (15س) على صورة المرأة في وسائل الإعلام والتلفزيون خصوصا "أحيانا يقولون أمورا تجعلنا نشعر كأننا حيوانات وقصّر، وكأن أي رجل في الدنيا أحسن من أي امرأة. لا أعرف من أين يأتون بهذا الكلام، أكيد ليس من الدين. يأتون به من دماغهم". وتنتقد سهير (16س) نسبة الأمية العالية في صفوف النساء "والعادات والتقاليد التي تتحكم بالناس وتجعلهم يقدمون على تصرفات مضرة بالنساء، مثل ختان البنات وإقدام الأهل على قتل البنات في حال الشك في تصرفاتهن، وحرمان البنات من الخروج". وتربط حكمت (15س) بصورة أكثر وضوحا بين وضع المرأة الخاص والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية خصوصا في الريف "طبعا هناك ظلم يقع على النساء، وخصوصا النساء الفقيرات والنساء الريفيات. كثيرات لا يعرفن القراءة والكتابة، وكثيرات منهن فقيرات ويربين أولادهن وحدهن. إن الحياة صعبة بالنسبة للنساء أكثر مما للرجال".

أما آراء المراهقين المصريين، فاحتوت على مواقف أكثر تشددا حيال وضع المرأة. يقول بسام (17س) "وضع المرأة كويس، عادي، كما هو في أي بلد مسلم. الأمية مرتفعة قليلا ولكن هناك فصول لمحو الأمية. ومؤخرا صدر قانون الخلع. وهو أمر جيد بالنسبة للواتي يرغبن بالحصول على الطلاق". ويشاطره بهاء (15س) الرأي، في حين يصف آخرون وضع المرأة بالسيئ أو السيئ جدا كأمير (15س) الذي يرى أنهن لا يعاملن كبشر "بني آدمين". وتحمّل المراهقات والمراهقين كل من المرأة والرجل مسؤولية العمل على تغيير هذا الوضع، إذ أنهم يرون أنه من غير المقبول اعتبار كل الرجال "سيئين" وكل النساء "مظلومات".

ويتشابه الوضع في مصر مع الوضع في المغرب من حيث الحضور القوي للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية مثل الفقر والأمية وخصوصا في الريف، مع حضور أقوى لآثار التفاعل الاجتماعي والثقافي مع أوروبا. والجدير بالذكر أن المراهقات والمراهقين تنبهوا إلى ضرورة الابتعاد عن التبسيط والتعميم وأكدوا أنه على الرغم من حصول بعض التطور في المشاركة الاجتماعية والسياسية، إلا أن وضعية المرأة ما تزال في أغلب الأحيان دونية نظرا لتأخرها في مجال التعليم عن الرجال. واعتبروا أن الحقوق التي تتمتع بها المرأة غير مرضية وخاصة الحق في الطلاق. ونسجل في هذا الصدد أهمية متغير الحالة الاجتماعية -الاقتصادية ومتغير الوسط الذي تنتمي إليه المرأة. فالنساء الحضريات يتمتعن بامتيازات أكثر من النساء الريفيات. إذ تشير إكرام (18س، المغرب) إلى أن "النساء اللواتي يتوفر لديهن مظهر يدل على الرخاء كالتبرج واللباس الأنيق، هن محظوظات ويعاملن بشكل لائق في المصالح العمومية (الدوائر الرسمية)، فيما تعامل النساء الأخريات بشكل أكثر عدائية". أما في الريف فالأمر يختلف بين "من يبقين في منازلهن مهمشات، وبين اللواتي تفتحن قليلا".

تقول شذى (18س) "ما معنى أن يحرموا بناتهم من الدراسة والحصول على العلم ؟ أنا أعتبر أن العلم أهم شيء في حياة المرأة. بعض الآباء يزوجون بناتهم وهن صغيرات، وخصوصا لمن معه مال. يعني أنهم يبيعون بناتهم. أما في بعض الأسر، فالبنات مثل الرجال. ولكني أعتقد أن هناك مجالات ليست من اختصاص المرأة، فهي لا تنفع أن تكون رئيسة جمهورية، والمجال السياسي عموما ليس مناسبا للمرأة. أعتقد أن ما يناسب المرأة ككيان إسلامي وحسب ديننا، يجب أن يكون في مجالات خفيفة فقط. المرأة لا يمكن أن تكون عضوا في مجلس النواب. هذا غير مناسب، لأن المرأة إنسانة رقيقة وحساسة، وهذه الأعمال متعبة والرجل خلق لمثل هذه الأعمال". ويرى وحيد (15س) أن "المرأة مظلومة قليلا وليس لها دور في المجتمع بل كأنها محتقرة، وليس لها أهمية في اليمن". وتعتبر دعد (15س) أن وضع المرأة يختلف "بين المدينة والريف. في الريف تجلس البنت في البيت، ولا تدرس، وتتزوج في سن صغيرة جدا، أحيانا يكون عمرها 11 سنة ولا تفهم شيئا، ويقولون لها لا تخرجي، لا تعملي.. ولكن في المدينة بدأ الوعي يكبر". وكذلك يشير حسام (18س) إلى وضع المرأة الريفية، قائلا "في بعض المناطق الريفية هناك أشخاص يفهمون وأشخاص يعيشون في العصر الحجري". ويعتقد فخري (18س) أن "المرأة اليمنية لا تؤثر في المجتمع ولها حقوق قليلة وعليها واجبات وهي لا تستطيع أن تعمل مثل الرجل". ويضيف طه (17س) "في بلدي لا حقوق للنساء لأنهن جميعا رباة بيوت وبعضهن يعملن في المرافق الحكومية وليس لهن أي دور". إلا أن بعض المراهقات من مدينة عدن أشرن إلى تراجع الوضع الحالي عما كان عليه في السابق، حيث كانت المرأة تتبوأ مناصب مختلفة في القضاء والشرطة. وقد تقلص الآن عدد هذه الوظائف وألغيت مشاركة المرأة في القضاء. تقول جهينة (15س) "في السابق لاقت المرأة حقوقها، لكن الآن ليس الأمر كذلك. كان هناك محاميات وقاضيات كثيرات، الآن العدد أصبح أقل بكثير". وتطرح سليمة (18س) كيفية تغير نظرة المجتمع إلى عمل المرأة "قبل كان يمكن للحرمة أن تعمل. الآن أيضا تعمل ولكن في السابق كانت تعمل بحرية ولم تكن تتعرض لمضايقات وكانت تتمتع بثقة أهلها وزوجها وثقة الناس". أما هاني (17س)، فيفسر وضع المرأة غير المرضي في المجتمع بالتقاليد والعادات، يقول "إن دور النساء ضعيف جدا وقبل الإسلام لم يكن لهن صوت. والإسلام أعطاهن حقوقا ولكن ليس بالقدر نفسه الذي أعطاه للرجل. والمجتمع اليمني ذو عادات وتقاليد لا تسمح بخروج النساء لأن لا دور لهن". ويفسر فاروق (16س) بدوره وضع المرأة غير المرضي بأنه استجابة لأوامر الدين، فضلا عن كونه وضعا طبيعيا. وقد بدا واثقا جدا ورافضا لفكرة أن وضع المرأة غير مقبول "الأفضل أن تعمل المرأة في البيت كما قال عز وجل، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"[1].

## ج- المساواة

تناولت المقابلات مع المراهقات والمراهقين مواقفهم من المساواة بين الرجل والمرأة ومسألة التمييز بينهما، في سعي لاستكشاف قناعاتهم وتجاوز مجرد التعبير عن عدم الرضا على الوضع القائم، وللتعرف على ما يعتبرونه نماذج وسلوكيات مرغوب فيها. وفي هذا السياق، طرح عليهم سؤال يتعلق بالموقف من "القيم الغربية" التي يقصد بها النماذج السلوكية الأوروبية في العلاقة بين الجنسين، من حيث الخروج والحرية الجنسية والعلاقات الحرة خارج مؤسسة الزواج... وهو سؤال أفضى إلى أجوبة مختلفة، بالنظر إلى صيغة طرحه التي تستدرج المراهقة والمراهق للإفصاح عن مواقفهم الحقيقية من بعض المسائل الحساسة.

(1) سورة الأحزاب، الآية 33. والمخاطب في الآية هن زوجات الرسول (صلعم).

يعتبرون أن خروج الفتاة "عار" والأولاد يتمتعون بمزايا أكثر من تلك التي لدى الفتيات وعلى جميع الأصعدة. وتعتبر نادية (18س) "أن المرأة ليس لها أية حقوق لا في المنزل ولا في المدرسة. وسبب ذلك هو قانون الأسرة الذي لا يعطي أية حقوق للمرأة، وخصوصا حقها في الحصول على الطلاق بناء على طلبها".

يستنتج من مقابلات البحرين خاصية الوضع الازدواجي والوسطي لهذا البلد. فهو يجمع بين تطور اجتماعي وثقافي داخلي نسبي نتج عنه تطور في وضعية المرأة ودورها في المجتمع ساهمت فيه الحركات النسائية، وبين الانفتاح على المؤثرات الآتية من دول الخليج الأخرى حيث التصورات الاجتماعية ذات طابع تقليدي ومحافظ. فضلا عن حضور قوي للمؤثرات الدينية، وخصوصا التأكيد على البعد السلوكي في تطبيق الدين، ولا سيما في تصور بنية الأسرة ودورها وموقع المرأة. حنان وفوزي (18س) هما من الذين يعتبرون أن وضع المرأة سيئ في البحرين. فحنان التي طلقت بعد فترة وجيزة من زواجها ترى "أن وضع النساء سيئ جدا، خصوصا من ناحية التشريعات كالزواج والطلاق. فرغم أن المرأة تدرس وتصل إلى أعلى المراكز، فهي تظلم في النهاية". أما فوزي، فيصف وضع المرأة بالمأساوي. "المرأة حظها ملعون على المستوى السياسي والاجتماعي لأن القوانين جائرة جدا ومنحازة للرجل، الذي ينظر إلى المرأة باستصغار". ويزداد الإحساس بالظلم عندما تتم مقارنة هذه الأوضاع بتفوق المرأة في مجالات عدة كما في قول ليلى (17س) "نحن كإناث أفضل من الذكور في كل شيء، فنحن متفوقات من حيث الدراسة والإدراك والمراجعة". ولكن ثمة آراء وسطية أيضا بين إجابات مراهقي البحرين، مثل جاسم (18س) الذي يعتبر أن النساء "عندهم حرية من نوع ما، ولكن يظل هناك ظلم بحكم المجتمع وبحكم تقاليد الدين. ولكن طالما هذا الظلم لم يؤثر عليهن، وطالما يتعايش الجميع معه ويرضون به، فأنا شخصيا لا أرى مشكلة".

موقف جاسم (18س) يلفت النظر إلى نقطتين هامتين : الأولى هي أن "المشكلة"، حسب رأيه، تبدأ عندما تعي النساء حقوقهن ويشرعن في التحرك والضغط من أجل الحصول عليها، مما يؤدي إلى حصول اضطراب في النظام. وبالتالي لن تقع "المشكلة" إذا لم يكن هناك وعي بهذه الحقوق. والنقطة الثانية سلوكية وتتمثل في أنه لا مانع لدى البعض من الظلم اللاحق بالمرأة، ويمكن التغاضي عنه والتعايش معه طالما ليس هناك ما يرغمه على العكس.

وفي اليمن، المجتمع الأكثر تقليدية بين البلدان التي شملتها الدراسة، جاءت آراء المراهقات والمراهقين متعددة بتعدد المواقف والآراء التي عبرت عنها المستجوبات والمستجوبون في باقي البلدان. وعموما كان هناك إقرار بأن وضع المرأة غير مرضي في المجتمع اليمني، حيث اعتبر هؤلاء أن القيود المفروضة عليها شديدة جدا. وقد برزت بعض المشاكل الخاصة مثل الزواج المبكر والحرمان الواسع من الحق في التعليم، بالإضافة إلى التضييق على حرية الحركة والخروج. وبالتالي لا يمكن إغفال الطابع النسبي للمواقف. فما تعترض عليه مراهقات ومراهقي اليمن فيما يخص وضع المرأة، أو ما يوافقون عليه، يطال أحيانا بعض الحقوق الأساسية المعترف بها على نطاق واسع في بلدان عربية أخرى. كما تميزت إجابات المراهقات والمراهقين في اليمن بالحضور القوي للدين في تفسير وضع المرأة وحقوقها والموقف من العمل على تغييرها.

لم تظهر المقابلات اللبنانية أثرا حاسما للمتغير الديني في المواقف من المساواة بين الجنسين (ولبنان يشكل مثالا جيدا لاختبار فرضية أثر هذا المتغير في مواقف المراهقات والمراهقين باعتباره أكثر البلدان تنوعا من حيث التركيبة الدينية والطائفية). ويتعزز هذا الاستخلاص بالمواقف التي حملتها الإجابات في البلدان الأخرى، حيث نرى تعدد المواقف الموزعة على طرفي نقيض، على الرغم من وحدة الانتماء الديني. كما أنه لم يتبين وجود توزع منهجي ومتسق لوجهات النظر حسب متغير الجنس. حيث كانت المراهقات في معظم الأحيان متحفظات على المساواة المطلقة و"القيم الغربية" مثل المراهقين، خاصة فيما يتعلق بالمسائل والحقوق غير التقليدية منها المتعلقة بالأسرة والجنس.

وقد دافع عن المساواة بين الرجل والمرأة كل من أشرف (18س) اليساري وراني (16س) المديني اللذين تلقيا تربية تقليدية لكنها منفتحة على العالم الغربي واللذين يجمعهما انتماؤهما إلى فئة مثقفة عصرية. أما بول فاليري (18س)، فهو مع المساواة، لكن بشكل أقل بروزا. وهو ما يمكن تفسيره بانتمائه إلى أسرة مسيحية فقيرة متفتحة ولها علاقات فعلية مع العالم الغربي على نحو يؤثر في مواقفها تجاه هذه المواضيع، خلافا لرامي (15س) المسلم الذي أدى انتماؤه إلى طبقة شعبية إلى غياب أي حساسية تجاه هذا الأمر. كما برز موقف يمكن وصفه بالمحافظ والمتفتح في الوقت نفسه، عبر عنه رفيق (18س) المنتمي إلى حزب إسلامي. فهو يقول إنه ضد التمييز بين الفتيات والفتيان فيما يتعلق بالتعليم والمعاملة عامة، لكن ذلك لا يعني إعفاؤهن من كل "الأعمال المعتبرة نسائية" (ويعني بها شؤون المنزل مقارنة بالأعمال خارج المنزل والمعتبرة من اختصاص الرجال) فضلا عن ضرورة التزامهن بمعايير محددة مثل "عدم رفع الصوت أو الخروج من المنزل واللباس المحتشم".

أما المراهقات، فتوزعت آراؤهن كذلك بين موقف محافظ يستبطن التمييز بشكل تام، وآخر يؤيد المساواة بين الجنسين. وقد ظهر الموقف الأول عند المنتميات إلى الفئة التي يجتمع فيها عاملا الفقر والوسط الريفي، على غرار تالة (17س) المنتمية إلى بيئة شيعية محافظة والتي ترى في الرقابة تعبيرا عن رعاية وعناية. وموقف تالة شبيه بموقف نسرين (17س) المسيحية الريفية التي تستبطن فكرة التمييز تجاه المرأة. ونستنتج هنا أن العامل الديني لم يبرز كعامل حاسم في اختلاف الموقف تجاه هذه المسألة.

وبرزت مواقف لمراهقات يؤيدن المساواة بين الجنسين مثل ساره (16س) وريا (18س)، بما يقودنا إلى إستنتاج أن عامل الانتماء إلى المدينة قد يمكنهن من المقارنة بين وضعيتي كل من الرجل والمرأة والاعتراض على مظاهر التمييز أكثر مما يتيحه الانتماء إلى الوسط الريفي.

والملفت للانتباه في المواقف المعبر عنها، هو أن المراهقات والمراهقين عموما يتخذون مواقف متفهمة لواقع مجتمعاتهم، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتحويل القناعات إلى ممارسات وسلوكات. ولا يعبر ذلك عن ازدواجية أو نفاق، بقدر ما يعبر عن نوع من الوعي بأن الأفكار والقناعات تسبق أحيانا الواقع، وبأن عامل الوقت مهم. ذلك أن تحوّل المجتمع وتطوّر الوعي هو عملية متدرجة كي لا يتسبب الإنسان لنفسه ولغيره في الأذى في حال استبق في سلوكه قدرة المجتمع أو الوسط المحيط على تقبل هذا السلوك. فأشرف (18س، لبنان) اليساري الذي يؤمن

بشكل عام كانت هناك بعض الآراء الراديكالية في الاتجاهين، التحرر والتشدد. ولكن الغلبة كانت للآراء الوسطية، أو بالأصح للآراء التي تجمع بين "الواقعية" وتصورات "مثالية" في أذهان المراهقات والمراهقين لما يجب أن تكون عليه الأمور. ولم يظهر أن هذا الرأي الوسطي يأتي من باب الانصياع القسري للعادات والتقاليد السائدة، بل احتوى على مواقف تعبر عن عقلانية وعن اقتناع بأن التطور الاجتماعي هو مسار تاريخي لا يمكن اختزاله في الرغبات الفورية. كما عبرت الإجابات عن مواقف عملية (براغماتية)، تأخذ بعين الاعتبار المشكلات والصعوبات الواقعية التي يمكن أن تتعرض لها المراهقات والمراهقون، خصوصا نتيجة اعتمادهم سلوكيات مخالفة أو متقدمة على ما هو سائد.

ورغم أن إجابات أغلب المراهقات والمراهقين وصفت وضع المرأة في البلدان العربية بأنه غير مرضي، فإن ذلك لا يعني أن الاقتناع بالمساواة بين الرجل والمرأة هو على المستوى نفسه من الانتشار. وتوجد قناعة غالبة بأن ثمة حدودا للمساواة، أو بأن هذه الأخيرة نسبية ولا تشمل ما تعتبره المراهقات كما المراهقون اختصاصا أو توزيعا بديهيا للأدوار. وبقدر ما يكون مطلب المساواة يتعلق بالحقوق الأساسية كالتعليم والرعاية الصحية والحق في البقاء... فإنه يكون مقبولا على نطاق واسع نسبيا، مقارنة بالنوع الثاني من الحقوق المتعلقة بالحق في العمل والمشاركة السياسية أو الثالث المتصل بالأسرة والأحوال الشخصية والعلاقات الجنسية. وتمثل هذه النوعية الأخيرة من الحقوق موضوعا خلافيا وتتحول المساواة ضمنها إلى مسألة مرفوضة أو أن حظوظ قبولها قليلة. ويمكن تصنيف حقوق المرأة والرجل حسب عدة مستويات:

- الصنف الأول هو ما يمكن اعتباره حقوقا "أساسية" أي حقها في التعليم (الأساسي على الأقل) والرعاية الصحية وإنتشالها من الفقر والعوز وتوفير الأمن الشخصي ورفض العنف... ويتبلور عموما إزاء هذه الحقوق الأساسية موقف إيجابي عند الذكور والإناث، الريفيين والمدنيين، أنصار الحداثة وأنصار التقليد. والاختلاف هنا لا يعدو أن يكون خلافا في الدرجة (قبول بالتعليم الأساسي وليس بالتعليم العالي على سبيل المثال).

- الصنف الثاني يتجاوز دائرة الحقوق الأساسية المجمع عليها ليطال تلك المتعلقة بالحق في العمل والمشاركة السياسية وفي الحياة العامة. وهنا نجد بداية اختلافات حسب المتغيرات المشار إليها سابقا، مع إمكانية حصول تداخل في المواقف والآراء. لكن الهوة بين المواقف تبقى أقل مما هي عليه في الصنف الثالث.

- الصنف الثالث يتعلق بالدائرة الخاصة، أي دائرة الأسرة والعلاقة بين الرجال والنساء في المسؤوليات الأسرية والعلاقات الجنسية والأحوال الشخصية. وتصبح المواقف هنا أقرب إلى الموقف المحافظ مقارنة بالمستويين السابقين. أما المواقف الراديكالية فتصبح أكثر حدة، سواء من حيث التناقض والتعارض مع الموقف السائد، أو من حيث التشدد المفرط. كما أن المواقف الراديكالية الداعية إلى المساواة تصبح هنا معبرة عن خيارات فردية محدودة الانتشار ومتولدة عن مركب اجتماعي ثقافي مستند غالبا إلى خصوصية التجربة الفردية أو الأسرية. ومع ذلك، فإن الموقف الطاغي يلحظ الاختلاف الواقعي بين مجتمعاتنا ومجتمعات الغرب، خاصة فيما يتعلق بالقدرة على ممارسة القناعات بحريّة.

أما سهير (16س)، فهي تقبلت فكرة التصنيف غرب - شرق واتخذت موقفا دفاعيا إزاء ما تعتبره غريبا عن مجتمعاتنا. وتعبر عن موقفها "نحن لا نحتاج إلى مفاهيم من الخارج لكي نعرف كيف نعيش. نحن لدينا عادات وتقاليد فيها الجيد الذي يجب أن نحافظ عليه وفيها قسم آخر مما يجب أن يتغير قليلا. ولكن لا ينفع أن نقلد الخارج، كل بلد لها ظروفها الخاصة". كما تعتبر هدى (18س) أن العالم الآخر "عالم تاني مختلف عنا. نحن مسلمون، وهذا الكلام لا ينفع عندنا". ويرى عبد الله (17س) وفاروق (18س) "إمكانية اختيار ما يناسبنا من هذه القيم والسلوكيات ورفض ما لا يناسبنا بغض النظر عن مصدره، وما علينا في سبيل ذلك إلا استخدام عقلنا".

## نهلة : هل قيس وليلى أوروبيان ؟

**إطار 21.2**

"الحب والمساواة حاجة كويسة ومش عارفه ليه بيقولوا عليها غربية. ما احنا عندنا قيس وليلى وحسن ونعيمة ودي كلها حكايات حب ومش من بره. العلاقة الحرة دي طبعا مشكلة ومتهيألي انها مش صح لأن الولد لو نيته سليمة يخطب البنت ويتجوزوا وخلاص.. إنما ساعات الأولاد بيقولوا الكلام الكبير ده علشان يضحكوا على عقل البنات. الطلاق.. الطلاق حاجة تخوف بس ساعات بتبقى ضروري. أنا مش عارفه مثلا كان بقى أحسن لو أبويا وأمي إتطلقوا ولا فضلوا زي ما هم كده مع بعض ما حدش بيكلم حد. أبغض الحلال مش كده ؟"

معظم المستجوبات والمستجوبين في اليمن كان لديهم موقف يتجاوز التحفظ إلى رفض فكرة المساواة بين المرأة والرجل وما يعتبرونه عادات وسلوكيات غربية لا تنسجم مع "ديننا ومع تقاليدنا". إذ تختلط العوامل الاجتماعية الخاصة بمجتمع لا تزال فيه الانتماءات القبلية تلعب دورا أساسيا في حياة الناس، مع الفهم التقليدي السائد للدين، في تحديد نظرة كل من المراهقات والمراهقين على حد سواء إلى المسائل المثارة. فتبادل المشاعر وإقامة العلاقات بين النساء والرجال يجب أن يكون في حدود مؤسسة الزواج فقط، ولا يمكن التفكير في نمط آخر من العلاقات. تؤكد شذى (18س) " العلاقات الحرة،، هذا أسلوب ليس في الفكر (غير وارد) إنه أسلوب غلط". أن تعيش امرأة مع رجل بدون زواج، حتى لو كان ابن عمها أو ابن خالها، هذا أمر غير وارد أبدا". أما وحيد (15س) فيرى أن "خروج الولد مع البنت بدون زواج يؤدي إلى حصول أمور بينهم فيها سمعة سيئة، فيها عار، وأنا لا أفضل ذلك". ويضيف حسام (18س) "في اليمن المجتمع فيه تخلف، ولو خرجت البنت، حتى لو كانت محترمة ولو كلمت شخصا وقالت له السلام عليكم فقط، يقولون إنها قليلة الأدب. لذلك أن تجلس البنت متحفظة أفضل لها".

وذلك ليس حال جميع الفتيات في اليمن، فوعد (17س) تقول "إن بنات المسؤولين متحررات بشكل فظيع، يذهبن إلى النوادي، ويتأخرن ليلا، ولا أحد يحاسبهن. ربما غياب الأهل هو الذي يساعد على ذلك". كما ترى وحي (15س) "أن بعض الأسر مثقفة وتساوي بين الشباب والشابات. طبعا أنا مع المساواة، ولكن أنا ضد خروج البنت من عند أهلها عندما تبلغ 18 سنة. أنا مع المساواة بين المرأة والرجل في مشاركته في العمل وفي الإدلاء بصوتها، ولكن ضمن حدود".

بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، لا يوافق على فكرة المساكنة لأنها تشكل في رأيه استغلالا للمرأة من قبل الرجل نظرا إلى الآثار المختلفة التي تخلفها المساكنة في كل من الرجل والمرأة في مجتمعاتنا. وهو يعتقد أنه في حال حصل تغير اجتماعي وتحوّل في الوعي، وفي حال حصول المرأة على جميع حقوقها، قد يصبح تصرفها حينذاك أكثر حرية. أما رفيف (17س، لبنان) التي تتخذ موقفا رافضا للزواج، تقر في الوقت نفسه أنها ستتزوج لا محالة "ففي لبنان نفعل ذلك من أجل الأولاد، ذلك أن إقامة علاقة جنسية خارج إطار الزواج هو أمر مزعج". كما تعبّر مواطنتها ريا (18س) عن المثال الأكثر تحررا إزاء المسائل الجنسية، إلا أنها ترى أن الفتاة يمكن أن تمارس هذا الحق أو هذه الحرية، ولكن "ضمن حدود".

والحدود تعد نسبية. فما هو مقبول أو مرغوب فيه بالنسبة إلى البعض، هو خارج نطاق التفكير بالنسبة إلى البعض الآخر. وإذا كان أصحاب الآراء الأكثر ميلا إلى الحرية الجنسية هم عموما من فئات وسطى وينتمون إلى بيئات مدينية، وتتميز أسرهم أو يتميزون هم بنوع من الانفتاح الثقافي، فمن ضمن المستجوبين من لم يسمع بالمساواة ولا يعرف عنها شيئا.

ولكن عندما تتمظهر الدعوة إلى المساواة في مجموعة من المفاهيم والسلوكيات التي ترتبط في الفهم السائد بالمجتمعات الغربية، أو بالثقافة الغربية خصوصا، فإن الموقف من هذه النماذج الملموسة يصبح بدوره أكثر تحديدا. وساعد السؤال المطروح : ما رأيكم في المفاهيم الغربية ؟ المتحدث على أن يضع نفسه على مسافة كافية لمحاولة تفسير موقفه منها. كما يدفعه، ربما رغما عنه، إلى إجراء مقارنة بين هذه المفاهيم وبين نقيضها المفترض أي "المفاهيم الشرقية". هكذا اعترضت دعد (17س، لبنان) بلهجة فيها الكثير من الاعتداد بالنفس، فهي مع المساواة بين الجنسين وترفض أن تجعل من هذه الأفكار مستوردة "ولكن من قال إنها أفكار غربية ؟ لماذا نأخذها من الغرب ؟ نحن نعرف بأنفسنا ضرورة المساواة بين الجنسين، ومن الطبيعي أن يكون الأمر كذلك، وهذا ليس شيئا نتعلمه من الغرب". وعبّر مواطنها راني (16س) عن رفضه فكرة استيراد كل شيء بنزعة نقدية "ربما تحصل عندهم هذه السلوكيات بسبب مستوى الانفتاح في مجتمعهم، ولكن نحن في الشرق نقلدهم في الأمور الغلط. نأخذ الرديء ونهمل ما هو جيد". ولا تؤمن رفيف (17س، لبنان) بوجود شرق وغرب، بل هناك أفراد ولكل واحد تفكيره الخاص.

وعلى هذا الصعيد، تضمنت إجابات بعض المراهقات والمراهقين المصريين الاعتراض نفسه على التصنيف شرق- غرب. تقول سالي (16س) "على فكرة الحاجات دي مش غربية ولا حاجة. حتى هنا في مصر فيه ناس عايشه كده عادي مع أنها مصرية خالص يعني لا الأم ولا الأب أجنبي.. شوفي الفرق مثلا بين القاهرة والريف.. فرق كبير.. جايز أكبر من الفرق بين القاهرة وأوروبا. هو الفرق أن هناك الحاجات دي بتتعمل بحرية وهنا لأ وعلشان كده هنا الناس بتقول إنها وحشة لأنهم لو بطلوا يقولوا إنها وحشة الناس هتعملها في النور". وكذلك اعترضت يارا (15س) على اعتبار تلك القيم غربية "ساعات باشوف أنها حلوة زي الصداقة بين الأولاد والبنات مثلا بس الناس بتقول إنها حاجات غربية وأنا مش شايفه ليه تكون غربية وبس إذا كانت حاجات حلوة. كمان الطلاق مش غربي ولا حاجة. فيه عدد من أصحابي أهلهم متطلقين وهم مش غربيين بالمرة". ونفى محمد (17س) أيضا عن تلك المفاهيم صفة "الغربية" واعتبرها مفاهيم "إنسانية ولازم نتعامل بحرية عموما مالهاش علاقة بغرب أو شرق".

والممارسة الاجتماعية "نموذج المملكة العربية السعودية، لأن الانحلال الأخلاقي أصبح منتشرا في المغرب". وإذ تدعو إكرام إلى الابتعاد عن هذه السلوكيات في خطابها، إلا أنها لا تتردد في الجلوس في المقاهي متبعة سلوكا قد يبدو غير منسجم تماما مع خطابها. ويتفق ذلك مع ما تمت الإشارة إليه في سياق هذا التقرير من صعوبة إيجاد تصورات مكتملة ومواقف وممارسات على درجة عالية من الاتساق لدى المراهقات والمراهقين.

أما غالية (17س، الجزائر) فتؤكد على الاختلاف بين المجتمع الجزائري والمجتمع الأوروبي. ونلاحظ في كلامها قوة حضور المرجعية الدينية "أجد أن العلاقات بين الصبيان والبنات أمر طبيعي، ولكن لا بد من حدود. فلا يمكن أن تكون هناك علاقات جنسية لأن ذلك غير مسموح حسب ديننا، كما أنه لا يمكن القيام بذلك في عمرنا. حسنا.. في فرنسا قد يكون سن الخامسة عشرة كافيا لبدء علاقة جنسية، ولكن عندنا يجب أن تكون العلاقة الجنسية في إطار الزواج، بكل دقة وبكل وضوح". ومثلت هذه المواقف مزيجا من القناعة والحذر، كما عبرت عنه مواطنتها نادية (18س)، فقد قالت لها أمها إن "الصداقة بين الفتاة والشاب مستحيلة. حتى وإن بدأ الأمر بصداقة، فالحال سيتبدل مع الوقت. بالنسبة للشاب، هناك دائما شيء ما يعجبه في الفتاة، وبالتالي بعد سنتين أو ثلاثة سيتغير الأمر". وهذا التغير غير متاح في مجتمعاتنا، لأنه قد يتحول إلى "خطيئة" حسب إيناس (17س، الجزائر) خصوصا بالنسبة إلى الفتاة. وفي ذلك اختلاف كبير عما هو عليه الأمر في المجتمعات الأوروبية، حيث تطور العلاقة في اتجاهات مختلفة متاح بحرية أكبر.

وجاء في المقابلات التونسية تأكيد على أن النظرة إلى المرأة تتجاوز بشكل واضح الجانب التشريعي لتطال مستويات متعددة من منظومة القيم في المجتمع. إن معظم المقابلات مع المراهقات والمراهقين في تونس أجمعت على تقييم الوضع القانوني والواقعي للمرأة بشكل إيجابي، ولكن التقييم يختلف عندما يتعلق الأمر بأفكار المساواة الكاملة، أو بتصور نموذج مستقبلي للتنظيم الاجتماعي وموقع المرأة في إطاره. يقول أحمد (17س) "المساواة بين المرأة والرجل لا يمكن تعميمها على كل الأمور. فإذا كان توفر الفرص نفسها للبنات والأولاد في مجالات الدراسة والعمل، فإن النساء لا يجب أن يكن مساويات للرجال في خروجهم ليلا وفي اللهو الذي يمارسونه". وتتساءل وعود (15س) حول ضرورة المساواة نفسها من حيث المبدأ "إن المساواة بين الجنسين أمر غير قابل للاستمرار، لأنه لا بد للمرأة أو للرجل أن يتخلى عن السلطة للآخر. إنها نوع من الغريزة. أنا لا أوافق على ما قامت به بعض البلدان التي سمحت للأم أن تعطي إسم عائلتها للولد. والمساواة ليست مسألة كلمات فقط، في البلدان العربية الرجال يحترمون نساءهم أكثر من البلدان الغربية، كما في الولايات المتحدة الأميركية حيث نصف الرجال يضربون نساءهم. صحيح أن أمورا كثيرة تحصل في البلدان العربية، ولكن الأزواج يحترمون نساءهم عموما، ولا يسمحون أن ينقصهن أي شيء". وتفسر وجهة نظرها هذه بالخصوصية العربية وبمبادئ الإسلام.

وعلى الرغم من تقييم نائلة (18س) الإيجابي للتقدم الحاصل في وضع المرأة في تونس وترحيبها به، إلا أنها تعتقد أنه فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين، "لدينا تقاليد وعادات مختلفة عن المجتمعات الغربية. إن عاداتنا أفضل من عاداتهم، ولكن فيما يتعلق بالعلاقات

وفيما يتصل بالاستقلال عن الأسرة عند بلوغ سن الرشد، تجدر الإشارة إلى أن هذه المسألة لم تطرح كخيار فعلي للمراهقات والمراهقين في كل البلدان، وفي كل الفئات اجتماعية دون استثناء. خلافا لما كان عليه الوضع في عقود سابقة، حيث كانت فكرة الاستقلال عن الأسرة هي فكرة محورية في ذهنية التمرد والرفض عند المراهقين والشباب. أما رأي عثمان (18س، اليمن)، فهو الأكثر وضوحا في ربط الموقف من المرأة بالدين الإسلامي إذ يقول صراحة ودون مواربة "..كما قال الله عز وجل، الرجال قوامون على النساء. الرجل متصف بالقوة والمرأة متصفة بالضعف، فلهذا قال الله عز وجل هذه الآية.. والأفضل للنساء أن يعملن في المنازل.. ولا دور لهن في المجتمع إلا عند الزواج".

ونجد هذا الفهم للدين المعلن عنه صراحة في رأي عثمان، بشكل قوي في عدد آخر من المواقف. بل إن الدين يشكل المرجعية الأساسية الصريحة أو الضمنية، عندما يتعلق الأمر بالموقف من المساواة بين المرأة والرجل، حتى إن اختلفت بعض الجوانب بين بلد وآخر، بحكم اختلاف الأسئلة الواقعية التي تطرحها المراهقات والمراهقون في محاولة منهم لفهم الواقع والسلوكيات التي يتبعونها للتعامل مع ما يواجهونه بشكل ملموس.

وتشكل الحالة المغربية مثالا لهذا التعايش بين الحضور الضمني للعامل الديني على مستوى المفاهيم والآراء، باعتباره التجلي الأكثر أهمية للثقافة السائدة فيما يخص الموقف من المرأة، وبين السلوكيات البراغماتية التي تحاول أن تصوغ تسويات بين ما يعلن عنه من قناعات وبين السلوك الممارس. فخديجة (18س) تعتبر أن العلاقة الجنسية قبل الزواج، حتى بينها وبين خطيبها، هي بمثابة تنازلات تقدمها له وبمثابة "طعم" لا بد منه من أجل الحفاظ على الخطيب وعدم خسارته في حال التمنع الكامل. ولكن لا يمكن أن يحصل على كل شيء قبل الزواج "الآن يملك ربعي وبعد الخطبة نصفي وبعد الزواج يملكني كلي". وإن نمّت إجابة خديجة عن قدر كبير من الصراحة والجرأة في التعبير عن هذه المساومة، فإن هذه المسألة تواجه المراهقات على وجه التحديد في كل البلدان، وإن لم يصرحن بذلك، أو صرحن به بشكل غير مباشر. ومن الأمثلة على ذلك، الإجابات المختلفة التي ميزت بين الصداقة والعلاقة الغرامية وعبرت عن القلق من تحول الأولى إلى الثانية على نحو يهدد بخسارة الصديق، أو الإجابات التي كررت التشديد على الضوابط والحدود بين ما هو مسموح وما هو ممنوع في العلاقة بين الفتيات والفتيان.

والتصريح في المقابلات المغربية بوجود علاقات جنسية حرة في المجتمع خارج الزواج كان واضحا. ولا يتردد البعض في البوح بأن الأمر يتعلق هنا بممارسات معتادة في أوساط المراهقات والمراهقين. ورغم أن الأغلبية تعتبر أن العلاقات الجنسية لا بد أن تمارس في إطار واحد هو الزواج، فالأمر في الواقع هو خلاف ذلك. وعندما تتعلق المسألة بالموقف من نمط العيش الغربي، يتناقض اعتراف المراهقات والمراهقين مع المبادئ الإسلامية. ويتم الالتفاف حول هذا التناقض في حال وجود هامش أكبر من الحرية المتاحة على صعيد الممارسات الفردية، دون أن يقود ذلك إلى رفع هذه الممارسات إلى مستوى السلوك أو الموقف العام المعترف به، أو المقبول اجتماعيا. وتنفرد إكرام (18س) بموقف راديكالي مخالف للازدواجية المشار إليها في مواقف المراهقات والمراهقين المغربيين. فهي تتمنى أن يتبع المغرب في نمط الحياة

المراهقين المتدينين اعتبارات الالتزام بالأوامر الدينية الناهية وتحريم السفور باعتباره أمرا مرفوضا بشكل قطعي وصولا إلى ضرورة فرض ارتداء الحجاب. وهنا أيضا يبدو الانتماء المديني/الريفي، والاجتماعي/الثقافي، متغيرين مساعدين في تفسير ومساندة الموقف المؤيد أو الرافض والذي سبقت الإشارة إلى أن العامل الديني يلعب فيه الدور الأكثر أهمية.

وتشكل الإجابات التي تضمنتها المقابلات المصرية واليمنية أمثلة أكثر غنى من البلدان الأخرى في تناول مسألة الحجاب نظرا إلى تمازج البعد الديني بالبعد الاجتماعي والتقاليد الموروثة خارج المفهوم الديني البحت. مما يعكس وجود تنويعات مختلفة تتراوح بين الطرحة التقليدية في مصر واللثمة اليمنية من جهة، وما اصطلح على تسميته "بالحجاب الشرعي" من جهة أخرى. بحيث تسمح لنا دراسة الحالتين المصرية واليمنية بالتعرف على الاحتمالات المتعددة للموقف من ارتداء الحجاب أو عدم ارتدائه، بالإضافة إلى اختلاف دلالة ارتداء "الحجاب الشرعي" والحجاب التقليدي مع دلالات كل من الممارستين.

### مصـــــر: الحجـــاب أمس واليـــوم

في عينة المراهقات المصريات، كان رأي من يعتبرن أن الحجاب مسألة خيار شخصي، بمن فيهن المرتديات للحجاب، غالبا. واعتبرت قلة منهن أنه فرض يجب الالتزام به. وفي بعض الأجوبة، بدا وكأن ظاهرة تحجب المراهقات والشابات قد طرأ عليها بعض التغيير بين الأمس واليوم، وخلافا لما هو متوقع عادة. ففي العقود السابقة اتخذ التحجب طابعا مختلفا إذ كان نابعا من عادات اجتماعية، ولم يكن له الطابع الديني - السياسي أو الثقافي- الايديولوجي كما هو الحال بالنسبة إلى جيل الشباب الجديد. وبدا أيضا أن المراهقات غير المحجبات يتعرض إلى ضغط من أقرانهن في المدرسة أو في مكان السكن من أجل ارتداء الحجاب. كما أن ضغط الصديق أو الخطيب عليهن في هذا الصدد أقوى من ضغط الأهل. وهذا تحول لافت في السلوك بين جيل الآباء والأبناء، يشير بدوره إلى انزياح مركز الثقل في التأثير على سلوك المراهقات في مسألة ارتداء الحجاب، من الأسرة إلى خارجها وتحديدا إلى دائرة المؤسسات الدينية والحركات الدينية السياسية. كما يشير هذا التحول إلى تأثير وسائل الإعلام من خلال البرامج الدينية وبروز عدد غير قليل من الدعاة الإسلاميين الذين يستخدمون القنوات التلفزيونية المحلية والفضائية التي تشكل قناة اتصال وتأثير مباشر على المراهقات والمراهقين تخترق مجال الأسرة وتتجاوز تأثير الأهل. تصرح نهلة (15س) "أمي تقول إن الوضع عندما كانت صغيرة لم يكن كما هو الآن بالنسبة لارتداء الحجاب. البنات الصغار لم يكن يضعنه. فقط السيدات الكبار من الفلاحات كن يلبسن "الطرحة السوداء". وجدي لم يطلب من أمي أبدا أن تقوم بذلك. "الإخوان المسلمون" هم الذين يريدون أن تتحجب البنات. والبنات يخفن. أحيانا الأهل يضغطون، أحيانا الخطيب أو البنات الأخريات في المدرسة، فتفضل البنت التخلص من الإلحاح. أنا مثلا، بنات كثيرات يقلن لي إنه علي أن أتحجب، ويعطوني كتبا، ولكنني لن أفعل. هن حرات، وأنا أيضا". وتؤكد عزيزة (17س) "إنها المسألة حرية شخصية. أنا لا أحب ارتداء الحجاب رغم أن أختي محجبة. هي حرة، وإحنا أصحاب حتى بعد ما لبست الحجاب، ورغم أننا لا نتفق في أمور كثيرة، إلا أننا نتحادث في كل الأمور. ولكن أنا غير موافقة على مسألة الحجاب هذه، وأعتقد أن الدين لم يقل بذلك. وحسب ما أسمع من أهلي إن الحجاب الرائج اليوم، لم يكن أيامهم. لكنها مسألة حرية فردية، لا يجب منعه، ولا يجب فرضه".

الجنسية والحب الأمور عندهم أفضل". وتحيل أقوال نائلة إلى موقف لا يخلو من التناقض يعبر عن الارتباك والتداخل في وعي المراهقات والمراهقين الذي يتكرر في كل المقابلات. ومع ذلك تفلت قلة، ولو بشكل نسبي، من الخيارات الملتبسة، على غرار فتحية (16س، تونس) التي انفردت في موقفها عن المستجوبات والمستجوبين التونسيين بتبنيها لمبدأ المساواة غير المشروطة بين الرجال والنساء في كل المجالات. أما الآخرون، فهم مقتنعون بوجود خصوصية غير قابلة للتفاوض. ويعبرون عن القلق إزاء عدم احترام بعض الممنوعات انطلاقا من فهم معين للحرية. وفي مقارنة بين المثال التونسي والمثال اللبناني، يبدو القانون والتشريع أكثر تقدما من الفهم السائد لقيم المساواة بين النساء والرجال في المجتمع التونسي، خصوصا في المجالات التي تندرج ضمن الصنف الثالث من الحقوق أي مجال الأسرة والعلاقات بين الجنسين والسلوكيات الشخصية. في حين أن الوضع معاكس في لبنان حيث لا تتماشى القوانين والتشريعات مع درجة تحرر المجتمع.

## د- الحجـــــــاب

تشكل مسألة ارتداء الحجاب الجسر الذي يربط مباشرة التقاليد والسلوكيات الاجتماعية بالدين، الذي يكاد يشكل المرجع الوحيد للموقف القابل لارتداء الحجاب أو الرافض له. ويفلت من هذه المرجعية الموقف الذي ينظر إلى هذه المسألة باعتبارها خيارا شخصيا نابعا من احترام الإنسان. وهو موقف يشبه في الظاهر الموقف المرن والمتسامح إزاء ارتداء الحجاب من منطلقات تقليدية، والذي لا يتضمن بالضرورة الاعتراف الكامل بحرية الخيارات الفردية.

هناك ميل عام لدى المراهقات والمراهقين، إما إلى الاحتشام ومراعاة التقاليد العامة فيما يخص المظهر، أو إلى التحايل من خلال تكييف نوع اللباس ودرجة الاحتشام حسب وجود المراهقة و المراهق في مكان قريب من الأسرة أو بعيدا عنها. ويسهل ذلك على المراهقات والمراهقين الذين ينتقلون من القرية إلى المدينة للعمل أو الدراسة، أو بين مكان السكن ومكان العمل، أو بين أمكنة يتواجد فيها أقرباء وجيران ومعارف وأخرى لا يتواجدون فيها. ولكن هناك دائما حدود تضعها المراهقات والمراهقين للباسهم، تتفاوت بشكل ملموس بين حالة وأخرى. ومع أن فكرة المظهر اللائق الموحي بالاحترام والجدية، هي الغالبة خصوصا بالنسبة إلى المراهقات، إلا أن ارتداء الحجاب يشكل حالة أكثر "تطرفا" من الاحتشام العادي. فهي ترتبط في السلوكيات الحالية بما يشبه حالة إشهار للهوية التي يمتزج فيها البعد الوطني- القومي، بالبعد الديني، بالبعد السياسي، وتمتزج فيها القناعات الشخصية العميقة، بمجاراة المناخ السائد، وبتحدي ما يعتبر تهديدا داخليا أو خارجيا للهوية. والحجاب بهذا المعنى أسلوب لإثبات الذات يتخذ طابع ذوبان الشخصية الفردية في الشخصية الجماعية، مما يمنح شعورا بالانتماء والقوة والطمأنينة.

تدور غالبية المواقف المعبر عنها في المقابلات في المغرب وتونس ولبنان بشكل واضح حول أحد الموقفين التاليين: إما اعتبار ارتداء الحجاب مسألة شخصية، أو الميل إلى عدم الموافقة المقترن بحرية الاختيار. أما في الجزائر والبحرين ومصر، فإن التوازن بين التأييد والتحفظ أكثر تقاربا مع تدخل الخيارات الشخصية. ويرجح الموقف في المقابلات اليمنية لصالح ارتداء الحجاب استنادا إلى مجموعة من الاعتبارات: أحدها أكثر حضورا لدى المراهقات ويشمل اعتبارات الاحتشام والاحترام والالتزام "الطوعي" بتوجهات الدين الإسلامي، في حين تبرز بشكل خاص لدى

تبرز هنا معالم مسار متدرج. إذ منذ عقود كان التحجب تعبيرا عن سلوك اجتماعي مطبوع بقيم تقليدية، وهو لذلك متبع في أوساط ريفية وشعبية مسلمة ومسيحية. ثم تنامى البعد الديني، فالسياسي، فالثقافي، تحت مؤثرات داخلية وبالتفاعل مع مؤثر العولمة، فبات الحجاب علامة مميزة لإشهار الإسلام ببعده السياسي في الداخل، وببعده الثقافي كتعبير عن هوية خاصة في مواجهة الخارج. وعلى هذا الأساس، يجب تفسير تلازم توسع ظاهرة ارتداء الحجاب في السنوات الأخيرة مع العولمة، والتحولات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات العربية، وتنامي الميول الاستهلاكية وانتشار وسائل الإعلام الوطنية والفضائية على نطاق واسع. ويضيء المثال اليمني بعض الجوانب الإضافية في هذا المجال.

## اليمـــن : من اللثمـــة إلى الحجـــاب الشـــرعي

في مصر، يقصد بالحجاب اللباس الذي يخفي كامل الجسم، ما عدا الوجه والكفين، مع الإشارة إلى الطرحة التقليدية التي كانت سائدة في الريف المصري. ولكن في الحالة اليمنية، يتجلى التحول الذي أشرنا إليه من البعد الاجتماعي إلى البعد الديني - السياسي، بشكل مادي في التحول الذي طرأ على شكل اللباس نفسه من شرشف إلى لثمة (نقاب) إلى حجاب "شرعي". كما يبرز حضور السند الديني في ضرورة التحجب، باعتباره من البديهيات بدرجة أشد بكثير مما هو عليه الأمر في البلدان الأخرى، علما أن الموقف الديني - السياسي هو واحد في مضمونه، ولكن تجليه في المقابلات اليمنية هو أكثر وضوحا وحسما، وأكثر تكرارا.

كان "الحجاب" الذي ترتديه النساء والفتيات في اليمن في العقود السابقة يعرف بالشرشف. وهو عبارة عن رداء أسود من قطعتين ترتديه المرأة من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين. وقد أصبح اليوم يمثل طريقة لباس للكبيرات في السن، وكذلك للشابات في بعض الأسر التي لا تزال تحافظ على التقاليد. ومع نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات حدث تحول من الشرشف إلى ما يعرف بـ"البالطو" أو "العباية" أو الجلباب الأسود أو الملون. وصارت ترتديه فتيات المدارس والجامعات والنساء المتوسطات في السن. وحقق هذا النوع من "الحجاب" انتشارا كبيرا، مع النقاب أو ما يعرف باللهجة المحلية بـ"اللثمة". ولا تزال معظم النساء وخاصة في الوسط الحضري، يضعن غطاء الوجه التقليدي (اللثمة). وفي المقابل نرصد تحولا بين فتيات المدارس والجامعات إلى ما يسمى بالحجاب "الإسلامي"، أي الستر الكامل للجسم بالبالطو أو الجلباب وغطاء الرأس، مع الإبقاء على الوجه والكفين مكشوفين. مع العلم أن النساء يرتدين تحت البالطو، أو الشرشف، الملابس العصرية ويسايرن الموضة خاصة إذا كن ذاهبات إلى الجلسات والحفلات النسائية غير المختلطة مجاراة للعادات والتقاليد.

وبشكل عام، حملت إجابات المراهقات والمراهقين على حد سواء، قبولا واسعا يقارب الإجماع بضرورة الاحتشام في اللباس والظهور بمظهر لائق في حدود "الشرع والعادات والتقاليد". كما ظهر ما يشبه الإجماع أيضا على رفض التبرج الظاهر على نحو يعتبر خروجا على العرف السائد. ولكن هذا الاتفاق على ما هو أساسي حسب مرجعية ثقافية اجتماعية ودينية، لا يترافـق مع اتفـاق على الموقف من شكل الحجـاب أو اللباس التقليدي. بحيث انتقـل محـور

التجارب الشخصية متعددة، وتشير إجابات المراهقات المصريات إلى الطابع الاجتماعي لمسألة التحجب المترافق مع البعد الديني. ويبرز في إجاباتهن أن الأمر لا يقتصر على النساء المسلمات في مصر، بل يطال من الناحية الاجتماعية والسلوكية النساء القبطيات أيضا في الأوساط الفلاحية والشعبية. إذ يؤكد عبد الله (17س) "أنا أخواتي الأربعة متحجبات. وحتى الفتيات القبطيات في الحي لا يخرجن إلا وهن يرتدين غطاء على رؤوسهن تلافيا لكلام الناس والمعاكسة وما شابه". كما تقول سهير (16س) المسيحية "هذه مسألة شخصية. حتى نحن المسيحيين عندنا سيدات وبنات لا يخرجن من البيت إلا وشعرهن مغطى. هذه مسألة عادات، كل إنسان يجب أن يتصرف كما يرتاح". إن تنامي أهمية الطابع الديني - السياسي والثقافي للحجاب في السنوات الأخيرة، يتم على حساب البعد الاجتماعي، ويصبح مؤشرا على خط فاصل بين الناس على أساس الانتماء الديني بدل الانتماء الاجتماعي.

وتبرز الأهمية المتزايدة للبعد الديني من خلال الإجابات التي تعتبر أن ربط التحجب بالإسلام أمر بديهي ومسلّم به. ففاطمة (17س، المغرب) ترى أن لبس الحجاب أمر "عادي ما دمنا مسلمين" . وحتى في حال عدم الرغبة في ارتدائه، فإن السند الديني ضروري، كما كان الأمر بالنسبة إلى يارا (15س، مصر) "أنا ارتديت الحجاب لمدة سنة. بعض البنات في المدرسة أعطوني كتب واقتنعت بذلك. ثم بعد بعض الوقت أحسست وسطهم أني غريبة، وقد كنت أعتقد أنه من المفروض أن ألبس على هذا النحو لأن ربنا قال ذلك. ولكن بعدما لبسته أحسست أني لم أعد نفسي، ولم يتغير أي شيء في تصرفاتي. ثم أعطاني أحد أصحاب والدي كتابا يقول إن الحجاب ليس منصوصا عليه في القرآن، فارتحت إلى هذا الكلام، وخلعت الحجاب. أعتقد أن المسألة مسألة حرية شخصية، ولكن يجب التأني لأن خلع الحجاب ليس أمرا سهلا".

وتتنوع مواقف المراهقين المصريين ضمن اتجاهات الآراء في باقي البلدان، فهناك من يعتقد أن المسألة شخصية، إذ يقول عمرو (16س) "كل دين له نظامه. والحجاب سنة عن النبي، عن نساء النبي، وقد أوصى به نساء المسلمين. المرأة ليست مجبرة على لبسه، ولكنه محبب، خصوصا إذا كانت جميلة، تلافيا للفتنة". أما محمد (17س) فيصرح أنه "مع الحجاب، ولكن ليس مع الحجاب كالذي هنا في مصر. أي أن البنت تتحجب كي لا تسلم على الشباب ولا تعيش حياة طبيعية". في حين يرى كل من بسام (17س) وعبد الله (17س) أن الأمر طبيعي لاعتبارات دينية. فهو "فرض على المسلمين وسنة عن نساء النبي" حسب بسام. نقترب هنا من الموقف النمطي المعاصر الذي تدعو له الحركات الدينية السياسية. وهو موقف يتميز بدرجة عالية من الحسم والتمييز بين حلال وحرام، بين صالح وطالح، بين ممنوع ومسموح... إلى غيرها من الثنائيات التي ترسم حدا قاطعا بين قطبين دون مساحات وسطى. ولكن هذه المساحات الوسطى هي التي تبحث عنها بعض المراهقات والمراهقين في سعيهم إلى التوفيق بين التجاذبات المختلفة. وهو ما يقودهم إلى موقف ناقد لتأويل ما أو تفسير معين، لما هو جيد وما هو سيئ، لاستخدام الدين في إسناد مواقف من صنع الناس. تقول سمية (18س) "المشكلة أنه ينظر إلى غير المتحجبة على أنها في درجة دون المتحجبة وهذا ما يولد ردة فعل عنيفة مع المتحجبات. هم يفترضون أن غير المتحجبة غير متدينة. أنا أرفض أن أعتبر أن التحجب يساوي التدين. وأنا أرفض أصلا فكرة أن الناس يقررون إذا كان الإنسان صالحا أو غير صالح على حسب تدينه".

نزول الحجاب شققن عن ثيابهن وارتدين الحجاب". فالحجاب الشرعي هو ذاك الحجاب الأسود الذي ترتديه المرأة من فوق إلى أسفل وتغطي فيه وجهها وكفيها وقدميها وكل جسمها". وإذ يتحدث عثمان بلغة المتمرس بالعلم، المتيقن مما يقوله باعتباره حكما عاما، فان طه يشير إلى أبعاد أخرى عملية وسلوكية مستندة أيضا بقوة إلى المرجعية الدينية "والله من ناحية الحجاب، ما شاء الله أمر رائع أن تستر وجهها أختك أو أمك أو جيرانك. إنك تحاول أن تنصحها، تقول لها حاولي تلبسي الحجاب لأنه ضروري أن تتحجب الوالدة والأخت، ونحاول إن شاء الله نصح الآخرين لأن الحجاب حاجة محببة عندنا... لأنك عندما تخرج مع "عارك" ( أهل بيتك ) أو "حريم" وتكون مثلا محمرة (تضع أحمر شفاه) أو مبترة (تضع على وجهها مسحوق تجميل "بودرة")، فإنك يعني "تستحي" (تشعر بالخجل) وتسمع الآخرين يقولون انظر هذه "محمرة ومبترة" تخرج أمام الناس لا حجاب ولا سترة. حتى أن بعض الناس يحاولون نصحك بالقول حاول لو سمحت تكلم أختك أو أمك تلبس حجاب لأنه حاجه طيبه إنشاء الله". أما هاني، فهو يختم بلغة الوعظ والإرشاد وبوثوق "بصراحة الحجاب شيء ممتاز جدا ويجب أن يفرض على جميع النساء لوجود فساد كبير في إطار الشبان وفي أوساط الشبان والشابات. إنه أمر مهم في هذه الحياة أن تكون المرأة محجبة بسبب الفساد. هذا في الدين كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه هو الذي ذكر في آياته القرآنية أن هذا الحجاب واجب على كل مسلمة".

مع خطاب هاني ننتقل إلى التصريح المباشر بضرورة فرض الحجاب عملا بأوامر الدين. لكن اللغة المستخدمة تفصح أيضا عن مضامين أخرى سلوكية وقيمية ترتبط بديهيا بالدين، دون أن تكون بالضرورة كذلك. فالعائلة، وتحديدا الأم والأخت والابنة، "عار" و"عرض" و"حريم"، والحجاب سترة وتجنب لكلام الناس، والسفور والتبرج فتنة تشجع على الفساد، والفساد هو أولا وأخيرا التقاء الرجل والمرأة خارج المسموح به شرعا حسب الفهم السائد.

## 2- الموقف من الدين

يشكل الحضور القوي للدين في حياة المراهقات والمراهقين سمة مشتركة بين كل البلدان. إلا أن دوره وموقعه والسياق العام الذي يتحرك فيه يتفاوت داخل البلد الواحد. يتجاذب الدين قطبان، أحدهما يدفع وظيفته إلى دائرة العلاقة الخاصة بين الإنسان الفرد وربه في علاقة داخلية حميمة تنتمي بالدرجة الأولى إلى حيز الخاص. بينما يدفع الثاني بالدين إلى دائرة التمظهرات الخارجية والسلوكية، باعتباره نوعا من الناظم العام لحياة الناس الخاصة والاجتماعية في العلاقة مع الأفراد والجماعات داخل المجتمع الواحد ومع العالم أيضا، وكذلك باعتباره قانونا إلاهيا يقدم جوابا تفصيليا لما هو حلال وما هو حرام، لما هو صواب وما هو خطأ، لما هو شرعي و ما هو غير شرعي، بالنسبة إلى كل مجالات سلوك الفرد والجماعة وحياتهم.

وجدت هناء (18س، تونس) بعض الصعوبة في تقديم إجابة فورية على السؤال عن أهمية الدين بالنسبة إليها، وهي صعوبة بدت أيضا في الدراسة الميدانية في المغرب. وبعد الإلحاح أجابت بارتباك "الدين هو الإسلام". وهو جواب معبر ببداهته وبساطته عن عدم قدرة هناء على اتخاذ المسافة الضرورية عن موضوع السؤال وكأنه لم يطرح عليها من قبل. أما عند أحمد (17س) وجهاد (18س) من تونس، فالدين هام "لأنه يرسم الحدود التي لا ينبغي لنا تجاوزها" على

الاختلاف من الموقف من ارتداء الحجاب نفسه أو عدم ارتدائه، إلى الموقف من شكل هذا الحجاب، نظرا للدلالات المختلفة لكل نوع. وتتراوح هذه الدلالات بين المرجعية الثقافية الاجتماعية الدينية النابعة من التقاليد المحلية، والمرجعية الثقافية الدينية السياسية المشدودة إلى إشهار التعبير عن الهوية الإسلامية في مواجهة هويات حضارية أخرى. في حين بدا بعد آخر في الموقف من نوع اللباس ويتمثل في السعي إلى الاقتراب مما هو أكثر "تطورا" وأقل تقييدا للحركة وأكثر مرونة إزاء متطلبات العصر، مع التأكيد على الطابع النسبي لكل هذه المصطلحات، خصوصا في المجتمع اليمني.

ولا يخلو الأمر من بعض التنوع والنقد، خصوصا في مواقف المراهقات. تقول ثراء (16س) "أغلب النساء يرتدين اللثمة من غير اقتناع، إنه مجرد احترام للتقاليد، أو استجابة لطلب الوالد. وقليل من النساء يقمن بذلك عن اقتناع". أما بالنسبة إلى روان (15س) فهي تؤيد الحجاب الإسلامي أي دون وضع النقاب "اللثمة لا تعجبني، ولكن في اليمن الأفضل أن تلبسها الفتاة لأن المجتمع يفضلها، ولكن أنا لا ألبسها". في حين تصرح وحي (15س) التي اعتادت عليها "أنا أحب اللثمة وقد اعتدت عليها منذ الصغر"، وتقول فلة (15س) "أنا أرتدي البالطو، والحجاب حشمة واحترام لأوامر الدين الإسلامي". وكذلك ترى زهرة (17س) أن الحجاب "طبيعي وفرض من فروض الإسلام، لأن الله أمرنا بذلك، ولأنه في تقاليدنا وعاداتنا". وترى نوال (18س) في الحجاب تعبير عن "قوة الإيمان في قلوب النساء، وتعبير أن امتثالهن لأوامر الله عز وجل، وطاعة للرسول". أما إقبال (17س) فهي تعبر عن قناعات مناقضة تماما لسلوكها الشخصي، فتقول إن "الحجبة شيء جميل جدا، وليت كل البنات يتحجبن. أنا أتمنى ذلك ولكني لا أقدر". ولدى الاستفسار عن قصدها باعتبار أنها ترتدي الحجاب، تجيب "أقصد الحجاب الكامل... هذا إذا قصدنا أن نتبع تعاليم الدين، فلا بد أن نلبس برقع (نقاب)، وأنا لا أضع واحدا. وعندما تمر قربي فتاة ترتدي برقعا أشعر كأني بدون ثياب أتمنى أن أكون مثلها ولكن لا أقدر... ربما لأني غير مقتنعة بعد اقتناعا كاملا".

عبّر المراهقون عن مواقف مشابهة لمواقف المراهقات. وقد كان التباين في الآراء هنا أقل حدة مقارنة بالبلدان العربية الأخرى التي شملتها الدارسة. أسامة (18س) يؤيد النقاب "عندما أرى امرأة ترتدي لباسا يستر كل جسدها، أشعر بالاعتزاز لأني مسلم". ورغم أنه يفضل ارتداء اللثمة، إلا أنه يرى "إننا في عالم يمر عليه التطور فلا مانع من التغيير مع الاحتشام". أما منذر (17س) فيعترض على كشف الوجه بشكل حاسم. ولا يعتقد الجميع أن اللثام (النقاب) متعلق بسمعة الفتاة وعفتها، ولكن يتوجب عليها الاحتشام وعدم تجاوز العادات والتقاليد وأوامر الإسلام. وإن اختلفت الآراء بشأن تأييد كشف الوجه أو تغطيته، فهناك شبه اتفاق بين الجميع على أنه يجب على المرأة أن لا تكشف عن وجهها إذا كانت متبرجة. لكن الموقف يصبح أقل تسامحا وأكثر حسما وتماسكا ومستندا إلى فهم متكامل لدى الذكور المشبعين بالثقافة الدينية المنظمة. هذا هو موقف عثمان (18س) وطه (17س) وهاني (17س).

يقول عثمان "مسألة الحجاب فيها اختلاف كثير وتساهل في هذا الزمن. فنجد أن بعض الفتيات والنساء في مصر يرتدين الحجاب من طرف رجليها إلى شعرها وتبقي وجهها وكفيها مكشوفين وتقول هذا حجاب. هذا ليس الحجاب الشرعي، إنما هذا حجاب يمثلونه لأنفسهم، وكذلك في تركيا لماذا تحجب رأسها وجسمها وتدع كفيها ووجهها. الحجاب الشرعي هو الذي تحتجب به المرأة من فوق إلى أسفل كما قالت عائشة "رحم الله نساء الأنصار عندما سمعن بآية

وفي مستوى آخر أكثر تعقيدا، يدافع سمير (16س) عن نظرة علمانية إلى الدين ودوره في المجتمع. فهو يرى أن الدين يجب أن يكون حياديا وعلى مسافة إزاء كل ما يتعلق بالحياة العامة والتقاليد والقانون والسياسة. وهو يتبنى موقفا مركبا، فلا يؤيد تدخّل الدين في السلوك الشخصي والمظهر من ارتداء الحجاب إلى إطلاق اللحي، كما لا يستطيع أن يفهم لماذا لا تزال بعض الدول تعتمد عقوبة الجلد لمن يخالف قانون السير في الوقت الذي بإمكانهم سحب رخصة القيادة. وهو بالتأكيد لا يستطيع أن يفهم كيف يقتل إنسان إنسانا آخر أو يفجر طائرة باسم الدين. كما أنه يعتقد أن "لا إكراه في الدين"، وينتقد "الأميركيين واليهود الذين يريدون الحفاظ على دينيهم من خلال تدمير الإسلام. وهو أمر لا يستطيع فهمه "لأن الله إذا كان قد سمح بوجود ديانات سماوية ثلاثة هي الإسلام والمسيحية واليهودية، فلأنه أرادها أن تتعايش فيما بينها لا أن تتقاتل على أساس ديني".

## أ- سلـــوك... أخـــلاق... عـــــادات ســـــائدة

يتيح المناخ العام السائد في تونس، كما في بلدان أخرى، قدرا من التنوع في الموقف من الدين، خاصة منها المواقف الوسطية أو تلك القادرة على اتخاذ مسافة تحليلية للتفكير في العلاقة بين ما ينبع من جوهر الدين وما هو أكثر ارتباطا بالاعتبارات الاجتماعية أو السياسية. وفي المقابلات المغربية، نجد أيضا هذا الأثر مع إشارات أوضح إلى تأثير البيئة العائلية من جهة، والحركات السياسية من جهة أخرى، في تنمية الاهتمام بالدين لدى المراهقات والمراهقين. ففاطمة (17س) تقارن على سبيل المثال الحركات الدينية بالأحزاب التي تريد فرض أفكارها على الكلّ، وتنظر إليها بالتالي نظرة سياسية منتقدة فيها نزعة السيطرة. ولكنها ترى من ناحية أخرى أن العائلة تؤدي دورا أساسيا في درجة اهتمام المراهق بالدين تقليدا لوالديه "الشاب دائما يتبع النهج الذي يتبعه والداه. فإذا كانت الأسرة ملتزمة وتعيش تشددا دينيا، يتعود الشاب على هذا الإلتزام، وقد يذهب بعيدا وينخرط في التنظيمات أو الجمعيات أو الأحزاب الإسلامية. ولكن هذا أمر صعب أيضا إذا كان الشاب لم يكوّن قناعاته ولم يختر طريقه بعد، لذلك سرعان ما ينسحب بهدف الفهم العميق للدين الإسلامي. بعض الاتجاهات الإسلامية قد تخيفه، لذلك قد يبتعد أو يتحفظ في الانضمام إليها". ولكن فاطمة تميز بين هذا الانتماء، وبين أهمية الدين نفسه في حياة المراهق المغربي. فهو حسب رأيها "من الأمور التي يحترمها المراهق مهما بلغت درجة التهور والطيش في حياته، لماذا؟ لأنه منذ النشأة وهو يرى تقدير الناس للدين الإسلامي مثلا في الصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقات. كلها وسائل للتقرب من الله. أضف إلى ذلك أن صوت الأذان هو من بين الأصوات التي تثير انتباه الصبي في سن مبكرة على نحو يجعله يقدر الدين الإسلامي. ولكن من الشباب من يقوم بواجباته الدينية كما يجب، ومنهم من لا يفعل. وما ألاحظه أن الشاب المغربي تنقصه تربية وتكوين إسلاميين. فحتى برامج التربية الإسلامية في المؤسسات التعليمية تقتصر فقط على إرغام الطفل أو الشاب على حفظ بعض الآيات القرآنية دون تعمق في شرحها وتفسيرها. لذلك هو يعرف الدين من خلال والديه أو الناس، أو من خلال بعض البرامج القليلة جدا أو التي تكون مرة في الأسبوع لمدة نصف ساعة في بعض وسائل الإعلام السمعية أو البصرية".

حد قول أحمد، ولو أن "كل إنسان يتبع تعاليم الدين لكننا نعيش الآن في عالم أفضل. لهذا السبب يجب أن نتبع جميعا ما جاء في القرآن". وترى وعود (15س، تونس) أن "الإنسان لا يستطيع أصلا أن يعيش بدون دين. وعندما يجب اتخاذ القرار فيما يجب القيام به وما لا يجب القيام به، نحن بحاجة إلى عودة إلى الله وإلى الإسلام". إن المحرم أو الحرام هو هنا الحدود التي لا يجب تجاوزها، وهو دعوة حاضرة أبدا إلى احترام "النظام". ولكن وعود لا تصلي، وهي تكتفي بالتصدق مما يجعلها تتعامل مع الدين باعتباره معيارا أخلاقيا داخليا يضبط سلوكها وحياتها، أكثر مما تعتبره نظاما شاملا للسلوك يستند إلى الطقوس والممارسات الجماعية الظاهرة. ومثل هذا التركيز على البعد الداخلي الحميم، نجده أيضا عند هيام (17س، تونس) التي تعتبر أن "الدين هام جدا بالنسبة إليها لأنه يمنحها الهدوء الداخلي والشعور بالأمان"، وكذلك مواطنتها يمنى (17س) التي تعتبر نفسها "مؤمنة جدا"، والتي تعيش الصلاة باعتبارها علاجا شافيا، فهي كما تقول "تحكي آلامها لله"، وتتحرر عبر الصلاة من قلقها.

ولكن يوجد نمط آخر يركز على الأبعاد الخارجية والطقوس، وعلى مفهوم الدين باعتباره قواعد كونية على درجة من الإلزام. فهذه نجاح (16س، تونس) ترى أنها "سوف ترتدي الحجاب عندما تصبح أكبر في السن"، باعتبار ذلك دليلا على التدين. وحجتها في ذلك أن "الفتيات اللواتي يرتدين الحجاب يملكن شيئا إضافيا، شيئا يشبه الهالة الخاصة، لأن الله يمنحهن سرا خاصا لا نجده عند الأخريات". ونجاح تصلي وتصوم شهر رمضان، ولكنها مع ذلك تعتبر أن التدين والإيمان شأن خاص، وكل إنسان حر في ما يتعلق بالدين. "فكل إنسان مسؤول عن أعماله لا عن أعمال الآخرين، والله وحده له حق محاكمة مخلوقاته وليس على الإنسان أن يتدخل في ذلك" على حد قولها.

وتبرز في المقابلات التونسية أيضا بعض الأبعاد الأخرى. فالفائدة من الالتزام الديني لا تقتصر على اليوم الآخر، بل إنها جد مهمة في حياة الإنسان الدنيا كما يوحي بذلك جواب فتحي (16س) الذي يؤكد "إن كان لدي مال لمنحت قسما منه إلى الفقراء من قبيل الإحسان، لأن ذلك هو بمثابة بركة تساعدني على تحقيق مشاريعي في الحياة". أما في بعض النواحي السلوكية المرتبطة بالدين، مثل ارتداء الحجاب، فيختلط البعد الديني بالبعد المتصل بالعادات الاجتماعية السائدة والرغبة في التوافق مع ما هو رائج. فهناء (18س) تعتبر ارتداء الحجاب أمرا محمودا في البلدان التي يعمم فيها ارتداؤه على كل النساء. فهي لا تمانع "من ارتدائه، شرط أن يفعل الآخرون ذلك". أما حنين (17س) وفتحية (16س) فهما تثيران مسألة التناقض الذي تشعران به إزاء بعض تعاليم الدين التي لا تريان أنها منسجمة تماما مع قناعاتهما ورغباتهما في حياة أفضل. إذ ترى حنين (17س) "أن الإسلام قاس تجاه المرأة أكثر من الرجل. فهو يستطيع أن يمارس إيمانه دون أن يكون محروما من أمور كثيرة، في حين أن الوضع مختلف بالنسبة إلى المرأة. إذ لكي تكون مسلمة صالحة عليها أن لا تخرج، وعليها أن تتحجب، وأن لا تذهب إلى المدرسة، وأن لا تعمل". وتفسر فتحية ذلك بالتقاليد والعادات، فالقيود المفروضة على المرأة جعلت لتجنب "الفتنة" بمعنى الإغواء الذي قد يقود إلى فوضى اجتماعية. ولكن فتحية تقرر مخالفة توجيهات أمها في خصوص الصلاة والصوم، وترى أنه لا يمكنها أن تكون انتقائية في أمور الدين، إذ عليها أن تلتزم بكل تعاليمه بما في ذلك طريقة اللباس وفروض أخرى لا تريد الالتزام بها. لذلك وجدت الحل في عدم الالتزام بالطقوس الأخرى أيضا.

أما سهير (16س)، فتستقي أهمية الدين من ممارسات سلبية طبعت سلوك أفراد المجتمع "تصرفات كثيرة غلط في المجتمع يمكن إقناع الناس بالعودة عنها بالرّجوع للدين". من ذلك ترى فيه سالي (16س) "البرواز" (الإطار العام) الذي يحدد حياة الانسان". وعلى المستوى الشخصي يمثل الدين حماية من الخوف من الموت بالنسبة إلى سمية (18س)، بينما هو "يسهل الحياة" بالنسبة إلى وردة (16س). ورغم تأكيد الغالبية العظمى من المراهقات المصريّات على أهمية الدين في حياتهن، فإن عددا محدودا منهن أشرن بثقة كاملة إلى أن التساؤل في هذا الصدد غير وارد أصلا (سناء 15س، وهدى 18س، ونرمين 18س)، فنحن "مسلمون" وبالتالي يصبح الدين مهما. في حين برزت حالات فردية ترى أن الدين لا يشكل أهمية كبيرة، كما في حال سهيلة (16س) وعزيزة (17س)، واللافت للنظر هو أن المراهقات، حتى المحجبات منهن، ميزن بين إحساسهن بالدين وممارستهن للشعائر، ورغم أنهن وصفن عدم ممارسة الشعائر بأنه تقصير، إلا أنه لا ينفي حسب رأيهن صفة المتدينات عليهن.

وتباينت مواقف المراهقين المصريين أيضا ودرجة تدينهم. بهاء (15س)، أصغر المراهقين سنا، لا يصلي ويصوم أحيانا، لكنه لا يرى أن الدين يمثل له مشكلة في حياته. وعبر نصف المراهقين عن أهمية الدين في حياتهم بدرجات متفاوتة. وأكدت البقية أن الأمر لا يتجاوز كونه "معاملة الناس" أو أمرا خاصا بينهم وبين الله. غالبية المراهقين ورثوا مواقفهم من الدين عن الأسرة، بمعنى أنهم تربوا على أنه أمر هام، ومن ثم اعتبروه أمرا هاما بغض النظر عما إذا كانوا يمارسون الشعائر أو لا يمارسونها، فعبد الله (17س) يصلي ويصوم "لا أعرف لماذا، ولكن تربينا على أننا مسلمون وأن الدين ضمير الإنسان. لم أفكر في الموضوع سابقا". أما عمرو (16س) فهو يقول إنه لا يتبع الدين الإسلامي "لأنه من المفروض أن يتطور الدين مع الوقت، وأنا أمارس قناعاتي، فإذا شعرت أن هناك أمرا خاطئا في الدين فأنا لن أقوم به". ثم إن الناس "يحتاجون إلى اللجوء إلى الدين عندما تسد أبواب الدنيا في وجوههم، وعندما يتكل الناس على ربنا يشعرون أنهم ليسوا وحدهم" حسب رأي بهاء (15س). ولكن الموقف الغالب في العينة كان رفض التشدد والقسر والإكراه في الأمور الدينية، وكذلك رفض اقتصار الدين على السلوكيات المفروضة، بحيث يتاح لكل شخص أن يكون له طريقه الخاص للتواصل مع خالقه، مع التشديد على مبدأ فعل الخير والمعاملة الحسنة كجوهر أساسي للدين.

تشكل المقابلات اللبنانية مثالا مختلفا بعض الشيء لسببين، الأول هو أن المجتمع اللبناني مختلط دينيا حيث يتكون مناصفة تقريبا من مسلمين ومسيحيين. والسبب الثاني هو التكوين الطائفي للنظام السياسي ولجانب أساسي من البنى المؤسسية مع ارتباط الدين بالطائفة والطائفية، وارتباط هذه الأخيرة بالسياسة والحرب وما رافقها من ممارسات مدانة، أو مدعاة للفخر على غرار مقاومة الاحتلال ودحره وإخراجه من لبنان. ولكن في بعض الأبعاد، كانت الأراء والمواقف تنتمي إلى مجموعة الأراء نفسها التي تم رصدها في البلدان الأخرى. وجاءت التعليقات في اتجاهين، أحدهما يجد أن الدين لم يعد له من دور، وآخر يبدي الرغبة في ممارسة الشعائر الدينية ويعتبر الدين دستور الحياة وأنه مهم في حياة البشر "وهو كل شيء".

يرى أشرف (18س، لبنان) أن الدين كان مهما جدا في مرحلة معينة، لكن لا يفهم استمرار دوره الآن خصوصا بعض العادات والطقوس التي لم يعد لها ما يبررها. فهو لا يفهم على سبيل المثال لماذا لا يمكن الاستعاضة عن الوضوء بالاستحمام قبل الصلاة. كما أنه "لا يعرف كثيرا عن

أما ابتسام (18س) فهي تحمّل والديها مسؤولية عدم تنشئتها دينيا بشكل صالح وعدم توجيهها للبس الحجاب. لكن أمها التي تمارس الصلاة بانتظام، خلافا لوالدها، تنصحها بالنهج على منوالها. فابتسام "تصلي بشكل متقطع" وتلوم أمها "لأنها هي السبب، ولو علمتني في الصغر على الصلاة لما واجهت هذه المشكلة الآن". وابتسام، خلافا لفاطمة، تحب أن تنضم إلى إحدى الحركات السياسية الدينية الراديكالية في المغرب. في حين يختصر حسن (18س) الصورة بشكل لا يخلو من روح الدعابة في موضوع حساس كهذا، فيقول "الدين عندنا في المغرب اختياري، هناك المسجد وهناك الحانة. إذا أردت اتباع طريق المسجد فاتبعها، الدين حق علينا لأننا مسلمون ويجب علينا أن نصلي وأن نفعل كل شيء... ولكن لا تشدد في الدين. والتيارات الإسلامية سترجع بنا إلى العصور الوسطى".

أما في الجزائر، فالانقسام أكثر حدة ليس بفعل الاختلاف النظري، بقدر ما هو بسبب الانقسام الحاد والنزاع المفتوح الذي يعاني منه المجتمع الجزائري منذ سنوات، والذي تشكل الحركات السياسية الإسلامية، أحد عناصره الأساسية. وإن تعذر على المقابلات أن تشمل كل وجهات النظر الفاعلة اليوم في الجزائر، وخصوصا الأكثر تشددا منها، فإن ردود الفعل في الأوساط المدينية على هذا الواقع، تبرز في بعض جوانبها الميل إلى مواقف أكثر حدة وراديكالية من ذي قبل، دون ادعاء أنها المواقف الأكثر رواجا. تقول مروى (18س) "نسير وفقا لتعاليم الإسلام. أنا مسلمة لكني غير ملتزمة ولا أصلي، ولكن هناك أمور أجد نفسي مجبرة على احترامها. الإسلام هو مبدأ بمعنى ما، نحن نؤمن بالله، ويجب أن نؤمن به، وبالتالي علينا أن نفعل ما يطلبه منا ولكن، يعني هناك أمور لا يمكننا القيام بها". وترى غالية (17س) أن في بعض التزامات الإسلام "ما يقيد حرية الفتاة، خصوصا إلزامها بارتداء الحجاب صيفا". لكن سمير (16س) يتخذ موقفا أكثر جذرية، ويرى أن صدامه مع الدين الإسلامي في موقفه المتشدد والقاسي إزاء المرأة يعد المشكلة الأساسية التي يواجهها في علاقته بالدين.

إنه التردد إذن بين الدين والأخلاق والسلوك والعادات السائدة والسياسة. فهذه كلها مفاهيم ومجالات تختلط وتمتزج في وعي المراهقات والمراهقين عموما، مما يحمل معه مخاطر مواقف شمولية في اتجاهين، أحدهما اتجاه قبول إخضاع كل مجالات الحياة إلى تأويل ديني معين باسم الالتزام بأوامر الدين، والثاني اتجاه رفض بعض المضامين والسلوكيات الدينية المرتبطة بالعقائد والعبادات كنتيجة للاعتراض على بعض الممارسات. ولا يستطيع كثير من المراهقات والمراهقين أن يميزوا بين المستويات المختلفة، نظرا لتعقيد هذا الأمر وللتداخل الموضوعي والتمازج الواقعي بين هذه الأبعاد خصوصا في الممارسات الدينية - السياسية. فضلا عن غياب النضج الثقافي الكافي ونقص المعارف لدى المراهقين، مما لا يحول دون قيامهم بعملية معقدة من هذا النوع. مع ذلك نجد بعض عناصر هذا التمييز في عدد من الإجابات التي سبق عرضها، وتلك التي سنعرضها فيما يلي.

يمثل الدين عنصرا هاما في ثقافة المصريين، لكن ذلك لا يعني أن هناك اتفاقا بين الجميع حول تفسيره أو مدى الالتزام به. غالبية المراهقات يعتقدن أن الدين هام في حياة البشر، إما لكونه "منزّلا من عند الله" (سناء، 15س)، أو لأنه منظم لحياتهم "يضبط الناس ويبعدهم عن الحرام ويدفعهم إلى الخير" (فاطمة، 15س)، أو لأنه هو "الذي يحدد الحرام والحلال" على حد تعبير سناء.

أما رفيق (18س) المنتمي إلى حزب ديني إسلامي، فيجيب باختصار أن الدين بالنسبة إليه "دستور حياة". وهو يلتزم بالقيم والمبادئ الدينية، ويجد أن الدين يجعل علاقاته مع محيطه مميزة ويدفع به إلى إقامة "صلة رحم" مع أهله وأقاربه. كما يشكل الدين حماية له فهو "ينبذ ما ينهيه عنه الدين، ولو مورس اجتماعيا من حوله". وذلك يعني أنه يعطيه قوة روحية ودعما معنويا. بينما يجد مصطفي (17س) أنه ملتزم دينيا، دون أن يكون "معقدا". "فالدين يعلمنا الطريق الصحيح وطريق النجاح، ويعلمنا المحبة والإخلاص والتفاهم".

## ب- قيـــم... عقيـــدة... عـــولمة

وفي الطرف الآخر للمنطقة العربية، شملت الدراسة النوعية البحرين واليمن. وقد حملت أيضا إجابات المراهقات والمراهقين في هذين البلدين السمات المشتركة والملامح الخاصة التي تميز منطقة فرعية أشد تأثرا بالدين، وأكثر خضوعا إلى ثنائية حادة بين القيم التقليدية ومؤثرات العولمة الاستهلاكية في مجتمعات نفطية.

في البحرين، بدت هذه الثنائية بارزة. فالدين الإسلامي يشكل ببعده المفاهيمي والقيمي والتربوي أحد أهم الأسس العقائدية التي يتم عبرها نقل المعارف والقيم والسلوكيات المتصلة بالخطأ والصواب إلى المراهقات والمراهقين. وقد اتسم التعامل مع الدين في غالبية الإجابات في العينة البحرينية، بطابع القدسية، مع الدعوة إلى طاعة كاملة للدين الإسلامي ولفروضه ولروحانيته. كما تم النظر إلى بعض السلوكيات والمفاهيم كالحب والجنس والحجاب، وحتى إلى ممارسة العادة السرية، انطلاقا مما يضعه الدين من نواهي وموجبات. وفي المقابل، اختلفت بعض الإجابات مع هذه الرؤية المنسجمة وحملت بعض التناقضات، كأن يؤكد المراهق أهمية الدين وينهي عما نهى عنه ويؤكد أهمية الحجاب وغيره من اللوازم العقائدية، إلا أنه عندما يسأل عن مدى تدينه، يجيب بأنه غير متدين ولا يريد أن يتزوج من محجبة، أو بأن الحجاب لا يعني الفضيلة.

وهذا هو شأن إحدى المراهقات التي تحدثت عن الدين بشكل صارم، ثم تحدثت في سياق المقابلة عن علاقاتها العاطفية أو الجنسية. وبدا الأمر نابعا من طبيعة التلقين الشكلي للدين كعقيدة وارتباط الإيمان بالترهيب والعقاب وعذاب القبر. وتلك تصورات شائعة في المدارس منذ مراحل التعليم الأولى بالنسبة إلى الأطفال الذين تلقوا تعليمهم على يد الجيل الجديد من المربين والمربيات، الأكثر تأثرا بالتعاليم الدينية السياسية، من تأثرهم بالدين في فهمه التقليدي السابق المعتدل والأكثر مرونة. ولم يخرج في العينة البحرينية سوى جاسم وفوزي (18س) عن النمط الشائع، "الدين يكتسب أهمية قليلة بالنسبة لي لأني غير متأثر بالدين بشكل كبير، لكني معجب بالأشخاص الذي يسمحون لإيمانهم أن يعطيهم قوة داخلية حتى يتجاوزوا صعوباتهم. لكن أنا لست متدينا" على حد قول جاسم. كما يعتبر فوزي "أن الدين جزء من تخلفنا". وترى بقية المراهقات والمراهقين الأمر على نحو مختلف. فحنان (18س) تشعر "إننا كبشر نستطيع أن نستغل الدين في تنظيم علاقاتنا المتبادلة". ويجعل الدين نورة (15س) "تشعر بالأمان"، كما يرى محمد (16س) أن "الدين له أهمية كبيرة لأنه أساس تفكيري وهو يتحكم في أكبر الخيارات التي أقوم بها في حياتي". أما ياسمين (15س) فترى أن الإسلام "دين يرشد إلى عبادة الله، ونحن نسير على طريق مستقيم، ونحن نكون مستقيمين وإن شاء الله ندخل الجنة جميعا".

المذهب الذي ينتمي إليه (وهو مسلم درزي)، "أعرف أنه من غير المسموح تناول الملوخية (لأن فيها مواد منشطة جنسيا حسب الاعتقاد السائد). وقد تناقشت مرة مع أحد المشايخ لأفهم أكثر، وكاد يضربني". رفيف (17س) كذلك لا تجد أن للدين أهمية، وهي تتردد على الكنيسة في المناسبات. منذ ثلاث سنوات كانت تتردد عليها أكثر من الآن، وكانت تتأثر وتجد في الأمر راحة. الآن تحس أنها مجبرة على الذهاب، وهي لم تمارس الاعتراف أبدا. تقول رفيف "لا أهمية للدين. أجد نفسي مجبرة على الذهاب إلى الكنيسة، أفضل التأمل على السطح".

ولريا (18س) موقف أكثر جذرية. وهي مسلمة سنية من وسط مديني تعلمت في مدرسة مسيحية وهو أمر شائع في لبنان. لا تمارس ريا الشعائر الدينية "الدين غير مهم بالنسبة إلي. وأرى أنه يفرق بين الناس بدل أن يجمع بينهم... أنا أؤمن على طريقتي الخاصة ولا أؤمن بما يؤمنون به دون أن يفهموا. ثم إذا كان الكل يقول إنه مؤمن فعلا، والكل يقول إن اللّه واحد، لماذا يتعصب المسلمون أو المسيحيون أو الدروز؟ وهذا يقول لذاك ليس عندك كتاب، ولست مؤمنا، كل هذه الأحاديث أحدثت ارتباكا في عقلي. ولم أعد أفهم جيدا". أما عن فكرة اللّه فتقول "ليس ضروريا أن نخاف من اللّه وأن نقدم عنه صورة تبعث الفزع. اللّه عادل وأنا أرى كثيرا من الأمور على صورة مختلفة عما يعكسها الدين. أعلم السبب، وهو ربما أني مسلمة وتعلمت في مدرسة مسيحية، وكنت أدرس الإنجيل. لكني أعتقد أن هناك سرا يكمن خلف ما نعيشه، وهذا هو معنى اللّه. ولكن هناك من يريد "فكرة الله" أن تتحول إلى سبب لتخويف الناس كي لا يفعلوا أمورا ما مخافة أن يجازيهم الله. كأن الإنسان بحاجة دائما إلى الخوف كي لا يخطئ. أعتقد أنهم يستخدمون فكرة اللّه بشكل خاطئ، لا لحل المشكلة بل لمجرد التخويف".

وخلافا لموقف ريا الفلسفي، فإن مواطنتها ريم (15س) تحيلنا مباشرة في جوابها إلى أمور عملية "تعدد الزوجات غلط، ما معنى أن يتزوج الرجل ثلاثة نساء ؟ هل كلما "استحلى" امرأة (أعجبته امرأة) يتزوجها ؟ يا الله، ما هذا السلوك". أما دعد (17س) المسيحية فتجد أن الدين مهم. وفي حين أنها كانت ترتاد الكنيسة يوميا عندما كانت تنتمي إلى حركة دينية، فإنها تكتفي الآن بالذهاب إليها في الأعياد. وكانت تمارس كل الشعائر بما في ذلك الصوم. أما الآن فهي تصوم أحيانا عندما "أجد أنني أكثر ت من الطعام، ليس كنوع من الريجيم (الحمية) ولكن لأني أشعر أني اقترفت خطيئة أو خطأ". ولا تحب نسرين (17س) الالتزام الديني المسيّس، كما تمقت التفرقة الدينية الحاصلة في لبنان "هذا مسلم وهذا مسيحي". وتهتم نسرين بالعبادات والممارسة الفردية الشخصية. وهي ترتاد الكنيسة كل يوم أحد، إلا أنها لا تجد سببا محددا لأهمية الدين بالنسبة إليها "يجعلني أهدأ. أجلس أحيانا وحدي أصلي، وأحس بالراحة. وعندما أكون منزعجة أصلي فأرتاح، أنا دائما أصلي". أما نادين (16س) وهي أيضا مسيحية، فرغم عدم ممارستها للشعائر، إلا أنها تعتبر نفسها مؤمنة. وتشعر أن الإيمان هو علاقة خاصة بين الإنسان وربه، ولا داعي لوضع العلامات الدينية لإشهار الانتماء أو إظهار الإيمان. ولا تستطيع سارة (16س) أن تتخيل كيف تكون الحياة دون إيمان، " فالله هو من نلجأ إليه". وكذلك ترى هناء (15س) "الدين ضروري للإنسان، هو أمر نابع من الإنسان ومفروض عليه في الوقت نفسه، لأنه يعلّم الإنسان أن يسير في الطريق الصحيح".

## 3- الموقف من السياسة والحروب والشأن العام

انطبعت إجابات المراهقات والمراهقين بشكل عام في مختلف البلدان المشمولة بالدراسة بموقف سلبي من ممارسة العمل السياسي المنظم، وحتى من السياسة بمعناها التقليدي عموما. إلا أن هذا الموقف رافقه عنصران يخففان من سلبيته ويشيران بشكل غير مباشر إلى أسباب النفور أو العزوف عن ممارسة العمل السياسي المباشر. ففي عدد غير قليل من المقابلات نجد أن المراهقات والمراهقين يعبرون عن اهتمام بالعمل الجمعياتي والعمل الاجتماعي، كما نرى معظمهم يهتم أيضا بالقضايا السياسية الأساسية في المنطقة وفي العالم على غرار الانتفاضة الفلسطينية والأوضاع في أفغانستان والعراق وتداعيات الحادي عشر من أيلول. وهم يبدون رأيهم في السياسة الأميركية وغيرها من الأمور بشكل سياسي لا لبس فيه. مما يجعل الصورة أكثر تعقيدا مما تبدو عليه للوهلة الأولى.

في خصوص العمل السياسي المباشر، يتكرر أحيانا الموقف نفسه، بل التعابير نفسها، لدى المراهقات والمراهقين على حد سواء، وإن كان مستوى الاهتمام بالسياسة الحزبية أعلى بشكل طفيف لدى الذكور. ويتلخص الموقف الشائع في تعابير من نوع "لا أحب السياسة" أو "لا أهتم بالسياسة" أو "لا علاقة لي بهذه الأمور". ويفسر البعض موقفهم بأسباب ضمنية قوامها أنهم يفضلون العمل في "مجال يفيد الناس فعلا". وهم لا يجدون أن السياسة والأحزاب تحقق ذلك. لذا نرى آراء أكثر انتشارا تفضل الانتساب إلى جمعيات الصليب الأحمر أو الهلال الاحمر والعمل مع جمعيات النساء والأطفال أو ضمن جمعيات تنموية... أي في مجالات تتيح للمراهقة أو المراهق الشعور بالقدرة على تقديم مساهمة فعلية ملموسة في خدمة ناس يعرفهم، وفي مجال يحس أنه مؤهل للعمل فيه.

هذا هو الانطباع العام في كل البلدان، مع بعض التفاوت بالتأكيد. ولكن الموقف السلبي هو موقف من الممارسة المنظمة للعمل السياسي إن صح التعبير، ولا يعني أن المراهقات والمراهقين لا يدركون أهمية السياسة في المجتمع بشكل عام. إلا أنهم يشعرون أن قدرتهم على التأثير فيها ضعيفة، كما أنهم يعترضون على مضامين وأساليب العمل التي فقدت على الأرجح قدرتها على الاستقطاب، ما عدا حالات خاصة ربما تتطلب دراسة متخصصة. وكان من ضمن المستجوبين بعض الناشطين السياسيين والحزبيين الذين تتضمن إجاباتهم إشارات من هذا النوع. إذ يرى أشرف (18س، لبنان) وهو ناشط في حزب يساري أن "السياسة هي أساس كل شيء في الحياة، وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في هذا العالم ما لم تكن عنده وجهة سياسية. فهي التي تنظم له حياته". ورغم تردد رفيق (18س، لبنان) الذي يعيش في الريف في الانخراط الواسع في الحياة السياسية في العاصمة، إلا أنه يعتبر أن نشاطه الحزبي الديني يمنحه الدعم المعنوي والمنهجية للعيش حسب دستور مستمد من عقيدته الدينية. وثمة أمثلة أخرى بدت فيها بوضوح أكبر ما يعد أحد أبرز سلبيات العمل السياسي الحزبي في لبنان، وأحد عناصر النفور لدى قسم واسع من المراهقين والشباب. وهو ما عبرت عنه نادين (16س) بقولها "أنا لست منتمية إلى أي حزب لكنني أحب الأحزاب التي لديها مبادئ مكتوبة ومشغولة جيدا. لا أحب الأحزاب الطائفية مهما كانت، الطائفية لحالها والسياسة لحالها".

وفي اليمن، أيضا يبدو الموقف على درجة أعلى من الاتفاق بين المستجوبين، الذين اعتبروا الدين أمرا هاما وضروريا في حياة الإنسان، وأن لا قيمة لمن ليس له دين. ولم يوجد في الإجابات أي تردد أو شك في المعتقد الديني، بل تضمن بعضها إشارات اللوم والتوبيخ الذاتي للتقصير في الصلاة وعدم المواظبة عليها. وقد بينت الإجابات أن المراهقات والمراهقين نشؤوا على هذا الفهم في أسرهم، وأن الأهل أدّوا دورا هاما في تلقين المفاهيم الدينية للأبناء وتعويدهم على الصلاة. وبدت نظرتهم إلى الدين مشابهة إلى حد كبير لنظرة جيل الأهل. والدين في نظر المراهقات والمراهقين يعني الصلاة والأخلاق والسير في الطريق السوي والتعامل الحسن والعقيدة الصالحة والأمانة والصدق والاستقامة.

يقول منذر (17س) عن الدين إنه يعني "الصلاة في أوقاتها والتدين وأن يكون الإنسان وفيا". وتقول ثراء (16س) " أنا أؤمن بالله سبحانه وتعالى، وأحس أنه عندما أواجه مشكلة أدعو الله تعالى. لكني أستغفر الله العظيم على أمر هو أني لا أصلي بانتظام بل فقط عندما أرغب في شيء. صديقتي تتصل بي وتقول لي ثراء صلي قبل المذاكرة". فبالنسبة إلى ثراء، ثمة رابط سببي مباشر بين الصلاة والإنجاز أو حل المشكلة، وترى في الصلاة دعوة إلى تدخل أو مساعدة إلاهية مباشرة لها في حياتها اليومية. في حين يرى وحيد (15س) أن الدين "ينظم أمور المرء. فهو على سبيل المثال يمنع على الواحد منا أن يخرج مع البنات. لذلك ترى أن الشعب العربي له عادات غير أميركا. والمفروض بالشعب العربي أن يتمسك بالدين، ولكن ما يحصل في الواقع مخالف لذلك". أما أسامة (18س) فيستشهد للدلالة على أهمية الدين بسلوك "أسامة بن لادن" "فإذا كان الإنسان يريد طريق النجاة، فعليه أن يتصرف كما تصرف أمير المؤمنين، من ناحية الأمانة والصدق ومن ناحية إلقاء العقاب على السرقة والزنا وغير ذلك من المعاصي".

لكن الأمر لا يخلو من بعض التساؤلات. فثراء (16س) تتوقف عند أساليب تدريس الدين في المدرسة "أحيانا أخاف من بعض الأساتذة الذين يدرسونا الدين ويخوفونا بدخول النار. وبعض الأساتذة يحببونا في الدين". أما حنين (15س) فتعتبر أن الدين "منظم للحياة، لأنه عندما نتبع تعاليمه يكون هناك نظام. لكن عند الشعب اليمني لا يوجد نظام، لأنهم بعيدون عن الدين". وهنا تكمن المفارقة، فحيث نعتقد أن الدين هو الأكثر حضورا كما في اليمن، ترى حنين أن الابتعاد عن الدين هو سبب الفوضى. وهو ما يشكل برهانا عكسيا، إذ يقع الانطلاق من عدم الرضى عن المجتمع والواقع المعيش ومن الفوضى، للإقرار بأن الدين منظم كامل من عند الله، والوصول إلى أن الفوضى لا يمكن إلا أن تكون نتيجة الابتعاد عن الدين. وتتحول القناعات الدينية هنا إلى نوع من الإيديولوجيا المتماسكة والشمولية، كما توضح ذلك بعض الإجابات. فعثمان (18س) يقدم فهما شديد الحسم للدين ولدوره في المجتمع "الدين يكتسب أهمية أولى، أهمية كبيرة، لأنه الإسلام. اللّه عز وجل قال في القرآن ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (سورة آل عمران، الآية 85). هذا الدين، بيننا وبين الذي جاء به النبي عليه السلام وصحابته فرق كبير. هم قاتلوا وجاهدوا الكفار لكي يأتي إلينا دينا نقيا صافيا، نحن لم نتعب ولم نجاهد. نحن نأتي ندرس ونتعلم فقط". ويعوّل عثمان على الأهل في تأمين مستقبل لأولادهم يقوم على "الدين والقيم والأخلاق والعادات".

أن "الحرب شيء فظيع. أحب العالم يكون محل سلم، ولو كان لي دور لكنت أدعو للسلم. لا أحب أن يتحارب الناس، مسلمين أو غير مسلمين." كما تجد نورة (15س، البحرين) أن "الحروب سيئة وتدمر مجتمعا وأجيالا، وتؤثر على الأجيال القادمة"، وكذلك تتمنى ياسمين (15س، البحرين) "أن تكون لديها قوة خارقة لإيقاف الحروب. فالأسباب التي تقوم عليها تافهة، وهي تدمر وتقتل وتخرب". ويرى جهاد (18س، تونس) في الحرب، أقبح فعل بشري لأنها تخلف الفقر والدمار. أما ابتسام (18س، المغرب) فهي تحلم بـ "السلام، وأن يعيش أبناء آدم بلا كذب ولا نفاق، وأن يحب الإنسان لغيره ما يحب لنفسه، وأن يطلب الخير لأخيه الإنسان المسلم والنصراني واليهودي، والكل سواسية". وقد أجمعت المراهقات والمراهقون المصريون على كرههم للحرب ورأوا فيها عنفا ودمارا وموتا بشعا. ولفتت وردة (16س، مصر) الانتباه إلى خطر الاعتياد على صورة القتل بسبب ما نراه من مشاهد يومية في وسائل الإعلام "... بعد قليل سنشعر أن ما يحصل أمر طبيعي، وأنه من العادي أن نسمع أن عددا من الأشخاص ماتوا في مكان ما. أعتقد أن أفظع شيء هو أن يصبح موت الناس أمرا عاديا".

هذه المواقف المعبر عنها هي مواقف تعكس المنطلقات الأخلاقية والمواقف النهائية العامة من الحرب كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ولكن المواقف العملية تتكون وتتحدد بشكل ملموس بين هاتين النقطتين، وبالنسبة إلى كل قضية مطروحة بشكل مختلف عن القضية الأخرى. ولكن فيما يخص الموقف من الولايات المتحدة الأميركية، برز أيضا شبه إجماع على وصف السياسة الأميركية بأنها متسلطة أو متجبرة وبأنها تريد السيطرة على العالم وبكونها السبب الأول في افتعال الحروب في كل مكان من العالم. اختلاف البلدان والجنس والأعمار والفئات الاجتماعية والانتماء الديني والخلفيات السياسية والفكرية لم يحل دون توافق كبير جدا في الآراء على هذه النقطة. يرى شداد (16س، اليمن) أن "أمريكا لم تحارب أفغانستان لأنها هاجمت البرجين، بل لأنها تريد فرض سيطرتها الاستعمارية على العالم". ويعتبر أشرف (18س، لبنان) أنها "افتعلت حرب البوسنة"، بينما تعتقد ورد (17س، اليمن) "أن سبب الحرب هو سعي الدول القوية للسيطرة على الدول الضعيفة". ويذهب جاسم (18س، البحرين) أبعد من ذلك في توضيح موقفه من الولايات المتحدة ومن الحروب، فيقول "أكره الحروب لأنها مآس إنسانية لكنني أدرك أنها واقع لا بد منه، ولا أدري إن كان لها نهاية في المستقبل القريب... أمريكا بلد رائع وحر، لكن الناس فيه ساذجون وشعبها منغلق. وبالنسبة إلى سياستها الخارجية لا تعجبني لأني عربي وهي تراعي مصلحتها. ولو وضعنا دولة عربية محل أمريكا، سوف تتصرف على النحو نفسه". وكذلك تضع حنان (18س، البحرين) انتقادها لأميركا في خانة العداء بين العرب وبينها "الحرب بعض الأحيان ضدنا، كما بالنسبة إلى فلسطين. أمريكا معادية للعرب والمسلمين وتساند إسرائيل".

وتجدر الإشارة إلى تأثير البيئة الأسرية على الموقف من العمل السياسي. ففي أكثر من مقابلة في أكثر من بلد، تبين أن المراهقين الذين يعيشون في أسر يمارس الأهل فيها نشاطا سياسيا أو عاما، يكونون أكثر استعدادا للانخراط في العمل العام والسياسي. وبرز هذا في أجوبة المستجوبين من لبنان ومصر والجزائر واليمن. بل إن بعضهم انخرط فعليا في هذا العمل تأثرا بالأهل، سواء كان ذلك من خلال النشاط السياسي، أو في العمل الجمعياتي. كما تشكل البيئة العامة، الوطنية أو المحلية أو العالمية، عناصر تحفيز أو جذب للعمل السياسي في الوقت الحاضر، أو في المستقبل القريب، بطريقة لا تخلو من بعض الرومانسية كما في حالة عزيزة (17س، مصر) "يبدو لي أني سأشتغل في السياسة في الجامعة، مع الطلاب. مظاهرات ومجلات حائط ومؤتمرات وأمور من هذا القبيل. بعد ذلك لا أعرف. ولكن يبدو لي أني سأقوم بشيء ما، سأنشئ جمعية أو سأدخل في حزب".

تبحث المراهقات والمراهقون عما يجذبهم ويبهرهم ويضيف إلى حياتهم نشاطا يجمع بين الفائدة والمتعة. وهم ينشدون نمطا من الحياة يتخيلونه في الجامعة في حركات الطلاب. ولعل هذا يحيل إلى نمط "متخيل" أكثر مما هو واقعي. ولكن الواقع لا يقدّم لهم سوى القليل من عناصر الجذب، لذلك يكون اهتمامهم الفعلي والممارس بالسياسة أقرب إلى كونه أمرا مفروضا بسبب معاناتهم خصوصا في النزاعات والحروب التي تضغط على حياتهم وحياة مجتمعاتهم وأوطانهم. وهي بالتالي أمور لا يمكن تجنبها أو تجنب الاهتمام بها.

## أ- الموقف من الحروب

كانت المواقف من الحروب متشابهة في جميع البلدان المشمولة بالدراسة. وقد بدت الاختلافات في المواقف داخل البلد الواحد أكثر أهمية أحيانا، لا سيما عندما يتعلق الأمر بموقف مركّب، حيث يرتبط النزاع الخارجي بنزاع داخلي، أو حيث كانت هناك حرب داخلية. وبشكل عام برزت نقاط واضحة ومجمع عليها، خصوصا في المسائل الكونية. إلا أن التنوع في الرأي يصبح أكثر أهمية، كلما اقترب الصراع من البلد الذي يعيش فيه المراهق، وكلما تعلق الأمر برد الفعل على الحرب وكيفية مواجهتها أكثر من تحديد موقف أخلاقي منها أو تعيين أسبابها.

الفترة التي تمت فيها المقابلات شهدت وقوع الاعتداءات على برجي مركز التجارة العالمية في نيويورك والحرب على أفغانستان والتهديدات الموجهة إلى العراق. كما كانت أيضا فترة تميزت بتصاعد الانتفاضة في فلسطين والقمع الذي تعرضت له. وطبيعي أن تشكل هذه الأحداث المسائل الأكثر تواترا في إجابات المراهقات والمراهقين، وبشيء لا يخلو من الانفعال. كما تضمنت إجاباتهم الموقف من الولايات المتحدة الأميركية وسياستها الخارجية مع إشارات أقل إلى يوغسلافيا السابقة وأخرى إلى نزاعات عسكرية أو سياسية محلية.

وأجمعت المراهقات والمراهقون على إدانة الحرب ورفضها، لأسباب أخلاقية وإنسانية ومنطقية. فالحرب حسب أشرف (18س، لبنان) "أمر مدمّر، ولا يجوز أن تكون أسلوبا يتبعه الإنسان ليحقق أهدافه. ولا أحد يخرج من الحرب ربحانا، فالكل خسران". وتعتبر دانة (17س، لبنان) أن الحرب "تعبير عن خفة العقل، ويجب أن لا تحصل أصلا". بينما تؤكد شذى (18س، اليمن)

أما فيما يتعلق بمؤشرات التعليم، فإن 71.2٪ من الذكور و76.2٪ من الإناث من الفئة العمرية 15-17 سنة ملتحقون بالتعليم. وتشترك فلسطين في هذا المجال مع بلدان عربية عدة في كون معدل التحاق الفتيات أعلى من مقابله لدى الفتيان الذين هم أكثر مشاركة في سوق العمل في هذه السن. ويبلغ معدل التسرب الدراسي للفئة العمرية 15-19 سنة 25.9٪ (27.2٪ للذكور، و24.4٪ للإناث). أما معدل الأمية للفئة العمرية نفسها، فهو لا يزيد عن 1.6٪، رغم ظروف الاحتلال والمواجهات المفتوحة.

ولم تحل الظروف بالغة الصعوبة دون سعي المجتمع الفلسطيني والمراهقات والمراهقين لممارسة بعض هواياتهم وحقهم في الحياة، والانتساب إلى الأندية والجمعيات. ولوحظ اهتمام أكبر للفتيات في نشاطات الكتابة وفرق الرقص والغناء، في حين كان الفتيان أكثر مشاركة في الرياضة ونشاطات الأندية والجمعيات.

بالنسبة إلى المؤشرات الصحية، فإن 41.2٪ من المراهقات والمراهقين (15-19 سنة)، غير مشمولين بأحد أنظمة التأمين الصحي. كما أن 9.8٪ يمارسون عادة التدخين مع وجود فارق ملفت بين الضفة الغربية (12.3٪) وقطاع غزة (5.4٪).

أما لجهة عدد الشهداء والجرحى في انتفاضة الأقصى، فخلال عام واحد (بين 29 أيلول/سبتمبر 2000 و28 أيلول/سبتمبر 2001) بلغ عدد الشهداء 710، منهم 382 تتراوح أعمارهم بين 10 و 24 سنة. وبلغ عدد الجرحى 14523 جريحا، منهم 4552 جريحا تتراوح أعمارهم بين 10 و18 سنة. وهي حصيلة لا يوجد مثيل لها في أي بلد من بلدان العالم الأخرى، خصوصا أنها ليست نتيجة أحداث أو نزاعات عابرة، بل هي فعل يومي مستمر منذ عقود.

## المشاركة في الأنشطة - 10-24 سنة فلسطين، 1999 - 2000

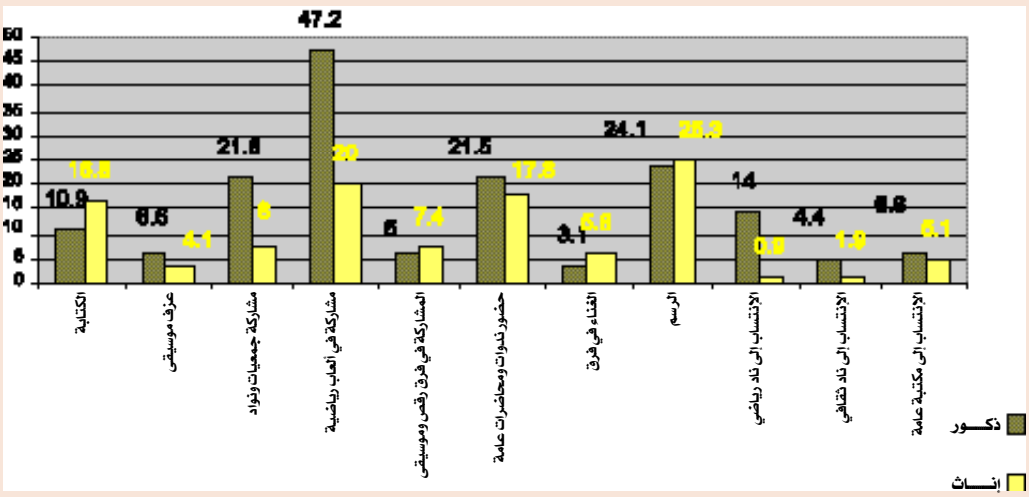


**المصدر**: شباب فلسطين: واقع وأرقام، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كانون الأول/ديسمبر 2001.

إطار 22.2

## المراهقات والمراهقون في فلسطين

مر تاريخ فلسطين الحديث بمحطتين أساسيتين، الأولى كانت عام 1948 عندما قامت دولة إسرائيل على قسم من أرض فلسطين. أما المحطة الثانية فكانت عام 1967 عندما احتلت إسرائيل كامل فلسطين (وأراض عربية أخرى). ومنذ ذلك التاريخ، يعيش المواطن الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال أو في مخيمات للاجئين في بلدان عربية عدة أو يعيش مهاجرا مشتتا في أنحاء العالم. أجيال متعاقبة من الأطفال والمراهقين الفلسطينيين لم يعيشوا يوما واحدا أحرارا من الاحتلال أو التشريد أو يوما واحدا من السلم والأمن. إذا كانت فلسطين تعيش منذ أواسط الثمانينات حالة انتفاضة مستمرة وفي نزاع مفتوح مع الاحتلال، فهذا يعني أن الجيل الحالي من الأطفال والمراهقين الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة، لم يعيشوا يوما واحدا خارج المواجهات اليومية مع الاحتلال. ويشكل هذا الوضع القضية الأكثر أهمية في معيشهم اليومي، حاضرا ومستقبلا.

حسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، شكل المراهقون والمراهقات (15-19 سنة) في نهاية عام 2000، حوالي 10.4٪ من إجمالي السكان (10.6٪ من إجمالي السكان الذكور و10.2٪ من إجمالي السكان الإناث). فما هي أبرز خصائص هذه الفئة ؟

فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية، بينت الإحصاءات أن معدل زواج الفتيات، ضمن هذه الفئة، مرتفع ويبلغ 18.4٪ مقابل 0.7٪ للفتيان. علما أن حالات زواج الفتيات قبل هذه السن قليلة وهي لا تتجاوز 0.2٪، في حين تصل النسبة إلى 58.6٪ للفتيات و21.1٪ للفتيان في الفئة العمرية 20-24 سنة. وبرز مؤشر عدم نجاح الزواج في هذه المراحل العمرية، إذ شكلت نسبة الطلاق لدى هذه الفئات، النسبة الأعلى عام 2000. وبلغت هذه النسبة لدى الفتيات 14٪ للفئة العمرية 14-17 سنة، و44٪ للفئة العمرية 18-24 سنة. في حين بلغت النسب المقابلة عند الفتيان 0.8٪ و26.8٪.

لجهة الانخراط في سوق العمل، بلغت نسبة مشاركة الفئة العمرية (15-19 سنة)، في القوى العاملة 34.8٪ بالنسبة إلى الذكور مقابل 2.2٪ بالنسبة إلى الإناث. أما معدل البطالة فقد بلغ 21.2٪ للفئة العمرية 15-19 سنة، و19.3٪ للفئة العمرية 20-24 سنة. أما بخصوص قطاعات العمل، فإن النسبة الأكبر من الفئة العمرية 15-19 تعمل في البناء والتشييد (24.5٪) والتعدين والمحاجر والصناعات التحويلية (22.6٪) والتجارة والمطاعم والفنادق (21.9٪) ثم الزراعة والصيد (19.3٪). ويلاحظ أن عمل الأطفال (أقل من 15 سنة) يتركز خاصة في الزراعة والصيد البحري (47.6٪) والتجارة والمطاعم والفنادق (23.5٪). ويعمل 21.6٪ من إجمالي المراهقين العاملين داخل دولة إسرائيل أو في المستوطنات، في حين يعمل الباقون في الضفة الغربية والقطاع. وقد لوحظ أن إجراءات الحصار الاقتصادي التي فرضتها السلطات الإسرائيلية قد أدت إلى ارتفاع شديد وفوري في معدلات البطالة في الأراضي الفلسطينية. فقد كان معدل البطالة (حسب تعريف منظمة العمل الدولية) للفئة العمرية 10-24 سنة 13.4٪ في الربع الثالث من عام 2000، وارتفع إلى 28.4٪ في الربع الرابع من عام 2000. أما إذا اعتمد التعريف الموسع للبطالة (باحتساب من يئسوا من البحث عن عمل)، وهو الأكثر انطباقا على واقع فلسطين، فإن هذه المعدلات تصبح على التوالي 38.8٪ و53.2٪.

تقول نرمين (18س، مصر) "ما يحصل في فلسطين يدفع إلى الجنون. نشاهد التلفزيون فنشعر بالرغبة في كسره لأنه ليس بإمكاننا أن نفعل شيئا. تبرعنا بمواد غذائية وملابس فقط. وزعوا علينا بعض البيانات التي قمنا بلصقها في المدرسة. ماذا نفعل؟ لا أعرف. يبدو لي أن الناس يجب أن تتطوع وتساعدهم، ولكن هذا أيضا غير ممكن". كما تروي دانة (17س، لبنان) تأثرها بالوضع قائلة "يؤثر فيّ الوضع في فلسطين كثيرا، أبكي كثيرا عندما أرى مشاهد المجازر، ولا أستطيع أن أشاهد التلفزيون. لو أستطيع أن أقوم بعملية انتحارية، فلن أتردد. ولكني أشعر أني بعيدة جدا عن فلسطين". وتذهب فدوى (16س، تونس) إلى أبعد من ذلك فهي تتمنى لو تستطيع تقديم جيش للشعب الفلسطيني كي يدافع عنه. وقد عبر أكثر من مراهق من اليمن عن رغبة مماثلة واعتبر القتال في فلسطين والموت على أرضها شهادة يرنون إليها. إذ يقول شداد (16س، اليمن) "أتمنى أن أنضم إلى حركة حماس وأقاتل في فلسطين لأن من يموت هناك يعد شهيدا لأنه يقاتل ضد الكفار". وتعيب حنين (17س، تونس) على العرب لا مبالاتهم تجاه ما يحدث في فلسطين "ولو أنهم أمسكوا نفطهم عن أمريكا فسيتوقف اقتصاد هذه الدولة". ويشاطرها مواطنها جهاد (18س، تونس) الموقف في تحميل العرب المسؤولية قائلا "المتهم الأول في حرب فلسطين هم العرب أنفسهم لأنهم لم يكونوا في مستوى ما يجب القيام به... هم لا يعرفون العمل ولا يبذلون الجهد من أجل القوة".

### عن أميركا وأسامة بن لادن

تقود مفردات التعبير عن الحرب والمقاومة إلى مسائل أكثر تعقيدا. فتصل بين المقاومة على أرض فلسطين وبين أحداث الحادي عشر من أيلول والحرب في أفغانستان والتهديدات الموجهة للعراق وشخصية أسامة بن لادن. ويشكل الدين والفكر الديني الجهادي الخيط الجامع لكل هذه المواجهات. فالحرب بين العرب من جهة، وبين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة أخرى، توصف بأنها حرب المسلمين ضد اليهود. وتوصف المواجهة مع أميركا بكونها مواجهة مع الصليبيين والكفار. تقول ثراء (16س، اليمن) وهي تشرح موقفها من الحرب. "أنا لما أقول حرب بين اليهود وفلسطين، طبعا أشارك. لكن لما كانت الحرب بين العراق والكويت، يعني حرب بين دول مسلمة لا يمكن أشارك. كذلك في أفغانستان وباكستان، ممكن أشارك لو كانوا كفار. والذي حصل في أمريكا يستاهلوا علشان أمريكا تحس بالذنب. صحيح أن هناك ناس ليس لهم ذنب قتلوا، وأحس أنهم مظلومون لكن الله رحيم. صحيح أنهم ناس مسيحيون مؤمنون بالله، لكن بكل الأحوال إذا ماتوا فهو مقدر لهم". وتجدر الإشارة إلى شيوع استخدام تعبير اليهود، في الإشارة إلى الصراع مع الإسرائيليين، حتى عند المراهقات والمراهقين الذين لا يتبنون فكرا دينيا على غرار أشرف اليساري العلماني من لبنان، الذي استخدم بدوره تعبير اليهود في السياق نفسه. ولكن استخدام المفردات الدينية في وصف الصراع مع الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر (اعتبار الحرب حربا صليبية على المسلمين، وأن المواجهة هي مواجهة مع الكفار) يبدو أقل تواترا. وهو يقع في إحدى حالتين، الأولى لدى المراهقات والمراهقين الذين يتبنون فكرا دينيا-سياسيا، والثانية عندما تأتي بمثابة صدى غير نقدي لما يتردد في وسائل الإعلام. فأسامة (18س، اليمن) يقول "كما أعلنت أميركا الحرب على أفغانستان، علينا نحن أن نخوض حرب إسلامية على الصليبيين". وفي مزيج من الإعجاب الديني وقصص الأبطال، يتجلى فيه بوضوح أثر وسائل الإعلام، يقول فارس (15س، اليمن) في أسامة بن لادن "ما شاء الله على قوة الإسلام فيه. لو واحد غيره جلسوا يطاردوه ويتابعوه من جبل إلى جبل، لكان سلم نفسه. أما هو فلا يخاف، والموت عنده أفضل من أن يسلم نفسه". مرة أخرى تثير الفضائيات الانتباه، خاصة من خلال أثرها في تكوين الوعي، وربما في المزج بين الواقع والمتخيل. ويضيف فارس (15س) ببساطة "كنت أتابع الأخبار طالما كانت تغطي أخبار أسامة

## فلسطين

بالنسبة إلى عدد غير قليل من المراهقات والمراهقين، لم تكن الحرب أمرا نظريا، بل كانت تعني لهم بالدرجة الأولى الحرب الدائرة على أرض فلسطين[2]. وشكلت القضية الفلسطينية الاختبار المباشر لقناعاتهم ولموقفهم الأخلاقي-الفلسفي من الحرب، ولموقفهم السياسي والعملي في الوقت نفسه. ولم تكن المواقف متباعدة عموما في تحديد الظالم والمظلوم وفي تحديد صاحب الحق من المعتدي في هذا الصراع. بل لم تزعم المراهقات والمراهقون في إجاباتهم أنهم محايدون أو أنهم يتعاملون بعقلانية وموضوعية مع حالة الانتفاضة المستمرة والقمع العنيف الذي تتعرض له. فالتعاطف والإحساس بالانتماء إلى القضية الواحدة كان جليا من المغرب إلى الخليج، مرورا بدول المشرق المجاورة لفلسطين.

وقد طرح هذا الواقع سؤالا مباشرا على المراهقات والمراهقين في وصف هذه الحرب انسجاما مع موقفهم الأخلاقي الرافض للحرب عموما، وللمآسي التي تتسبب بها. وتمثل الحل في ثنائية الظالم والمظلوم، المعتدي والمدافع عن نفسه وعن حقه، مما قاد إلى تبرير أخلاقي وسياسي لما يمكن اعتباره "حربا عادلة"، كما هو شأن حرب الفلسطينيين لتحرير أرضهم. بل إن بعضهم أخرج فعل المقاومة من أجل التحرير من دائرة وصف الحرب أصلا. تشرح نادية (16س، مصر) "لا يوجد حرب جيدة الآن الناس يموتون والأطفال والنساء يموتون ويتشردون وتدمر البيوت. ولكن أحيانا تكون الحرب ضرورية. مثلا هل بإمكان الفلسطينيين أن يسترجعوا أرضهم دون حرب؟". وتجد سمية (18س، مصر) صعوبة في وصف ما يجري في فلسطين بأنه حرب، تقول "إنها حرب من طرف واحد هو إسرائيل". وكذلك يرى أشرف (18س، لبنان) "أن المسألة مع إسرائيل لم تعد مسألة حرب، لأنها دولة محتلة. أنا مع المقاومة ومع إعادة جميع الأراضي". أما مصطفى (17س، لبنان) الذي عايش الاحتلال الإسرائيلي عن قرب، وكان شاهدا على مجزرة قانا عام 1996، فإن الحروب ترتبط في ذهنه بإسرائيل. وهو يعتقد أن "الحروب تحصل بسبب تسلط دولة على أخرى، كما في حالة حب السيطرة لدى إسرائيل الذي جعلها تحتل فلسطين. وأي شعب يتعرض للاحتلال لا بد أن يرفضه ويثور. كذلك الطريقة التي تتبعها أميركا في السيطرة على العالم سوف تخلق نوعا من الثورة تقوم في وجهها وضد سياستها. وكل ذلك بسبب طمع الدول الكبرى. ولا حل غير الحرب".

ولا تختلف مراهقات ومراهقو المغرب والبحرين واليمن وتونس والجزائر في مواقفهم من القضية الفلسطينية، ولكن لا نستطيع أن نتلمس هنا وهناك ملامح موقف واضح لما يمكن القيام به. وبرز من خلال المقابلات دور الفضائيات التي تنقل صور ما يحصل في فلسطين يوميا، والتي تشاهدها الغالبية الساحقة من المراهقات والمراهقين كما ذكروا، فتسهم في زيادة اهتمامهم ووعيهم بخطورة الوضع ومدى الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني. لكن الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام الذي بدا أكثر حضورا من دور الحكومات والأحزاب والحركات السياسية، يقف عند حدود نقل الصورة وتوليد مشاعر هي مزيج من الغضب والإحساس بالظلم والرغبة المبهمة في القيام بعمل ما. ولكن لا يوجد أي اتجاه أو تشجيع على بناء منهجي ومتسق لأي فعل أو مساهمة يمكن للمراهق أو للمواطن العربي عموما، أن يقوم بها لمساعدة الشعب الفلسطيني. لذلك فإن التعبيرات تتراوح بين الشعور بالإحباط والعجز عن القيام بأي شيء مؤثر وبين تمني القيام بعملية استشهادية في فلسطين.

(2) تم إعداد مادة هذا التقرير قبل الحرب على العراق.

في العمل فتتخذ السلطة شكل تنفيذ الأوامر والالتزام بالتعليمات خصوصا بالنسبة إلى المتمرن. وقد تتراوح العقوبة بين العنف اللفظي أو الجسدي (كما في حالة جهاد من تونس). أما الدائرة الثالثة، فهي دائرة السياسة أو دائرة الشأن العام. ويمثل السلطة هنا الرئيس والحكومة والشرطة والجيش والقاضي والعمدة (في الريف المصري)، وكل ما يتصل بالدولة وأجهزتها. وأحيانا تتمظهر السلطة أيضا في الدين ومؤسساته وممثليه وفي العادات والتقاليد، وفي كبار السن، بل يصل الأمر في بعض الإجابات إلى جعل العلاقات بين الأصدقاء تتضمن أحيانا بعدا سلطويا.

تخترق السلطة كل المجالات وتنتشر بذلك "في كل مكان"، ولكن التركيز على دائرة ممارستها، يختلف من مراهق إلى آخر. وتتجمع عموما إجابات المراهقات والمراهقين في فئات عابرة لحدود البلدان، مع بعض الخصوصيات التي لا تقلل من تشابه المواقف من السلطة وطرق التعامل معها. في المقابلات التونسية، توزعت السلطة على الدوائر الثلاث الأساسية المشار إليها، مع تركيز أكبر على العائلة والدائرة السياسية العامة. وفي حين تكرر في إجابات المراهقات ذكر سلطة العائلة (الأب ثم الأم) بكثافة، فإن إجابات المراهقين ركزت أكثر على السلطة متجلية في الإدارة العامة والمؤسسات السياسية والدولة. إذ يرى جهاد (18س) "أن السلطة لله أولا ثم لمن يتولى الحكم في الأرض. السلطة تجسدها الدولة والقاضي والشرطي والحرس الوطني وكل من أدى اليمين وأقسم على القرآن وكل من يحمل الزي وهؤلاء كلهم تم تعيينهم من قبل رئيس الجمهورية، لحمايتنا ولحماية الآخرين منا". ويمثل الأب السلطة بالنسبة إلى هناء (18س) "وإن أمر فلا بد من طاعته".

وقد برز هذا التفاوت كذلك في البلدان الأخرى على غرار مصر. تقول نادية (16س) "أنا أكبر سلطة في حياتي هي سلطة أبويا. بأحبه جدا، بس كمان بأخاف منه جدا. طبعا بره البيت كمان فيه سلطة المدرس وسلطة الحكومة وكده، بس دي مش سلطة شخصية". وكذلك ترى رندا (16س) أن "أقوى سلطة هي سلطة الحكومة. ولكن أيضا الأب والأم يمكن أن يكونا سلطة في البيت، والزوج والحماة". وتلخص سهير (16س) الموقف بشكل منهجي فترى أن "للسلطة أشكالا كثيرة. أوضح شكل هو الحكومة، ولكن لكل مكان سلطته المختلفة، في المدرسة، أكثر شخص يخافه الأولاد هو الناظر ثم المدرسين وهم يمثلون السلطة. في البيت السلطة هي الأهل". وتتمثل السلطة بالنسبة إلى كل من حنين (15س) وشذى (18س) من اليمن في الأهل والأب على وجه الخصوص. وتقول حنين "أبي هو الذي كلمته ماشية ويتحكم بالأمور. وعندما لا يكون موجودا، فإن أمي هي التي تتحكم بنا". وتربط شذى بين سلطة الوالد، وصفة "العادل" التي ترى أنها ملازمة وضرورية.

عند مقارنة أجوبة المقابلات الجزائرية بالمقابلات المصرية، نلاحظ بعض الاختلاف من حيث التركيز على الدائرة الخاصة في البلد الأول، والدائرة العامة في الثاني. فالمراهقات والمراهقون الجزائريون، يذكرون سلطة الأهل بتواتر أكثر من ذكر الحكومة، في حين أن الأمر عكس ذلك في مصر. ويعبر هذا ضمنا عن الوضع المضطرب الذي يفضي في الجزائر إلى الانكفاء إلى داخل العائلة كإطار حماية، في ظل تراجع دور الدولة على هذا الصعيد. في حين يعبر ذلك في مصر عن الوضعية العكسية، حيث للدولة حضورها القوي والطاغي. ومن المراهقات من أشارت إلى أن الاخوة هم أيضا جزء من السلطة الأسرية، وامتداد أو وكلاء لسلطة الأب كما في حالة هالة (17س، الجزائر). إذ يكلف الأبناء الذكور بمرافقة أخواتهم أو مراقبتهم أثناء تواجدهن خارج المنزل، أو حتى بإصدار الأوامر بالإباحة أو المنع حيال بعض الأمور.

توقفت عن ذلك، امتنعت عن متابعة الأخبار". وينقل عمرو (16س، مصر) عن والده أن "ما قام به بن لادن يشبه ما قام به عبد الناصر عندما أمم قناة السويس". كما ترى فيه سامية (15س، البحرين) "شخصية قوية وعنيدة وتعجبني لأنه تحدى أقوى قوة في العالم، أي أمريكا التي تساند إسرائيل". ولكن ثمة رأي آخر، لا يقل انتشارا في صفوف المراهقات والمراهقين، يطرح أسئلة عن جدوى ما قام به أسامة بن لادن، بل هناك من يتجاوز ذلك إلى الاعتراض على الربط بينه وبين الإسلام. وهذا هو لسان حال فاروق (18س، مصر) الذي يرى أن "بن لادن لا يمت إلى الإسلام بصلة. صحيح أنه كسر العنجهية الأمريكية، ولكن ليس بهذه الطريقة. وهذا حرام في الإسلام والدين". أما اعتراض عماد (17س، مصر)، فينطلق من النتائج العملية لما قام به بن لادن "قد يكون عنده وجهة نظر في ما قام به، ولكن ليست هذه الطريقة المثلى. لقد اشتعلت الحروب في العالم، والمسلمون يعاملون اليوم بشكل سيئ في كل مكان بسبب ما حصل".

وفي المقابلات اللبنانية ورد الرأي الجازم بأن "اليهود كانوا خلف ذلك". وهو رأي لا يخلو من التأثر بوسائل الإعلام والمعلومات التي روجت لها عن عدم حضور الموظفين اليهود إلى مبنى مركز التجارة العالمي صباح اليوم الذي وقع فيه الاعتداء. كما يشكل ذلك صدى لنظرية المؤامرة، بغض النظر عن مدى صحة المعلومات في هذا الموضوع. مما يجعل منه موقف إنكار مسؤولية من جهة، يقابله إشهار المسؤولية والمفاخرة بها، من جهة أخرى. كان الموقف الأولي انفعاليا في العديد من الإجابات، باختصار "إنهم يستحقون ذلك"، "إنهم يذوقون الطعم الذي ذقناه طويلا..." ولكن بعد ذلك يبرز التفكير في الأبرياء، والتفكير في العواقب، بل ربما الخوف مما يترتب عن ذلك.

تريد شذى (18س، اليمن) أن يسود السلم كل العالم. وهي لشدة ما كانت تتأثر بما يجري في فلسطين، باتت تكره الحرب "إلى درجة أني عندما رأيت ما جرى في أميركا، تأثرت كثيرا، مع أني لا أحب أميركا". هذا البحث عن مخارج وحلول قد يقود إلى اقتراحات فريدة، كتلك التي صدرت عن فاروق (16س، اليمن) الذي يتمنى "السلام للعالم كله، حيث يكون كل شخص مرتاحا، وكل خصم بعيدا عن خصمه. كأن يبتعد الإسرائيليون عن الفلسطينيين وبالعكس، ويعيش الجميع في سلام". هذه المسافة بين المتخيل والواقع، بين الساذج والصحيح إلى درجة البداهة، بين الانفعال والتفكير العقلاني، هي المسافة التي يسبح فيها عقل المراهقات والمراهقين، فيتأرجحون بين التصلب المبدئي إلى حدود التجمد في الشعار الماضوي، وبين المرونة المطلقة في تساؤلهم عن عدم القدرة على تحقيق ما هو بديهي كفكرة العدالة والصدق والإخلاص.

## ب- تعريـــــف السلطـــــة

بدت السلطة في منظور المراهقات والمراهقين موزعة ومنتشرة في البيئة المحيطة. ولكن أمكن التمييز بشكل خاص بين ثلاث دوائر أساسية لممارسة السلطة عليهم. الدائرة الأولى هي الأسرة والتي يمثل فيها الأب ثم الأم السلطة وفي بعض الأحيان يمثلها الأخ الأكبر قبل الأم كما برز في بعض مقابلات الجزائر واليمن. ونادرا ما يمثل العم أو الخال تلك السلطة، خاصة في المناطق التي لا تزال العائلة الموسعة فيها متماسكة (اليمن). وتتمثل الدائرة الثانية في المدرسة أو مكان العمل. ويمثل السلطة فيها المدير والناظر والمدرسون وصاحب العمل أو من ينوبه. وشكل تجلي السلطة في المدرسة هو النظام والانضباط، وعدم الالتزام يقابله العقاب. أما

وتصبح الأمور داخل دائرة المنزل والأسرة أكثر تعقيدا، وتصبح شروط الامتثال أكثر صعوبة، إذ يزول الرابط العاطفي الموجود داخل الأسرة، ويصبح بالتالي تطلب المراهقات والمراهقين للعدل وصوابية القرار أكثر حضورا. وهو ما تعبر عنه إلهام (17س، مصر) بقولها "النظام ضروري، ولكن لا بد للحاكم أن يحكم بالمعروف". بينما ترى نادية (16س، مصر) أن الطاعة واجبة "عندما تكون السلطة على حق، ولكن عندما تكون "مفترية" يجب مقاومتها". وتشاطرها ذكرى (18س، تونس) الرأي قائلة " لا بأس من طاعة ذوي السلطة إن كانت أوامرهم في مصلحتنا، لكن إذا كانت دكتاتورية فأنا أرفضها وأحبذ عندها أن أتولى مصالحي بنفسي". وتنتقد حكمت (15س، مصر) عدم طاعة السلطة لمجرد "العناد" لأنه لا بد من سلطة "تنظم الناس وتحاسبهم وتحميهم". ولكن يجب أن يكون الناس قادرين على اختيار سلطتهم ومحاسبتها، وإلا كيف يطلب منهم طاعتها. لذلك يقترب عماد (17س، مصر) من ربط الطاعة بمفهوم "الديمقراطية"، فيميز بين سلطة وأخرى "السلطة تختلف من مكان لآخر. هناك بلدان يختار فيها الشعب سلطته، عندها يكون مفهوما أن يلتفوا حولها ويؤيدوها. ولكن لو أن السلطة غير منبثقة عن الناس، بل هي مفروضة عليهم. فهذا يعني أنه لن يطيعوها إلا إذا كانوا مضطرين أو خائفين".

بالإضافة إلى هذه المواقف المعتدلة عموما، نجد نماذج "متطرفة" في رفضها أو قبولها للسلطة. ففي الطرف الأول، هناك من يعتقد أنه "من الصعب أن يجد الشخص في الدنيا سلطة عادلة. السلطة تميل دائما إلى العجز والظلم، وتتخذ إجراءات تظن أنها في صالحك، ولكنها عكس ذلك" كما يؤكد أحمد (17س، البحرين). ويعتقد البعض الآخر، على غرار أحمد (17س) وسمير (16س) من تونس، أن السلطة تتضمن بالضرورة إساءة استخدامها واستغلالها والمبالغة. والسلطة حسب سمير اعتباطية وتعسفية دائما، وما ينقصنا "هو الحوار. لا يوجد حوار عندنا، لا يوجد من يصغي. على سبيل المثال الشرطي لا يسمعك أبدا، إنه يضربك أولا". و في الطرف الآخر، هناك من يبالغ في اتجاه تمجيد السلطة، حتى لو تعلق الأمر بالسلطة العامة، وليس بسلطة الأهل. وهكذا يستبطن جهاد (18س، تونس) إيديولوجية الطاعة المطلقة للسلطة. بل هو يضفي عليها طابعا إلاهيا. فالسلطة هي وصف يعطيه جهاد لكل ما له طابع دولتي أي القاضي والشرطي والحرس الوطني وكل من يؤدي قسم الخدمة العامة "على القرآن"، وكل من يرتدون زيا رسميا. وهؤلاء كلهم تم تعيينهم "من قبل رئيس الجمهورية من أجل حمايتنا، وحماية الآخرين منا". ودائما، حسب جهاد، تعود السلطة بعد الله إلى من يتولى الأمر والحكم في البلاد. وعندما يعاقب الشرطي بغرامة شابا يقود دراجة نارية دون أن يضع الخوذة الواقية، فإنه يرى أن "الشرطي يتصرف على هذا النحو لا لتلافي أن يموت الشاب إذا وقع حادث، بل لأن البلاد تعتمد على هذا الشاب من أجل بناء المستقبل". على هذا النحو يستبطن جهاد، وهو شاب فقير يعمل متمرنا في مشغل ميكانيكي قيم الطاعة أو هكذا يصرح بها، على الأقل لباحث لا يعرفه يسأله رأيه في السلطة.

"من معه القوة معه السلطة" جاء ذلك في تعريف بسام (17س، مصر) للقائمين على السلطة، هؤلاء لا يقتصرون على أركان السلطة المركزية الممأسسة حسب مواطنته إلهام (17س)، وهي من منطقة ريفية في مصر، وترى أيضا أن "السلطة هي كبار البلد، الحكومة، العمدة، المأمور..." وتؤيد سالي (16س، مصر) هذا الرأي "أعتقد أن السلطة هنا (في القاهرة) هي الحكومة، ولكن في البلد (القرية) العمدة هو الذي كانت له الكلمة الأخيرة في الأمور الهامة، أي هو السلطة". سلطة العمدة هنا هي التعبير عن مزيج من السلطة المؤسسية، التي هي امتداد للسلطة المركزية وأجهزة الدولة، والسلطة الاجتماعية المستمدة من عوامل مركبة نابعة من المجتمع المحلي وعلاقته بالسلطة المركزية. أي أن جزءا من سلطته نابع من المجتمع والأعراف والتقاليد. وربما هي أيضا جزئيا سلطة موروثة. وهو ما يعنيه أمير (15س) بقوله "في مصر المجتمع هو السلطة". كما يجمع عمرو (16س، مصر) بشيء من المبالغة كل مكونات السلطة ومصادرها في مصدر واحد هو المجتمع. وهو إجمالا ينبه إلى ضرورة عدم تغييب وتجاهل الأرضية التي تقوم عليها السلطة، مع أن هذه الدرجة من التعميم والتكثيف تعرقل التوصل إلى معرفة مفصلة ومعمقة لعلاقات السلطة ومكوناتها المتعددة.

وقد ربطت المراهقات والمراهقون، في وصف السلطة، بينها وبين التحكم وفرض الرأي والقسوة والنصح والطاعة والقوة والعدالة والظلم والنظام والانضباط والحماية... ووجدوا بشكل عام أن السلطة ضرورية، وكانت موجودة على الدوام في تاريخ الإنسان، كما بينوا أنهم لا يتصورون إمكانية وجود مجتمع في حالة فوضى، ودون سلطة تنظم أموره. ولكن ذلك لا يعني أبدا الطاعة غير المشروطة، ولا طاعة الجميع دون تمييز. وتميل المراهقات والمراهقون عموما إلى قبول سلطة الوالدين بنسبة أكبر مما هو عليه الأمر بالنسبة إلى السلطات الأخرى. فسلطة الأهل، حتى وإن كانت لا تخلو من القسوة والصدام أحيانا، تظل "سلطة آمنة" بالنسبة إلى الأبناء. إذ لا يتصور هؤلاء أن الأهل يمكن أن يتصرفوا بما يضر مصالحهم (برز هذا الأمر خصوصا في المقابلات الجزائرية). وحتى عند اختلاف الرأي والصدام، فإن الأكثر امتثالا من المراهقات والمراهقين، يبرر ذلك بوضوح بأن الأهل أكثر خبرة ومعرفة، وبأنهم أدرى بمصلحة الأبناء من الأبناء أنفسهم. لذلك يسود هنا موقف الطاعة والتفهم، أو المسايرة على وجه العموم. تقول حياة (18س، تونس) "ليس كل ما نقوم به صالحا ومبررا بالضرورة. نحن بحاجة إلى من هو أكبر سنا منا لكي ينصحنا ويقول لنا ما يجب فعله". ولا ترى حنين (15س، اليمن) مانعا من "الامتثال لسلطة الوالدين دون نقاش، حتى لو لم نكن مرتاحين لقرارهم، حتى إن تعرضنا للصراخ. قد "نزعل". ولكن همهم هو مصلحتنا، وعندما نكبر ندرك أنهم كانوا على حق". إلا أن وليد (18س، البحرين) يبدو في مرحلة انتقالية بين الطاعة التلقائية لمن هو أكبر منه سنا والطاعة الناقدة. إذ بدأ يطرح على نفسه بعض الأسئلة "السلطة التي تكون أرفع مني احترمها، هي التي تفرض رأيها علي واحترمها وأتناقش معها. هناك أشياء غلط تأتي من عندهم، ولكن أنا كنت أخضع لهم لأنهم أكبر مني". إلا أن آخرين تعدوا المرحلة التي وصل إليها وليد. فشذى (18س، اليمن) ترى أن من يمثل السلطة لا بد أن يكون عادلا، وأن "هناك أمور نرغم على القيام بها دون اقتناع. هذا عندي اسمه حب التملك، شخص يريد أن يملك كل شيء حتى ما لا يخصه. أنا لست مع الامتثال المطلق للسلطة".

إنفاقهم لمبلغ كبير من المال، نحو مساعدة الفقراء والمعوقين ودعم جمعيات أو بناء مسجد أو إنشاء مركز للعمل الاجتماعي. وإذ تعبّر هذه الآراء من جهة عن حس تضامني واجتماعي، فإنها من جهة أخرى تحيل إلى الفصل بين مفهوم "المال" باعتباره مبلغا معينا من السيولة قابلا للاستخدام في تلبية الاحتياجات الاستهلاكية والاجتماعية، وبين مفهوم "رأس المال" بمعنى التوظيف في مشروع إنتاجي يهدف إلى تحقيق أرباح إضافية بمعزل عن نوع العمل وجدواه الاجتماعية. لا يزال مفهوم النجاح بالنسبة إليهم إذن، بعيدا عن مفهوم النجاح المهني، بالمعنى المالي أو التجاري أو الصناعي، كما هو متعارف عليه في المجتمعات الصناعية التي يتماهى فيها الشخص الناجح مع مشروعه الاقتصادي الناجح.

أما عن تجليات هذا النجاح في إجابات المراهقات والمراهقين، فنسوق مثل المراهقات الجزائريات الذي ينسحب على الكل تقريبا. فهو يتخذ أحيانا شكل مشروع عادي كـ"النجاح الدراسي والمهني" بالنسبة إلى مروى (18س) أو في إيجاد "عمل مستقر وأجر جيد" كما في حالة غالية (17س) أو "الزواج وتأسيس أسرة" وصولا إلى التحديد الذي يربط مفهومي النجاح والسعادة بتحقيق الأحلام "النجاح هو أن نتمكن من تحقيق أحلامنا حتى النهاية" كما أكدت فارحة (16س) وعبّرت عنه عليسة (16س) "سعادتي هي أن أحقق أحلامي". ولكن السؤال هو كيف نحقق هذه الأحلام. بل هو قبل ذلك أين نحقق هذه الأحلام، في بلادنا أم خارجها ؟

قلة فقط من المراهقات والمراهقين لم تعبّر عن رغبة في السفر للدراسة أو الهجرة أو السياحة أو الحج. واتسم عدم وجود الرغبة في السفر في بعض الحالات بالواقعية، نظرا لمحدودية الموارد المالية وصغر السن. ففي لبنان عبّر الأشد فقرا من المستجوبين عن عدم رغبتهم في السفر.

أما بلدان الوجهة التي اختارها المراهقون، فهي متنوعة تنوع الأسباب والدوافع. وكان للأوروبية منها كفرنسا وإيطاليا وإسبانيا النصيب الأبرز، خصوصا في دول المغرب والمشرق. ويعود ذلك إلى القرب الجغرافي والاتصال البشري والثقافي والإعجاب بالتراث الحضاري والرغبة في الاطلاع على طريقة عيشهم. فضلا عن التصور المسبق بأنها تضم مجتمعات متقدمة، تحترم حقوق الإنسان، وفيها قدر من الديمقراطية والحس الاجتماعي. وهذه الميزات لم تجدها المراهقات والمراهقون في بلد مثل الولايات المتحدة الأميركية التي كانت الرغبة في السفر إليها محدودة. كما أن الدول الأوروبية المتوسطية كانت الأكثر حظا، مقارنة بدول أوروبا الأخرى مثل بريطانيا وألمانيا، وبالطبع دول الشمال. ويرتبط السفر إلى هذه البلدان بغرض الدراسة والعمل والسياحة والهجرة.

المجموعة الثانية من البلدان التي ذكترها المراهقات والمراهقون، هي بلدان يصح وصفها بأنها بلدان تتميز بحضارات مختلفة عن حضارتنا وعن الحضارة المتوسطية والأوروبية. وتقع ضمن هذه الفئة بلدان آسيوية مثل ماليزيا وسنغافورة واليابان والهند والأرجنتين، وبلدان إفريقية كجنوب إفريقيا. والغرض من السفر إلى هذه البلدان هو التعرف على حضاراتها، على الأرجح بدافع الفضول والبحث عن الغرابة والمتعة.

## 4. السعادة والنجاح والمال والهجرة

ارتبط تحقيق السعادة بالنجاح عموما في إجابات المراهقات والمراهقين، وتداخل المفهومان وإن لم يتطابقا بالكامل. فقد تم تعريف السعادة بأنها تحقيق أكبر قدر من الرغبات أو الطموحات والمشاريع، أو بأنها تعبير عن القناعة والرضا بما يقوم به الإنسان. كما أبرزت الآراء فكرة الرضا هذه باعتبارها مزيجا من تحقيق الذات والطموحات، ومن خفض درجة السعادة وشروطها إلى مستوى الرضا بما هو متحقق فعلا وما هو ممكن. ويعود اختلاف المواقف بين هذين الحدين إلى اختلاف الانتماءات الاجتماعية بين طبقات فقيرة ومحدودة القدرات وأخرى متوسطة وغنية. كما تبين اختلاف بين من يتابعون الدراسة ويطمحون كتلاميذ إلى تحقيق نجاحات دراسية تمهد لهم طريق نجاحات مهنية، ومن هم خارج المدرسة ودخلوا سوق العمل خلافا لطموحاتهم وخياراتهم الشخصية. فبالنسبة إلى هؤلاء، بدت السعادة أقرب إلى القبول على مضض بالأمر الواقع، فهي مشروع مؤجل عملا باستراتيجية "تخفيف الألم عن طريق تخفيف التوقعات".

في المقابلات المغربية، وردت آراء تشير إلى أن مفهوم السعادة "غير موجود أصلا". ورأت فاطمة (17س) أنه يعني "القناعة" كما أعطاه رضوان (15س) معنى "مساعدة الناس". إجابات مقتضبة تفصح عن مسافة كبيرة تفصل بين المأمول والواقع المعيش. وحتى عندما يعرّف حسن (18س، المغرب) السعادة بكلام أكثر تفصيلا، فهو لا يتجاوز تطلعه إلى البديهيات البسيطة، ولكنها صعبة التحقيق في الآن نفسه "السعادة هي أن يكون الإنسان بلا مشاكل. أن يكون مستقرا في عمله، يأكل ويشرب هنيئا، ولا يشكو حتى من صداع". ولكن عندما تكون هناك مشاريع واضحة بالنسبة إلى المراهقة أو المراهق، فإن السعادة والنجاح يرتبطان عموما بتحقيق هذه المشاريع الحياتية والأهداف المستقبلية. فالسعادة هنا تبدو وكأنها سؤال عن المستقبل، ولا مكان لها في الواقع الراهن "السعادة هي تحقيق الأهداف. عندما نحقق أهدافنا نكون سعداء على مستوى حياتنا العاطفية والمهنية وعلى مختلف المستويات الأخرى" كما صرحت ميساء (18س، الجزائر). وكذلك يرى فوزي (18س، البحرين) أن "النجاح جزء من تحقيق أهداف أكبر ومستقبل أحسن". وعبرت عن ذلك مواطنته سامية (15س) بقولها "النجاح يهمني من ناحية المهنة والمستقبل".

### أ- المال لا قيمة أخلاقية له...

لم يحتل المال في المواقف المعلنة من قبل المراهقات والمراهقين سوى أهمية محدودة. ورغم كون الغالبية تنتمي إلى فئات اجتماعية ذات دخل منخفض ومتوسط، لم تكن للمال بالنسبة إليهم "قيمة" أخلاقية، ولم يربطوا السعادة والنجاح به. بل غالبا ما يرتبط المال بتلبية الاحتياجات، وبحل بعض المشكلات المادية ومساعدة الأهل في تحمل مصروف العائلة. وهو أحيانا يرتبط بتحقيق رغبات هامة جدا من الناحية المعنوية، رغم تواضعها كاستخدام توفر مبلغ من المال لتمويل سفر أحد الأبوين إلى الحج، أو تطوير مشروع إنتاجي متواضع، أو تسديد ديون مترتبة على الأسرة... وقد اتجهت إجابات عدد من المراهقات والمراهقين، عن كيفية

بقرار مؤقت للعمل وتحقيق هدف معيّن والعودة كما بالنسبة إلى بسام (17س، مصر) الذي يرغب في السفر إلى السعودية ليؤمّن مبلغا من المال يفتح به ورشة "ويبني حياته". أما وليد (18س، الجزائر) فيرى تحقيق مشاريعه في الهجرة إلى الخارج وإلى إنجلترا تحديدا، أين يمكنه تحصيل المال وشراء شقة، لكنه يؤكد رغبته في العودة إلى وطنه "الذي يوفر له الراحة النفسية". ولكنه خيار يمكن أن يتحول إلى تقرير مصير في الهجرة. فقرار الدراسة المؤقتة قد يولّد قرارا بالاستقرار في الخارج لفترة أطول في حال الحصول على فرصة عمل مناسبة هناك. وتظهر ازدواجية الأهداف في شهادة عبد الله (17س، مصر) الذي يفكر بدوره في الهجرة أحيانا، ولكنه يخشى إهدار حلم أهله في نيله شهادة جامعية. ولتجاوز هذه الحيرة قرر عبد الله متابعة دراسته والالتحاق بكلية التجارة لأنها تؤهله - كما يرى- للحصول على فرص عمل في بلدان الخليج. في حين عبّرت ثراء (16س، اليمن) أنها تتطلع إلى الهجرة والاستقرار خارج الوطن.

تتبين لنا هنا ازدواجية النظرة إلى الوطن. فهو الفضاء الذي يهرب منه المراهق ليعيش، حسب اعتقاده، حياة أكثر راحة وتحررا، وفي الوقت نفسه يكون الملجأ الذي يعود إليه ليتمتع وليتقاسم مع أهله ما وفره في "غربته". كما تنم بعض الإجابات عن تناقض في مواقف المراهقات والمراهقين، على غرار محمد (17س، مصر) الذي تتجاذب أحلامه الرغبة في تغيير أحوال البلد من جهة، والرغبة في الهجرة إلى الخارج من جهة أخرى.

ويرتبط السفر من أجل العمل أحيانا بتحقيق هدف محدد يتمثل غالبا في تجميع مبلغ من المال والعودة إلى الاستقرار في البلد الأم، ولكنه أيضا خيار مفتوح على احتمالات أخرى. أما الخيار الأكثر حسما، فهو عندما يجتمع في وعي المراهقة والمراهق أكثر من عامل يدفعهما إلى الهجرة، وخصوصا عند اجتماع العامل الاقتصادي مع عامل انعدام الاستقرار الأمني أو السياسي أو حالة طويلة من النزاع الداخلي أو الحرب، فحينها يكون الخيار مترافقا مع عوامل نفسيه ترى في ترك البلاد نفسها حلا بغض النظر عمّا سيلاقيه المهاجر في البلاد التي يهاجر إليها. وقد لوحظت حالات من هذا النوع في المقابلات في البلدان التي تتميز بوجود بطالة بمعدلات مرتفعة، الأمر الذي يؤدي إلى إحساس المراهقات والمراهقين بانسداد الأفق. فعليسة (16 س، الجزائر) تحلم بأن تصبح مراسلة صحفية وأن تغادر الجزائر إلى بلجيكا وتبرر رغبتها هذه بأن "الشباب ليس لهم مستقبل في الجزائر، لأن البطالة تحطم كل طموحاتهم". وقد ارتبط التفكير بالهجرة بمسألة البطالة في جميع البلدان التي شملها البحث (خصوصا المغرب ولبنان ومصر وتونس). فعائشة (17س، المغرب) تقول إن رغبتها الوحيدة التي عبرت عنها بوضوح هي أن تتمكن في يوم من الأيام من الهجرة إلى فرنسا. ولا تخفي مواطنتها سهام (16 س) بدورها رغبتها في السفر والعيش في الخارج.

كما لوحظت حالات أخرى معبرة عن امتزاج الصعوبات الاقتصادية بالصعوبات السياسية (كما في حال الجزائر) فسّرت الرغبة القوية في الهجرة التي برزت في المقابلات الجزائرية وطابعها القطعي حيث بدت الهجرة هاجسا وحلما. تقول هالة (17 س، الجزائر) " يبقى حلمي الأكبر هو مغادرة الجزائر. ذلك أن البقاء هنا لا يضمن لي مستقبلا جيدا في حين أن العالم الآخر قد يكون فيه فرص عديدة للنجاح". وتشاطرها مواطنتها ميساء (18س) الحلم نفسه في الهجرة وهي ترغب في السفر إلى فرنسا التي تحقق لها النجاح في العمل وفي الحياة، "أما الجزائر

المجموعة الثالثة من البلدان التي ذكرت تتضمن بلدانا عربية مختلفة. ورد ذكر السعودية أكثر من مرة في أكثر من بلد في المغرب والمشرق واليمن بدافع الحج أو زيارة الديار المقدسة. مع الإشارة إلى ذكر مراهق بحريني لإيران مما يرجح البعد الديني أيضا. كما ذكرت لبنان في اليمن ومصر والمغرب لما يرتبط بالصورة التي يحملونها عنه من انفتاح وديمقراطية و"وجود فتيات جميلات" بتأثير من الفضائيات اللبنانية على ما يبدو. وورد ذكر فلسطين، بكل ما ترتبط به من معاني قدسية الأرض وقدسية النضال الفلسطيني ضد الإسرائيليين الذي ينتزع الإعجاب والتقدير. كما تم تكرار ذكر مصر، وارتبط ذلك بالرغبة في التعرف إلى الحضارة الفرعونية، بالإضافة إلى ما يعرف عن الشعب المصري من "خفة دم". وهنا أيضا بدا واضحا أثر الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي المصري في بروز هذه الرغبة.

يسافر المراهقون بقلوبهم وعقولهم وأحلامهم. يسافرون داخل بلدانهم أحيانا، كما هي حال إلهام (17س) من ريف مصر التي ترغب في السفر إلى القاهرة أولا "عايزة أشوف مصر". وقد يسافرون إلى أبعد من الحدود، يستمتعون، وبعدها يستقرون هناك أو يعودون إلى الوطن.

يختصر رغبتهم كلهم عمرو (16 س، مصر) بقوله "عايز ألف الدنيا، وبعد كده استقر في مصر. أتوظف وظيفة جيدة، وأكمل نصف ديني أتزوج بنت حلوه ودمها خفيف وحنينة، وقلبها عليّ وعلى أولادنا، وتساعدني وتساعد أولادها على العيشة. زوجة تحب، وتعرف كيف تعيش".

## ب- الهجرة والسفر : ارتقاء اجتماعي

ارتبطت الهجرة بالنسبة إلى العديد من المراهقات والمراهقين بتأمين مستقبل أفضل سواء عن طريق الدراسة أو عن طريق العمل المجدي اقتصاديا. كما أنها شكلت في حالات أخرى هدفا قائما بذاته هربا من الوضع الاقتصادي والسياسي في البلد، باعتبارها المخرج شبه الوحيد المتاح للتخلص من الإحساس بالإحباط والضياع أو انسداد الأفق.

فالسفر من أجل متابعة الدراسة في الاختصاصات المرغوبة هو أحد الخيارات الأساسية بالنسبة إلى التلاميذ، وخصوصا من يربط منهم نجاحه الاجتماعي بالتحصيل العلمي الجيد والتخصص في مجال يتيح له فرص عمل أفضل، وهو ما قد لا يكون متوفرا دائما داخل البلاد. من ناحية أخرى، فإن معدلات البطالة المرتفعة وصعوبة إيجاد فرص عمل تتناسب مع الطموحات، بالإضافة إلى هاجس تحسين مستوى المعيشة والارتقاء الاجتماعي، تشكل بدروها أحد الأسباب الأكثر أهمية التي تؤدي إلى الهجرة. وأخيرا، فإن الأوضاع السياسية والأمنية غير المستقرة، تشكل عنصرا دافعا إلى خارج الحدود الوطنية.

تمتزج هذه الأسباب والدوافع في وعي المراهقات والمراهقين عندما يفكرون في الهجرة وتؤثر في تحديد فترتها : هجرة دائمة أو مؤقتة، أو للدراسة أو العمل فقط. ويمكن أن تمتزج الأهداف، فيكون أحيانا سفر من أجل الدراسة فقط والعودة إلى الوطن. تتمنى نوف (17س، اليمن) زيارة دولة أوروبية على غرار إنجلترا لتواصل دراستها هناك. كما ترغب سهيلة (16 س، مصر) في السفر إلى الخارج للدراسة، لكنها تريد العودة إلى مصر. كما يمكن أن يرتبط السفر

## رسم بياني 10.2 : خصائص الهجرة في لبنان - 1975-2001

يعد لبنان، من بين البلدان العربية القليلة، ذا تقاليد قديمة في الهجرة إلى مختلف مناطق العالم. وفي دراسة حديثة عن دخول الشبان في النشاط الاقتصادي والهجرة، صادرة عن الجامعة اليسوعية في لبنان عام 2003، تبين أن أقل من نصف الأسر اللبنانية بقليل (46.2٪ من الأسر، قد هاجر أحد أفرادها بين 1975 و 2001. أما أبرز خصائص هذه الهجرة كسنة الهجرة، وبلدان المقصد، وسبب الهجرة فهي التالية :

### تـــاريخ الهجـــرة

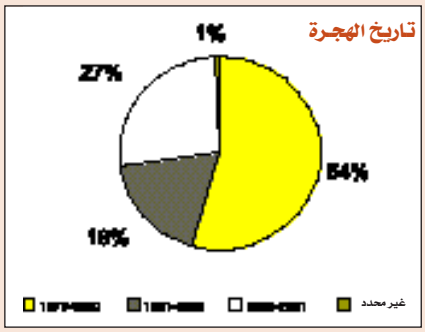


**سافر حوالي 54٪ من المهاجرين في الفترة المشمولة في البحث خلال سنوات الحرب التي امتدت بين 1975 و 1990 (متوسط سنوي 3.6٪). وحوالي 18.4٪ في النصف الأول من التسعينات، وهي السنوات التي تميزت بتوقعات اقتصادية وسياسية متفائلة نسبيا (متوسط سنوي 3.7٪). في حين بلغت حصة النصف الثاني من التسعينات (1996-2001) 26.6٪ (متوسط سنوي 4.4٪) حيث ساد ركود اقتصادي في البلاد.**

### بلـــدان المقصـــد

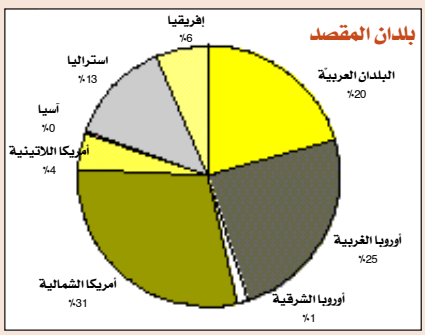


**غالبية اللبنانيين المهاجرين سافرت إلى بلدان أميركا الشمالية (29.5٪) حيث الطابع العام للهجرة هو الهجرة الدائمة والعمل وهجرة العائلة كاملة (تشمل يشكل خاص كندا)،ويليها من حيث الأهمية أوروبا الغربية (24.4٪) والبلدان العربية (20.4٪). في حين شكلت استراليا 13.1٪، وهي أيضا هجرة عائلات دائمة للاستقرار والعمل. أما بالنسبة إلى أوروبا الغربية وأميركا الشمالية (خصوصا الولايات المتحدة)، فيمتزج فيها السفر للدراسة مع السفر للعمل والاستقرار في الخارج.**

### أسبـــاب الهجـــرة

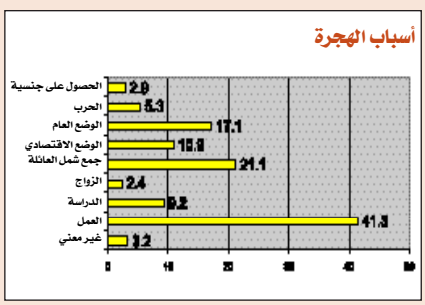


**غالبية اللبنانيين المهاجرين سافروا بحثا عن عمل بنسبة 41.3٪، يضاف إليهم 10.9٪ أعادوا الهجرة إلى أسباب اقتصادية. في حين سافر 21.1٪ للانضمام إلى عائلاتهم المهاجرة، وعزا 17.1٪ هجرته إلى الأوضاع العامة وربطتها نسبة 5.3٪ مباشرة بالحرب. أما الهجرة من أجل الدراسة، فقد شكلت 9.2٪ من إجمالي المهاجرين.**

**source :** l'entrée des jeunes libanais dans la vie active et l'émigration : Presse de l'Université Saint Joseph : Beirut, 2003.

فلا مستقبل فيها" حسب رأيها. ولا تخرج مروى (18 س) عن هذا الإطار، فهي تنوي أن تحترف "الترجمة" لكي تسافر كثيرا وتقول إنها تشعر بسعادة بالغة كلما سافرت و"خرجت من المجتمع الجزائري" وتعتبر أن العيش في بلدها لا يطاق وأن فيه يصارع الفرد من أجل البقاء.

ويلعب أحيانا أخرى وجود تقاليد قديمة للهجرة في البلد المعين، وسهولة الهجرة أو القرب الجغرافي من بلدان المقصد (كما في لبنان وتونس) دورا يشجع على الهجرة تقليدا للأقارب أو لمعارف سبق أن سلكوا هذا الطريق. مع الإشارة إلى أن المراهقات والمراهقين الذين لم يعبروا في لبنان عن رغبة في السفر أو الهجرة، هم الذين ينتمون إلى الفئات الأشد فقرا، والذين لم يبد هذا الخيار واقعيا بالنسبة إليهم لعدم توفر الموارد المالية الضرورية لذلك، أو لعدم وجود تجارب ناجحة في محيطهم. فغالبا ما تبني المراهقات والمراهقون مشاريعهم المستقبلية انطلاقا من التجارب "الناجحة" لبعض معارفهم، فيجعلون منهم مثلا عليا يحلمون بمجاراتها. وقد يصبح الحلم أكثر مشروعية إذا ما نجح غيرهم في تحقيقه. فجهاد (18س، تونس) يفكر في "الحرقان" (الهجرة غير القانونية) إلى إيطاليا كما فعل بعض معارفه ونجحوا. ويعود اختياره هذا لكونه "يحب المخاطرة ولا يفتقر إلى الطموح".

المراهقة أو المراهق. يستثنى من ذلك منظومة الأفكار الدينية التي هي حاضرة وعابرة للحدود الوطنية في مستووين. مستوى المعتقد الديني الشعبي والذي يغلب عليه طابع العبادات والسلوكيات. وهو، وإن ارتبط بعدد من النقاط الأساسية ذات الطابع الأخلاقي وفي حضوره الدائم في خلفية التفكير والسلوك بين المراهقات والمراهقين، إلا أنه لجهة المواقف والسلوكيات متنوع ومرن ومرتبط بالخصائص الوطنية والمحلية في كل مجتمع.

أما المستوى الثاني، فهو مستوى الحركات الدينية ذات الطابع السياسي والسياسي - الثقافي والتي هي الأخرى تخترق الحدود الوطنية. وتكون أقرب من منظومة القيم بالمعنى المشار إليه أعلاه. فإذا كانت مواقف المؤمنين وسلوكياتهم في مختلف البلدان متفاوتة ومتأثرة بالبيئات المحلية والخصائص الأسرية والفردية، فإن مواقف المنتسبين إلى حركات دينية سياسية تتشابه في جوانب عدة (وإن اختلفت فهي تختلف وفق انتماءات فرعية داخل الحركة الدينية) تطال مواقف سياسية وأخلاقية وسلوكية والموقف من المرأة ... وفي هذا المجال، فإن أعلى درجة من التشابه في المواقف النمطية نجده ضمن هذه المجموعة من مختلف البلدان. كما نجد أعلى درجة من الترابط في المواقف بين مجال وآخر لدى الفرد الواحد، وإن كان سبب هذا التشابه الامتثال والالتزام النصي بما هو حلال وحرام أو تكرار مواقف موحدة من قضايا شاملة. وتلعب الفضائيات خصوصا دورا أساسيا في توحيد السلوكيات والمفاهيم وتنميطها لدى المنتمين إلى الحركات الدينية السياسية، وتمنحهم هوية مشتركة.

أما في القطب المقابل، فإن ما يمكن اعتباره أفكارا تندرج في إطار الحداثة (وهي غير قيم العولمة على ما جاء في المدخل النظري)، لا تزال في طور التكون التدريجي في حالات فردية تساعدها في ذلك أحيانا بيئات وطنية وأسرية. ولكن ما يميزها عن نمط تشكل التيارات الأخرى الدينية والسياسية والعولمة الاستهلاكية[3]، هو أنها تتم بصعوبة وباعتبارها حالات تقاوم السائد بقطبيه التقليدي والمعولم، وأنها تتم باعتبارها عملية نقد لهذا السائد.

**(3)** لقد تم تناول نسق القيم المتعلقة بالعولمة المعاصرة بشكل ضمني في الفصل الخاص بثقافة المراهقة والسلوكيات.

## استنتاجات عامة

بينت مواد هذا الفصل في محاوره الأربعة وجود تفاوت بين المواقف والسلوك والمفاهيم التي عبرت عنها المراهقات والمراهقون. والتفاوت الأول بين المواقف المعبر عنها والسلوك العملي يعبر في بعده العام عن ثنائية القول والفعل في المجتمع. ويعبر في بعده الخاص المتصل بالمراهقات والمراهقين، عن خصائص فترة تكوين القناعات وبناء الشخصية. وتتأرجح هذه الفترة بين استبطان القيم السائدة وتكرار المواقف المقبولة بتأثير من التربية التي يتلقونها في الأسرة والمدرسة، وبين اصطدامهم بواقع عدم ملاءمة هذه المواقف مع احتياجاتهم وقناعاتهم، فيبدؤون في مساءلتها وممارسة حقهم في الاختيار.

ولكن التباعد بين الموقف والسلوك العملي ينبع هنا من عدم اتساق داخلي في مرحلة تكوينية لا تخلو من الارتباك، أو عدم جرأة أو قدرة كافية على إيجاد تبرير عام للموقف الفعلي. فيبقى هذا الأخير في مستوى السلوك غير "المشرعن" اجتماعيا. ويندرج ضمن الازدواجية العامة في المجتمع، بين ما يعلن والذي يجب أن يكون منسجما مع القيم السائدة، وبين ما يمارس والذي يجري التساهل معه حتى وإن كان مخالفا للسائد، طالما لا يرتقي إلى مستوى القيمة التي يجاهر بها.

أما التفاوت الثاني بين المواقف و/أو السلوك من جهة، وبين المفاهيم، من جهة أخرى، فهو تفاوت نابع من كون الانتقال من المستوى الأول أي المواقف والسلوك، إلى المستوى الثاني عملية معقدة تتطلب درجة من التجريد، ودرجة أعلى من الانسجام بين مختلف أبعاد شخصية المراهقة أو المراهق في المجالات المختلفة. وهي عملية صعبة بطبيعتها وتتوفر شروطها مع تقدم المراهقة والمراهق في السن، ومع تنوع خبراتهما ونشاطاتهما. إلا أنها تتطلب في كل حال توفر بيئة مساعدة، غير متاحة بشكل عام في المجتمعات العربية، لا في المدرسة ولا في العائلة ولا في المجتمع حيث القيم الأكثر انتشارا هي قيم الإمتثال والتجزئة والنفعية والتفكير التقليدي.

وبالتالي لم تبين المقابلات سوى بدايات جنينية لبعض الانسجام بين الأبعاد الثلاثة، المواقف والسلوك والمفاهيم العامة، وهي حالات فردية لعبت فيها عوامل محددة دورا أساسيا. وأبرز هذه العوامل هو التأثر بالأسرة والأهل الذي أفرز وضعيات مختلفة. وضعية المراهق (ة) الذي عاش في أسرة منفتحة ومثقفة وناشطة في الحقل العام، مما جعله في وضعية تمكنه من التفكير المنسجم مع سلوكه ومواقفه المعلنة، أو المراهق(ة) الذي انخرط في نشاط سياسي أو اجتماعي أو ثقافي، يمكنه من بناء شخصية على درجة من التكامل، أو المراهق (ة) الذي يتبنى فكرا شموليا بحيث يشكل هذا الفكر منظما لمواقفه من مجمل الأمور. مع العلم أن هذا الانسجام قد لا يتكون هنا دائما نتيجة تفكير ناقد وانتقائي بل قد يكون بفعل اختيار تم بالجملة ودفعة واحدة، يليه قبول امتثالي بكل ما ينتج عن هذا الخيار.

ويصعب الجزم بوجود منظومات قيم على درجة من التكامل تتبناها المراهقات والمراهقون في مختلف البلدان. ونقصد بالمنظومة مجموعة العناصر القيمية التي ترتبط فيما بينها ارتباطا جدليا، ويجمعها منطق وغائية مشتركة نسبيا تغطي أكثر من جانب في حياة

القسم الثالث :

# المؤشرات الكمية لواقع الفتاة العربية المراهقة

■ الاقتصادات الأكثر تنوعا-المغرب : الجزائر والجماهيرية العربية الليبية والمغرب وتونس. وكما هو الحال بالنسبة إلى دول المشرق العربي، تتباين دول هذه المجموعة في خصوصياتها. فالجزائر دولة نفطية، شهد تاريخها مقاومة بطولية للاحتلال الفرنسي وهي من الدول التي تأخر نيلها للاستقلال السياسي. وهي تعاني منذ سنوات من ظروف أمنية مضطربة وصراعات دموية داخلية. وليبيا دولة نفطية، يمكن اعتبارها أقل انفتاحا من الدول العربية الأخرى عانت من حصار اقتصادي استمر ما يزيد عن عشر سنوات. ويعاني المغرب من معدلات فقر وبطالة مرتفعة ومن آثار قضية الصحراء الغربية التي تشكل عبئا اقتصاديا كبيرا. أما تونس، فقد اتبعت سياسات اجتماعية أكثر اتساقا من أي بلد عربي آخر في مجالات محددة، وخاصة فيما يتعلق بتعليم المرأة وعملها وحقوقها المدنية. وإلى جانب التباين في خصوصيات دول هذه المجموعة، فهي تتقاسم جملة من الخصائص، إذ أن جميع هذه الدول تطل على البحر الأبيض المتوسط، كما أن قربها من أوروبا، جعلها من الدول الأكثر اتصالا وتفاعلا معها. إن مدى تأثيرات هذه العلاقة الوثيقة بأوروبا يتجاوز في بعض الجوانب تأثيرات العلاقة مع الدول العربية الأخرى، وتشمل الجوانب الثقافية والاقتصادية والحراك السكاني.

■ الدول الأقل نموا : جزر القمر وجيبوتي وموريتانيا والصومال والسودان واليمن. رغم أن دول هذه المجموعة، بخلاف دول المجموعات الثلاث السابقة، غير متصلة جغرافيا إلا أنها تشترك في خصائص جوهرية. ونجد في مقدمة هذه الخصائص انخفاضا شديدا في دخل الفرد ومستويات التعليم والصحة والخدمات الحكومية وارتفاع الخصوبة. وتعاني معظم هذه الدول بدرجات مختلفة من عدم الاستقرار السياسي، كما يعاني بعضها من حروب داخلية.

ولا شك أن عناصر التشابه والاختلاف بين مجموعات الدول العربية، وضمن كل واحدة من هذه المجموعات، تنعكس بشكل ملموس على المراهقات والمراهقين. ويوفر هذا التباين فرصا قيمة للبحث عن مصادر القوة ولتوظيف ذلك في البحث عن حلول تستفيد من تنوع التجارب.

وتعرض في الجداول الإحصائية (أنظر الملحق الإحصائي) المؤشرات المتاحة عن الدول العربية للجوانب المختلفة ذات الصلة بأوضاع الفتاة العربية المراهقة. وقد أدرجت هذه المؤشرات وفقا لتصنيف الدول العربية الوارد أعلاه، مع بيان المعدل لكل مجموعة للمقارنة بينها[3].

## 1. التنمية البشرية

توفر أدلة التنمية البشرية التي تنشر سنويا في تقارير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي المقاييس الكمية الأوسع استخداما لأغراض المقارنات الدولية. وتغطي هذه الأدلة مختلف مجالات االتنمية البشرية و يسمح صدروها سنويا بمتابعة تطورها زمنيا[4]. ويبين جدول 1.3 قيم وترتيب الدول العربية استنادا إلى أهم ثلاثة من بين هذه الأدلة.

(3) تمثل المعدلات متوسطات حسابية بسيطة نظرا لوجود صعوبات عملية تعترض حساب متوسطات حسابية مرجحة.

(4) تعرّف التنمية البشرية بأنها عملية توسيع لخيارات الناس. والخيارات الأساسية هي أن يعيش الناس حياة مديدة وصحية، وأن يكتسبوا معرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستوى معيشي لائق. وتطبيقا لهذا التعريف يقاس دليل التنمية البشرية على أساس ثلاثة أبعاد رئيسية للتنمية البشرية هي : حياة مديدة وصحية، وتقاس بمؤشر متوسط العمر المتوقع عند الولادة. المعرفة، وتقاس بمؤشرين هما معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين ونسبة القيد في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي معا. مستوى المعيشة، ويقاس بمؤشر نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي.

# المؤشرات الكمية لواقع الفتاة العربية المراهقة

## مقدمة

تتسم البيانات الإحصائية المتوفرة عن المراهقات والمراهقين في البلدان العربية بالشح وعدم الاتساق ومحدودية الدقة. ويرجع هذا إلى ضعف الاهتمام بموضوع المراهقة في الدول العربية عموما، مما يفضي إلى عدم وجود محاولة جدية لتحديد المؤشرات المتصلة بها وتوفيرها. كما أن ما هو متاح من بيانات عن الفتاة العربية المراهقة لم يجمع من منطلق الاهتمام بالمراهقة باعتبارها فئة عمرية محددة، وإنما جاء كنتيجة عرضية لاعتماد تقسيم السكان وفقا للفئات العمرية الخمسية أو للمراحل التعليمية. بناء عليه سنعتمد البيانات المتاحة عن الفئة العمرية (15- 19سنة)، وعن المرحلة الدراسية للتعليم الثانوي، باعتبارها تعبر عن فئة المراهقات والمراهقين المستجوبة في إطار هذا التقرير (15-18 سنة)[1].

ولأغراض التحليل ضمن هذا الفصل، تصنف الدول العربية إلى أربع مجموعات تضم كل منها ما بين أربع وست دول عربية ذات خصائص سكانية وجغرافية واقتصادية واجتماعية مشتركة تميزها عن بقية الدول، ضمن المجموعات الثلاث الأخرى[2] :

- بلدان مجلس التعاون الخليجي : البحرين والكويت وسلطنة عمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. وتجمع هذه الدول جملة من الخصائص من بينها وقوعها على الخليج العربي وطبيعتها الصحراوية أو شبه الصحراوية، وانخفاض كثافتها السكانية وارتفاع نسبة غير المواطنين فيها. فضلا عن اعتماد اقتصادها بدرجة كبيرة على تصدير النفط الخام، وتشابه هذه الدول في أنظمتها السياسية.

- الاقتصادات الأكثر تنوعا-المشرق : مصر والعراق والأردن ولبنان وفلسطين والجمهورية العربية السورية. وتضم هذه المجموعة دولا ذات خصائص جغرافية وسكانية واقتصادية واجتماعية وسياسية أكثر تنوعا مقارنة بدول مجلس التعاون الخليجي. وتتصف أغلب دول هذه المجموعة بخصوصيات لها أثر كبير على واقع المراهقين. وتتمثل هذه الخصوصية بالنسبة إلى مصر في ارتفاع كثافتها السكانية، مما جعلها أكثر الدول العربية تصديرا للعمالة للدول العربية الأخرى. ورغم أن العراق هو الدولة النفطية الوحيدة ضمن المجموعة، إلا أنه يعاني من وضعه الخاص كدولة عاشت ظروف الحرب والحصار خلال أكثر من عقدين من الزمان، ثم وقوعه تحت الاحتلال الأميركي بعد حرب الخليج الثالثة (2003). ويمتاز لبنان بانفتاحه ودوره الريادي ضمن الدول العربية في مجالات عديدة من ناحية، وفي ما عانى من حرب أهلية استمرت ما يقارب خمسة عشر عاما ومن احتلال إسرائيلي لقسم من أراضيه استمر اثنين وعشرين عاما من ناحية أخرى. كما تعد فلسطين بلا شك الأكثر خصوصية بالنظر إلى ما تمر به منذ أكثر من نصف قرن من حروب واحتلال ولجوء وإلى سياسات الاستيطان والتهجير والحصار وأعمال المقاومة والصمود. وكانت الأردن والجمهورية العربية السورية أشد الدول العربية تأثرا بالقضية الفلسطينية (وبالوضع في العراق خصوصا بالنسبة إلى الأردن)، إذ كانتا الأكثر معاناة من آثار الحروب واللجوء والمقاومة التي رافقت هذه القضية.

**(1)** يشكل "المسح العربي لصحة الأسرة - papfam" استثناء ايجابيا، حيث تم تنفيذ هذا المسح في خمس دول عربية وهي سوريا وتونس والجزائر ودجيبوتي واليمن وينفذ حاليا في المغرب ولبنان وتجري الاتصالات بثلاث بلدان عربية. وهو مشروع يشترك في تنفيذه على المستوى العربي جامعة الدول العربية، وصندوق الخليج لدعم منظمات الأمم المتحدة - الأجفند، وصندوق الأمم المتحدة للسكان بالإضافة إلى شركاء وطنيين ووزارات مختصة في كل بلد. و تتمثل أهمية هذا المسح في أنه يوفر قاعدة بيانات موحدة لجهة المنهجية المعتمدة والمؤشرات تتضمن إمكانية اعتماد استمارة خاصة لدراسة أوضاع الشباب والمراهقين ولا سيما الأبعاد المتصلة بالصحة الإنجابية. إلا أن المشروع لم ينته بعد. ولا تشمل البيانات المتاحة كل البلدان العربية رغم أن ذلك أمر حيوي لإعداد هذا الفصل. وهو ما فرض اعتماد مصادر أخرى تتوفر من خلالها مجموعة البيانات لكل البلدان أو أغلبها ولفترات زمنية متتالية إن أمكن ذلك، في حين تمت الاستفادة من نتائج المسح العربي لصحة الأسرة بأشكال مختلفة في متن التقرير.

**(2)** اعتمد التصنيف نفسه المستخدم في تقرير تنمية المرأة العربية الأول الصادر عن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوتر) عام 2001 حول "العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية".

## أ- واقع دليل التنمية البشرية واتجاهاته

يتضح من جدول 1-1 في الملحق الإحصائي، أن قيم دليل التنمية البشرية لمجموعات الدول العربية الأربع تقع في ثلاثة مستويات متباينة : مستوى مرتفع نسبيا في حدود 0.80 تتمتع به مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، ومستوى متوسط في حدود 0.70 يمثل مستوى دول الاقتصادات الأكثر تنوعا في المشرق العربي والمغرب العربي، باستثناء العراق، ومستوى منخفض، وهو في حدود 0.50، يمثل مستوى دول مجموعة الدول الأقل نموا.

يمثل البعد الاقتصادي العامل الأكثر وزنا في تحديد هذا الترتيب. ففي حين يزيد معدل مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، ذات المستوى الأعلى في التنمية البشرية، عن المعدل المقابل لمجموعة الدول الأقل نموا ذات المستوى الأدنى في التنمية البشرية، بمقدار الثلث في مؤشر العمر المتوقع، وبمقدار النصف في مؤشر معدل معرفة القراءة والكتابة، ويماثل مجموعة الدول الأقل نموا في مؤشر نسبة القيد الإجمالية في التعليم، نجد أن ذلك المعدل يبلغ تسعة أمثال بالنسبة إلى مؤشر معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. ولا شك في أن هذا التباين في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي قد ساهم كذلك في توسيع التفاوت في المؤشرات الثلاثة الأولى وخاصة مؤشر نسبة القيد الإجمالية في التعليم، نظرا لما يتطلبه رفع هذه النسبة من تكاليف مرتفعة. وتمثل الموارد النفطية التي تتمتع بها دول مجلس التعاون الخليجي السبب المباشر لارتفاع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي. ولهذه الموارد الفضل الأكبر في توفير فرص أفضل للتمتع بحياه مديدة وصحية ولاكتساب المعرفة والعيش بمستوى معيشي لائق.

وبوجه عام، تتصف الدول العربية بتقدم مستوى دخل الفرد على مستوى البعدين الآخرين للتنمية البشرية، مما يشير إلى أن الموارد الاقتصادية المتاحة تؤهل تلك البلدان لتحقيق إنجازات اجتماعية وصحية وتعليمية أفضل. إن معدل دليل التنمية البشرية للدول العربية يساوي تقريبا المعدل المذكور لكافة الدول النامية، رغم أن معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية يزيد عن المعدل المقابل للدول النامية بما نسبته 27٪. كما أن ترتيب معظم الدول العربية ضمن دول العالم، حسب نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، أفضل من ترتيبها حسب دليل التنمية البشرية. وينطبق هذا بوجه خاص على دول مجلس التعاون الخليجي، حيث يبلغ معدل ترتيب هذه الدول ضمن دول العالم حسب دليل التنمية البشرية 55. في حين تتمتع هذه الدول بناتج محلي إجمالي يؤهلها ليكون معدل ترتيبها 35 حسب مؤشر حصة الفرد من الناتج المحلي. وتعدّ مجموعة الاقتصادات الأكثر تنوعا-المشرق، المجموعة العربية الوحيدة التي كان معدل ترتيبها حسب دليل التنمية البشرية أفضل من معدل ترتيبها حسب مؤشر الناتج المحلي الإجمالي. ويرجع الفضل في ذلك إلى لبنان (المرتبة 75 حسب دليل التنمية البشرية، مقابل المرتبة 95 حسب مؤشر الناتج المحلي الإجمالي).

يشير تخلف الجانب الاجتماعي المتمثل في الصحة والتعليم عن الجانب الاقتصادي في معظم الدول العربية إلى أن تطور الخدمات الاجتماعية في هذه الدول لا يتناسب مع ما تتسم به البلدان العربية من نمو سكاني مرتفع، ومن ثمة نمو لا يتناسب مع النمو السريع للطلب على الخدمات الصحية والتعليمية. و لا شك في أن المراهقين عموما هم من أكثر فئات المجتمع تأثرا بالواقع الصحي والتعليمي، ليس في حاضرهم فحسب، وإنما في مستقبلهم أيضا، وهو الأهم.

## جدول 1.3 : أدلة التنمية البشرية للدول العربية

| الدولة | قيمة الدليل | | | الترتيب ضمن الدول العربية | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | دليل التنمية البشرية 2000 | دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس 2000 | دليل الفقر البشري-1 2000 | دليل التنمية البشرية (ضمن 20 دولة) | دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس (ضمن 19 دولة) | دليل الفقر البشري-1 (ضمن 16 دولة) |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | 0.831 | 0.822 | .. | 1 | 1 | .. |
| الكويت | 0.813 | 0.804 | .. | 2 | 2 | .. |
| عمان | 0.751 | 0.722 | 32.1 | 8 | 8 | 9 |
| قطر | 0.803 | 0.794 | .. | 4 | 4 | .. |
| المملكة العربية السعودية | 0.759 | 0.731 | 16.9 | 6 | 7 | 4 |
| الإمارات العربية المتحدة | 0.812 | 0.798 | .. | 3 | 3 | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | **0.790** | **0.779** | **24.5** | **4.0** | **4.2** | **6.5** |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا- المشرق** | | | | | | |
| مصر | 0.642 | 0.628 | 31.2 | 13 | 13 | 7 |
| العراق | *0.567 | *0.548 | *32.9 | 15 | 15 | 11 |
| الأردن | 0.742 | 0.701 | 8.2 | 9 | 10 | 1 |
| لبنان | 0.755 | 0.739 | 9.9 | 7 | 6 | 2 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 0.691 | 0.669 | 19.3 | 12 | 12 | 5 |
| **المعدل- المشرق** | **0.679** | **0.657** | **20.3** | **11.2** | **11.2** | **5.2** |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا- المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | 0.697 | 0.679 | 23.4 | 11 | 11 | 6 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 0.773 | 0.753 | 16.2 | 5 | 5 | 3 |
| المغرب | 0.602 | 0.585 | 35.8 | 14 | 14 | 13 |
| تونس | 0.722 | 0.709 | .. | 10 | 9 | .. |
| **المعدل- المغرب** | **0.700** | **0.682** | **25.1** | **10.0** | **9.8** | **7.3** |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | 0.511 | 0.505 | 31.9 | 16 | 16 | 8 |
| جيبوتي | 0.445 | .. | 34.3 | 19 | .. | 12 |
| موريتانيا | 0.438 | 0.429 | 47.9 | 20 | 18 | 15 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 0.499 | 0.478 | 32.7 | 17 | 17 | 10 |
| اليمن | 0.479 | 0.426 | 41.8 | 18 | 19 | 14 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | **0.500** | **0.460** | **37.7** | **18.0** | **17.5** | **11.8** |

*بيانات 1999.

**المصدر:** جداول 1-1 و1-3 و1-4 في الملحق الإحصائي.

## رسم بياني 2.3 : اتجاهات دليل التنمية البشرية (1975 - 2000)

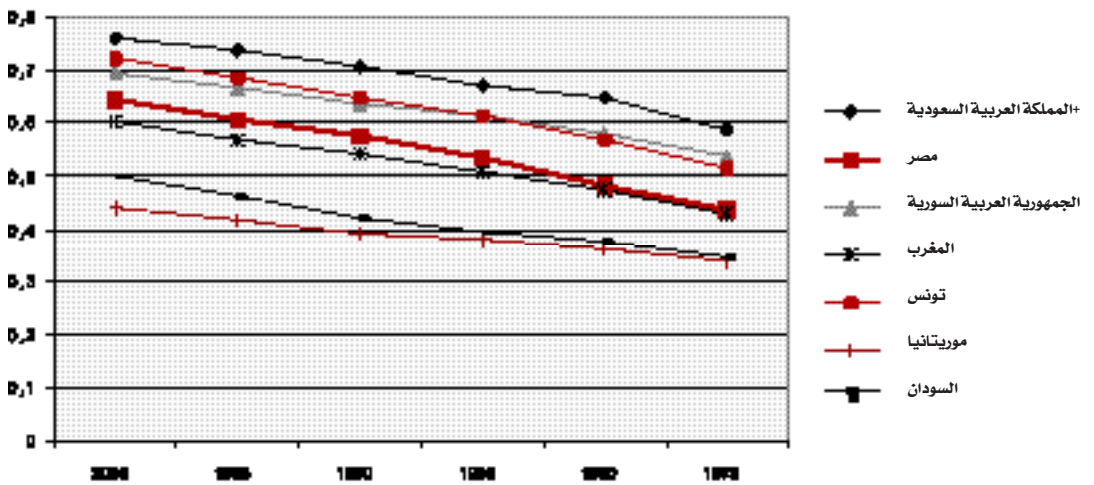


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## ب- التنمية البشرية والمساواة بين الإناث والذكور

يبين دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس مدى الإنجاز المحقق في أبعاد التنمية البشرية مع الأخذ بعين الاعتبار مسألة المساواة بين الجنسين. ويلاحظ من الجدول 1-3 أن مدى عدم المساواة ما بين الإناث والذكور في الدول العربية أوسع مما هو عليه في دول العالم عموما. كما يستخلص من قيم معدلات مجموعات الدول العربية أن مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي تعاني من أعلى درجة من عدم المساواة بين الجنسين، تليها مجموعة دول المشرق العربي، ثم مجموعة دول المغرب العربي، وأخيرا مجموعة الدول الأقل نموا. ومن الملاحظ أن المغرب وتونس يحتفظان بالترتيب نفسه في الدليلين وأن جزر القمر وموريتانيا والسودان تتحسن مواقعها نسبيا ضمن دول العالم عند الأخذ بالاعتبار مسألة المساواة بين الإناث والذكور. ويمكن تفسير ذلك بالسياسات المعتمدة والتقدم المحقق في مجال حقوق المرأة في كل من تونس والمغرب. كما يمكن تفسيره بالنسبة إلى الدول الأقل نموا بعاملين أحدهما هو الانخفاض العام في مؤشرات التنمية على نحو يقلص الهوة بين الجنسين. ويتجسم الثاني في ارتفاع معدل مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي (خصوصا الزراعي) في هذه البلدان مقارنة بالدول الأخرى. وهو ما بينه تقرير "كوثر" الأول لتنمية المرأة العربية حول "العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية".

وعلى مستوى أبعاد التنمية البشرية، يزيد العمر المتوقع عند الولادة للإناث عما هو عليه عند الذكور بأقل من أربع سنوات بالنسبة إلى معظم الدول (الفارق الاعتيادي خمس سنوات). ويظهر مؤشر معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين تفاوتا لصالح الذكور في جميع الدول العربية تقريبا. وكذلك الشأن بالنسبة إلى مـؤشر نسبة القيد الإجمـالي في التعليم. إلا أن التفاوت في

وعلى مستوى دليل التنمية البشرية لكل دولة ضمن كل مجموعة، يلاحظ من جدول 1-1 والرسم البياني 1.3 أن أعلى درجة من التفاوت تسجل ضمن دول مجموعتي الاقتصادات الأكثر تنوعا، ثم ضمن دول مجلس التعاون الخليجي، وأخيرا ضمن الدول الأقل نموا. وفي هذا السياق فإن الدول التي تتميز بأداء مرتفع في دليل التنمية البشرية مقارنة مع بقية الدول ضمن المجموعة التي تنتمي إليها هي : لبنان والجماهيرية العربية الليبية وتونس. ويبدو أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هو العامل الأبرز لتفسير تباين هذه الدول مع بقية الدول ضمن المجموعات التي تنتمي إليها.

## رسم بياني 1.3 : دليل التنمية البشرية ودليل التنمية المرتبط بنوع الجنس

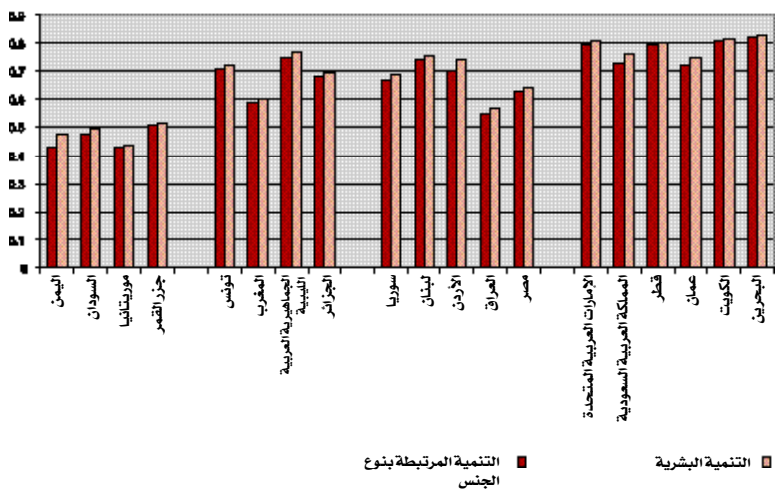


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

عند متابعة اتجاهات دليل التنمية البشرية في مدى الفترة 1975-2000، جدول 1-2 يلاحظ أن ترتيب قيم دليل التنمية البشرية للمجموعات الأربع بقيت، إلى حد ما، حسب الترتيب السابق نفسه على مدى الخمسة وعشرين عاما المنقضية، مع اختلاف واحد هو أن مجموعتي دول المشرق والمغرب كانتا تتبادلان المرتبة الثانية والثالثة. إلا أن المجموعات الأربع حققت مستويات مختلفة من التحسن في معدلات دليل التنمية البشرية. فقد ارتفع هذا المعدل خلال تلك الفترة بما مقداره 0.218 بالنسبة إلى مجموعة دول المغرب العربي، و0.214 بالنسبة إلى مجموعة دول المشرق العربي. بينما ارتفع هذا المعدل بما قدره 0.132 بالنسبة إلى مجموعة الدول الأقل نموا، و0.125 بالنسبة إلى مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي. وضمن الدول العربية التي تتوفر في شأنها قيم دليل التنمية البشرية للفترة 1980-2000 على الأقل، حققت كل من تونس ومصر أعلى زيادة في دليل التنمية البشرية، في حين سجلت الكويت والأردن وجزر القمر أدنى معدلات تحسن ضمن الفترة المذكورة.

والمراهقون درجة أعلى من الحرج أمام أقرانهم عند عجزهم عن توفير السلع والخدمات التي يحصل عليها أولئك الأقران، مما يلفت النظر إلى ضرورة إدماج البعد السلوكي وملاحظة البعد الذاتي في وصف وضعية الفقر بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين بنسبة أعلى مما هو عليه الأمر بالنسبة إلى البالغين.

وبشكل عام، يمكن تقييم ظاهرة الفقر في البلدان العربية من منظوري فقر الدخل والفقر البشري، باعتبارهما معتمدين عالميا. كما يمكن التمييز بين الفقر المدقع المعبّر عنه بمستويات الدخل المنخفضة جدا، والذي يقترب من نقص التغذية والجوع والحرمان الشديد من الاحتياجات المادية الضرورية لبقاء الإنسان، وبين الفقر (بشكل عام) المعبّر عنه بعدم تلبية مجموعة الاحتياجات الأساسية التي تطال، إضافة إلى الغذاء والمسكن والتعليم الأساسي والرعاية الصحية الأولية واللباس. وقد جاءت مسألة مكافحة الفقر المدقع والجوع كأول هدف ضمن الأهداف الرئيسية الثمانية لإعلان الألفية للأمم المتحدة الصادر في سبتمبر- أيلول 2000. ويتضمن هذا الهدف الرئيسي هدفين فرعيين هما : تخفيض نسبة الأفراد الذين يقل دخلهم عن دولار واحد يوميا إلى النصف خلال الفترة 1990-2015 وتخفيض نسبة الأفراد الذين يعانون من الجوع إلى النصف خلال الفترة 1990-2015. وتجدر الإشارة إلى أن هذين الهدفين أكثر تطابقا مع خصائص الفقر في البلدان الأقل نموا منها على وضعية أغلبية الدول العربية ذات مستوى التنمية المتوسط أو المرتفع.

ويلاحظ من الجدول 1-4 أن مجموعة الدول الأقل نموا هي الأكثر معاناة من فقر الدخل، إذ أن ما يقارب نصف سكان هذه الدول فقراء، تليها مجموعة دول المشرق العربي، حيث أن ما يقارب ربع سكانها فقراء. ورغم أن مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي هي الأقل معاناة من فقر الدخل، إلا أن عددا من هذه الدول وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان يعاني من نسب فقر أعلى مما هو متوقع في ظل الانطباع السائد بأنها دول نفطية غنية.

إن مفهوم الفقر البشري المعتمد في تقارير التنمية البشرية أوسع من مفهوم فقر الدخل لأنه يتضمن، إضافة إلى بعد الحصول على الموارد اللازمة لمستوى معيشي لائق، البعدين الآخرين للتنمية البشرية وهما : بعد العيش حياة مديدة وصحية، وبعد اكتساب المعرفة. وعلى هذا الأساس، فإن دليل الفقر البشري الخاص بالدول النامية يقيس الحرمان من الأبعاد الثلاثة الرئيسية للتنمية البشرية[6]. وجاءت كنتيجة لاختلاف هذين المفهومين أوجه مختلفة للفقر، مما يوفر قراءات مختلفة. فالأردن، على سبيل المثال، يحتل المرتبة الأولى بين البلدان العربية من حيث انخفاض دليل الفقر البشري، رغم أنه يقع في المرتبة 13 من حيث فقر الدخل.

وعلى مستوى مؤشرات دليل الفقر البشري، تبلغ النسبة المئوية للسكان الذين لا يتوقع أن يعيشوا حتى سن 40 سنة، 5٪ في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، و9٪ في مجموعة دول المشرق العربي ومجموعة دول المغرب العربي. بينما تبلغ هذه النسبة 29٪ في مجموعة الدول الأقل نموا كما هو موضح في الرسم البياني 3.3. ويعكس هذا المؤشر محصلة العوامل المختلفة التي تتسبب في الحرمان من الحياة المديدة والصحية، وفي مقدمتها فقر الدخل وعدم توفر الخدمات الصحية والمياه الصالحة للشراب وتلوث البيئة.

**(6)** يقاس الحرمان من الحياة المديدة والصحية في هذا الدليل بمؤشر النسبة المئوية للسكان الذين لا يتوقع أن يعيشوا حتى سن 40 سنة. ويقاس الحرمان المتعلق بالمعرفة فيه بمؤشر النسبة المئوية للبالغين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة. أما الحرمان المتعلق بعدم العيش في مستوى لائق، فيقاس في هذا الدليل بمؤشرين هما : النسبة المئوية للسكان الذين لا يستخدمون مصادر مياه محسنة، والنسبة المئوية للأطفال دون سن الخامسة يعانون من نقص الوزن.

هذا المؤشر الأخير أقل حدة مما هو عليه في مؤشر معدل معرفة القراءة والكتابة. كما أن وجود دول عربية تتمتع فيها الفتيات بنسبة قيد إجمالي للتعليم أعلى من الفتيان، يبشر بتقلص التفاوت مستقبلا بينهما في المستوى التعليمي. وسنرى لاحقا أن التفاوت في المستوى التعليمي ضمن المراهقين والشباب أقل مما هو عليه ضمن البالغين الأكبر سنا وذلك لأن الأمية تتركز بدرجة أعلى لدى الفئات العمرية العليا.

ويبرز مؤشر الدخل المكتسب التقديري تفاوتا أكبر بكثير من بقية مؤشرات دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس. فوفقا لهذا المؤشر، يبلغ معدل الدخل المكتسب للإناث ما يقارب ربع قيمته عند الذكور في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، وثلث قيمته في مجموعة دول المشرق العربي ومجموعة دول المغرب العربي. بينما يبلغ هذا الدخل نصف قيمته في مجموعة الدول الأقل نموا. ويرجع انخفاض الدخل المكتسب للإناث إلى انخفاض نسبة الإناث الناشطات اقتصاديا وإلى انخفاض أجورهن مقارنة بالذكور[5].

## ج- الفقر البشري وفقر الدخل

إن البيانات عن الفقر في الدول العربية شحيحة عموما ومحدودة الدقة، ولا تعتمد تعريفا موحدا ولا وسائل قياس ومنهجيات موحدة، مما يجعل المقارنات صعبة، بل متعذرة أحيانا. وتعد مسألة تعريف الفقر وطرق قياسه مسألة خلافية على المستوى الدولي، حيث تتراوح وجهات النظر بين تعريف ضيق للفقر يحدده في قصور الدخل (أو الإنفاق)، ويتم قياسه كميا من خلال احتساب خط الفقر المعبّر عن المقابل النقدي للاحتياجات الأساسية، وبين وجهات نظر أخرى تعرّف الفقر بشكل موسع يجعله يمتد ليشمل الحرمان من الاحتياجات والقدرات التي لا تقتصر على الاحتياجات المادية، بل يطال حسب بعض التصورات أبعادا نوعية مثل المشاركة أو حتى أبعادا ذاتية مثل الإحساس بالحرمان. كما توجد قياسات مطلقة للفقر وأخرى نسبية ومنهجيات وطرق قياس متعددة تعبّر من جهة عن تعددية الاتجاهات لدى الباحثين، ومن جهة أخرى عن الطابع المعقد والمتعدد الأبعاد لظاهرة الفقر باعتباره واقعا موضوعيا.

وفيما يتعلّق بموضوع بحث هذا التقرير، تبرز صعوبات إضافية. وبوجه التحديد تكاد تكون البيانات التفصيلية عن الفقر بحسب الفئات العمرية منعدمة، الأمر الذي يتعذر معه مقارنة ما تعانيه المراهقات والمراهقون من فقر مقارنة ببقية الفئات العمرية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حالة الفقر تقاس عادة على أساس الأسرة وليس على أساس الفرد. إذ يصنف جميع أفراد الأسرة كفقراء أو غير فقراء، بحسب وجود موقع الأسرة تحت خط الفقر أو فوقه. وعادة ما يجري تقييم احتياجات المراهقين على أنها مساوية لاحتياجات أفراد الأسرة الآخرين، رغم ما يميز المراهقين من نشاط بدني كبير ونمو جسدي سريع نسبيا يجعل احتياجاتهم من السعرات وعناصر التغذية، ومن الملابس والمواد التعليمية والترفيهية أعلى مما هي عليه لأفراد الأسرة ضمن فئات عمرية أخرى.

وبالتالي فإنه من المتوقع أن يعاني بعض المراهقات والمراهقين من درجة أعلى من الفقر مقارنة ببقية أفراد أسرهم، بل قد يعاني البعض منهم من الفقر، وإن كانت أسرهم تقع فوق خط الفقر. وهو أمر لا تلحظه وسائل قياس الفقر التقليدية. كما تواجه المراهقات

**(5)** لم يحتسب مقياس التمكين الجنساني في تقرير التنمية البشرية العالمي 2002، إلا لدولة عربية واحدة (مصر) جاء ترتيبها الدولة قبل الأخيرة، إذ توجد دولة واحدة فقط أدنى منها هي بنغلادش. أما مؤشر التنمية الإنسانية في تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، فقد اعتمد على قيم مقياس التمكين الجنساني لسنة 1995 وهي سنة مرجعية قديمة.

وقد جرت مناقشات موسعة حول تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، شملت مؤشر التنمية الإنسانية المقترح. وتناول عدد كبير من الباحثين بالنقد والتقييم جدوى هذا المؤشر، من حيث اعتباره مقياسا أقل أو أكثر دقة من دليل التنمية البشرية في تقييم الإنجاز التنموي في البلدان العربية. وقد قام النقد الموجه لهذا المؤشر على النقاط البارزة التالية :

**أولا :** نقد استبعاد البعد الاقتصادي من تكوين المؤشر الجديد المقترح. فإذا كان مؤشر حصة الفرد من الناتج المحلي طاغيا في تكوين دليل التنمية البشرية، رغم كونه يحجب التفاوت في توزيع الثروة ونسبة الفقر داخل البلد المعين باعتباره متوسطا وطنيا، فإن ذلك لم يشكل سببا كافيا لإقناع الباحثين المعترضين باستبعاده من تكوين الدليل، بدل تصحيح استخدامه من خلال مؤشر يعبر عن التوزيع أو نسبة الفقر. فالموارد المتاحة للأسر أو للأفراد أيا كان المؤشر المعبّر عنه، تعدّ بعدا ضروريا من أبعاد التنمية لا يكمن تجاوزه.

**ثانيا :** نقد استخدام مقياس الحرية المعتمد في مؤشر التنمية الإنسانية لاعتبارين : الأول هو أن المؤشر المعتمد هو من إنتاج مؤسسة ذات طابع سياسي معين، مما يرجح كونه مؤشرا منحازا. والثاني هو أنه لم يلحظ في استخدام هذا المؤشر الاحتياطات الكافية لتلافي خطر الانزلاق نحو تقييمات ذاتية بعيدة عن الموضوعية.

**ثالثا :** نقد اختيار مؤشري انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون واستخدام الإنترنت من جهة، لمحدودية دلالاتيهما بالنسبة إلى واقع التنمية في البلدان العربية ومحدودية دلالة مؤشر تمكين المرأة في هذه البلدان من جهة أخرى.

لذلك، وجد عدد من الباحثين أن المؤشر الجديد المقترح لقياس التنمية في تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، يشكو من ثغرات هامة، مما يجعل اعتباره تطويرا لدليل التنمية البشرية المعتمد دوليا، أمرا غير أكيد.

وفي محاولة سابقة لتطوير عملية قياس التنمية البشرية في البلدان العربية، في دراسة صادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا "اسكوا"، تم اقتراح اعتماد مجموعة من المؤشرات التي تغطي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية للتنمية في البلدان العربية، على النحو التالي[7] :

**مؤشرات الجانب الاقتصادي**

- نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي حسب تعادل القوة الشرائية (دولار)
- نصيب الفرد من السعرات الحرارية (سعرة / يوم)
- استهلاك الطاقة التجارية (كغ نفط/ للفرد)
- استهلاك غير الأغذية كنسبة من مجموع استهلاك الأسر المعيشية (٪)
- الاستثمار المحلي الإجمالي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي (٪)
- القوة العاملة كنسبة من مجموع السكان (٪)

(7) باقر، محمد حسين، قياس التنمية البشرية مع إشارة خاصة إلى الدول العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 1997.

## رسم بياني 3.3 : دليل الفقر البشري

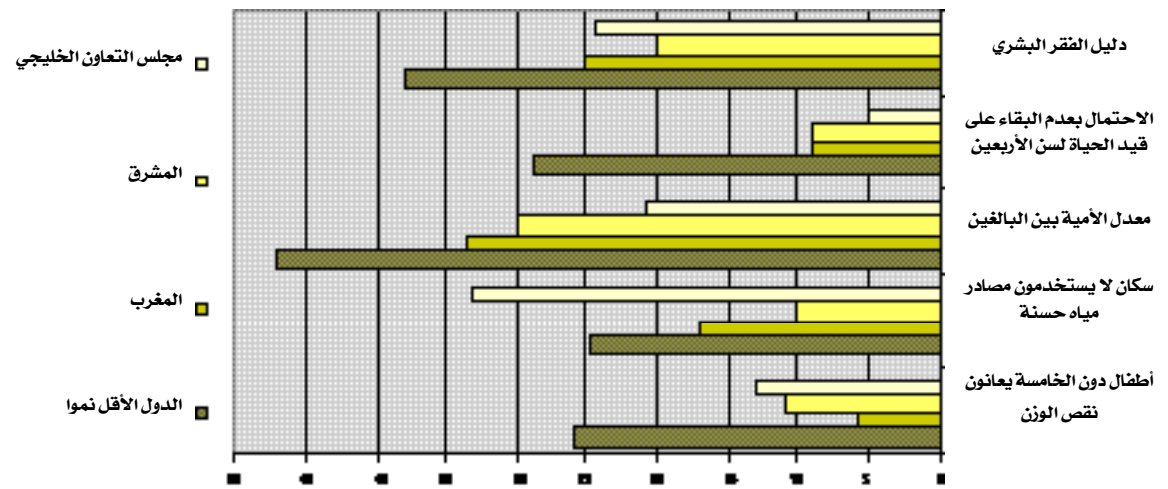


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

**باقر محمد حسين :** اللجنةالاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، قياس الفقر في دول اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، **1996**

والمؤشر الآخر لدليل الفقر البشري الجدير بالاهتمام هو مؤشر نسبة الأطفال دون الخامسة الذين يعانون من نقص الوزن. فقد سجلت مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي معدلا أعلى مما سجلته كل من مجموعتي دول المغرب العربي ودول المشرق العربي، رغم أن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في المجموعة الأولى يبلغ حوالي ثلاثة أمثال ما هو عليه في المجموعتين الأخيرتين. ويعود ذلك إلى ظاهرة انتشار بعض العادات الغذائية غير الصحية لدى الأطفال بدرجة أعلى في دول الخليج مما هو عليه في البلدان الأخرى، وكذلك ارتفاع نسبة الأطفال الذين ترعاهم خادمات أجنبيات. إن اكتساب الأطفال عادات غذائية غير صحية، ومعاناتهم من نقص الوزن، لا بد أن ينعكس سلبا عليهم عند بلوغهم مرحلة المراهقة.

## د- أدلة أخرى للتنمية البشرية

إضافة إلى الأدلة المعتمدة في تقرير التنمية البشرية العالمي، هنالك مقاييس أخرى للتنمية البشرية. وقد تضمن تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 مقترحا لاعتماد مقياس جديد للتنمية البشرية أطلق عليه اسم مؤشر التنمية الإنسانية. وهو مؤشر مركب يبنى من ستة مؤشرات هي مؤشرا التعليم والعمر المتوقع المعتمدين ضمن دليل التنمية البشرية، إضافة إلى مقياس تمكين المرأة (المؤشر نفسه المعتمد في تقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي). وثلاثة مؤشرات "جديدة" هي : مؤشر عدد الحواسيب المتصلة بالانترنيت، ومؤشر "مقياس الحرية"، ومؤشر انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون للفرد. ومن الملاحظ أن موقع مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي يتدهور وفق هذا المؤشر مقارنة بموقعها وفق دليل التنمية البشرية، نظرا إلى ارتفاع انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون فيها. ولكن هذه المجموعة تظل هي الأعلى مستوى، تليها مجموعتا دول المشرق ودول المغرب، وأخيرا مجموعة الدول الأقل نموا، كما هو الحال في دليل التنمية البشرية.

**جدول 2.3: الأرقام القياسية لجوانب التنمية البشرية (الدول العربية = 100).**

| المجموعة | الجانب الاقتصادي | الجانب الاجتماعي | الجانب الإنساني | الدليل الشامل |
|---|---|---|---|---|
| - مجلس التعاون الخليجي | 157 | 133 | 93 | 132 |
| - الاقتصادات الأكثر تنوعا- المشرق | 102 | 114 | 97 | 109 |
| - الاقتصادات الأكثر تنوعا- المغرب | 110 | 108 | 105 | 109 |
| - الدول الأقل نموا* | 80 | 74 | 84 | 77 |
| - جميع الدول العربية | 100 | 100 | 100 | 100 |

* السودان واليمن فقط

**المصدر:** باقر محمد حسين، قياس التنمية البشرية مع إشارة خاصة إلى الدول العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 1997.

## 2. السكـــــــان

تضاعف عدد سكان الدول العربية خلال خمسة وعشرين عاما ليرتفع من 126 مليونا سنة 1975 إلى 249 مليونا سنة 2000 (الجدول 2-1). وباستثناء منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، تعد المنطقة العربية صاحبة أعلى معدل نمو سكاني خلال الفترة المذكورة، حيث بلغت نسبته السنوية 2.7٪. وعلى الرغم من توقع انخفاض هذه النسبة إلى 2.0٪ خلال الفترة 2000-2015، فإن هذا المعدل يبقى الأعلى في العالم لو استثنينا منطقة إفريقيا جنوب الصحراء.

وتشهد مجموعات الدول العربية جميعا تزايدا مطردا للسكان، وخاصة منها مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي و مجموعة الدول الأقل نموا، حيث سجلتا معدلا للنمو السنوي للسكان بلغ 4.3٪ و3.3٪ على التوالي خلال الفترة 2000-2015، مقارنة بحوالي نسبة 2.5٪ لدول الاقتصادات الأكثر تنوعا (رسم بياني 4.3). ودون الخوض في نقاش حول سلبية هذا المؤشر وإيجابيته، فمن المؤكد أن ارتفاع معدلات النمو السكاني تعني بالضرورة الحاجة إلى توفير معدلات نمو اقتصادي عالية حتى يتسنى استيعاب النمو السكاني وتحويله إلى طاقة منتجة وليس العكس. لذلك ينبغي أن يواكب النمو السكاني نموا لا يقل عنه في توفير خدمات الصحة والتعليم والمتطلبات الأخرى للتنمية البشرية، دون أن يكون التوسع الكمي في هذه الخدمات على حساب مستواها النوعي أو على حساب العدالة في التغطية والإفادة من الخدمات. وفي ظل توقعات النمو الاقتصادية الضعيفة في دول مجلس التعاون الخليجي والدول الأقل نموا وبروز آثار سلبية للنمو السكاني المرتفع من أهمها البطالة، تتزايد الحاجة إلى التزام هذه الدول بسياسة سكانية تضمن التوازن بين النمو السكاني والنمو الاقتصادي. وتكتسي هذه المسألة أهمية خاصة بالنسبة إلى المراهقات و المراهقين، فهم الأكثر تأثرا بانخفاض مستوى حصة الفرد من خدمات التعليم كما ونوعا والأشد معاناة من البطالة.

**مؤشرات الجانب الاجتماعي**

- العمر المتوقع عند الولادة (سنة)
- معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين (٪).
- نسبة القيد الإجمالية في مراحل التعليم الابتدائية والثانوية العليا معا (٪)
- نسبة المعلمين إلى التلاميذ في التعليم الابتدائي (معلم لكل 1000 تلميذ)
- خطوط الهاتف (العدد لكل 1000 ساكن)
- أجهزة التلفزيون (العدد لكل 1000 ساكن)
- السكان الذين يحصلون على خدمة الكهرباء (٪)
- السكان الذين يحصلون على مياه صالحة للشراب (٪)
- السكان الذين يحصلون على صرف صحي (٪)
- سكان الحضر كنسبة من المجموع (٪)

**مؤشرات الجانب الإنساني**

- حصة النساء من المشتغلين بالأعمال الإدارية والتنظيمية (٪)
- حصة النساء من الدخل المكتسب (٪)
- نسبة السكان غير الفقراء (٪)
- مؤشر الاستقرار والسلم (من ثلاث نقاط)
- مؤشر الشفافية : نسبة مؤشرات وأدلة التنمية البشرية المنشورة في تقرير التنمية البشرية (٪)

وقد بينت مقارنة نتائج تطبيق هذه المنهجية أن مجموعة مجلس التعاون الخليجي هي الأعلى مستوى في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي. إلا أنها أدنى مستوى من كل من مجموعتي المشرق العربي والمغرب العربي في الجانب الإنساني الذي يتضمن مجالات المرأة والفقر والاستقرار والسلم والشفافية. كما يتضح من الجدول 2.3 أن مجموعة المغرب العربي هي الأعلى مستوى في الجانب الإنساني.

ويتبين من الدراسة نفسها أن الدول العربية تنقسم إلى ثلاث مجموعات وفقا لنمط التنمية البشرية فيها : فبالنسبة إلى الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، تقع مجموعة مجلس التعاون الخليجي ضمن نمط واحد، في حين تقع مجموعتا المشرق العربي والمغرب العربي ضمن نمط آخر. وتقع الدول الأقل نموا مع المغرب بالنسبة إلى الجانب الاجتماعي، ضمن نمط ثالث. أما بالنسبة إلى الجانب الإنساني، فتقع البحرين والكويت والإمارات العربية المتحدة ومصر والأردن ولبنان وليبيا والمغرب وتونس ضمن نمط واحد، وتقع بقية الدول العربية باستثناء السودان ضمن نمط رابع، مما يجعل الفتاة العربية المراهقة تواجه في الوقت نفسه ظروفا اقتصادية واجتماعية متشابهة ضمن كل واحدة من المجموعات الأربع للدول العربية، وأوضاع مختلفة ضمن دول المجموعة نفسها فيما يخص الجانب الإنساني.

ولا بد من الإشارة إلى أن حجم المشاكل والتحديات التي ستواجه المجموعات الأربع من البلدان العربية، ستكون مختلفة تبعا لاختلاف ما هو متاح من موارد فيها مقارنة بحجم السكان. فمعدلات النمو المرتفعة في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي يمكن أن تساهم في استبدال العمالة الأجنبية بعمالة وطنية. وبالمقابل يتوقع أن تواجه مجموعة الدول الأقل نموا درجة أعلى من المشاكل والتحديات بفعل استمرار النمو السكاني المرتفع فيها، إذ ينتظر أن تبلغ نسبة الأطفال (دون 15 سنة) في هذه الدول عام 2015 حوالي 42٪ من إجمالي السكان وأن يبلغ معدل عدد الولادات الحية لكل امرأة 6.2 مولود. وينطبق هذا خاصة على اليمن التي يتوقع أن يكون نصف سكانها في العام المذكور دون 15 سنة وأن يبلغ معدل عدد الولادات الحية لكل امرأة 7.2 مولود. وسيخلق هذا النمو عبئا كبيرا جدا في مجال خدمات التعليم والصحة وسيعوق الجهود الرامية إلى تخفيض معدلات الفقر والبطالة. ويتوقع أن تكون المراهقات والمراهقون من أكثر الفئات السكانية معاناة من هذه المؤشرات السلبية.

## أ- تطور أعداد ونسب المراهقات والمراهقين

وفقا للبيانات الخاصة بالفئة العمرية (15-19سنة)، ارتفع عدد المراهقات والمراهقين في البلدان العربية من 23 مليونا سنة 1990 إلى 31 مليونا سنة 2000. ويتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى حوالي 35 مليونا سنة 2010 و41 مليونا سنة 2020. (كما يتضح من الجدول 2-3 والرسم البياني 5.3). وقد شكل هؤلاء نسبة 10.3٪ من مجموع سكان البلدان العربية سنة 1990 و 11.0٪ سنة 2000. ومن المتوقع أن تنخفض هذه النسبة إلى 9.9٪ سنة 2010، ثم إلى 9.7٪ سنة 2020. ويرجع ارتفاع نسبة المراهقات والمراهقين خلال الفترة 1990-2000 واتجاهها نحو الانخفاض لاحقا. إلاّ أن معدلات النمو السكاني المرتفعة خلال الفترة 1970-1990 انخفضت بشكل محسوس خلال الفترة 1990-2000. ويتوقع أن تستمر تلك المعدلات في الانخفاض مستقبلا (انظر الجدول 2-2).

### رسم بياني 5.3 : تطور عدد المراهقات والمراهقين (فئة 15 - 19 سنة) (مليون)

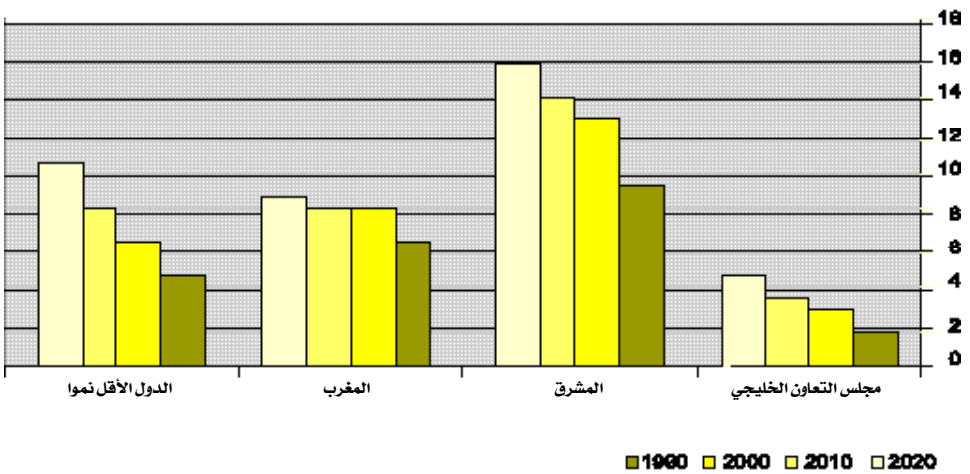


**المصدر:** UN department of economic and social affairs, World population prospects 1998 revision Vol1, comprehensive tables, 1999

## رسم بياني 4.3 : المعدل السنوي لنمو السكان (٪) (1975 - 2015)

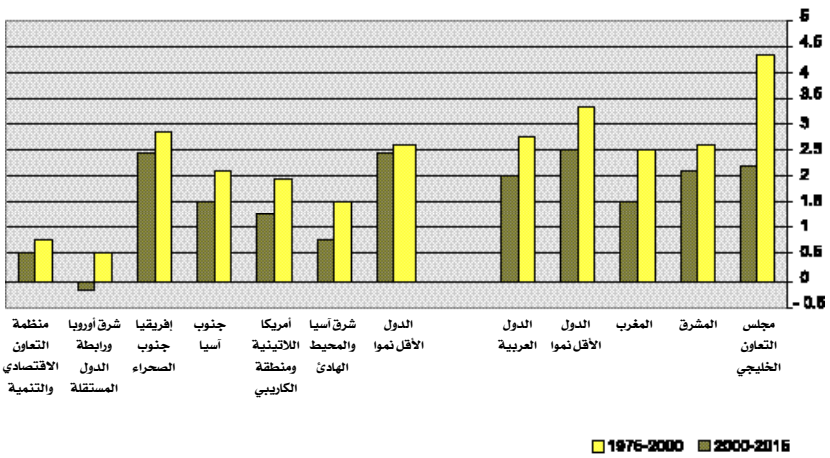


**المصدر:** Unicef: official summary: the state of the World's children 2002

كما يلاحظ من الجدول 2-1 استمرار ظاهرة ارتفاع نسب سكان المدن والمناطق الحضرية الأخرى. إذ يتوقع أن يعيش 59٪ من سكان المنطقة العربية في المناطق الحضرية سنة 2015، مقارنة بنسبة 49٪ من سكان الدول النامية عموما. ومن المتوقع أن ترتفع نسبة سكان الحضر سنة 2015 إلى 92٪ في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي وإلى 72٪ في مجموعة دول المشرق العربي. كما يتوقع ارتفاع هذه النسبة إلى 73٪ في مجموعة دول المغرب العربي وإلى 57٪ في مجموعة الدول الأقل نموا. ويمثل هذا الارتفاع السريع في نسبة سكان المدن والمناطق الحضرية الأخرى محصلة عوامل عديدة، من أهمّها الهجرة من الريف إلى المدن، وتحول بعض المناطق من مناطق ريفية إلى مناطق حضرية. وتترتب عن ارتفاع نسبة السكان الحضر تبعات اقتصادية واجتماعية وبيئية مهمة. وعلى هذا الأساس ستواجه نسب متزايدة من المراهقات والمراهقين الحياة المدينية، بما فيها من إيجابيات، كالخدمات وفرص التأهيل والعمل وسهولة الاتصال مقارنة بالريف، ومن سلبيات كالاكتظاظ والبطالة الصريحة والمقنعة وتفشي بعض الممارسات السلبية والدخول في سباق صعب من أجل بناء مستقبل مستقر في ظروف تنافس شديد وغير متكافئ.

وتتمثل أهم الاتجاهات الديمغرافية الأخرى التي يمكن قراءتها من الجدول في انخفاض نسب الأطفال من إجمالي السكان وانخفاض معدلات الخصوبة الإجمالية. ولكن يتوقع أن تبقى معدلات الدول العربية في هذه المؤشرات أعلى مما هي عليه بالنسبة إلى الدول النامية عموما.

## ب- الأسرة والزواج والولادات

يتأثر وضع المراهقة بحجم الأسرة وتركيبتها. ويظهر مؤشر متوسط حجم الأسرة في الجدول 2-5 تباينا أوسع بين دول المجموعة الواحدة، منه بين المجموعات. فضمن مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، تتراوح قيمة هذا المتوسط ما بين 5.6 لكل من البحرين وقطر و7.4 للسعودية. وضمن مجموعة دول المشرق العربي، تتراوح قيمة هذا المتوسط ما بين 4.7 للبنان و4.9 لمصر و7.3 للعراق. وضمن مجموعة دول المغرب العربي، تتراوح قيمة هذا المتوسط ما بين 5.4 لتونس و7.0 للجزائر.

ويشير الجدول 2-5 والرسم البياني 7.3 إلى أن نسبة المتزوجات ضمن المراهقات (فئة 15-19سنة) تتراوح بين أربعة إلى أكثر من عشرة أمثال النسبة المقابلة ضمن المراهقين في جميع الدول العربية التي تتوفر عنها البيانات. وفي جميع الدول العربية دون استثناء، يقل متوسط العمر عند الزواج الأول للنساء عما هو عليه للرجال بسنتين على الأقل. ويبلغ الفرق بينهما سبع سنوات أو أكثر في أربع دول عربية هي : عمان وجزر القمر وجيبوتي وموريتانيا. ومن الملاحظ أن متوسط العمر عند الزواج الأول سواء للنساء أو للرجال يكون أدنى في الريف مما هو عليه في المناطق الحضرية (الجدول 2-6)، ويرتفع كلما ارتفع المستوى التعليمي (الجدول 2-7). ويشير هذا الواقع إلى أهمية التعليم في التأثير في معدلات الخصوبة ومجمل السلوكيات الأسرية. وهو يؤشر إلى خيارات السياسات السكانية المحتملة، حيث يكون خفض معدلات الخصوبة أمرا مرغوبا فيه من قبل المجتمع أو السلطات في البلدان المعنية.

### رسم بياني 7.3: نسبة المتزوجين أو من سبق لهم الزواج ضمن الفئة العمرية 15 - 19 سنة 1991/1998

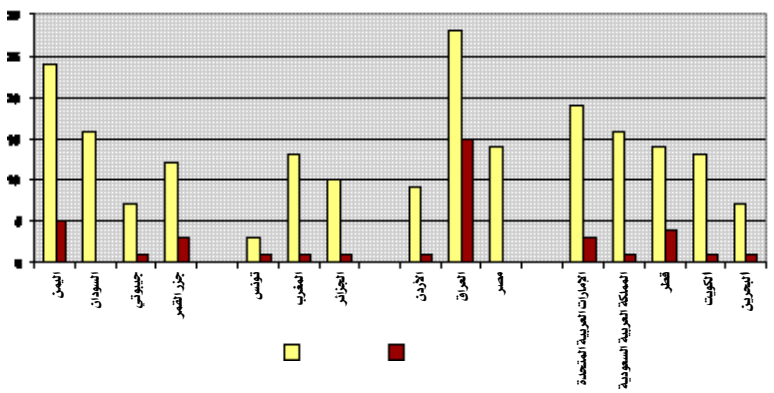


**المصدر:** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية

وتحيد مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي عن الاتجاه العام، لاعتبارات تتعلق بتغيير التكوين العمري للعمالة الأجنبية ونسبها في هذه الدول. وبناء عليه يتوقع أن تواجه دول مجلس التعاون الخليجي تحديات أكبر مما تواجهه بقية الدول العربية فيما يخص أوضاع المراهقات والمراهقين فيها لأسباب ثلاثة رئيسية : السبب الأول هو ارتفاع وتيرة نمو أعداد المراهقين فيها بشكل كبير. والسبب الثاني هو أن المراهقين في هذه الدول أكثر تأثرا بقيم وسلوكيات وردت مع عمالة، يتكون الجزء الأكبر منها من أفراد ذوي مستويات تعليمية منخفضة ومن ثقافات مختلفة. كما أن هؤلاء المراهقين أكثر تأثرا بالميول الاستهلاكية لتيارات العولمة، من خلال الاحتكاك المباشر (السفر في الاتجاهين)، وبحكم انفتاح الأسواق وتوفر مستوى من الموارد المالية التي تتيح زيادة الاستهلاك. أما السبب الثالث فيتمثل في عدم تمتع المراهقين في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب بالمزايا نفسها التي تمتع بها آباؤهم وأجدادهم من وفرة أكبر في الموارد وتماسك ورعاية عائلية، بل إن على الكثير منهم تحمل بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية شديدة الصعوبة. كما يجب عدم إغفال ما عاشته منطقة الخليج خلال العقد السابق من تطورات وأحداث سياسية وعسكرية عاصفة تمثلت في تعاقب ثلاثة حروب : الحرب العراقية-الإيرانية 1980-1988 وغزو الكويت 1990 والحرب التي تلتها، وحرب الخليج الأخيرة 2003، وقد ترك ذلك آثارا بالغة الخطورة على وضع الشباب والمراهقين في تلك البلدان، كما خلف انعكاسات سوف تستمر في السنوات المقبلة.

وعلى مستوى الدول العربية منفردة، تبلغ حصة مصر ربع العدد الإجمالي للمراهقين في الدول العربية، في حين تبلغ حصة كل من الجزائر والسودان 11٪، وحصة المغرب 10٪ وحصة العراق 8٪ (الرسم البياني 6.3). بعبارة أخرى يقيم حوالي ثلثي المراهقين في خمس دول عربية تعاني جميعها من ظروف اقتصادية صعبة وثلاث منها تعاني من حروب أو نزاعات داخلية.

### رسم بياني 6.3 : توزيع المراهقات والمراهقين (15-19 سنة) عام 2000

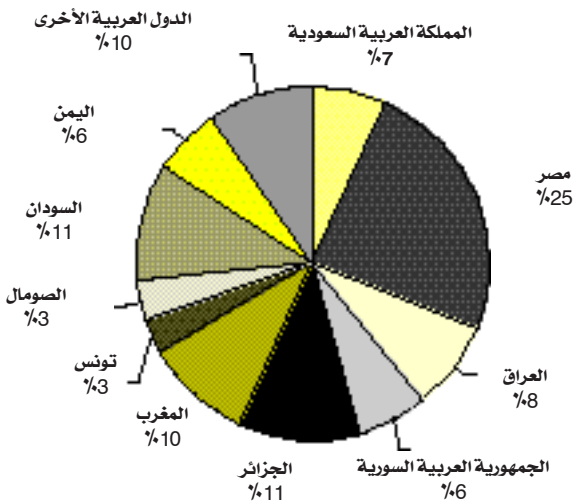


**المصدر:** UN department of economic and social affairs, World population prospects 1998 revision Vol1, comprehensive tables, 1999

إلا أن التعليم يكتسب قيمة بذاته في جوانب عديدة، حيث توفر المدرسة للمراهقة إمكانية الخروج إلى دائرة أوسع من دائرة المنزل والأسرة. كما أن مواصلة التعليم تساهم في تأخير سن الزواج والحد من ظاهرة الزواج المبكر، فضلا عن كون التعليم يرفع من مستوى ثقافة المراهقة الصحية والاجتماعية، مما ينعكس إيجابا على دورها كزوجة وأم لاحقا. إذ تشير البيانات إلى أن معدلات الخصوبة ونسبة وفيات الأطفال تنخفض كلما ارتفع المستوى التعليمي للمرأة. كما يرفع التعليم من وعي المرأة ويزيد من احترام المجتمع لها، مما يعزز قدرتها على نيل حقوقها. وهو ما يبين مدى أهمية التعليم في تحديد مسارات حياة المراهقات على الصعد الصحية والاجتماعية والاقتصادية.

## أ- معرفـــة القـــراءة والكتـــابة

شهدت الدول العربية تحسنا كبيرا في مؤشر معرفة القراءة والكتابة بين البالغين، وكما يتبين من الجدول 3-1 فقد ارتفعت قيمته خلال الفترة 1985- 2000 بنسبة 13٪ في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، وبنسبة 11٪ في مجموعة دول المشرق العربي. كما ارتفعت بنسبة 18٪ في مجموعة دول المغرب العربي، وبنسبة 14٪ في مجموعة الدول الأقل نموا. وبلغت نسب معرفة القراءة والكتابة سنة 2000 في مجموعات الدول العربية الأربع المذكورة على التوالي 79٪ و74٪ و67٪ و53٪. وتتباين هذه النسب إلى حد كبير، فتسجل أدنى نسبة في موريتانا (40٪) وأعلاها في الأردن (90٪).

إن ما يلاحظ عموما في أغلب الدول العربية هو ارتفاع نسبة معرفة القراءة والكتابة ضمن الفئات العمرية الأصغر سنا، وبالتالي بين المراهقين، مما هي عليه ضمن البالغين الأكبر سنا. فقد بلغت نسبة معرفة القراءة والكتابة ضمن الفئة العمرية للشباب 15-24 سنة 2000، وفي المجموعات العربية المشار إليها على التوالي 95٪ و88٪ و87٪ و67٪. وتزيد هذه النسبة سنة 2000 عن 90٪ في ما يقارب من نصف الدول العربية التي تتوفر عنها البيانات.

**رسم بياني 9.3 : معدل معرفة القراءة والكتابة بين الشابات (٪ ممن يبلغن 15-24 سنة) عام 2000 ضمن الدول العربية**

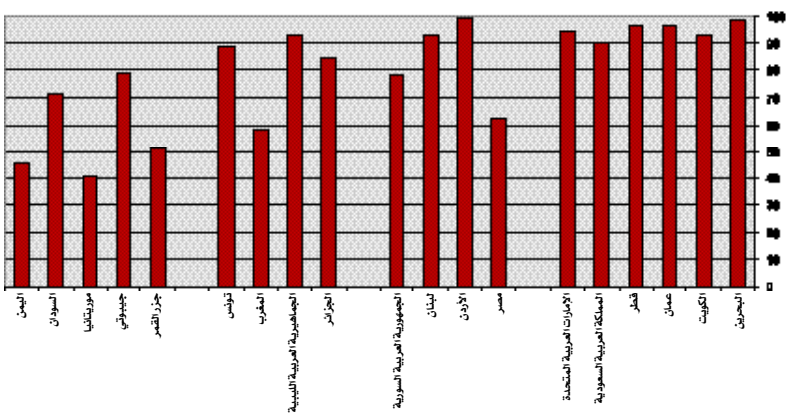


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

قد يكون لزواج الفتاة في سنّ مبكرة آثار سلبية صحية ونفسية واجتماعية، مما حدا بالمشرّعين إلى وضع حدود دنيا لسن الزواج. فالزواج المبكر (خصوصا للفتيات) يترافق غالبا مع الانقطاع عن الدراسة. كما تشير البيانات المتاحة إلى أن عدد الولادات المتوقعة للمرأة يرتفع كلما كان عمر الفتاة أصغر عند زواجها الأول (الجدول 2-8). كما تشير تلك البيانات، كما سنرى لاحقا عند التطرق إلى موضوع الصحة الإنجابية، إلى أن الأم تتعرض إلى احتمالات أعلى لحصول مضاعفات في الولادات إذا كان عمرها يقل عن 20 عاما مما تتعرض إليه إذا كانت أكبر سنا (الجدول 4-6). وتكتسب هذه النقطة أهمية كبيرة نظرا إلى أن أعلى نسبة للسيدات الحوامل بين المتزوجات في جميع مجموعات الدول العربية توجد ضمن الفئة العمرية أقل من 20 عاما. وهي نسبة تتراوح بين 21٪ و30٪. فضلا عن كون الفئة العمرية المذكورة التي تتضمن المراهقات، هي الأكثر تعرضا إلى احتمالات حصول مضاعفات في الولادات (الجدول 2-9). إلا أن هذه المؤشرات السلبية تقابلها مؤشرات إيجابية في مقدمتها أن عدد الأطفال المرغوب في إنجابهم يتجه نحو الانخفاض كلما كان عمر المرأة التي سبق لها الزواج (الجدول 2-11) أقل مما يشير إلى أن الأجيال الشابة عموما، والفتاة العربية المراهقة خصوصا، تزداد وعيا بأهمية تخطيط العائلة.

**رسم بياني 8.3 : نسبة السيدات الحوامل بين المتزوجات حسب العمر الحالي (٪)**

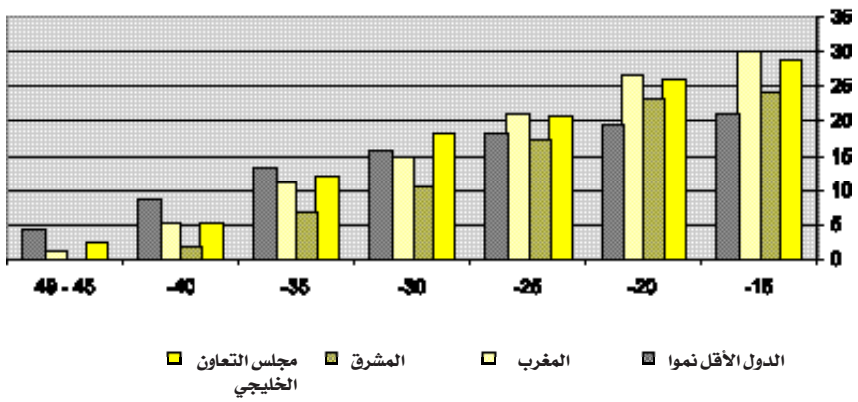


**المصدر:** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## 3. التعليـــم

يحتل التعليم دورا مركزيا في حياة المراهقات والمراهقين. فمن جهة يساهم التعليم في تكون شخصية المراهقة والمراهق وبلورة آرائهما وسلوكهما، ومن جهة ثانية يوفر لهما المؤهلات والمهارات التي تتحدد على أساسها، في الغالب، مجالات وفرص العمل والمستقبل المهني والوضع الاجتماعي لكليهما.

وتتفاوت الآثار المباشرة للعملية التعليمية على كل من المراهقات والمراهقين تبعا لخصائص كل مجتمع على حدة. فعندما تسود قيم تقليدية محافظة تجاه عمل المرأة، تقل نسبيا أهمية التعليم في إيجاد فرص عمل مستقبلية للمراهقات مقارنة بالمراهقين.

**رسم بياني 11.3: معرفة القراءة والكتابة بين الشباب (معدل الشابات كنسبة مائوية من معدل الشبان)**

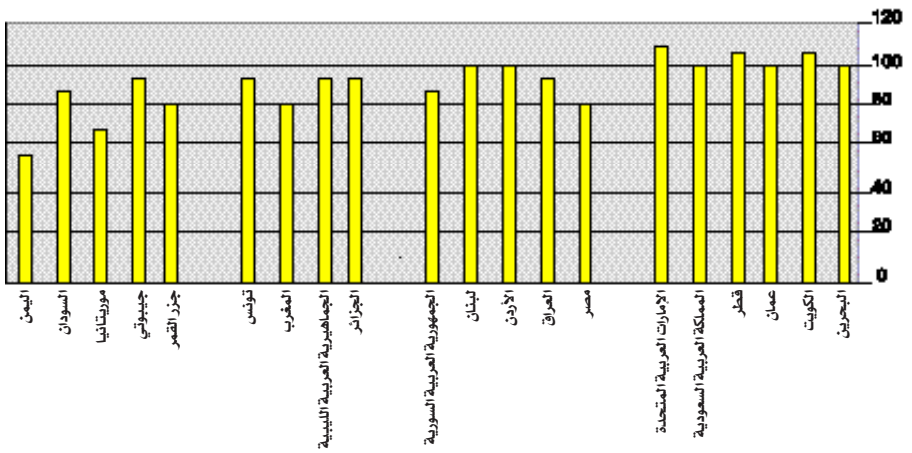


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## ب- القيـــد في التعليـــم

ينص الهدف الثاني من أهداف التنمية للألفية على ضمان حصول جميع الأولاد والبنات على كامل التعليم الابتدائي بحلول عام 2015. وينص الهدف الثالث منها على إزالة التفاوت بين الذكور والإناث في التعليم الابتدائي والثانوي في موعد زمني يفضل أن يكون بحلول عام 2005. كما حددت سنة 2015 موعدا لإزالة ذلك التفاوت بالنسبة إلى جميع مراحل التعليم.

وتواجه مسألة رفع نسب القيد في التعليم تحديات كبيرة وعديدة في الدول العربية: التحدي الرئيسي الأول هو النمو السكاني السريع الذي جعل مجرد المحافظة على نسب القيد فيها يتطلب المزيد من الموارد المالية والبشرية. ويتمثل التحدي الرئيسي الثاني في تقلص موارد الدولة المالية التي تعتبر الجهة التي تتحمل الجزء الأكبر من تكاليف التعليم في أغلب البلدان العربية. ولمواجهة هذه التحديات، وتماشيا مع الاتجاهات السائدة عالميا، نحت الدول العربية عموما إلى تشجيع القطاع الخاص ليؤدي دورا أكبر وإلى استحداث مسارات تعليمية خاضعة لرسوم دراسية أكثر ارتفاعا.

ويستخلص من جدول 3-1 أن صافي القيد للتعليم الابتدائي عام 1998 انخفض عما كان عليه خلال الفترة 1985-1987في الكويت وسلطنة عمان وقطر وسوريا وجزر القمر. كما أن صافي القيد للتعليم الثانوي عام 1998 انخفض عما كان عليه خلال الفترة 1985-1987 في دولتين هما البحرين وسوريا، من ضمن الدول الخمس التي تتوفر في شأنها البيانات الخاصة بالفترتين موضوع المقارنة. ورغم نقص البيانات في الجدول المذكور، فإنه يمكن القول أن دول مجلس التعاون الخليجي شهدت تراجعا في القيد للتعليم الابتدائي، بحيث باتت دون مستوى دول المشرق ودول المغرب العربي في هذا المؤشر.

بالمقارنة مع بقية الدول النامية، يزيد معدل نسبة معرفة القراءة والكتابة بين البالغين في المنطقة العربية عن معدل الدول الأقل نموا وعن معدل منطقة جنوب آسيا ومنطقة إفريقيا جنوب الصحراء. إلا أنه أدنى من المعدل المقابل لمنطقة شرق آسيا والمحيط الهادي ومن معدل منطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي. وكذلك بالنسبة إلى معدل معرفة الشابات للقراءة والكتابة من الفئة العمرية 15-24 سنة (رسم بياني 10.3).

**رسم بياني 10.3: معدل معرفة القراءة والكتابة بين الشابات (٪ ممن يبلغن 15-24 سنة) عام 2000 في المنطقة العربية مقارنة بمناطق أخرى من العالم**

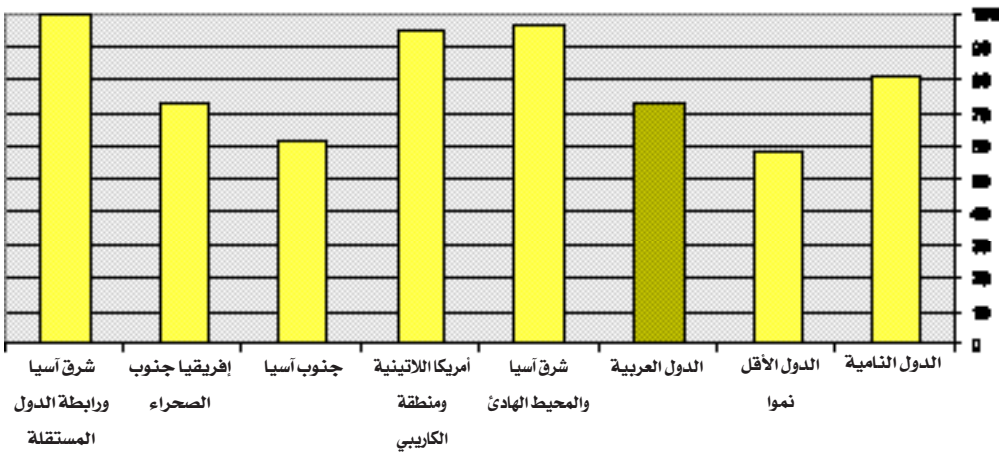


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

يعدّ تقلص التفاوت بين الشبان والشابات في معرفة القراءة والكتابة مؤشرا إيجابيا هاما. ففي سنة 2000 كان معدل الشابات اللواتي يعرفن القراءة والكتابة مساويا أو يفوق معدل الشبان في خمس دول عربية. وكان أقل منه بنسبة لا تتجاوز 10٪ في سبع دول عربية أخرى كما يتبين من الرسم البياني 11.3. وسيساهم تقلص الفجوة بين المراهقة والمراهق العربيين في مجال التعليم حاضرا في تقليص التفاوت بين الرجل والمرأة مستقبلا، في فرص العمل والمشاركة في اتخاذ القرارات وجوانب أخرى يؤدي التعليم فيها دورا أساسيا لتمكين المرأة، في حال توفرت الإرادة السياسة والشروط الاجتماعية والثقافية المساعدة على ذلك.

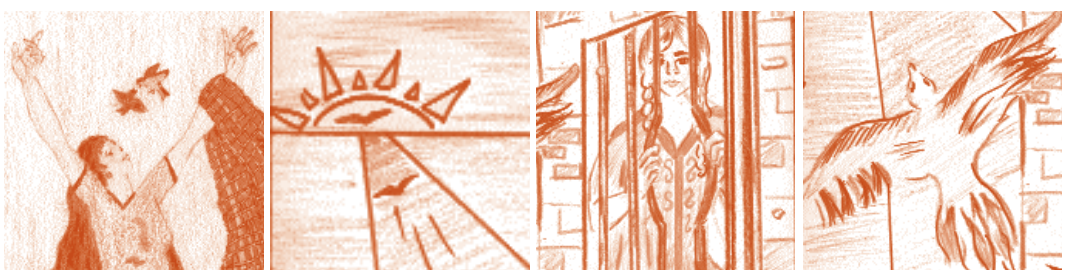

مئوية من الإنفاق الحكومي خلال الفترة 1995-1997 من 8٪ في لبنان إلى 25٪ في المغرب (رسم بياني 13.3). ويرجع هذا التفاوت إلى حد كبير إلى مدى مساهمة القطاعات غير الحكومية في التعليم. ففي بعض الدول العربية يؤدي القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات الأجنبية دورا أكبر بكثير من القطاع الحكومي على غرار لبنان، في حين يكاد ينفرد القطاع الحكومي بالتعليم بمراحله المختلفة في العديد من الدول العربية. وينعكس هذا الأمر على مدى إتاحة الفرص للمراهقات لإكمال تعليمهن، وعلى نوعية التعليم التي يحصلن عليها، حيث أن فرص تعليم البنات تتحسن كلما كانت كلفة التعليم أقل وكان دور القطاع الحكومي أكبر.

**رسم بياني 13.3: الإنفاق العام على التعليم كنسبة مائوية من مجموع الإنفاق الحكومي**

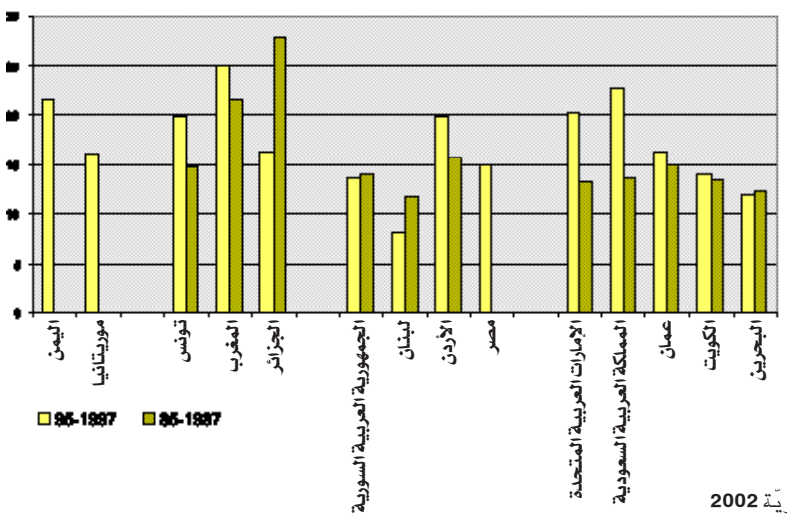


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة 2002

وبجانب المؤشرات المذكورة أعلاه، لا بد من اعتبار مؤشرات أخرى تعكس الجوانب النوعية للتعليم من حيث المستوى والمحتوى. إن المناهج الدراسية وأساليب التدريس لا تزال في الكثير من الدول العربية دون المستوى، ولا تركز بدرجة كافية على المعارف المتقدمة والمهارات التطبيقية المطلوبة في الحياة العملية. كذلك لا تتوافق مخرجات التعليم في الدول العربية عموما مع متطلبات سوق العمل. فمن ناحية يتم التوسع في بعض التخصصات الأدبية والإنسانية على حساب التخصصات العلمية والهندسية والتخصصات الحديثة. ومن ناحية ثانية، لا يوجه اهتمام كاف بالتعليم الخاص بالكوادر المتوسطة بين المستوى الثانوي والجامعي. ومن ناحية ثالثة، لا يتم التركيز بشكل كاف على المهارات المكملة المطلوبة عند الممارسة الفعلية للعمل. ومن أمثلة انعكاسات هذه النواحي على الفتاة العربية المراهقة، تجاوز عدد من يدخلن منهن في تخصصات أدبية وإنسانية الطاقة الاستيعابية لسوق العمل. فيتعرضن بالتالي للبطالة، وتضعف قدرتهن التفاوضية في سوق العمل. كما أن عزوف المراهقات عن الانتساب إلى كليات متوسطة من المستوى قبل الجامعي، أو عدم توفر مقاعد كافية في هذه الكليات، يتسبب في خسارتهن لفرص عمل في عدد من المهن والقطاعات كالتمريض والمهن الطبية الأخرى والمهن الفنية للكوادر المتوسطة في المؤسسات الإنتاجية. أضف إلى ذلك افتقار خريجي المؤسسات التعليمية في الدول العربية عموما، ذكورا وإناثا، إلى الخبرة العملية في مجال تخصصاتهم، وإلى مهارات الاتصال وإدارة العملية الإنتاجية والتسويق والتمويل وما إلى ذلك من مهارات مطلوبة سواء عملوا بأجر لدى آخرين أو عملوا لحسابهم الخاص.

ومما يثير الاهتمام أن مؤشرات القيد لا تكون لصالح الفتيات في التعليم الابتدائي، ثم تنقلب لصالحهن في التعليم الثانوي. فقد بلغ معدل عدد الفتيات اللواتي تم قيدهن 98 مقابل كل 100ممن تم قيدهم من الفتيان في التعليم الابتدائي سنة 1998 في مجموعة مجلس التعاون الخليجي و90 في مجموعة المشرق العربي. كما بلغ هذا المعدل 93 في مجموعة المغرب العربي و78 في مجموعة الدول الأقل نموا، على نحو ما هو مبين في جدول 3-2. أما في التعليم الثانوي، فقد بلغ عدد الفتيات 106 لكل 100 من الفتيان في كل من مجموعة مجلس التعاون الخليجي والمغرب العربي و103 في مجموعة المشرق العربي. ويلاحظ أن القيد في التعليم العالي للإناث بلغ حوالي ضعف قيد الذكور في مجموعة مجلس التعاون الخليجي وهو لصالح الإناث في نصف الدول العربية التي تتوفر بيانات عنها. إلا أن المحصلة النهائية لجميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي هي لصالح الذكور، نظرا للأهمية النسبية المرتفعة للتعليم الابتدائي الذي لم يكن لصالح الإناث (جدول 1-3). أما تفسير الانخفاض الأكبر في نسب قيد الذكور عند الانتقال من مراحل التعليم الابتدائي إلى الثانوي ثم إلى العالي، فيعود إلى تسرب أكبر للشبان لأسباب عديدة من أهمها العمل والسفر لإكمال الدراسة والالتحاق بمؤسسات تعليمية غير مدنية، كالكليات العسكرية. وهكذا، ففي الوقت الذي تتاح فيه للشبان فرص أخرى أفضل لترك التعليم الثانوي والعالي، يتمسك الكثير من الشابات بالتعليم لأن البديل يكون في الغالب البقاء في المنزل. ولعل هذه المسألة هي أحد مظاهر عدم المساواة التي تعاني منها المراهقة. ولكن في المقابل، هناك حالات من عدم المساواة يكون المراهق فيها هو الأكثر معاناة. فعندما تضطر الأسرة إلى دفع أحد أفرادها للعمل تاركا دراسته، يكون ذلك الفرد في العادة في غالبية الدول العربية هو الإبن.

### رسم بياني 12.3: صافي القيد في التعليم الابتدائي والثانوي (الفتيات كنسبة مائوية من الفتيان)

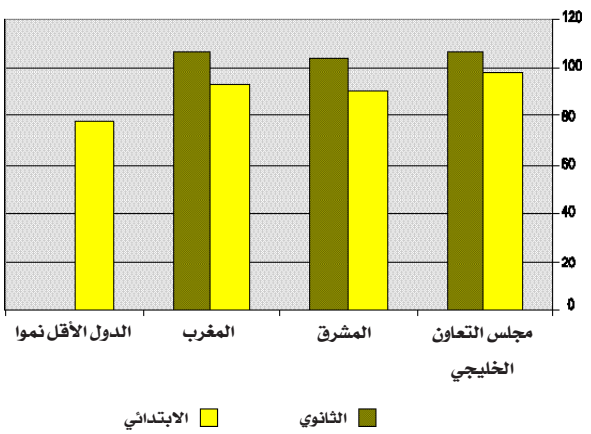


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## ج- الإنفاق على التعليم

تراجع الإنفاق العام على التعليم كنسبة مئوية من الناتج القومي في أغلب الدول العربية خلال 1995-1997، مقارنة بما كان عليه قبل عشرة أعوام، كما يتبين من جدول 3-3. ولكن يلاحظ العكس بالنسبة إلى الإنفاق العام على التعليم كنسبة مئوية من مجموع الإنفاق الحكومي، نظرا لتقلص ما يشكله الإنفاق الحكومي من الناتج القومي. ويتراوح الإنفاق العام على التعليم كنسبة

ومن بين 20 دولة عربية تتوفر عنها البيانات، استطاعت 15 دولة أن تخفض معدل وفيات الرضع فيها عام 2000 إلى نصف أو أقل من نصف مما كان عليه عام 1970. ومن الملاحظ أن معدل وفيات الرضع لا يتجاوز 50 لكل 1000مولود حيّ في جميع الدول العربية، باستثناء العراق والدول العربية الأقل نموا.

### الرسم البياني 14.3: معدل وفيات الأطفال الرضع (لكل 1000 ولادة حية)

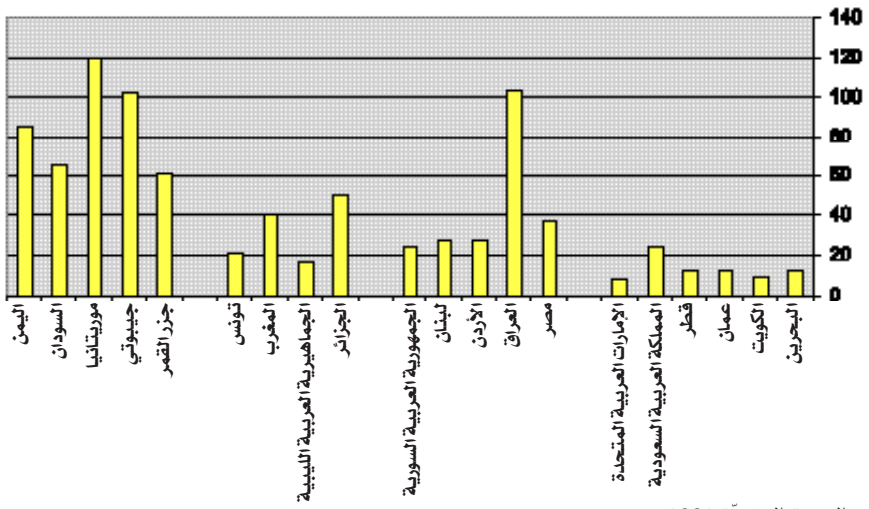


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**.

The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001.

كما حققت الدول العربية إنجازا أكبر فيما يخص مؤشر معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة. فمن أصل 20 دولة عربية تتوفر عنها البيانات، استطاعت 11 دولة أن تخفض معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة في عام 2000 إلى ربع أو أقل من ربع ما كان عليه عام 1970[8]. وانخفض المعدل المذكور بما لا يقل عن 25٪ في جميع الدول العربية الأخرى باستثناء العراق حيث ارتفع فيه هذا المعدل عام 2000 عما كان عليه عام 1970.

## ب- الصحـــة الإنجـــابية

تتناول هذه الفقرة بعض المؤشرات الكمية المتصلة بالصحة الإنجابية، في حين تناول التقرير في أقسامه الأخرى الجوانب النوعية والسلوكية لهذا البعد الهام في حياة المراهقات والمراهقين. وتشمل المؤشرات المذكورة فيما يلي العناية بالأم الحامل والجنين ووسائل تنظيم الأسرة والمعطيات المتوفرة حول انتشار مرض نقص المناعة البشرية (الإيدز).

نلاحظ من الجدول 4-4 ارتفاع قيم مؤشر العناية بالجنين قبل الولادة ومؤشر الولادات التي تمت في حضور عاملين مؤهلين، حيث تتجاوز نسب هذين المؤشرين 95٪ في مجموعة مجلس التعاون الخليجي و80٪ في مجموعتي المشرق والمغرب العربي و45٪ في الدول الأقل نموا. أما معدل الوفيات النفاسية فهو يشهد تباينا كبيرا جدا بين الدول العربية. وتتراوح نسبة وفيات النساء المرتبطة بالحمل عن كل 100000 مولود حيّ، بين 3 وفيات في الإمـارات العربيـة

**(8)** فيما يخص تخفيض معدل وفيات الأطفال وعند تقييم درجة الإنجاز المحقق في كل بلد على حدة لا يجب الأخذ بعين الاعتبار مستوى هذا المؤشر. فعندما يكون معدل الوفيات مرتفعا يمكن خفضه بسهولة أكبر وفي مدى زمني أقصر مما هو عليه الأمر بالنسبة إلى المعدل المنخفض أصلا.

إن قلة البيانات المطلوبة لإعداد مؤشرات تعكس الجوانب النوعية المشار إليها أعلاه ينبغي أن لا تكون سببا في عدم توجيه الاهتمام الكافي بهذه الجوانب التي تبينت أهميتها الكبيرة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين في المقابلات التي أجريت معهم، والتي عرضت نتائجها وتحليلها في أقسام أخرى من هذا التقرير.

## 4. الصحّـــــة

تقع المؤشرات الصحية ضمن مجموعتين رئيسيتين وهما مؤشرات المدخلات الصحية ومؤشرات الواقع الصحي. ويتضمن جدول 4-1 عددا من أهم مؤشرات المدخلات الصحية من خدمات وموارد موجهة للمحافظة على الصحة. وباستثناء الدول الأقل نموا، يلاحظ أن مؤشرات توفر الصرف الصحي واستخدام مياه مأمونة وحالات الولادة التي تمت في حضور فريق صحي وعدد الأطباء، تشير عموما إلى توفر هذه الخدمات والموارد بنسب جيدة نسبيا على صعيد الدول العربية. إلا أن ارتفاع نسب توفر الخدمات والموارد الصحية، لا يعني بالضرورة تطور الحالة الصحية، إذ يشمل مفهوم الحالة الصحية المؤشرات المتعلقة بنوعية هذه الخدمات وبالصحة العامة للمواطن (وليس الاعتلال أو المرض)، بالإضافة إلى شموله لنسب التغطية.

### أ- التقـــدم المحـــرز

في غياب مؤشرات تفصيلية عن الوضع الصحي، يمكن اعتماد مؤشر العمر المتوقع عند الولادة كمؤشر عام يعكس مستوى الوضع الصحي ومدى تطوره زمنيا. ويتضح من جدول 4- 3 أن متوسط العمر المتوقع عند الولادة ارتفع خلال الفترة 1970-2000 بنسب تتراوح ما بين 10٪ و41٪ في الدول العربية، باستثناء العراق الذي لم تتجاوز نسبة الارتفاع فيه 3٪. كما حققت دول المغرب العربي أعلى معدلات ارتفاع تراوحت بين 25٪ و32٪. وحققت المنطقة العربية ككل زيادة قدرها 27٪ في مؤشر العمر المتوقع خلال الفترة المذكورة، محرزة بذلك أعلى زيادة في هذا المؤشر ضمن مناطق العالم. وكمعدل عام، يتوقع أن يعيش المراهق عمرا أطول من عمر أبويه بحوالي أربعة عشر عاما. ويبلغ متوسط العمر المتوقع عند الولادة (للفترة 1995-2000) في دول مجموعة مجلس التعاون الخليجي 72.3 سنة و67.6 سنة في المشرق. في حين يبلغ ذلك المتوسط 68.8 سنة في المغرب و53.8 سنة في الدول الأقل نموا.

ويعكس مؤشر العمر المتوقع عند الولادة الوضع الصحي على المدى الزمني الطويل الأمد، وهو لا يتأثر إلا بنسبة ضئيلة بالتغيرات قصيرة الأمد. ففي حالة التردي المفاجئ في الظروف الصحية بسبب تراجع الوضع الاقتصادي أو الحرب أو الحصار، لا ينعكس ذلك على المؤشر المذكور إلا بشكل بسيط وبعد فترة زمنية تمتد لسنوات طويلة. ويعد مؤشر معدل وفيات الرضع ومؤشر معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة، المؤشرين الأكثر قدرة على عكس الوضع الصحي على المدى الزمني القصير الأمد. وقد خصص أحد الأهداف الثمانية لإعلان الألفية للأمم المتحدة الصادر في أيلول/سبتمبر 2000 لخفض معدلات وفيات الأطفال. وينص الهدف الثالث من أهداف التنمية للألفية على تخفيض كل من معدل وفيات الرضع ومعدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة بنسبة الثلثين خلال الفترة 1990-2015.

## رسم بياني 16.3 : الصحة الإنجابية

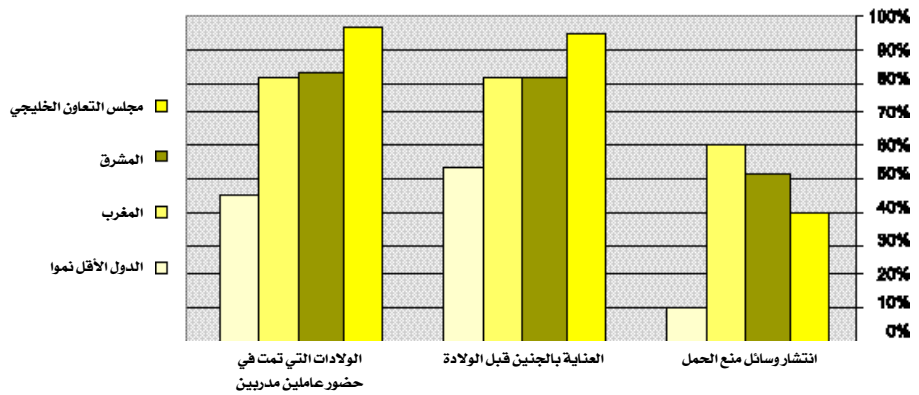


**المصدر :** The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

وتظهر جميع الدول العربية النمط نفسه من معدلات استخدام وسائل منع الحمل حسب عمر المرأة. فيتضح من جدول 4-5 أن الفئة العمرية 15 -19 سنة هي الأقل استخداما لوسائل منع الحمل، نظرا لوجود رغبة أعلى لدى النساء الحديثات بالزواج في إنجاب أولاد. وترتفع معدلات الاستخدام للفئات العمرية اللاحقة لتصل حدها الأعلى ضمن الفئة العمرية 35 -39 سنة، ثم تتجه نحو الانخفاض في الفئتين العمريتين التاليتين بسبب الاقتراب من تجاوز سن الإنجاب. وتبلغ نسبة النساء اللواتي يستخدمن وسائل منع الحمل ضمن الفئة العمرية 15 -19 سنة، ما يقارب نصف المعدل العام. بعبارة أخرى تمثل الفئة العمرية 15 -19 سنة أقل الفئات استخداما لوسائل منع الحمل، وهي الفئة الأكثر تعرضا إلى احتمالات حصول مضاعفات في الولادات. كما أنها تعتبر الفئة التي تضم النسبة الأعلى للسيدات الحوامل بين المتزوجات (جدول 2-9).

## رسم بياني 17.3 : نسبة النساء اللاتي يستخدمن حاليا وسيلة لتنظيم الأسرة حسب العمر الحالي (٪)

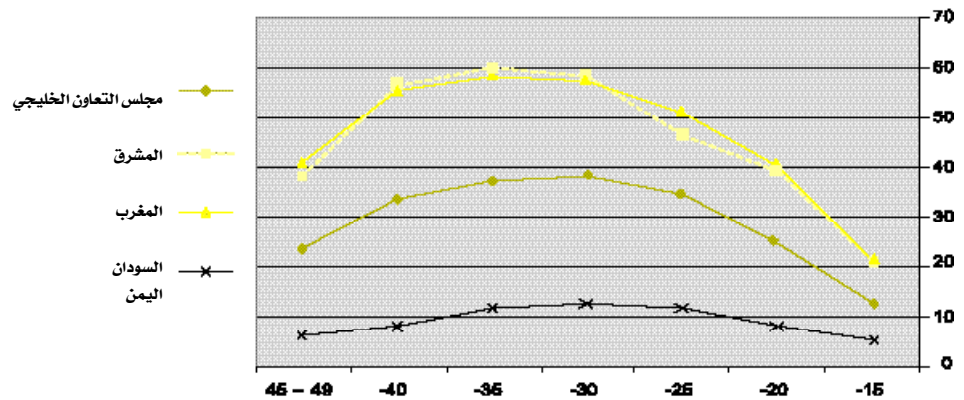


**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية

المتحدة و763 وفاة بالنسبة إلى السودان. وترتبط قيمة هذا المؤشر بقيمة المؤشر السابق فكلما زادت العناية بالجنين قبل الولادة وارتفعت نسبة الولادات التي تتم في حضور عاملين مؤهلين، انخفض عدد الوفيات النفاسية.

كما يلاحظ ارتفاع نسبة حالات نقص الحديد عند النساء في الدول العربية عموما، إذ لا تقل هذه النسبة عن 24٪ في الدول العربية التسع التي توفرت عنها بيانات هذا المؤشر. وهي تزيد عن 50٪ في العراق وجيبوتي. وارتفاع قيمة هذا المؤشر هو نتاج لعامل الفقر في جميع البلدان وخصوصا البلدان الأشد فقرا كما في حالة جيبوتي والعراق. وقد يتداخل هذا العامل جزئيا مع العادات الغذائية غير السليمة في الحالات الأخرى.

## الرسم البياني 15.3: نسبة حالات نقص الحديد عند النساء

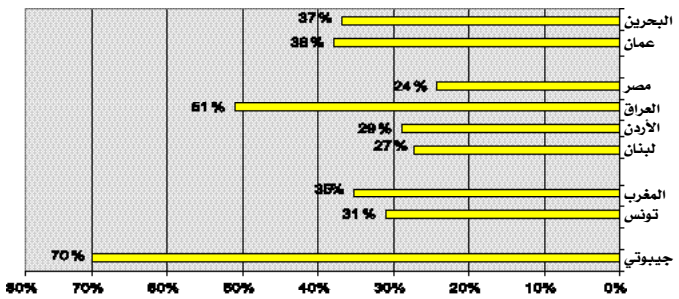


**المصدر:**

The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

ويكتسي تنظيم الأسرة أهمية قصوى في تحديد حجم الأسرة ودرجة رفاهها، ويدخل صلب تصور المراهقات والمراهقين لكيفية بناء أسرهم المستقبلية. ويتبين من الجدول 4-4 أن معدلات انتشار وسائل منع الحمل (كتعبير عن الخطوات العملية المتخذة لتنظيم الأسرة) تتباين إلى حد كبير في الدول العربية. وهي تتراوح بين 2٪ في جيبوتي إلى 71٪ في تونس. وهذه المعدلات منخفضة جدا في مجموعة الدول الأقل نموا ومنخفضة نسبيا في مجموعة مجلس التعاون الخليجي، رغم كونهما يشكلان المجموعتين الأعلى معدلا في نمو السكان وفي الخصوبة. ومن الملاحظ أن معدل انتشار وسائل منع الحمل يتباين إلى حد كبير بين دول هاتين المجموعتين، فهو يتراوح بين 2٪ في جيبوتي و21٪ في اليمن، وبين 28٪ في الإمارات العربية المتحدة و54٪ في البحرين. كما أن مجموعة دول المغرب العربي هي صاحبة المعدل الأعلى في استخدام وسائل منع الحمل، إذ يبلغ فيها هذا المعدل 60٪.

وعلى مستوى المجموعات الفرعية، تبلغ نسبة استخدام وسائل منع الحمل على التوالي 40٪ و52٪ و60٪ و10٪ في مجموعات دول الخليج والمشرق والمغرب والدول الأقل نموا. وهي نسب تقل كلها بشكل محسوس عن نسب مؤشرات العناية بالطفل قبل الولادة ومؤشر الولادات التي تتم بإشراف صحي. وتؤكد هذه المقارنة أن مسألة استخدام وسائل منع الحمل لا تعتمد على توفر المستلزمات المادية والبشرية كما هو الحال بالنسبة إلى المؤشرين الآخرين، وإنما لها أبعاد أخرى تتصل بقناعات اجتماعية أو ثقافية أو سياسة وغيرها. وعلى هذا الأساس فإن اعتماد سياسات توعية مناسبة ومقبولة اجتماعيا، من شأنه أن يمكن الدول المعنية من تحقيق أهدافها الوطنية في مجال تنظيم الأسرة ومن الربط بين معدلات نموها السكاني وبرامجها التنموية وتوفر الموارد فيها دون الحاجة إلى موارد إضافية كثيرة. فالثغرة تتمثل هنا في توفر القرار السياسي ووضع الخطط المناسبة والفعالة والممتدة على فترات زمنية كافية لتحقيق الأهداف.

## د- التحديـــات الصحيـــــة

إن التقدم الحاصل في مستوى التغطية بالخدمات الصحية أو في بعض المؤشرات الصحية الأساسية التي ذكرت في الفقرات السابقة، لا بد أن يعزز بمعطيات إضافية تشمل نوعية هذه الخدمات والإمكانيات الفعلية المتاحة لتطويرها إلى أعلى مستوى ممكن ودون تمييز، فضلا عن وجوب تقييم مستوى الإنفاق الصحي ومردوديته. وفي ضوء ذلك يمكن القيام بتقييم عام للوضع الصحي في البلدان العربية يتصف بالشمول والموضوعية.

إن البيانات عن الإصابة بالأمراض في البلدان العربية تتسم بالندرة أو بعدم القابلية للمقارنة. وتشير بيانات حالات الإصابة بمرض السل إلى أن نسبة حالات الإصابة بهذا المرض في البلدان العربية أقل مما هي عليه في البلدان النامية عموما. إلا أن نسبة هذه الحالات مرتفعة جدا في البلدان العربية الأقل نموا، حيث أنها تزيد عن ضعف ما هي عليه في دول العالم الأقل نموا.

ولعل من أهم التحديات الصحية ذات الصلة بالمراهقين تتمثل في عادة استهلاك السجائر والتبغ وما شابه ذلك. ويستخلص من الرسم البياني 18.3 وجود تباين كبير في استهلاك السجائر بين الدول العربية. إذ يتراوح الاستهلاك السنوي للفرد ما بين 797 سيجارة في اليمن و3080 في الكويت. وهنالك عادات أخرى لا تقل خطورة عن التدخين في أثارها الصحية وكلفتها، إن لم تكن تتجاوزها. ومن أهمها تدخين النرجيلة وتخزين "القات"، وتناول المشروبات الكحولية والمخدرات. وقد أخذت خطورة هذه الممارسات تتزايد في السنوات الأخيرة، نظرا لانتشارها بشكل سريع بين فئة الشباب ذكورا وإناثا بما فيهم طلاب المدارس في العديد من الدول العربية. وقد برزت هذه الظواهر بشكل جلي في المقابلات التي أجريت مع المراهقات والمراهقين والتي تم عرض نتائجها في أقسام أخرى من هذا التقرير.

### رسم بياني 18.3: استهلاك السجائر لكل شخص بالغ (المتوسط السنوي)

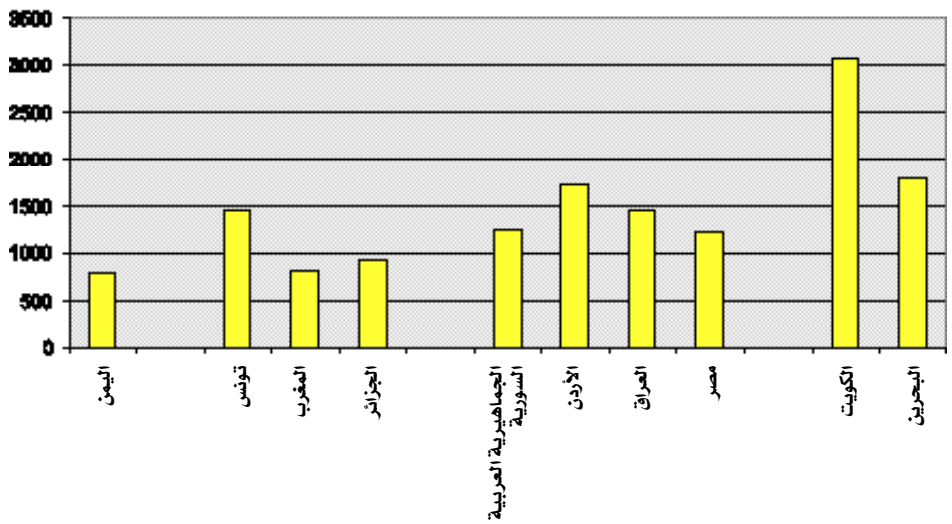


**المصدر:** تقرير التنمية البشرية، 2002/ تقرير التنمية الإنسانية العربية، 2002

## ج- مرض نقص المناعة المكتسبة

لا تطرح قضية مرض الإيدز على نطاق واسع في البلدان العربية. ويعود ذلك جزئيا إلى كون الإحصاءات المنشورة تشير إلى أن الدول العربية هي الأدنى من حيث عدد النساء ضمن الفئة العمرية 15-45 سنة اللواتي يحملن فيروس الإيدز، إذ يقدر عددهن في المنطقة العربية بربع مليون امرأة يعيش ما يقارب 90٪ منهن في السودان. إلا أن ذلك ينبغي أن لا يولد لدينا ثقة زائدة تقلل من أهمية ما تستوجبه هذه المسألة من وعي ووقاية. فمن ناحية، يتسبب شح البيانات المتاحة عن الأعداد الفعلية للأفراد الذين يحملون متلازمة نقص المناعة/الإيدز، وعن اتجاهات هذه الإصابات من حيث الأعداد والتركيبة العمرية وغيرها، في عدم معرفتنا الدقيقة لحجم هذه المشكلة حاليا ووضع التوقعات لتطورها مستقبلا. ومن ناحية أخرى، قد يتسبب الاختلاط المتزايد مع العالم الخارجي وتزايد احتمالات انتقال العدوى من المصابين الموجودين في الدول العربية في تسارع وتيرة الإصابات في هذه الدول. ولكن يجدر الانتباه إلى أن انتشار هذا الوباء بين صفوف الشباب يجب أن يحظى باهتمام فوري، تلافيا لاحتمالات توسع مفاجئ يصعب السيطرة عليه بسبب التغاضي عن المشكلة في مرحلتها الأولى. كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن عدد الشابات المصابات بهذا الفيروس في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأدنى يقارب ثلاثة أضعاف المصابين من الشبان.

### جدول 3.3 : أعداد الإناث والذكور (15-24 سنة) المصابين بمرض نقص المناعة المكتسبة (ديسمبر 2001)

| المنطقة | الإناث | الذكور |
|---|---|---|
| أفريقيا جنوب الصحراء | 5,700,000 | 2,800,000 |
| شرق آسيا والمحيط الهادي | 87,000 | 200,000 |
| جنوب وجنوب شرق آسيا | 930,000 | 590,000 |
| أمريكا اللاتينية | 170,000 | 260,000 |
| جزر الكاريبي | 72,000 | 59,000 |
| شمال افريقيا والشرق الأدنى | 110,000 | 41,000 |
| أوروبا الشرقية ووسط آسيا | 85,000 | 340,000 |
| أمريكا الشمالية | 47,000 | 100,000 |
| أوروبا الغربية | 33,000 | 55,000 |
| المجموع | 7,234,000 | 4,445,000 |

**المصدر:** الأمم المتحدة، برنامج السيدا.[9]

**(9)** Youth and HIV/AIDS. Can we catastrophe Data from UNUSIDA - 2001

من عوامل دولية كالعولمة وانهيار الاتحاد السوفياتي، أو من عوامل إقليمية كالنزاع العربي الإسرائيلي. كما واجهت دول عربية معينة عوامل خاصة، بعضها داخلي كالنزاعات المسلحة في السودان والصومال والجزائر ولبنان، وبعضها الآخر خارجي كالحرب والحصار في العراق وفلسطين. وبوجه عام كانت محصلة تأثيرات هذه العوامل على التصرف بالموارد الاقتصادية سلبية، إذ تسببت في إهدار نسب مهمة من تلك الموارد وفي وضع القيود والعوائق أمام تطورها.

وسيركز هذا المبحث على واقع الموارد الاقتصادية المتاحة للدول العربية وكيفية التصرف فيها، مع انعكاسات ذلك على المجتمع بوجه عام وعلى المراهقات والمراهقين بوجه خاص.

## أ- مستـــوى المعيـــشة

يستخدم نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في بلد معين كمؤشر عام للوضع الاقتصادي فيه، فهو يقيس حصة الفرد من إجمالي إنتاج ذلك البلد، وبالتالي يقيس مستوى معيشة سكانه. وكما هو واضح من الرسم البياني 19.3، يوجد تباين كبير في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية بين الدول العربية، إذ بلغ هذا النصيب سنة 2000 في قطر أكثر من عشرين مرة ما كان عليه في اليمن. ففي حين يصل إلى 18789 دولارا بقطر لا يتجاوز 893 دولارا باليمن (الجدول 1-1). وعلى مستوى مجموعات الدول العربية، بلغ معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في مجلس التعاون الخليجي أكثر من ثلاثة أضعاف ونصف معدل مجموعة المشرق العربي. كما بلغ ذلك المعدل ضعف معدل مجموعة المغرب العربي وتسعة أضعاف معدل مجموعة الدول الأقل نموا كما هو موضح في الرسم البياني 20.3.

**رسم بياني 19.3: نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000**

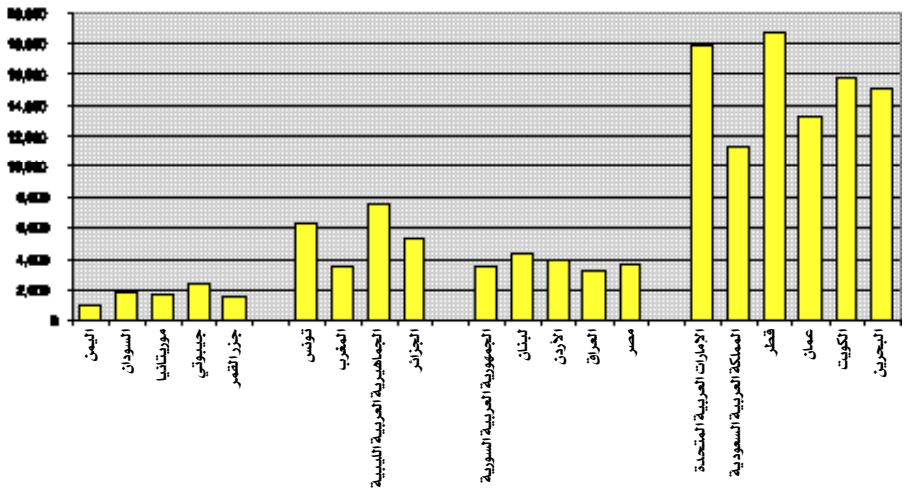


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة 2002

### ه- الإنفاق الصحي

يمثل الإنفاق الصحي وفعاليته تحديا آخر. وتبلغ نسبة الإنفاق العام على الصحة في الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة 5.0٪ من الناتج المحلي الإجمالي، في حين تقل هذه النسبة عن 3٪ في تسع من الدول العربية الإحدى عشرة التي تتوفر عنها بيانات هذا المؤشر. ويبلغ معدل نسبة الإنفاق الإجمالي العام والخاص على الصحة في الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة 7.5٪ من الناتج المحلي الإجمالي. ولكن، باستثناء الإمارات العربية المتحدة ولبنان، لا تصل أي من الدول العربية إلى النسبة المذكورة. وفي الوقت الذي يبلغ معدل نصيب الفرد من الإنفاق على الصحة في الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة حوالي 2350 دولارا سنويا حسب تعادل القوة الشرائية، يقل هذا المعدل عن 20 دولارا في موريتانيا وعن 500 دولارا في ستة من الدول العربية السبع التي تتوفر عنها بيانات هذا المؤشر. ولا يتوقف الأمر على مستوى الإنفاق الصحي، بل يتجاوز ذلك إلى فعاليته، إذ توجد حالات يكون الإنفاق الصحي فيها مرتفعا، ولكن المردود الصحي أقل مما هو متوقع، مما يشير إلى ضرورة اقتران حجم الانفاق باعتماد سياسات صحية تتناسب مع الأولويات وتعطي الأهمية الكافية للجانب الوقائي وللرعاية الصحية الأولية. وهي أقل كلفة وأكثر فعالية في تحسين الوضع الصحي للسكان من السياسات العلاجية التي تعطي الأولوية للاستشفاء. ويشكل لبنان أحد أبرز الأمثلة على الإنفاق الصحي المرتفع المخصص في معظمه للاستشفاء.

## 5. الوضع الاقتصادي

كان للجانب الاقتصادي دور كبير في تشكيل مظاهر الحياة في الدول العربية وتحديد اتجاهاتها. وشكلت طفرة النفط عاملا اقتصاديا رئيسيا في إحداث التغيرات الكبيرة التي حصلت خلال العقود الأخيرة. ويمكن أن يعزى جزء مهم مما شهدناه من اختلافات بين الدول العربية في مستويات المؤشرات وفي اتجاهات تطورها، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى عوامل اقتصادية. فبفضل هذه الموارد تقدمت دول مجلس التعاون الخليجي في الكثير من المؤشرات على دول أخرى كمصر ولبنان ودول المغرب العربي التي كانت متقدمة عليها قبل نصف قرن. كما أن الوضعين الاقتصادي والاجتماعي في الدول المصدرة للعمالة إلى بلدان الخليج النفطية تأثرا إيجابا بتحويلات العاملين فيها إلى بلدانهم الأصلية في فترة الطفرة النفطية، وتأثرا سلبا بالانكماش الذي حصل لاحقا لاعتبارات اقتصادية أو سياسية - عسكرية.

إلا أن ذلك لا يعني إلغاء دور الجوانب غير الاقتصادية. فهنالك دول ذات موارد نفطية كبيرة كالعراق والجزائر لم تحقق ما حققته دول محرومة من الموارد النفطية كلبنان والأردن وتونس. مما يبين أن العامل الرئيسي الثاني، بجانب توفر الموارد الاقتصادية الذي كان له الدور الأكبر في التأثير على التنمية في الدول العربية هو كيفية التصرف في هذه الموارد. ومن المؤكد أن كيفية التصرف هذه اختلفت بين الدول العربية، باختلاف الوضع الاجتماعي والنظام السياسي والتأثيرات الخارجية وغيرها. وقد واجهت الدول العربية درجات مختلفة من التأثيرات المفروضة عليها من حيث كيفية تصرفها بمواردها الاقتصادية. سواء كانت تلك التأثيرات متأتية

السؤال المهم هنا هو كيف سيؤثر هذا التقلص في تباين الدخل في الدول العربية، إن حصل، في المراهقات والمراهقين ؟ هنالك عدة تأثيرات متوقعة. أولا سيتقلص التباين في المؤشرات الأخرى التي تعتمد على الدخل، وفي مقدمتها مؤشرات التعليم والصحة. ثانيا، يتوقع أن تخف آثار التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت الارتفاع المفاجئ والكبير في الدخل خلال سبعينيات القرن الماضي على المراهقات والمراهقين في دول مجلس التعاون الخليجي. ومن بين تلك التحولات التزايد الكبير في العمالة الوافدة والتوسع الكبير في الميول والسلوكيات الاستهلاكية مع انخفاض الحوافز للعمل الجدي المنتج. ثالثا، يتوقع أن تساهم آثار تطور المستوى التعليمي والاختلاط بثقافات أخرى في تخفيف القيود والمعوقات التي تفرضها التقاليد والثقافة التقليدية المحلية. ونتيجة لما سبق، يتوقع أن تتقلص الاختلافات في القناعات والممارسات والسلوكيات بين المراهقين في البلدان العربية. إلا أن هذه التوقعات المستندة إلى التطورات الاقتصادية والاجتماعية "العادية"، يمكن أن تتحول إلى اتجاهات مخالفة تحت التأثير الشديد للعوامل السياسية والعسكرية والايديولوجية في البلدان العربية، وهي غير قابلة للتوقع الدقيق.

لقد عانت معظم الدول العربية من ارتفاع معدلات التضخم في الأسعار بدءا من سبعينيات القرن الماضي. ومن المعروف أن أكثر الفئات تضررا من التضخم هي الفئات ذات الدخل المحدود، وفي مقدمتها موظفو الدولة والمتقاعدون وأسرهم. بحيث يتوقع أن تكون المراهقات والمراهقون من أسر هؤلاء من بين الفئات الأكثر تضررا من التضخم. ورغم أن درجة تأثير التضخم على هؤلاء المراهقين تختلف من دولة إلى أخرى، إلا أنه من المؤكد أن المراهقين ضمن الأسر التي تعتمد على الرواتب الحكومية كمصدر رئيسي للدخل لا يتمتعون الآن بالمستوى المعيشي المرتفع نسبيا والأهمية الاجتماعية العالية التي كان يتمتع بها أمثالهم من مراهقي الأجيال السابقة. إن اتجاه معدلات التضخم نحو الانخفاض في معظم الدول العربية، لتصبح سالبة في البعض منها خلال الفترة 1999-2000 وتزايد نسب الفقر والبطالة في العديد من الدول العربية، ربما أدى إلى الحد من التدهور النسبي في أوضاع هؤلاء المراهقين خلال السنوات الأخيرة. ولكن ثمة عوامل أخرى تؤدي إلى تراجع القيمة الاجتماعية والاقتصادية لهذه الفئات التي كان لها دور حيوي في العقود السابقة.

وبالإضافة إلى متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، يعتمد مستوى معيشة السكان على مدى المساواة في توزيع الدخل. فكلما كانت هنالك درجة أعلى من التباين في توزيع الدخل، شعر عدد أكبر من السكان بالحرمان والإجحاف. وربما تكون المراهقات والمراهقون من أكثر فئات المجتمع معاناة من هذه المسألة. إذ أن عجزهم عن الحصول على ما يحصل عليه أقرانهم من سلع وخدمات قد يؤثر سلبا في تطور شخصياتهم وعلى علاقاتهم بالمراهقين الآخرين وبالمجتمع عموما.

والبيانات المتعلقة بالمساواة في توزيع الدخل شحيحة في أغلب الدول العربية. ويتضح من الجدول 5-2 أن نصيب أفقر 10٪ من السكان يقل عن 4.5٪ من إجمالي الاستهلاك، في حين يبلغ نصيب أغنى 10٪ من السكان، 25٪ أو أكثر من إجمالي الاستهلاك. ويزيد بذلك نصيب أغنى 10٪ من السكان عن 11 ضعف نصيب أفقر 10٪ من السكان في المغرب وموريتانيا. وهو يقارب 9 أمثاله في الأردن والجزائر واليمن وحوالي ستة أمثاله في مصر. وبالمقارنة مع الدول النامية عموما، يمكن القول إن التفاوت في الاستهلاك في أغلب الدول العربية أقل حدة نسبيا.[10]

**(10)** في حالة المساواة التامة في الاستهلاك يكون نصيب أفقر 10٪ من السكان مساويا لنصيب أغنى 10٪ من السكان ويبلغ 10٪ في كلتا الحالتين. وهذه حالة غير واقعية، إذ يندر أن يقل نصيب أغنى 10٪ من السكان عن خمسة أمثال نصيب أفقر 10٪ من السكان. وفي الواقع هنالك دول يزيد فيها نصيب أغنى 10٪ من السكان بأكثر من 60 مرة عن نصيب أفقر 10٪ من السكان وهي: البرازيل والبراغواي وهندوراس ونيكاراكوا وهفريقيا الوسطى وغينيا بيساو وسيراليون. (راجع تقرير التنمية البشرية 2002 جدول 13).

وقد نما معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بنسب متواضعة خلال الفترة 1975-2000. إذ يتضح من جدول 5-1 أنه باستثناء إفريقيا جنوب الصحراء، حققت منطقة الدول العربية أدنى معدل نمو سنوي من حيث نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ضمن المجموعات الست للدول النامية سواء خلال الفترة 1975-2002 أو الفترة 1990-2000. وقد بلغ معدل النمو المذكور للفترة 1990-2000، 0.7٪ لمنطقة الدول العربية، مقابل 1.3٪ لدول العالم الأقل نموا و5.7٪ لمنطقة شرق آسيا والمحيط الهادئ و1.7٪ لمنطقة أمريكا اللاتينية والكاريبي و3.3٪ لمنطقة جنوب أسيا.

**رسم بياني 20.3: معدل النمو السنوي لنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي 1990-2000 (٪)**

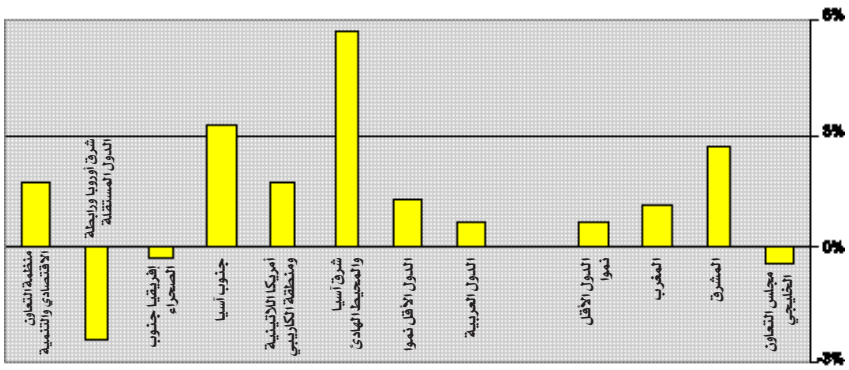


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

كما تراجع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالنسبة إلى أغلب الدول العربية خلال الفترة 1975-2000 نتيجة للنمو السكاني من جهة وانخفاض أسعار النفط من جهة ثانية. إلا أن عددا من الدول العربية حقق نموا ملموسا في نصيب الفرد بسبب الاكتشافات النفطية فيها كما في السودان واليمن، أو لأسباب أخرى كما في مصر ولبنان وسوريا وتونس. وقد شهدت الدول الخمس الأخيرة أعلى زيادة في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي خلال السنوات 1998-2000، مع ذلك بقى التباين في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بين دول مجلس التعاون الخليجي وبقية الدول العربية كبيرا.

إلا أنه لو استمر النمو الاقتصادي في الدول التي حققت زيادة أعلى في نصيب الفرد، وتحسنت ظروف بعض الدول على غرار العراق والجزائر والصومال والسودان التي تعاني من ظروف داخلية استثنائية، واستمر النمو السكاني في دول الخليج العربي بوتائر أعلى من النمو الاقتصادي فيها، يتوقع أن تتجه فجوة الدخل بين مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي والمجموعات الثلاث الأخرى للدول العربية نحو التقلص. كما أن استمرار ارتفاع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في السودان واليمن، واللذين يزيد عدد سكانهما عن ثلاثة أرباع مجموع عدد سكان الدول العربية الأقل دخلا، سيساهم في تقليص هذه الفجوة بين مجموعة الدول العربية الأقل نموا والمجموعات الثلاث الأخرى للدول العربية.

وقد تراجع كذلك الإنفاق العسكري كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي خلال عقد التسعينيات في أغلب الدول العربية، إذ انخفضت استيرادات الأسلحة التقليدية سنة 2000، مقارنة بسنة 1991، إلى حوالي الخمس بالنسبة إلى مجموعة مجلس التعاون الخليجي، وإلى ما يقارب النصف بالنسبة إلى المجموعات الثلاث الأخرى للدول العربية (الجدول 5-4). إلا أن هذا الانخفاض، لا يعود إلى اتجاه الإنفاق العسكري خلال عقد التسعينيات نحو الانخفاض بقدر ما يعود إلى ارتفاع الإنفاق العسكري عامي 1990 و1991 بصورة غير اعتيادية، وخاصة ضمن مجلس التعاون الخليجي، بسبب حرب الخليج الأولى. ويؤكد ذلك ارتفاع إجمالي القوات المسلحة بالمقارنة مع سنة 1985 بنسبة 125٪ في مجموعة مجلس التعاون الخليجي و74٪ في مجموعة المشرق العربي و88٪ في مجموعة الدول الأقل نموا.

ومع ذلك ما زال الإنفاق العسكري، كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، مرتفعا جدا بالنسبة إلى العديد من الدول العربية. فهذا الإنفاق يزيد عن مجموع الإنفاق المخصص للتعليم والصحة معا في سلطنة عمان وسوريا وفي عدد من الدول العربية الأخرى التي لا تتوفر عنها بيانات كاملة عن الإنفاق العام للتعليم والصحة والإنفاق العسكري. وفي الوقت الذي يبلغ فيه المتوسط الحسابي البسيط للإنفاق العسكري، كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي 2.5٪ في الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة، تزيد هذه النسبة عن 8٪ في أربع دول من بين 14 دولة عربية تتوفر عنها البيانات. وهي لا تقل عن 2.5٪ إلا في دولتين عربيتين فقط هما مصر وتونس.

وإضافة إلى الإنفاق العسكري، تشكل خدمة الديون مصدر إنفاق أخر يساهم في الضغط على الإنفاق على التعليم والصحة. وفي واقع الأمر، تفوق خدمة الديون مجموع الإنفاق المخصص للتعليم والصحة معا في ما يقارب نصف الدول العربية التي تتوفر عنها البيانات المطلوبة لإجراء هذه المقارنة. فقد بلغ المتوسط الحسابي البسيط لخدمة الديون، كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي في الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة، عام 2000، 6.3٪ في حين تقارب هذه النسبة 8٪ أو تزيد عنها في أكثر من نصف الدول العربية التي تتوفر عنها بيانات خدمة الديون الخارجية.

### رسم بياني 21.3 : الإنفاق العام المخصص للتعليم والصحة والإنفاق العسكري وخدمة الديون

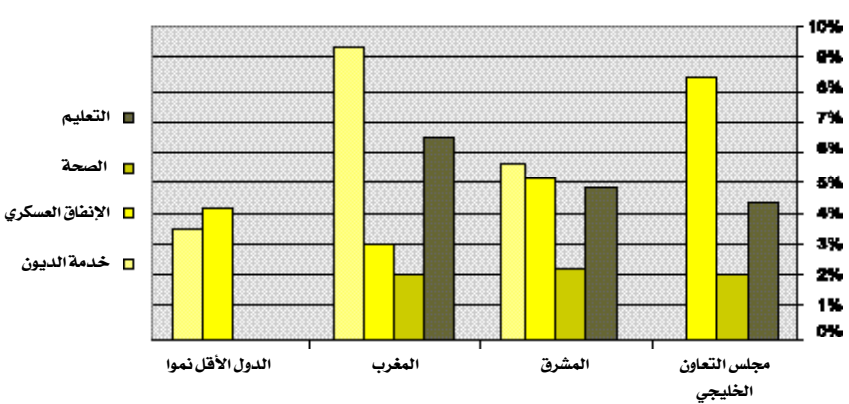


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## ب- المسكن

يحتل المسكن أهميّة كبرى في حياة الأفراد، وخاصة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين. وتقضي الفتاة خصوصا اعتياديا قسما كبيرا من وقتها في المسكن وتمارس فيه جل أنشطتها. وتؤثر بذلك مكونات المسكن وتجهيزاته وموقعه و خصائصه الأخرى بشكل مباشر وكبير في خصوصية الفتاة المراهقة وفي علاقتها بالآخرين ضمن الأسرة وخارجها وفي ما تمارسه من أنشطة.

ويعرض الجدول 6-8 بيانات عن بعض خصائص المسكن، إذ يستخلص من هذا الجدول أن المساكن في مجموعة مجلس التعاون الخليجي تشتمل على عدد أكبر من الغرف، تليها مساكن مجموعة المشرق، ثم مجموعة المغرب، وأخيرا مجموعة الدول الأقل نموا. ويبلغ متوسط عدد الغرف في المجموعة الأولى 5.9 غرف، مقابل 2.3 غرفة لمجموعة الدول الأقل نموا. إلا أن حدّة التفاوت تقل بين المجموعات الأربع في متوسط عدد الأفراد في الغرفة، لأن الأسرة أكبر حجما في المتوسط في مجموعة مجلس التعاون الخليجي. وتنطبق المقارنة نفسها فيما يخص الغرف المخصصة للنوم. ومن الملاحظ أن نسبة الغرف المخصصة للنوم تبلغ 66٪ من مجموع عدد غرف المسكن في مجموعة مجلس التعاون الخليجي، بينما تبلغ هذه النسبة 78٪ في مجموعة الدول الأقل نموا. ويعني هذا أنه، وفقا لمؤشر مجموع عدد الغرف بنوعيها المخصصة للنوم منها والغرف الأخرى، ووفقا لمؤشر الاكتظاظ، يتمتع المراهقات والمراهقون بوضع سكني أفضل في مجموعة مجلس التعاون الخليجي، تليها مجموعة المشرق ثم مجموعة المغرب وأخيرا مجموعة الدول الأقل نموا.

ولعل أكثر المراهقات والمراهقين معاناة في إطار بيئة المسكن هم الذين يقيمون في وحدات سكنية تقتصر على غرفة واحدة كالأكواخ والخيام والبيوت والشقق الصغيرة جدا. ويعاني هؤلاء من فقدان الخصوصية ومن ظروف غير صحية داخل المسكن، فضلا عن مشاكل أخرى ناجمة عن الاكتظاظ وعن تدني نوعية هذه المساكن. وتتركز هذه المساكن بدرجة أكبر في مجموعة الدول الأقل نموا، إذ يشير انخفاض متوسط عدد الغرف في المسكن في هذه المجموعة، والبالغ 2.3 غرفة فقط، إلى أن نسبة كبيرة من المساكن فيها تقتصر على غرفة واحدة.

ومن حيث تجهيز المسكن بالخدمات، يلاحظ أن 98٪ من مساكن مجموعتي مجلس التعاون الخليجي والمشرق العربي تستخدم الكهرباء لأغراض الإضاءة، مقارنة ب 27٪ لمجموعة الدول الأقل نموا. وتشير بيانات الجدول 6-5 والجدول 6-6 إلى أن المساكن في مجموعة مجلس التعاون الخليجي أفضل تجهيزا من حيث وسائل الاتصال والترفيه، تليها مساكن مجموعتي المشرق والمغرب، وأخيرا مساكن مجموعة الدول الأقل نموا.

## ج- أولويات الإنفاق العام

شهد الإنفاق العام على كل من التعليم والصحة كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي. تراجعا خلال عقد التسعينيات في أغلب الدول العربية، كما تشير إلى ذلك بيانات الجدول 5-3. وعند إجراء المقارنة على أساس المتوسط الحسابي البسيط، يلاحظ أن الإنفاق العام كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية يقارب ما هو عليه في الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة بالنسبة إلى التعليم، إلا أنه أقل منه بالنسبة إلى الصحة.

وعلى ضوء ما سبق، يمكن القول إن الفتاة العربية المراهقة تجد نفسها أمام توقعات صعبة فيما يخص مساهمتها في العمل المدر للدخل، مقارنة بزميلها المراهق المساوي لها من حيث المستوى التعليمي والمؤهلات. فهي لا تحظى سوى بفرص عمل أقل تتركز في أنشطة اقتصادية ومهن ذات إنتاجية منخفضة وأجور متدنية، بل هي قد تعاني من التمييز ضدها في الأجور والحوافز.

**رسم بياني 23.3 : الدخل المكتسب التقديري (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000**

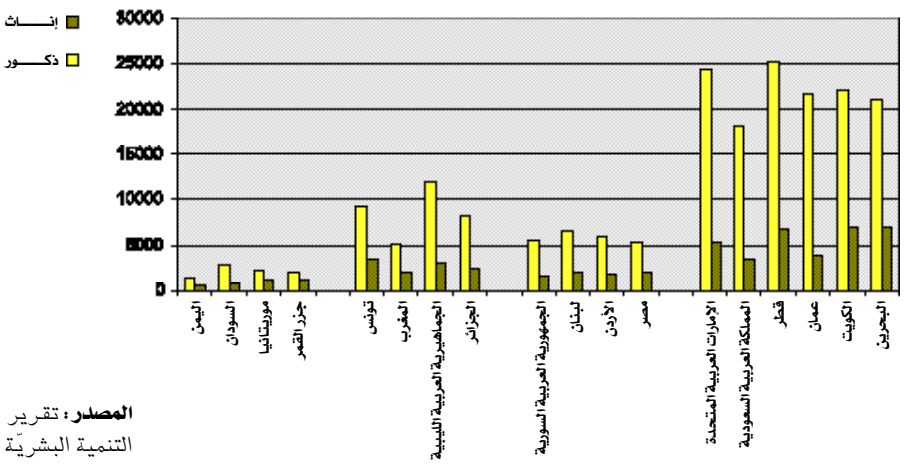


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## 6. جـوانـــب أخـــــرى

### أ- المشاركة السياسية للمرأة

تواجه المرأة العربية تحديات كبيرة تجاه مشاركتها في صنع القرار وبوجه خاص في مجال السياسة.[12] ومصدر الكثير من هذه التحديات يرتبط في ظاهر الأمر بالدين، إلا أنه كثيرا ما يعود في الواقع إلى عوامل تاريخية وثقافية، إذ تشير وقائع عديدة إلى تمتع المرأة بمشاركة فاعلة في صنع القرار في صدر الإسلام. ومن المؤسف أن هنالك شواهد تشير إلى أن المرأة تتحمل هي أيضا قسطا من المسؤولية في استمرار حرمانها من المشاركة. ففي الدول التي تتمتع المرأة فيها بحقوق انتخابية متساوية مع الرجل، لازلت نسبة المقاعد البرلمانية التي تشغلها النساء منخفضة جدا، مما يشير إلى أن نسبة عالية من النساء إما لم يصوتن أو صوتن لصالح انتخاب رجل.

تنحصر المشاركة السياسية للمرأة من حيث المستوى والكم ضمن مستويات متواضعة في العديد من الدول العربية، كما هو واضح من جدول 6-1. ففي دول مجلس التعاون الخليجي، يكاد يكون دور المرأة منعدما فيما يتعلق بالتصويت والترشيح للانتخابات البرلمانية أو ضمن المستوى الوزاري. أما بالنسبة إلى الدول العربية الأخرى، فإن المرأة قد نالت حق التصويت والترشيح للانتخاب فيها جميعا، بل إن هذا الحق منح لها في أغلب هذه الدول منذ ستينيات القرن الماضي. إلا أن الوجود الفعلي للمرأة ضمن البرلمان أو ضمن المستوى الوزاري ما زال متواضعا في هذه الدول مقارنة بحجمها السكاني.

**(12)** تجدر الإشارة هنا إلى أن موضوع التقرير التالي الذي سيعده مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث (كوتر)، وهو الثالث ضمن تقارير تنمية المرأة العربية التي يعدها المركز، سيكون حول المرأة والمشاركة في صنع القرار كما سيتناول التقرير الرابع الذي يليه موضوع المرأة والتشريع.

هذا ما تشير إليه البيانات المتاحة. وتزداد الصورة قتامة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن العديد من الدول العربية التي يوجد نقص في البيانات عنها، وخاصة العراق والصومال، تتصف بانخفاض إنفاقها على التعليم والصحة وبارتفاع الإنفاق العسكري وخدمة الديون فيها.

## د- التمييز على أساس الجنس في النشاط الاقتصادي[11]

تتصف معدلات النشاط الاقتصادي للنساء في الدول العربية بانخفاض ملموس مقارنة بما هي عليه للرجال. ففي المعدل يمارس أقل من ثلث النساء البالغات نشاطا اقتصاديا بالنسبة إلى مجموعات الدول العربية الثلاث الأولى، وأقل من نصفهن بالنسبة إلى مجموعة الدول الأقل نموا. وقد ارتفع معدل النشاط الاقتصادي للنساء في معظم الدول العربية خلال الفترة 1985-2000 بنسب متباينة تجاوزت 50٪ في ثلاث دول عربية هي سلطنة عمان والأردن والجزائر. ولكن، على الرغم من هذا الارتفاع، يقل معدل النشاط الاقتصادي للنساء في جميع الدول العربية باستثناء المغرب وجزر القمر وموريتانيا عن نصف المعدل المقابل للرجال.

### رسم بياني 22.3: معدل النشاط الاقتصادي للإناث (العمر 15 سنة فأكثر)

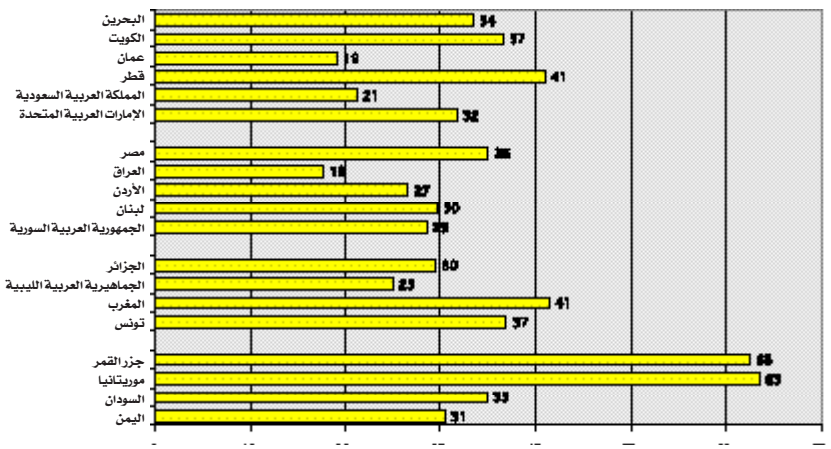


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

وفي واقع الأمر، يقل الدور الفعلي للمرأة العربية حتى عما تعكسه النسب المبينة في الجدول. فبالنسبة إلى دول مجلس التعاون الخليجي، تعكس هذه النسب معدلات النشاط الاقتصادي لجميع النساء من مواطنات وعاملات أجنبيات. ولمّا كان معدل النشاط الاقتصادي أعلى ضمن العمالة الأجنبية من النساء، فإن معدل النشاط الاقتصادي ضمن المواطنات أقل مما تبينه النسب في الجدول.

كما تعمل نسبة مرتفعة من النساء في الزراعة أو كعاملات غير ماهرات، أو بشكل موسمي، أو بأشكال أخرى ذات إنتاجية منخفضة. مما يعني أن المساهمة الفعلية للنساء في الإنتاج الإجمالي المقيم اقتصاديا والمحتسب ضمن الناتج المحلي، هي أقل من مساهمتهن العددية في القوى العاملة. وهو ما يؤكد أن نسبة الدخل المكتسب للنساء مقارنة بالرجال أقل من نسب النشاط الاقتصادي المقابلة. ففي حين تبلغ نسبة الدخل المكتسب للنساء مقارنة بالرجال 25٪ في مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي و31٪ في مجموعتي دول المشرق العربي ودول المغرب العربي و43٪ في مجموعة الدول الأقل نموا، تبلغ النسب الموازية للنشاط الاقتصادي على التوالي 37٪ و36٪ و43٪ و56٪ (رسم بياني 3. 22).

**(11)** انظر تقرير تنمية المرأة العربية الأول حول "العولمة والنوع الاجتماعي: المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية"، مركز "كوثر" 2001

الموجهة للسياسات المتّبعة في هذه البلدان. أما أثرها الفوري والبعيد المدى على المراهقات تحديدا، فيتمثل في كون هذه المواقف بما هي تعبير عن خيارات مستقبلية، تحدد السياسات الراهنة وملامح الصورة النمطية التي يجب أن تبني عليها مراهقات اليوم خياراتهن لكي تكون متوافقة مع هذه الخيارات المستقبلية. إن الأولويات في السياسات الموجهة للمراهقات والمراهقين سوف تكون مختلفة جذريا في حال كانت الخيارات الحقيقية تتجه نحو المساواة الفعلية في الحقوق ضمن الدائرتين العامة والخاصة أو في حال كان العكس صحيحا.

أما اتفاقية حقوق الطفل، فهي تشمل فترة المراهقة من الناحية العمرية، حيث أنها عرفت الطفولة بكونها المرحلة العمرية الممتدة من الولادة حتى سن الرشد المحدد بـ 18سنة. وبالتالي فان المراهقات والمراهقين، ومنهم تحديدا الفئة المستهدفة بهذا التقرير (15-18 سنة) مشمولة بالحقوق المضمنة في هذه الاتفاقية. وقد صادقت كل الدول العربية على هذه الاتفاقية شأنها في ذلك شأن كل دول العالم ما عدا الولايات المتحدة الأميركية. ولكن عددا منهم سجل هنا أيضا تحفظات عامة تتعلق بعدم الالتزام بكل ما هو مخالف للشريعة الإسلامية، أو حددت البنود التي شملها التحفظ وهي المواد 2 و6 و7 و9 و13 و14 و16 و17 و20 و21 و26 و30. وتتعلق هذه المواد بالدرجة الأولى بقوانين التبني وباحترام حرية الطفل في الفكر والوجدان والانتماء الديني والحق في الجنسية وإجراءات الفصل عن الوالدين ومراعاة مصالح الطفل الفضلى. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى دلالة هذه التحفظات لما تعبّر عنه من خيارات في ما يتصل بالعلاقات بين الأجيال والعلاقات داخل الأسرة والموقف من الاتجاهات التربوية الحديثة. فالاتفاقية تنظر إلى الأطفال (ومنهم المراهقون) باعتبارهم أشخاصا أو مواطنين ذوي حقوق يجب أن تتاح لهم فرصة التمتع بها وممارستها، إلى جانب اعتبارهم بحاجة إلى رعاية خاصة وعناية من المجتمع ومن الأسرة ومن الراشدين عموما. وفي هذه النظرة المزدوجة، ميل إلى ترجيح عنصر المواطنة والمشاركة كلما تقدم الطفل في العمر، وهو ما ينطبق خصوصا على المراهقات والمراهقين من سن 15 إلى 18، ومنها حقه في المشاركة داخل الأسرة وداخل المؤسسة التعليمية ومكان العمل والمجتمع عموما وما ينتج عن ذلك من إعادة صياغة للأدوار والعلاقات بين الأبناء والآباء داخل الأسرة بالإضافة إلى التطوير الواجب إدخاله في الفضاءات العلائقية والمؤسسية الأخرى. وواقع الأمر، هو أن التحفظات العربية على بعض بنود الإتفاقية، إنما تنبع في جوهرها من التحفظ على التعديل في المواقع وفي الأدوار ونمط العلاقات داخل الأسرة بشكل خاص والحفاظ على التراتبية العمرية وتلك المرتبطة بنوع الجنس داخلها، واستطرادا، داخل المجتمع.

## ج- وسائل الاتصال

تؤدي وسائل الاتصال الحديثة دورا مهما في المجتمع. وتكتسب أهمية خاصة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين باعتبارها وسيلة انفتاح على العالم وتفاعل معه لا تخضع للمراقبة المشددة للأهل والمجتمع. وتعدّ بذلك وسائل الإعلام ناقلا ومعمّما لمختلف أنواع المضامين والسلوكيات، المفيد منها والضار، المتوافق منها مع البيئة الاجتماعية المحيطة والمتنافر معها. ولهذا فإن آثارها متفاوتة حسب الخصائص الفردية والاجتماعية. كما ترتبط الإفادة منها ارتباطا وثيقا بالحس النقدي الذي يتمتع به المتلقي والذي يتيح له الاختيار الواعي والتفاعل الإيجابي مع المضامين التي تنقلها.

وفيما يخص مؤشر نسبة المقاعد البرلمانية، شهد دور المرأة تغيرات مختلفة في المجموعات الأربع من الدول العربية خلال الفترة 1987-1999. فقد بقي معدل هذه النسبة دون تغيّر عند المستوى صفر في مجموعة مجلس التعاون الخليج العربي وارتفع أولا ثم تراجع في مجموعتي المشرق والمغرب وانخفض ثم ارتفع في مجموعة الدول الأقل نموا كما يتضح من جدول 6-2. أما بالنسبة إلى معدل مؤشر نسبة النساء في موقع اتخاذ القرار فقد ارتفع أو بقي دون تغيير خلال الفترة 1994-1998 في المجموعات الأربع من الدول العربية سواء على المستوى الوزاري أو المستوى بعد الوزاري. وقد يستدل من التطور الإيجابي لنسبة النساء في موقع اتخاذ القرار وتذبذب مؤشر نسبة المقاعد البرلمانية، أن كبار المسؤولين في الدول العربية الذين بيدهم سلطة تعيين النساء في المستويات الوزارية وما بعد الوزارية أكثر رغبة في تطوير المشاركة السياسية للمرأة من عموم مجتمع الناخبين الذين ينتخبون النساء لاحتلال المقاعد البرلمانية. وهنالك العديد من الدول العربية التي تحتل فيها السلطة التنفيذية مواقع متقدمة على السلطة التشريعية فيما يخص المشاركة السياسية للمرأة ومنها الأردن والكويت.

## ب- حقـــوق الإنســـان وحقـــوق العمـــال

إن المقارنة بين التشريعات العربية عملية صعبة، نظرا لتعدد التشريعات ولتداخلها ولكونها مسائل نوعية لا يمكن اختزالها بمؤشرات كمية يمكن أن تقام بينها مقارنات بسيطة نسبيا. غير أنه يمكن الحصول على فكرة تقريبية عامة عن هذا الموضوع من خلال مقارنة التشريعات الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان وحقوق العمال، مثل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاتفاقيات الأساسية لحقوق العمال واتفاقية حقوق الطفل. وكما يبين الجدول 6-4 يلاحظ أن مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي ومجموعة الدول الأقل نموا هما بوجه عام أقل المجموعات العربية مصادقة على عدد من هذه الاتفاقيات.

وتعدّ اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة واتفاقية حقوق الطفل، الأكثر ارتباطا بأوضاع المراهقات والمراهقين. أما أهمية الاتفاقية الأولى، فهي تنبع من كونها تتناول الممارسات التمييزية بحق المرأة انطلاقا من اعتبار المساواة بين الرجل والمرأة هدفا نهائيا. وهي تشمل بالتالي التمييز اللاحق بالمرأة في مختلف المراحل العمرية ومنها فترة المراهقة، والممارسات التمييزية بحق المراهقات خلالها. ويتبين من مراجعة الجدول 6-3 أن 14 دولة عربية فقط صادقت على هذه الاتفاقية ولم تصادق عليها ثماني دول، أربع منها تنتمي إلى مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي. هذا مع العلم أن معظم الدول الأخرى الموقعة على هذه الإتفاقية سجلت تحفظات تتعلق بالمواد 2 و7 و9 و 15 و16 و29. وتندرج كل التحفظات تحت عنوان الخصوصية الثقافية وعدم التناقض مع الشريعة الإسلامية التي تعتبر من المصادر الأساسية للتشريع في معظم البلدان العربية. وتطال بشكل خاص حق المرأة في إعطاء الجنسية لأولادها، وما يتصل بتساوي الحقوق ضمن الأسرة، والحق في الانتقال والسكن المستقل. وتمثل هذه الاعتراضات قاسما مشتركا بين الدول المتحفظة مع اعتراض واحد على المادة السابعة المتعلقة بحق المرأة في المشاركة السياسية لتعارض ذلك مع الدستور في حالة الكويت. ويطال جوهر التحفظ المشترك هنا فكرة المساواة الكاملة في الحقوق التي تخلخل الأدوار الاجتماعية النمطية لكل من النساء والرجال في الأسرة والمجتمع. وهي تعبّر من ثمة عن الميل الاستراتيجي للخيارت

**رسم بياني 25.3: عدد نقاط الإنترنت ضمن مجموعات الدول العربية مقارنة بمناطق العالم (لكل 1000 فرد)**

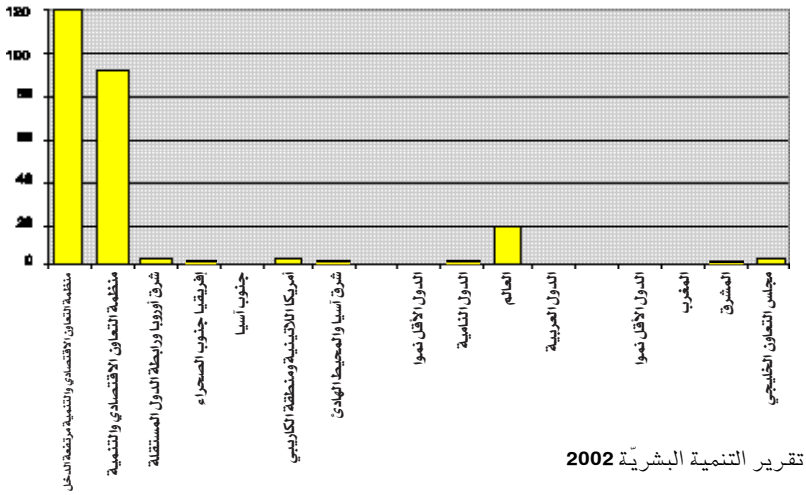


**المصدر:** تقرير التنمية البشريّة **2002**

## د- الطـــاقة والبيئـــة

تعد المنطقة العربية أهم منطقة في العالم من حيث صادرات واحتياطيات النفط الخام والغاز الطبيعي. وتشير البيانات المتاحة إلى أن نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء في المنطقة العربية يزيد بنسبة 75٪ عن نصيب الفرد في الدول النامية عموما. وقد أدى تركز إنتاج النفط في دول عربية دون أخرى إلى تباين شديد في استهلاك الطاقة الكهربائية، إذ تجاوز نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء في قطر 320 مرة نصيبه في السودان، أي 1487 كيلو واط/ساعة مقابل 46 كيلو واط/ساعة. وقد تسبب وجود الطاقة النفطية بكميات وفيرة وبكلفة إنتاج منخفضة في مجموعة مجلس التعاون الخليجي في ارتفاع نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء في تلك المجموعة، بحيث تجاوز نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء فيها نصيبه في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل.

تحتل دول مجلس التعاون الخليجي المرتبة الأولى من حيث توفر وسائل الاتصال الحديثة فيها باستثناء التلفزيون، تليها بلدان المشرق العربي، ثم بلدان المغرب العربي وأخير الدول الأقل نموا. وتجدر الإشارة إلى تفاوت الأهمية النسبية للأنواع المختلفة من وسائل الاتصال الحديثة من مجموعة إلى أخرى بحسب توفر الوسيلة. إذ تكتسب وسائل الاتصال الأحدث كالهواتف الخلوية والانترنيت أهمية أكبر في دول مجموعة مجلس التعاون الخليجي، في حين تحتل وسائل الاتصال التقليدية كالراديو والهاتف مكانة أكبر في الدول العربية الأقل نموا. وتختلف الأهمية النسبية لأنواع وسائل الاتصال الحديثة ضمن دول المجموعة نفسها. فبالنسبة إلى مجموعة مجلس التعاون الخليجي، يلاحظ أن الإمارات العربية المتحدة هي الأدنى من حيث أجهزة التلفزيون، في حين هي الأعلى من حيث الهواتف الخلوية ونقاط الإنترنت. ويمكن تفسير هذه التفاوتات بمركّب من العوامل الاقتصادية (حيث أن توفر الوسائل يتطلب توفر موارد مالية)، والعوامل الثقافية - السياسية (حيث انتشار شبكات الانترنيت والهواتف الخلوية يتوقف أيضا على درجة الانفتاح الثقافي والإعلامي وعلى بعض الاعتبارات السياسية). كما يتبين أن نسبة امتلاك الأسر لوسائل الاتصال تتباين إلى حد كبير بين المناطق الحضرية والريفية.

**رسم بياني 24.3 : وسائل الإتصال (عدد الأجهزة لكل1000 فرد)**

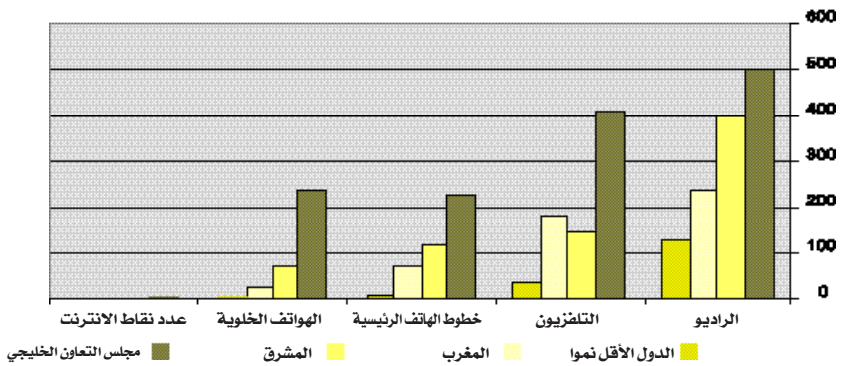


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002** + UNICEF, the state of the World's Children, 2002, leadership

وبالمقارنة مع الدول النامية، يقارب معدل توفر كل من الراديو والتلفزيون والهواتف الأرضية في المنطقة العربية المعدل العام للدول النامية. إلا أنه أقل منه بالنسبة إلى الهواتف الخلوية والانترنيت. بعبارة أخرى، الدول العربية متخلفة عن الدول النامية عموما في وسيلتي الاتصال الأحدث وخاصة الانترنيت. حيث تعدّ المنطقة العربية من أقل مناطق العالم استخداما لهذه الوسيلة.

1 انظر الفصل الخاص بإشكاليات المراهقة في البلدان العربية

2 وهو ما جاء في الدراسة الجزائرية المعدة في إطار هذا التقرير

إن دلالات مؤشر استهلاك الطاقة وانبعاثات ثاني أوكسيد الكاربون تتجاوز البعد البيئي بالمعنى الضيق. فهي تدل بشكل غير مباشر على نمط المعيشة وعلى النشاط الاقتصادي في البلد المعين. فاستهلاك الطاقة الكهربائية مؤشر على استخدام أوسع للسلع الكهربائية الاستهلاكية التي تعدّ من مؤشرات الرفاه الاجتماعي، فضلا عن دلالات هذا الاستهلاك على وجود نشاط صناعي هو أكثر استهلاكا للطاقة الكهربائية من القطاعات الاقتصادية الأخرى. كما أن مؤشر انبعاثات ثاني أوكسيد الكاربون يعبّر في المثال العربي أيضا عن نشاط صناعي استخراجي في قطاع النفط، بينما يتدنى بشكل كبير جدا في الدول الأقل نموا التي يغلب فيها النشاط الزراعي.

## خلاصة : البيانات الخاصة بالمراهقات والمراهقين العرب

كما سبقت الإشارة الى ذلك، تتسم البيانات الإحصائية المتاحة عن المراهقات والمراهقين في البلدان العربية بالشح وعدم الاتساق ومحدودية الدقة. فثمة نقص شديد في البيانات والمؤشرات عن الفتاة العربية المراهقة وعن المراهقين والشباب العرب. وما هو متاح منها لا يمكن الاستفادة منه إلا ضمن حدود ضيقة نظرا لاختلاف منهجياتها الإحصائية إلى الحد الذي يجعل من الصعب أو المتعذر استخدامها لأغراض المقارنة ما بين الدول العربية. ويرجع هذا بشكل رئيسي إلى عدم وجود محاولة جدية لتحديد المؤشرات المتصلة بموضوع المراهقة وتوفيرها.

وتتمثل أهم الثغرات والإشكاليات الإحصائية التي واجهتها عملية إعداد التقرير في :

**أولا :** محدودية توافر البيانات أو فقدانها، إن الجزء الأعظم مما هو متاح من بيانات محدودة لم يجمع أصلا إثر الاهتمام بالمراهقة وإنما جاء كنتيجة عرضية لاعتماد تقسيمات عمرية حددت معظمها على أساس تقسيم السكان وفقا للفئات العمرية الخمسية أو إلى المراحل التعليمية، كما أشير إلى ذلك في بداية هذا الفصل.

وعلاوة على ذلك هنالك شح في البيانات التي تخص مجالات ازداد الاهتمام بها حديثا كاستخدام تكنولوجيا المعلومات وعمالة المرأة دون أجر واستخدام الوقت، والبيانات التي تعد حساسة اجتماعيا أو سياسيا كالتي تخص الفقر والجريمة والتمييز ضد المرأة. وحتى عند توفر بعض هذه البيانات، فإنها تكون في الغالب تجميعية وليست مصنفة حسب الجنس وتركز على الجوانب الكمية دون الجوانب النوعية.

**ثانيا :** عدم ملاءمة البيانات المتوافرة نظرا إلى قدمها أو نقص الشمول الجغرافي فيها أو عدم توافق التعريف الإحصائي للاستخدام المطلوب. كما أن بعض المؤشرات المتوافرة من مصادر دولية لا تتلاءم مع واقع المنطقة العربية. وتعاني بعض البيانات المتوافرة من نواقص فنية كعدم ذكر المصدر أوالوحدة القياسية.

**ثالثا :** ضعف أو تعذر إمكانية المقارنة ما بين الدول العربية نظرا لاختلاف التعاريف الإحصائية وفترات الإسناد الزمني وتباين السكان المشمولين وتفاوت نسب الشمول واختلاف البيانات من مصدر إلى آخر.

**رابعا :** تشتت البيانات، إذ لا توجد جهة متخصصة تهتم بتجميع وإتاحة البيانات المتعلقة بالمراهقة، مما يضطر مستخدم هذه البيانات إلى صرف جهد ووقت كبيرين للحصول عليها.

## رسم بياني 26.3 : نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء(كيلو واط/ساعة)

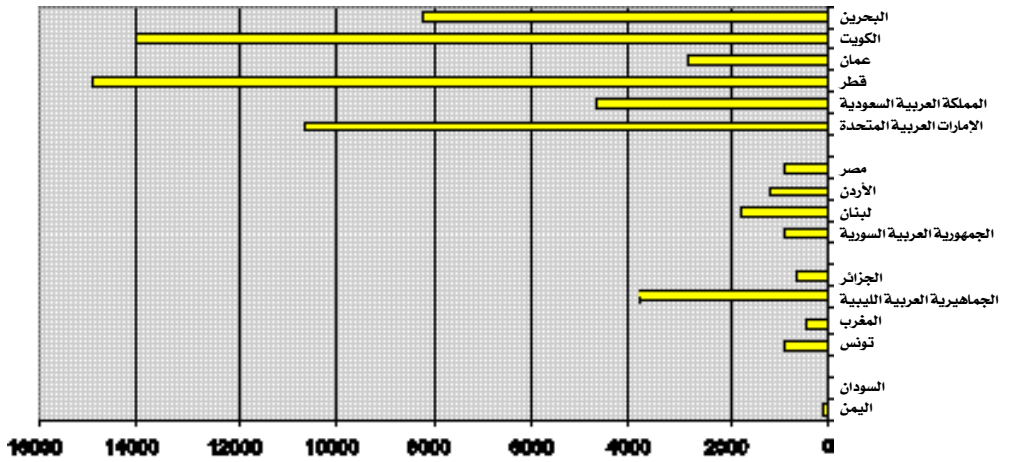


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

وفيما يتعلق بمؤشرات نصيب الفرد من انبعاثات ثاني أوكسيد الكاربون ونتيجة لارتفاع نصيب الفرد من استهلاك النفط والغاز الطبيعي في مجموعة مجلس التعاون الخليجي، يبلغ نصيب الفرد من انبعاثات هذا الغاز فيها ما يقارب عشرة أضعاف ما هو عليه في مجموعتي المشرق والمغرب. كما يبلغ هذا النصيب أكثر من 60 مرة ما هو عليه في مجموعة الدول الأقل نموا على نحو ما يلاحظ من الرسم البياني 27.3. وهو ما يفسر أيضا ارتفاع هذا النصيب في المنطقة العربية، باعتباره الأعلى ضمن المناطق الست للدول النامية. كما يبلغ هذا النصيب ضعف المعدل العام لنصيب الفرد في الدول النامية عموما.

## رسم بياني 27.3 : نصيب الفرد من انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون في الدول العربية (طن متري)

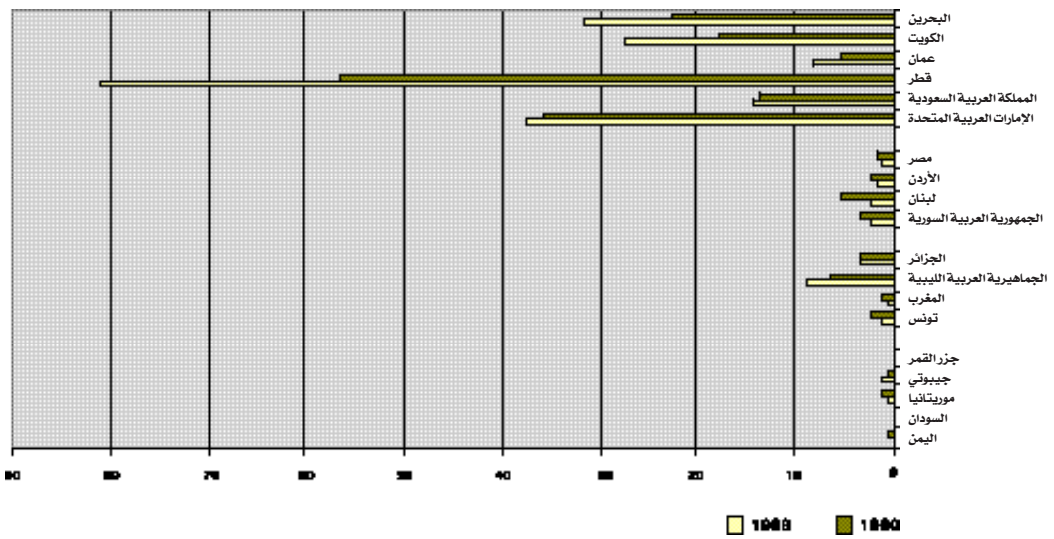


**المصدر :** تقرير التنمية البشريّة **2002**

القسم الرابع :

# الفتاة العربية المراهقة : استنتاجات وتوصيات

## 1 - الدراسة الميدانية : استنتاجات وتوصيات

### الشخصية الفردية والاستقلالية

تم من خلال المقابلات رصد خاصية مشتركة لدى المراهقات والمراهقين في جميع البلدان وجميع الأوساط الاجتماعية وتتمثل في **ضعف التعبير المتماسك والمتسق عن الذات**. وتجلى ذلك أولا في ما بدا معه وكأن المجال الحيوي الذي تعيش فيه المراهقة (أو المراهق) مجزء إلى مجالات فرعية منفصلة نسبيا لكل منها قانونه الخاص المختلف. فقد أمكن رصد وجود خلفية قيمية عامة ولكن ترجماتها العملية والسلوكية في المجالات المشار إليها محدودة ولم تتوفر سوى لدى عدد قليل من الذين شملتهم الدراسة الميدانية. فالمراهقة (أو المراهق) تتعامل بشكل متفاوت مع أسرتها ومع المدرسة ومكان العمل وجماعة الأصدقاء والنادي أو الجمعية أو مع المجال السياسي ومع القضايا العامة. كما أنها (أو أنه) قد تكون مرنة في موقفها من تعليم المرأة ولكن تقف بشدة ضد عملها أو ضد تطوير قانون الأسرة... من جهة أخرى رصدت الدراسة الميدانية **تعبيرا محدودا من قبل المراهقات والمراهقين عن فكرة التواصل التاريخي**. فالزمان في أحسن الحالات هو تعاقب أوقات وسنوات مجدولة غالبا على إيقاع سنوات الدراسة أو إيقاع الخروج من المدرسة والعمل أو الزواج أو على إيقاع حادث مميز طبع الحياة المباشرة للمراهقة أو المراهق. وقلما تضمنت المقابلات التعبير عن التعاقب الزمني بوصفه تاريخا شخصيا وتمرحلا في تكوين الشخصية.

هذه الملاحظات التجريبية دفعت الباحثين إلى ترجيح اعتبار أن تبلور الشخصية الفردية والمستقلة للمراهقة أو المراهق لا يزال في مراحله الأولى. واستنتج التقرير بالتالي **أن الظروف الراهنة المحيطة بالمراهقات والمراهقين غير مساعدة عموما على تبلور المشروع الفردي المستقل ذاتيا لديهم**. وهو ما يشكل ظاهرة أكثر حدة اليوم مقارنة بالجيل السابق (جيل الآباء).

فبالمقارنة بين جيلي الأبناء والآباء، عبّر من تمت مقابلتهم من مختصين وأهل عن خبرات وتجارب مختلفة كانت الظروف خلالها أكثر ملاءمة لتبلور شخصياتهم المستقلة عندما كانوا مراهقين. إن مراهقي الجيل السابق، كانوا على ما يبدو يعون ذواتهم بشكل أكثر اتساقا ويشعرون بامتدادها في المكان والزمان، بشكل أكثر تبلورا ووضوحا من مراهقات ومراهقي الجيل الحالي.

ولكن من بين مراهقات ومراهقي اليوم من تميز نسبيا عن هذا السياق. وقد برز هذا التميز في عدد من الحالات المتعلقة بتوفر متغيرات محددة أبرزها ما يلي :

- الانتماء الاجتماعي إلى الفئات الوسطى المدينية ذات المستوى التعليمي المرتفع والتي تتميز بتنوع مصادرها الثقافية. وشكّل هذا الانتماء عنصرا مساعدا على تبلور الشخصية الفردية التي تتمتع بدرجة من الاستقلالية. فهذه الأوساط هي الأكثر تفاعلا مع قيم الحداثة ومفاهيمها حيث تضمن للفرد المتفاعل مع الجماعة مكانة محورية. وقد برز ذلك في عدد من المقابلات وفي كل البلدان. فالانتماء الاجتماعي يمسي هنا أكثر أهمية من العوامل الأخرى (الإنتماء إلى بلد أو دين معين...).

# استنتاجات وتوصيات

## التشابه والاختلاف

لقد انطلق البحث من بعض الأسئلة والأفكار والفرضيات الأولية لعل أبرزها يتمثل في ما يلي :

- إن المراهقة ليست مرحلة عمرية وفيزيولوجية إنها بناء ثقافي- اجتماعي.

- إن المراهقة كمرحلة وكظاهرة اجتماعية برزت مع التحول إلى الحداثة في المجتمعات الأوروبية الذي أدى إلى تبلور مفهوم الفرد الحديث. فهل ينطبق ذلك على المجتمعات العربية ؟ وهل ترتبط فيها المراهقة وإشكالياتها بفكرة الحداثة وتبلور الفرد ؟

- المراهقة هي في الوقت نفسه مرحلة يقوم فيها المجتمع بإعداد المراهقة (أو المراهق) لأداء أدوارها الاجتماعية المتعارف عليها كشخص راشد من خلال الأسرة والمؤسسات التربوية الأخرى ومرحلة بناء المشروع الفردي المستقبلي للمراهقات والمراهقين المستقلين عن سلطة الأهل. إن إشكاليات المراهقة وما تتميز به من مظاهر النزاع مع سلطة الكبار (أو صراع الأجيال) إنما ينتج عن الاختلاف الجزئي أو الكلي بين عملية الإعداد الاجتماعية وبين المشروعات الفردية قيد البناء.

- إن الملاحظة العملية تبين وجود أوجه اختلاف وأوجه تشابه بين ملامح شخصيات المراهقات والمراهقين وسلوكهم ومواقفهم. فما هو مستوى التشابه والاختلاف ؟ وهل هناك نمط واحد للمراهقة في المنطقة العربية أو هل هناك أنماط منسجمة داخليا ومحدودة العدد ومنقسمة حسب ثنائيات حداثة/أصالة، تغريب/أصولية...؟ أم أن مستوى الاختلاف والتنوع كبير إلى درجة تجعل كل تنميط فيه حياد عن الموضوعية وابتعاد عن الواقع ؟ وهل هناك تباين كامل واختلاف كبير، أم يمكن رصد ميول واتجاهات تتسم ببعض الانسجام النسبي وإن في مجالات محددة ؟

ثمة نقاط انطلاق وفرضيات أخرى. وقد سعى هذا التقرير لاختبار صحة هذه الفرضيات وغيرها في المجتمعات العربية وفي عالم المراهقة (أو المراهق) نفسها مع الحرص على جعل من ينتمون إلى الفئة المشمولة مباشرة بالدراسة يتكلمون بأنفسهم عن أنفسهم فيشكلون بذلك أحد المراجع الأساسية لاختبار صحة الفرضيات وتقديم عناصر للإجابة على الأسئلة المطروحة.

وقد تلافى التقرير الانزلاق إلى التبسيط الذي يلغي كل جهد تحليلي ومعرفي يقوم على أسس علمية وحرص على قراءة الواقع والشهادات قراءة علمية تستند إلى المعارف والمنهجيات المتراكمة في مجال البحث. وهذا التفاعل الجدلي بين الواقع والشهادات والقراءات الذاتية والتحليل العلمي، مكّن التقرير من الوصول إلى النتائج والخلاصات التي تضمنتها فصوله المختلفة والتي يصعب تلخيصها في صفحات قليلة. لذلك فإن هذا الفصل يتضمن بعض الاستنتاجات ذات الصلة بالتدخلات العملية والتوصيات المرتبطة بالسياسات الواجب اتباعها من أجل التفاعل بشكل أنجع مع تطلعات المراهقات والمراهقين والأولويات الأكثر إلحاحا حسب وجهة نظرهم.

والمراهق ومواقفهما وسلوكهما. ذلك أن كل من هذه المجالات يستند إلى مرجعيات مختلفة بل متضاربة أحيانا. وتتطلب معالجة هذا الأمر، تحقيق **إصلاح متعدد الأبعاد** يتضمن ما يلي :

**1** - اعتبار بناء شخصية متفردة ومبادرة تتمتع بهامش من الوعي المتسق والاستقلالية الذاتية هدفا تربويا أساسيا في تعامل المجتمع مع المراهقات والمراهقين وتطوير نسق العلاقات داخل الأسرة والمدرسة وهياكلها، إضافة إلى العمل على تحقيق التكامل فيما بينها على أساس تحقيق هذا الهدف.

**2** - إنتاج نوع من التوازن بين الفرد والمجتمع والمؤسسات الوسيطة على أساس المشاركة والتفاعل. ويقتضي ذلك العمل على إيجاد الحد الضروري من الانسجام بين المشروعين الفردي والاجتماعي يكون استشرافيا وقابلا للتطور ويشكل بديلا للفردانية الاستهلاكية من جهة، وللإدماج القسري في الجماعة بما يلغى الاعتراف بالكائن الفرد أو يهمش حضوره ودوره من جهة أخرى.

**3** - إعادة النظر في التراتبية العمرية والذكورية الصارمة في المجتمع ومؤسساته وثقافته. والعمل على اعتماد قيم أكثر مرونة تعترف بالاختلاف وتوسع هامش مشاركة المراهقات والمراهقين في الحياة الأسرية والمدرسة وفي الحياة العامة. ويتطلب ذلك تحقيق إصلاح مؤسسي وتشريعي وثقافي. يأخذ هذا الإصلاح بعين الاعتبار التطورات المعاصرة، بما في ذلك النضج العقلي والمعرفي المبكر للأطفال بما يؤهلهم لأدوار ومشاركة أكبر من تلك التي لا تزال تنسب إليهم تقليديا.

## الصحـــة والصحـــة الإنجابية

بينت الدراسة نقصا كبيرا في الوقاية والعناية الصحية في صفوف المراهقات والمراهقين علاوة على **النقص في المعلومات الشاملة لكل ما يتعلق بالصحة الإنجابية والجنس** التي تستقى من مصادر غير علمية وبطرق غير مباشرة. وغالبا ما يشكل الأصدقاء ووسائل الإعلام والكتب أو الأهل بالنسبة إلى بعض الأمور البديهية (خصوصا بالنسبة إلى الفتيات) المصدر الأساسي لتلك المعلومات. فالمراهقات والمراهقون نادرا ما يراجعون الطبيب بشكل دوري. كما أن الاستشارات النفسية تكاد تكون منعدمة. وتنتشر في صفوفهم عادات غير صحية مثل التدخين وشرب الكحول. وبناء عليه فإن أبرز **التوصيات** في هذا المجال تتعلق بسد الثغرات المشار إليها من خلال اتخاذ الخطوات المناسبة من قبيل :

- إدماج التوعية الصحية والوقاية من الحوادث والصحة الإنجابية والنفسية والتربية الجنسية في البرامج التعليمية لكي تشكل المدرسة قناة آمنة لتوفير معلومات علمية وسليمة في هذه المسائل.

- تنظيم دورات تأهيل للمدرسين والمرشدين الاجتماعيين في المؤسسات التعليمية والتربوية والجمعيات الناشطة في مجال المراهقة في خصوص هذه الموضوعات. ويمكن استهداف الأهل والمجتمع ككل بحملات توعية في هذا الصدد.

- تخصيص برامج مبتكرة موجهة للأوساط التي لا يزال الزواج المبكر منتشرا فيها من أجل الحد هذه الظاهرة والعمل على إلغائها وبناء شراكات مع الهيئات الناشطة ومع الجهات الحكومية والقضائية من أجل فرض حد أدنى لسن الزواج.

- الانخراط في الحياة العامة سواء من خلال الانتماء السياسي بجميع اتجاهاته أو النشاط الاجتماعي في إطار جمعية أو مؤسسة. وتعتبر التجربة الأسرية أو الفردية العامل الأكثر أهمية هنا في تكوين شخصية مستقلة متماسكة وقادرة على التعبير عن نفسها بشكل منسجم ومقنع. وفي أكثر من حالة، كان الناشط السياسي أو الاجتماعي أكثر طلاقة في التعبير. وتميزت مواقفه في المجالين العام والخاص بانسجام أكبر وبدا واضحا أنه يخضع المجالين لمنظومة موحدة من القيم. كما كان أكثر قدرة على تقديم مواقفه وآرائه بوصفها قناعات شخصية، لا باعتبارها قيما يفرضها عليه الأهل أو المجتمع. وبشكل عام، فإن هؤلاء ينتمون إلى أسر أحد أفرادها (الأب خصوصا) له نشاط في الحياة العامة. وفي أغلب الحالات كان هناك انسجام بين خيارات الأهل وخيارات الأبناء في الانتماء السياسي والاجتماعي. وهذا ما يبين الدور الحاسم للأسرة على هذا الصعيد. كما يبين أن الأهل الذين يضيفون إلى سلطتهم وتأثيرهم كأهل، نفوذا إضافيا نابعا من صورتهم ومكانتهم الاجتماعية أو السياسية، يضاعفون من نفوذهم داخل الأسرة دون الحاجة إلى اللجوء إلى علاقات سلطوية. ويقلصون بالتالي من هامش "صراع الأجيال" بينهم وبين أبنائهم.

- الانتماء إلى الأسر التي تعيش أوضاعا صعبة سواء كان ذلك بسبب ظروف اقتصادية أو اجتماعية (فقر، بطالة، سفر الأب، وفاة أو انفصال الأبوين، تفكك أسري، حادث طارئ أثر في الأسرة...). فالظروف الخاصة تجعل المراهقة والمراهق يعيشان أحيانا تجارب متعددة ويكتسبان خبرات مميزة. فتحمّلهما مسؤوليات غير اعتيادية تؤدي إلى صقل شخصيتهما بل إلى نضج مبكر في بعض الحالات. وسجلت حالات لمراهقات ومراهقين تحملوا مسؤولية أعباء الأسرة أو المشاركة فيها والعناية بالاخوة الأصغر منهم سنا أو دخول سوق العمل أو مواجهة الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية بالتفوق في الدراسة ومتابعة التعليم. وفي هذه الحالات بدت الشخصية مصقولة ومتماسكة ومقنعة. وتميز أصحابها بإحساس قوي بالذات.

- حالات الاندماج القوي في مجموعة الأصدقاء أو اعتماد نموذج معين للسلوك المتأثر بالموضة أو الاتجاهات السائدة. في هذه الحالة، تتكون شخصية المراهقة أو المراهق في فضاء مخالف أو بعيد عن محيط الأسرة والأهل وبشكل مستقل نسبيا عنهم. ولكن لا يؤدي ذلك إلى تبلور شخصية فردية بالضرورة، بل قد تنصهر أو تتماهى شخصية المراهقة والمراهق مع الجماعة التي ينتميان إليها. وقد يعتمدان نمطا مقلدا لبعض السلوكيات والمواقف أو الشخصيات دون أن يمتلكا وعيا ذاتيا بخياراتهما يكون مسبوقا بتفكير عميق. والمقلد أو المتماهي أو المنصهر في الجماعة غير الأسرية يتمايز عن الأسرة ويخرج عن النمط الأكثر شيوعا فيتبنى هوية جماعية بديلة ولكن دون أن تتبلور بالقدر نفسه هويته الفردية المتميزة.

هذه الملاحظات المستخلصة من البحث الميداني تشير إلى ثغرات هامة في المؤسسات التربوية الأساسية ولا سيما العائلة والمدرسة. فهي تعني عدم نجاح هاتين المؤسستين، اللتين تمضي المراهقة و المراهق فيهما غالبية الوقت، في مساعدتهما بالقدر المطلوب على بلورة شخصية متميزة ومتفردة. كما تشير إلى عدم تكامل تدخلات العائلة والمدرسة من جهة، وانقطاعهما عن التفاعل مع مجموعة الأصدقاء والمؤثرات الاجتماعية والإعلامية والثقافية في المجتمع من جهة أخرى. لذلك تشكل هذه الوضعية أساسا موضوعيا لتجزئة وعي المراهقة

على ضوء ذلك، تمحورت **التوصيات** المتعلقة بهذه المسائل حول توصية أساسية تتمثل في :

■ **جعل الأسرة الفضاء الأول للحوار والاتصال وذلك بـ :**

**1** – تطوير البرامج الموجهة للأهل باستخدام وسائل الإعلام أو من خلال الاتصال المباشر بهم، مع الاهتمام بشكل خاص بتحقيق التكامل بين أدوار المدرسة والعائلة. والهدف هو التشجيع على زيادة مساحات الحوار داخل الأسرة وتطوير المهارات التفاوضية للأهل والأبناء وإبراز النماذج المتعددة لبناء الأسرة وللعلاقات الأسرية التي يشكل الحوار والمشاركة أساسا لها.

**2** – إبراز تأثيرات التمييز بين الفتيات والفتيان داخل الأسرة خاصة السلبية منها والسعي إلى القضاء على الأشكال القصوى للتمييز ضد الفتيات المتمثلة خصوصا في حرمانهن من التعليم. ويمكن أن يتم ذلك في إطار خطة توعويّة موجهة للأهل والمراهقات والمراهقين على حد سواء. أضف إلى ذلك ضرورة العمل على بعث مؤسسات وفضاءات تسمح للمراهقات بالإشتراك في النشاط الاجتماعي في أماكن عامة يقتنع الأهل بجدواها وفائدتها.

**3** – إعداد برامج توعوية في مجال الصحة الإنجابية توجه للأسرة بكامل أفرادها وللمربين وتشجيع مؤسستي العائلة والمدرسة على أداء دورهما في نشر الوعي على أسس علمية في مسائل الصحة الإنجابية والتربية الجنسية.

**4** – تشجيع الأهل والأسرة على الانفتاح على أصدقاء أبنائهم والتفاعل معهم مع احترام حقهم في التمتع بمجالهم الخاص. وتشجيع الأنشطة المشتركة بين الأجيال المختلفة على أن تكون جذابة للمراهقات والمراهقين بغية الحد من انحصار النشاط والروابط ضمن مجموعات عمرية متجانسة فقط.

**5** – القيام بدراسة ميدانية وتحليلية لظاهرة التفكك الأسري وأثره على أفراد الأسرة بشكل عام، وعلى الأطفال والمراهقات والمراهقين بشكل خاص، نظرا لما بينته بعض الحالات من أثر شديد للتفكك الأسري على الصحة النفسية للأبناء وعلى سلوكهم ومواقفهم إزاء واقعهم أو مستقبلهم العائلي.

تتعلق معظم هذه التوصيات بالوعي العام وتتصل اتصالا وثيقا باضطلاع وسائل الإعلام بدور أساسي في تجسيدها. كما ترتبط أشد الارتباط بدور المدرسة في صياغة هذا الوعي ونشره.

## تجديـــــد المدرســـــة

ترى المراهقات (والمراهقون) عموما في **المدرسة فضاء ضروريا ولكن غير ممتع**. وتمثل بالنسبة إلى البعض منهم **معبرا إجباريا ومملا إلى مجال العمل والحياة العامة.** وقد سجل نقد متكرر لعدم فعالية أساليب التدريس التقليدية. وحين يرد الإعجاب بمدرّس ما على لسان المراهقات والمراهقين، فلا يعود ذلك بالدرجة الأولى لكفاءته، بل لأنه يصغي إليهم ويهتم بأمورهم الشخصية بما يتجاوز التلقين. أما ناظرة المدرسة (أو الناظر) فهي أقرب إلى صورة السجان منها إلى المربية لدى بعض المراهقات والمراهقين.

■ البحث المعمّق في ظاهرة تأخر سن الزواج بما هو تأخير قسري نابع عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية وعن بعض العادات الاجتماعية وانعكاساته على الصحة الجسدية والنفسية للمراهقات والمراهقين وعلى الأوضاع الاجتماعية والسلوكيات... فتأخر سن الزواج قد أدى إلى امتداد الفترة الزمنية الفاصلة بين البلوغ والزواج دون أن يتخذ المجتمع الاحتياطات اللازمة من أجل التعامل الإيجابي مع آثاره.

## العلاقات الأسرية

بينت المقابلات **الأهمية الكبرى التي تمثلها الأسرة بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين** على حد سواء. وإذا كانت المقابلات قد بينت ارتباطا أشد للمراهقات بالأسرة مقارنة بالمراهقين وإن بشكل طفيف، فإن هذا الأمر نسبي. ولا يعني هذا الاستنتاج أن المراهقين أقل ارتباطا بأسرهم، بقدر ما يحيل إلى تمتعهم بهامش أوسع من الحرية وقدرة أكبر على التحرك في المجال العام أكثر مما هو متاح للمراهقات. ويمكن وصف علاقة المراهقات والمراهقين بالأسرة والأهل بالعلاقة الصراعية نسبيا يحدها موقف "متفهم" من المراهقات والمراهقين للأهل مع حالات قليلة من الامتثال المطلق أو النزاع المفتوح.

ويمكن تلخيص نقاط الاحتكاك بين المراهقات والمراهقين وبين الأهل في ما يلي :

- ضعف الحوار عموما بين الأهل والأبناء والمبالغة في الاعتماد على السلطة المستمدة من الموقع الأبوي في إدارة أمور الأسرة. وقد يصل الأمر أحيانا إلى استخدام العنف اللفظي وهو الأكثر شيوعا أو العنف الجسدي. وينتج عن هذا الوضع ضعف هامش المشاركة في القرارات داخل الأسرة أو انعدامه.

- الميل العام إلى التمييز بين الفتيات والفتيان داخل الأسرة. ويصل هذا التمييز في الحالات القصوى إلى حد الحرمان من التعليم (وهو أقل شيوعا) أو الاكتفاء بمرحلة معينة منه. ولكن في كل الأسر تقريبا هناك تمييز خصوصا فيما يتعلق بمسؤولية الشؤون المنزلية التي تقع على عاتق الفتيات وفيما يتعلق بالخروج من المنزل واللباس وباختيار الأصدقاء. وتشكل هذه المسائل نقاط الاختلاف الأكثر تكرارا مع الأهل.

- ضعف دور الأهل في نقل المعلومات والمعارف المتصلة بالصحة الإنجابية والتربية الجنسية وعدم قيامهم عموما بدورهم في تحضير المراهقات والمراهقين لمرحلة البلوغ وما يليها. وتبين أحيانا وكأن الأهل لا يجيدون التصرف مع الأبناء أو لا يمتلكون المعلومات الكافية عن هذه المسائل فيتجنبون الخوض فيها معهم.

- ضعف اتصال الأهل مع أصدقاء أبنائهم ونقص في متابعة حياتهم المدرسية والمشاركة في لجان الأولياء التابعة للمدارس.

- الأثر الكبير الذي يتركه التفكك الأسري على المراهقات والمراهقين وتصوراتهم للأسرة حاليا ومستقبلا.

## السلوكيات والهوايات

من أبرز النتائج التي بينها البحث في هذه الموضوعات، التالية :

- وجود تفاوت هام بين المراهقات والمراهقين في فرص ممارسة الهوايات وفي الرقابة على السلوكيات واختلاف نسبي في الاهتمامات.

- وجود تفاوت اجتماعي في ممارسة بعض الأنشطة وتفاوت بين البلدان أيضا. ينطبق ذلك خصوصا على استخدام الحاسوب وعلى الرياضة. فالممارسة المنظمة لهذه الأخيرة هي امتياز للمراهقين وفي الأسر الميسورة بالدرجة الأولى.

- تراجع المطالعة وارتياد السينما والمسرح مقابل انتشار مشاهدة التلفزيون.

- احتلال الموسيقى على اختلافها حيزا أساسيا من اهتمامات المراهقات والمراهقين وفي كل البلدان.

- تواتر الخروج مع الأصدقاء كنشاط أساسي وهام ولكن يبقى الخروج في مجموعات مختلطة أقل قبولا في الأوساط الفقيرة والمحافظة.

- عدم توفر المؤسسات والفضاءات والبنى التحتية المخصصة للمراهقين والشباب بالقدر الكافي فضلا عن ارتفاع كلفتها بالنسبة إلى الفئات التي لا تتمتع بموارد كافية.

وفي ضوء ذلك، فإن **التوصيات** الأكثر أهمية والتي تكررت على لسان المراهقات والمراهقين في كل البلدان تتعلق بما يلي :

- ضرورة توفير البنى التحتية من أندية وجمعيات وبيوت شباب وتجهيزات رياضية وترفيهية وثقافية في أماكن قريبة من السكن خصوصا في الأرياف والأحياء المدينية الفقيرة بما يجعلها في متناول فئات أوسع. وتتمكن بذلك المراهقات خاصة من ارتيادها.

- وضع خطط تدخّل وبرامج توعوية من أجل تشجيع الشباب على المطالعة واستخدام تكنولوجيا المعلومات أو الحصول عليها. ويمكن ذلك من خلال تخفيض كلفة الكتاب من ناحية، وإنشاء شبكات في المدارس وفي البنى التحتية المخصصة للمراهقات والمراهقين بما يسمح بتوسيع استخدام التكنولوجيا الحديثة للفتيات وللفئات الأقل دخلا من ناحية أخرى. إضافة إلى العمل على تطوير الاهتمام بالسينما والمسرح لدى المراهقات والمراهقين على حد سواء.

- تفعيل التربية الفنية ونشر الثقافة العامة والتربية القانونية وقيم التسامح واحترام حقوق الإنسان والحماية الموجهة للمراهقات والمراهقين باستخدام الوسائل والقنوات المتاحة (المدرسة، وسائل الإعلام، شبكة الأندية والجمعيات...).

وتلفت آراء المراهقات والمراهقين الانتباه إلى أن برامج الإصلاح التربوي التي لا تزال تعطي الأولوية للتجهيز المادي على أهميتها، لا تتجاوب مع الأولويات التي عبروا عنها والتي طالت بشكل أساسي الجانب العلائقي داخل المؤسسة المدرسية وأساليب التدريس. وفي ضوء ذلك، فإن أي إصلاح تربوي لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الأولويات التي لا يتطلب تحقيقها مخصصات مالية بقدر ما يتطلب تغييرا في الفلسفات التربوية السائدة. أما أبرز **التوصيات** في هذا الصدد فهي :

- **إعادة الاعتبار إلى المدرسة كمؤسسة تقوم على المشاركة عوضا عن التلقين وذلك عن طريق :**

**1**- تعزيز الشعور بالانتماء لدى التلميذ إلى مؤسسته التعليمية من خلال جعلها مكانا مفيدا وممتعا وجذابا ويمكّن التلميذ من تحقيق أبعاد متعددة من شخصيته. ويعني ذلك باختصار إعادة الاعتبار إلى المدرسة كمؤسسة تربوية تقوم على المشاركة عوضا عن مؤسسة تعليم تلقينية فحسب، تقتصر العلاقات فيها على الأبعاد الإدارية والتراتبية العمودية.

**2** - إحداث تغيير نوعي في أساليب التدريس بحيث يقع الاعتماد أكثر على الأساليب الناشطة القائمة على التفاعل الحي مع التلاميذ والمحفزة لمشاركتهم وقدراتهم البحثية والتفكير النقدي. كذلك إعداد برامج إعادة تأهيل شاملة للكادر التعليمي بما يؤهله لمثل هذا الدور.

**3** - تطوير المناهج بحيث ترتبط أكثر بالتقنيات الحديثة لا سيما تقنيات المعلوماتية وإيجاد الصيغ الملائمة للمزاوجة الخلاقة بين عملية التدريس داخل جدران المدرسة وبين وسائط المعرفة الكثيرة والغزيرة خارجها.

**4** - توسيع هامش مشاركة التلاميذ داخل المؤسسة المدرسية من خلال تشجيعهم على تشكيل اللجان والأندية وانتخاب ممثلين عنهم للمشاركة في إدارة الحياة المدرسية. فالمدرسة مؤهلة لأن تكون الفضاء الأول الذي يتدرب فيه التلميذ على إمكانيات المشاركة في إدارة الشأن العام على المستوى المحلي أو الوطني. ويجب تضمين ذلك في النصوص المنظمة للحياة المدرسية وضمان الالتزام بها في الممارسة.

**5** - إيلاء الأهمية الكافية لحصص الرياضة والفنون والأنشطة التطبيقية والابتعاد عن تصنيف المواد والحصص إلى أساسية وثانوية. فالأنشطة الرياضية والفنية والتطبيقية هي من الأهمية بمكان في بناء توازن الشخصية وتحقيق الانسجام بين الفرد والجماعات الوسيطة والمجتمع.

**6** - تطوير الأنظمة الداخلية في المدارس بحيث تستحدث آليات للتنبه المبكر إلى النزاعات وحلها قبل تفاقمها وتحولها إلى صراع بين التلميذ والأهل والإدارة والمدرسين. ويتم ذلك من خلال التفاوض والسعي إلى إيجاد مخارج الأمان. إن أنظمة المدرسة لا تزال تفتقد إلى المرونة، ولا تزال محكومة بالتراتبية التي لا تتناسب مع العصر. وباتت تتطلب تطويرا جوهريا لتوسيع هامش الديمقراطية والمشاركة والتفاوض.

غلبة القيمة الاجتماعية في اختيار العمل. ولم يبرز الاهتمام بالمشروع الاقتصادي في حد ذاته إلا عند عدد محدود من المراهقين خصوصا. أما ظروف العمل التي عبر عنها المتمرنون والمراهقات والمراهقون الذين انخرطوا باكرا في سوق العمل، فلم تكن مرضية بشكل عام. فالأجر متدن والعلاقات مع صاحب العمل سيئة ولا تخلو من التعسف والعنف. أما الدخول المبكر إلى سوق العمل والانقطاع عن الدراسة، فقد بدا أمرا حتمته الظروف. وتبين أخيرا ضعف التوجيه المهني عموما وضعف ارتباط المدرسة بسوق العمل. بناء عليه يستخلص من البحث **التوصيات** التالية :

- تحسين برامج التوجيه المهني الحكومية وغير الحكومية وإخراجها من طابعها التقليدي وابتكار صيغ حية للتفاعل بين المدرسة ومجالات النشاط الاقتصادي.

- تطوير تشريعات العمل الخاصة بعمل هذه الفئة خصوصا لجهة الالتزام بالحد الأدنى القانوني لسن الدخول إلى سوق العمل وشروط العمل ونظام المتمرنين بما يمنحهم المزيد من الحقوق.

- ضمان حق المراهقات والمراهقين في التنظيم النقابي والاستفادة من التأمين الاجتماعي والصحي والمنافع والحقوق الأخرى المرتبطة بالعمل.

- تصميم برامج التدخل الموجهة للشباب مثل المشاريع المولدة للدخل والقروض والتأهيل المهني. وعلى هذه البرامج أن تأخذ بعين الاعتبار انتظارات المراهقات والمراهقين والأولوية التي يعطونها للقيمة الاجتماعية للعمل من ناحية، والاقتناع الشائع في صفوفهم بوجود تقسيم اجتماعي للعمل قائم على أساس الجنس من ناحية ثانية. إلى جانب تفضيلهم لعمل مستقر ودائم ويوفر الضمانات على تأسيس مشروعات خاصة غير مضمونة النتائج من ناحية ثالثة.

## الختـــام ... بدايـــة أخـــرى

شملت الخلاصات التي تم عرضها ضمن هذا الفصل بعض الجوانب مما توصل إليه التقرير وتضمنته فصوله. والتقرير نفسه يعبر بشكل مكثف عن المادة الواسعة والغنية التي توفرت لإعداده والتي شكلت قاعدة العمل في تحرير مختلف فصوله. وهي مادة قابلة لقراءات متعددة وللاستثمار في تحليلات إضافية عامة ومتخصصة. وهو ما ينوي مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث القيام به ضمن برنامج عمله للمرحلة المقبلة.

ولكن من بين الأسئلة التي طرحت في بداية هذا المشروع سؤال يتعلق بالبحث في التشابه والاختلاف وعن وجود أنماط أو نماذج للمراهقات والمراهقين في المجتمعات العربية. وهو تساؤل يتطلب توقفا في ختام هذا الفصل. تناولت فصول التقرير كلها بشكل مباشر أو غير مباشر هذه النقطة. بل إن بناءها الداخلي قام على اعتماد أسلوب تحليلي مقارن يحاول اكتشاف أثر العوامل والمتغيرات المختلفة التي تقرّب أو تباعد بين مجموعات المراهقات والمراهقين داخل البلد الواحد وبين البلدان. وقد بينت النتائج أن بعض العوامل تكون أكثر تأثيرا من غيرها في مجال محدد في تكوين اتجاه أو ميل إلى تقارب في المواقف أو السلوكيات عابر للحدود الوطنية ولحدود المنطقة العربية أحيانا. كما بدت عوامل الانتماء الوطني إلى بلد معين وتاريخه الاجتماعي والسياسي الخاص أكثر تأثيرا في مجالات أخرى.

## المواقف والقيم

برز من خلال المقابلات أن **الدين حاضر دائما بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين وبقوة متفاوتة**. وغالبا ما يمتزج بالتقاليد والعادات الاجتماعية السائدة. لكن النظرة إليه تتفاوت بين تشدد ومرونة. أما السلوكيات، فهي تتقاطع. فليس هناك نموذج نمطي معمم للمتدين لا تدخل فيه مكونات العصرنة وليس هناك نموذج نمطي للعصري لا يختزن القيم الدينية. ولكن **الثقافة الدينية ضعيفة عموما** وهي إما مأخوذة عن الأهل وتكرر تصوراتهم للدين، وإما متأثرة بالاتجاهات الدينية الجديدة من خلال المدرسة ووسائل الإعلام ويغلب عليها النقل والتقليد. وجاءت أبرز **التوصيات** في هذا الصدد كما يلي :

- توسيع الاطلاع على التراث الديني للمنطقة العربية بحيث تشمل المعرفة الموسعة للدين الذي تنتمي إليه المراهقة (أو المراهق) والاطلاع على الأديان الأخرى بما يمكنها من بناء ثقافة دينية تقوم على التسامح واكتشاف المشترك وتساعد على نبذ التعصب.

- التوعية على التمييز بين الدين وبين العادات الاجتماعية والتقاليد وبين الخيارات السياسية والأيديولوجية، لتلافي اختلاطها في الوعي السائد خصوصا بين المراهقات والمراهقين.

- القيام في ضوء ما سبق بمراجعة نقدية لتعددية مصادر التوجيه الديني خصوصا غير المراقب منه في وسائل الإعلام والذي قد يتضمن توجيهات ذات طابع سياسي باسم الدين.

**بالنسبة إلى السياسة** سجل تناقض واضح. فمن جهة، برز اهتمام كبير بمتابعة القضايا السياسية الكبرى في العالم وفي المنطقة علاوة على قدرة المراهقات والمراهقين على التعبير عن مواقف واضحة وجذرية في خصوصها. واستشف من جهة أخرى ميل **واسع إلى رفض العمل السياسي في إطار الأحزاب والحركات السياسية**. وفي ضوء ذلك فإن **التوصية** الأساسية جاءت كما يلي :

- أن تعمل الأحزاب على تطوير برامجها وأساليب عملها وتحسين صورتها لكي تصبح أكثر قدرة على استقطاب المراهقات والمراهقين وعلى إعادة الاعتبار إلى قيمة العمل السياسي في المجتمع بوصفه عمل يتجاوز مجرد الصراع على السلطة ويتلافى التناقض بين القول والعمل. فهذه الصورة السلبية هي السبب الأساسي في ابتعاد المراهقات والمراهقين عن العمل السياسي المنظم.

## عن العمل والمال والنشاط الاقتصادي

نظرت غالبية المرهقات والمراهقين إلى المال باعتباره وسيلة لا غاية. فلم يعطوه قيمة أخلاقية أو اجتماعية خاصة به. ولم يميز الكثيرون منهم بين المال ورأس المال. أما عن العمل والمستقبل المهني، فقد أكدت الغالبية على **أهمية العمل كنشاط أساسي دون اعتباره قيمة محورية ينتظم المجتمع حولها**. وساد الرأي القائل بأن العمل واجب على الرجال فقط ومستحب للنساء مع استمرار الاقتناع بوجود تقسيم اجتماعي للعمل حسب الجنس. ودلت الخيارات على استمرار

## 2- المؤشرات الكمية : استنتاجات وتوصيات

تتمثل أهم الملامح الإحصائية للمراهقات والمراهقين العرب التي تم استخلاصها في التقرير في ما يلي :

- بلغ مجموع عدد المراهقين في الدول العربية حوالي 31 مليونا سنة 2000، يقيم ربعهم في مصر و11٪ منهم في كل من الجزائر والسودان و10٪ منهم في المغرب و8٪ منهم في العراق. بعبارة أخرى، يقيم حوالي ثلثي المراهقين في خمسة دول عربية جميعها تعاني من ظروف اقتصادية صعبة وأربعة منها تعاني من حروب أو نزاعات داخلية. ويتوقع أن يبلغ مجموع عدد المراهقين في الدول العربية سنة 2020 حوالي 41 مليونا أي ما يقارب ضعف عددهم سنة 1990.

- تبلغ نسبة ما يشكله المراهقون من مجموع السكان في الدول العربية 11.0٪ عام 2000 ويتوقع أن تنخفض هذه النسبة إلى 9.9٪ عام 2010 ثم إلى 9.7٪ عام 2020. ويشكل المراهقون نسبة أعلى من السكان في مجموعة الدول العربية الأقل نموا.

- تزيد أعداد المراهقين عن أعداد المراهقات بنسب قليلة تتراوح ما بين 2٪ و5٪ في مجموعات الدول العربية الأربع عام 2000. ويتوقع أن تنخفض نسب الزيادة هذه إلى ما بين 3٪ و4٪ عام 2020.

- يتراوح معدل نسبة المتزوجات بين المراهقات في مجموعات الدول العربية ما بين 9٪ و17٪ مقابل ما بين 1٪ و3٪ بالنسبة إلى المراهقين. وفي جميع الدول العربية التي تتوفر عنها البيانات، باستثناء دولة واحدة، تبلغ نسبة المتزوجات ضمن المراهقات ما بين أربعة إلى أكثر من عشرة أمثال النسبة المقابلة ضمن المراهقين.

- يتراوح معدل عدد الولادات لكل 1000 امرأة ضمن الفئة العمرية 15-19 ما بين 36 ولادة في مجموعة المغرب العربي و103 ولادات في مجموعة الدول العربية الأقل نموا.

- المراهقات المتزوجات ضمن مجموعتي المشرق والمغرب هن الأكثر استخداما لوسائل تنظيم الأسرة وبما نسبته 21٪ تليهن مراهقات مجموعة مجلس التعاون الخليجي ثم مجموعة الدول العربية الأقل نموا وبما نسبته 13٪ و5٪ على التوالي.

- تتقارب المجموعات الأربع للدول العربية في متوسط حجم الأسرة، إلا أن هنالك تباينا في هذا المتوسط ضمن كل مجموعة ويتراوح المتوسط المذكور ما بين 9.4 في مصر و4.7 في المملكة العربية السعودية.

- تتراوح معدلات معرفة القراءة والكتابة بين الشباب ما بين 95٪ في مجموعة مجلس التعاون الخليجي و67٪ في مجموعة الدول العربية الأقل نموا وهي أعلى بشكل محسوس عن المعدلات المقابلة بالنسبة إلى جميع البالغين، مما يبشر باتجاه المعدلات الأخيرة نحو الارتفاع مستقبلا.

لذلك فإذا ما طرح السؤال بوضوح على النحو التالي : هل هناك ما يمكن اعتباره نموذجا نمطيا للمراهقة في المجتمعات العربية ؟ فإن الجواب يبدو بسيطا نسبيا، ويكون بالنفي. فلا توجد وقائع تدعم التوصل إلى استنتاج من هذا النوع.

وإذا طرح السؤال بصيغة أكثر تعقيدا : هل هناك عدد محدود ممّا يمكن اعتباره نماذج أو أنماطا للمراهقة في المجتمعات العربية على درجة متقدمة من الانسجام الداخلي موزعة حسب متغيرات واضحة ؟ كأن نقول مثلا هناك نموذج أو نمط للمراهقة (أو المراهق) العصرية وآخر للمراهقة التقليدية أو المراهق التقليدي وثالث متدين أو متدينة...؟ الجواب على غرار السؤال يصبح أكثر تعقيدا. إذ ثمة مؤشرات تدعم جزئيا هذا الاستنتاج.

ولكن هذا التنميط صارم أيضا ولا يصمد أمام تنوع الشهادات والتجارب وتعددها. وهو ما يمكن رصده من خلال مراجعة هذا التقرير المستند بقوة إلى المقابلات التي تمت مع المراهقات والمراهقين. والصورة التي تمكّن التقرير من رسمها استنادا إلى خطاب المراهقات والمراهقين أكثر تعقيدا وتنوعا مما يوحي به السؤالان السابق طرحهما. وتتميز هذه الصورة بالعناصر التالية :

**أ-** هناك ديناميات عامة تفعّل في اتجاه تقريب مواقف وسلوكيات المراهقات والمراهقين واستقطابها حول محور هذه الديناميات التي تعرّف التقرير إلى أربعة أساسية منها : العولمة وما تفرزه من سلوك استهلاكي، التحول إلى الأصولية والراديكالية الدينية، الحداثة وإعادة إنتاج المجتمع التقليدي.

**ب-** هناك ديناميات تفعّل في اتجاه التشتت والتخصيص، أبرزها ضعف الثقافة التوليفية والاتجاهات الاستهلاكية والفردانية والتعصب. كما أن التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين البلدان وبين الفئات الاجتماعية والسكانية داخل البلد الواحد يساهم بدوره في تعدد ردود الفعل وتنوعها مما يؤدي في المحصلة إلى واقع شديد الغنى يصعب تقييده في نماذج أو أنماط جامدة.

**ج-** تبقى النماذج النمطية المشار إليها أقرب إلى النماذج المثالية النظرية. ففي الواقع المعيش نادرا ما نجد مراهقات ومراهقون يتبعون نمطا متسقا يجمع بين القناعات والقيم الفكرية والمواقف والآراء والسلوكيات والممارسة. فكما سبقت الإشارة، تتمثل الخاصية الأكثر انتشارا في تجزئة المجالات والمرجعيات وبالنسبة إلى الأغلبية.

ينتج عن كل ذلك تنوع كبير وتعدد في نماذج تفكير وسلوك غير "نمطية". وتتفاوت هذه النماذج حسب المجالات والأبعاد المختلفة لواقع المراهقة من حيث هي حياة معاشة وتتعدد بتعدد التجارب وحسب الخصوصيات الوطنية والأسرية والفردية. ويعني ذلك أن النماذج النمطية تفرض نفسها في التحليل والواقع باعتبارها الأقطاب النظرية والمآلات المحتملة للمسارات الواقعية. فهي قد تقترب من هذه النماذج ولكن دون أن تتطابق معها بالضرورة.[1]

وختاما، فإن هذه الخلاصة تشبه المقدمة. ولا عجب في ذلك إذ أن كل ختام هو بداية في الوقت نفسه. وهذه حال هذا التقرير فهو حصيلة وتتويج للبحث والتحليل الذي امتد سنتين تقريبا وهو في الوقت نفسه رصيد يوظف في متابعة مشروع البحث والعمل في مجال المراهقة.

هذه المراهقة الواحدة المتعددة : عوالم تختلف ضمن البلد الواحد وتتشابه عبر البلدان.

**(1)** يلي هذا الفصل ملحق خاص يعرض بشكل وصفي وموسع الصيغ المختلفة للنماذج في بناء الشخصية والسلوكيات والمواقف انطلاقا من الدراسة الميدانية.

وفي هذا السياق، فإن توزيعا تكامليا في الأدوار بين جميع الراغبين في المشاركة في هذا العمل البحثي يصبح ضروريا. ويمكن لمركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، من خلال موارده البشرية وقاعدة البيانات المتطورة التي يعمل على بنائها، ومن خلال شبكة الباحثين والمؤسسات المتعاونة معه (كالشبكة العربية للنوع الاجتماعي والتنمية "أنجد") أن يؤدي دورا تنسيقيا ضروريا بالإضافة إلى دوره المباشر في بناء قاعدة معلومات موسعة عن المراهقة في البلدان العربية، وكذلك في تصميم برنامج عمل يهدف إلى اقتراح مؤشرات مناسبة لدراسة أوضاع المرأة وأوضاع المراهقة في البلدان العربية، تشكل تطويرا وتتمة للمؤشرات المعتمدة دوليا، وخصوصا تلك التي تبين بالممارسة أنها لا تعكس بالدقة والحساسية اللازمتين أوضاع المرأة والمراهقة في المجتمعات العربية. وفي قيامه بهذا الدور، يقترح أن يتعاون مركز المرأة العربية مع الجهات الإقليمية والدولية الأخرى المعنية بهذا العمل.

- يتساوى معدل معرفة القراءة والكتابة بين الذكور وبين الإناث من الشباب في مجموعة مجلس التعاون الخليجي، إلا أن هذا المعدل يقل عما هو عليه للذكور في المجموعات الثلاثة الأخرى وخاصة في مجموعة الدول العربية الأقل نموا حيث أن معدل معرفة القراءة والكتابة بين الإناث من الشباب يبلغ 76٪ المعدل المقابل بين الذكور منهم.

- نسبة المراهقات المسجلات في التعليم الثانوي مقاربة أو أعلى مما هي عليه بالنسبة إلى المراهقين في معظم الدول العربية مما يبشر بإزالة التفاوت في التعليم ما بين الرجل والمرأة مستقبلا.

إن **أهم التوصيات** التي تمت بلورتها اعتبارا للصعوبات والثغرات الخاصة بالبيانات عن المراهقات والمراهقين وتطوير المؤشرات ذات الصلة هي :

- تقييم ورصد استخدام البيانات عن المراهقات والمراهقين بشكل دوري من خلال استبيانات ودراسات حالة وتحاور إلكتروني وورش عمل يساهم فيها منتجو هذه البيانات وكذلك مستخدموها.

- العمل على توحيد البيانات المتعلقة بالمراهقات والمراهقين من مصادرها المختلفة عن طريق وضع أدلة إحصائية للتعاريف والمؤشرات والمقاييس وإقامة برامج تدريبية وتبادل الخبرات، بغية تعميم الاستخدام الموحد لهذه الأدلة.

- توفير البيانات التفصيلية والبيانات الخام كلما كان ذلك ممكنا من خلال استحداث قاعدة بيانات يتم تطويرها وتحديثها بشكل مستمر والتوسع في تعزيز القدرات الوطنية والإقليمية العربية من خلال ورش العمل وبرامج التدريب للعاملين في إنتاج البيانات عن المراهقين في إطار تعاون إقليمي ودولي.

- تشجيع إنتاج وتطوير البيانات عن المراهقات والمراهقين من قبل جهات خارج الأجهزة الإحصائية المتخصصة عن طريق حث العاملين في البحث والإعلام والنشر والمنظمات غير الحكومية في جمع وتبويب ونشر بيانات ميدانية ومؤسساتية وتوفير الإسناد الإحصائي الفني لهم.

- تعزيز التعاون ما بين منتجي إحصاءات حول المرأة العربية، وكذلك ما بينهم وبين مستخدميها من خلال ورش عمل وقاعدة البيانات ووسائل أخرى لتبادل المعلومات والخبرات للتنسيق والتعاون.

- تطوير مؤشرات وتطبيق منهجيات ذات قدرة أعلى في التعبير عن واقع المراهقات والمراهقين في المنطقة العربية.

# الملاحق

نظم المعلومات
الإدارية

من الغلط"، وبالتعرف إلى "الإيجابيات والسلبيات" في مواقفهم وسلوكهم، و"التشابه والاختلاف مع أقرانهم". فالمراهقة أو المراهق يرغب في معرفة "طريقة تفكير المراهقين الآخرين ومكامن الاختلاف معهم ، وهل هو "عادي أم لا ؟". إذ يشعر البعض أحيانا أنه "يفكر بطريقة مختلفة ولا يعرف إذا كان ما يقوله صح أو غلط". ويمكن لهذه الدراسة بذلك أن توفر له مرجعية علمية للمقارنة وللاطمئنان أنه "عادي" (يتكرر هذا التعبير على لسان المراهقات والمراهقين) ومثل الآخرين.

ويعتقد وحيد (15س، اليمن) أن هذه الدراسة "ستفيد في فهم مشكلات الشباب ومقارنة أوضاعهم في الوطن العربي وتجعل الباحثين يتعرفون على شخصية الشاب". وتجد دينا (15س، لبنان) أن الدراسة تسمح للمراهق بالتعرف على آراء المراهقين الآخرين. وتكمن أهمية الدراسة حسب رندا (16س ، مصر) في أنها تسمح باكتشاف " كيف يفكر الناس، وإذا كان هناك اختلاف بين بلد وآخر وهل أن المراهقين يفكرون بطريقة متشابهة". واهتم البعض بالجانب الإحصائي الذي قد تتضمنه إذ أن الطرح العلمي الموثق لموضوع المراهقة قد يلقي الضوء على الخصائص والمشاكل المشتركة للمراهقات والمراهقين. وهي مشاكل وخصائص يمكن تعميمها أو على الأقل استيعابها من قبل الكبار والمراهقات والمراهقين أنفسهم. وقد يخلص الأمر إلى معرفة طريقة تفكير المراهقات والمراهقين وإيجاد أساليب مناسبة للتعامل الإيجابي معهم.

## من العـــــام إلى الخـــــاص

تنوعت الإجابات حول الفائدة المؤملة من هذه الدراسة بين حصرها على المستوى الفردي لما يمكن أن توفره من **راحة نفسية** مباشرة شعر بها المستجوب أثناء المقابلة وفرصة للتعرف على جوانب كامنة في ذاته، وبين **التطلع إلى إمكانية تغيير سلوك "الكبار"** (خاصة الأهل والمدرسين) وتعاملهم مع المراهقات والمراهقين للتخفيف من حدة تسلطهم عليهم، وبين **الارتقاء بالتفكير إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات المناسبة لمعالجة المشاكل المشتركة**. وخلص البعض إلى توسيع مجال الإفادة على مستوى المنطقة العربية نظرا للتقارب في الثقافات وأساليب التعامل والخلفية المشتركة للبلدان العربية. وتطرق البعض الآخر إلى إمكانية المقارنة مع المراهقين في كل أنحاء العالم لما تتميز به هذه الفئة من صفات مشتركة.

تميزت الأجوبة بالربط بين معرفة المشاكل والتدخل لمعالجتها. وهذا ما جعل البعض يرى في نشر هذه الدراسة **فائدة عملية للمسؤولين والمهتمين بالشباب** لجهة حصر الاحتياجات الضرورية للمراهقات والمراهقين، والتخطيط لإيجاد أطر ومؤسسات تستوعب هذه الشريحة المهمة من المجتمع، وتلبي طموحاتها وآمالها وانتظاراتها ولاتخاذ الإجراءات الضرورية لذلك. إذ يساهم هذا النوع من الدراسات في التعرف على الخصائص المحلية والوطنية ، كما يمكّن، من خلال المقارنة مع الفئة نفسها في المجتمعات الأخرى، من الاستفادة من تجاربها الإيجابية من جهة، وتفادي الأخطاء والممارسات السلبية من جهة أخرى. ويمكن أن يسمح كذلك باستشراف أوضاع النساء والرجال والمراهقات والمراهقين في المستقبل.

وفي مستوى ثان، تم التطرق بشكل خاص إلى مسؤولية الأهل. ووجد بعض المستجوبين الدراسة **مفيدة من أجل تطوير معارف الأهل بمشاكل أبنائهم وطريقة تفكيرهم**، وبالتـالي مساعدتهم على معـرفة كيفية التعامل معها بالشكل المناسب. وتكـشف هذه الآراء الحاجة المـلحة إلى التواصـل والحـوار بين جيل الآباء وجيل الأبنـاء. وقد تـحمست دانة (17س، لبنان) للدراسـة

# ملحـــــــق 1

## المراهقـــات والمراهقـــون : آراء... مواقـــف... وأنمـــاط

يتضمن هذا الملحق الخاص بالخلاصات ثلاثة أقسام :

1- آراء المراهقات و المراهقين في الدراسة،
2- عرض للمشكلات الأكثر أهمية حسب رأي المستجوبات والمستجوبين،
3- تفصيل لأنماط شخصيات المراهقات والمراهقين ومواقفهم.

ونكتفي بالعرض المكثّف دون الغوص في التحليل الذي يفترض أن يكون التقرير قد أوفاه حقه في مختلف فصول الدراسة الميدانية.

### 1 - آراؤهم في الدراسة

وجه الباحثون سؤالا مباشرا إلى المراهقة أو المراهق عن رأيه في فائدة هذه الدراسة، وحصلوا أحيانا على إجابات مباشرة تراوحت بين "لا أعرف"، وبين "إن الدراسة مفيدة ... **ولكن ماذا بعد ؟**". وبدا البعض أكثر اقتناعا بفائدتها المباشرة والمستقبلية. وبشكل عام، سجل تجاوب مع المواضيع المطروحة أثناء المقابلة وكان الموقف من الدراسة إيجابيا.

#### ... تسمـــح لنـــا أن نعـــرف وأن نعـــالج

أشار معظم المراهقات والمراهقين في البلدان السبعة إلى أهمية هذه الدراسة و فائدتها في معرفة واقع المراهقات والمراهقين في المنطقة العربية وفي إيجاد حلول أو اقتراحات حلول لبعض المشاكل التي يعانون منها.

وتكررت في أجوبة المراهقات والمراهقين كلمة المعرفة التي تركزت حول ثلاث مسائل. **فالدراسة بالنسبة إليهم تساعد على معرفة طريقة تفكير المراهقات والمراهقين ومعرفة مشاكلهم ومعرفة حاجاتهم**. وهو ما يحيل إلى ضرورة التدخل من أجل معالجة المشاكل والاستجابة للحاجات. فقليلة هي الأجوبة التي ركزت على المعرفة من أجل المعرفة فقط.

هكذا يجد رفيق (18س، لبنان) "أنها دراسة مفيدة، ومن المهم أن يعرف المرء ما يفكر به الشباب، ففي الكشف إمكانية علاج". وكذلك تؤكد وعد (17س، اليمن) أن " هذه الدراسة ستفيد في معالجة بعض مشكلات الشباب وفهم طبيعة تفكيرهم وآرائهم". ويذهب محمد (17س، مصر) إلى أبعد من ذلك، فهو يرى أنه "حتى لو لم أشعر بفائدتها الآن، ولكنها هامة بالنسبة إلى الأشخاص المهتمين. ويمكن أن تصبح مهمة لي في المستقبل. وعندما طلب إليّ أن أقوم بالمقابلة وعرفت أهدافها، أدركت أن الأمر مهم وأن هناك من يهتم بقطاعات المجتمع المختلفة وأهمها قطاع الشباب".

وتعتبر المراهقات والمراهقون أن معرفة طريقة تفكيرهم ومشاكلهم وحاجاتهم ضرورية لهم من أجل الإلمام بواقعهم وإقامة المقارنات مع أقرانهم في بلدهم وفي البلدان العربية الأخرى وفي بقية مناطق العالم. فقد اهتموا حسب ما ورد في إجاباتهم بمعرفة "الصح

## ... وبعض الاقتراحات أيضا

تضمنت إجابات المراهقات والمراهقين بعض الاقتراحات التي مثلت شكلا آخر من أشكال التعبير عن الاهتمام بالدراسة وعن توقعاتهم منها :

- **نشر الدراسة في كتاب تعميما للفائدة**. وقد عبر البعض بشكل صريح للباحث عن رغبته في الاطلاع على نتائج الدراسة بعد صدروها. ويطرح هذا الاقتراح مسألة إعداد التقرير ونشره في صيغة صالحة للقراءة من قبل المراهقات والمراهقين أو إعداد إصدارات مبسطة انطلاقا منه. كما يطرح ضرورة تنظيم مناقشات عامة وورش عمل متابعة لتوصيات التقرير ونتائجه بمشاركة حقيقية من المراهقات والمراهقين فيها ومن ضمنهم من شملتهم المقابلات.

- **توسيع هذا النوع من الدراسات** ليشمل فئات أخرى من المجتمع. ولعل ذلك يعبر عن رغبة ضمنية في معرفة طريقة تفكير الكبار وفهمهم أيضا من أجل دعم التواصل بين الأجيال.

- **إجراء دراسة مشابهة تشمل الأطفال**.

- **توسيع نطاق الدراسة الجغرافي** بحيث تشمل بلدانا عربية أخرى بغرض الاطلاع على أوضاع المراهقات والمراهقين فيها، مع توقع وجود تشابه في المشكلات والاهتمامات.

- **إنجاز دراسة مقارنة بين المراهقين العرب والمراهقين في العالم**. وعبر أصحاب هذا الاقتراح عن فضول كبير لمعرفة مكامن الاختلاف والتشابه بينهم وبين مراهقي المجتمعات الأوروبية وفي مناطق أخرى من العالم.

## سؤال أخير : ماذا ستفعلون بالدراسة ؟

ولعل السؤال الأكثر أهمية الذي توجهت به المراهقات والمراهقون إلى المسؤولين عن الدراسة وعن طريقهم إلى المسؤولين عموما والأهل هو التالي :

**"قولوا لنا أنتم ماذا ستفعلون بهذه الدراسة، وكيف ستستفيدون منها من أجل تحسين أوضاعنا ؟"**

هو سؤال ننقله بأمانة، ونريده أن يشكل حافزا لمركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر" من أجل متابعة العمل في موضوع الفتاة العربية المراهقة بعد صدور التقرير، بما فيه العمل مع كافة الشركاء من أجل الإجابة العملية على سؤال يؤرق فئة تشكل قرابة ربع سكان البلدان العربية.

ووجدت أنها "**ربما تحدث تقاربا بين الكبار والمراهقين**، فهناك الكثير من المعاملة السيئة والجهل بكيفية تفكير الآخر، وهناك صراع أجيال". وكذلك ترى دينا (15س، لبنان) ووسيم (17س) وفلة (15س) من اليمن أن هذه الدراسة يجب أن توجه للأهل لكي يعرفوا كيف يتعاملون مع أولادهم. وتطمح شمسة (16س، اليمن) إلى أن تؤدي هذه الدراسة حول المراهقات والمراهقين إلى نتيجة مباشرة في **تحسين وضع الفتاة المراهقة وإيجاد حل لمشكلتها الخاصة والمتمثلة في عدم متابعة تعليمها**.

وفي مستوى ثالث، وجدت المستجوبات والمستجوبون في الدراسة فائدة مباشرة بالنسبة إليهم. فقد أفسحت المجال لهم لأن يتكلموا بحرية ويجيبوا عن أسئلة محددة ويفكروا في أمور لا ينشغلون بها دائما. **فمجرد الإصغاء إلى إجاباتهم أمر مريح بذاته وحافز للتفكير وإعادة النظر بعدة مواقف وآراء وسلوكيات** لم تخطر ببالهم قبل المقابلة، الأمر الذي يساهم في اكتشاف جوانب من ذواتهم وانتظاراتهم، وبالتالي التمييز بين المواقف الصحيحة والخاطئة.

إجابات كثيرة عفوية كررت المعنى نفسه : "لكي تسمعوا رأينا"، و"نحن أيضا عندنا رأي" ... والدراسة مهمة "لأن الناس **يجب أن يفهموا تفكير هذا الجيل، وأن لا يصدروا الفتاوى نيابة عنه. فهذا الجيل يفكر أيضا وليس جيلا ضائعا فقط**. ومن الضروري أن يفهمه الكبار". تقول نهلة (15س، مصر) " مهم أن تجري دراسات تتضمن التعرف إلى رأي الناس، خصوصا الصغار الذين لا يسمع صوتهم". وتشاطرها مواطنتها نرمين (18س) الرأي حين ترى أنه من الضروري أن " **نتحدث بأنفسنا عن أنفسنا، لا أن يتحدثوا عنا**". وعبر العديد من المستجوبات والمستجوبين من المغرب عن تقديرهم لهذه الدراسة لأنها " أفسحت المجال للتعبيرعن الرأي لممثلين وممثلات لجيل غير مسموع عموما". أما نسرين (17س، لبنان) فهي لا تعرف "بما تفيد هذه الدراسة، لكني أرى أنها لا تحتوي سلبيات، ويمكن أن تكون مفيدة لبعض المراهقين وتساعدهم لتخطي الصعوبات التي يواجهونها". وفي هذا السياق فإن بعض المستجوبات والمستجوبين عبروا عن التأثير المباشر للمقابلات عليهم وما خلفته من انعكاسات إيجابية على أفكارهم ووعيهم بمسائل تطرح معهم لأول مرة. فقد سمحت لهم هذه الدراسة، حسب رأيهم، بالتعبير عن آرائهم وأحلامهم ومخاوفهم وآمالهم، وأدت بالبعض منهم إلى إعادة النظر في بعض قراراتهم (مثل التراجع عن قرار ترك المدرسة في إحدى الحالات).

## ولكـــن ... مـــاذا بعـــد ؟

**جاء "التقييم" الإيجابي للدراسة مشروطا بالنتائج العملية** وبمدى استخدامها من قبل أصحاب القرار. فطرحت تساؤلات عديدة في هذا الصدد، ولم تخل مواقف بعض المراهقات والمراهقين من التشكيك والتشاؤم. إذ من المفيد جدا حسب رأيهم "أن تدرس أحوال الناس، ولكن **هناك دراسات كثيرة نفذت من قبل، ولم أعد أتخيل أن لذلك أي معنى**. عادة ينتهي الموضوع في برنامج تلفزيوني، ولا شيء يتغير في الواقع". هكذا تقيم إلهام (17س، مصر) الجدوى من الدراسات عموما لتسحبها على الدراسة الحالية. أما مواطنتها وردة (16س) فقد وجهت سؤالا مباشرا إلى المسؤولين عن الدراسة عبر الباحثة التي أجرت معها المقابلة قائلة "المهم ماذا ستفعلون فيما بعد ؟ إلى من سوف توصلون الدراسة ؟ **ومن هو الشخص المستعد لسماعنا ؟**". فالدراسة في رأي المراهقات والمراهقين تصبح مفيدة إذا وقع تفعيل نتائجها، "أما إذا وضعت فوق الرفوف فهذا يعني أن لا فائدة ترجى منها"، كما تؤكد وسما (17س، اليمن). وبدا البعض أكثر تشاؤما على غرار أحمد (17س، اليمن) الذي يعتقد أنها "لن تفيد كثيرا في إحداث التغيير".

• **غياب المؤسسات الثقافية** كالأندية والقاعات الرياضية المخصصة للشباب، وخصوصا في القرى وفي الأحياء الفقيرة. وعدّ غيابها مشكلة كبيرة بالنسبة إلى المراهقات خاصة والمراهقين عموما. ويحول ذلك دون ممارسة هواياتهم والتواصل مع أقرانهم وتمضية أوقات فراغ مفيدة وممتعة.

• **تعاطي المخدرات** كان من ضمن المشاكل التي تمت إثارتها إضافة إلى التدخين وكل أنواع الإدمان. وتمت الإشارة بشكل خاص إلى ظاهرة تخزين القات في اليمن.

• **غياب الاختلاط في المدرسة** وفي الفضاءات العامة في أكثر من بلد عربي.

• **غياب التوعية الجنسية**.

• **القلق من الأوضاع الراهنة** والحروب والنزاعات في المنطقة العربية وفي العالم.

• **عدم التمتع بالحرية** في المجال الخاص وفي المجال العام.

## 3- شخصيات المراهقات والمراهقين

لم يكن الابتعاد عن الأحكام المسبقة والنماذج المثالية والتنميط مهمة سهلة. فالدراسة اعتمدت على التجربة المعيشة واستندت إلى منهج استقرائي للبحث في تعدد الحالات وتفردها. إلا أن البناء المعرفي العلمي يتطلب الاستعانة بأدوات كثيرة من بينها تصنيف الحالات المفردة في أنماط والمقارنة بينها والتعرف إلى المتغيرات والعوامل المؤثرة فيها. كما تتطلب هذه المعرفة استكشاف الترابط البنيوي الداخلي للحالة ومقارنتها بنموذج المثالي.

على هذا الأساس، فإن التحليل الذي تضمنه التقرير والمستند إلى مضمون المقابلات حاول استخراج ملامح لشخصيات المراهقات والمراهقين profiles ومواقفهم وآرائهم وسلوكياتهم. ولكنه تضمن أيضا نوعا من التصنيف في أنماط مرنة. ويمكن لهذه الأنماط أن تحيلنا على الأقل، إلى تكرار مجموعة من العناصر في شخصيات الحالات المتفردة من خلال المواقف والسلوكيات. أما عندما نتحدث عن النموذج، فإننا نتحدث عن بنية متماسكة بشدة ومتمحورة حول قيم وتصورات مجردة و على درجة عالية من الاتساق الداخلي وتتمع بنوع من الثبات. فالنموذج أقل احتمالا من حيث التكرار ومن حيث طبيعته باعتباره تجريدا نظريا تقترب منه الحالة الواقعية دون أن تتطابق معه. وفي البحث الحالي، ورد في البداية افتراض وجود نموذج للمراهق العصري وآخر للمراهق التقليدي . وقد تبين في سياق البحث أن مثل هذا الافتراض غير واقعي وقد يؤثر سلبا على التحليل والنتائج. وإذا كانت مثل هذه الثنائية (أو تعدد الأقطاب الجاذبة وهو الأكثر ترجيحا) قائمة، فهي لا تعدو عن كونها تيارات دفع أو جذب باتجاه هذه النماذج التي لا سبيل لوجودها إلا في حالات خاصة.

في ضوء ذلك، وأخذا بعين الاعتبار الأسس والتحفظات المشار إليها، فإننا سنحاول فيما يلي استعراض الحالات التي تمت مقابلتها مجمعة في شكل ملامح مشتركة لشخصيات المراهقات والمراهقين أو أنماط بالمعنى النسبي وشديد المرونة. وسيغطي هذا العرض بالدرجة الأولى أنماط الشخصيات الفردية وبعض المواقف والسلوكيات بدرجة أقل.

## 2- أبرز المشكلات في نظرهم

سعى هذا التقرير إلى التحرر من المقاربات التي تربط بين مفهوم المراهقة ومفهوم الأزمة. ولكن تبين في سياق البحث والعمل مدى صعوبة بلوغ هذا الهدف. ولا يمثل التقرير سوى مساهمة في تحقيقه نظرا للكم الكبير من المشكلات التي برزت من خلال المقابلات في معيش المراهقات والمراهقين اليومي والقلق الكبير إزاء حاضر مضطرب ومستقبل ضبابي ومقلق.

بهذا المعنى كانت كل فصول التقرير عبارة عن بحث في المشاكل والاحتياجات. ونكتفي هنا بإضافة بعض تصريحات المستجوبات والمستجوبين عن أهم المشاكل التي يعتبرون أنهم يواجهونها. وبشكل عام، فإن هذه المشاكل لا تخص بلدا معينا، ما عدا استثناءات قليلة جدا تتعلق بشكل خاص بتعليم الفتيات (برزت بشكل حاد في اليمن والمغرب) والزواج المبكر (في اليمن). ما عدا ذلك، فإن المشكلات نفسها تكررت تقريبا في كل البلدان مع تفاوت في الحدة أحيانا بين بلد وآخر. ونورد في ما يلي المشكلات الأكثر تكرارا دون ذكر البلدان المعنية (إلا في الحالات الخاصة جدا). كما أن ترتيبها لم يكن حسب الأهمية إذ أن السؤال لم يطرح بصيغة تفضي إلى تصنيفها حسب الأولوية.

وكانت أبرز المشكلات التي ذكرتها المراهقات والمراهقون كما يلي :

- **الحق في التعليم خصوصا بالنسبة إلى الفتيات**. أما أسباب التركيز على هذه المشكلة فتمثلت في ما يعيشه بعض المراهقات والمراهقين من حرمان كامل من التعليم بسبب التقاليد والفقر (كما في حالة اليمن)، أو الفقر (كما في الأوساط الفقيرة خصوصا في مصر والمغرب). أما بالنسبة إلى الفئات التي تتمتع بموارد أفضل، فإن مواصلة التعليم إلى المراحل العليا وفي الاختصاصات المفضلة لديها يصبح هو المشكلة المطروحة.

- **المشاكل الاقتصادية** التي احتلت بدورها مكانا هاما في خطاب المراهقات والمراهقين من مختلف البلدان، إذ تم التطرق إلى الفقر وتدني الأجور والبطالة وعدم توفر فرص عمل وأزمة السكن... وهذه المشاكل بالنسبة إلى المراهقات والمراهقين نوعان، إما مشاكل حالية تعبر عن معاناة راهنة، كالفقر وأزمة السكن أو مشاكل مستقبلية تعبر عن قلق إزاء المستقبل غير المضمون، كالبطالة وندرة فرص العمل.

- المشكلات المرتبطة بالعلاقة مع الوالدين والعائلة والأقارب وتحديدا **ضعف الحوار مع الأهل وصعوبة التفاهم معهم واختلاف العقليات والرقابة وضعف الثقة بالأبناء**. وعبّرت بعض الحالات عن شكوى صارخة من الخلافات بين الوالدين التي تصل إلى حد الطلاق. كما سجلت شكوى من العنف ومن تسلط الاخوة على الأخوات في حالات أخرى. أما المشكلة المشتركة بين المراهقات والمراهقين فتتمثل في ضعف التواصل مع الأهل. وتواجه المراهقات إضافة إلى ذلك مشكلة خصوصية تتعلق بالتمييز بينهن وبين اخوتهن وتعرضهن لرقابة أشد قد تتحول إلى مشكلة حادة.

## اللعـــــوب

تقيم علاقات عابرة ومتكررة مع الجنس الآخر. تعاني غالبا من مشاكل أسرية وخصوصا علاقة مضطربة بين الأب والأم، أو ضمن العائلة. ربما تكون طفلا غير مرغوب به كما يقول الأهل أحيانا. لديها موقف سلبي من الجنس الآخر ولا تثق به بسبب تجربة شخصية أو تجارب أشخاص مقربين منها. تعاني أحيانا من متاعب مدرسية وتبحث عن إثبات القدرة على الحصول على الحب والتخلي عنه لتثبت للآخرين بأنهم ليسوا هم فقط القادرون على التخلي عن حبها، بل إنها مثلهم تملك السلطة والقدرة على منح الحب أو حجبه. إنه لعبة تبدأ وتنتهي دون جدية.

## المدللـــــة

تكون عادة الابنة الوحيدة أو الفتاة الصغيرة بين اخوة وأخوات يكبرنها وفي أسرة تتمتع بموارد اقتصادية وثقافية محترمة. هي معفاة من الأعباء المنزلية، ومحور اهتمام الكبار الدائم. وفي المحيط الأوسع، هي الفتاة التي تحظى بقدر من الحرية مقارنة بمحيطها بسبب مكانة ما أو موقع اجتماعي متميز للأسرة. لا يطلب منها عادة سوى أن تكمل دراستها وتحدد مستقبلها الذي يمكن أن يكون مهنة مع زواج أو ربما حصره في الزواج وتكوين أسرة.

## المقهـــورة

إذا اجتمع الفقر بالطابع الريفي أو القبلي (والذكوري المفرط) يكون عالمها منغلقا ومتمحورا حول المنزل. وتصبح مكونات عالمها البيت والشؤون المنزلية والسمعة والحفاظ على الشرف. الأعباء المنزلية مرهقة للفتاة وهي ليست موضع تساؤل، بل هي معطى بديهي لا أمل لها في تغييره وجل ما تطمح إليه هو أن يكون أقل وطأة فيكفّ الذكور في المنزل عن معاملتها كخادمة. هي تتعرض بالتأكيد للعنف المعنوي واللفظي والإكراه وأحيانا للعنف الجسدي. الصبر والقناعة والتضحية هي القيم العليا، أما الحب والعواطف فهي مكبوتة، والجنس خطيئة كبيرة وتهلكة. تنتظر زواجها المبكر غالبا والمدبر من قبل العائلة. وتأمل أن يكون حظها جيدا في الزواج الذي قد يحررها من أعباء المنزل الأبوي ويحسن وضعها. وقد يكون حظها أسوأ في بيت الزوجية فتعيش سلسلة من المشاكل التي لا تنتهي مع زوجها وأسرته.

## المستفـــزة

غالبا من تنتمي إلى أسرة مفككة أو تعاني من صعوبات هامة، كأن يكون الأب عاطلا عن العمل أو مدمنا أو سجينا أو عنيفا. لا تتمتع أسرتها باحترام المحيط، وهي تتعرض للعنف أو الإهمال أو التحقير داخل أسرتها غير المتدينة في أغلب الأحيان. لديها إحساس بالظلم والغضب وترى أن المجتمع منافق يمارس أفراده عكس ما يدّعون. تشعر بأن ليس لديها ما تخسره وبأن من حقها قول كل شيء بدون رقابة. ترفض كل شيء بشكل عدمي. يعتبر محيطها سلوكها استفزازيا وهي لا تكترث لذلك وترى أنها تفضح الزيف الاجتماعي من خلال استفزازها وخروجها عن المألوف. لا تفكر في الأبعاد المستقبلية لسلوكها. تعيش اللحظة المباشرة فقط، ولا ثقة لها بالمستقبل لأنها تشعر أن لا مستقبل لها.

## ملامح الشخصية

ما سيرد ليس وصفا لشخصية مراهقة أو مراهق بعينه، هو وصف لسمات عامة مشتركة تكررت في أكثر من بلد، وبالنسبة إلى الجنسين، وإن بدت بعض الخصائص مميزة لبلد أو فئة أو أكثر ارتباطا بالجنس (مراهقات أو مراهقين).

### المثقفة

تظهر بمظهر المتأمل الذي يفكر بعمق قبل الحديث و تتمعن في كلامها. لها آراؤها الخاصة حول الحياة والموت ومعنى الحياة والغاية منها وحول امتلاك القوة. كما تتخذ مسافة موضوعية من الحياة وتتحدث في أمور هي من اختصاص الكبار حسب الفهم الشائع. تكتب الشعر أو الخواطر، تقرأ وتستمع إلى الموسيقى الهادئة، تحب التأمل والعزلة بين الحين والآخر. ترى نفسها مختلفة عن محيطها وأكثر عقلانية وثقافة ومسؤولية ممن هم في سنها، ولا تميل إلى سلوك استهلاكي مفرط. عندما تنتمي إلى الطبقات الوسطى، فإنها تتميز باهتمامها بالثقافة والأدب، وعندما تكون من بنات الفئات الفقيرة، فإن الفلسفة تتخذ شكل الحكمة الشعبية والتأمل مع ميل أكبر إلى العزلة والصمت.

### المتحررة

نموذج مديني بامتياز من طبقة وسطى أو عليا. منفتحة على الثقافة الغربية وقد تقترب أو تتماهى مع نماذجها السلوكية، وقد تتخذ أحيانا مسافة منها وموقفا ناقدا لها. ترفض الأطر التقليدية وتبحث عن مستقبل مهني. تطمح إلى علاقة شراكة متكافئة ومتوازنة مع الجنس الآخر مع خوض علاقة عاطفية قبل الزواج، وأحيانا قد تقبل تجربة جنسية محدودة ومشروطة. تشعر بهويتها الفردية وبوطأة صراع الأجيال مع أهلها. وهي أكثر تطلبا للتفهم مما هو شائع.

### الأم الصغيرة

هي الأخت الكبرى عادة في أسرة متوسطة أو كبيرة العدد وإمكانياتها المادية متواضعة. ويمكن أن تكون الأخت الكبرى في أسرة شهدت وفاة أحد الوالدين أو طلاقهما أو انفصالهما. تتقمص شخصية الأم الصغيرة في علاقتها باخوتها وأحيانا بأبيها. تهتم بأمور المنزل، تتابع الاخوة الصغار، ترعى، تراقب وتعاقب أحيانا. وفي كل ذلك تستبطن عادات الأم وسلوكها. وتصبح الأم مثلها الأعلى.

### المجتهدة

الفتاة "المثالية" التي تحقق التوازن المناسب بين حاجاتها وتطلعاتها ومتطلبات المجتمع. فهي فتاة مجتهدة وتعرف ماذا تريد تقريبا وتخطط لمستقبلها المهني بوضوح. ويتمثل هذا المستقبل عادة في مهنة "محترمة" ومقبولة اجتماعيا على الأرجح. يتم البحث عن العلاقة المنشودة مع الجنس الآخر ضمن الأطر التقليدية من أوساط اجتماعية متقاربة مع مستواها أو أعلى قليلا مع بعض المرونة والانفتاح. فالاجتهاد هنا آلية لتوسيع نطاق الخيارات المستقبلية فيما يتعلق بالزواج والعمل.

## المتحديـــــة

شخصيتها قوية وشديدة الاقتناع بصواب أفكارها. ترى أن من حقها أن تمارس قناعاتها. تتبع تقنيات التفاوض والحوار مع الأهل والمحيط. تحاول إقناعهم، ولكن لا تتخلى عن القيام بما تريده. عند الضرورة تتحايل، تواجه، تتحدى إرادة أهلها أو المجتمع. تواجه رفض الأهل بالتمسك أكثر بالشخص الذي تحبه دون موافقتهم وتحجب عنهم التفاصيل إذا اقتضى الأمر. وفي المدرسة أو المجتمع تثابر على بذل الجهد حتى تحقيق النجاح، وتكسبها المعارضة حماسا إضافيا ومتعة في متابعة ما تنوي القيام به. وإذا كانت تشكو من إعاقة أو صعوبة مؤقتة، فإنها تسعى إلى التفوق على نفسها وعلى زملائها.

## الثقـــافة الخـــاصة والقيـــم والسلـــوك

تناولت الفقرات السابقة أمثلة لملامح شخصيات المراهقات والمراهقين. وسنتناول في ما يلي بشكل مختلف بعض النماذج القائمة على ثقافة المراهقين وقيمهم وسلوكياتهم.

### النمـــوذج "المعـــولم"

يتعلق الأمر هنا بالسلوكيات بالدرجة الأولى. ويصح نسبيا القول بوجود نموذج للمراهق "المعولم" يتطابق مع صورة المراهق في المجتمع الاستهلاكي الغربي عموما، والأميركي بشكل خاص. ويتمثل هذا النموذج في الصورة المنتشرة للمراهق التي تبثها وسائل الإعلام الفضائية العابرة للحدود، والتي تقدم صورة محددة عن الشكل واللباس والذوق الموسيقي والطعام والمفردات والاهتمامات... ففي هذا المجال شروط النموذج أكثر توفرا من المجالات الأخرى.

والمراهق "المعولم" متشابه عبر البلدان العربية. هو من الفئات الوسطى أو الغنية. يستخدم مفردات خاصة ويمزج بين العربية ولغة أجنبية. يرتدي ثيابا أصلية أو تقلد موضة الماركات العالمية. يحب الموسيقى الغربية العصرية ويشاهد التلفزيون ويستخدم الإنترنت، لا يقرأ ولا يحب الأنشطة الهادئة فالسرعة هي القيمة المفضلة لديه. قصة شعره على الموضة ولا يحب الطعام التقليدي ويفضل الوجبات السريعة مع الأصدقاء. يرى مستقبله مبنيا على نجاح المشروع الشخصي ويفضل اختصاصات إدارة الأعمال والتجارة والمعلوماتية. يرى في السياسة أمرا سخيفا، ويفضل العلاقات غير الجدية مع الجنس الآخر.

في المقابل، لا يوجد ما يمكن اعتباره نموذجا للمراهق التقليدي. فهذا النموذج غير موجود لأنه لا يملك مقومات التشكل كنموذج بالمعنى الذي أشرنا إليه في بداية هذا النص. فالسلوك المنسجم مع التقاليد والعادات الاجتماعية أكثر تنوعا وارتباطا بالخصائص المحلية. لذلك فهو متنوع بتنوع البلدان والمجتمعات، بل بتنوع المحيط الاجتماعي المباشر الذي يعيش فيه المراهق. ولكن هناك بعض الخصائص العامة المشتركة أو الأكثر تكرارا في المراهق التقليدي، فهو عموما يقيّم عائلته تقييما عاليا وأقل اهتماما بالأصدقاء من المراهق "المعولم". يستمع إلى الموسيقى العربية خصوصا ويتراوح ذوقه بين الطرب والفولكلور والأغنية الخفيفة. اللباس محتشم عموما مع سعي لمسايرة الموضة المعتدلة والمقبولة من قبل المجتمع. يفضل المهن المثمنة اجتماعيا ويبتعد عن "الصرعات" وكل ما هو غير مألوف في السلوك والمظهر ويتبنى النظرة التقليدية إلى المرأة.

## المقيـــدة

هي من أوساط اجتماعية فقيرة عموما. تعيش في مجتمع ريفي أو ضيق وتتعرض إلى رقابة أسرتها النووية والعائلة الموسعة والمجتمع المحلي. تشعر بالضيق من وضعها ولكن ردة فعلها المرجحة هو الكبت أو الانزواء لغرض البكاء. التبرم والاعتراض لا يقودان بها إلى التمرد، فهي تستبطن التقييد ولا تميز في محيطها إمكانية حقيقية لبدائل أفضل. هي معرضة لأن تصبح أقرب إلى نموذج المقهورة في حال طالت فترة التقييد وتكيفت معها أو قد تتحسن أوضاعها وتكسب هامشا أوسع من الحرية النسبية. يرتبط هذا بالسيرورة التي سوف تتخذها حياتها واختيارها لشريك المستقبل ولنمط تفكير الأهل.

## المهمشـــة

غالبا ما تكون من أوساط فقيرة وتسكن في ضواحي المدن أو الأحياء العشوائية. المسكن صغير يفتقر إلى التجهيزات. غالبا ما تكون خارج المدرسة. وقد تشكو من إعاقة أو تكون مصابة بمرض مزمن. لباسها متواضع. تفضل العزلة وتشعر بأن المجتمع ينظر إليها نظرة دونية وأن الناس يفضلون عدم التعامل معها. وقد تكون أوضاعها الاقتصادية أفضل قليلا، ولكن تعرضت هي أو أحد أفراد أسرتها لحوادث أو مشاكل قانونية تدفعها إلى الابتعاد عن الناس والانعزال عنهم. تشعر أنها مظلومة، ولكن تحس في الوقت نفسه أنها غير قادرة على تغيير نظرة الناس إليها وتغيير واقعها. تشعر أن أسرتها لا تفهمها، وتتأرجح بين حافة اليأس والغضب المقرون بالعنف الموجه إلى الذات أو ضد من هم أضعف منها.

## الممتثلـــة

من أسرة محافظة عموما ذات مستوى اقتصادي متوسط أو فوق المتوسط. تقبل تدخل أفراد أسرتها في اختيار أصدقائها لاقتناعها بأنهم يفوقونها تجربة وسنا. ترفض الحديث عن الجنس وترى أن العلاقات الغرامية دون زواج هي خارجة عن الأخلاق والأعراف والتقاليد. علاقتها بأهلها غير صدامية وهي تستبطن قيمهم وتتبناها وترفض فكرة صراع الأجيال. ولا تمانع أن تظهر بمظهر المتوافق مع توقعات الأهل. والداها عموما يكافئانها على سلوكها وطاعتها ولا يمارسان العنف ضدها. تؤمن بتقسيم العمل التقليدي بين الرجل والمرأة. الزواج وتكوين أسرة ناجحة هو أحد أهم أهدافها. مؤمنة من النوع التقليدي المعتدل.

## الفقيرة المكافحة

لديها إحساس شديد بالفقر وبالغبن سببه عدم قدرتها على تلبية حاجاتها وما لذلك من تأثير في مستقبلها الدراسي والمهني دون أن يطال اعتزازها بكرامتها و إحساسها بقيمتها الذاتية. لديها رغبة وإرادة قوية في تخطي هذه الوضعية وتغييرها بوسائل مختلفة. فهي تصر على مواصلة تعليمها والنجاح. وإذا كانت في سوق العمل، فهي تتميز بسعيها الدائم إلى تأكيد ذاتها في العمل والترقي. شخصيتها قوية وتتمتع بقدرة على الإقناع والحوار وتتمسك بالقيم والمثل التي غالبا ما تكون قيم الجماعة التي تعيش وسطها. وهي تحظى عموما بتقدير المحيط لعصاميتها وكفاحها.

المتدين المسيس يمثّل نمطا يميل إلى الانتشار والتوسع في صفوف المراهقات والمراهقين. يقترب من النموذج المثالي بمعنى وجود قواعد صارمة ومفاهيم ثابتة، ولكن لا يوجد نموذج موحد، بل تتعدد النماذج بتعدد التيارات والمذاهب مع وجود ملامح مشتركة. يعطي أهمية كبيرة للالتزام بالطقوس والشعائر بشكل صارم وممارستها بشكل جماعي. فالانتماء إلى الجماعة هو العنصر الأكثر أهمية. يعيش حالة تماهي وذوبان لشخصيته الذاتية في الجماعة التي ينتمي إليها ويقلد قائدها. السلوكيات والشكل هي من الأهمية بمكان. إطلاق اللحى للشباب واللباس المميز بالشكل والألوان يحدد الهوية والانتماء. الحجاب للفتيات إلزامي وهو أيضا أنواع حسب الانتماءات. مصدر الثقافة الدينية هو الجماعة التي ينتمي إليها أو دعاة محددون في وسائل الإعلام ووسائل سمعية بصرية ومنشورات. هو على خصام مع عائلته عموما ما لم ينجح في التأثير عليهم، فنوع تدينه مختلف عن تدين أهله. إنه تدين غير متصالح مع العائلة. وفي حال برز تعارض بين طلبات العائلة وموجبات التزامه الديني، تكون الأولوية لهذا الأخير. يتبنى تمثلا دينيا شاملا لكل ما هو حلال وحرام في كل تفاصيل الحياة. لا يوافق على الاجتهاد والمرونة ويعتبرهما تهربا من الواجبات الدينية. متشدد في العلاقة مع الجنس الآخر. وهو نموذج ذكوري بالأساس.

## النـــاشط السيـــاسي أو الاجتمـــاعي

لا يوجد نموذج هنا بالتأكيد، ولا نمط معمم. ولكن برزت بعض الخصائص المتشابهة عند الذين يمارسون نشاطا سياسيا أو اجتماعيا فعليا في المجتمع، مع اختلاف ميولهم ومجالات عملهم. فالمراهق (أو المراهقة) الناشط سياسيا أو اجتماعيا، غالبا ما يكون قد تأثر بأحد أفراد العائلة. الاختيارات تكون أحيانا متشابهة مع الأهل مما يخفف من حدة صراع الأجيال في إطار الأسرة. ولا يؤدي اختلاف الخيارات إلى نزاع حاد إلا في حالات استثنائية مع أنه يمكن أن يشكل مجال احتكاك بين المراهق وأسرته. الناشط السياسي والاجتماعي أوسع ثقافة من أقرانه، وأحيانا من أفراد أسرته. شخصيته أكثر تكاملا واتساقا من غيره، وتكاد تكون هذه الميزة من أبرز خاصياته. حجته مقنعة ويتمتع بصفات قيادية وهو أكثر قدرة على التفاوض. اهتماماته وهواياته تتجاوز المجال الخاص إلى المجتمع ككل. هو من أنصار الاختلاط بين الجنسين ما لم يكن ينتمي إلى مذهب أو جماعة دينية متشددة. ويشترك في هذه السمات المنتمي إلى الحزب السياسي الديني الذي لا يقتصر نشاطه على الجوانب السلوكية والعقائدية البحتة مع الناشط في الأحزاب غير الدينية والجمعيات. وهو قادر على التواصل معهم. يكون الناشط السياسي والاجتماعي أقرب إلى إيجاد التوازن في العلاقة بين مشروعه الفردي وعائلته والمجتمع وإلى اتباع وسائل ناجحة نسبيا في التعامل مع الصعوبات التي يواجهها في تحقيق أهدافه.

## ختـــــــاما...

كما بدأ هذا الملحق بالتحفظ على التنميط وبناء النماذج، فهو ينتهي به أيضا. فما تم عرضه لا يتعدى أن يكون محاولة لرسم ملامح مراهقات ومراهقين (profils / portraits) مستخلصة من المقابلات والملاحظات الميدانية والتحليل. فالتقرير بما جاء في فصوله السابقة، وخصوصا في الإصدار الخاص الذي يتضمن عرضا لشهادات المراهقات والمراهقين وتلخيصا لكل المقابلات، يوفر للقارئ مادة وافرة لبناء استخلاصاته الخاصة.

تبين من خلال المقابلات ملامح جنينية لنمط ثالث يمكن وصفه بالنمط المثقف المتأثر بالحداثة بشكل عام. هو مراهق من أوساط مدينية من الفئات الوسطى. يقف موقفا نقديا من التقاليد والعادات الاجتماعية خصوصا منها ما يعتبره غير متوافق مع العصر. ويقف على مسافة من النموذج "المعولم" إذ يعتبره سطحيا وسخيفا. يظهر بمظهر المثقف. يستمع إلى الموسيقى العربية والغربية، ولكنه يفضل من هذه الأخيرة الأغاني الهادئة والموسيقى الكلاسيكية. يهتم بالقراءة والسينما والمسرح ويستخدم الحاسوب ولكن دون مبالغة. يؤمن بالمساواة في الحقوق بين النساء والرجال ويعطي الأولوية للحب على ممارسة الجنس. يحاول أن يبني شخصية خاصة به ويبتعد عن تقليد غيره. منفتح على المشاركة في العمل السياسي والنشاط الاجتماعي العام.

## المؤمـــن ... المتديـــن

إذا كان الإيمان والاعتقاد بأهمية الدين شأنا مشتركا بين غالبية كبيرة جدا من المراهقات والمراهقين، إلا أن النظرة إلى الدين والإيمان والطقوس ليس متشابها، وقد أمكن رصد عدة احتمالات :

هناك أولا المؤمن التقليدي. لا يعتبر نفسه متدينا، فهو لا يبذل جهدا ذاتيا خاصا من أجل التعمق في فهم الدين ولا يمارس الشعائر والعبادات بشكل منتظم وبشكل جماعي دائما. يؤمن بالله ويصلي ويصوم. مصدر معلوماته عن الدين والداه وبيئته العائلية ودروس الدين في المدرسة ووسائل الإعلام أحيانا. إيمانه يشبه إيمان أهله وعائلته، والدين بالنسبة إليه هو التقوى ومخافة الله وفعل الخير والأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة. الفتاة تميل إلى اللباس المحتشم وارتداء الحجاب أحيانا ولكن دون تشدد. والشاب لا يعتبر أن إطلاق اللحية واللباس الخاص ضروري. يعطي أولوية لطاعة الأهل والتفاهم معهم باعتبار أنه "ما رضاء الله إلا برضاء الوالدين"[1]. إنه دين متصالح مع العائلة.

وهناك المؤمن الناقد أو المتساهل الذي يرى أن الدين يمتزج أحيانا بتقاليد وعادات لم تعد صالحة. لا يميز تماما إذا كانت من صلب الدين أو أنها دخيلة، ولكنه يميل إلى التفسير الثاني. فرجال الدين والكبار هم الذين يتولون تفسير الدين وتأويله وهم المسؤولون عن عدم مواكبته للعصر. يميل إلى المظهر العصري، وهو لا يمارس الشعائر الدينية عادة إلا في المناسبات. له اجتهاد خاص لاختيار ما يناسب من أحكام الدين لاتباعها والالتزام بها. هو أقل تصالحا مع عائلته خصوصا إذا كانت محافظة.

المؤمن الفلسفي يمثل حالات قليلة. يضع الدين في دائرة العلاقات الخاصة بينه وبين الخالق. يعتبر أن الإيمان اقتناع داخلي ولا يوافق على التظاهر بالإيمان. الشعائر بالنسبة إليه أقل أهمية من جوهر الدين باعتباره ضابطا أخلاقيا وفلسفيا للسلوك. يتميز عن محيطه ويخالفه في رفض فكرة الخوف من الله. يرى إمكانية الإيمان بمعزل عن الانتماء إلى دين محدد أو طائفة أو مذهب. ينتقد الحركات السياسية الدينية ولا يوافق على تدخل الدين في الحياة السياسية أو الاجتماعية، لاسيما الحياة الخاصة بالأفراد. يميل إلى العلمانية أو فكرة الدولة المدنية أحيانا بوعي بمعانيها وأحيانا بشكل عفوي. يمتاز عادة أو تمتاز عائلته بخلفية ثقافية متنوعة.

(1) حديث نبوي شريف

● **المقاربة الأنتروبولوجية :** التعلم الاجتماعي والثقافي، العبور من التقاليد إلى الحداثة، الانتقال من مرحلة الخضوع إلى الاستقلال، ودخول المراهقات والمراهقين عالم النساء والرجال. ثم الحداثة بوصفها شرطا لبروز المراهقة كفئة في الخطاب العلمي وكموضوع للسياسات التنموية.

● **المقاربة السوسيولوجية :** تعتبر المراهقة مرحلة الانخراط في المجتمع، ليتحول المراهق إلى طرف في إحداث التحولات والتغيرات الاجتماعية التي تشهدها المنطقة العربية. وتخضع المراهقة تدريجيا لرعاية المؤسسات الحكومية والاجتماعية، ثم المجتمع المدني. والسؤال المطروح هو الآتي : أي مراهقات ومراهقين لأي مجتمع ؟

● **المقاربة الاقتصادية :** ينخرط المراهقون في المجتمع الاقتصادي من خلال الوظيفة أو ممارسة الأعمال البسيطة والاستهلاك والتبادل الاقتصادي، العلاقة بالمال، ويصبحون عاملين اقتصاديين بكل معنى الكلمة.

في مستهل هذا الدليل، عرض للأسئلة الأساسية (ملحق بنموذج أسئلة مفصلة) التي يجب أن يطرحها الباحث على الشبان الذين يؤلفون عينته. وفي مرحلة ثانية، يتناول الدليل الخطوط العريضة لتحليل البيانات وتأويلها بعد أن يكون الباحث قد قام بتدوين محتوى هذه المقابلات.
ويعنى الجزء الثالث من هذا الدليل باختيار العينة من قبل الفريق المنتدب لكل بلد من البلدان. ويعالج الجزء الرابع بعض مبادىء المقابلة وتقنياتها، التي يجب أن تقوم بها الفرق المحلية.

## I- موضوعات البحث، اقتراح استمارة انطلاقية

يستهل بروتوكول التحقيقات الميدانية بالنسبة إلى الباحثين المحليين بعرض موجز ومتجانس لمجمل المقابلات. ويتمحور لاحقا حول الموضوعات الأربعة المتناولة في الورقة التمهيدية التي يجب إعادة قراءتها من قبل الباحثين. وفيما يلي ملخص للمواضيع :

### 1. المراهقات والمراهقون، الهويات الشخصية وتصور الذات

بناء الذات، التفردية، والاستقلال الذاتي في العلاقة مع الآخرين،
البلوغ والتحول الفيزيولوجي، الجنس وتصور الجنس الآخر، الصداقة والحب، الاختلاف بين الذكر والأنثى.

### 2. العلاقات مع الأهل، الموروثات، القطيعة والتدرب على حياة الراشدين

تطور العلاقة مع الأهل، المواجهة الإيجابية،
تحول الأشكال التقليدية للسلطة،
تصور أدوار الأم والأب، أو الراشدين بمعنى إسقاط الحاضر على المستقبل.

### 3. الثقافة والارتباط بالجماعة

السلوكيات في مجال الترفيه والطعام واللباس والموسيقى،
المجموعات الشبابية ومساحات المخالطة الاجتماعية،
وسائل الإعلام، الإنترنت، المطالعة (الكتاب)،
الموسيقى. ما هي الأذواق ؟ لماذا ؟

# ملحق 2

## دليل فني ومنهجي لدراسة المراهقات العربيات[1]

يتعلق الأمر بعمل "تصويري" حول بناء هويات فئة مفصلية من السكان، هي فئة المراهقات، والمراهقة بصورة أشمل. والمقصود بكلمة "هوية"، هو التصورات حول الذات والآخرين وأشكال الحضور والممارسة والدوافع والتطلعات حول المستقبل، بين السعي للاندماج الاجتماعي والبحث عن "الذات". وهذا النص هو عبارة عن دليل تمهيدي أوّلي. ويقدم هذا النص إرشادات تتعلق بموضوعات الدراسة ومنهجيتها والإشكالية العامة المشتركة بهدف وضع دراسات مونوغرافية من قبل الفرق الوطنية، يتم الاستناد إليها في المرحلة الثانية من أجل إعداد التقرير الاقليمي (العربي)، على أساس مقارنة النتائج وتحليل نقاط التقاطع والاختلاف وتحديد الاتجاهات العامة المشتركة.

### الإجـــراء التنفيـــذي للدراســـة

- مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"
- لجنة إشراف مع منسق منتدب
- فريق مؤلف من باحثين اثنين في كل بلد من البلدان المحددة، يمثله منسق.

### أهميـــة هـــذه الدراســـة ومخرجـــاتها

إن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر" الذي يسعى إلى النهوض بأوضاع المرأة، يجب بالضرورة أن يتناول قضية التغيرات الاجتماعية والحداثة. وتتمثل نقطة العبور إلى الحداثة في هذه الفئة المحورية أي فئة المراهقين : بناء مواطن ملتزم ومستقل ذاتيا. وسوف يعترض البعض بأن "المراهقين ليسوا فئة إشكالية" في البلدان العربية. فكلمة "مراهقة" تدل في اللغة العربية على الإعياء والجهد وكذلك على الانتقال من حالة عابرة يجب إلغاؤها سريعا للتوصل إلى حالة مستقرة.

تنطلق فرضية هذا البحث من أن المراهقة لا تتمظهر بالأشكال ذاتها في المجتمعات العربية التقليدية، إلا أنه على الرغم من ذلك وبسبب العولمة، ثمة اتجاه أكيد إلى إعادة إنتاج مظاهر الحداثة وتأكيدها. وهو ما يتجلى بشكل خاص في فترة العبور البيولوجي من الطفولة إلى الرشد.

إن المراهقين كمجموعة، هم شهـــود على ديمومـــة التقاليـــد وفاعلين فيهـــا في الوقت نفسه. وهم أيضا شهود على التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وانقلاب القيم، التي تشهدها حاليا المجتمعات العربية. وتعتبر هذه الفئة مؤشرا متميزا لدينامية التحديث والتغيير في العالم العربي.

### مقـــاربة تتطلـب معـــارف متعـــددة الاختصـــاصات

يمكن التطرق إلى موضوع المراهقة استنادا إلى أربعة أنواع من المقاربات على الأقل، يجب أن تتقاطع في المقابلات وفي تحليلها :

- **المقاربة السيكولوجية :** المراهقة بوصفها انتقالا وتغييرا وضعيا ومرحلة تعلم فردي، يبرز فيها الفرد بين الاندماج الاجتماعي وبناء الذات. ويتعلق الأمر بفترة "تأرجح" انتمائي ومرحلة مفصلية غالبا ما يتكوّن فيها الفرد من خلال التمرد والإبداع والتجديد.

(1) حررت هذه الوثيقة بناء على الاجتماع الذي عقد في شباط / فبراير 2001 بمركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، والمداخلة التي قدمها عماد مليتي خلال هذا الاجتماع تحت عنوان : "وضع المراهقين والمراهقات في المجتمعات العربية المعاصرة".

● التطلعات حول المستقبل والنظرة إلى المجتمع : المشاركة الاجتماعية والسياسية والدينية. الاستقلالية الاقتصادية، دور الشباب، وضع المرأة، الاختلاط...

**ملاحظة** : يمكن استعادة كل موضوعات هذه الأسئلة لدى استجواب المختصين.

أحصيت هذه الأسئلة على سبيل البيان للباحث المكلف بإجراء التحقيقات الميدانية. وغنيّ عن القول إن صياغتها يجب أن تتلاءم مع المحاور، وبأنسب الأشكال لحظة قيام العلاقة بين الباحث والشخص المستجوب. وبالطبع، يمكن ويجب إدراج أسئلة أخرى. غير أن الباحث يجب أن يحيلها إلى المنسق، في حال اتسمت بطابعها العام، لتدمج من قبل سائر االباحثين. ويجب أن تلحظ على هذا الصعيد "مراسلات" مستمرة بالبريد الإلكتروني بين المنسق والباحثين ميدانيا. ومن ثمة يحوّل المنسق، إن دعت الحاجة، المعلومات إلى لجنة الإشراف.

لا تهدف استمارة المقابلات إلى الحصول على أجوبة بالنفي أو الإيجاب، بل إلى استنطاق المراهقات والمراهقين حول موضوع ما، الأمر الذي يستدعي مرونة نسبية وليونة لحمل المستجوب على المصارحة حول "النواة الصلبة" التي يمثلها الموضوع المعالج في كل سؤال، إلا أنه من المستحسن، في انتقاء الأسئلة وإدارتها، عدم الابتعاد كثيرا عن البروتوكول الذي قامت بتوحيده لجنة الإشراف حفاظا على تجانس مجمل الأسئلة المطروحة في مختلف البلدان، ثم في البلد الواحد، ليتمكن الباحث، أثناء تحليله، من مقارنة أجوبة مختلفة عن النوع نفسه من الأسئلة.

## II- إعـــــادة بنـــــاء البيـــــانـــــات وتحليـــــلها

الموضوعات المقترحة لتحليل المقابلات الذي سيقوم به الباحثون المحليون.

يجب أولا التمهيد للتقرير حول التحقيقات الميدانية، عبر قراءات سريعة لوضع البلد :
● الإحصاءات الخاصة بفئة المراهقين.
● السياق التاريخي والقانوني. ويجب التطرق إلى التاريخ وتحديد قضية الشباب وفئة "المراهقين" في البعد الزمني لتاريخ البلد المعني.

يجب أن يكون الباحث قد قرأ، بصورة متزامنة، تدعيما لتحليله، مراجع ومقالات (يتراوح عددها بين 5 و10، ويقوم الباحث بتصنيفها) حول المراهقة (في قطاعات العمل والأسرة وأنماط العيش وسيكولوجيا الفرد والجماعة). كما يجب أن يكون قد قرأ واستعلم حول النظرة المحلية لقضية الشباب، ووضعهم القانوني والتشريعي والعرفي وحول الخطط والبرامج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المخصصة لهم والمؤسسات التي تشرف عليهم خلال هذه المرحلة. وتكون الموضوعات الرئيسة على الشكل الآتي :

1. السياسات الاجتماعية والبرامج العامة للشباب في كل بلد،
2. البنى التحتية العامة والخاصة الموضوعة بتصرف المراهقين.
3. الإطار القانوني المتعلق بالشباب والمراهقين،
4. المؤسسات الطبية والاجتماعية.

ويمكن إدراج بعض هذه القراءات في مستهل التقرير. وتذكر البيبليوغرافيا في نهايته.

● يحيل نص التقرير الوطني إلى أسئلة الاستمارة أو إلى أسئلة إضافية أخرى.

### 4. الانخراط في المجتمع والمشاريع الحياتية

الاندماج الاجتماعي، الفرد داخل الجماعة،
المدرسة والعمل،
التطلعات حول المستقبل والنظرة إلى المجتمع،
الاندماج والمشاركة في الحياة العامة، السياسة، الدين، الأزمات.
الانتساب إلى الحركة السياسية، إلى المنظمات غير الحكومية،
إدراك القيم المتفوقة (المال، الربح).

**• الأسئلة بحسب المواضيع (ملخص تحليلي للأسئلة المرفقة)**

يمكن أن يساعد الملخص التحليلي للأسئلة الباحث على الإحاطة بمجمل الأسئلة المطروحة لحظة إجراء المقابلة.

**مدخـــــــل :**

- كم تبلغ من العمر؟
- كم اخوة وأخوات لديك ؟
- ما هي مهنة أهلك، أبيك وأمك ؟
- هل ترتاد المدرسة، أم تتابع دراسة مهنية، أم غيرها ؟

### 1. تكلم عن نفسك (الهويات الشخصية، تصور الذات)

- صورة الذات : المحطات القوية في حياتك، صفاتك وعيوبك، صورتك المظهرية والاجتماعية.

انخراطك في الحياة، ومفهومك للسلطة والحب والجنس، البلوغ، العلاقات الغرامية، الرغبة الجنسية، الزواج، رأيك ورأي والديك، الشريك المثالي.

### 2. تكلم عن عائلتك (العلاقة بالأهل، الموروثات، القطيعة، والتدرب على حياة الراشدين)

- العلاقات ضمن العائلة : أهمية كل عضو بالنسبة لك، دور الفتيات ودور الفتيان،
- الرقابة العائلية وإثبات الذات، رقابة الأهل، التواصل معهم، الحيز الشخصي اليومي،
- النزاعات مع الأهل ومع الآخرين. وكيف تفرض نفسك ؟
- الموروث العائلي.

### 3. تكلم عن أذواقك، أصدقاءك، نشاطاتك الترفيهية (الثقافة والارتباط بالجماعة)

- السلوكيات في مجال الترفيه والموسيقى، وسائل الاعلام، الرياضة، الطعام، والمؤهلات الفكرية والصحية،
- المجموعات الشبابية ومساحات المخالطة الاجتماعية : الأماكن والمجموعات التي تختلط بها، العلاقات في مجال الترفيه، علاقات الصداقة، و/أو علاقات الغرام بين الفتيات والفتيان.

### 4. تكلم عن انخراطك في المجتمع وفي العمل، عن مشاريعك الحياتية والمستقبلية

- الدراسة والخيار الدراسي : المسيرة الدراسية، دور الأهل، فكرة النجاح والمشاريع المستقبلية. للعاملات والعاملين : المنهج والمسيرة المهنية،
- دور المدرسين في حياتك ومن ثمة النزاعات المحتملة،

(2) أنظر المداخلة المذكورة آنفا.

تتألف الدراسات المونوغرافية لكل بلد من 50 إلى 60 صفحة على أقل تقدير. وفور استقاء البيانات، يجب عقد اجتماع مع الباحثين لتوحيد ملخص دراسة كل بلد قدر الإمكان، دون "اختزال" الخصوصيات.

وفي مرحلة ثانية، يتطلب الأمر تحرير حصيلة مقارنة للدراسات المونوغرافية في مجمل البلدان وإجراء دراسة تستعرض الدراسات المونوغرافية الخمس أو الست. ويخص هذا العمل تحديدا أعضاء لجنة الإشراف. وبالطبع، تتألف هذه الحصيلة من "اقتباسات" كثيرة مأخوذة من الدراسات المونوغرافية، إلا أن المقاربة العامة المقارنة يجب أن تركز بمزيد من التفصيل على أوجه الاختلاف والشبه بين مختلف البلدان. ويقوم التحليل المستعرض المقارن لكل بلد، الذي تقوم به لجنة الإشراف بتبيان ما يلي :

1. التنوعات الاجتماعية في تصور المراهقة، ثم الإمكانات التي تكرسها المؤسسات في كل بلد من هذه البلدان "لدمج" شبابها،
2. المجموعة العمرية "المراهقة " بوصفها فئة قائمة اجتماعيا. إعادة تحديد مصطلحات جوهرية على غرار تحديث وفردنة وصراع الأجيال والتغير والتحول الاجتماعي، ثم التمدين والمثاقفة،
3. جسور مقارنة مع توضيح هذه الاختلافات بواسطة منطقيات المجتمع.

● **وفي الختام**، يلجأ تحليل البيانات إلى المقاربة النوعية.

تسمح المقاربة النوعية بإبراز المنطقيات المسارية وتقويم التصورات ونظم القيم والكشف عن المواقف والمشاعر. المراهقة مرحلة من مراحل الحياة يحتاج فيها المرء إلى التعبير وتصبح الكلمة فيها فعلا تحريريا. وبالتالي، ينصح بإدراج منهجية التحقيق الميداني في هذا الاتجاه. تجمع هذه المقاربة طرائق مختلفة معتمدة في العلوم الاجتماعية :

- **التحليل الثقافي البيني** : نظم القيم والثقافات المجتمعية.
- **التصورات :** دراسة التصورات بوصفها "نظاما" تأويليا يحكم علاقتنا بالعالم وبالآخرين ويوجه وينظم أشكال السلوك والتواصل الاجتماعية (Jodelet) ويقدم لنا معلومات عن الهويات الفردية والجماعية ونظم القيم والمعتقدات، ثم عن استباق الأفعال اللاحقة كما يخطط لها الأفراد.
- **السير الحياتية :** قد تعكس سيرة الحياة الفردية سيرة الحياة الجماعية. فسرد الحياة يختلف عن سيرة الحياة التي تستعيد مسارا يشمل ما قبل، وما بعد، و"حاليا "، نظرا لأن المراهقة فترة قصيرة للغاية في الحياة. ويقتضي سرد الحياة التشديد في كل مقابلة على النواة الأساسية لحياة المراهقة والمراهق، ما يشكل فرادة قصته، الأحداث البارزة، لحظات القطيعة...
- **المقاربة المقارنة :** الدراسة المقارنة لعدد من البلدان من أجل اكتشاف الثوابت والاختلافات السياقية. مقارنة التفكير الجاري حول مفهوم "المراهق " بين البلدان العربية، وكذلك بالنظر إلى المجتمعات الأوروبية.

## اختيار الأشخاص الذين يشملهم البحث الميداني

يجب التشديد على أن الأمر يتعلق بدراسة بحثية تجريبية ترمي إلى الإحاطة بالوضع التطوري لمرحلة عمرية تأتي بين الطفولة والرشد وتتشكل بين التقاليد والحداثة من جهة، وإلى وضع منهجية للقيام بدراسات مقارنة حول موضوعات حساسة في العديد من بلدان العالم العربي، من جهة أخرى. ويتعلق الأمر بعرض آراء مجتمعات دون شمولية كمية. ويستدعي ذلك القيام بما يلي :

● استهداف المراهقات والمراهقين معا. ويستحسن عدم الفصل بين الذكور والإناث لئلا تتحول المراهقات إلى موضوع بحثي خاص، لا سيما أن التحديدات في هذه السن متكاملة.

كما سبق وقيل عن الاستمارة، يمكن صياغة الموضوعات المذكورة أدناه وتحليلها بصورة مختلفة. ولا شك أن الباحثين سوف "يجدون" موضوعات أخرى أثناء عملهم. إلا أن الأمر يتطلب تجانسا، على غرار تسلسل المقابلة، ويجب أن ترد هذه الموضوعات، بشكل أو بآخر، في التقرير المونوغرافي الوطني، من أجل :

**1.** الوقوف على أشكال خرق القوانين، أشكال الانحراف المميزة للمراهقة : تصورات النزاع والمواجهة. القيام بتصنيف حسب الأنواع. ربط الانحراف بمستوى قدرات الاستيعاب الديمقراطي في المجتمع. على سبيل المثال، تنوع فكرة الانحراف بالنسبة إلى القوانين الاجتماعية (الطلاق مثلا ).

**2.** التحقق من أن ما يحدد المراهقة ليس مرحلة عمرية فحسب، بل موقع التباعد عن الذات والآخرين معا، الحالات النزاعية، النظرة إلى الذات وإلى قيمتها ومظهرها الخارجي.

**3.** إبراز قوة التفكير من ناحية التجديد وإمكانية الإبداع لدى المراهقات والمراهقين، تحديد الرابط البنيوي بين المراهقة وتنمية الإبداع والتجديد الاجتماعي، النظر إلى المراهقة كطريقة للقيام بخيارات في مجتمعات تتحرك.

**4.** التوصل إلى أن ما يميز المراهقة هو اختلاف النماذج وتعددها، إعادة اكتشاف النموذج الديني مثلا، المتأثر بوجود شخصيات من الماضي يصار إلى تبجيلها وتعظيم شأنها، النموذج الديني للجوامع.

**5.** دراسة موقف المراهقين إزاء أهلهم وتطور العلاقات الأسرية حول هذه المرحلة الانتقالية، الرقابة الأبوية والخلافات. ثم دراسة موقف المراهقين أمام المهن المرتبطة بالشباب (أطباء، أخصائيون في علم النفس، مربون، مؤهلون، رجال قانون...).

**6.** الإشارة إلى القيم الحداثوية لبروز الفرد وبناء الذات، العلاقة بين قيم الفرد وقيم الجماعات وشبكة العلاقات التي تحصر الفرد داخل الجماعة، العلاقة بين القيم الفردية والاستقلالية الذاتية، وتمديد أو تأكيد الفئة العمرية للمراهقة.

**سـؤال :** هل ثمة عوامل اجتماعية لتمديد المراهقة، تتدخل فيها استراتيجيات متنوعة من تباين وتشتت الخيارات التي تميز الدخول إلى عالم الراشدين؟

**7.** المراهقون والتواصل. من خلال قواعد اللباس والموسيقى والدين، المراهقون ووسائل الإعلام.

**8.** رصد التغيرات التدريجية في العلاقات بين الرجال والنساء، أشكال " العلمنة "، العلاقات الجنسية. التصورات حول الجنس والحب. النظرة إلى الزواج.

**9.** تحديد أماكن اللقاءات والمخالطة الاجتماعية ومنها المدرسة والجامعة الحاملة لهوية جماعية. فضاءات المراهقين التابعة للجامعة، أشكال التضامن والعشائرية. الشباب والحفلات.

**10.** تبيان أشكال الدراسة والتحصيل المهني. مسألة الإرشاد المدرسي، ثم سن تعلم مهنة. دور المدرسة. المرحلة الدراسية التي غالبا ما تتميز بعزوف كبير عن متابعة الدراسة.

**11.** الوقوف على وضعيات أخرى كالبطالة، وآفاق التوجيه والإقصاء المهني. مخاطر البطالة، "الصدع " الاجتماعي كما يدعوه العالم الصناعي.

**12.** تصور المستقبل ومشروع الفتاة المراهقة في ما يتعلق بدورها في المجتمع وأفكارها حول النجاح والطموح ورغبتها في الانخراط الاجتماعي وعلاقاتها بالاندماج في الحياة الاقتصادية والمال.

التأكيد على عدم وجود مراهقة نموذجية، بل مراهقات وتنوع هائل حسب البيئات الاجتماعية. ويجب أن يقدم التقرير تصنيفا لأنواعهن. أثناء التحليل، يمكن أن يحاول الباحث إعادة تشكيل سلوكيات مميزة، و"منطقيات سلوكية ". على سبيل المثال : النوع الذي يخرق القوانين ويتمايز، النوع الذي ينساق سلبيا ويترقب، المراهقة الساعية إلى الاندماج ...

لا يمكن للعينة النوعية، نظرا لضيق الوقت والميزانية، أن تشمل مراهقات يتوزعن على كل أنحاء البلاد في حالة البلدان ذات المساحة الكبيرة. ويجب إجراء المقابلات في منطقة واحدة أو أكثر، تكون العاصمة وضواحيها في أغلب الأحيان (أي تشمل المدينة والريف معا)، ولكن على أن تكون تمثيلية بما يكفي لمجمل البلد. غير أن لا شيء يمنع فريق البحث، في حال توافرت الإمكانية والوقت في الميزانية المخصصة، أو الفرصة، من إجراء مقابلات في مناطق جغرافية محلية أخرى تعتبر تمثيلية بصورة خاصة "لنوع" من المراهقين. فالهدف هو الإحاطة بتنوع نماذج المراهقة حسب مختلف البيئات الاجتماعية والجغرافية، لا مجرد تغطية جزئية لنماذج المراهقين المدينين في العواصم.

## مواصفات الباحث الميداني وتقنيات المقابلة

**شخصية وكفاءات الباحث الميداني:**

يحدد لكل بلد الباحثون الذين يجرون التحقيقات الميدانية ويتولون تحليلها، على أن يكون عددهم اثنين مع إمكانية استعانتهم، عند الحاجة، وحسب ميزانيتهم، بشخص ثالث مكلف بإحصاء الجوانب المؤسساتية والاجتماعية والاقتصادية للسياق المحلي. ويستحسن أن يقوم الباحث الميداني بالتحليل تلافيا لحدوث قطيعة بين الإجراءين. ويجب أن يتحلى الباحث الميداني، من ضمن كفاءاته، بما يلي :

- الكتمان والتواضع،
- فكر نقدي وتحليلي جيد على حد سواء، وقدرة على التصويب،
- عدم السعي إلى التواطؤ أو "التواصل" مع الشخص الذي يحاوره، ولا يجب أن تكون المقابلة عبارة عن دردشة بين " صديقين "،
- عدم الإفراط في اليقين أو الأفكار المسبقة،
- إجادة التحرير.

## إجراء المقابلة

كما رأينا سابقا، تكون الأسئلة منطلقات ترمي إلى "استنطاق" المستجوب حول هذه الموضوعات، مع " التركيز" مثلا على فكرة يبدو أنه قادر على تعميقها، إنما دون الابتعاد عن الهدف الأساسي. وقد تنشأ صعوبة في حث المستجوب على الكلام. البعض يكون خجولا" أو لا يملك الكثير من المعلومات. يجب أن تستغرق المقابلة 90 دقيقة على الأقل. ويجب في بعض الأحيان أخذ استراحة، إذ قد يشعر الشخص بأنه مضطهد، وخاصة عندما ينشأ خلل في التواصل بين الباحث والمستجوب.

**من العناصر الهامة :** اختيار المكان، أن لا تجرى المقابلة بحضور شخص آخر إلا في حال اضطلع هذا الشخص بدور المطمئن.

يجب بالتالي أن يجيد الباحث الميداني التكيف والاكتشاف مع " التحكم في قواعد اللعبة "، وعدم الانسياق وراء رغبة محاوره. وغالبا ما يجب إتباع الأسئلة بلماذا؟ أو بإشارة لغوية أو جسدية (ابتسامة، دهشة...) تسمح للآخر بالاستفاضة في الكلام. ثم يجب أن يجيد الباحث استدراج المستجوب للكلام باعتماد مداخل غير مباشرة وتحاشي بعض الأسئلة، لا سيما تلك المتعلقة بالجنس. كما يمكن اعتماد تقنيات غير مباشرة للتوصل إلى إجابات عن الاسئلة : طرح أسئلة عن أصدقائه مثلا"... ويجب أن يوجد الباحث علاقة ثقة مع محاوره إنما دون الإفراط في تأييده أو إرشاده.

يجب أن تدوم المقابلات من ساعة إلى ساعتين أو أكثر. ويجب تسجيلها (إلا في الحالات الاستثنائية)، إنما، لا يجب، في مطلق الأحوال، أن يعتمد الباحث على "ذاكرته" ويمكن ، إن دعت الحاجة، التفكير في مبدأ مقابلة إضافية مع الشخص نفسه.

● إفساح المجال للأهل وللمختصين في الدراسة. يمكن في بعض الحالات اختيار ومقابلة أحد الأبوين، ومدرس، وأخصائي في علم النفس، على سبيل المثال.

● تبيان تنوع الآراء حول المراهقة، ثم منطقياتها، أي الحرص لدى اختيار العينة على عدم إغفال ما يلي : الحالات القصوى والانتماءات الدينية المختلفة أو الإتنية، إن وجدت. وكذلك عدم إغفال الناشطين في مجموعات سياسية أو نواد وجمعيات.

تتقاطع في بناء العينة المؤشرات التالية :

- المحيط الاجتماعي والمهني للأهل،
- الانتماء إلى الريف أو المدينة، الأحياء الشعبية أو السكنية، الطبقات الوسطى، العليا...
- مستوى التعليم والدراسة ونوع الانخراط في الحياة المهنية،
- الموقع الشخصي من التراث والحداثة،
- الترتيب في الأسرة ( الأكبر، الأوسط، الأصغر، عدد الاخوة والأخوات وتوزيعهم )
- علامات تكيف خاصة (انكفاء على الذات، النشاط داخل المجموعة، صعوبات في الاندماج ...)

تتم مقابلة 20 مراهقا في كل بلد، 13 فتاة (أو 14) و7 فتيان (أو6) تتراوح أعمارهم بين 15 و 18 عاما، على أساس المؤشرات التالية :

- ارتياد المدرسة في المدينة،
- ارتياد المدرسة في الريف،
- متابعة دراسة مهنية، أو ممارسة عمل في المدينة،
- متابعة دراسة مهنية، أو ممارسة عمل في الريف،
- الطبقات الوسطى،
- الفئات الميسورة من السكان،
- طبقات العمال والحرفيين.

يصار إلى تقاطع هذه المؤشرات دون السعي لتقاطع مفصل وشامل.

يتم اختيار 10 مختصين، من ضمنهم أهل بعض المراهقين، للحفاظ على السياق المنطقي للمقابلة، وذلك في المجالات التالية :

- الصحة،
- التعليم،
- المنشطون والمربون المختصون،
- أخصائيون في علم النفس وأطباء نفسيون،
- مدربون مهنيون،
- غيرهم من المختصين في الطفولة ( صحافيون، فنانون، شعراء ...).

يؤدي هؤلاء المختصون دورا "فاعلا" ينمو بعملهم أو بعلاقاتهم العائلية في عالم المراهقة. على الباحثين تحليل آرائهم وعروضهم عن المراهقة ووضع نموذج وفق منطقهم المهني على سبيل المثال. بالنسبة إلى المراهقين المتدربين في مهنة ما، يمكن الاستعانة بعاملين أو حرفيين. المنظمات غير الحكومية أو المسؤولون المشاركون يمثلون جزءا من هؤلاء المختصين.

- كيف تنظر إلى السلطة، ومن يمثلها برأيك، ولماذا يكتسب الامتثال لها أهمية بنظرك ؟
- في بعض البلدان أو بعض الأوضاع، ترتدي النساء والفتيات الحجاب، كيف تنظر إلى هذا الأمر؟

**● الحب والجنس، البلوغ، العلاقات الغرامية، الرغبة الجنسية**

- هل تحتفظ بذكريات عن بلوغك، والتحولات التي أصابت جسدك ؟ ما هي ؟ وما هي انطباعاتك الحميمة؟
- هل يمكنك الحديث عن الجنس، وكيف تحدد الجنس الذكوري، وبماذا يختلف عن الجنس الأنثوي؟
- كيف تنظر إلى العلاقات الغرامية أو الصداقة مع الجنس الآخر ؟
- هل عشت شخصيا علاقة غرامية ؟ وهل يمكن أن تحدثنا عنها ؟
- هل سبق أن كنت في مرحلة من مراحل حياتك موضع رغبة جنسية من قبل شخص بالغ أو أحدهم في محيطك ؟ وفي أي ظروف جرى ذلك ؟ وكيف عشت هذه التجربة ؟

**● الزواج : رأيك ورأي والديك، الشريك المثالي**

- هل تعتقد أن لرأي والديك أهمية في اختيار زوجك لاحقا ؟ ولماذا ؟
- هل طرحت مسألة الزواج بالنسبة إليك ؟ وفي أي ظروف ؟
- كيف ترى الزوجة المثالية ؟ أذكر بعض المميزات واشرح.

**ملاحظة :** يمكن استعادة كل موضوعات هذه الأسئلة لدى استجواب المختصين.

## 2. تكلم عن عائلتك (العلاقة بالأهل، الموروثات، القطيعة، والتدرب على حياة الراشدين)

**● العلاقات ضمن العائلة : أهمية كل عضو بالنسبة إليك، دور الفتيات ودور الفتيان**

- ما هو ترتيبك بين إخوتك وأخواتك؟ هل تربطك بهم علاقات سهلة أم شائكة ؟ كيف تحدد موقعك وسط إخوتك ؟
- ما هي الأدوار التي قام بها أبوك وأمك، إخوتك وأخواتك، جدك وجدتك أو غيرهم من الأقارب أو الجيران في مسيرة حياتك حتى اليوم ؟
- هل تعتقد أن الإناث في أسرتك يعاملن كالذكور ؟ إدعم جوابك بالحجج.
- هل تتحملين أعباء الأعمال المنزلية، واخوتك الذكور ماذا يفعلون ؟

**● الرقابة العائلية وإثبات الذات : رقابة الأهل، التواصل معهم، الحيز الشخصي اليومي**

- هل يعبث أهلك بأغراضك، ويقرأون رسائلك، ويجيبون عن الهاتف بدلا منك، ويراقبون صداقاتك ؟
- إذا كان أهلك يمارسون عليك رقابة شديدة، فكيف يمارسونها ؟
- هل أنت مجبرة على التحدث عن نشاطاتك، وعلاقاتك، ومشاريعك... إلى أهلك ؟
- هل يراقب أهلك مظهرك ( الثياب، التسريحة التبرج...)
- هل تملك حيزا خاصا ( غرفة، خزانة...) ؟

**● النزاعات مع الأهل ومع الآخرين، وكيف تفرض نفسك ؟**

- هل ثمة مواضيع خلافية بينك وبين أهلك، وما هي ؟ كيف تعيشها ؟ تحدث عنها.
- هل تحمل هذه الخلافات أهلك على ممارسة العنف ضدك ؟ وكيف ؟
- عادة، متى شعرت بالحاجة للبوح والمصارحة، من تفضل مصارحته ؟ ولماذا ؟
- هل تعتبر نفسك "مختلفا " عن محيطك، بل معارضا ؟ هل تحتاج إلى "فرض" نفسك ؟ هل تعتقد أن الآخرين يتفهمونك ؟

يسهل إجراء بعض المقابلات جماعيا. وتكمن أهمية المقابلات الجماعية في التعرف إلى عقلية المراهقين والاستفادة من المجموعات التي تشكلت لإجراء المقابلات. إلا أن المقابلة، سواء كانت فردية أو جماعية، تحتسب كمقابلة واحدة. فعلى سبيل المثال، من غير الوارد أن توزع عينة الدراسة ( 25 شخصا ) على خمس مقابلات لخمسة أشخاص، ونقترح اللجوء إلى المقابلات الجماعية كإجراء إضافي داعم للمقابلات الفردية وليس بديلا عنها.

يمكن إجراء المقابلة في المنزل، أو في مؤسسة أو في مكان آخر. ولا ينصح إطلاقا إجراؤها بحضور الأهل. ويعود القرار للباحث حسب الإمكانيات المتاحة، ولكنه يجب أن يحدد لكل مقابلة خياره أو يعمد إلى تبريره.

بعد انتهاء كل مقابلة، ودون انتظار "نسيانها"، يجب أن يستعيد الباحث، والأفضل أن يستعين بالحاسوب، المقابلة التي أجراها مع ذكر الأجوبة المرفقة بالسؤال المطروح، ثم يدوّن تعليقاته وتحليلاته الأولية. ومن الأهمية بمكان أن يسبق هذه المقابلة ببعض التحليلات الشخصية حول وصف مكانها والظروف التي جرت فيها وحول الأشخاص الذين كانوا حاضرين وتقديراته حول شخصية المراهقة و المراهق وهندامهما ومدى انخراطهما في المقابلة وموقفهما من الباحث.

## دليـــــــل المقـــــــابلة

**ملاحظة هامة : يجب على الباحث أن يلتزم بمضمون هذه الأسئلة كحد أدنى. ولكن بإمكانه أن يضيف إليها أسئلة أخرى حسب خصائص البلد. كما عليه أن يصوغها بلغته الخاصة وبالأسلوب الأفضل لمخاطبة المراهق المقابل. وأخيرا بإمكانه أن يغير ترتيب الموضوعات حسب ما يراه ضروريا ولضرورات عدم قطع سياق العرض الذي يقوم به المراهق والذي يجب أن يعطى الأولوية.**

**مدخـــــــــل :**

- كم تبلغ من العمر؟
- كم اخوة وأخوات لديك؟
- ما هي مهنة أهلك، أبيك وأمك؟
- هل ترتاد المدرسة، أم تتابع دراسة مهنية، أم غيرها؟

### 1. تكلم عن نفسك (الهويات الشخصية، تصور الذات)

● **صورة الذات : المحطات القوية في حياتك، صفاتك وعيوبك، صورتك المظهرية والاجتماعية**

- هل ثمة حدث أو أحداث في حياتك أثرت فيك بشكل خاص واحتفظت عنها بذكرى لا تنسى؟ صفها واذكر السبب.
- ما هي الميزات الأساسية التي تنسب إليك عموما ؟ وهل تطابق صورتك عن نفسك؟ لماذا؟
- ما هي، بنظرك، أبرز صفاتك وأعظم عيوبك؟
- كيف تجد نفسك هيئة وشكلا؟
- كيف تجد نفسك اجتماعيا وفي علاقاتك مع الآخرين؟

● **انخراطك في الحياة ومفهومك للسلطة**

- هل ترغب في الانخراط في أنشطة هامة والقيام بمبادرات لا تخلو من المجازفة والدفاع عن قضايا أو أمور تستهويك؟ إذا كان الجواب نعم، فما هي؟ بمفردك أم مع الآخرين؟ إذا كان الجواب لا، فلماذا؟

## 4. تكلم عن انخراطك في المجتمع وفي العمل، عن مشاريعك الحياتية والمستقبلية

**الدراسة والخيار الدراسي : المسيرة الدراسية، دور الأهل، فكرة النجاح والمشاريع المستقبلية. للعاملات والعاملين : المنهج والمسيرة المهنية**

- ما هي الدراسة التي تتابعها ؟ هل هي سهلة أم صعبة ؟ ولماذا ؟ كيف تسير دراستك حتى اليوم، وهل بوسعك التعليق على أهم مراحلها ؟
- كيف تحدد الخيارات المتعلقة بدراستك ( بمفردك أم يقررها الأهل، بالتشاور معك) ؟
- هل للنجاح المدرسي أهمية عندك ؟ لماذا ؟
- ما هي الدراسة والمهنة التي ترغب في متابعتها وممارستها في المستقبل ؟ وما هو رأي الأهل في خيارك ؟
- ما هو العمل الذي تمارسه، وهل أنت راض عنه، ولماذا ؟
- ماذا كان مسارك وتوجهك وتأهيلك بهذا الاتجاه ؟
- ما هي مشاريعك للنجاح المهني ؟ وما هي طموحاتك في هذا المجال ؟ اشرح...
- ما هو الموقع الذي يحتله العمل في حياتك ؟

**• دور المدرسين في حياتك ومن ثمة النزاعات المحتملة**

- هل صادفت خلال مرحلة الدراسة مدرسين كان لشخصيتهم تأثير خاص فيك ؟
- هل نشأت خلافات بينك وبين بعض المدرسين ؟ هل يتدخل الأهل ؟
- كيف ترى مسألة الاختلاط والتقارب بين الفتيات والفتيان في المدرسة ؟
- هل هناك نزاعات في المدرسة ضمن محيطك (تدخين، مخدرات، عنف، تشرد...)

**• التطلعات حول المستقبل والنظرة إلى المجتمع : المشاركة الاجتماعية والسياسية والدينية. الاستقلالية الاقتصادية، المال، دور الشباب، وضع المرأة، الاختلاط**

- هل تعتقد أن بنى دعم الشباب (مساكن أو مراكز للشباب، مدارس، جمعيات، مبادرات عامة أو خاصة...) كافية ؟ كيف تقيم فعاليتها ؟ وماذا تقترح في هذا الشأن ؟
- هل تنتمي أو ترغب في الانتماء إلى حركات سياسية، دينية، منظمات غير حكومية، أو غيرها، ولماذا ؟
- هل يكتسي الدين أهمية بالنسبة إليك ؟ لماذا ؟ اشرح.
- هل لديك صلات بمنظمات غير حكومية أو غيرها ؟ لماذا ؟
- ما رأيك بالحروب التي تدور في الجوار؟ هل هذه "النزاعات" برأيك إيجابية أم سلبية ؟ وما هو الدور الذي ترغب في الاضطلاع به فيها ؟
- المال : هل تكسب مالا ؟ من يمنحك المال ؟ ماذا تفعل به ؟ هل تتمتع بحرية إنفاقه كما تشاء؟ لو كنت تملك مبلغا كبيرا من المال، ماذا تفعل به ؟
- ماذا تعني لك السعادة والنجاح في الحياة ؟
- ما الدور الذي يلعبه الشباب في مجتمع الغد ؟
- كيف تنظر إلى دورك في المستقبل كأم (أو أب) وإلى تطور وظيفة الأهل؟
- كيف ترى وضع النساء في بلدك ؟ علل جوابك.
- هل تجذبك أو تؤثر فيك المفاهيم "الغربية" الجديدة للحب : المساواة بين الجنسين، العلاقة الحرة، الطلاق...
- لو تسنى لك أن تزور بلدا، فأي البلدان تختار ولماذا ؟

- ما هي في نظرك أهمية مثل هذه الدراسة عن المراهقات في بلدك، وفي العالم العربي ؟

● **الموروث العائلي**

ما الذي تلقيته وتعلمته من والديك و/أو من المقربين في العائلة (أجداد، أعمام، أخوال ...).
ويمكن استعادة كل موضوعات هذه الأسئلة لدى استجواب المختصين.

**خاص بالمختصين :**

- هل يمكن أن تحدثنا عن السلوكيات الأسرية للمراهقين في محيطك ؟ علاقاتهم بأهاليهم وبالموروث الديني. السلوكيات التطبيعية، أو المنحرفة، أو المعارضة ؟
- هل تلمس وجود ما يسمى بصراع الأجيال، ولماذا ؟
- ماذا تسعى لتلقينهم بالدرجة الأولى ؟

## 3. تكلم عن أذواقك، أصدقائك، نشاطاتك الترفيهية (الثقافة والارتباط بالجماعة)

● **السلوكيات في مجال الترفيه والموسيقى، وسائل الإعلام ، الرياضة، الطعام، والمؤهلات الفكرية والصحية**

- ما هي أذواقك في مجال الترفيه ؟ وما هي المكانة التي تحتلها الموسيقى والسينما في حياتك؟
- هل تتابع وسائل الإعلام، هل تهتم بنشرات الأخبار التلفزيونية وبالأفلام التي تعرض على شاشة التلفاز أو في الصالات ؟
- هل تطالع صحفا أو كتبا ؟ لماذا ؟
- هل تجيد استعمال الحاسوب ؟ هل أنت ملم بالإنترنت ؟ ما الذي حققه أو قد يحققه لك ؟
- في مجال التغذية، ماذا تأكل وما هي أذواقك ؟ هل تعتبر أن ذوقك قد تطور منذ بعض السنوات، لماذا ؟
- هل للثياب والزي الخارجي أهمية عندك ؟ هل تساير الموضة ؟
هل تمارس نشاطا رياضيا ؟ وهل تهتم بالرياضة البدنية ؟
- هل سبق أن اتصلت بأطباء مختصين وأخصائيين في علم النفس، ومربين ؟ في أي ظروف، وماذا استفدت ؟

● **المجموعات الشبابية ومساحات المخالطة الاجتماعية : الأماكن والمجموعات التي تختلط بها، العلاقات في مجال الترفيه، علاقات الصداقة، و/أو علاقات الغرام بين الفتيات والفتيان**

- حدثني عن الوقت الذي تقضيه خارج المنزل : هل يسمح لك أهلك الخروج بمفردك مع أصدقائك وصديقاتك، مع أحد الأقارب، وما هي الأماكن التي يسمح لك بارتيادها ؟
- هل تنتمي إلى مجموعة أو "شلة" أو جماعة من الشباب في سنك، وفي أي مناسبات ؟ أين تجتمعون ( أماكن عامة، أماكن خاصة ) ولأي غرض ؟
- ما هي مواصفات سلوك المجموعات التي تنتمي إليها أو التي تلاحظها ؟ (التدخين، المخدرات، العنف، التشرد على سبيل المثال...)
- هل تحب أن تعيش وحدك أم مع أهلك ؟
- هل لديك أصدقاء وصديقات حقيقيون ؟ هل تبوح بأسرارك لآخرين في سنك ؟ فتيانا وفتيات ؟ لماذا ؟ بماذا تتشاركون ؟
- هل يمكن أن تقارن اهتماماتك باهتمامات مجموعة من الفتيان ( أو الفتيات ) ؟

**ملاحظة** : يمكن استعادة كل موضوعات هذه الأسئلة لدى استجواب المختصين.

- مانغويل (آلبرتو)، تاريخ القراءة، ترجمة سامي شمعون، دار الساقي، بيروت، 2001.
- المسح التونسي لصحة الأسرة، التقرير الرئيسي، جامعة الدول العربية- المشروع العربي لصحة الأسرة ووزارة الصحة العمومية التونسية- الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري، تونس، سبتمبر 2002.
- مسح صحة الأسرة في الجمهورية العربية السورية، التقرير الأولي، رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للإحصاء، جامعة الدول العربية، 2002.
- المسح الديمغرافي اليمني. الدورة الأولى، 1992/1991.
- باقر (محمد حسين)، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، قياس الفقر في دول اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، 1996.
- قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.
- مشكلات الشباب التربوية والاجتماعية والصحة الإنجابية، مشروع التربية السكانية، سوريا، 2000.
- معارف واتجاهات وسلوك الشباب في مجالات الصحة الإنجابية، سلسلة تقارير حول السكان والتنمية، وحدة البحوث والدراسات والتنمية، جامعة الدول العربية، تونس، مارس 2002.
- مجلة إذاعات الدول العربية، عدد 1، اتحاد إذاعات الدول العربية، 2002.
- شباب فلسطين : واقع وأرقام، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ديسمبر- كانون الأول 2003.
- وضع الأطفال في لبنان 2000، إدارة الإحصاء المركزي، منظمة الأمم المتحدة للطفولة، بيروت 2003.
- يعقوب (غسان) ويعقوب (ليلى دمعة)، سيكولوجيا النمو عند المراهق، ج1، دار النهار للنشر، بيروت.
- يماني (مي)، هويات متغيرة : تحدي الجيل الجديد في السعودية، ترجمة إبراهيم درويش، دار رياض الريكس للكتب والنشر، بيروت، 2001.


## باللّغتيـن الفرنسيّـــة والإنجليزيّـــة


* Aajuriaguerra (J. de), Manuel de psychtrie de l'enfant. 2 ème édition. 2 ème tirage, Masson, Paris, New York, Barcelone, Milan, 1977.
* Ariès (Ph), L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime, Paris, Seuil, 1973.
* Berger (P), Luckman (T), La construction sociale de la réalité, Paris, Méridiens/ Klincksieck, 1989.
* Bouhdiba (A.W), La sexualité en Islam, , Paris, PUF, 1972.
* Castel (R), Haroche (C), Propriété privée, propriété sociale, propriété de soi, Paris, Fayard, 2001.
* CERED, L'adolescence en question : Analyse des résultats de l'enquête sur les adolescents en milieu urbain, 2000.
* Clemence (A), Rochat (F), Cortolezzis (C), Dumont (P), Egloff (M), Kaiser (C), Scolarité et adolescence : Les motifs de l'insécurité, Haupt - Bern, 2001
* Corm (G), Le nouveau désordre économique mondial, aux racines des échecs du developpement, Paris, La Découverte/essai, 1993.
* Cyrulnik (B), Les nourritures affectives, Paris, Odile Jacob, 2000.
* Cyrulnik (B), Sous le signe du lien, Paris, Hachette, 1989.
* Cyrulnik (B), Un merveilleux malheur, Paris, Odile Jacob, 1999.
* Douglas (M), De la Souillure, étude sur la notion de pollution et de tabou, Paris, La Découverte,1992.
* Duby (F) et Ariès (S-D de), Histoire de la vie privée, Tomes 3 et 5, Paris, Seuil, 1985-1987.
* Durand (G), Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, Durand, 1992.
* Faucheux (C) Psychologie Sociale théorique et expérimentale, Paris, Maloine, 1971.
* Foucault (M), Histoire de la sexualité, 3- Le souci de soi, Paris, Gallimard, 1984.
* Giddens (A), La constitution de la Société, Paris, PUF, 1987.
* Goffman (E), La mise en scène de la vie quotidienne, 1- la représentation de soi, Paris, Minuit, 1973.
* Hobsbaum (E), L'âge des extrêmes, Histoire du court XXème siècle. ed Complexe. 1999

# ملحق 3

# بيبليوغرافيا التقرير الإقليمي

## باللّغة العربيّة


- أمين (سمير)، نقد روح العصر، دار الفارابي، بيروت، 1998.
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، مقدمة العلامة ابن خلدون، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 4، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الاستشارة الشبابية الموسعة حول تونس القرن21، "تونس تصغي إلى شبابها"، وزارة الشباب والطفولة والرياضة، تونس، 2000.
- الانتقال إلى مرحلة النضج : مسح قومي حول النشء في مصر، مجلس السكان الدولي- المكتب الإقليمي لمنطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا، مركز البحوث الاجتماعية - الجامعة الأميركية في القاهرة، المعهد العالي للصحة العامة- جامعة الإسكندرية، قسم الصحة العامة وطب المجتمع - جامعة أسيوط، ط2، القاهرة، 2001.
- باقر (محمد حسين)، قياس التنمية البشرية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 1997.
- بركات (حليم)، المجتمع العربي في القرن العشرين : بحث في تغير الأحوال، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
- بركات (حليم)، المجتمع العربي المعاصر : بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 7، 2001.
- البيئة المدرسية في مصر : تحليل حالة المدارس الإعدادية الحكومية، مجلس السكان الدولي، المكتب الإقليمي لمنطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا، مركز البحوث الاجتماعية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 2000.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2002، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي.
- تقرير التنمية البشرية للعام 2002، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- تقرير تنمية المرأة العربية الأول حول "العولمة والنوع الاجتماعي : المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية"، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث "كوثر"، 2001.
- حطب (زهير)، أنماط الأسر العربية، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر نحو استراتيجية الأسرة العربية، الدوحة 8 جانفي-يناير 2003.
- روسو (جان جاك)، إميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، 1956.
- الزيدي (المنجي)، مقدمات لسوسيولوجيا الشباب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 3 يناير-مارس 2002.
- شرابي (هشام)، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 1993.
- عبد الله (أحمد)، قضية الشباب مصريا وعربيا وإسلاميا ودوليا، مركز الجيل للدراسات الشبابية والاجتماعية، القاهرة، 1994.
- عبد المجيد (ليلى)، العلاقة بين الأطفال العرب والتلفزيون : دراسة تحليلية للدراسات التحليلية والبحوث الميدانية التي أجريت على الطفل العربي من سنة 1960 إلى سنة 2000، (دراسة قدمت للمؤتمر العربي حول الإذاعة والتلفزيون والطفل)، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، تونس، 2002.
- علي (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الرابع، دار العلم للملايين، ط2، بيروت،1977.
- فوكو (ميشيل)، المراقبة والمعاقبة، ولادة السجن، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.
- فياض (منى)، السجن مجتمع بري، دار النهار، بيروت، 1999.
- فياض (منى)، فخ الجسد، دار رياض الريكس، بيروت، 2000.
- فياض (منى)، الطفل المتخلف عقليا في المحيط الأسري والثقافي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983.
- فياض (منى)، الفتاة العازبة، في الكتاب الصادر عن مؤتمر، "الأسرة بين الواقع والمرتجى"، (5/4/نوفمبر 1997، مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات، بيروت.

# بيبليوغرافيا التقارير الوطنيّة

## باللّغة العربيّة

### البحرين


أبو المجد (أحمد كمال)، القيم والتحولات الاجتماعية المعاصرة، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1990.

أحمد (محمد عبد القادر)، معوقات حفظ طلاب الصف الأول الثانوي للنصوص الأدبية في مدارس البحرين : أسبابه وعلاجه، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج،1997.

أمين (فائقة)، صحة المراهقين والصحة الإنجابية للفترة من 1998-2000 : مشروع مقترح، المنامة، وزارة التربية والتعليم، [د.ت ]

أمين (فائقة)، الصحة الإنجابية والحقوق الإنجابية، المنامة، المنظمة الكشفية العربية : صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2000.

الأعضب (محمد حسن عبد الله)، الميول القرائية لدى طلبة المرحلة الثانوية ومدى مراعاتها في مقررات اللغة العربية المشتركة لنظام الساعات المعتمدة بدولة البحرين، المنامة : جامعة البحرين، 1996

الأنصاري (أحمد)، قطاع الطب النفسي الموجه إلى الأطفال والمراهقين = The psychiatric adolescent and child data comparative Bahrain of population : بيانات مقارنة خاصة بالبحرين، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1982.

الأنصاري (أحمد)، الاشتراك المرضي عند توائم المراهقين، المنامة : جامعة الخليج العربي، 1986.

الأنصاري (أحمد)، نزاعات الاختلال النفسي بين الأطفال والمراهقين بالبحرين، لندن، الاتحاد العالمي للطب النفس الاجتماعي، 1987.

الأنصاري (أحمد)، محاولة الانتحار باستعمال الجرعة الزائدة بين المراهقين وصغار البالغين البحرينيين العلاقات النفسية الاجتماعية، عمان، [د.ن ]،1997.

الأنصاري (أحمد)، الجرعات الزائدة عند اليافعين بالبحرين والمشاكل النفسية والاجتماعية والاتصال بوكالات المساندة، المنامة، [د.ن ]، 1997.

الأنصاري (أحمد)، عامل الخطورة المرتبط بالجرعات الزائدة بين البحرينين اليافعين نيويورك، الجمعية النفسية الاجتماعية الأمريكية، 2001.

الأنصاري (بتول)، قطاع الطب النفسي الموجه إلى الأطفال والمراهقين : بيانات مقارنة خاصة بالبحرين،المنامة، جامعة الخليج العربي، 1982.

البدران (ريسان)، تقييم طبي للذكور بالبحرين،المنامة، جامعة الخليج العربي، 1981.

إلياس (يوسف)، دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1989.

البقارة (علي أحمد)، أسس ومقومات الصحة في فترة المراهقة، المنامة، وزارة الصحة، 2000.

البقارة (علي أحمد)، عيادة المراهقين الصحية، المنامة، وزارة، الصحة، 2000.

البقارة (علي أحمد)، النمو الاجتماعي، المنامة، وزارة الصحة، 2000.

بوزبون (بنه)، العنف ضد الزوجات في المجتمع البحريني، المنامة، المستشفى العسكري، 2002.

بوزبون (بنه)، التحرشات الجنسية بالأطفال والناشئة، المنامة، المستشفى العسكري، 2002.

بوزبون (بنه)، العنف ضد الزوجة وتأثيره على سلوك الأطفال في المجتمع البحريني : دراسة ميدانية، المنامة، المستشفى العسكري، 2001.

* Jamous (R), Honneur et Baraka, les Structures Sociales traditionnelles dans le Rif, Cambridge University, ed. de la Maison des Sciences de l'Homme, 1981.
* Philippe (L) La violence des jeunes, comprendre et prévenir, éditions ASH, Paris, 2001.
* L'éducateur, No spécial 1999, in Scolarité et adolescence, Les motifs de l'insécurité.
* Maffesoli (M), la Conquête du présent, Paris, Desclée de Brouwer, 1998.
* Mahfoudh (D), Rites alimentaires, rites matrimoniaux dans la société tunisienne, in revue IBLA, 1992, t.55, n°170.
* Rugo (M), Frères et soeurs, une maladie d'amour, Paris, Fayard, 2002.
* Shorter (E), Naissance de la famille moderne, Paris, Seuil, 1977.
* Singly (F. De),Famille et individualisme, Tome II, sous la direction de François de Singly, Paris, l'Harmattan, 2001.
* Singly (F. De), Le Soi, le couple et la famille, Paris, Nathan, 1996.
* Stafseng (O), Nordic youth research coordinator, Conditions and prospects for youth research in 1990 : policies and content. (Internet address : www.alli.fi/nyri/nyris/nyris5/olast.htm.
* Traité de psychologie de l'enfant, publié sous la direction de Hélène Gratiot-Alphandery et René Zazo. 5- Paris, PUF, 1973.
* Vaillant (M), Leblanc (J.P), Nouvelles problématiques Adolescents, Pratiques institutionnelles en recherche, sous la direction de Maryse Vaillant et Jean Paul Leblanc, Paris, l'Harmattan, 2001.
*Unicef: official summary: the state of the World's children 2002.
*UN department of economic and social affairs, World population prospects 1998 revision Vol1, comprehensive tables, 1999.
*The states of children and women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001.
*Youth and HIV/AIDS. Can we catastrophe Data from UNUSIDA - 2001.
* El Harras (1997), Comprendre les facteurs socioculturels affectant les comportements en matière de démographie et les implications pour la formulation et l'exécution de politiques et programmes de population, Rapport d'une enquête qualitative.
* L'entrée des jeunes libanais dans la vie active et l'immégration, Presse de l'université, Saint joseph, Beirut 2003.

المحمود (هدى)، الشباب والعمل التطوعي، المنامة، نادي العروبة، 1997.
المحمود (هدى)، انتشار ظاهرة الطلاق بين الشباب : كيفية علاج هذه الظاهرة، المنامة، جمعية أوال النسائية، 1997.
المفدي (عمر بن عبد الرحمن)، الحاجات النفسية للشباب ودور التربية في تلبيتها، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1993.
المناعي(شمسان عبد الله)، المعاملة الوالدية وعلاقتها بالتفوق العقلي للأبناء : دراسة مقارنة بين الطلبة المتفوقين والعاديين في المرحلة الثانوية بالتعليم العام في دولة البحرين، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1996.
حافظ (محمود)، ثقافة الشباب في البحرين : حلقة الحوار حول واقع النشاط الشبابي في البحرين، المنامة، نادي العروبة، 1997.
حجازي (عز ت)، الشباب في مجتمعات الخليج وشبه الجزيرة العربية : الحاضر والمستقبل، المؤتمر الإقليمي الخامس للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، المنامة، وزارة الشؤون الاجتماعية، 1989.
حجازي (مصطفى)، التنشئة الاجتماعية بين تأثير وسائل الإعلام الحديثة ودور الأسرة، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الإجتماعية. بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1994.
حجازي (مصطفى)، رعاية الطفولة من أجل القرن الحادي والعشرين،المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1997.
حجازي (مصطفى)، الإطار العام لرصد ودراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1997.
حسين (عبد الله غلوم)، دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي : الأبحاث الفائزة في المسابقة الأولى للبحث الاجتماعي، المنامة المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1985.
حمادة (رندة)، عادة التدخين بين طلبة الطب في البحرين، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1994.
خاطر (سعيدة)، الشباب : قضاياهم وأزماتهم الثقافية في الخليج العربي، المنامة : المؤتمر الإقليمي الخامس للمرأة في الخليج والجزيرة العربية، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، 1989.
خلف (خلف أحمد)، ظاهرة المربيات الأجنبيات : الأسباب والآثار، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1987.
خليل (نجيبة محمد)، الدراسة الذاتية كنظام تعليمي في دولة البحرين : دراسة تحليلية مقارنة لآراء الطالبات العاديات والمتفوقات عقليا والمعلمات في المرحلة الثانوية، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1996.
خنجي (زكريا عبد القادر)، المفاهيم والقضايا البيئية عن طلبة ومدرسي المرحلة الثانوية : دراسة ميدانية، المنامة، دار الحكمة، 1994.
شبر (بتول)، قطاع الطب النفسي الموجه إلى الأطفال والمراهقين : بيانات مقارنة خاصة بالبحرين، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1982.
عبد الرحمن (إلهام)، دراسة مقارنة بين سلوكيات البنين والبنات في مرحلة المراهقة، المنامة، معهد الأمل للأطفال المعوقين، 1997.
عبد المنعم (توفيق)، الشباب ومشكلاته، المنامة، نادي العروبة، 1997.
عليان (ربحي مصطفى)، واقع مكتبات المدارس الثانوية الحكومية في دولة البحرين : مقارنة بالمعايير المكتبية لبعض دول العالم، الدوحة، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، 1994.
عيد (فاطمة حسن)، الحاجات الإرشادية للفتاة المراهقة في المرحلة الإعدادية بدولة البحرين : دراسة تحليلية، المنامة، وزارة التربية والتعليم، 2001.
غريب (نادية محمد)، تقييم الوضع التغذوي لأطفال المدارس بالبحرين : الفئة العمرية 6-19 سنة، المنامة، وزارة الصحة، 2003 .

الجاسم (فاطمة أحمد)، أثر برنامج تدريبي في إستراتيجية حل المشكلات إبداعيا على تنمية قدرات التفكير الإبداعي لدى عينة من الطلاب المتفوقين، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1994.
الجرداوي (عبد الرؤوف عبد العزيز)، قضايا من واقع المجتمع العربي في الخليج المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1987.
الجشي (عواطف حسن)، واقع سوء المعاملة من خلال القضايا الواردة لوزارة الداخلية، المنامة، مؤتمر حماية الطفل من سوء المعاملة والإهمال، المنامة، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، 2001.
الجيب (شيخة يوسف عبد الله)، عزوف طالبات المرحلة الثانوية عن الاشتراك في النشاط الرياضي الخارجي بدولة البحرين، القاهرة،[د.ن ]، 1990.
الحمد (خالد)، واقع الأنشطة الشبابية في البحرين، المنامة، نادي العروبة، 1997.
الحويحي (أنيسة سعد)، إتجاهات الشباب والمراهقين حول تكنولوجيا الإنترنت، البحرين، المؤتمر العلمي الثالث تحديات الصحة في المجتمعات العربية، 1999.
السعيد (ندى)، دراسة مقارنة بين سلوكيات البنين والبنات في مرحلة المراهقة، المنامة، معهد الأمل للأطفال المعوقين، 1997 .
السيد (جليلة)، دور التشريعات الوطنية في حماية الطفل من سوء المعاملة والإهمال، المنامة، مؤتمر حماية الطفل من سوء المعاملة والإهمال، المنامة، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، 2001.
الشيخ (عائشة عبد العزيز)، اتجاهات الشباب والمراهقين حول تكنولوجيا الإنترنت، البحرين : المؤتمر العلمي الثالث تحديات الصحة في المجتمعات العربية، 1999.
الشيخ (عائشة عبد العزيز)، تأثير البلوغ المبكر والمتأخر على فكرة الذات لدى المراهقين بمملكة البحرين، المنامة، [د.ن ]، 2003.
الشيخ (عائشة عبد العزيز)، واحة النفس، المنامة، مكتبة فخراوي، 2002.
الشيخ (عائشة عبد العزيز)، عالم المراهقة وأسراره، المنامة، مكتبة فخراوي، 2003.
الشيخ (عائشة عبد العزيز)، فكرة الذات لدى المراهقين بمملكة البحرين : مسح تمهيدي، المنامة، [د.ن ]، 1999.
الشيراوي (أماني)، القيم والحاجات عند الطالبات المبتكرات وغير المبتكرات في المرحلة الثانوية بدولة البحرين : رسالة مقارنة، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1995.
العريض (شيخة سالمة)، صحة الأسرة، المنامة، جامعة البحرين، 1994.
العطاوي (أحمد يعقوب)، دور الدين في معالجة إدمان المخدرات، المنامة، دار الحكمة، 1997.
العمران (هالة أحمد)، الشباب العربي في الخليج ومشكلاته المعاصرة : دراسات مختارة، المنامة، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1986.
الغانم (كلثم علي غانم)، دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي : الأبحاث الفائزة في المسابقة الرابعة للبحث الاجتماعي، المنامة : المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1993.
الفاضل (نورية محمد)، علاقة العادات الدراسية الفعالة بالتفوق التحصيلي، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1998.
القائمي (علي)، تربية الطفل دينيا وأخلاقيا، المنامة، مكتبة فخراوي، 1995.
القائمي (علي)، كيف نوجه شبابنا نحو الصلاة، المنامة، مكتبة فخراوي، 1996.
القاسمي (جاسم محمد العبد الله)، إشكالية تعاطي المخدرات بين الخيال والواقع، المنامة، 2000.
المؤيد (حياة)، دراسة مقارنة بين سلوكيات البنين والبنات في مرحلة المراهقة، المنامة، معهد الأمل للأطفال المعوقين، 1997.
المؤيد (سلوى يوسف)، ابني لا يكفي أن أحبك : رحلة إلى قلب الطفل وقلبه، القاهرة، دار المعارف، 1995.
المبيض (ممدوح)، احتياجات الجيل الجديد في البحرين : الكتيب الثاني الواقع الاجتماعي الاقتصادي في البحرين : حقائق وأرقام، المجلس الأعلى للشباب والرياضة، 1979.

حطب (عباس)، الطفولة والشباب، بيروت، معهد الاتحاد العربي، 1980.
حنيني (هشام)، دراسة اجتماعية ديموغرافية للأحداث الجانحين، بيروت، الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية، 2000.
خلف ( تريز)، ملاحظات حول مشروع قانون "الأحداث في نزاع مع القانون"، بيروت، جريدة النهار، 2001.
خلف (ملحم)، ملاحظات حول مشروع قانون "الأحداث في نزاع مع القانون"، بيروت، جريدة النهار، 2001.
خليفة ( مارلين)، مشروع قانون "الأحداث في نزاع مع القانون" يثير نزاعا مع الجمعيات الأهلية بيروت، جريدة النهار، 2001.
دياب ( شبيب)، دراسة أوضاع الشابات في مدينة صيدا : دراسة ميدانية، بيروت، جمعية المؤاساة الخيرية الاجتماعية، 2000.
دياب ( شبيب)، دراسة ميدانية لتحديد حاجات الشباب بعمر 13-18 سنة، في جنوب لبنان، بيروت، اتحاد غوث الأولاد، [د.ت].
الديدي (عبد الغني)، التحليل النفسي للمراهقة : ظواهر المراهقة وخفاياها، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1995.
الزرار (فيصل محمد خير)، مشكلات المراهقة والشباب : التفسيرات - المشكلات - الدراسات، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
الصغير (هبة محمد)، مدى تأثير سلطة الأهل على المراهقين، بيروت، [د.ن]، 2000.
طبارة ( رياض)، أفكار عن القضايا السكانية، في جريدة النهار، 12-11-2001، ص.ص.13-15.
عيسى ( ماجدة محمود)، التواصل والعنف في إطار الأسرة، بيروت، الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية ، 1998
سليم (مريم)، البلوغ والمراهقة.
الغضبان (نسرين شوقي)، الدوافع الاجتماعية والاقتصادية في جريمة الدعارة، بيروت، الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية، 1999.
فرح (الين)، ظاهرة عمالة الأطفال تتفاقم والمطلوب تنفيذ التعليم الإلزامي، بيروت، في جريدة النهار، 21-01-2002، ص.13.
فقيه (مها عبد الله)،مشكلات المراهق بين الأسرة والمدرسة، بيروت، الجامعة اللبنانية - معهد العلوم الاجتماعية ، 1993.
فياض ( منى)، الأحداث الجانحون، هل هم موجدون حقا ؟، بيروت، جريدة النهار، 16-10-1993 ع.84 ص.ص. 10-13.
فياض ( منى)، كيف يعيش الأولاد في السجون، بيروت، في جريدة النهار ، 05-12-1998، ص.ص 7-4.
مسعود (زينب مسعود)، ثقافة الشباب في لبنان، واقعها، اتجاهاتها وتأثيراتها، بيروت، [د.ن]، 1997.
معاليقي (عبد اللطيف)، المراهقة، أزمة هوية أم أزمة حضارة : دراسة تحليلية اجتماعية للمراهقة في واقعها وديناميتها ومعضلاتها، بيروت :شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1996.
معوض (خليل ميخائيل)، دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف، القاهرة، دار المعارف، 1971.
مكي (عباس)، السلطة الأبوية والشباب : دراسة ميداننة اجتماعية حول طبيعة السلطة وتمثلها، بيروت، شركة تكنو برس الحديثة، 1981.
مكي (عباس)، الطفولة والشباب، بيروت، معهد الاتحاد العربي، 1980.
المندلاوي (محمد أحمد)، مشكلات المراهقة والانحرافات غير الواعية، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
ميخائيل ( رلى)، إدمان المخدرات مشكلة حقيقية ونسبة الشابات مرتفعة، بيروت، في جريدة النهار، 05-11-2001 . ص13.
نعمه (أديب)، أوضاع الأطفال في لبنان : 1993-1998 : التقرير الوطني اللبناني عن متابعة تنفيذ اتفاقية حقوق الطفل، بيروت، وزارة الشؤون الاجتماعية، المجلس الأعلى للطفولة، 1998.
يعقوب ( ليلى دمعة)، أطفال الحرب في لبنان : الدراسة الميدانية الأولى ، بيروت، دار النهار للنشر،1991.
يعقوب ( ليلى دمعة)، سيكولوجيا النمو عند المراهق، بيروت، دار النهار للنشر، 1990.
يعقوب (غسان)، أطفال الحرب في لبنان : الدراسة الميدانية الأولى، بيروت، دار النهار للنشر، 1991.
يوسف (هوزان)، دور الإنعاش الاجتماعي، مركز الخدمات الإنمائية في التأهيل النفسي والاجتماعي.

فهد (رلي يوسف)، صعوبات تعلم الهندسة لدى طلبة الصف الثالث الإعدادي في البحرين وتفسيرها في ضوء مستويات فان هيل للتفكير الهندسي، المنامة، جامعة البحرين، 2001.
قدري (حفني)، إحتياجات الجيل الجديد في البحرين : الكتيب الثاني الواقع الاجتماعي الاقتصادي في البحرين : حقائق وأرقام، المنامة، المجلس الأعلى للشباب والرياضة، 1979.
كزبر (أحمد)، علاقة مركز تحكم الإبنة بمركز تحكم الوالدين ومظاهر التفوق لديها، المنامة، جامعة الخليج العربي، 1998.
كمال (فؤاد)، احتياجات الجيل الجديد في البحرين : الكتيب الثاني الواقع الاجتماعي الاقتصادي في البحرين : حقائق وأرقام، المنامة، المجلس الأعلى للشباب والرياضة، 1979.
مدن (يوسف)، التربية الجنسية للأطفال والبالغين، المنامة، دار الثقافة، 1995.
مراد (عبد الرحيم علي)، تقييم التحصيل الدراسي في اللغة العربية لدى تلامذة نهاية المرحلة الإعدادية في البحرين، بيروت، جامعة القديس يوسف، 1999.
مصيقر(عبد الرحمن)، المفاهيم والقضايا البيئية عن طلبة ومدرسي المرحلة الثانوية : دراسة ميدانية، المنامة، دار الحكمة، 1994
مصيقر (عبد الرحمن)، الحالة التغذوية والصحية للفتيات المراهقات في البحرين، المنامة، مطبعة أوال، 1993.
مصيقر (عبد الرحمن)، الوضع التغذوي في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، لمنامة، مركز البحرين للدراسات والبحوث، 1998
مهدي (جاسم محمد حسن)، أثر استخدام برنامج تلفزيوني في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة البحرين، بيروت : جامعة القديس يوسف، 1999.
ناجي (إيمان)، مظاهر السلوك الانحرافي لدى الشباب، المنامة، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، 1989.

## لبنـــــان

أبو ضاهر ( ليديا)، توعية التلاميذ على الواجبات تجاه الجسد والنفس : "برنامج المهارات الحياتية الأساسية" في المرحلة الثانوية
أبي عقل (مي عبود)، تقرير لبنان الوطني إلى قمة الطفولة عن التقدم المحرز خلال العقد الفائت، بيروت، في جريدة النهار، 25-09-2001، ص.13.
أسعد يوسف (ميخائيل)، رعاية المراهقين، القاهرة، مكتبة غريب للطباعة.
اتفاقية حقوق الطفل، بيروت، وزارة الشؤون الاجتماعية - المجلس الأعلى للطفولة، 1998.
انجلش ( ستيو هر ت)، المشاكل الانفعالية للنمو، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1956.
بندلي (كوستي)، مع تساؤلات الشباب، بيروت، منشورات النور، 1973.
بندلي (كوستي)، هواجس شبابية حول الأسرة والحب، بيروت، جروس برس، 1998.
بيبي (غانم)، المراهقون والمراهقات والزواج المبكر في المجتمعات العربية بيروت، الفرات للنشر والتوزيع، 2001.
الجسماني (عبد علي)، سيكولوجية المراهقة : حقائقها الأساسية، بغداد، مكتبة النهضة، 1970.
الحسيني (ريتا)، الأسرة وانحراف الأحداث، بيروت، الجامعة اللبنانية- معهد العلوم الاجتماعية، 1993.
حطب (زهير)، السلطة الأبوية والشباب : دراسة ميدانية اجتماعية حول طبيعة السلطة وتمثلها، بيروت، شركة تكنو برس الحديثة، 1981.
حطب (زهير)، الطفولة والشباب، بيروت، معهد الاتحاد العربي، 1980.
حطب (زهير)، مآزم الشباب العلائقي وأشكال التعاطي معه، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1981.
حطب (عباس)، السلطة الأبوية والشباب : دراسة ميدانية اجتماعية حول طبيعة السلطة وتمثلها، بيروت، شركة تكنو برس الحديثة، 1981.

# باللّغتيـن الفرنسيّـــة والإنجليزيّـــة

## ALGERIA


Audelot (Christian), Mauger (Gérard), Jeunesses populaires : Les générations de la crise, Paris, L'Harmattan , 1994.

Bamenda, ( Mburano Rwenge de), Facteurs contextuels des comportements sexuels : le cas des jeunes de la ville : rapport d'étude + rapport de synthèse, Dakar, UEPA, 1999.

Bauer (Denise), Le Temps de l'établissement : des difficultés de l'adolescence aux insertions du jeune adulte, Paris, CREDOC, 1993.

Borredon ( Alain), Une Jeunesse dans la crise : les nouveaux acteurs lycéens, Paris, L'Harmattan, 1995.

Brunches (Bernard), Choisir l'emploi : préparation du XIème plan [rapport du groupe «Emploi»],Paris, La Documentation Française, 1993.

Cario (R), Ottenhof (R), Délinquance et toxicomanie , Toulouse, Erès, 1991.

Chalkley (Barbara), Chalkley (Kate), Comment la recherche opérationnelle améliore les services de santé en matière de reproduction, Washington, Population Référence Bureau, 1998.

Chazal (Jean), L'enfance et la jeunesse délinquantes, Paris, PUF, 1993.

Depover (Christian), Hainant (Louis), Education et travail productif : guide méthodologique l'insertion d'activités productives ou socialement utiles dans l'enseignement général, Paris, UNESCO, 1989.

Dubechot (Patrick), Bauer (Denise), Legros (Michel) Le Temps de l'établissement : des difficultés de l'adolescence aux insertions du jeune adulte , Paris, CREDOC, 1993.

Duret (Pascal), Vulbeau ( Alain), Le sport, moi et autres : pratiques et représentations du sport chez les jeunes, Paris, Institut de l'Enfance et de la Famille, [s.d].

Galand (Olivier), Sociologie de la jeunesse : l'entrée dans la vie, Paris, Armand Colin, 1991.

Gokalp (Catherine), Quand vient l'âge des choix : enquête auprès des jeunes de 18 à 25 ans : emploi, résidence, mariage, Paris, PUF, 1981.

Gueddana (Nabiha), Les jeunes au quotidien : environnement socioculturel et comportements de santé, Tunis, ONFP, 1996.

Hassas (Leila), Contribution à l'étude de l'identité culturelle chez l'adolescent : à propos d'un groupe d'adolescents algérois scolarisés, Alger, Institut de Psychologie et des Sciences de l'Education, 1993.

Jarrousse (Noella),Sexualité et vieillissement,Toulouse, Erès, 1995.

Jaspard (Maryse), Amour, sexualité, sida, Paris, IDUP, 1994.

La jeunesse-Pillard (Nicole), Regard sur l'abandonisme : les adolescents sans image en autrui, Toulouse , Erès, 1989.

Maresca (Bruno), Jeunes en attente d'intégration professionnelle, Paris, CREDOC, 1995.

Nerestant (Micial), Anthropologie et sociologie à l'usage des jeunes chercheurs, Paris, Karthala, 1997.

Picod (Chantal), Sexualité : leur en parler, c'est prévenir, Toulouse, Erès, 1994.

Rarrbo (Kamel), L'Algérie et sa jeunesse : marginations sociales et désarroi culturel, Paris, L'Harmattan, 1995.

Robert (Philippe), Zauberman (Renée) Du côté des victimes un regard sur la délinquance, Paris, L'Harmattan, 1995.

Rossini (Nathallie), Vulbeau (Alain), Les conseils d'enfants et de jeunes : à la recherche d'un dispositif de participation.

Schwartz (Bertrand), L'insertion professionnelle et sociale des jeunes : rapport au premier Ministre, Paris, Documentation Française, 1981.

Shane (Barbara), Comment la recherche opérationnelle améliore les services de santé en matière de reproduction, Washington, Population Référence Bureau, 1998.

Shannon (Adam), Guide de plaidoyer sur la santé reproductive des adolescents en Afrique Sub-Saharienne, Washington, Advocates for youth, 1998.

Thiery-Rivoire (Bernadine), Quand SaraÔ devient Sarah : adolescents, questions d'orientation, problèmes d'identité, Toulouse, Erès, 1996.

Vulbeau (Alain), Les conseils d'enfants et de jeunes : à la recherche d'un dispositif de participation.

Vulbeau (Alain), Le sport, moi et autres : pratiques et représentations du sport chez les Jeunes, Paris, Institut de l'Enfance et de la Famille, [s.d].

Werner (Jean-François), Mariages ; sexe et drogues à Dakar : ethnographie urbaine, Paris, Karthala, 1993.

Zauberman (Philippe), Du côté des victimes un regard sur la délinquance, Paris, L'Harmattan, 1995.

## اليمن

أحمد (علي محمد)، المشاكل الاجتماعية للشباب، [د.م][د.ن] ، 1999.
الجسماني (عبد علي)، دراسات نفسية تربوية اجتماعية : الشباب الإيمان بقيم الحياة، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، 2000.
الجسماني (عبد علي)، دراسات نفسية تربوية اجتماعية : ظاهرة العنف عند المراهقين، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر، 2000.
الحواثي (إبراهيم)، دراسة أسباب تدني التحاق البنات بالتعليم الابتدائي في الريف اليمني [المحافظات الشمالية]، صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي ، 1991.
الحوري (أمة الرزاق علي حمد)، الأسرة والطفولة، صنعاء : وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، 1990.
الحيدري (نايف)، المشاكل الاجتماعية للشباب، [د.م][د.ن] ، 1999.
الشامي (يحي علي)، المشاكل الاجتماعية للشباب، [د.م][د.ن] ، 1999.
الشهاري (محمد هاشم)، دراسة أسباب تدني التحاق البنات بالتعليم الابتدائي في الريف اليمني [المحافظات الشمالية]،صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي، 1991.
العليمي ( رشاد محمد)، التفاعل بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة وأثره على موقف الوالدين من تنشئة الطفل في المجتمع، صنعاء، كلية الآداب - جامعة، 1994.
الميتمي (محمد)، بحث استطلاعي عن الشباب في الجمهورية اليمنية، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1992.
حافظ (أحمد خيري)، المخاوف الشائعة لدى الطلاب اليمنيين، القاهرة، رابطة الأخصائيين المصرية، 1991.
شمسان (رضية علي محمد عبد الله)، مشكلات الطلبة المراهقين في المدارس الثانوية بصنعاء، صنعاء، جامعة صنعاء، 1996.
طايع (أنيس أحمد)، تقرير عن تجربة طور الباحة في مجال تعليم الفتاة، صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي، 1989.
قاسم (أنصاف عبده)، دراسة أسباب تدني التحاق البنات بالتعليم الابتدائي في الريف اليمني [المحافظات الشمالية]، صنعاء، مركز البحوث والتطوير التربوي، 1991.
مرشد (بشرى أحمد)، واقع الفتاة اليمنية، القاهرة، [د.ن]، 2001.

# Tunisia

Ariès (Philippe) & Duby (Georges) sous la dir, Histoire de la vie privée, Paris, Seuil, 5 vol, 1985-1987.
Balandier (Georges), Anthropo-logiques, Paris, Librairie Générale Française, 1985.
Barthel (Pierre-Arnaud) & Smida (Nidhal), « Nouveaux lieux communs et modernité urbaine dans l'espace résidentiel Nord Tunis «, in Correspondances, n∞ 69, 2002.
Berger (Peter) & Luckmann (Thomas), La construction sociale de la réalité, Paris, Méridiens/Klincksieck, 1989.
Bertaux (Daniel), Les récits de vie, Paris, Nathan, 1997.
Blanchet (Alain) & Gotman (Anne), L'enquÍte et ses méthodes : l'entretien, Paris, Nathan, 1992.
Bollon (Patrice), Morale du masque, Paris, Seuil, 1990.
Boudon (Raymond), Le sens des valeurs, Paris, PUF, 1999.
Bouhdiba (Abdelwaheb), La sexualité en islam, Paris, PUF, 1975.
Bourdieu (Pierre), Questions de sociologie, Tunis, Cérès Production, 1993.
Bourricaud (François), Esquisse d'une théorie de l'autorité, Paris, Plon, 1961.
Cantani (Maurizio) & Mazé (Suzanne), Tante Suzanne : une histoire de vie sociale, Paris, Librairie des Méridiens, 1982.
Castel (Robert) & Haroche (Claudine), Propriété privée, propriété sociale, propriété de soi, Paris, Fayard, 2001.
CREDIF, Femmes et hommes en Tunisie en chiffres, Tunis, CREDIF / OCF, 2002.
De Singly (François) sous dir., Etre soi d'un ,ge à l'autre : 2- Famille et individualisation, Paris, L'Harmattan, 2001.
De Singly (François), «La mobilisation familiale pour le capital scolaire» in Ecole, familles : le malentendu, Dubet (François) sous dir., Paris, Editions Textuel, 1997.
De Singly (François), Le soi, le couple et la famille, Paris, Nathan, 1996.
De Singly (François), Libres ensemble. L'individualisme dans la vie commune, Nathan, 2000.
De Singly (François), Lire à 12 ans, Paris, Nathan, 1989.
Debesse (Maurice), L'adolescence, Paris, PUF, 19ème éd., 1993.
Douglas (Mary), De la souillure. Etudes sur la notion de pollution et de tabou, Paris, La découverte, 1992.
Dubet (François), Sociologie de l'expérience, Paris, Seuil, 1994.
Durand (Gilbert), Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, Dunod, 1992.
Duru-Bellat (Marie), L'école des filles : quelle formation pour quels rÙles sociaux ?, L'Harmattan, Paris, 1990.
Duvignaud (Jean), Lieux et non-lieux, Paris, Editions Galilée, 1977.
Elias (Norbert) La dynamique de l'Occident, Paris, Calmann-Lévy, 1975.
Elias (Norbert), La civilisation des murs, Paris, Calmann-Lévy, 1973.
Elias (Norbert), La société des individus, Paris, Fayard, 1991.
Ferchiou (Sophie), « Féminisme d'Etat en Tunisie. Idéologie dominante et résistance féminine «, dans Femmes, culture et société au Maghreb, Casablanca, Afrique-Orient, 1996, pp. 119-140.
Ferrarotti (Franco), Histoire et histoires de vie. La méthode biographique dans les sciences sociales, Paris, Librairie des Méridiens, 1983.
Festinger (Léon), « Théorie des processus de comparaison sociale «, in Faucheux (Claude), Psychologie sociale théorique et expérimentale, Paris, Maloine, 1971.
Fischer (Gustave N.) , Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, Dunod 1996.
Fize (Michel), « Sociologie de l'adolescence : sociologie du quotidien, sociologie au quotidien «, in Sociétés, n∞ 42, 1993, pp. 425-434.
Fize (Michel), Le peuple adolescent, Paris, Julliard, 1994.
Foucault (Michel), Histoire de la sexualité : 3- Le souci de soi, Paris, Gallimard, 1984.
Galland (Olivier), « Jeunesse n'est plus synonyme d'adolescence «, in Panoramiques, n∞ 16, 1994.
Galland (Olivier), Sociologie de la jeunesse : l'entrée dans la vie, Paris, Colin, 1991.
Geertz (Cliford), Observer l'islam. Changements religieux au Maroc et en Indonésie. Paris, La Découverte, 1992.
Geertz (Cliford), Savoir local, savoir global, Paris, PUF, 1986.
Giddens (Anthony), «Identité de soi, transformation de l'intimité et démocratisation de la vie» in Audet (Michel) & Bouchikhi (Hamid) sous dir., Structuration du social et modernité avancée, Québec, Presses Universitaires de Laval, 1993.
Giddens (Anthony), La constitution de la société, Paris, PUF, 1987.
Giddens (Anthony), Les conséquences de la modernité, Paris, L'Harmattan, 1994.
Glowczewski (Barbara), Adolescence et sexualité : l'entre-deux, Paris, PUF, 1995.
Goffman (Erving), La mise en scène de la vie quotidienne : 1- La présentation de soi, Paris, Minuit, 1973.
Griffet (Jean), « La sensibilité aux limites «, in Sociétés, n° 34, 1991.
Grignon (Claude) & Passeron (Jean-Claude), Le savant et le populaire, misérabilisme et populisme en sociologie et en littérature, Paris, Gallimard/Seuil, 1989.
Halbwachs (Maurice), La topographie légendaire des évangiles en Terre sainte. Etude de mémoire collective, Paris, PUF, 1941.

## LIBANON

Agulian (Maria), Sex, grade level and school type related differences in attitudes toward.
Al-Farr (Barakat Salih), Juvenile delinquency in Lebanon, [s.l], [s.e], 1957.
Bandora (Albert), Adolescent aggression, a study of the child-Training pratices and family.
Bandora (Richard), Adolescent aggression, a study of the child-Training pratices and family.
Bos (Peter), Les adolescents [essai de psychanalyse], New York, London, The free press, 1962.
Chazal (Jean), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
El Awji (Mustafa), Délinquance Juvénile au Liban, [s.l], [s.e].
El Awji (Mustafa), Délinquance Juvénile, [s.l], [s.e], 1970.
Elliston (Shelley), A Study of vocational attitude of adolescents at the international college and the American community school, [s.l], [s.e], 1972.
Garronnet (Louis), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
Joussellin (J.), EnquÍtes sur la jeunesse délinquante et la prostitution au Liban, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1932
Kalamuni (Faikah), Survey of the interests of a restricted sample of Lebanese adolescents, [s.l], [s.e] , 1972.
Kizirian (Aline Serop), Evaluation of intake of calcium and vitamin D by adolescents in Beirut, [s.l], [s.e], 2000.
Le comte (R.), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
Le Moal (Paul), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
Lebon (Jean), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
Lievois (Françoise), La délinquance juvénile [cure et prophylaxie], Paris.
mathematics among American adolescents in Beirut, Lebanon,[s.l], [s.e], 1986.
Najjar (Najla), Delinquency in a changing society : a sociological study of juvenile.
Nassar (Soussan Sami), A comparison of self-concept and academic achievement of Lebanese adolescentg remigrants with non migrants, [s.l] , [s.e], 2000.
Papazian (Berjouhi), Leisure time activities of American adolescent girls in relation to their
Rey-Herme (Alexandre), L'adolescence, Paris, Ed. Fleurus, 1951.
Rihani (Zahi T), Social stratification as a factor in determining the academic performance of adolescents in Cedars town, [s.l], [s.e],
Shucksmith (Janet), Health issues and adolescents growing up speaking out.
Tannir (Dina Ziad), Prevalence and determinants of psychological states among adolescents with hearing and visua impairments in Beirut, [s.l], [s.e], 1997.
Vernaissin (Gabrielle), L'adolescence, Paris : Ed. Fleurus, 1951.
Walters (Richard H), Adolescent aggression, a study of the child-Training pratices and family, [s.l], The Ronald press company, 1959.

## MOROCCO

Ajbilou (Aziz), Population et développement au Maroc : «A propos des caractéristiques des enfants et adolescents au Maroc», Rabat, CERED, 1999.
Belarbi (A.), Situation de la petite fille au Maroc.
Bouhdiba (A.), L'Avenir de la famille au moyen orient et Afrique du Nord : «Refaire la famille, Tunis, CERES, 1990.
Chamcham (A.), Enfances maghrébines : «L'enfant marocain : entre la dépendance d'hier, la dtresse d'aujourd' hui et l'zutonomie de demain».
Chaouite (A.), Enfances maghrébines : «L'enfant marocain : horizon d'une pensée.
Chihbdine (Kh.), L'enfant devant la justice, journées d'étude et de réflexion : «Troubles
détresse d'aujourd'hui et l'autonomie de demain, Afrique Orient,1987.
effectifs et de conduite de l'adolescence et délinquance juvénile, Rabat, LMPE,1995.
enfants et adolescents au Maroc, Rabat, CERED, 1999.
famille, Tunis, CERES, 1990.
intellectuel et social de l'enfant, Rabat, LMPE,1995.
Kerrou (M.), Maghreb : familles, valeurs et changements sociaux, In : Maghreb Machrek ,1994, N∞144, pp 26-39.
Lahrech (M. T.), L'enfant devant la justice : «Les étapes du développement psychomoteur
Lamsaouri (S.AA), Drogue, Adolescence et milieu scolaire : compte rendu de l'enquête psychologique», Afrique Orient, 1987.
socio-épidémiologique de de l'usager de grogues à Tanger, Téouan, Imp. Hodaya,1995.

# ملحق 4

# الجداول الإحصائيّة

Hannoyer (Jean) sous la dir., Du privé au public. Espaces et valeurs du politique au Proche-Orient, Les Cahiers du CERMOC, n° 8, Beyrouth, 1994.
Harzallah (Féthia), «L'amour au féminin» in Tunisiennes en devenir : comment les femmes vivent ?, Tunis, AFTURD / Cérès Productions, 1992, pp. 63-91.
Hervieu-Léger (Danielle), Le pèlerin et le converti. La religion en mouvement, Paris, Flammarion, 1999.
Hurrelmann (Klaus) & Engel (Uwe), The Social world of adolescents. International perspectives, Berlin / New-York, Walter de Gruyter, 1989, pp. 4-26.
Jamous (Raymond), Honneur et baraka. Les structures sociales traditionnelles dans le Rif, Cambridge University/Editions de la Maison des Sciences de l'Homme, 1981.
Kaufmann (Jean-Claude), Corps de femmes, regards d'hommes, Paris, Nathan, 1995.
Kaufmann (Jean-Claude), L'entretien compréhensif, Paris, Nathan, 1996.
Kerrou (Mahmoud), Public et privé en islam, Paris, IRMC/Maisonneuve & Larose, 2002.
Le Breton (David), Anthropologie du corps et modernité, Paris, PUF, 1990.
Le Breton (David), Conduites à risque. Des jeux de mort aux jeux de vie, Paris, PUF, 2002.
Maffesoli (Michel), Aux creux des apparences. Pour une éthique de l'esthétique, Paris, Plon, 1990.
Maffesoli (Michel), La conquÍte du présent, Paris, Desclée de Brouwer, 1998.
Maffesoli (Michel), Le temps des tribus, Paris, Méridiens/Klincksieck, 1988.
Mahfoudh (Dorra) sous dir., La socialisation dans la famille tunisienne, Tunis, Ministère des Affaires de la Femme et de la Famille, 2000 (inédit).
Mahfoudh (Dorra), «Rites alimentaires, rites matrimoniaux dans la société tunisienne», in Revue IBLA, 1992, Tome 55, n°170.
Mahfoudh-Draoui (Dorra), «Traditionnalisme et modernisme conjugal dans la famille tunisienne», in Mahfoudh-Draoui (Draoui) & JaÔdi (Houssine), Structures familiales et rÙles sociaux, Tunis, Cérès Editions /ISEFC, 1994.
Mahfoudh-Draoui (SAfef Dorra), « Réflexion sur la pudeur et le voile «, in Petitat (André), Secret et lien social, Paris, L'Harmattan, 2000.
Martuccelli (Danilo), Sociologies de la modernité, Gallimard, Folio essais, 1999.
Melliti (Imed), « Seuils, passages et transitions. La liminarité dans la culture maghrébine «, in Public et privé en islam, Paris, IRMC/Maisonneuve & Larose, 2002, pp. 177-199.
Mernissi (Fatima), Sexe, idéologie, islam, Paris, Tierce, 1983.
Morin (Edgar), L'esprit du temps, Paris, Grasset (Livre de poche), 1962.
Muxel (Anne), Individu et mémoire familiale, Nathan, 1996.
Rodriguez-Tomé (Hector), Jackson (Sandy), Briaud (Françoise), Regards actuels sur l'adolescence, Paris, PUF, 1997.
Schutz (Alfred), Le chercheur et le quotidien, Paris, Méridiens/Klincksieck, 1987.
Sennett (Richard), Les tyrannies de l'intimité, Paris, Seuil, 1979.
Sibony (Daniel), Entre-deux : l'origine en partage, Paris, Seuil, Coll. Points, 1991.
Simmel (Georg), « La société secrète « in Nouvelle Revue de Psychanalyse, n° 14, 1976, pp. 281-305.
Simmel (Georg), Philosophie de l'argent, Paris, PUF, 1999.
Simmel (Georg), Sociologie. Etudes sur les formes de la socialisation, Paris, PUF, 1999.
Simmel (Georg), Tragédie de la culture, Paris, Petite Bibliothèque Rivages, 1988.
Skhiri (Féthia), «Le mariage au Sahel» I et II, in Cahiers des Arts et Traditions Populaires, Institut National d'Archéologie et d'Art, Tunis n° 6 et 10, 1977 et 1990.
Veblen (Thorstein), The Theory of the leisure class, New York, Dover Thrift Editions, 1994.
Cichelli (Vincenzo), La construction de l'autonomie, PUF, 2001.
Weber (Max), Economie et société, Tome I, Paris, Plon, 1971.
Weber (Max), Essais sur la théorie de la science, Paris, Plon, 1965.
Weber (Max), L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme, Paris, Plon, 1964.
Weber (Max), Le savant et le politique, Paris, Plon, 1959.
Zaafrane (Hafedh), Femmes et emploi en Tunisie, Tunis, CREDIF, 2002.

## جدول 1-2 : اتجاهات دليل التنمية البشرية

| الدولـــــــــــــــــة | 1975 | 1980 | 1985 | 1990 | 1995 | 2000 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | .. | .. | .. | .. | .. | 0.831 |
| الكويت | 0.753 | 0.773 | 0.777 | .. | 0.812 | 0.813 |
| عمان | .. | .. | .. | .. | .. | 0.751 |
| قطر | .. | .. | .. | .. | .. | 0.803 |
| المملكة العربية السعودية | 0.587 | 0.646 | 0.670 | 0.706 | 0.737 | 0.759 |
| الإمارات العربية المتحدة | .. | .. | .. | .. | .. | 0.812 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 0.670 | 0.710 | 0.724 | 0.706 | 0.775 | 0.795 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | |
| مصر | 0.435 | 0.482 | 0.532 | 0.574 | 0.605 | 0.642 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | .. | 0.636 | 0.658 | 0.677 | 0.703 | 0.717 |
| لبنان | .. | .. | .. | 0.680 | 0.730 | 0.755 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 0.538 | 0.580 | 0.614 | 0.634 | 0.665 | 0.691 |
| **المعدل- المشرق** | 0.487 | 0.566 | 0.601 | 0.641 | 0.676 | 0.701 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | 0.501 | 0.550 | 0.600 | 0.639 | 0.663 | 0.697 |
| الجماهيرية العربية الليبية | .. | .. | .. | .. | .. | 0.773 |
| المغرب | 0.429 | 0.474 | 0.508 | 0.540 | 0.569 | 0.602 |
| تونس | 0.514 | 0.566 | 0.613 | 0.646 | 0.682 | 0.722 |
| **المعدل- المغرب** | 0.481 | 0.530 | 0.574 | 0.608 | 0.638 | 0.699 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | .. | 0.480 | 0.498 | 0.502 | 0.506 | 0.511 |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. | 0.445 |
| موريتانيا | 0.337 | 0.360 | 0.379 | 0.390 | 0.418 | 0.438 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 0.346 | 0.374 | 0.395 | 0.419 | 0.462 | 0.499 |
| اليمن | .. | .. | .. | 0.399 | 0.439 | 0.479 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 0.342 | 0.405 | 0.424 | 0.428 | 0.456 | 0.474 |

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002

# 1 - التنمية البشرية

## جدول -11: دليل التنمية البشرية

| الدولة | العمر المتوقع عند الولادة (السنوات) 2000 | معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين (٪ لمن يبلغون 15 عاما فأكثر) 2000 | نسبة القيد الإجمالية في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي معا 1999(٪) | نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000 | دليل التنمية البشرية 2000 | | | الترتيب حسب نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية مطروحا منه الترتيب حسب دليل التنمية البشرية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | قيمة الدليل | الترتيب ضمن دول العالم (173 دولة) | الترتيب ضمن الدول العربية (20 دولة) | |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | 73.3 | 87.6 | 80 | 15084 | 0.831 | 39 | 1 | -2 |
| الكويت | 76.2 | 82.0 | 59 | 15799 | 0.813 | 45 | 2 | -10 |
| عمان | 71.0 | 71.7 | 58 | 13356 | 0.751 | 78 | 8 | -38 |
| قطر | 69.6 | 81.2 | 75 | 18789 | 0.803 | 51 | 4 | -25 |
| المملكة العربية السعودية | 71.6 | 76.3 | 61 | 11367 | 0.759 | 71 | 6 | -26 |
| الإمارات العربية المتحدة | 75.0 | 76.3 | 68 | 17935 | 0.812 | 46 | 3 | -19 |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 72.8 | 79.2 | 67 | 13583 | 0.79 | 55 | 4.0 | -20.0 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | 67.3 | 55.3 | 76 | 3635 | 0.642 | 115 | 13 | -10 |
| العراق | 58.7 | 55.9 | 49 | *3205 | *0.567 | *117-116 | 15 | *-3 |
| الأردن** | 70.3 | 89.7 | 77 | 3966 | 0.742 | 87 | 9 | 11 |
| لبنان | 73.1 | 86.0 | 78 | 4308 | 0.755 | 75 | 7 | 20 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 71.2 | 74.4 | 63 | 3556 | 0.691 | 108 | 12 | -2 |
| المعدل- المشرق | 68.1 | 72.3 | 69 | 3734 | 0.679 | 100 | 11.2 | 3.2 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | 69.6 | 66.7 | 72 | 5308 | 0.697 | 106 | 11 | -22 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 70.5 | 80.0 | 92 | 7570 | 0.773 | 64 | 5 | -2 |
| المغرب | 67.6 | 48.9 | 52 | 3546 | 0.602 | 123 | 14 | -16 |
| تونس | 70.2 | 71.0 | 74 | 6363 | 0.722 | 97 | 10 | -26 |
| المعدل- المغرب | 69.5 | 66.7 | 73 | 5072 | 0.7 | 98 | 10.0 | -16.5 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | 59.8 | 55.9 | 35 | 1588 | 0.511 | 137 | 16 | 4 |
| جيبوتي | 43.1 | 64.6 | 22 | 2377 | 0.445 | 149 | 19 | -28 |
| موريتانيا | 51.5 | 40.2 | 40 | 1677 | 0.438 | 152 | 20 | -16 |
| الصومال | 46.9 | .. | 7 | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 56.0 | 57.8 | 34 | 1797 | 0.499 | 139 | 17 | -7 |
| اليمن | 60.6 | 46.3 | 51 | 893 | 0.479 | 144 | 18 | 14 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 53.0 | 53.0 | 32 | 1489 | 0.5 | 144 | 18.0 | -6.6 |
| العالم | 66.9 | .. | 65 | 7446 | 0.722 | .. | .. | .. |
| الدول النامية | 64.7 | 73.7 | 61 | 3783 | 0.654 | .. | .. | .. |
| الدول الأقل نموا | 51.9 | 52.8 | 38 | 1216 | 0.445 | .. | .. | .. |
| الدول العربية | 66.8 | 62.0 | 62 | 4793 | 0.653 | .. | .. | .. |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 69.5 | 85.9 | 71 | 4290 | 0.726 | .. | .. | .. |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 70.0 | 88.3 | 74 | 7234 | 0.767 | .. | .. | .. |
| جنوب آسيا | 62.9 | 55.6 | 53 | 2404 | 0.570 | .. | .. | .. |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 48.7 | 61.5 | 42 | 1690 | 0.471 | .. | .. | .. |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | 68.6 | 99.3 | 77 | 6930 | 0.783 | .. | .. | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | 76.8 | .. | 87 | 23569 | 0.905 | .. | .. | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | 78.2 | .. | 94 | 27848 | 0.932 | .. | .. | .. |

* تقرير التنمية البشرية 2001، وهي تمثل بيانات 1999.

** تم تعديل نسبة القيد الإجمالية في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي معا (٪)1999 للأردن بعد إصدار تقرير التنمية البشرية 2002 من 55٪ إلى 77٪، مما أدى إلى تعديل قيمة وترتيب دليل التنمية البشرية 2000 للأردن.(راجع (http://hdr.undp.org/reports/global/2002/en/indicator.cfm?File=index.html

**المصدر:** تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 4-1 : الفقر البشري وفقر الدخل في الدول النامية

| الدولة | دليل الفقر البشري -1- 2000 | | الاحتمال عند الولادة بعدم البقاء على قيد الحياة لسن الأربعين (٪ للمجموعة العمرية) 2000-1995 | معدل الأمية بين البالغين (النسبة المئوية لمن تبلغ أعمارهم 15 سنة أو أكثر) 2000 | سكان لا يستخدمون مصادر مياه محسنة (النسبة المئوية) 2000 | أطفال دون الخامسة يعانون نقص الوزن (النسبة المئوية) 2000-1995 | سكان تحت خط فقر الدخل(٪) | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ترتيب | القيمة | | | | | دولار يوميا (بسعر الدولار سنة 93 حسب تعادل القوة الشرائية) 2000-1983 | دولارين يوميا (بسعر الدولار سنة 93 حسب تعادل القوة الشرائية) 2000-1983 | خط الفقر الوطني 1987- 2000 أ |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | .. | .. | 4.7 | 12.4 | .. | 9 | .. | .. | 15 |
| الكويت | .. | .. | 3.0 | 18.0 | .. | 10 | .. | .. | 11 |
| عمان | 52 | 32.1 | 6.8 | 28.3 | 61 | 24 | .. | .. | 17 |
| قطر | .. | .. | 4.8 | 18.8 | .. | 6 | .. | .. | 11 |
| المملكة العربية السعودية | 29 | 16.9 | 6.4 | 23.7 | 5 | 14 | .. | .. | 21 |
| الإمارات العربية المتحدة | .. | .. | 5.4 | 23.7 | .. | 14 | .. | .. | 3 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | .. | .. | 5.2 | 20.8 | 33 | 13 | .. | .. | 13 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 48 | 31.2 | 10.3 | 44.7 | 5 | 12 | 3 | 53 | 22 |
| العراق | *56 | *32.9 | *15.8 | *55.0 | *19 | *23 | .. | .. | 45 |
| الأردن | 7 | 8.2 | 7.9 | 10.3 | 4 | 5 | .. | 7 | 23 |
| لبنان | 12 | 9.9 | 5.0 | 14.0 | 0 | 3 | .. | .. | 19 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 34 | 19.3 | 6.9 | 25.6 | 20 | 13 | .. | .. | 22 |
| **المعدل- المشرق** | 31 | 20.3 | 9.2 | 29.9 | 10 | 11 | 3 | 30 | 26 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 39 | 23.4 | 10.5 | 33.3 | 6 | 6 | .. | 15 | 23 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 27 | 16.2 | 6.4 | 20.0 | 28 | 5 | .. | .. | .. |
| المغرب | 59 | 35.8 | 11.8 | 51.1 | 18 | 9 | .. | 8 | 19 |
| تونس | .. | .. | 7.8 | 29.0 | .. | 4 | .. | 10 | 14 |
| **المعدل- المغرب** | 42 | 25.1 | 9.1 | 33.4 | 17 | 6 | .. | 11 | 19 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | 51 | 31.9 | 20.6 | 44.1 | 4 | 25 | .. | .. | .. |
| جيبوتي | 56 | 34.3 | 42.3 | 35.4 | 0 | 18 | .. | .. | 45 |
| موريتانيا | 82 | 47.9 | 33.1 | 59.8 | 63 | 23 | 29 | 69 | 57 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 53 | 32.7 | 27.3 | 42.2 | 25 | 17 | .. | .. | .. |
| اليمن | 69 | 41.8 | 20.0 | 53.7 | 31 | 46 | 16 | 45 | 47 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 62 | 37.7 | 28.7 | 47.0 | 25 | 26 | 22 | 57 | 50 |

أ. بيانات دول مجلس التعاون الخليجي ودول المشرق واليمن تشير إلى سنة 1992 من باقر(1996).

* تقرير التنمية البشرية 2000.

**المصدر : تقرير التنمية البشرية 2002**

باقر، محمد حسين، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، قياس الفقر في دول اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، 1996.

## جدول 1 - 3 : دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس

| الدولـــــــــــــــــــة | دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس 2000 | | العمر المتوقع عند الولادة (بالسنوات) 2000 | | معدل معرفة القراءة والكتابة بين البالغين(٪ لمن تبلغ أعمارهم 15 عاما أو أكثر) 2000 | | نسبة القيد الإجمالي للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي معا (٪) 2000 | | الدخل المكتسب التقديري (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000 | | الترتيب حسب دليل التنمية البشرية مطروحا منه الترتيب حسب دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الترتيب | القيمة | إناث | ذكور | إناث | ذكور | إناث | ذكور | إناث | ذكور | |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 40 | 0.822 | 75.8 | 71.6 | 82.6 | 90.9 | 83 | 77 | 7010 | 21059 | -2 |
| الكويت | 44 | 0.804 | 78.6 | 74.5 | 79.7 | 84.0 | 61 | 57 | 6895 | 22186 | -2 |
| عمان | 78 | 0.722 | 72.6 | 69.7 | 61.6 | 80.1 | 56 | 59 | 3806 | 21804 | -10 |
| قطر | 48 | 0.794 | 71.3 | 68.7 | 83.1 | 80.4 | 75 | 75 | 6864 | 25277 | -1 |
| المملكة العربية السعودية | 72 | 0.731 | 73.0 | 70.5 | 66.9 | 83.1 | 60 | 62 | 3466 | 18252 | -10 |
| الإمارات العربية المتحدة | 47 | 0.798 | 78.0 | 73.7 | 79.3 | 75.0 | 71 | 65 | 5320 | 24412 | -4 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 55 | 0.779 | 74.9 | 71.5 | 75.5 | 82.3 | 68 | 66 | 5560 | 22165 | -4.8 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | | |
| مصر | 99 | 0.628 | 68.9 | 65.7 | 43.8 | 66.6 | 72 | 80 | 2003 | 5227 | -2 |
| العراق | *107 | *0.548 | *65.3 | *62.3 | *43.2 | *63.9 | *44 | *57 | .. | .. | *-3 |
| الأردن | 84 | 0.701 | 71.8 | 69.1 | 83.9 | 95.1 | 57 | 53 | 1749 | 6014 | -1 |
| لبنان | 69 | 0.739 | 74.6 | 71.5 | 80.3 | 92.1 | 81 | 76 | 2013 | 6704 | -4 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 92 | 0.669 | 72.4 | 70.0 | 60.5 | 88.3 | 61 | 65 | 1537 | 5522 | -2 |
| **المعدل- المشرق** | 90 | 0.657 | 70.6 | 67.7 | 62.3 | 81.2 | 63 | 66 | 1826 | 5867 | -2.4 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 90 | 0.679 | 71.1 | 68.1 | 57.1 | 76.2 | 69 | 75 | 2389 | 8150 | -2 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 61 | 0.753 | 72.8 | 68.8 | 68.2 | 90.8 | 92 | 92 | 2921 | 11894 | -4 |
| المغرب | 102 | 0.585 | 69.5 | 65.8 | 36.1 | 61.8 | 46 | 58 | 2019 | 5068 | 0 |
| تونس | 81 | 0.709 | 71.5 | 69.0 | 60.6 | 81.4 | 72 | 75 | 3347 | 9320 | 0 |
| **المعدل- المغرب** | 85 | 0.682 | 71.2 | 67.9 | 55.5 | 77.6 | 70 | 75 | 2669 | 8608 | -1.5 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | 114 | 0.505 | 61.2 | 58.4 | 48.7 | 63.2 | 33 | 38 | 1136 | 2038 | 1 |
| جيبوتي | .. | .. | 44.2 | 41.7 | 54.4 | 75.6 | 18 | 26 | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 127 | 0.429 | 53.1 | 49.9 | 30.1 | 50.7 | 37 | 44 | 1212 | 2150 | 1 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 116 | 0.478 | 57.4 | 54.6 | 46.3 | 69.5 | 31 | 36 | 847 | 2736 | 1 |
| اليمن | 128 | 0.426 | 61.7 | 59.5 | 25.2 | 67.5 | 29 | 72 | 405 | 1384 | -7 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 121 | 0.460 | 55.5 | 52.8 | 40.9 | 65.3 | 30 | 43 | 900 | 2077 | -1.0 |

* بيانات العراق أخذت من تقرير التنمية البشرية 2000، وهي تمثل بيانات 1998.

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 2-2 : معدل النمو السنوي للسكان (٪)

| الدولـــــــــــــــــة | إجمالي السكان | | سكان الحضر | |
|---|---|---|---|---|
| | 1990-1970 | 2000-1990 | 1990-1970 | 2000-1990 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | |
| البحرين | 4.0 | 2.7 | 4.5 | 3.2 |
| الكويت | 5.3 | -1.1 | 6.3 | -0.9 |
| عمان | 4.5 | 3.5 | 13.0 | 6.5 |
| قطر | 7.0 | 2.2 | 7.6 | 2.5 |
| المملكة العربية السعودية | 4.9 | 2.8 | 7.3 | 3.7 |
| الإمارات العربية المتحدة | 11.0 | 2.6 | 12.8 | 3.2 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 6.1 | 2.1 | 8.6 | 3.0 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | |
| مصر | 2.3 | 1.9 | 2.5 | 2.1 |
| العراق | 3.1 | 2.8 | 4.3 | 3.5 |
| الأردن | 3.5 | 4.1 | 5.0 | 5.0 |
| لبنان | 0.5 | 2.5 | 2.2 | 3.2 |
| فلسطين | 3.4 | 3.9 | 4.0 | 4.0 |
| الجمهورية العربية السورية | 3.4 | 2.7 | 4.2 | 3.5 |
| **المعدل- المشرق** | 2.7 | 3.0 | 3.7 | 3.6 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | |
| الجزائر | 3.0 | 2.0 | 4.4 | 3.4 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 3.9 | 2.0 | 6.8 | 2.7 |
| المغرب | 2.4 | 1.9 | 4.0 | 3.5 |
| تونس | 2.3 | 1.5 | 3.6 | 2.7 |
| **المعدل- المغرب** | 2.9 | 1.9 | 4.7 | 3.1 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | |
| جزر القمر | 3.2 | 2.9 | 5.1 | 4.6 |
| جيبوتي | 5.9 | 2.3 | 7.2 | 2.7 |
| موريتانيا | 2.4 | 2.9 | 8.2 | 5.7 |
| الصومال | 3.4 | 2.0 | 4.3 | 3.3 |
| السودان | 2.7 | 2.3 | 5.1 | 5.3 |
| اليمن | 3.0 | 4.6 | 5.7 | 5.4 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 3.4 | 2.8 | 5.9 | 4.5 |
| العالم | 1.8 | 1.5 | 3.0 | 2.4 |
| الدول النامية | 2.2 | 1.7 | 4.0 | 3.1 |
| الدول الأقل نموا | 2.5 | 2.6 | 5.3 | 4.9 |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 1.8 | 1.2 | 4.0 | 2.9 |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 2.2 | 1.6 | 3.3 | 2.3 |
| جنوب آسيا | 2.2 | 2.0 | 3.8 | 3.3 |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 2.9 | 2.6 | 5.2 | 4.7 |

**المصدر :** UNICEF: Official Summary: The State of the World's Children 2002

# 2- مؤشرات السكان

## جدول 1-2 : الاتجاهات الديموغرافية

| الدولة | مجموع السكان بالملايين | | | المعدل السنوي لنمو السكان (٪) | | سكان الحضر (٪ من مجموع السكان) | | | سكان أقل من 15 سنة (٪ من مجموع السكان) | | معدل الخصوبة الإجمالي (لكل امرأة) | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 1975 | 2000 | 2015 | 2000-1975 | 2015-2000 | 1975 | 2000 | 2015 | 2000 | 2015 | 1975-1970 | 2000-1995 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 0.3 | 0.6 | 0.8 | 3.4 | 1.4 | 79.2 | 92.2 | 95.0 | 28.2 | 20.2 | 5.9 | 2.6 |
| الكويت | 1.0 | 1.9 | 2.8 | 2.6 | 2.5 | 83.8 | 96.0 | 96.9 | 31.3 | 25.9 | 6.9 | 2.9 |
| عمان | 0.9 | 2.5 | 4.1 | 4.2 | 3.2 | 19.6 | 76.0 | 82.6 | 44.1 | 41.5 | 7.2 | 5.9 |
| قطر | 0.2 | 0.6 | 0.7 | 4.8 | 1.4 | 82.9 | 92.7 | 95.0 | 26.7 | 22.7 | 6.8 | 3.7 |
| المملكة العربية السعودية | 7.3 | 20.3 | 31.7 | 4.1 | 3.0 | 58.4 | 86.2 | 91.0 | 42.9 | 38.6 | 7.3 | 6.2 |
| الإمارات العربية المتحدة | 0.5 | 2.6 | 3.2 | 6.6 | 1.4 | 65.4 | 86.7 | 91.6 | 26.0 | 21.1 | 6.4 | 3.2 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 1.7 | 4.8 | 7.2 | 4.3 | 2.2 | 64.9 | 88.3 | 92.0 | 33.2 | 28.3 | 6.8 | 4.1 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا-المشرق** | | | | | | | | | | | | |
| مصر | 38.8 | 67.9 | 84.4 | 2.2 | 1.5 | 43.5 | 42.7 | 45.8 | 35.4 | 26.9 | 5.5 | 3.4 |
| العراق | 11.0 | 21.8 | 34.1 | 3.0 | 2.7 | 61.4 | 75.9 | 81.6 | .. | .. | .. | 5.2 |
| الأردن | 1.9 | 4.9 | 7.2 | 3.7 | 2.5 | 57.8 | 78.7 | 81.1 | 40.0 | 36.4 | 7.8 | 4.7 |
| لبنان | 2.8 | 3.5 | 4.2 | 0.9 | 1.3 | 67.0 | 89.7 | 92.6 | 31.1 | 23.8 | 4.9 | 2.3 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 7.4 | 16.2 | 23.2 | 3.1 | 2.4 | 45.1 | 51.4 | 57.9 | 40.8 | 34.3 | 7.7 | 4.0 |
| **المعدل- المشرق** | 12.4 | 22.9 | 30.6 | 2.6 | 2.1 | 55.0 | 67.7 | 71.8 | 36.8 | 30.4 | 6.5 | 3.9 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا-المغرب** | | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 16.0 | 30.3 | 38.0 | 2.5 | 1.5 | 40.3 | 57.1 | 65.2 | 34.8 | 26.8 | 7.4 | 3.3 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 2.4 | 5.3 | 7.1 | 3.1 | 1.9 | 60.9 | 87.6 | 90.3 | 33.9 | 30.4 | 7.6 | 3.8 |
| المغرب | 17.3 | 29.9 | 37.7 | 2.2 | 1.5 | 37.8 | 55.5 | 64.4 | 34.7 | 28.1 | 6.9 | 3.4 |
| تونس | 5.7 | 9.5 | 11.3 | 2.0 | 1.2 | 49.9 | 65.5 | 73.5 | 29.7 | 24.8 | 6.2 | 2.3 |
| **المعدل- المغرب** | 10.4 | 18.8 | 23.5 | 2.5 | 1.5 | 47.2 | 66.4 | 73.4 | 33.3 | 27.5 | 7.0 | 3.2 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | 0.3 | 0.7 | 1.1 | 3.2 | 2.8 | 21.2 | 33.2 | 42.6 | 43.0 | 39.8 | 7.1 | 5.4 |
| جيبوتي | 0.2 | 0.6 | 0.7 | 4.4 | 0.7 | 68.9 | 84.0 | 86.9 | 43.2 | 41.5 | 6.7 | 6.1 |
| موريتانيا | 1.4 | 2.7 | 4.1 | 2.7 | 2.9 | 20.3 | 57.7 | 73.8 | 44.1 | 43.5 | 6.5 | 6.0 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | 7.2 |
| السودان | 16.7 | 31.1 | 42.4 | 2.5 | 2.1 | 18.9 | 36.1 | 48.7 | 40.1 | 35.4 | 6.7 | 4.9 |
| اليمن | 7.0 | 18.3 | 33.1 | 3.9 | 3.9 | 16.6 | 24.7 | 31.2 | 50.1 | 48.9 | 7.6 | 7.6 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 5.1 | 10.7 | 16.3 | 3.3 | 2.5 | 29.2 | 47.1 | 56.6 | 44.1 | 41.8 | 6.9 | 6.2 |
| العالم | 4066 | 6057 | 7207 | 1.6 | 1.2 | 37.9 | 47.2 | 53.7 | 29.9 | 25.8 | 4.5 | 2.8 |
| الدول النامية | 2908 | 4695 | 5773 | 1.9 | 1.4 | 26.1 | 40.0 | 48.5 | 32.7 | 28.1 | 5.4 | 3.1 |
| الدول الأقل نموا | 332 | 634 | 907 | 2.6 | 2.4 | 14.6 | 25.7 | 34.5 | 43.1 | 40.4 | 6.6 | 5.4 |
| الدول العربية | 126 | 246 | 333 | 2.7 | 2.0 | 40.3 | 52.8 | 59.0 | 37.6 | 32.2 | 6.5 | 4.1 |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 1293 | 1859 | 2108 | 1.5 | 0.8 | 19.7 | 37.7 | 50.1 | 26.9 | 21.3 | 5.0 | 2.1 |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 318 | 513 | 624 | 1.9 | 1.3 | 61.4 | 75.4 | 80.5 | 31.6 | 26.3 | 5.1 | 2.7 |
| جنوب آسيا | 828 | 1402 | 1762 | 2.1 | 1.5 | 21.4 | 29.4 | 35.0 | 35.1 | 29.0 | 5.6 | 3.6 |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 303 | 606 | 866 | 2.8 | 2.4 | 20.9 | 33.9 | 42.7 | 44.6 | 42.4 | 6.8 | 5.8 |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | 354 | 397 | 383 | 0.5 | -0.2 | 57.7 | 63.4 | 64.8 | 20.8 | 15.9 | 2.5 | 1.5 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | 925 | 1129 | 1209 | 0.8 | 0.5 | 70.4 | 76.9 | 80.4 | 20.4 | 17.3 | 2.5 | 1.8 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | 732 | 852 | 898 | 0.6 | 0.3 | 74.9 | 78.7 | 81.9 | 18.3 | 15.7 | 2.1 | 1.7 |

**ملاحظة :** بيانات العراق أخذت من تقرير التنمية البشرية 2000 وهي تخص عام 1998.

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 2-4 : تطور نسبة المراهقين (عمر 15-19 سنة) (٪ من مجموع السكان)

| الدولـــــــــــــــة | 1990 | | | 2000 | | | 2010 | | | 2020 | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 7.1 | 6.3 | 8.3 | 8.4 | 7.7 | 9.4 | 9.3 | 8.2 | 10.3 | 6.3 | 5.8 | 6.9 |
| الكويت | 8.5 | 7.5 | 9.8 | 11.0 | 10.7 | 11.4 | 8.9 | 8.6 | 9.2 | 7.6 | 7.4 | 7.9 |
| عمان | 9.1 | 8.4 | 9.8 | 10.8 | 10.3 | 11.4 | 10.6 | 10.3 | 11.0 | 10.2 | 10.0 | 10.4 |
| قطر | 5.4 | 4.3 | 7.6 | 7.3 | 5.6 | 10.5 | 7.4 | 6.0 | 9.5 | 7.2 | 6.2 | 8.7 |
| المملكة العربية السعودية | 9.1 | 8.3 | 10.3 | 10.2 | 9.4 | 11.1 | 10.2 | 9.6 | 10.9 | 10.2 | 9.7 | 10.6 |
| الإمارات العربية المتحدة | 6.5 | 5.5 | 8.4 | 8.6 | 7.1 | 11.3 | 7.8 | 6.5 | 9.7 | 7.2 | 6.2 | 8.4 |
| **المجموع- مجلس التعاون الخليجي** | 8.7 | 7.8 | 10.0 | 10.1 | 9.2 | 11.1 | 9.9 | 9.2 | 10.7 | 9.7 | 9.3 | 10.2 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | | | |
| مصر | 9.5 | 9.7 | 9.3 | 11.1 | 11.2 | 10.9 | 9.7 | 9.8 | 9.6 | 8.8 | 8.9 | 8.7 |
| العراق | 11.1 | 11.1 | 11.1 | 10.8 | 10.9 | 10.7 | 10.0 | 10.0 | 10.0 | 10.6 | 10.6 | 10.5 |
| الأردن | 12.0 | 12.5 | 11.5 | 10.7 | 10.7 | 10.8 | 10.4 | 10.4 | 10.4 | 10.5 | 10.4 | 10.5 |
| لبنان | 11.5 | 11.9 | 11.0 | 9.5 | 9.8 | 9.2 | 9.9 | 10.2 | 9.5 | 7.8 | 8.0 | 7.5 |
| فلسطين | 10.6 | 11.3 | 9.9 | 9.7 | 9.9 | 9.5 | 12.1 | 12.2 | 12.0 | 11.2 | 11.3 | 11.1 |
| الجمهورية العربية السورية | 10.8 | 10.8 | 10.7 | 12.3 | 12.3 | 12.2 | 10.2 | 10.2 | 10.1 | 9.8 | 9.9 | 9.7 |
| **المجموع- المشرق** | 10.2 | 10.3 | 10.0 | 11.1 | 11.2 | 11.0 | 9.9 | 10.0 | 9.8 | 9.4 | 9.5 | 9.3 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 11.0 | 11.2 | 10.8 | 11.2 | 11.2 | 11.1 | 9.8 | 9.8 | 9.7 | 9.6 | 9.6 | 9.5 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 10.9 | 10.6 | 11.2 | 12.3 | 12.1 | 12.5 | 9.2 | 9.2 | 9.2 | 9.9 | 9.9 | 9.9 |
| المغرب | 11.3 | 11.5 | 11.1 | 10.7 | 10.9 | 10.6 | 8.7 | 8.8 | 8.6 | 8.6 | 8.7 | 8.5 |
| تونس | 10.5 | 10.6 | 10.5 | 10.9 | 11.0 | 10.7 | 8.7 | 8.8 | 8.5 | 7.7 | 7.9 | 7.6 |
| **المعدل- المغرب** | 11.0 | 11.2 | 10.9 | 11.0 | 11.1 | 10.9 | 9.2 | 9.3 | 9.1 | 9.0 | 9.1 | 8.9 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 10.4 | 10.5 | 10.3 | 10.9 | 11.0 | 10.8 | 10.7 | 10.8 | 10.6 | 10.7 | 10.8 | 10.6 |
| الصومال | 10.4 | 10.4 | 10.3 | 10.6 | 10.7 | 10.5 | 10.4 | 10.5 | 10.3 | 11.5 | 11.6 | 11.4 |
| السودان | 10.2 | 10.3 | 10.0 | 11.7 | 11.8 | 11.6 | 10.0 | 10.2 | 9.9 | 9.9 | 10.0 | 9.8 |
| اليمن | 11.3 | 11.8 | 10.7 | 10.2 | 10.3 | 10.1 | 11.1 | 11.1 | 11.1 | 11.3 | 11.3 | 11.2 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 10.5 | 10.7 | 10.3 | 11.0 | 11.1 | 11.0 | 10.5 | 10.6 | 10.4 | 10.7 | 10.8 | 10.6 |
| **المعدل العام للدول العربية** | 10.3 | 10.3 | 10.3 | 11.0 | 11.0 | 11.0 | 9.9 | 9.9 | 9.9 | 9.7 | 9.7 | 9.6 |

**المصدر :** UN Department of Economic and Social Affairs, World Population Prospects 1998 Revision, Vol. I, Comprehensive Tables, 1999

## جدول 2-3 : تطور عدد المراهقين (عمر 15-19 سنة) (ألف)

| الدولـــــــــــــــة | 1990 | | | 2000 | | | 2010 | | | 2020 | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء | الإجمالي | رجال | نساء |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 35 | 18 | 17 | 52 | 27 | 25 | 66 | 33 | 32 | 51 | 26 | 25 |
| الكويت | 182 | 91 | 91 | 217 | 111 | 107 | 215 | 109 | 106 | 214 | 109 | 106 |
| عمان | 162 | 81 | 81 | 275 | 139 | 136 | 372 | 189 | 184 | 482 | 245 | 237 |
| قطر | 26 | 14 | 12 | 44 | 22 | 22 | 51 | 26 | 25 | 55 | 28 | 27 |
| المملكة العربية السعودية | 1464 | 759 | 706 | 2196 | 1126 | 1071 | 2928 | 1488 | 1441 | 3705 | 1885 | 1819 |
| الإمارات العربية المتحدة | 125 | 68 | 57 | 210 | 109 | 101 | 221 | 113 | 108 | 227 | 116 | 110 |
| **المجموع- مجلس التعاون الخليجي** | 1994 | 1031 | 964 | 2994 | 1534 | 1462 | 3853 | 1958 | 1896 | 4734 | 2409 | 2324 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | | | |
| مصر | 5347 | 2767 | 2579 | 7567 | 3893 | 3674 | 7794 | 3984 | 3810 | 7934 | 4051 | 3883 |
| العراق | 2008 | 1025 | 983 | 2503 | 1284 | 1219 | 3037 | 1549 | 1489 | 3975 | 2031 | 1944 |
| الأردن | 556 | 300 | 255 | 716 | 367 | 349 | 918 | 472 | 446 | 1151 | 588 | 562 |
| لبنان | 293 | 148 | 145 | 311 | 157 | 154 | 367 | 187 | 180 | 324 | 165 | 159 |
| فلسطين | 68 | 36 | 32 | 109 | 56 | 53 | 200 | 102 | 98 | 265 | 135 | 130 |
| الجمهورية العربية السورية | 1334 | 679 | 655 | 1978 | 1002 | 976 | 2079 | 1055 | 1024 | 2409 | 1223 | 1186 |
| **المجموع- المشرق** | 9606 | 4955 | 4649 | 13184 | 6759 | 6425 | 14395 | 7349 | 7047 | 16058 | 8193 | 7864 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 2742 | 1409 | 1333 | 3510 | 1787 | 1723 | 3747 | 1906 | 1841 | 4191 | 2129 | 2062 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 480 | 244 | 236 | 691 | 352 | 339 | 644 | 330 | 314 | 803 | 411 | 392 |
| المغرب | 2702 | 1378 | 1324 | 3042 | 1547 | 1496 | 2853 | 1451 | 1401 | 3160 | 1608 | 1553 |
| تونس | 858 | 436 | 422 | 1043 | 534 | 509 | 946 | 486 | 459 | 945 | 487 | 458 |
| **المجموع- المغرب** | 6782 | 3467 | 3315 | 8286 | 4220 | 4067 | 8190 | 4173 | 4015 | 9099 | 4635 | 4465 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 211 | 105 | 105 | 291 | 146 | 145 | 371 | 186 | 185 | 463 | 233 | 231 |
| الصومال | 805 | 404 | 401 | 1069 | 534 | 535 | 1463 | 734 | 729 | 2158 | 1081 | 1077 |
| السودان | 2447 | 1204 | 1244 | 3455 | 1744 | 1710 | 3641 | 1846 | 1795 | 4277 | 2173 | 2104 |
| اليمن | 1304 | 634 | 670 | 1850 | 941 | 909 | 2816 | 1435 | 1381 | 3854 | 1978 | 1876 |
| **المجموع- الدول الأقل نموا** | 4767 | 2347 | 2420 | 6665 | 3365 | 3299 | 8291 | 4201 | 4090 | 10752 | 5465 | 5288 |
| **المجموع العام للدول العربية** | 23149 | 11873 | 11275 | 31129 | 15878 | 15253 | 34729 | 17681 | 17048 | 40643 | 20702 | 19941 |

**المصدر :** UN Department of Economic and Social Affairs, World Population Prospects 1998 Revision, Vol. I, Comprehensive Tables, 1999

## جدول 2-6 : متوسط العمر عند الزواج الأول حسب محل الإقامة والنوع (سنة)

| الدولة | تاريخ إجراء المسح | حضر | | ريف | | مجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 29.5 | 26.0 | 27.6 | 24.7 | 29.0 | 25.4 |
| الكويت | 1996 | – | – | – | – | 24.5 | 21.7 |
| عمان | 1995 | 26.7 | 20.2 | 24.5 | 18.6 | 25.6 | 19.2 |
| قطر | 1998 | – | – | – | – | 26.4 | 22.9 |
| المملكة العربية السعودية | 96-97 | 25.4 | 22.1 | 24.4 | 20.6 | 25.2 | 21.8 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 26.1 | 24.2 | 24.7 | 21.6 | – | – |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 26.9 | 23.1 | 25.3 | 21.4 | 26.1 | 22.2 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 29.8 | 24.8 | 26.4 | 21.2 | 27.2 | 21.3 |
| العراق | – | – | – | – | – | – | – |
| الأردن | 1997 | – | – | – | – | – | – |
| لبنان | 1996 | 30.9 | 27.5 | – | – | 30.9 | 27.5 |
| فلسطين | – | – | – | – | – | – | – |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 28.9 | 24.2 | 28.0 | 25.0 | 28.5 | 24.5 |
| **المعدل- المشرق** | | 29.9 | 25.5 | – | – | 28.9 | 24.4 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 31.2 | 26.9 | 28.8 | 24.5 | 30.1 | 25.9 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 32.2 | 29.4 | 31.5 | 28.7 | 32.0 | 29.2 |
| المغرب | 96-97 | – | – | – | – | – | – |
| تونس | 94-95 | 30.8 | 26.7 | 29.0 | 26.3 | 30.1 | 26.5 |
| **المعدل- المغرب** | | 31.4 | 27.7 | 29.8 | 26.5 | 30.7 | 27.2 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | |
| جزر القمر | – | – | – | – | – | – | – |
| جيبوتي | – | – | – | – | – | – | – |
| موريتانيا | 1990 | 30.1 | 23.5 | 29.4 | 22.7 | 29.8 | 19.2 |
| الصومال | – | – | – | – | – | – | – |
| السودان | 92-93 | 32.7 | 26.7 | 29.6 | 24.2 | 31.1 | 25.3 |
| اليمن | 1997 | – | 16.9 | – | 15.9 | – | 16.0 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | – | 22.4 | – | 20.9 | – | 20.2 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 2-5 : الأسرة والزواج والولادات والهجرة

| الدولة | متوسط حجم الأسرة 1994/1991 | نسبة الأسر التي ترأسها امرأة 1997/1991 (٪) | المتزوجون أو سبق لهم الزواج ضمن الفئة العمرية 19-15 1998/1991 (٪) | | متوسط العمر عند الزواج الأول 1997/1991 | | عدد الولادات لكل 1000 امرأة ضمن الفئة 19-15 2000-1995 | امرأة لكل 100 رجل ضمن المهاجرين دوليا 1990 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | نساء | رجال | نساء | رجال | | |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | 5.6 | .. | 7 | <1 | 26 | 28 | 22 | 39 |
| الكويت | 6.5 | 5 | 13 | 1 | 25 | 30 | 34 | 75 |
| عمان | 7.0 | .. | .. | .. | 19 | 26 | 80 | 50 |
| قطر | 5.6 | .. | 14 | 4 | 23 | 27 | 66 | 35 |
| المملكة العربية السعودية | 7.4 | .. | 16 | 1 | 22 | 26 | 113 | 50 |
| الإمارات العربية المتحدة | .. | .. | 19 | 3 | 23 | 26 | 73 | 50 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 6.4 | .. | 14 | 2 | 23 | 27 | 65 | 50 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | 4.9 | 13 | 14 | – | 22 | 26 | 65 | 89 |
| العراق | 7.3 | .. | 28 | 15 | 22 | 26 | 45 | 65 |
| الأردن | 6.9 | .. | 9 | 1 | 25 | 28 | 43 | 109 |
| لبنان | .. | .. | .. | .. | .. | .. | 26 | 39 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | 142 | 67 |
| الجمهورية العربية السورية | 6.0 | .. | .. | .. | .. | .. | 44 | 90 |
| **المعدل- المشرق** | 6.3 | .. | 17 | .. | 23 | 27 | 61 | 78 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | 7.0 | 11 | 10 | 1 | 24 | 28 | 25 | 122 |
| الجماهيرية العربية الليبية | .. | .. | .. | .. | .. | .. | 56 | 44 |
| المغرب | 6.0 | 15 | 13 | 1 | 22 | .. | 50 | 97 |
| تونس | 5.4 | 11 | 3 | <1 | 25 | .. | 13 | 99 |
| **المعدل- المغرب** | 6.1 | 12 | 9 | 1 | 24 | .. | 36 | 91 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | 6.2 | 25 | 12 | 3 | 22 | 29 | 83 | 131 |
| جيبوتي | 6.6 | 18 | 7 | 1 | 19 | 27 | 31 | 111 |
| موريتانيا | .. | .. | .. | .. | 23 | 30 | 135 | 78 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | 213 | 99 |
| السودان | 6.3 | 13 | 16 | .. | 24 | .. | 52 | 100 |
| اليمن | 5.8 | 12 | 24 | 5 | 19 | 23 | 102 | 15 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 6.2 | 17 | 15 | 3 | 21 | 27 | 103 | 89 |

**المصدر :** UN, World Women 2000, 2000

## جدول 2-8 : متوسط عدد المواليد أحياء حسب العمر عند الزواج الأول

| الدولـــــــــــــــة | تاريخ إجـــراء المسـح | أقل من 15 | 17-15 | 19-18 | 21-20 | 24-22 | 29-25 | 30 فأكثر | إجمالي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 7.3 | 5.1 | 3.3 | 2.6 | 2.0 | 2.0 | 1.4 | 4.3 |
| الكويت | 1996 | 6.9 | 5.6 | 4.3 | 3.8 | 3.1 | 2.9 | 2.2 | 4.9 |
| عمان | 1995 | 5.7 | 4.6 | 3.4 | 3.4 | 2.3 | 2.1 | 1.1 | 4.8 |
| قطر | 1998 | 6.4 | 4.7 | 3.5 | 2.9 | 2.5 | 2.3 | 2.1 | 4.0 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | 6.5 | 5.4 | 4.1 | 4.1 | 3.8 | 4.6 | 6.6 | 5.3 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 6.1 | 4.8 | 3.8 | 3.6 | 3.0 | 3.4 | 2.5 | 4.8 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 6.5 | 5.0 | 3.7 | 3.4 | 2.8 | 2.9 | 2.7 | 4.7 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 5.4 | 4.5 | 3.7 | 3.4 | 2.7 | 2.5 | 1.5 | 3.9 |
| العراق | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الأردن | 1997 | - | - | - | - | | - | - | - |
| لبنان | 1996 | 5.4 | 4.3 | 3.5 | 3.2 | 2.7 | 2.4 | 1.6 | 3.4 |
| فلسطين | - | - | - | - | - | | - | - | - |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 5.6 | 4.8 | 4.2 | 3.9 | 3.3 | 2.7 | 2.2 | 4.3 |
| **المعدل- المشرق** | | 5.5 | 4.5 | 3.8 | 3.5 | 2.9 | 2.5 | 1.8 | 3.9 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 7.6 | 6.2 | 4.5 | 3.8 | 3.0 | 2.6 | 1.9 | 4.7 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 8.8 | 7.4 | 5.8 | 4.2 | 3.3 | 2.4 | 1.8 | 5.7 |
| المغرب | 97-96 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| تونس | 95-94 | 7.4 | 7.2 | 5.8 | 6.1 | 5.3 | 4.4 | 1.8 | 6.0 |
| **المعدل- المغرب** | | 7.9 | 6.9 | 5.4 | 4.7 | 3.9 | 3.1 | 1.8 | 5.5 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| جيبوتي | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| موريتانيا | 1990 | 4.5 | 3.8 | 3.2 | 3.1 | 2.5 | 2.4 | 1.2 | 3.8 |
| الصومال | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| السودان | 93-92 | 5.9 | 4.8 | 3.8 | 3.2 | 2.8 | 2.3 | 1.1 | 4.5 |
| اليمن | 1997 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | - | - | - | - | - | - | - | - |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 2-7 : متوسط العمر عند الزواج الأول حسب المستوى التعليمي والنوع (سنة)

| الدولة | تاريخ إجراء المسح | أمي | | يقرأ و يكتب | | ابتدائي | | إعدادي | | ثانوي فأكثر | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى | ذكر | أنثى |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الكويت | 1996 | 24.3 | 19.3 | 24.3 | 21.2 | 24.5 | 22.0 | 25.6 | 22.3 | 25.1 | 23.6 |
| عمان | 1995 | 24.8 | 16.9 | 24.9 | 18.5 | 25.4 | 22.0 | 26.1 | – | 26.8 | – |
| قطر | 1998 | 28.6 | 19.8 | 25.8 | 20.3 | 26.2 | 22.5 | 26.3 | 22.5 | 26.0 | 24.6 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 25.1 | 18.9 | 25.9 | 22.8 | 25.1 | 23.9 | – | – | 26.3 | 26.2 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 25.7 | 18.7 | 25.2 | 20.7 | 25.3 | 22.6 | 26.0 | – | 26.1 | 24.8 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 24.3 | 20.2 | 25.7 | 20.9 | 27.6 | 22.9 | – | – | 29.9 | 25.9 |
| العراق | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الأردن | 1997 | | | | | | | | | | |
| لبنان | 1996 | 29.6 | 27.0 | 27.8 | 25.2 | 29.9 | 25.8 | 31.2 | 26.1 | 32.8 | 30.0 |
| فلسطين | – | | | | | | | | | | |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 26.8 | 23.1 | 26.6 | 22.0 | 27.5 | 23.7 | 28.1 | 24.7 | 30.5 | 24.5 |
| **المعدل- المشرق** | | 26.9 | 23.4 | 26.7 | 22.7 | 28.3 | 24.1 | – | – | 31.1 | 26.8 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 27.4 | 23.6 | 29.7 | 25.6 | 31.0 | 25.6 | 30.9 | 26.9 | 31.6 | 30.3 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 33.2 | 27.4 | 32.3 | 27.9 | 31.5 | 28.8 | 32.1 | 29.3 | 32.1 | 30.8 |
| المغرب | 97-96 | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| تونس | 95-94 | 29.2 | 26.2 | 30.7 | 26.2 | 30.5 | 27.3 | 30.0 | 27.0 | 31.8 | 27.6 |
| **المعدل- المغرب** | | 29.9 | 25.7 | 30.9 | 26.6 | 31.0 | 27.2 | 31.0 | 27.7 | 31.8 | 29.6 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| جيبوتي | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| موريتانيا | 1990 | 29.7 | 22.8 | – | – | 30.1 | 24.4 | 31.7 | 25.9 | – | – |
| الصومال | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| السودان | 93-92 | 28.2 | 22.2 | 30.7 | 24.5 | 30.8 | 25.1 | 32.6 | 28.8 | 32.6 | 29.1 |
| اليمن | 1997 | – | 15.8 | – | – | – | 17.6 | – | – | – | 16.0 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | – | 20.3 | – | – | – | 22.4 | – | – | – | – |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 2-10 : معدلات الخصوبة العمرية حسب العمر (ألف من النساء في الفئة العمرية المناظرة)

| الدولـــــــــــــــة | المرجع الزمني | 19-15 | 24-20 | 29-25 | 34-30 | 39-35 | 44-40 | 49-45 | الخصوبة الكلية |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 1989-88 | 16 | 124 | 222 | 214 | 176 | 75 | 11 | 4.2 |
| الكويت | 1987-84 | 42 | 255 | 326 | 300 | 231 | 103 | 43 | 6.5 |
| عمان | 1989-88 | 134 | 389 | 343 | 297 | 255 | 133 | 22 | 7.8 |
| قطر | 1987-84 | 43 | 169 | 261 | 215 | 131 | 51 | 27 | 4.5 |
| المملكة العربية السعودية | 1987-86 | 55 | 236 | 328 | 273 | 251 | 111 | 37 | 6.5 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1987-86 | 55 | 201 | 259 | 288 | 191 | 128 | 60 | 5.9 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 57 | 229 | 290 | 264 | 206 | 100 | 33 | 5.9 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 1991-85 | 73 | 207 | 235 | 158 | 97 | 41 | 14 | 4.1 |
| العراق | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الأردن | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| لبنان | 1996-91 | 30 | 123 | 147 | 112 | 67 | 22 | 5 | 2.5 |
| فلسطين | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الجمهورية العربية السورية | 1993-88 | 61 | 164 | 225 | 189 | 129 | 64 | 11 | 4.2 |
| **المعدل- المشرق** | | 55 | 165 | 202 | 153 | 98 | 42 | 10 | 3.6 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1990-87 | 21 | 143 | 214 | 220 | 164 | 92 | 23 | 4.4 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995-90 | 7 | 74 | 181 | 229 | 193 | 109 | 24 | 4.1 |
| المغرب | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| تونس | 1994-90 | 15 | 113 | 180 | 153 | 97 | 44 | 9 | 3.1 |
| **المعدل- المغرب** | | 14 | 110 | 192 | 201 | 151 | 82 | 19 | 3.9 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| جيبوتي | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| موريتانيا | 1990-84 | 81 | 172 | 213 | 207 | 164 | 98 | 68 | 5.0 |
| الصومال | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| السودان | 1993-88 | 53 | 167 | 215 | 210 | 162 | 74 | 33 | 4.6 |
| اليمن | 1992-87 | 102 | 283 | 315 | 284 | 258 | 172 | 120 | 7.7 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 79 | 207 | 248 | 234 | 195 | 115 | 74 | 5.8 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 2-9 : نسبة السيدات الحوامل بين المتزوجات حسب العمر الحالي (٪)

| الدولـــــــــــــــــــــــة | تاريخ إجـــراء المســح | -15 | -20 | -25 | -30 | -35 | -40 | 49-45 | إجمالي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 32.4 | 23.3 | 14.7 | 11.7 | 8.8 | 4.7 | 0.8 | 11.9 |
| الكويت | 1996 | 32.7 | 27.8 | 25.2 | 25.4 | 13.6 | 2.9 | 2.5 | 19.2 |
| عمان | 1995 | 21.7 | 25.1 | 22.9 | 21.7 | 17.1 | 5.9 | 3.8 | 18.9 |
| قطر | 1998 | 27.5 | 26.6 | 18.4 | 10.5 | 6.8 | 3.5 | 0.7 | 13.3 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | 25.9 | 24.9 | 21.4 | 20.7 | 13.4 | 6.4 | 1.1 | 16.9 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 32.0 | 28.0 | 22.3 | 18.5 | 13.3 | 7.2 | 4.3 | 19.7 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 28.7 | 26.0 | 20.8 | 18.1 | 12.2 | 5.1 | 2.2 | 16.7 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 22.0 | 22.4 | 17.1 | 10.4 | 6.3 | 1.8 | 0.4 | 11.1 |
| العراق | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الأردن | 1997 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| لبنان | 1996 | 22.6 | 22.1 | 14.1 | 8.5 | 5.0 | 0.5 | - | 8.3 |
| فلسطين | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 28.1 | 24.7 | 21.1 | 12.2 | 8.8 | 3.1 | 0.8 | 14.6 |
| **المعدل- المشرق** | | 24.2 | 23.1 | 17.4 | 10.4 | 6.7 | 1.8 | - | 11.3 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 33.5 | 27.2 | 19.5 | 11.9 | 10.2 | 4.3 | 0.4 | 12.9 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 26.7 | 25.8 | 22.9 | 17.8 | 12.1 | 6.0 | 1.6 | 14.1 |
| المغرب | 97-96 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| تونس | 95-94 | - | - | - | - | - | - | - | 8.2 |
| **المعدل- المغرب** | | 30.1 | 26.5 | 21.2 | 14.9 | 11.2 | 5.2 | 1.0 | 11.7 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| جيبوتي | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| موريتانيا | 1990 | 17.5 | 16.7 | 16.6 | 12.8 | 9.9 | 6.6 | 3.4 | 12.6 |
| الصومال | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| السودان | 93-92 | 24.5 | 18.7 | 17.1 | 15.0 | 11.8 | 5.6 | 1.6 | 13.2 |
| اليمن | 1997 | 21.0 | 22.5 | 20.2 | 19.8 | 18.4 | 14.1 | 8.0 | 18.4 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 21.0 | 19.3 | 18.0 | 15.9 | 13.4 | 8.8 | 4.3 | 14.7 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

# 3- التعليم

## جدول 3-1 : معرفة القراءة والكتابة والقيد

| الدولـــــــــــة | معرفة القراءة والكتابة بين البالغين (٪ لمن تبلغ أعمارهم 15 سنة أو أكثر) | | معرفة القراءة والكتابة بين الشباب (٪ لمن تبلغ أعمارهم 15-24) | | صافي القيد للتعليم الابتدائي (٪) | | صافي القيد للتعليم الثانوي (٪) | | الطلبة الذين يدرسون العلوم الرياضية والهندسة (٪ من جميع الطلبة في التعليم العالي) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 2000 | 1985 | 2000 | 1985 | 1998 | 1987-85 | 1998 | 1987-85 | 1997-1994 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 87.6 | 76.8 | 98.4 | 93.2 | 97 | 97 | 80 | 82 | .. |
| الكويت | 82.0 | 72.2 | 92.4 | 84.2 | 67 | 82 | 57 | .. | 23 |
| عمان | 71.7 | 45.5 | 97.9 | 74.0 | 66 | 69 | 58 | .. | 31 |
| قطر | 81.2 | 74.4 | 94.8 | 86.8 | 86 | 92 | 67 | 66 | .. |
| المملكة العربية السعودية | 76.3 | 59.4 | 92.7 | 80.0 | 59 | 53 | .. | 29 | 18 |
| الإمارات العربية المتحدة | 76.3 | 69.0 | 90.7 | 79.7 | 83 | 89 | 70 | .. | 27 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 79.2 | 66.2 | 94.5 | 83.0 | 76 | 80 | 66 | 59 | 25 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 55.3 | 43.2 | 69.8 | 57.0 | 92 | .. | .. | .. | 15 |
| العراق | 55.0 | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 89.7 | 74.8 | 99.3 | 94.6 | *99 | .. | 60 | .. | 27 |
| لبنان | 86.0 | 76.3 | 95.2 | 90.0 | 78 | .. | 76 | .. | 17 |
| فلسطين | *86 | .. | .. | .. | *92 | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 74.4 | 59.4 | 87.2 | 75.5 | 93 | 100 | 38 | 52 | 31 |
| **المعدل- المشرق** | 74.4 | 63.4 | 87.9 | 79.3 | 91 | .. | 58 | .. | 23 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 66.7 | 44.5 | 89.0 | 69.5 | 94 | 89 | 58 | 50 | 50 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 80.0 | 60.8 | 96.5 | 86.7 | .. | .. | 71 | .. | .. |
| المغرب | 48.9 | 33.5 | 67.4 | 48.3 | 79 | 58 | .. | .. | 29 |
| تونس | 71.0 | 52.6 | 93.4 | 78.3 | 98 | 94 | 55 | 32 | 27 |
| **المعدل- المغرب** | 66.7 | 47.9 | 86.6 | 70.7 | 90 | 80 | 61 | 41 | 35 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | 55.9 | 52.7 | 58.7 | 55.8 | 50 | 55 | .. | .. | .. |
| جيبوتي | 64.6 | 46.7 | 84.0 | 66.6 | 32 | 32 | .. | 11 | .. |
| موريتانيا | 40.2 | 31.9 | 48.9 | 37.9 | 60 | 33 | .. | .. | .. |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 57.8 | 40.0 | 77.2 | 57.7 | 46 | .. | .. | .. | .. |
| اليمن | 46.3 | 25.9 | 64.9 | 40.7 | 61 | .. | 35 | .. | 6 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 53.0 | 39.4 | 66.7 | 51.7 | 50 | 40 | .. | .. | .. |
| العالم | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول النامية | 73.7 | 62.7 | 84.6 | 78.4 | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول الأقل نموا | 52.8 | 39.4 | 66.0 | 52.3 | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول العربية | 62.0 | 45.8 | 79.1 | 63.1 | .. | .. | .. | .. | .. |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 85.9 | 74.7 | 97.4 | 93.1 | .. | .. | .. | .. | .. |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 88.3 | 82.4 | 94.0 | 90.8 | .. | .. | .. | .. | .. |
| جنوب آسيا | 55.6 | 43.7 | 69.8 | 57.4 | .. | .. | .. | .. | .. |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 61.5 | 44.4 | 77.7 | 61.7 | .. | .. | .. | .. | .. |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | 99.3 | 98.5 | 99.8 | 99.6 | .. | .. | .. | .. | .. |

* UNICEF(2001)

**المصدر : تقرير التنمية البشرية** 2002

The State of Children and Women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

## جدول 2-11 : نسبة النساء السابق لهن الزواج حسب متوسط عدد الأطفال المرغوب في الإنجاب في العمر الحالي(٪)

| الدولـــــــــــــــــــــــة | تاريخ إجـــراء المســح | -15 | -20 | -25 | -30 | -35 | -40 | 49-45 | إجمالي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 4.3 | 4.4 | 4.7 | 4.6 | 4.6 | 5.1 | 5.8 | 4.7 |
| الكويت | 1996 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| عمان | 1995 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| قطر | 1998 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 4.3 | 4.4 | 4.7 | 4.6 | 4.6 | 5.1 | 5.8 | 4.7 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 2.8 | 2.7 | 3.0 | 3.1 | 3.3 | 3.3 | 3.7 | 3.1 |
| العراق | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الأردن | 1997 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| لبنان | 1996 | 3.1 | 3.6 | 3.6 | 3.8 | 4.1 | 4.4 | 4.4 | 4.0 |
| فلسطين | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 4.2 | 4.3 | 4.7 | 4.8 | 5.5 | 5.7 | 6.0 | 5.0 |
| **المعدل- المشرق** | | 3.4 | 3.5 | 3.8 | 3.9 | 4.3 | 4.5 | 4.7 | 4.0 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 3.5 | 3.8 | 3.8 | 4.1 | 4.4 | 4.6 | 4.7 | 4.2 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 4.6 | 4.5 | 4.7 | 5.3 | 5.7 | 6.2 | 7.2 | 5.6 |
| المغرب | 97-96 | – | – | – | – | – | – | – | – |
| تونس | 95-94 | 3.0 | 2.9 | 3.0 | 3.2 | 3.4 | 3.6 | 3.6 | 3.3 |
| **المعدل- المغرب** | | 3.7 | 3.7 | 3.8 | 4.2 | 4.5 | 4.8 | 5.2 | 4.4 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| جيبوتي | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| موريتانيا | 1990 | 6.1 | 6.4 | 7.1 | 7.4 | 8.1 | 8.8 | 8.7 | 7.5 |
| الصومال | – | – | – | – | – | – | – | – | – |
| السودان | 93-92 | 5.2 | 5.5 | 5.7 | 5.9 | 6.4 | 6.8 | 6.7 | 6.0 |
| اليمن | 1997 | 4.7 | 4.7 | 5.1 | 5.5 | 5.8 | 6.1 | 6.5 | 5.4 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 5.3 | 5.5 | 6.0 | 6.3 | 6.8 | 7.2 | 7.3 | 6.3 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 3-3 : الالتزام تجاه التعليم: الإنفاق العام

| الدولـــــــة | الإنفاق العام على التعليم | | | | الإنفاق العام على التعليم تبعا للمرحلة (كنسبة مئوية من جميع المراحل) | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | كنسبة مئوية من الناتج القومي | | كنسبة مئوية من مجموع الإنفاق الحكومي | | ما قبل الابتدائي والابتدائي | | الثانوي | | العالي | |
| | 1987-85 | 1997-95 | 1987-85 | 1997-95 | 1986-85 | 1997-95 | 1986-85 | 1997-95 | 1986-85 | 1997-95 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | |
| البحرين | 5.2 | 4.4 | 12.3 | 12 | .. | 30.1 | .. | 34.5 | .. | .. |
| الكويت | 4.8 | 5 | 13.4 | 14 | .. | *69.8 | .. | *69.8 | .. | 30.2 |
| عمان | 4.1 | 4.5 | 15 | 16.4 | .. | 40.9 | .. | 51.3 | .. | 7.0 |
| قطر | 4.7 | 3.4 | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | 7.4 | 7.5 | 13.6 | 22.8 | *72.9 | *84.4 | *72.9 | *84.4 | 27.1 | 15.6 |
| الإمارات العربية المتحدة | 2.1 | 1.7 | 13.2 | 20.3 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 4.72 | 4.42 | 13.50 | 17.10 | .. | .. | .. | 60.00 | .. | 17.60 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | |
| مصر | 4.5 | 4.8 | .. | 14.9 | .. | *66.7 | .. | *66.7 | .. | 33.3 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 6.8 | 7.9 | 15.8 | 19.8 | *62.9 | *64.5 | *62.9 | *64.5 | 34.1 | 33 |
| لبنان | .. | 2.5 | 11.7 | 8.2 | .. | *68.9 | .. | *68.9 | .. | 16.2 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 4.8 | 4.2 | 14 | 13.6 | 38.4 | 41.9 | 25.3 | 29.8 | 33.6 | 25.9 |
| **المعدل- المشرق** | 5.4 | 4.9 | 13.8 | 14.1 | .. | .. | .. | 57.5 | .. | 27.1 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 9.8 | 5.1 | 27.8 | 16.4 | .. | *95.3 | .. | *95.3 | .. | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | 9.6 | .. | 20.8 | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| المغرب | 6.2 | 5.3 | 21.5 | 24.9 | 35.3 | 34.6 | 47.6 | 48.8 | 17.1 | 16.5 |
| تونس | 6.2 | 7.7 | 14.8 | 19.9 | 44 | 42.5 | 37 | 37.2 | 18.2 | 18.5 |
| **المعدل- المغرب** | 8.0 | 6.0 | 21.2 | 20.4 | 39.7 | 38.6 | 42.3 | 60.4 | 17.7 | 17.5 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. | .. | 36.6 | .. | 35.1 | .. | 17.2 |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| موريتانيا | .. | 5.1 | .. | 16.2 | 32.6 | 39.4 | 36.2 | 35.3 | 27.4 | 21.2 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | .. | 1.4 | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| اليمن | .. | 7 | .. | 21.6 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |

* مجموع التعليم ما قبل الابتدائي والابتدائي والثانوي.

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002.

## جدول 3-2 : اللامساواة الجنسانية في التعليم

| الدولـــــــــــــــة | معرفة القراءة والكتابة بين البالغين | | معرفة القراءة والكتابة بين الشباب | | صافي القيد الابتدائي | | صافي القيد الثانوي | | إجمالي القيد بالتعليم العالي | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | معدل الإناث (كنسبة مئوية لمن تبلغ أعمارهن 15 وأكثر) 2000 | معدل الإناث (كنسبة مئوية من معدل الذكور) 2000 | معدل الإناث (كنسبة مئوية لمن تبلغ أعمارهن 15-24 سنة) 2000 | معدل الإناث (كنسبة مئوية من معدل الذكور) 2000 | نسبة الإناث (٪) 1998 | الإناث كنسبة مئوية من الذكور 1998 | نسبة الإناث (٪) 1998 | الإناث كنسبة مئوية من الذكور 1998 | نسبة الإناث (٪) 1998 | الإناث كنسبة مئوية من الذكور 1998 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | |
| البحرين | 82.6 | 91 | 98.6 | 100 | 98 | 102 | 85 | 112 | 32 | 156 |
| الكويت | 79.7 | 95 | 93.2 | 102 | 67 | 98 | 58 | 101 | 27 | 214 |
| عمان | 61.6 | 77 | 96.3 | 97 | 65 | 98 | 58 | 102 | .. | .. |
| قطر | 83.1 | 103 | 97.1 | 105 | 85 | 99 | 69 | 107 | 39 | 280 |
| المملكة العربية السعودية | 66.9 | 81 | 90.3 | 95 | 57 | 93 | .. | .. | 22 | 135 |
| الإمارات العربية المتحدة | 79.3 | 106 | 94.4 | 108 | 82 | 98 | 73 | 106 | .. | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 75.5 | 92 | 95.0 | 101 | 76 | 98 | 69 | 106 | 30 | 196 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | |
| مصر | 43.8 | 66 | 62.7 | 82 | 89 | 94 | .. | .. | .. | .. |
| العراق | *43.2 | *68 | .. | *88 | .. | *66 | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 83.9 | 88 | 99.3 | 100 | *99 | 102 | *75 | 107 | .. | .. |
| لبنان | 80.3 | 87 | 93.0 | 96 | 77 | 97 | 79 | 109 | 39 | 102 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 60.5 | 68 | 78.8 | 83 | 89 | 92 | 36 | 92 | .. | .. |
| **المعدل- المشرق** | 62.3 | 75 | 83.5 | 90 | 89 | 90 | 63 | 103 | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 57.1 | 75 | 84.2 | 90 | 92 | 95 | 59 | 101 | .. | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | 68.2 | 75 | 93.1 | 93 | .. | .. | 76 | 113 | 57 | 103 |
| المغرب | 36.1 | 58 | 58.3 | 77 | 73 | 86 | .. | .. | 8 | 75 |
| تونس | 60.6 | 74 | 89.2 | 92 | 96 | 97 | 56 | 103 | 17 | 97 |
| **المعدل- المغرب** | 55.5 | 71 | 81.2 | 88 | 87 | 93 | 64 | 106 | 27 | 92 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | 48.7 | 77 | 51.8 | 79 | 46 | 85 | .. | .. | 1 | 75 |
| جيبوتي | 54.4 | 72 | 79.4 | 90 | 27 | 72 | .. | .. | (.) | 100 |
| موريتانيا | 30.1 | 59 | 40.6 | 71 | 58 | 94 | .. | .. | .. | .. |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 46.3 | 67 | 71.5 | 86 | 42 | 83 | .. | .. | 7 | 89 |
| اليمن | 25.2 | 37 | 45.9 | 55 | 44 | 58 | 20 | 40 | 5 | 29 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 40.9 | 62 | 57.8 | 76 | 43 | 78 | .. | .. | 4 | 73 |
| العالم | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول النامية | 66.0 | 81 | 80.5 | 91 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول الأقل نموا | 42.8 | 68 | 58.1 | 79 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الدول العربية | 50.1 | 68 | 72.5 | 85 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 79.4 | 86 | 96.4 | 98 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 87.4 | 98 | 94.4 | 101 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| جنوب آسيا | 43.8 | 66 | 61.2 | 79 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 53.6 | 77 | 73.0 | 89 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | 98.3 | 99 | 99.4 | 100 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |

* تقرير التنمية البشرية 2000

**المصدر : تقرير التنمية البشرية 2002**

## جدول 4-2 : التحديات الصحية

| الدولة | توقع سنوات الإعاقة عند الولادة (سنة) | | | أطفال يعانون من نقص الوزن بالنسبة للسن (٪ دون سن الخامسة) 2000-1995 | حالات الإصابة بالسل (لكل 100000 شخص) 1999 | استهلاك السجائر لكل شخص بالغ (المتوسط السنوي) 2000-1992 | أفراد يحملون متلازمة نقص المناعة/الإيدز 2001 | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ذكور | إناث | جملة | | | | ٪ للبالغين ضمن الفئة العمرية 15-49 | عدد النساء ضمن الفئة العمرية 15-49 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | 6.8 | 8.7 | 7.8 | 9 | 33 | 1785 | 0.26 | 150 |
| الكويت | 8.9 | 11.9 | 10.4 | 10 | 31 | 3080 | .. | .. |
| عمان | 8.6 | 9.7 | 9.2 | 24 | 10 | .. | 0.11 | 200 |
| قطر | 7.4 | 11.8 | 9.6 | 6 | 44 | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | 5.8 | 8.7 | 7.3 | 14 | 17 | .. | .. | .. |
| الإمارات العربية المتحدة | 7.3 | 9.8 | 8.6 | 14 | 33 | .. | .. | .. |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 7.5 | 10.1 | 8.8 | 13 | 28 | .. | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | 5.6 | 5.7 | 5.7 | 12 | 18 | 1221 | .. | 780 |
| العراق | 7.5 | 8.7 | 8.1 | *23 | *126 | 1465* | .. | .. |
| الأردن | 5.6 | 8.2 | 6.9 | 5 | 6 | 1725 | .. | 150 |
| لبنان | 5.1 | 7.2 | 6.2 | 3 | 21 | .. | .. | .. |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 5.8 | 8.2 | 7.0 | 13 | 35 | 1255 | .. | .. |
| المعدل- المشرق | 5.9 | 7.6 | 6.8 | 11 | 41 | 1417 | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | 5.7 | 8.1 | 6.9 | 6 | 48 | 930 | 0.10 | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | 5.3 | 8.1 | 6.7 | 5 | 30 | .. | 0.24 | 1100 |
| المغرب | 6.4 | 7.4 | 6.9 | 9 | 107 | 817 | 0.08 | 2000 |
| تونس | 5.0 | 7.2 | 6.1 | 4 | 23 | 1436 | .. | .. |
| المعدل- المغرب | 5.6 | 7.7 | 6.7 | 6 | 52 | 1061 | 0.14 | 1550 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | 9.9 | 10.6 | 10.3 | 25 | 20 | .. | .. | .. |
| جيبوتي | 7.3 | 7.0 | 7.2 | 18 | 694 | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 9.3 | 10.5 | 9.9 | 23 | 140 | .. | .. | .. |
| الصومال | 8.2 | 7.8 | 8.0 | .. | .. | .. | | |
| السودان | 10.5 | 11.2 | 10.9 | 17 | 80 | .. | 2.60 | 230000 |
| اليمن | 7.6 | 8.3 | 8.0 | 46 | 73 | 797 | 0.12 | 1500 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 8.8 | 9.2 | 9.0 | 26 | 201 | .. | .. | .. |
| العالم | .. | .. | .. | .. | 64 | .. | 1.20 | 18,500,000 |
| الدول النامية | .. | .. | .. | .. | 72 | .. | 1.32 | 18,000,000 |
| الدول الأقل نموا | .. | .. | .. | .. | 95 | .. | 3.55 | 6,500,000 |
| الدول العربية | .. | .. | .. | .. | 48 | .. | 0.35 | 250,000 |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | .. | .. | .. | .. | 49 | .. | 0.20 | 600,000 |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | .. | .. | .. | .. | 43 | .. | 0.61 | 640,000 |
| جنوب آسيا | .. | .. | .. | .. | 99 | .. | 0.55 | 1,500,000 |
| إفريقيا جنوب الصحراء | .. | .. | .. | .. | 121 | .. | 9.00 | 15,000,000 |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | .. | .. | .. | .. | 75 | .. | 0.48 | 270,000 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | .. | .. | .. | .. | 17 | .. | 0.28 | 360,000 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | .. | .. | .. | .. | 13 | .. | 0.36 | 330,000 |

* تقرير التنمية البشرية 2000 وتخص سنة غير تلك المحددة.

**المصدر : تقرير التنمية البشرية** 2002

**تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام** 2002، ص. 137.

# 4- الصحة

## جدول 4-1 : الخدمات والموارد الصحية

| الدولـــــــة | سكان يستخدمون صرف صحي ملائم (٪)* | سكان يستخدمون مياه مأمونة (٪) * | حالات الولادة التي تمت في حضور فريق صحي (٪) 2000-1995 | الأطباء لكل 100000فرد 1990-1999 | الإنفاق على الصحة | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | العام (كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي) 1998 | الخاص (كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي) 1998 | نصيب الفرد (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 1998 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | |
| البحرين | 100 | 100 | 98 | 100 | 2.6 | 1.6 | 358 |
| الكويت | 100 | 99 | 98 | 189 | .. | .. | .. |
| عمان | 95 | 94 | 91 | 133 | 2.9 | 0.6 | .. |
| قطر | 100 | 100 | .. | 126 | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | 99 | 94 | 91 | 166 | .. | .. | .. |
| الإمارات العربية المتحدة | 95 | 98 | 99 | 181 | 0.8 | 7.6 | 1428 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 98 | 98 | 95 | 149 | 2.1 | 3.3 | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | |
| مصر | 97 | 92 | 61 | 202 | .. | .. | .. |
| العراق | 92 | 83 | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 99 | 96 | 97 | 166 | 3.6 | 3.8 | 139 |
| لبنان | 97 | 94 | 88 | 210 | 2.2 | 9.7 | 469 |
| فلسطين | 100 | 96 | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 94 | 93 | .. | 144 | 0.9 | 1.6 | 116 |
| **المعدل- المشرق** | 96 | 92 | 82 | 181 | 2.2 | 5.0 | 241 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | |
| الجزائر | 92 | 89 | 92 | 85 | 2.6 | 1.0 | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | 98 | 97 | 94 | 128 | .. | .. | .. |
| المغرب | 66 | 77 | 40 | 46 | 1.2 | 3.2 | .. |
| تونس | 83 | 97 | 90 | 70 | 2.2 | 2.9 | 108 |
| **المعدل- المغرب** | 85 | 90 | 79 | 82 | 2.0 | 2.4 | .. |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | 62 | 7 | .. | .. | .. |
| جيبوتي | 55 | 90 | .. | 14 | 5.4 | 1.6 | .. |
| موريتانيا | .. | .. | .. | 14 | 1.4 | 3.4 | 19 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 60 | 60 | .. | 9 | .. | .. | .. |
| اليمن | 55 | 57 | 22 | 23 | .. | .. | .. |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 57 | 69 | .. | 13 | .. | .. | .. |

* UNICEF(2001)

**المصدر : تقرير التنمية البشرية** 2002.

The State of Children and Women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

## جدول 4-4 : الصحة الإنجابية

| الدولـــــــــة | معدل الخصوبة الإجمالي (لكل امرأة) | | العناية بالجنين قبل الولادة (٪) | الولادات التي تمت في حضور عاملين مدربين (٪) | معدل الوفيات النفاسية (لكل 100000 مولود حي) |
|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | |
| البحرين | 54 | 2.9 | 97 | 98 | 23 |
| الكويت | 50 | 2.8 | 95 | 98 | 5 |
| عمان | 31 | .. | 99 | 94 | 14 |
| قطر | 43 | 3.2 | 98 | 99 | 10 |
| المملكة العربية السعودية | 32 | 5.1 | 90 | 91 | 7 |
| الإمارات العربية المتحدة | 28 | 3.3 | 97 | 99 | 3 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 40 | 3.5 | 96 | 97 | 10 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | |
| مصر | 49 | 3 | 60 | 61 | 44 |
| العراق | 44 | 5.6 | 76 | 72 | 274 |
| الأردن | 57 | 3.8 | 96 | 97 | 41 |
| لبنان | 63 | 2.9 | 95 | 96 | 104 |
| فلسطين | 51 | 5.9 | 96 | 97 | 75 |
| الجمهورية العربية السورية | 46 | 3.7 | 80 | 87 | 71 |
| **المعدل- المشرق** | 52 | 3.8 | 81 | 83 | 107 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | |
| الجزائر | 64 | 3.1 | 79 | 92 | 120 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 45 | 5.2 | 100 | 98 | 62 |
| المغرب | 58 | 2.9 | 56 | 46 | 228 |
| تونس | 71 | 2.1 | 92 | 90 | 56 |
| **المعدل- المغرب** | 60 | 3.3 | 82 | 82 | 117 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. | .. |
| جيبوتي | 2 | 5.6 | .. | 56 | 710 |
| موريتانيا | .. | .. | .. | .. | .. |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 7 | 5.9 | 71 | 57 | 763 |
| اليمن | 21 | 6.5 | 34 | 22 | 351 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 10 | 6.0 | 53 | 45 | 608 |

**المصدر :**

UNICEF, The State of Children and Women in the Middle East and North Africa,2001

## جدول 4-3 : البقاء على قيد الحياة : التقدم المحرز والانتكاسات

| الدولـــــــــــــــة | العمر المتوقع عند الولادة (بالسنوات) | | معدل وفيات الرضع (لكل 1000 مولود حي) | | معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة (لكل 1000 مولود حي) | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | 1975-1970 | 2000-1995 | 1970 | 2000 | 1970 | 2000 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | 63.5 | 72.9 | 55 | 13 | 75 | 16 |
| الكويت | 67.3 | 75.9 | 49 | 9 | 59 | 10 |
| عمان | 49.0 | 70.5 | 126 | 12 | 200 | 14 |
| قطر | 62.6 | 68.9 | 45 | 12 | 65 | 16 |
| المملكة العربية السعودية | 53.9 | 70.9 | 118 | 24 | 185 | 29 |
| الإمارات العربية المتحدة | 62.5 | 74.6 | 61 | 8 | 83 | 9 |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 59.8 | 72.3 | 76 | 13 | 111 | 16 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | |
| مصر | 52.1 | 66.3 | 157 | 37 | 235 | 43 |
| العراق | *57.0 | *58.7 | 105 | *104 | *127 | 130 |
| الأردن | 56.6 | 69.7 | 77 | 28 | 107 | 34 |
| لبنان | 65.0 | 72.6 | 45 | 28 | 54 | 32 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | 29 |
| الجمهورية العربية السورية | 57.0 | 70.5 | 90 | 24 | 129 | 29 |
| المعدل- المشرق | 57.5 | 67.6 | 95 | 44 | 130 | 50 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | 54.5 | 68.9 | 143 | 50 | 234 | 65 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 52.9 | 70.0 | 105 | 17 | 160 | 20 |
| المغرب | 52.9 | 66.6 | 119 | 41 | 184 | 46 |
| تونس | 55.6 | 69.5 | 135 | 22 | 201 | 28 |
| المعدل- المغرب | 54.0 | 68.8 | 126 | 33 | 195 | 40 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | 48.9 | 58.8 | 159 | 61 | 215 | 82 |
| جيبوتي | 41.0 | 45.5 | 160 | 102 | 241 | 146 |
| موريتانيا | 43.5 | 50.5 | 150 | 120 | 250 | 183 |
| الصومال | .. | .. | 133 | .. | .. | 225 |
| السودان | 43.7 | 55.0 | 104 | 66 | 172 | 108 |
| اليمن | 42.1 | 59.4 | 194 | 85 | 303 | 117 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 43.8 | 53.8 | 150 | 87 | 236 | 144 |
| العالم | 59.9 | 66.4 | 96 | 56 | 146 | 81 |
| الدول النامية | 55.6 | 64.1 | 108 | 61 | 166 | 89 |
| الدول الأقل نموا | 44.2 | 51.3 | 148 | 98 | 240 | 155 |
| الدول العربية | 51.9 | 65.9 | 132 | 46 | 204 | 61 |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 60.4 | 68.8 | 87 | 33 | 126 | 43 |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 61.1 | 69.4 | 86 | 30 | 123 | 37 |
| جنوب آسيا | 49.9 | 61.9 | 128 | 68 | 203 | 94 |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 45.3 | 48.8 | 135 | 107 | 223 | 174 |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | 69.2 | 68.4 | 34 | 20 | 42 | 25 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | 70.4 | 76.4 | 40 | 12 | 53 | 14 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | 72.1 | 77.8 | 20 | 6 | 26 | 6 |

UNICEF(2001)

* تقرير التنمية البشرية 2000 وتخص سنة غير تلك المحددة.

**المصدر:** تقرير التنمية البشرية 2002

The State of Children and Women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001.

## جدول 4-6 : نسبة الولادات التي حصلت فيها مضاعفات حسب سن الأم (٪)

| الدولـــــــــــــــة | تاريخ إجـــراء المسـح | أقل من 20 سنه | 24-20 | 29-25 | 34-30 | 35 فأكثر | إجمالي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | – | – | – | – | – | – |
| الكويت | 1996 | – | – | – | – | – | – |
| عمان | 1995 | – | – | – | – | – | – |
| قطر | 1998 | – | – | – | – | – | – |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | – | – | – | – | – | – |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | – | – | – | – | – | – |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | – | – | – | – | – | – |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 14.7 | 10.0 | – | 11.0 | 12.9 | 10.8 |
| العراق | – | – | – | – | – | – | – |
| الأردن | 1997 | – | – | – | – | – | – |
| لبنان | 1996 | 30.4 | 18.7 | 19.2 | 23.7 | 29.7 | 22.8 |
| فلسطين | – | – | – | – | – | – | – |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 6.1 | 5.3 | 6.3 | 6.5 | 8.2 | 6.5 |
| **المعدل- المشرق** | | 17.1 | 11.3 | – | 13.7 | 16.9 | 13.4 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | – | – | – | – | – | – |
| الجزائر | 1992 | 13.0 | 11.4 | 9.4 | 8.4 | 10.2 | 9.7 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 4.3 | 10.7 | 10.0 | 9.3 | 12.8 | 10.9 |
| المغرب | 97-96 | – | – | – | – | – | – |
| تونس | 95-94 | 49.2 | 24.3 | 30.7 | 25.6 | 26.4 | 27.4 |
| **المعدل- المغرب** | | 22.2 | 15.5 | 16.7 | 14.4 | 16.5 | 16.0 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | |
| جزر القمر | – | – | – | – | – | – | – |
| جيبوتي | – | – | – | – | – | – | – |
| موريتانيا | 1990 | 18.2 | 19.8 | – | 20.5 | 22.7 | 20.4 |
| الصومال | – | – | – | – | – | – | – |
| السودان | 93-92 | 15.8 | 9.4 | 7.4 | 9.9 | 7.7 | 8.6 |
| اليمن | 1997 | – | – | – | – | – | 14.9 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | – | – | – | – | – | 14.6 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 4-5 : نسبة النساء اللاتي يستخدمن حاليا وسيلة لتنظيم الأسرة حسب العمر الحالي (٪)

| الدولـــــــــــــــــة | تاريخ إجـــراء المسـح | 15- | 20- | 25- | 30- | 35- | 40- | 49-45 | إجمالي |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 29.6 | 44.9 | 59.9 | 60.7 | 57.0 | 51.5 | 40.3 | 43.8 |
| الكويت | 1996 | 8.0 | 28.6 | 33.3 | 42.2 | 39.1 | 37.6 | 28.4 | 34.6 |
| عمان | 1995 | 2.7 | 4.5 | 10.3 | 11.0 | 13.4 | 7.1 | 6.0 | 8.6 |
| قطر | 1998 | 11.0 | 19.3 | 32.2 | 40.2 | 40.3 | 37.8 | 19.3 | 32.3 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 12.8 | 24.3 | 33.9 | 38.5 | 37.5 | 33.5 | 23.5 | 29.8 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 14.9 | 32.1 | 46.2 | 58.8 | 61.4 | 55.8 | 34.0 | 47.6 |
| العراق | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الأردن | 1997 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| لبنان | 1996 | 35.0 | 52.0 | 57.9 | 67.3 | 67.8 | 66.8 | 47.4 | 61.0 |
| فلسطين | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 11.9 | 33.6 | 35.4 | 47.4 | 52.4 | 47.5 | 31.9 | 39.6 |
| **المعدل- المشرق** | | 20.6 | 39.2 | 46.5 | 57.8 | 60.5 | 56.7 | 37.8 | 49.4 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 26.4 | 39.5 | 52.7 | 56.1 | 56.4 | 52.2 | 38.9 | 50.7 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 16.7 | 35.6 | 44.9 | 51.3 | 50.6 | 48.9 | 31.4 | 45.2 |
| المغرب | 97-96 | - | - | - | - | - | - | - | - |
| تونس | 95-94 | 19.7 | 44.1 | 55.7 | 63.6 | 68.1 | 65.3 | 53.0 | 59.7 |
| **المعدل- المغرب** | | 20.9 | 39.7 | 51.1 | 57.0 | 58.4 | 55.5 | 41.1 | 51.9 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| جيبوتي | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| موريتانيا | 1990 | 4.1 | - | 4.8 | - | 3.5 | - | - | 4.1 |
| الصومال | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| السودان | 93-92 | 5.3 | 8.2 | 11.6 | 13.4 | 10.3 | 7.2 | 7.2 | 9.9 |
| اليمن | 1997 | 5.1 | 8.5 | 10.5 | 11.7 | 12.5 | 8.8 | 5.1 | 9.7 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 4.8 | - | 9.0 | - | 8.8 | - | - | 7.9 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

# 5- الوضع الاقتصادي

## جدول 5-1 : الأداء الاقتصادي

| الدولـــــــــــــــــــة | معدل النمو السنوي لنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (٪) | | نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي | | متوسط التغير السنوي في دليل سعر المستهلك (٪) | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | 2000-1975 | 2000-1990 | أعلى قيمة خلال 75-2000 (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) | السنة ذات أعلى قيمة | 2000-1990 | 2000-1999 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | 0.9 | 1.7 | .. | .. | 1.2 | .. |
| الكويت | -0.9 | -1.4 | 25382 | 1979 | 2.0 | 1.8 |
| عمان | 2.8 | 0.3 | .. | .. | 0.1 | -1.1 |
| قطر | .. | .. | .. | .. | 2.7 | -1.0 |
| المملكة العربية السعودية | -2.2 | -1.2 | 19525 | 1980 | 1.0 | -0.9 |
| الإمارات العربية المتحدة | -3.7 | -1.6 | .. | .. | .. | .. |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | -0.6 | -0.4 | .. | .. | 1.4 | -0.3 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | |
| مصر | 2.9 | 2.5 | 3635 | 2000 | 8.8 | 2.7 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 0.4 | 1.0 | 4881 | 1986 | 3.5 | 0.7 |
| لبنان | .. | 4.2 | 4385 | 1998 | .. | .. |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 1.0 | 2.8 | 3714 | 1998 | 6.7 | -0.5 |
| المعدل- المشرق | 1.4 | 2.6 | 4154 | .. | 6.3 | 1.0 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | -0.3 | -0.1 | 5997 | 1985 | 19.5 | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | -6.7 | .. | .. | .. | .. | .. |
| المغرب | 1.3 | 0.6 | 3632 | 1998 | 3.8 | 1.9 |
| تونس | 2.0 | 3.0 | 6363 | 2000 | 4.4 | 2.9 |
| المعدل- المغرب | -0.9 | 1.2 | 5331 | .. | 9.2 | 2.4 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | -1.4 | -2.4 | 2147 | 1984 | .. | .. |
| جيبوتي | -5.0 | -3.9 | .. | .. | .. | .. |
| موريتانيا | -0.1 | 1.2 | 1715 | 1976 | 6.1 | 3.3 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 0.6 | 5.6 | 1797 | 2000 | 81.1 | .. |
| اليمن | .. | 2.3 | 893 | 2000 | 32.6 | .. |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | -1.5 | 0.6 | 1638 | .. | 39.9 | .. |
| العالم | 1.2 | 1.2 | .. | .. | .. | .. |
| الدول النامية | 2.3 | 3.1 | .. | .. | .. | .. |
| الدول الأقل نموا | 0.3 | 1.3 | .. | .. | .. | .. |
| الدول العربية | 0.3 | 0.7 | .. | .. | .. | .. |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 5.9 | 5.7 | .. | .. | .. | .. |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 0.7 | 1.7 | .. | .. | .. | .. |
| جنوب آسيا | 2.4 | 3.3 | .. | .. | .. | .. |
| إفريقيا جنوب الصحراء | -0.9 | -0.3 | .. | .. | .. | .. |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | .. | -2.4 | .. | .. | .. | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | 2.0 | 1.7 | .. | .. | .. | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | 2.1 | 1.7 | .. | .. | .. | .. |

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 4-7 : مؤشرات عن التغذية

| الدولـــــــة | نسبة حالات نقص الوزن عند الولادة (٪) | نسبة حالات نقص الحديد عند النساء (٪) | نسبة الأسر التي تستهلك ملح المطعم باليود (٪) | نسبة الأطفال المزودين بفيتامين أ (٪) |
|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | |
| البحرين | 9.6 | 37 | 9 | .. |
| الكويت | .. | .. | .. | .. |
| عمان | 7.9 | 38 | 65 | 98 |
| قطر | 9.7 | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | 3.3 | .. | .. | .. |
| الإمارات العربية المتحدة | .. | .. | .. | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 7.6 | .. | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | |
| مصر | 2.3 | 24 | 56 | 12 |
| العراق | 12.0 | 51 | 40 | 13 |
| الأردن | 9.4 | 29 | 86 | .. |
| لبنان | 6.0 | 27 | 87 | .. |
| فلسطين | 8.6 | .. | 37 | 16 |
| الجمهورية العربية السورية | 6.0 | .. | 39 | .. |
| **المعدل- المشرق** | 7.1 | 33 | 62 | 13 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | |
| الجزائر | .. | .. | 69 | .. |
| الجماهيرية العربية الليبية | 4.7 | .. | 90 | .. |
| المغرب | 9.0 | 35 | 26 | 32 |
| تونس | 5.4 | 31 | 97 | .. |
| **المعدل- المغرب** | 6.4 | 33 | 71 | .. |
| **الدول الأقل نموا** | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. |
| جيبوتي | .. | 70 | .. | 41 |
| موريتانيا | .. | .. | .. | .. |
| الصومال | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 31.0 | .. | 1 | 60 |
| اليمن | 24.0 | .. | 54 | 85 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | .. | .. | .. | 62 |

**المصدر :**

The State of Children and Women in the Middle East and North Africa, UNICEF, 2001

## جدول 5-3 : أولويات الإنفاق العام

| الدولـــــــة | الإنفاق العام على التعليم (كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) | | الإنفاق العام على الصحة (كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) | | الإنفاق العسكري (كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) | | مجموع خدمة الديون (كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 87-1985 | 97-1995 | 1990 | 1998 | 1990 | 2000 | 1990 | 2000 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | 5.2 | 4.4 | .. | 2.6 | 5.1 | 4.0 | .. | .. |
| الكويت | 4.8 | 5.0 | 4.0 | .. | 48.5 | 8.2 | .. | .. |
| عمان | 4.1 | 4.5 | 2.0 | 2.9 | 18.3 | 9.7 | 7.0 | 7.7 |
| قطر | 4.7 | 3.4 | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | 7.4 | 7.5 | .. | .. | 12.8 | 11.6 | .. | .. |
| الإمارات العربية المتحدة | 2.1 | 1.7 | 0.8 | 0.8 | .. | .. | .. | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 4.7 | 4.4 | 2.3 | 2.1 | 21.2 | 8.4 | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | 4.5 | 4.8 | 1.8 | .. | 3.5 | 2.3 | 7.1 | 1.8 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 6.8 | 7.9 | 3.6 | 3.6 | 11.1 | 9.5 | 15.5 | 8.0 |
| لبنان | .. | 2.5 | .. | 2.2 | 5.0 | 3.6 | 3.5 | 11 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 4.8 | 4.2 | 0.4 | 0.9 | 6.9 | 5.5 | 9.7 | 2.0 |
| **المعدل- المشرق** | 5.4 | 4.9 | 1.9 | 2.2 | 6.6 | 5.2 | 9.0 | 5.7 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | 9.8 | 5.1 | 3.0 | 2.6 | 1.5 | 3.5 | 14.2 | 8.4 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 9.6 | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| المغرب | .. | .. | 0.9 | 1.2 | 4.1 | 4.2 | 6.9 | 10 |
| تونس | 6.2 | 7.7 | 3.0 | 2.2 | 2.0 | 1.7 | 11.6 | 9.8 |
| **المعدل- المغرب** | 8.5 | 6.4 | 2.3 | 2.0 | 2.5 | 3.1 | 10.9 | 9.4 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | 2.9 | .. | .. | .. | 0.4 | 1.3 |
| جيبوتي | .. | .. | .. | 5.4 | 6.3 | 4.4 | 3.6 | 2.4 |
| موريتانيا | .. | .. | .. | 1.4 | 3.8 | .. | 14.3 | 10.7 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | .. | 1.4 | 0.7 | .. | 3.6 | 3.0 | 0.4 | 0.5 |
| اليمن | .. | 7.0 | 1.1 | .. | 8.5 | 5.2 | 3.5 | 2.6 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | .. | .. | 1.6 | .. | 5.6 | 4.2 | 4.4 | 3.5 |

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002.

## جدول 5-2 : اللامساواة في الاستهلاك

| الدولـــــــة | سنة المسح | النصيب من الاستهلاك (٪) | | | | | مقاييس عدم المساواة | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | أفقر 10 (٪) | أفقر 20 (٪) | أغنى 20 (٪) | أغنى 10 (٪) | | أغنى 10٪ إلى أفقر 10٪ | أغنى 20٪ إلى أفقر 20٪ | معامل جيني * |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | |
| البحرين | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| الكويت | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| عمان | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| قطر | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| المملكة العربية السعودية | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| الإمارات العربية المتحدة | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | |
| مصر | 1995 | 4.4 | 9.8 | 39.0 | 25.0 | | 5.7 | 4.0 | 28.9 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| الأردن | 1997 | 3.3 | 7.6 | 44.4 | 29.8 | | 9.1 | 5.9 | 36.4 |
| لبنان | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| **المعدل- المشرق** | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1995 | 2.8 | 7.0 | 42.6 | 26.8 | | 9.6 | 6.1 | 35.3 |
| الجماهيرية العربية الليبية | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| المغرب | 99-1998 | 2.6 | 6.5 | 46.6 | 30.9 | | 11.7 | 7.2 | 39.5 |
| تونس | 1995 | 2.3 | 5.7 | 47.9 | 31.8 | | 13.8 | 8.5 | 41.7 |
| **المعدل- المغرب** | .. | 2.6 | 6.4 | 45.7 | 29.8 | | 11.7 | 7.3 | 38.8 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 1995 | 2.5 | 6.4 | 44.1 | 28.4 | | 11.2 | 6.9 | 37.3 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| السودان | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |
| اليمن | 1998 | 3.0 | 7.4 | 41.2 | 25.9 | | 8.6 | 5.6 | 33.4 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | .. | .. | .. | .. | .. | | .. | .. | .. |

* دليل جيني يقيس اللامساواة على التوزيع الكلي للاستهلاك، تمثل القيمة الصفرية المساواة الكاملة وتمثل قيمة 100 عدم المساواة الكاملة.

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002.

## جدول 5-5 : اللامساواة الجنسانية في النشاط الاقتصادي

| الدولـــــــة | معدل النشاط الاقتصادي للإناث (العمر 15 سنة فأكثر) | | | الدخل المكتسب التقديري (بالدولار حسب تعادل القوة الشرائية) 2000 | |
|---|---|---|---|---|---|
| | معدل (٪) 2000 | الرقم القياسي 2000 (100=1985) | كنسبة من معدل الذكور 2000 | إناث | ذكور |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | |
| البحرين | 33.5 | 118 | 39 | 7010 | 21059 |
| الكويت | 36.6 | 97 | 48 | 6895 | 22186 |
| عمان | 19.2 | 151 | 25 | 3806 | 21804 |
| قطر | 41.0 | 124 | 45 | 6864 | 25277 |
| المملكة العربية السعودية | 21.2 | 142 | 27 | 3466 | 18252 |
| الإمارات العربية المتحدة | 31.7 | 108 | 37 | 5320 | 24412 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | 30.5 | 123 | 37 | 5560 | 22165 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | |
| مصر | 35.0 | 115 | 44 | 2003 | 5227 |
| العراق | *17.8 | *119 | *24 | .. | .. |
| الأردن | 26.6 | 157 | 34 | 1749 | 6014 |
| لبنان | 29.6 | 122 | 39 | 2013 | 6704 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 28.6 | 121 | 37 | 1537 | 5522 |
| **المعدل- المشرق** | 27.5 | 127 | 36 | 1826 | 5867 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | |
| الجزائر | 29.5 | 154 | 39 | 2389 | 8150 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 25.0 | 122 | 33 | 2921 | 11894 |
| المغرب | 41.4 | 107 | 52 | 2019 | 5068 |
| تونس | 36.9 | 112 | 47 | 3347 | 9320 |
| **المعدل- المغرب** | 33.2 | 124 | 43 | 2669 | 8608 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | |
| جزر القمر | 62.5 | 99 | 73 | 1136 | 2038 |
| جيبوتي | .. | .. | .. | .. | .. |
| موريتانيا | 63.4 | 98 | 74 | 1212 | 2150 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 34.8 | 113 | 41 | 847 | 2736 |
| اليمن | 30.5 | 108 | 37 | 405 | 1384 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 47.8 | 105 | 56 | 900 | 2077 |

*تقرير التنمية البشرية 2002.

**المصدر** : تقرير التنمية البشرية 2002.

# جدول 5-4 : التسلح واللاجئين

| الدولـــــــــــــــة | استيرادات الأسلحة التقليدية (مليون دولار بأسعار 1990) | | إجمالي القوات المسلحة (100=1985) 2000 | عدد اللاجئين من غير الفلسطينيين بحسب بلد (ألف) 2000 | |
|---|---|---|---|---|---|
| | 1991 | 2000 | | اللجوء | الأصل |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | |
| البحرين | 64 | 30 | 393 | (.) | (.) |
| الكويت | 595 | 34 | 128 | 3 | 1 |
| عمان | (.) | 30 | 149 | 0 | .. |
| قطر | 16 | 8 | 205 | (.) | .. |
| المملكة العربية السعودية | 1142 | 143 | 322 | 5 | (.) |
| الإمارات العربية المتحدة | 237 | 288 | 151 | 1 | .. |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 411 | 89 | 225 | 2 | 1 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | |
| مصر | 866 | 486 | 101 | 7 | 4 |
| العراق | .. | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 35 | 280 | 148 | 1 | 1 |
| لبنان | (.) | 1 | 366 | 3 | 9 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 390 | (.) | 79 | 3 | 6 |
| المعدل- المشرق | 430 | 256 | 174 | 4 | 5 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | |
| الجزائر | 1037 | 365 | 73 | 170 | 6 |
| الجماهيرية العربية الليبية | (.) | (.) | 104 | 12 | 1 |
| المغرب | 59 | (.) | 133 | 1 | (.) |
| تونس | 4 | 18 | 100 | (.) | 1 |
| المعدل- المغرب | 367 | 192 | 103 | 61 | 3 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | .. | (.) | .. |
| جيبوتي | 1 | 1 | 280 | 23 | 2 |
| موريتانيا | 17 | (.) | 185 | (.) | 30 |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 39 | (.) | 185 | 415 | 491 |
| اليمن | 74 | 33 | 103 | 61 | 2 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 33 | 17 | 188 | 166 | 131 |
| العالم | .. | .. | 78 | 11374 | .. |
| الدول النامية | .. | .. | 97 | 8460 | .. |
| الدول الأقل نموا | .. | .. | 186 | 2996 | .. |
| الدول العربية | .. | .. | 115 | 704 | .. |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | .. | .. | 81 | 595 | .. |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | .. | .. | 94 | 38 | .. |
| جنوب آسيا | .. | .. | 110 | 4191 | .. |
| إفريقيا جنوب الصحراء | .. | .. | 160 | 2929 | .. |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | .. | .. | .. | 463 | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | .. | .. | 72 | 2476 | .. |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | .. | .. | 64 | 2446 | .. |

**المصدر :** تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 6-2 : تطور المشاركة السيّاسية للمرأة

| الدولـــــــة | نسبة المقاعد البرلمانية | | | نسبة النساء في مواقع اتخاذ القرار | | | | تم تزويد الأمانة العامة للأمم المتحدة بخطة عمل وطنيّة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | مستوى وزاري | | مستوى بعد الوزاري | | |
| | 1987 | 1995 | 1999 | 1994 | 1998 | 1994 | 1998 | |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | .. | .. | .. | 0 | 0 | 0 | 1 | نعم |
| الكويت | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 7 | نعم |
| عمان | .. | .. | .. | 0 | 0 | 2 | 4 | نعم |
| قطر | .. | .. | .. | 0 | 0 | 3 | 0 | نعم |
| المملكة العربية السعودية | .. | .. | .. | 0 | 0 | 0 | 0 | -- |
| الإمارات العربية المتحدة | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | نعم |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | .. | .. | .. | 0 | 0 | 0.8 | 2.0 | -- |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | 4 | 2 | 2 | 4 | 6 | 0 | 4 | نعم |
| العراق | 13 | 11 | 6 | 0 | 0 | 0 | 0 | نعم |
| الأردن | 0 | 1 | 0 | 3 | 2 | 0 | 0 | نعم |
| لبنان | .. | 2 | 2 | 0 | 0 | 0 | 0 | نعم |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. | .. | -- |
| الجمهورية العربية السورية | 9 | 10 | 10 | 7 | 8 | 0 | 0 | نعم |
| **المعدل- المشرق** | 6.5 | 5.2 | 4.0 | 2.8 | 3.2 | 0.0 | 0.8 | -- |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | 2 | 7 | 3 | 4 | 0 | 8 | 10 | نعم |
| الجماهيرية العربية الليبية | .. | .. | .. | 0 | 7 | 0 | 0 | -- |
| المغرب | 0 | 1 | 1 | 0 | 0 | 0 | 8 | نعم |
| تونس | 6 | 7 | 7 | 4 | 3 | 14 | 10 | نعم |
| **المعدل- المغرب** | 2.7 | 5.0 | 3.7 | 2.0 | 2.5 | 5.5 | 7.0 | -- |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | 0 | 0 | - | 0 | 7 | 0 | 0 | نعم |
| جيبوتي | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 3 | 3 | -- |
| موريتانيا | - | 0 | 4 | 0 | 4 | 6 | 6 | -- |
| الصومال | 4 | .. | .. | 0 | 0 | 0 | 0 | -- |
| السودان | 8 | 8 | 5 | 0 | 0 | 0 | 0 | نعم |
| اليمن | .. | 1 | 1 | 0 | 0 | 0 | 0 | نعم |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 3.0 | 1.8 | 2.5 | 0.0 | 1.8 | 1.5 | 1.5 | -- |

**المصدر :** UN, World Women2000, 2000

# 6- جوانب أخرى

## جدول 6-1 المشاركة السياسية للمرأة

| الدولـــــــة | السنة التي نالت فيها المرأة حق (i) | | السنة التي انتخبت أو عينت فيها أول امرأة في النظام البرلماني الحالي | المرأة في الحكم على المستوى الوزاري (٪ من المجموع) 2000 | المقاعد البرلمانية التي تشغلها النساء كنسبة مئوية من المجموع | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | التصويت | ترشيح نفسها للانتخاب | | | المجلس الأدنى أو الأوحد | المجلس الأعلى أو مجلس الشيوخ |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | ب 1973 | ب 1973 | ب - | .. | ب .. | ب .. |
| الكويت | ج - | ج - | ج - | 0 | 0 | .. |
| عمان | ج،د - | ج،د - | ج،د - | .. | ج،د - | ج،د - |
| قطر | ج،د - | ج،د - | ج،د - | 0 | ج،د - | ج،د - |
| المملكة العربية السعودية | ج،د - | ج،د - | ج،د - | .. | ج،د - | ج،د - |
| الإمارات العربية المتحدة | ج،د | ج،د - | ج،د - | .. | 0 | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | 1956 | | | | | |
| مصر | *1980 | 1956 | 1957 | 6 | 2 | .. |
| العراق | 1974 | *1980 | *1980 | .. | .. | .. |
| الأردن | 1952 | 1974 | 1989 | 0 | 1 | 8 |
| لبنان | .. | 1952 | 1991 | 0 | 2 | .. |
| فلسطين | 1949,1953 | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | | 1953 | 1973 | 11 | 10 | .. |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | 1962 | | | | | |
| الجزائر | 1964 | 1962 | 1962 | 0 | 3 | 6 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1963 | 1964 | .. | 13 | .. | .. |
| المغرب | 1957 ,1959 | 1963 | 1993 | 5 | 1 | 0 |
| تونس | | 1957 ,1959 | 1959 | 10 | 12 | .. |
| **الدول الأقل نموا** | 1956 | | | | | |
| جزر القمر | 1946 | 1956 | 1993 | .. | هـ .. | هـ .. |
| جيبوتي | 1961 | 1986 | و _ | 5 | 0 | .. |
| موريتانيا | .. | 1961 | 1975 | 14 | 3.8 | 2 |
| الصومال | 1964 | .. | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 1967 | 1964 | 1964 | 5 | 10 | .. |
| اليمن | ز | ز 1967 | .. | .. | 1 | .. |

أ : تشير البيانات إلى السنة التي اعترف فيها بالحق بالتصويت أو الترشيح على أساس شامل ومتساوي حيثما تظهر سنتان، فالأولى تشير إلى الاعتراف الجزئي لحق التصويت أو الترشيح في الانتخابات.

ب: وفقا للدستور النافذ (1973) جميع المواطنين سواسي أمام القانون ومع ذلك المرأة لم تستطع أن تمارس الحقوق الانتخابية في الانتخابات التشريعية الوحيدة التي جرت في البحرين عام 1973، وقد تم حل دول تشريعية في البحرين بموجب مرسوم أصدره الأمير في 26 أغسطس 1975. تم السماح للنساء بالتصويت في استفتاء 14-15 فبراير 2001، الذي أقر ميثاق العمل الوطني.

ج : حق النساء في التصويت والترشيح للانتخاب لم يعترف به.

د : لم يكن فيها برلمانات قط.

هـ تم حل البرلمان أو تجميده لفترة غير محددة.

و : لم ينتخب البلد أو يعين بعد امرأة في البرلمان الوطني.

ز : تشير إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية السابقة.

× تقرير التنمية البشرية 2000

المصدر : تقرير التنمية البشرية 2002

## جدول 6-4 : وضع اتفاقيات حقوق العمال الأساسية

| الدولـــــــة | حرية الاتحاد والمساومات الجماعية | | القضاء على العمل الإلزامي والإجباري | | القضاء على التمييز في احترام العمالة والمهنة | | إلغاء عمالة الأطفال | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | اتفاقية (87 (أ) | اتفاقية 98 (ب) | اتفاقية 29 (ج) | اتفاقية 105 (د) | اتفاقية 100 (هـ) | اتفاقية 111 (و) | اتفاقية 138 (ز) | اتفاقية 182 (ح) |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | |
| البحرين | | | ● | ● | | ● | | ● |
| الكويت | ● | | ● | ● | | ● | ● | ● |
| عمان | | | ● | | | | | ● |
| قطر | | | ● | | | ● | | ● |
| المملكة العربية السعودية | | | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| الإمارات العربية المتحدة | | | ● | ● | ● | ● | | ● |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | |
| مصر | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | |
| العراق | | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| الأردن | | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| لبنان | | ● | ● | ● | ● | ● | | |
| فلسطين | | | | | | | | |
| الجمهورية العربية السورية | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | |
| الجزائر | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| الجماهيرية العربية الليبية | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| المغرب | | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| تونس | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | |
| جزر القمر | ● | ● | ● | ● | | | | |
| جيبوتي | ● | ● | ● | ● | | | | |
| موريتانيا | ● | | ● | | ● | ● | | |
| الصومال | | | ● | | ● | ● | | |
| السودان | | ● | ● | ● | ● | ● | | |
| اليمن | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● | ● |

● : تم التصديق على الاتفاقية

● : تم شجب التصديق

أ : اتفاقية حرية وحماية الحق في التنظيم (1948)

ب : اتفاقية الحق في التنصيف والمساومة الجماعية (1949)

ج : اتفاقية السخرة أو العمل الجبري (1930)

د : اتفاقية إلغاء السخرة (1957)

هـ : اتفاقية المساواة في الأجر (1951)

و : اتفاقية التمييز في العمالة والمهنة (1958)

ز : اتفاقية الحد الأدنى لسن العمل (1973)

ح : اتفاقية أسوأ أشكال عمل الطفل (1999)

**المصدر:** تقرير التنمية البشرية 2002.

## جدول 6-3 : وضع أدوات حقوق الإنسان الدولية العظمى

| الدولـــــــة | اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ضد المرأة 1965 | الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري 1965 | العهد الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 1966 | العهد الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1966 | معاهد مناهضة التعذيب وغيره من المعاملات أو العقوبات القاسية والمهينة وغير الانسانية 1984 | اتفاقية حقوق الطفل 1989 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | | ● | | | ● | ● |
| الكويت | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| عمان | | | | | | ● |
| قطر | | ● | | | ● | ● |
| المملكة العربية السعودية | ● | ● | | | ● | ● |
| الإمارات العربية المتحدة | | ● | | | | ● |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | |
| مصر | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| العراق | ● | ● | ● | ● | | ● |
| الأردن | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| لبنان | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | | ● | ● | ● | | ● |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| الجماهيرية العربية الليبية | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| المغرب | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| تونس | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | ● | ● | | | ● | ● |
| جيبوتي | ● | | | | | ● |
| موريتانيا | | ● | | | | ● |
| الصومال | | ● | ● | ● | ● | |
| السودان | ● | ● | ● | ● | ● | ● |
| اليمن | ● | ● | ● | ● | ● | ● |

● : تصديق، إضافة، تعاقب

● : توقيع لم يتلعه تصديق بعد

**المصدر : تقرير التنمية البشرية** 2002.

## جدول 6-7: الأسر التي تملك بعض وسائل الاتصال حسب محل الإقامة (٪)

| الدولـــــــة | تاريخ إجراء المسح | راديو | | | تلفزيون | | | فيديو | | | طبق استقبال | | | هاتف | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | حضر | ريف | مجموع | حضر | ريف | مجموع | حضر | ريف | مجموع | حضر | ريف | مجموع | حضر | ريف | مجموع |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | | | | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | - | - | 93.1 | - | - | 96.3 | - | - | 66.7 | - | - | 12.0 | - | - | 90.5 |
| الكويت | 1996 | - | - | 98.2 | - | - | 99.1 | - | - | 90.9 | - | - | 57.2 | - | - | 96.9 |
| عمان | 1995 | 81.1 | 67.5 | 76.2 | 96.4 | 68.8 | 86.4 | 38.4 | 13.5 | 29.4 | 20.1 | 4.6 | 14.5 | 38.4 | 30.7 | 55.8 |
| قطر | 1998 | - | - | 96.3 | - | - | 98.9 | - | - | 74.8 | - | - | 60.8 | - | - | 93.6 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | 86.1 | 68.4 | 80.7 | - | - | - | 36.6 | 8.6 | 28.0 | 28.8 | 4.9 | 21.4 | 36.6 | 14.2 | 55.5 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 91.4 | 87.5 | 90.2 | 98.5 | 97.3 | 90.2 | 80.5 | 65.3 | 75.7 | 38.7 | 14.3 | 31.0 | 80.5 | 91.6 | 94.8 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 86.2 | 74.5 | 89.1 | 97.5 | 83.1 | 94.2 | 51.8 | 29.1 | 60.9 | 29.2 | 7.9 | 32.8 | 51.8 | 45.5 | 81.2 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | | | | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 89.3 | 74.6 | 82.0 | 94.5 | 84.3 | 89.4 | 22.0 | 2.3 | 12.1 | - | - | - | 22.0 | 11.0 | 27.8 |
| العراق | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الأردن | 1997 | 84.1 | 73.0 | 82.2 | 93.0 | 84.7 | 91.5 | - | - | - | - | - | - | - | 19.7 | 37.9 |
| لبنان | 1996 | 87.2 | 86.9 | 87.0 | 97.2 | 93.1 | 95.2 | 54.8 | 40.0 | 47.7 | - | - | - | 54.8 | 32.5 | 39.4 |
| فلسطين | - | - | - | - | | | | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 90.1 | 81.8 | 86.6 | 92.2 | 79.6 | 86.8 | 19.9 | 4.0 | 13.0 | - | - | - | 19.9 | 13.8 | 23.4 |
| **المعدل- المشرق** | | 87.7 | 79.1 | 84.5 | 94.2 | 85.4 | 90.7 | 32.2 | 15.4 | 24.3 | - | - | - | 32.2 | 19.3 | 32.1 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | | | | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 82.5 | 68.4 | 75.7 | 94.5 | 70.8 | 83.0 | 8.5 | 1.2 | 5.0 | 22.2 | 4.9 | 13.9 | 8.5 | 4.2 | 20.2 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 76.5 | 67.6 | 74.2 | 97.3 | 91.5 | 95.8 | 23.3 | 9.1 | 19.7 | 11.3 | 5.8 | 9.9 | 23.3 | 21.1 | 30.2 |
| المغرب | 97-96 | 82.7 | 76.8 | 79.7 | 90.4 | 46.7 | 69.5 | 29.9 | 3.4 | 16.6 | 32.4 | 3.2 | 17.8 | 29.9 | 2.1 | 20.7 |
| تونس | 95-94 | 83.7 | 61.4 | 75.3 | 93.0 | 62.3 | 81.5 | 15.6 | 3.2 | 11.0 | 3.7 | 0.6 | 2.5 | 15.6 | 1.4 | 16.5 |
| **المعدل- المغرب** | | 81.4 | 68.6 | 76.2 | 93.8 | 67.8 | 82.5 | 19.3 | 4.2 | 13.1 | 17.4 | 3.6 | 11.0 | 19.3 | 7.2 | 21.9 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | | | | | | | | | | |
| جزر القمر | - | - | - | - | | | | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| جيبوتي | - | - | - | - | | | | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| موريتانيا | 1990 | 63.5 | 39.9 | 49.7 | 17.4 | 0.6 | 7.6 | 4.5 | 0.1 | 1.9 | - | - | - | 4.5 | 0.0 | 1.1 |
| الصومال | - | - | - | - | | | | - | - | - | - | - | - | - | - | - |
| السودان | 93-92 | 62.4 | 34.1 | 43.9 | 47.6 | 10.2 | 23.2 | 10.0 | 1.2 | 4.2 | - | - | - | 10.0 | 0.1 | 1.5 |
| اليمن | 1997 | 73.1 | 57.1 | 61.1 | 83.4 | 29.2 | 56.3 | 17.0 | 1.5 | 5.3 | 14.1 | 0.5 | 3.9 | 17.0 | 1.3 | 2.9 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 66.3 | 43.7 | 51.6 | 49.5 | 13.3 | 29.0 | 10.5 | 0.9 | 3.8 | - | - | - | 10.5 | 0.5 | 1.8 |

**المصدر:** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول6-5 : وسائل الاتصال

| الدولـــــــــــــــــة | عدد الأجهزة (لكل 1000 فرد) 1997 | | عدد خطوط الهاتف الرئيسية (لكل 1000 فرد) | | عدد مشتركي الهواتف الخلوية (لكل 1000 فرد) | عدد نقاط الإنترنت (لكل 1000 فرد) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | الراديو | التلفزيون | 1990 | 2000 | 2000 | 2000 |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | |
| البحرين | 580 | 472 | 192 | 250 | 300 | 1.7 |
| الكويت | 678 | 505 | 247 | 244 | 249 | 1.8 |
| عمان | 607 | 694 | 60 | 89 | 65 | 0.3 |
| قطر | 450 | 404 | 190 | 268 | 202 | 0.1 |
| المملكة العربية السعودية | 321 | 262 | 77 | 137 | 64 | 0.2 |
| الإمارات العربية المتحدة | 355 | 134 | 206 | 391 | 548 | 14.3 |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 499 | 412 | 162 | 230 | 238 | 3.1 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشر** | | | | | | |
| مصر | 317 | 119 | 30 | 86 | 21 | (.) |
| العراق | 229 | 83 | .. | .. | .. | .. |
| الأردن | 271 | 82 | 58 | 92 | 58 | 0.1 |
| لبنان | 907 | 375 | 118 | 195 | 212 | 1.7 |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | .. | .. |
| الجمهورية العربية السورية | 278 | 70 | 41 | 103 | 2 | (.) |
| المعدل- المشرق | 400 | 146 | 62 | 119 | 73 | 0.5 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | |
| الجزائر | 227 | 391 | 32 | 57 | 3 | (.) |
| الجماهيرية العربية الليبية | 259 | 140 | 48 | 108 | 7 | (.) |
| المغرب | 247 | 115 | 16 | 50 | 83 | 0.1 |
| تونس | 224 | 100 | 38 | 90 | 6 | (.) |
| المعدل- المغرب | 239 | 187 | 34 | 76 | 25 | 0.1 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | |
| جزر القمر | 141 | 2 | 8 | 10 | 0 | 0.1 |
| جيبوتي | 84 | 45 | 11 | 15 | (.) | (.) |
| موريتانيا | 146 | 25 | 3 | 7 | 3 | (.) |
| الصومال | 53 | 15 | .. | .. | .. | .. |
| السودان | 272 | 86 | 3 | 12 | 1 | 0.0 |
| اليمن | 64 | 29 | 11 | 19 | 2 | (.) |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 127 | 34 | 7 | 13 | 2 | (.) |
| العالم | 417 | 240 | 99 | 163 | 121 | 17.8 |
| الدول النامية | 245 | 157 | 21 | 78 | 52 | 0.7 |
| الدول الأقل نموا | 142 | 23 | 3 | 6 | 3 | (.) |
| الدول العربية | .. | .. | 35 | 77 | 38 | 0.2 |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 304 | 252 | 17 | 104 | 74 | 0.6 |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 409 | 204 | 62 | 147 | 121 | 3.9 |
| جنوب آسيا | 110 | 53 | 7 | 33 | 4 | (.) |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 199 | 47 | 11 | 15 | 19 | 0.4 |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | .. | .. | 124 | 210 | 69 | 3.0 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | .. | .. | 396 | 524 | 459 | 92.0 |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | .. | .. | 473 | 609 | 524 | 120.0 |

**المصدر:**

UNICEF: The State of the World's Children 2002, Leadership

**تقرير التنمية البشرية** 2002

## جدول 6-8: بعض خصائص المسكن

| الدولـــــــة | تاريخ إجراء المسح | متوسط حجم الأسرة | الغرف بأنواعها | | غرف النوم | | نوع الإضاءة كهرباء (٪) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | متوسط العدد في المسكن | متوسط عدد الأفراد في الغرفة | متوسط العدد في المسكن | متوسط عدد الأفراد في الغرفة | |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | |
| البحرين | 1995 | 6.4 | 4.7 | 1.4 | 2.8 | 2.3 | – |
| الكويت | 1996 | 6.9 | 8.1 | 0.9 | 4.3 | 1.6 | 99.2 |
| عمان | 1995 | 8.5 | 4.5 | 1.9 | 2.4 | 3.8 | 96.1 |
| قطر | 1998 | 7.0 | 7.3 | 1.0 | 4.1 | 1.7 | 99.6 |
| المملكة العربية السعودية | 97-96 | 7.0 | 5.4 | 1.3 | 2.5 | 2.8 | 94.2 |
| الإمارات العربية المتحدة | 1995 | 7.8 | 5.6 | 1.4 | 3.4 | 2.3 | 99.2 |
| **المعدل- مجلس التعاون الخليجي** | | 7.3 | 5.9 | 1.3 | 3.3 | 2.4 | 97.7 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشرق** | | | | | | | |
| مصر | 2000 | 5.2 | 3.7 | 1.6 | 2.3 | 3.6 | 97.7 |
| العراق | – | – | – | – | – | – | – |
| الأردن | 1997 | 6.8 | 3.4 | 0.9 | 3.2 | 3.0 | 98.9 |
| لبنان | 1996 | 4.9 | 3.8 | 1.5 | 1.9 | 2.9 | 98.1 |
| فلسطين | – | – | – | – | – | – | – |
| الجمهورية العربية السورية | 1993 | 6.1 | 3.2 | 1.9 | 1.8 | 3.9 | 98.2 |
| **المعدل- المشرق** | | 5.8 | 3.5 | 1.5 | 2.3 | 3.4 | 98.2 |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | |
| الجزائر | 1992 | 7.0 | 2.9 | 2.7 | 2.3 | 3.2 | 91.3 |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1995 | 7.8 | 3.8 | 1.9 | 2.4 | 3.2 | 99.5 |
| المغرب | 97-96 | 5.6 | 3.3 | 2.2 | 2.3 | 3.0 | 54.6 |
| تونس | 95-94 | 5.4 | 2.8 | 2.1 | 1.9 | 2.9 | 86.3 |
| **المعدل- المغرب** | | 6.5 | 3.2 | 2.2 | 2.2 | 3.1 | 82.9 |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | |
| جزر القمر | – | – | – | – | – | – | – |
| جيبوتي | – | – | – | – | – | – | – |
| موريتانيا | 1990 | 5.2 | 1.8 | 3.6 | 1.1 | 5.1 | 8.0 |
| الصومال | – | – | – | – | – | – | – |
| السودان | 93-92 | 6.6 | 2.4 | 3.4 | 2.0 | 3.8 | 30.9 |
| اليمن | 1997 | 7.0 | 2.8 | 3.1 | 2.2 | 4.0 | 42.5 |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | | 6.3 | 2.3 | 3.4 | 1.8 | 4.3 | 27.1 |

**المصدر :** قاعدة بيانات صحة الأم والطفل، إدارة الدراسات السكانية، جامعة الدول العربية.

## جدول 6-7: الطاقة والبيئة

| الدولـــــــــــــــــــــــــــة | نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء (كيلو واط / ساعة) | | نصيب الفرد من انبعاث ثاني أوكسيد الكربون (طن متري) | | التصديق على اتفاقيات البيئة | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | 1980 | 1999 | 1980 | 1999 | اتفاقية الإطار العام للتغيير المناخي | بروتوكول كيوتو لاتفاقية الإطار العام للتغيير المناخي | اتفاقية التنوع البايولوجي |
| **مجلس التعاون الخليجي** | | | | | | | |
| البحرين | 4970 | 8205 | 22.6 | 31.5 | • | | • |
| الكويت | 5793 | 14011 | 18.0 | 27.2 | • | | ● |
| عمان | 614 | 2880 | 5.2 | 8.5 | • | | • |
| قطر | 9489 | 14871 | 56.4 | 80.9 | • | | • |
| المملكة العربية السعودية | 1356 | 4710 | 13.7 | 14.1 | • | | • |
| الإمارات العربية المتحدة | 5320 | 10643 | 35.8 | 37.5 | • | | • |
| المعدل- مجلس التعاون الخليجي | 4590 | 9220 | 25.3 | 33.3 | • | | • |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المشر** | | | | | | | |
| مصر | 380 | 900 | 1.0 | 1.6 | • | ● | • |
| العراق | .. | .. | .. | .. | -- | -- | -- |
| الأردن | 387 | 1207 | 1.6 | 2.2 | • | | • |
| لبنان | 789 | 1778 | 2.3 | 5.1 | • | | • |
| فلسطين | .. | .. | .. | .. | -- | -- | -- |
| الجمهورية العربية السورية | 354 | 863 | 2.2 | 3.3 | • | | • |
| المعدل- المشرق | 478 | 1187 | 1.8 | 3.1 | | | |
| **الاقتصادات الأكثر تنوعا - المغرب** | | | | | | | |
| الجزائر | 265 | 581 | 3.5 | 3.6 | • | | • |
| الجماهيرية العربية الليبية | 1588 | 3876 | 8.8 | 6.8 | • | | • |
| المغرب | 223 | 430 | 0.8 | 1.2 | • | • | • |
| تونس | 379 | 911 | 1.5 | 2.4 | • | | • |
| المعدل- المغرب | 614 | 1450 | 3.7 | 3.5 | | | |
| **الدول الأقل نموا** | | | | | | | |
| جزر القمر | .. | .. | 0.1 | 0.1 | • | | • |
| جيبوتي | .. | .. | 1.1 | 0.6 | • | | • |
| موريتانيا | .. | .. | 0.4 | 1.1 | • | | • |
| الصومال | .. | .. | .. | .. | -- | -- | -- |
| السودان | 34 | 46 | 0.2 | 0.1 | • | | • |
| اليمن | 59 | 110 | 0.2 | 0.8 | • | | • |
| **المعدل- الدول الأقل نموا** | 47 | 78 | 0.4 | 0.5 | | | |
| العالم | 1444 | 2066 | 4.3 | 4.1 | | | |
| الدول النامية | 316 | 745 | 1.3 | 1.9 | | | |
| الدول الأقل نموا | 59 | 69 | 0.1 | 0.2 | | | |
| الدول العربية | 489 | 1303 | 2.8 | 3.8 | | | |
| شرق آسيا والمحيط الهادئ | 253 | 804 | 1.4 | 2.4 | | | |
| أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي | 845 | 1450 | 2.4 | 2.6 | | | |
| جنوب آسيا | 132 | 371 | 0.6 | 1.1 | | | |
| إفريقيا جنوب الصحراء | 463 | 469 | 1.0 | 0.9 | | | |
| شرق أوروبا ورابطة الدول المستقلة | .. | 2895 | .. | 7.4 | | | |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية | 4916 | 7001 | 11.0 | 10.9 | | | |
| منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مرتفعة الدخل | 5932 | 8481 | 12.6 | 12.6 | | | |

• : تصديق، إضافة، تعاقب

● : توقيع لم يتبعه تصديق بعد

المصدر: تقرير التنمية البشرية 2002.

3. العلاقات بين الجنسين ..... 117
أ- العلاقات بين الجنسين : حرب غير معلنة ..... 119
ب- الحب : تجارب سلبية وايجابية ..... 120
ج- صداقة أم حب ؟ ..... 122
4. الزواج ومواصفات الشريك : موقف جديد ..... 123
أ- ظاهرة تأخر سن الزواج ..... 124
ب- الحصول على موافقة الأهل ..... 125
ج- مواصفات الشريك ..... 130
د- الموقف من الخطبة ..... 132
ه- الأمومة والأبوة ..... 132
استنتاجات عامة ..... 133

الفصل الثالث : العلاقات الأسرية : خلاف محكوم بالوفاق ..... 138

1. أشكال الرقابة ومجالاتها ..... 140
أ- مراقبة علاقات الصداقة والحد من استخدام الفضاء العام ..... 143
ب- صراع الأجيال ..... 145
ج- -ردود الفعل على رقابة الأهل : من الخضوع... إلى الثورة ..... 147
2. العلاقات مع الأهل والانسجام العائلي ..... 150
أ-العلاقة مع الأم : انسجام وتوتر ..... 152
ب-العلاقة مع الأب : مسافة وجدانية ..... 156
ج -التفكك الأسري وأثره ..... 159
3. العلاقات داخل مجموع الاخوة والأخوات والبحث عن التكافؤ ..... 162
أ- العلاقة بين الأخ والأخت : صراع أم تآزر ؟ ..... 162
ب- العلاقات مع الأخت الكبيرة : خضوع أم تنافس ؟ ..... 164
4. التفاعل مع شبكة الأقارب ..... 167
5. التنشئة الاجتماعية حسب الجنس ..... 169
استنتاجات عامة ..... 170

الفصل الرابع المدرسة والعمل : انتقاء وغموض ..... 178

1. وظائف المدرسة ..... 178
أ- الوظيفة المعرفية ..... 181
ب- وظيفة التأهيل للدخول في سوق العمل ..... 182
ج- التأهيل للمواطنة والأدوار الاجتماعية ..... 182
د- المدرسة كإطار للعلاقات الأفقية بين التلاميذ ..... 183

# محتويات التقرير

فريق العمل ..... 02
توطئة وشكر ..... 09
ملخص التقرير ..... 13

## القسم الأول : الإطار العام

مقدمة ..... 38
الأهداف والمنهجية ..... 41
مدخل نظري ..... 49
1: المراهقة العربية : الإطار النظري ..... 51
2. المراهقة : مفهوم حديث ..... 53
3 : تعريف المراهقة : مقاربات عدة ..... 55
4 : إشكالية المراهقة في المجتمعات العربية ..... 60

## القسم الثاني : الدراسة الميدانية

### الفصل الأول : الهوية وصورة الذات : بروز متردد للفرد ..... 74

1. صورة الذات ..... 74
2. الذات والآخرون : سيرورات المقارنة الاجتماعية ..... 80
أ- البحث عن الأنا الحقيقي وبناء الذات ..... 84
ب- موارد الأنا : حدود متباينة في بناء الذات ..... 87
ج- الشكل : "عادي" ولكن ... "يمكن أن يكون أفضل" ..... 88
3. العلاقة بالماضي : بين النسيان والتألم ..... 90
استنتاجات عامة ..... 94

### الفصل الثاني : البلوغ والصحة الإنجابية والحب : انطلاق المراهق وتقييد المراهقة ..... 98

1. البلوغ و مرحلة المراهقة ..... 98
أ- البلوغ : اختلاف بين الفتاة والفتى ..... 100
ب- ذكريات البلوغ ..... 102
ج - المواقف من البلوغ ..... 108
2. المراهق : نعم للجنس، المراهقة : نعم للعاطفة ..... 112
أ- الجنس : ثلاثة اتجاهات ..... 114
ب- التحرش الجنسي ..... 115

## القسم الثالث : المؤشرات الكمية لواقع الفتاة العربية المراهقة ..... 300

1. التنمية البشرية ..... 301
   - أ- واقع دليل التنمية البشرية واتجاهاته ..... 303
   - ب- التنمية البشرية والمساواة بين الإناث والذكور ..... 305
   - ج- الفقر البشري وفقر الدخل ..... 306
   - د- أدلة أخرى للتنمية البشرية ..... 308
2. السكان ..... 311
   - أ- تطور أعداد ونسب المراهقات والمراهقين ..... 313
   - ب- الأسرة والزواج والولادات ..... 315
3. التعليم ..... 316
   - أ- معرفة القراءة والكتابة ..... 317
   - ب- القيد في التعليم ..... 319
   - ج- الإنفاق على التعليم ..... 320
4. الصحة ..... 322
   - أ- التقدم المحرز ..... 322
   - ب- الصحة الإنجابية ..... 323
   - ج- مرض نقص المناعة المكتسبة ..... 326
   - د- التحديات الصحية ..... 327
   - ه- الإنفاق الصحي ..... 328
5. الوضع الاقتصادي ..... 328
   - أ- مستوى المعيشة ..... 329
   - ب- المسكن ..... 332
   - ج- أولويات الإنفاق العام ..... 332
   - د- االتمييز على أساس الجنس في النشاط الاقتصادي ..... 334
6. جوانب أخرى ..... 335
   - أ- المشاركة السياسية للمرأة ..... 335
   - ب- حقوق الإنسان وحقوق العمال ..... 336
   - ج- وسائل الاتصال ..... 337
   - د- الطاقة والبيئة ..... 339

خلاصة : البيانات الخاصة بالمراهقات والمراهقين العرب ..... 341

## القسم الرابع : استنتاجات وتوصيات ..... 344

## الملاحق

الملحق 1: المراهقات والمراهقون : آراء... مواقف... وأنماط ..... 360
الملحق 2 : دليل فني ومنهجي لدراسة المراهقات العربيات ..... 372
الملحق 3 : المراجع البيبليوغرافية ..... 384
الملحق 4 : الجداول الإحصائية ..... 398
قائمات الجداول والرسوم البيانية والأطر في النص ..... 406

2. العلاقة بالمدرسة ..... 184
أ- العلاقة مع المدرسين ..... 184
ب- سلوكيات المراهقين ومعاييرهم ..... 190
ج-الاختلاط والسلوكيات حسب النوع ..... 198
3. الاختصاص، المستقبل المهني والعمل ..... 201
أ- تجربة العمل ..... 203
ب- المستقبل المهني والعمل ..... 170
استنتاجات عامة ..... 208

الفصل الخامس : ثقافة المراهقة والسلوكيات : اهتمامات جديدة ..... 214

1. النظرة إلى الجسد والمظهر ..... 216
أ- المراهقة : فترة تحول ..... 216
ب- الاهتمام بالجسد والمظهر ..... 218
2. العزلة والصداقة ..... 226
3. الاهتمامات والهوايات ..... 228
أ- السينما ..... 232
ب- التلفزيون ..... 234
ج- الكمبيوتر والإنترنت ..... 238
د- الرياضة ..... 240
ه- القراءة ..... 242
و- الموسيقى ..... 244
ز- الجمعيات والأندية ..... 245
استنتاجات عامة ..... 246

الفصل السادس: المواقف والقيم : توق إلى العدالة وارتباك حيال المساواة بين الجنسين ..... 250

1. وضع المرأة والأدوار الاجتماعية للنساء والرجال ..... 250
أ- الذكورة والأنوثة ..... 251
ب- حقوق المرأة وأدوارها في المجتمع ..... 252
ج- المساواة ..... 259
د- الحجاب ..... 266
2. الموقف من الدين ..... 271
أ- سلوك... أخلاق... عادات سائدة ..... 273
ب- قيم... عقيدة... عولمة ..... 277
3. الموقف من السياسة والحروب والشأن العام ..... 279
أ- الموقف من الحروب ..... 280
ب- تعريف السلطة ..... 286
4. السعادة والنجاح والمال والهجرة ..... 290
أ- المال لا قيمة أخلاقية له ..... 290
ب- الهجرة والسفر : ارتقاء اجتماعي ..... 292
استنتاجات عامة ..... 297